

العولمة والضرر وتجارة البشر

ملف خاص

يناير ٢٠٠٧ / ٤ جنیهات

مصري - فرنسي

كتاب في العولمة والضرر



السيدة/ فاطمة يوسف «١٩٥٨ - ١٨٩٨»

تحية وفاء لواحدة من رواد المسرح والصحافة الحرة المستبررة وتقديرًا لدورها الوطني
خلال مسيرتها الفنية والصحفية في مواجهة من يحاولون تزوير تاريخ النهضة المصرية

الله

مجلة فصلية شهيرة تصدرها دار الفلاح (الطبعة الأولى) في كل عام

رئيس مجلس الإدارة

عبد القادر شهيب

مدير التحرير

مجدى الدقاق

شلالة الأفتش

محمد أبو طالب

مدير التحرير

حافظ مصطفى

شلالة الأفتش

أحمد البكري

دار الفلاح للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى ٢٠٠٧
العدد السادس ١٤٢٧
كتاب ١٧٣

العام الخامس عشر بعد الميلاد

يناير (كانون ثاني) ٢٠٠٧ م

نواحـة ١٤٢٧

كتاب ١٧٣

القاهرة - ١١ - شارع محمد

عز العرب (الميدان سابقاً)

ت: ٣٩٥٤٥٥٧ (خطوط)،

الكتابات، ص. ب - ٦٦ - العتبة

- الرقم البريدي ١١٦١١

تلفزيون - مصر - القاهرة

ج ٣ مع مجلة الحال

٣٦٢٥٤٨١

تلفون: ٣٦٢٥٤٦٩

فاكس: ٣٦٢٥٤٦٩

البريد الإلكتروني

nelalmag@yahoo.com

سوريا ١٥ ليرة، لبنان

كولومبيا - الأردن

إيطاليا، الكويت / دينار

السعودية، الولايات المتحدة

٢٠ دينار - السوردين

دينار سقط، ١ دينار، دينار

إيطاليا ١ لير، سلطنة

عمان، ١ ريان، تونس ٢

بيارات، المغرب ٢ درهماً

الجمهورية العربية ٣٠٠ ريال

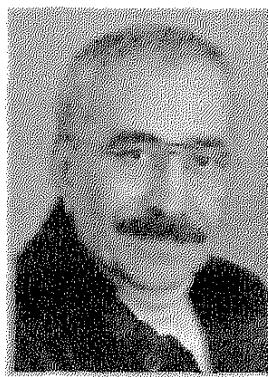
غزة، الفلبنة / القدس ٢

دولار - إيطاليا، برونو -

سويسرا ٥ فرانك - الملكية

التجدة ٥ بيك - أمريكا ٨

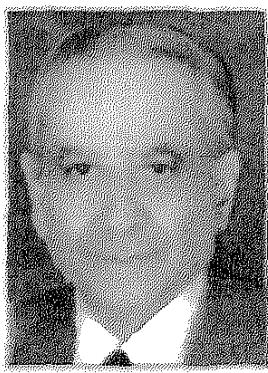
دولارات



خيري منصور



د. عاصم الدسوقي



د. محمد الهادي



الخطوط للفنان:

محمد العيسوي



الإخراج الفني:

سهام وهдан

- ٦ - الواقع الفرنسي بمصر رئيس التحرير ٢٠
 ٢ - العربي تكرم الهلال خري منصور ٢٧
 ٣٢ - رماد الأبنوس خري منصور ٤٢
 ٤٢ - نداء العدالة أحمد على بدوى ٤٤ - ثقافة رقمية ياسر شعبان
العلامة والفقير وتجارة البشر (ملف العدد)
 ٤٤ - عملية الفقر د. محسن خضر ٦٢
 ٦٢ - أمريكا والعالم د. السيد أمين شلبي ٧٦
 ٧٦ - البيان وأسئلة المستقبل د. محمد عبد الشفيع ٨٢
 ٨٢ - الصين وتوازن القوى حامد الشناوى ٩٧
 ٩٧ - تجارة البشر د. بركات محمد مراد ٩٨
 ٩٨ - معشوقه الأدباء د. سعيد إسماعيل على ١٠٨
 ١٠٨ - الفنان عارل المصري د. محمد المهدى ١١٤
 ١١٤ - السيدة العارية شادي رفعت ١١٧
 ١١٧ - قراءة تشكيلية محمود الهندي ١٢٠
 ١٢٠ - «صوت العرب» هدف عسكري أحمد سعيد ١٥٠
 ١٥٠ - نداء لتكريم السيد عسaran
هلال المبدعين

١٦٨ - لوحة فنان خالد الزهيري

شعر:

- ١٥٤ - عن سيرة حياة رجل تافه محمد آدم ١٥٨
 ١٥٨ - قصائد محمد الكفراوى

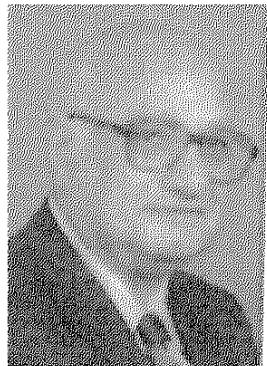


د. بركات محمد مراد



د. محسن خضر

- ١٦٠ - مات أبي د. أمانى فؤاد
 ١٦٢ - قصيدتان من باريس حمزة قناوى
 ١٦٤ - إنى أحب الآن فولاذ عبد الله الأنور
قصة:



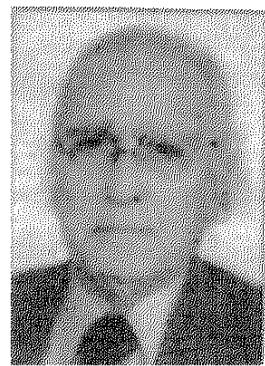
أحمد سعيد

- ١٦٦ - خاتم فضى كبير سيد الوكيل
 ١٦٨ - اعتراف عماد الغنور
 ١٧٠ - السعيد محمد صفوت
 ١٧٦ - طقوس إبراهيم محمد حمزة
 ١٧٨ - خوف على شوك
 ١٨٠ - أخت حبيبتي مكاوى سعيد
 ١٨٣ - من فتحة شباك بشرى أبو شرار
 ١٨٤ - بطة أنچيل محمد خضرير
ترجمة:

- ١٨٦ - وقع أقدام الماء سهرا بسبهري
 ترجمة: محمد محمد السنباطى
 ١٨٨ - قلوب جميلة جلاديس دالاس
 ترجمة: على منصور

تقدير:

- ١٩٠ - سحرأسود أسامة عرابى
 ١٩٥ - الفلسفة في شمال إفريقيا «كتيب في مجلة» د. مراد وهبة
 ٢١٢ - أنت والهلال عاطف مصطفى
 ٢٢٦ - الكلمة الأخيرة : العولة ... د. عاصم الدسوقي



د. مراد وهبة

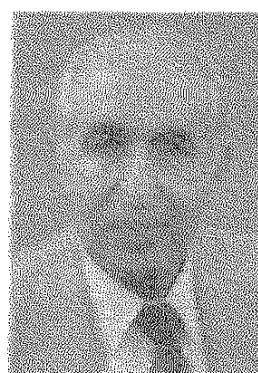
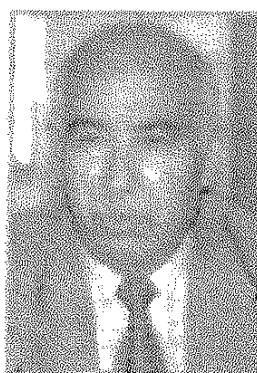
الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٤٨ جنيها داخل ج.م.ع تسدد مقدما أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٢٥ دولارا، أمريكا وأوروبا وافريقيا ٤٥ دولارا، باقى دول العالم ٤٥ دولارا.

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرجى عدم ارسال عمالات نقية بالبريد.

بريد الاشتراكات

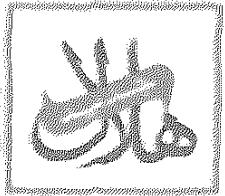
subscription_dep@yahoo.com



د. سعيد أمين شابنى

د. السيد أمين شابنى

**جميع المراسلات
باسم رئيس التحرير**



الرُّوكُ الْفَرْسِيُّ بِحَصْرٍ يَصْبِلُ لِأعْمَاقِ الْبَحْرِ



□ مجلد المذاق

لقد ذهبت بريطانيا العظمى، وغابت شمسها عن الهند وبقية مستعمراتها، لكن استمر الانبهار بحضارة وتاريخ الهند وشاعرها العظيم طاغور، وزعيمها الروحي غاندي.

وعادت السفن الحربية الإسبانية إلى مدريد، ولم تبق إلا اللغة الإسبانية، وتأثيرات حضارة الإنكا، وشعوب أمريكا اللاتينية وكتابها ومثقفيها، نيرودا، ماركينز، أماندو، وبيورخيس.

وقدمت ألمانيا اعتذارها التاريخي بسبب جرائم هتلر

ما بين الثقافة والسياسة خيوط متداخلة شديدة الدقة، تصنعها أحداث التاريخ، وكثيراً ما خلقت السياسة حالات من العداء والتربص والخذر بين الدول والشعوب، تظل الأجيال المتعاقبة تحفظها، وتتصاعد في داخلها، وتستمر لقرون، ويفشل дипломاسيون في إذابتها، وتعجز حتى المصالح الاقتصادية عن إنهائها.

وحدها الثقافة التي يمكنها القفز على مآسي التاريخ وتضاريس الجغرافيا وهواجس الخوف القومي.



الرئيسان مبارك وشيراك السيدتان سوزان وبرناديت

ونازيته، وبقى البولشوى وروايات تولستوى،
وجوركى، ودستويفسکى وتورجنيف
وباسترناك.

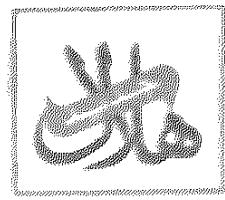
٧ ورحل الفرنسيون عن الجزائر
وبقية مستعمراتهم، لكن بقيت
اللغة والأدب والفنون، ولا يزال
الناس يتذكرون أراجون، وبول
إيلوار، وچان كوكتو، وسارتر،
وأليير كامو، وسيمون دى بوفوار،
وفرانسوا ساجان.

إن أفضل ما يحدث تحت قذف
المدافع، إلى جانب بزوغ الإرادة

وشعوب أوروبا
والعالم، لم يصلها سوى روايات
«إريك ماريا ريمارك وجوتة،
وهاينريش بول وتوماس مان،
وهيرمان هيسه وجونتر جراس.

وعداء السياسة والجغرافيا
التاريخي بين أيرلندا وبريطانيا لم
يمنع انتشار الثقافة الأيرلندية
داخل بريطانيا نفسها، وعشق
البريطانيين لبرناردو، وجيمس
جويس، وصمويل بيكيت.

لقد انتهى الاتحاد السوفياتى،



والإغريق البطالمة، والروماني، والعرب، والأتراك العثمانيين، والفرنسيين، ثم الإنجليز. وبإضاف إلى كل ذلك أن هناك من لم يكتفى بالتأثير أو التأثير، بل تجاوز ذلك بالوقوع في حب مصر وتاريخها وأثارها وإنسانها، ولعل حملة نابليون بونابرت على مصر، هي النموذج الواضح لهذه الحالة النادرة، فالحملة التي جاءت بسفنه تناصفاً مع خصمها التقليدي - بريطانيا - وطمعاً في السيطرة على الموقع الاستراتيجي الذي يطلق عليه مصر، جاءت ومعها نيران المدافع، وأحبار المطبع.

ذهبت المدافع ونيرانها، وبقيت حروف المطبع،
ووصفت مصر
وحضارتها، وتم
إعادة اكتشافها.

قط

الفرنسيون في
حب مصر،
وتصاعد هذا
الحب ليتحول
إلى عشق، ثم
ولع، ليغوص

الشعبية الراقصة للغزو والاحتلال، هو الحال الثقافية بما تحمله من تأثيرات متبادلة. فالعلاقات تبدأ بالغزو والرغبة في السيطرة، وتنتهي في لحظة تاريخية بعينها بالحوار والمقاييس وفهم الآخر. وتدرجياً تختلف صور دخان القنابل، لتحل محلها صورة مختلفة تماماً.

ورغم انطباق هذه الصورة - مع تفاوت تدرجى من بلد آخر - على كل بلاد الدنيا، فإن مصر تنفرد، لأسباب تتعلق بطبعها شعبها وطبيعة المخزون الحضاري الذى تملكه، بأنها من الدول والشعوب النادرة التي أذابت المستعمرين داخلها.

نعم لقد تأثرت وأثرت في القادة، ولكن المحصلة النهائية أن كل قائد أصبح مصرياً. حدث هذا للجميع دون استثناء، الفرس

| تمثال بطيء من الجرانيت |
لرأس قيسرون ابن كليوباترا



٨
٧
٦
٥



الرئيس مبارك مع المستشارة الألمانية

للسلام. وكان التقدير - ولا يزال - عالياً لمصر مبارك لسعيه الدائم نحو الحفاظ على الاستقرار والأمن في مصر والمنطقة، وداعية للحوار وحقوق الشعوب، وتنسكه بخطى الإصلاح والحداثة، كتطور طبيعي لمسيرة النهضة المصرية.
لها كان تعامل زعماء دول العالم مع مصر، منطلاقاً من قراءتهم للتاريخ والواقع، مدركين أن مصر بتاريخها وثقافتها ودورها، هي صمام أمان لكل شعوب المنطقة.

في النهاية إلى أعماق البحر بحثاً عن كنوز مصر الفارقة في المتوسط.

أحب الفرنسيون مصر وتاريخها، وانحاز المصريون لعاصمة النور وشعار ثورتها في الحرية والإخاء والمساواة.

انبهر الفرنسيون بتمسك مصر عبدالناصر باستقلالها، وقيادتها لحركة التحرر العالمي، وسعيها نحو استقلال شعوب العالم الثالث، واحترموا مصر السادات كداعية



المصرية، فسفة الدور المصري وسعيه الدائم لحل قضايا المنطقة المتفجرة.

يقول الرئيس مبارك: إن كل تحرك سياسى ودبلوماسي مصرى، هدفه فى المقام الأول المصلحة الوطنية المصرية والمواطن المصرى، وإن سعى مصر لتحقيق الاستقرار والسلام بين دول المنطقة، سوف يعم بالفائدة على جميع شعوبها، فلا تنمية بدون استقرار، ولا تعاون بدون سلام دائم، يحفظ لكل الشعوب حقوقها فى العيش الآمن.

قادة أيرلندا

استمعوا جيداً
للرؤية المصرية
حول الصراع الفلسطينى -
الإسرائيلى، والأوضاع فى
لبنان والعراق، وأيدوا
موقف مصر وزعيمها
فى أهمية التمسك
بالحوار، وضرورة
عودة حقوق الشعب
الفلسطينى كمفتاح
لحل قضايا الشرق
الأوسط، وكذلك
فعلت القيادة

إناء من الرخام على
هيئة تمثال لأوزيريس

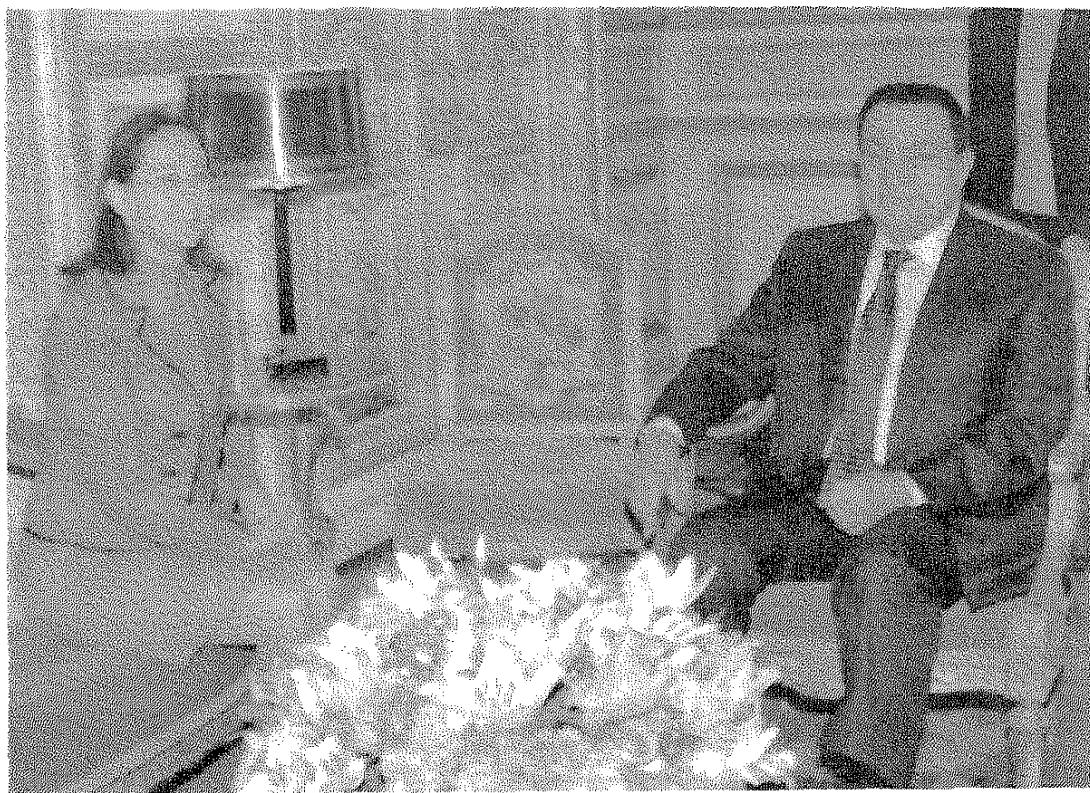


ففى جولة الرئيس حسنى مبارك الأوروبية، أوائل شهر ديسمبر الماضى، والتى شملت ثلاثة دول هي: أيرلندا، هذه الدولة الصاعدة اقتصادياً وتكنولوجياً بقوة فى أوروبا، وفرنسا الدولة المهمة فى العالم، صاحبة الموقف الدولى المستقل، وأحد مفاتيح الموقف السياسى الموحد للمجموعة الأوروبية، وألمانيا أحد أجنحة القوة الأوروبية، لمست عن قرب مدى الثقل والحجم الكبير لمصر وشعبها، ومدى التقدير الذى يكنه ويعلنه قادة أوروبا للقيادة

المصرية، باعتبارها
قيادة وطنية،
تواصـل دورها

التارىخى لاستكمال مسيرة
النهضة المصرية، دون
فصل بين استقرار مصر
وأمنها، واستقرار وأمن

شعب ودول
المنطقة، بل العالم.
على طائرة
الرئاسة المصرية،
شرح الرئيس مبارك
لرؤساء تحرير
الصحف والمجلات



المباحثات المصرية الأيرلندية

من الشعوب العربية، و موقف مصر و قيادتها الوطنية و تمسكها بإحلال السلام، و جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل، كل هذه المواقف تجد صداقاً إيجابياً لدى القيادات الفرنسية، باختلاف انتتماءاتها الحزبية. فالتقدير الفرنسي لمصر و شعبها و قيادتها، لم يتغير بتغير ساكن الإليزيه من جيسكار ديسستان مروراً بفرانسوا ميتران وحتى جاك شيراك.

فرنسا أهدت لمصر مبارك معرض «آثار مصر الغارقة»، وفي القصر الكبير بالعاصمة الفرنسية «باريس»، افتتح الرئيس حسني

الألمانية. وتقديراً لموقع مصر و قيادتها و موقفها، أعرب المسؤولون في البلدين عن رغبتهما في زيادة حجم التعاون الاقتصادي والعلمى بين بلديهما ومصر.

فى فرنسا ثمة هوى مصرى داخل كل فرنسي، فالفرنسيون هم الذين فجروا ينابيع الاهتمام « بالمصريات »، و مواقف فرنسا و انحيازها للحقوق العربية، منذ شارل ديغول، مواقف لا يمكن للوجدان المصرى والعربى أن ينساها، ومنحى الاستقلال الأوروبيى الذى تقوده باريس بعيداً عن هيمنة القطب الواحد، محل تقدير

والمصالح المتبادلة، ويتأسس على
القيم المشتركة، ويحقق تطلع
شعوب الشرق الأوسط وأوروبا
والعالم، إلى السلام والأمن
 والاستقرار.

الرئيس الفرنسي جاك شيراك أثنى على ثراء الماضي لفرنسا ومصر، والذى يلعب دوراً فى التفاهم والصداقة بينهما، ووصف الدولتين بأنهما راسختان فى التاريخ، وتتحلىان بنفس روح التسامح والاحترام للثقافات، وتعملان معاً على ضفتى المتوسط، لصالح السلم فى الشرق الأوسط والتقارب ما بين العالم.

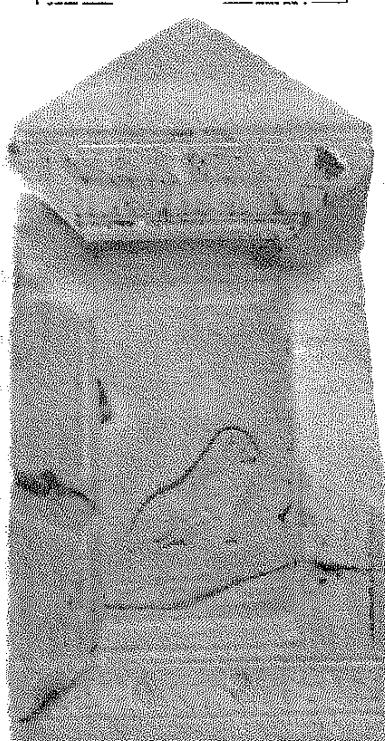
واعتبر شيراك أن العلاقات المصرية الفرنسية، علاقات متينة، لأنها ترتكز، ليس على تقارب وجهات النظر بشأن القضايا السياسية الإقليمية وعلى العلاقات الاقتصادية فحسب، بل أيضاً على بعد ثقافي قوي.

مبarak وجاك شيراك المعرض،
ليتواصل انبعاث العالم بحضور
مصر وأثارها ويظل الولع الفرنسي
بمصر وتأريخها مشتعلًا.

الرئيس مبارك اعتبر افتتاح
معرض كنوز الآثار المصرية
الفارقية، توثيقاً للروابط الثقافية،
والعلاقات المتميزة بين مصر
وفرنسا، وتأكيداً للتواصل الحضارات
والثقافات والشعوب ولإرساء قيم
التفاهم والتقارب بين أبناء
الإنسانية من كافة البشر، مشيراً
إلى أن مصر قد ترسخت لديها،
عبر حقب طويلة، قيم الانفتاح
والتعايش مع

والتعايش مع
حضارات العالم،
فكان يوماً

انصرت داخلها العديد من حضارات وثقافات، بل وجعلت من مصر وشعبها دعاة لحوار حقيقي جاد بين حضارات العالم وثقافاته، وهو حوار - تشتد الحاجة إليه - يقوم على التكافؤ واحترام الآخر،



جزء داخلی من معبد بطلمی



كنوز مصر في باريس

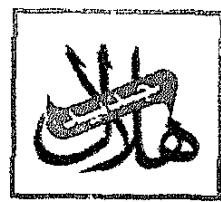
شيء من ماضيه المجيد أو تقاليده، هذه هي مصر التي يحتاج إليها الشرق الأوسط والعالم.

خطاب شيراك يؤكد أن السفينة المصرية تعرف بحرها جيداً، بلد يخطو بخطى ثابتة نحو المستقبل، عيناه على إصلاح حقيقي باعث على نهضة حديثة، من أجل وطن تسوده روح العدالة والإنسانية، وتسوده قيم المواطنة والمساواة بين أبنائه، منطلقًا من تاريخ وارث حضاري ضخم، لا يعزله عن الآخرين ولا يجره للماضي.

هذه هي مصر التي نريدها جميعاً، والتي يحتاجها العالم، الذي نطمئن أن يزداد ولعه، لا ب الماضيها فقط، بل بحاضرها أيضاً.

وتؤكدأ على الرؤية الفرنسية، وتقدير فرنسا لمصر وشعبها وقيادتها، أكد شيراك أنه بفضل تاريخ مصر القديم، الذي يعود إلى آلاف السنين، قد حققت مصر معجزة البقاء كما كانت عليه، والتوجه في نفس الوقت نحو المستقبل ، والخوض الفعلى في مسار الحداثة .

وأشى شيراك مقدراً توجهه مبارك نحو الإصلاح، ومضى قائلاً: لقد اخترتم بعزم وحزم درب الإصلاح، ولدى قناعة راسخة أن مصر تسير نحو مستقبل يتسم بالдинامية والحداثة،وها نحن نشاهد بلداً يثبت مكانته الكاملة في القرن ٢١ ، دون أن ينكر أي



الكنوز الفارقة في القصر الكبير

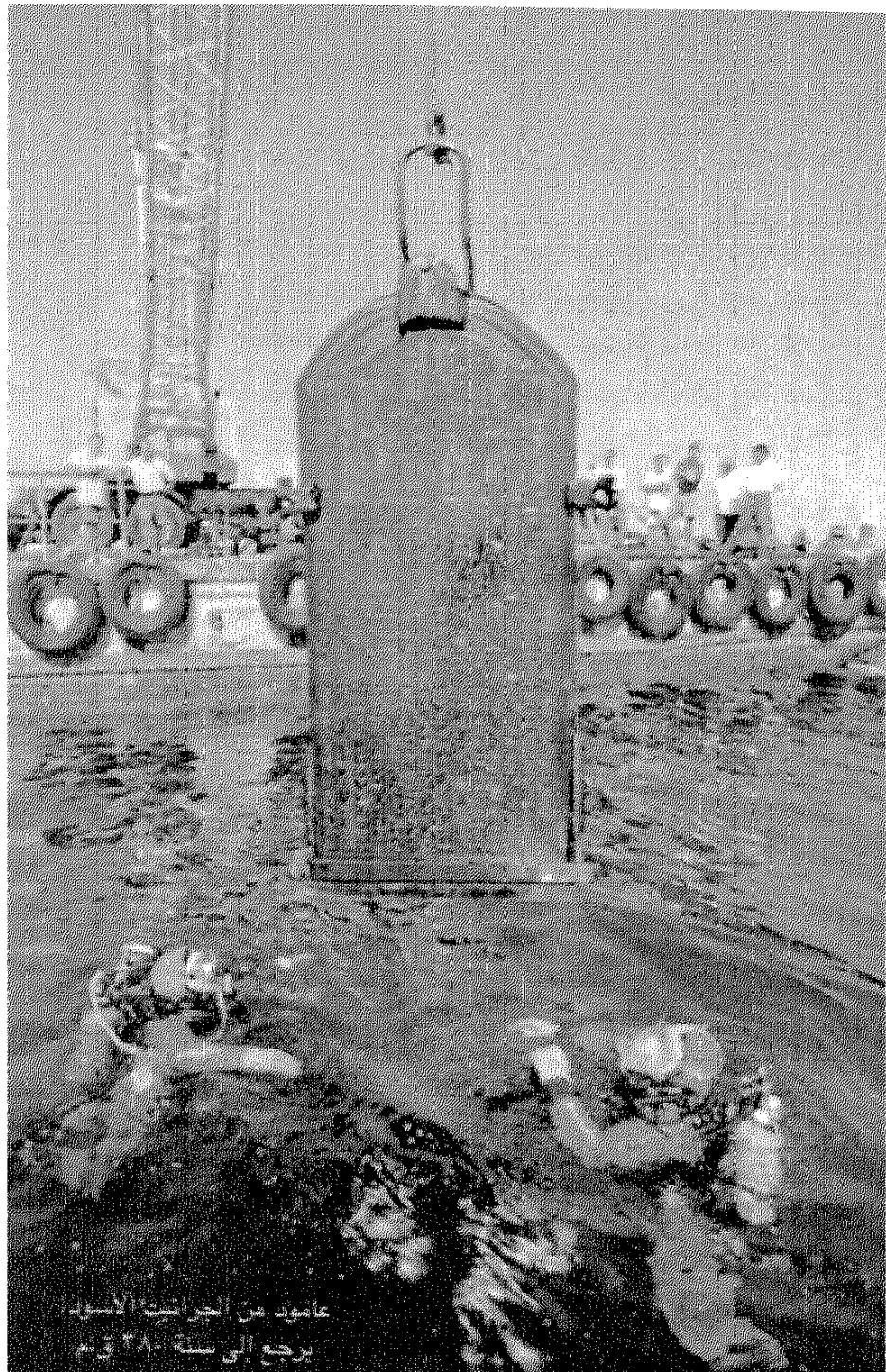
مجموعة تماثيل لأبي الهول ورؤوس الملوك والملكات، إضافة إلى مجموعة الحلى والأواني البرونزية.

تمتليء شواطئ الإسكندرية وخاصة في منطقة خليج أبي قير ومنطقة المينا الشرقية بكنوز من الآثار الفارقة، التي جاءت نتيجة ل تعرض الإسكندرية للعديد من الزلزال الشديدة إلقت بكثير من مباني وقصور وقلاع الإسكندرية في مياه البحر ومن أشهر هذه المباني التي أطاحت بها الزلزال منارة الإسكندرية القديمة، إحدى عجائب الدنيا السبع، وترجع الأهمية الفائقة للأثار الفارقة إلى المينا الهائل الغارق الموجود أسفل صخرة جزيرة فاروس، والجنوب الغربي منها، ويضاف إلى ذلك أن مستوى البحر قد ارتفع مترين منذ العصر الروماني.

كانت بداية البحث عن الآثار الفارقة في مصر عام ١٩٣٢م، وبدأت عمليات التعرف على الآثار الفارقة وانتشالها في منطقة خليج أبي قير، وفي عام ١٩٦١م، بدأ التعرف على آثار الإسكندرية الفارقة بمنطقة الحى الملكي، عندما اكتشف

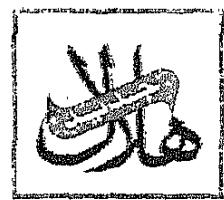
وفقاً لدليل كل من المعرض الفرنسي «القصر الكبير» ومكتبة الإسكندرية، يضم المعرض نحو ٤٨٩ قطعة أثرية، انتشلت من مياه البحر المتوسط بالإسكندرية على مدى ١٠ سنوات، وتنتمي إلى عصور تاريخية مختلفة من الفرعونية واليونانية والرومانية، وقد شاركت مكتبة الإسكندرية في هذا المعرض من خلال ٣١ قطعة أثرية نادرة من مقتنيات متحف الآثار التابع للمكتبة.

عرض المعرض أضخم ثلاثة تماثيل تم انتشالها من مياه البحر، اثنان منها ملك وملكة من العصر البطليموس، والثالث لإله النيل حابى، ويبلغ ارتفاع كل منها ستة أمتار، وزن كل منها ستةطنان، وتماثيل أقل ارتفاعاً، مثل تمثال الآلهة ايزيس، وتشمل المعروضات أيضاً تمثلاً لأبي الهول، ولوحة هيراكليوم، التي عثر عليها بين آثار مدينة هيراكليوم الفارقة تحت مياه خليج أبو قير، قرب مدينة الإسكندرية، وتحمل نقوشاً هيلوغليفية ويونانية، حول الخرائب المفروضة على التجار والمواطين، ويضم المعرض أيضاً



تعود للعصر البيزنطي، وتم تسليمها للمتحف أيضاً. وفي عام ١٩٦٢ م أفاد «كامل أبوالسعادات» بوجود تماثيل ضخمة وعناصر أثرية أخرى شاهدها تحت الماء، فقامت مصلحة الآثار وقتها

الأثرى الراحل والغواص المعروف «كامل أبوالسعادات» كتلاً أثرية غارقة في أعماق البحر بمنطقة الميناء الشرقي، أمام كل من لسان السلسلة وقلعة قايتباي. فقام كامل أبوالسعادات بانتشال قطعة عملة ذهبية،



تمكنت في عام ١٩٧٥ م من وضع خريطة للآثار الفارقة في حوض الميناء الشرقي، أصبحت مرجعاً للعمل في تلك المنطقة.

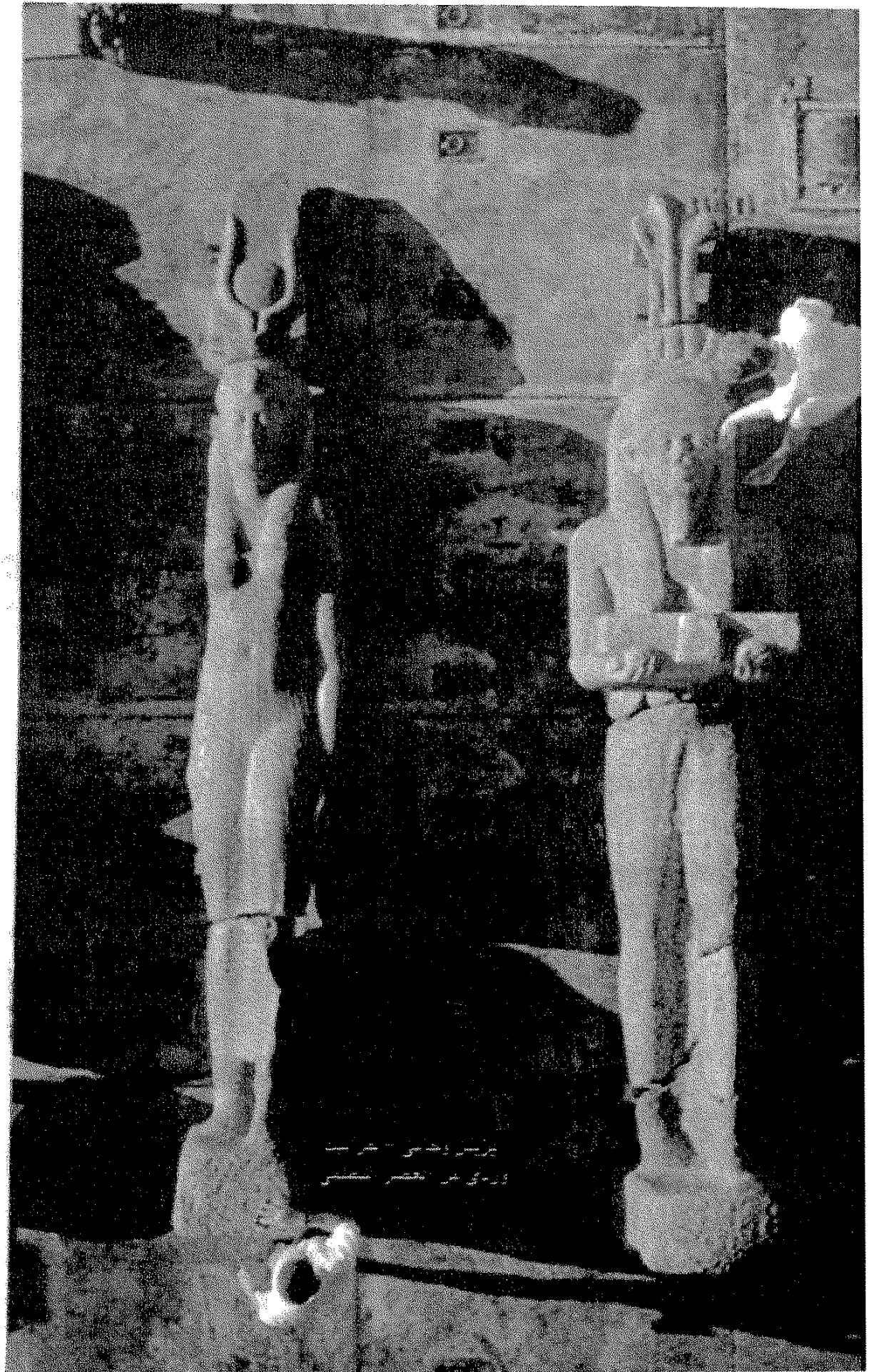
وفي عام ١٩٩٢ م قامت بعثة معهد بحوث أوروبا للبحار برئاسة «فرانك جوديو» خبير الكشف عن الآثار الفارقة، بالعمل في كل من منطقتي أبي قير والميناء الشرقي. وقد تمكن بفضل خبرته وتقدير أجهزته ورصد وتحليل البيانات التي حصل عليها، من الكشف عن الكثير من الأسرار الغامضة لآثار الإسكندرية الفارقة.

وفي أكتوبر عام ١٩٩٥ م بدأت بعثة المركز الفرنسي للدراسات بالإسكندرية ب أعمال المسح لأعماق البحر، وت تكون بعثة

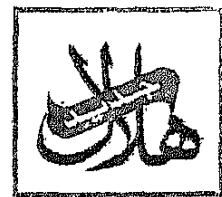
بمساعدة القوات البحرية ولمرة الأولى بشكل رسمي، بانتشال تمثال من الجرانيت لرجل يرتدي عباءة تغطي معظم بدنـه، ويبلغ طولـه ١٧٠ سم. وكان ذلك في النصف الأول من نوفمبر عام ١٩٦٢ م وفي النصف الثاني من نوفمبر عام ١٩٦٢ م. تم انتشال التمثال الضخم المعروف بتمثال ايزيس، وهو من الجرانيت الأحمر، ويبلغ طولـه حوالي ٧.٥ متر، ومشطـور إلى نصفـين. وقد تم نقلـه إلى حديقة المتحف البحري بالإسكندرية.

في عام ١٩٦٨ م طلبت الحكومة المصرية من منظمة اليونسكو معاونتها في عمل خريطة للآثار الفارقة بمنطقة الميناء الشرقي تحت الماء فارسلت غواصة عالمية،





— ۱۰۰ —

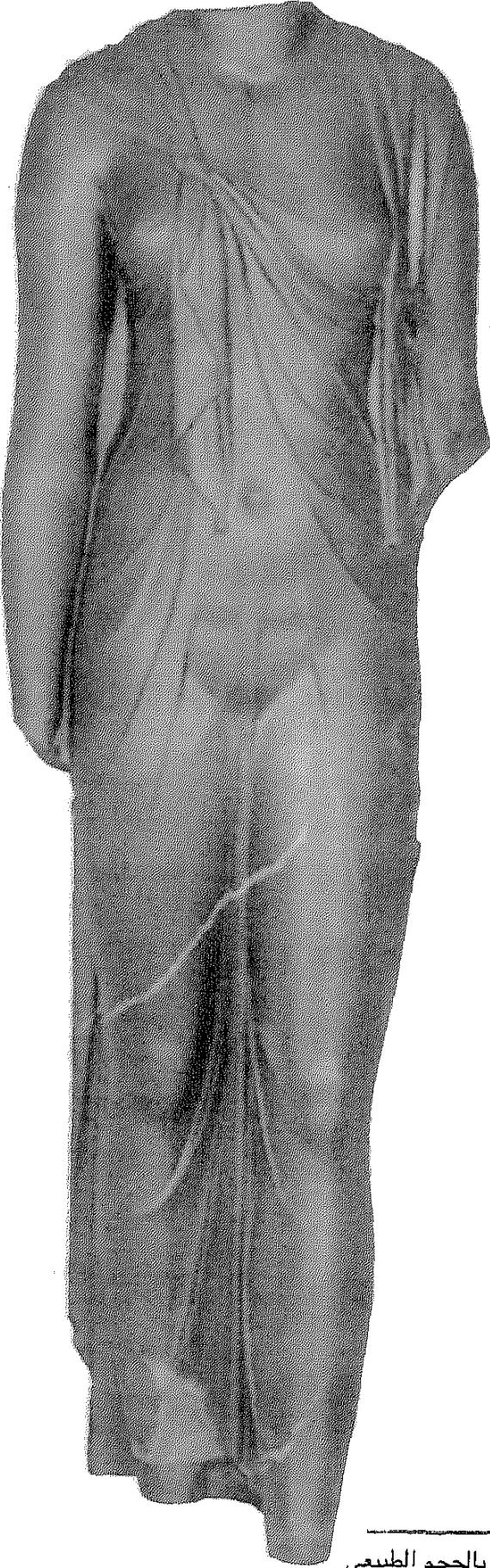


عبارة عن صف كتل حجرية هائلة، من جرانيت اسوان الأحمر منتشرة في صف واحد شمال القلعة، تبلغ اوزانها من ٥٠ إلى ٧٠ طنا ويشير أسلوب انتشارها إلى سقوطها من مكان عال، أثر أحداث عنيفة. وقد فسر احد العلماء الفرنسيين وهو العالم الفرنسي «جان ايف امبرير» مدير الابحاث بالمركز القومي الفرنسي للأبحاث العلمية ومدير مركز دراسات الإسكندرية هذا، على أن هذه الكتل من بقايا منارة الإسكندرية القديمة، ويلاحظ ان آخر بقايا المنارة هو الطابق الأول الذي دمره زلزال القرن الرابع عشر، وربما كانت تلك القطع بقايا هذا الطابق التي سقطت في الماء، إما نتيجة الزلازل أو حملات الصليبيين على مصر.

المركز الفرنسي من ٣٠ غواصا مصريا وفرنسيا، متخصصين في المسح المطبوغرافي والتصوير تحت الماء، والرفع المعماري والترميم، وذلك في المنطقة الواقعة امام قلعة قايتباي، وقد كشف ذلك عن وجود آلاف القطع الأثرية أسفل قلعة قايتباي، من أعمدة وتيجان وقواعد وتماثيل وعناصر معمارية مصرية وأغريقية ورومانية، وقد لوحظ أن أحد الأعمدة يتشابه مع عمود السوارى مما يذكر بواقعة القاء اعمدة واحجار السيرابيوم فى قاع البحر، عام ١٦٧ م لصد هجوم الصليبيين، وأنباء عمليات البحث عن الآثار الغارقة تحت مياه الميناء الشرقي، تبين وجود ظاهرة أثرية غريبة تحت الماء، وهي



تحت مياه المينا
بعض آثار من العروق



١٩

الكتاب - بيتنا - ج ٢

وقد عثر تحت الماء أيضاً على أضخم تمثال لملك بطيء «ويعتقد أنه بطليموس الثاني» وهو عبارة عن جذع التمثال، ويبلغ طوله حوالي ١٠.٥ متر وعثر على أجزاء منه، وقد تم عرضه في معرض «مجد الإسكندرية» الذي أقيم بباريس عام ١٩٩٨ م.

كما تم العثور أيضاً على مجموعة من تماثيل لأبي الهول منقوشة مختلفة الأحجام والأحجار، ودرجات الحفظ تطأها ظروفها الزمنية، وكذلك تماثيل لسماتيك الثاني وسيتي الأول ورمسيس الثاني. وقد عثر على نقوش من عصر الامبراطور «كراكلا» في أعماق الميناء الشرقي، تكشف صفة مجهرة من تاريخ مصر في تلك الفترة.

يعود ما عثر عليه من آثار غارقة، وطبقاً لما تم التعرف عليه وانتشاله الآن، إلى جزء من عصر الدولة الحديثة وحتى العصر البيزنطي، حيث عثر على عمود تاجة على هيئة نبات البردي.

انتقل هذا الكم الهائل من القطع الأثرية التي اكتشفت في قاع البحار إلى برلين، حيث كان المعرض الأول للآثار المصرية الفارقة بمتحف «جروبيوس باو» وافتتحه الرئيس حسني مبارك والرئيس الألماني في ١١ مايو الماضي، وبعد ستة أشهر انتقل المعرض إلى محطة التالية بمتحف القصر الكبير بباريس.

«أرسينوف» إحدى ملكات البطالة بالحجم الطبيعي



رئيس الوزراء الكويتي يكرم «الهلال» وبيتهما د. سليمان العسكري ومحمد السنديوسى وزير الإعلام السابق

الجريدة تكرم والمجلات الرائدة **(الأحوال الاجتماعية بالثقافة)**

للتغیر، التفکیر بصورة أكثر ديمقراطية، تعزیز الثقافة الأكثر تسامحاً وتفهماً للأخر، تنمية الحس الانتقادی والسمو بالذوق الإبداعي، عدم الاستسلام لبديهيات القمع والقهر والبحث عن مهرب أو مواجهة، تأهيل البنية الثقافية من كتب وترجمات ومتاحف ومسارح.

في دعوتها لمناقشة «دور المجالات الثقافية في الإصلاح» كتب الزميل الدكتور سليمان العسكري رئيس تحرير الزمالة «العربي» يتساءل: «ماذا نعني بصلاح ثقافتنا العربية؟» ويجيب قائلاً: حق الإنسان العربي في المعرفة، سعيه

في طور من النضج بحثاً عن ثقافة جديدة تعدد للمستقبل، وهذا هو العبء الذي يجب أن يوضع على عاتق المطبوعات الثقافية، مادامت تهدف إلى التنوير والتجدد.

ما كتبه الدكتور سليمان العسكري، كان إطاراً عاماً للندوة مجلة «العربي»، التي عقدت بدولة الكويت في منتصف شهر ديسمبر الماضي، والتي تحولت إلى ظاهرة ثقافية عربية عكست احتياج المثقفين والثقافة العربية، إلى فتح صفحات الماضي - ليس بكاءً عليه، بل استيعاباً لدروسه والاستفادة منه، كذات يمكن الانطلاق منه نحو ثقافة عربية جديدة، ذات أبعاد أكثر اتساعاً.

ندوة «العربي» كانت رسالة كويتية واضحة، باستمرار دور الكويت العربي، وفي القلب منه

الإصلاح الثقافي، اختصاراً، تغيير العقليات المنغلقة إلى أفكار مفتوحة.

أليس كذلك؟

ويتساءل مرة أخرى:

من الذي يستطيع القيام بهذه المهمة الشاقة، وكيف يمكن القيام بإصلاح ثقافي دون أن يتواكب معه إصلاح سياسي واقتصادي؟

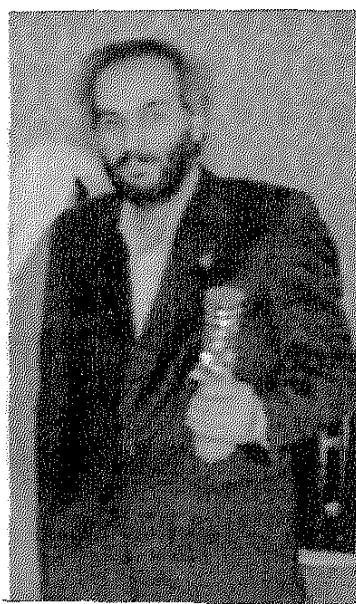
وهل يمكن للمجلات الثقافية - والعربية واحدة منها - أن تقوم ولو بجزء يسير من هذه المهمة؟

أهمية الإصلاح الثقافي هو أنه مقدمة ضرورية لأي تنمية حقيقية، فالتنمية لا تتطلب إمكانيات بقدر ما تتطلب تغيراً في الذهنيات، وتجدداً في الأفكار، وشحذاً للإرادات.

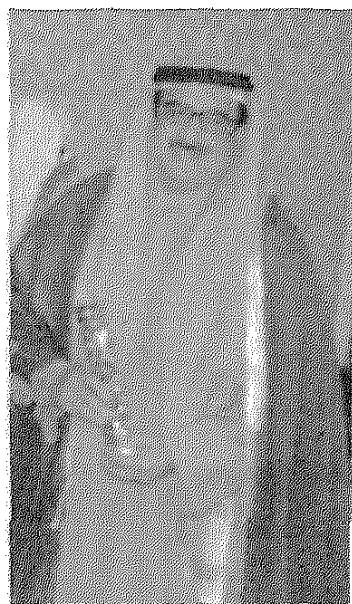
ولن يتأتي ذلك للمواطن العربي المحاصر فكريأ، إلا بعد أن يخرج من شرنقة التخلف الثقافي، ويسعى



الأخلاص



حسن حمدان
الموقف الأدبي - سوريا



بدر الرفاعي
«عالم الفكر» - الكويت

الندوة على مدي اليومين التاليين ٢٧ بحثاً وشهادة، جرت مناقشتها في سبع جلسات.

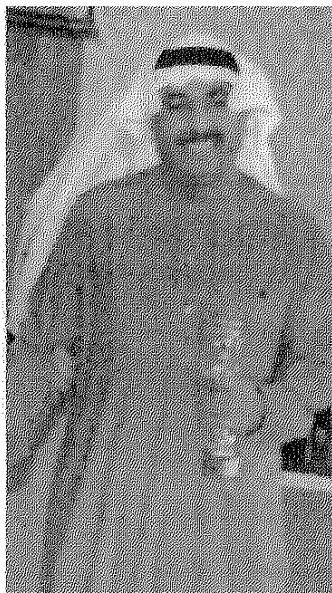
في الجلسة الأولى برئاسة الدكتورة رشا الصباح، تحدث الدكتور جابر عصفور عن المجالات الثقافية وردم الهوة المعرفية للمواطن العربي، وقدم صلاح عيسى بحثاً عن المجالات الثقافية في عصر النهضة العربية، في حين قدم الدكتور بدر الدين عردوكي، من سوريا، قراءة مستقبلية للإصلاح الثقافي العربي.

وفي الجلسة الثانية، برئاسة فاطمة حسين قدم أحمد الدين بحثاً عن المجالات الثقافية في الكويت ودورها في الإصلاح

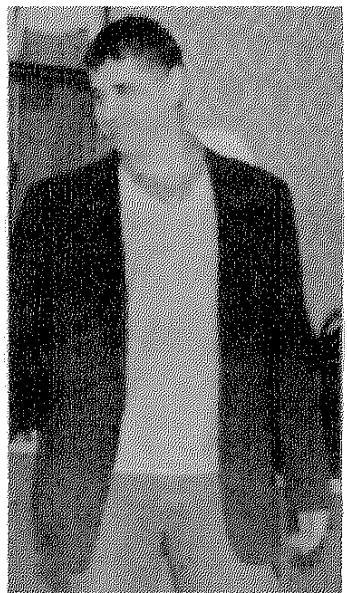
دوري الثقافي، ولعل دعوة هذه الكوكبة من المثقفين والمفكرين والإعلاميين المصريين والعرب تدل على أن «العربي» منذ بداية صدورها، حريصة على أن تظل رسالة الكويت - بلاد العرب - إلى كل شعب عربي وكل مثقف عربي من المحيط إلى الخليج، كما يقول الكاتب الكويتي بدر الرفاعي الأمين العام لمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ولعل رعاية وحضور رئيس الوزراء الكويتي ناصر محمد الأحمد الصباح، وعدد من المسؤولين الكويتيين، جاء تأكيداً لهذا المعنى ورسالة واضحة، ردّ على دعوات البعض بأن الكويت قد تخلي عن دوره القومي.

في اليوم الأول، وبحضور ٨٤ مثقفاً ومفكراً عربياً وحشد إعلامي ملحوظ، قام رئيس الوزراء الكويتي بتكريمه مجالات «الهلال» و«عالم الفكر» و«الآداب» و«كتابات» و«العرب» و«الموقف الأدبي»، ثم ناقشت



على عبد الله خليفة
«كتابات» - البحرين



سماح إدريس
«الآداب» - لبنان



د. عبد الله العتيقين
«العرب» - السعودية

عن المجلات الثقافية قصيرة العمر.

ومن فلسطين عرض د. فواز طوقان تجربة المجلات الثقافية في المهاجر العربية.

وفي الجلسة الرابعة، والتي ترأسها د. سليمان إبراهيم العسكري رئيس تحرير مجلة

«العربي»، قدم د. إسماعيل سراج الدين عرضاً ويحثاً مكتوباً ومصرياً عن النشر الرقمي في حين عرض تجربة اليابان والصين في الإصلاح الثقافي د. مسعود ضاهر من لبنان.

الدكتور يحيى أحمد عميد كلية الآداب بجامعة الكويت ترأس الجلسة الخامسة والتي تحدث فيها د. الحبيب الجنحاني

الاجتماعي والثقافي، وقدم د. محسن الكندي من سلطنة عمان بحثاً آخر عن دور المجلات العمانية في حركة النهضة في بلاده، في حين تحدث د. عبدالله العتيقين عن دور مجلة «العرب» في نشر آداب وتاريخ الجزيرة العربية.

وترأس الجلسة الثالثة د. عبدالمحسن المدعج، وتتحدث علوية صبح من لبنان عن المجلات النسائية والتحرر الذهني، وتتابع د. شرين أبو النجا في بحثها ثورة المرأة وتأكيد الذات عبر المطبوعات والمجلات.

وعن الدور الذي لا يكتمل تحدث بندر عبدالحميد من سوريا



د. جابر عصفور



د. سليمان العسكري



رجاء النقاش

وتنص ورقة د. جابر عصفور رئيس مجلس إدارة جريدة "النهار" في بيروت، عن دور المجلات الثقافية في نشر الوعي الإسلامي، وترأس الدكتور خلدون النقيب رئيس مجلس إدارة جريدة "النهار" في بيروت، حيث تحدث جمانة حداد من لبنان عن الصحف اليومية ودورها في نشر الثقافة.

وشوقي عبد الأمير من العراق عن تجربة مشروع كتاب في جريدة "النهار" في بيروت.

وعزالدين نجيب عن مجلات الفن التشكيلي ونشر الوعي الفني، وصموئيل شمعون من بريطانيا عن "بانبيال" ودورها في نشر الثقافة العربية بالإنجليزي.

الناقد والكاتب الكبير رجاء النقاش رئيس مجلس إدارة الثامنة

د. فواز طوقان

عن دور المجلات الثقافية في نشر الوعي الإسلامي. تحرير الإنسان التونسي.

وأوضح د. محسن جاسم الموسوي تأثير المجلات الثقافية العراقية في النخب، كما عرض د. عبدالرحمن العلام دور المجلات الثقافية في المغرب في الحفاظ على الهوية.

وفي الجلسة السادسة، برئاسة فيصل الزامل، قدم د. قاسم عبده قاسم بحثاً عن المجلات التاريخية وإيقاظ الوعي القومي، في حين تحدث د. خالد عزب عن المجلات

التراثية شوقي عبد الأمير

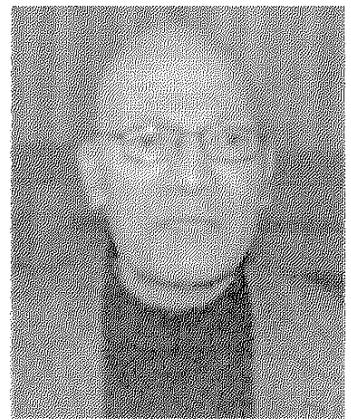
٢٤
١٣
١٢
١١
١٠

ودورها في النهضة ود. نواف الجhma من الكويت عن المجلات الدينية





د. إسماعيل سراج الدين



أحمد عبد المعطي حجازي



صلاح عيسى

على أهمية دور المجلات الثقافية في نشر ثقافة وفكر جديدين، باعتبار أن الثقافة هي قاطرة الإصلاح الشامل في العالم العربي.

لقاءات المثقفين والمفكرين العرب أكدت أيضاً على أهمية استمرار التواصل بينهم وعلى ضرورة فتح «الحدود الثقافية» بين الأقطار العربية، ودعوة المؤسسات الرسمية العربية لدعم كل جهد ثقافي، يصب في اتجاه الإصلاح العربي، وأكد د.

سليمان العسكري أن مجلة ٢٥

«العربي»
بتكريمهها
 للمجلات
العربية
الرائدة ،
تعرف
بفضل
دور هذه
المجلات ،

د. خالد عزب



حيث قدم مجدى الدقاد رئيس تحرير «الهلال» شهادته حول دور الهلال في نشر الثقافة والإصلاح الثقافي، وقدم للكاتب والناقد سامي خشبة دراسة حول مساهمة مجلة الآداب في ازدهار الحركة الثقافية العربية.

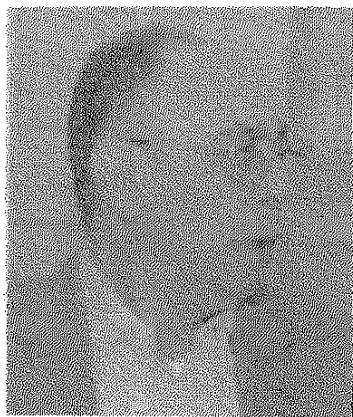
وتحدث الشاعر والكاتب أحمد عبد المعطي حجازي عن تجربته في مجلة «إبداع» في حين قدم د. سليمان العسكري رؤية لدور مجلة «العربي» كمرآة عربية على مدى خمسة عقود.

حوارات ومناقشات الحضور

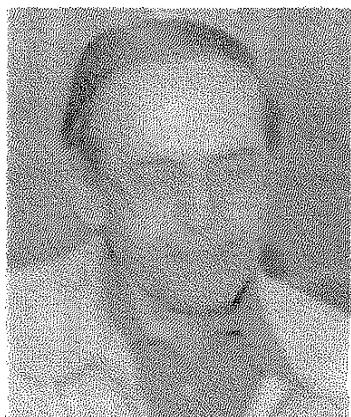
في هذه الندوة ، عبرت بصدق عن الهموم الثقافية العربية وأكّدت د. شيرين أبو النجا



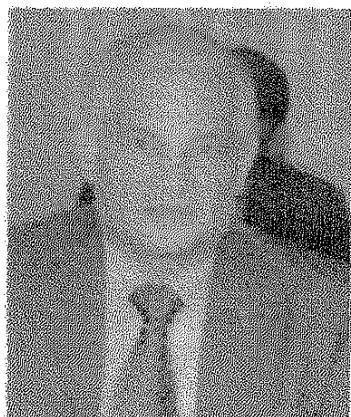
الأخضر والأسود في الثقافة



سامي خشبة



عز الدين نجيب



د. قاسم عبدة قاسم

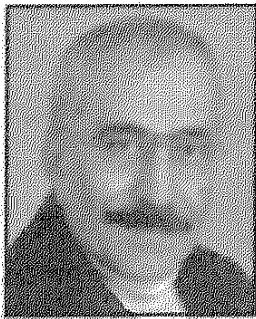
رسول للثقافة ينطلق من أرض الكويت واحدة من الروابط الوثيقى التي ربطت الكويت بالوطن الممتد من المحيط إلى الخليج، وساهمت إلى حد كبير في إزالة فجوة قلة المعرفة، والتفاهم والتقارب من المسافات المتباudeة. مؤكداً أن رسالة «العربي» سوف تستمر، موضحاً أهمية انعقاد مثل هذه اللقاءات والندوات بين أبناء الأمة الواحدة.

أيام قليلة قضتها المثقفون العرب بين أشقاءهم الكويتيين، ولكنها كانت بداية لميثاق ثقافي عربي يؤكد على قيم الحوار والتواصل وبناء ثقافة جديدة، كبداية لمسيرة إصلاح عربي لا يمكن أن يستكمل إلا بإصلاح وبناء ثقافي جديد.

مجلد الدقائق

فلا أحد ينسى ما قامت به مجلة المقتطف في مصر في أواخر القرن الثامن عشر، حين حاولت أن تنقل علوم العرب إلى عالمنا العربي، الذي كان يرزح تحت تخلف القرن التاسع عشر، ولا الدور الذي قامت به مجلة «المنار» في إحياء الفكر الديني، ومقاومة الاحتلال الغربي، ولا ما قامت به مجلة «الهلال» التي قادت رحلة التنوير في عالمنا العربي فوق ما يزيد على قرن من الزمان. ولا دور مجلة «الرسالة» في إحياء الثقافة العربية وتجدید لغتها، ولا مجلة «الأداب» التي رعت حركة التجديد والإبداع في الثقافة العربية من أول الخمسينيات من القرن العشرين حتى يومنا هذا، وأضاف أن مجلة العربي التي كانت أول

فأنا الأبيوسن



خيري منصور
يكتب شهادته

الحافة، مشحونين بطاقة ترقب وحذر، إن لم تجد مجالها الحيوي في الكتابة فإنها قد تحول إلى اجتراح الفعل، فثمة من أفرزوا نصوصهم كما يفرز النحل الشهد، بعد أن قطعوا الآف الأميال وغامروا باتجاه المskوت عنه، والمطوم به .. وشبهه المحرم، لهذا قال أحد هؤلاء، وهو الجزائري «مالك حداد» لكي تستحق الشهد يجب أن تكون لدينا فضائل النحل..

٧٧

ذات قصيدة ، وجدتني منجذبا بقوة كبرادة الحديد لغناطيس ، وانتهيت بعد دقائق إلى رثاء تلك القصيدة الأشبه بالطفل الزائغ العينين، وكانت بعنوان قصيدي الأولى .. وللحظة توهمت بأنني تحررت من حمولتي، وأجبت عن السؤال الملح الذي يحاول عبثا استنطاق الصمت البكر، وعناق كائن أو شيء لا قامة له ولا حضور، فهو محضر ذاكرة أعاد الخيال انتاجها وأضاف وحذف كما يروق له ..

الشعر بمعنى ما، محاولة للإمساك بما لا يمكن الإمساك به، فالنهر الذي قال عنه

رغم كل ما يمكن أن يرد في هذه الشهادة، فإن قناعتي هي أن المعادلة الخالدة قدر تعلقها بالإبداع، هي أن الشاعر هو حاصل جمع نصوصه، ولأنها ليست أحاداً تدرج في حاسوب أصم، فإن لديها فائض يتعدى أحصاؤه، تماماً كما هي الرائحة بالنسبة للشجرة ..

لا أذكر متى، وأين، تولت اللغة كتابة، استيلاد المحاولة الأولى، فالضائع من المسودات لاسبيل إلى استرداده .. لأنه انحلّ وتلاشى في ما أعقبه من محاولات أكثر جدية، وأقل ارتهاانا للجاذب الشعري الرايج، فنحن غالباً ما نبدأ قبل أن نبدأ ، وإن كنا على صعيد الإبداع والخلق ننتهي قبل أن تنتهي.

ومن ولد في مكان لا يشبه الأمكنة، لأنه جغرافياً أحالها الاقتحام إلى فردوس مضاع، كان عليه أن يتذكر استجابة تلقي بذلك الطارئ الذي سرعان ما استوطن وأقام، وإذا كان الشعر بعامة هو شارة ما تولد من زواج العناصر أو طلاقها السري، فإن البعض منا يولدون على

رمان الأدب العربي

أخرى غير شرط الولادة الاستثنائي ، ولم يكن كل ما ظفرت به من أجوبة يكفي لتدجين الدهشة، فالموت مثلا احتفظ بحمولته كلها حتى اللحظة، ولأن الزمن هو النهر الذي يحملنا إلى ذلك المصب، فهو أيضا مثار فضول القصيدة مثما كان مثار فضول الطفل .

الشعر بجنوحه الأبدى نحو البرارى، وخارج الحدود الإقليمية للعقل ، لم يتعرض لمحاولات اغتيال أصعب من تلك التى حاولت عقلنته، وتتجينه المدرسى، لأنها أشبه بمحاولة من يريد أن يصب ماء البحر فى زجاجة، لهذا فإن ما يسمى الفموض هو هوية وليس صفة، مادام الواضح وحتى البديهى هو الأشد تعقيدا واستدعاء للتواطؤ كما قال فاليرى .. فالشجرة غامضة، وكذلك الطفل والقطة، والحزن الذى يرشح من جسد لا يصدق صاحبه وهو يتحدث بثقة عن الغد .. وقد اغتنى الشعر بهذا الفموض، وتعدد وأصبح قابلا للتكرار بسبب التأويل .

وليس صحيحا ما قاله جدنا المتبنى، أنه ينام ملء جفونه عن شواردها .. فهو أيضا يسهر، ويختصم مع ذاته ، وقد يهتدى بالقصيدة كى يتعرف على نفسه فى لحظة كتابتها .

قد تبدو هذه التداعيات والأرجاع تصاديا مع الشعر لا مع الشاعر .. وقد يكون التجريد الجمالى هو ما يطفو الآن على هذه الشهادة ، وسبب ذلك ، هو الاحتراز المزن من نمذجة الذات أو أمثلتها ، بمعنى آخر اقتراح تجربتى معيارا ، فما من تجربة هي الأمثلة ، مادام تاريخ العلم هو تاريخ الأخطاء ..

هرقليليس إنه لا يقطع مرتين، نتوهم أننا نقطعه مرات عديدة، بواسطة الكتابة، أعلى درجات التقمص للكائن الذى يتغذى من نقصانه، ويرقص ولا يمشى، وأحيانا يسيل حول ذاته كنافورة !

أذكر أن شاعرا ونادقا حاول تعريف مهنته، وانتهى به الفشل إلى القول بأنه يحرز الشعر ولا يدركه، كما يحرز القط الفار ..

وأضاف أن دليله إلى الشعر ليست النظريات والتعرifات المتوارثة والمتداولة مدرسيا، بل هو القشعريرة .

لكن القشعريرة تتطلب جسدا ذكيا، مدربا على الاستجابة الرشيقه ، والشعر بوصفه ابتكارا أصيلا لمعادلات حسبة لما هو مجرد، هو جسدى بعدة امتيازات، فى مقدمتها كونه الهواء المائل للصلابة، والماء الذى يثرثر بالسنة الغرقى من مكتوا فيه إلى الأبد!

لقد كتبت نصوصى الأولى، على ندرتها، والحذر الاحترازى الذى تحول إلى هاجس مزمن ضد الامتثال والتماثل على بعد طلقة واحدة من أمى ، سواء كانت تلك الطلقة رصاصة بالمعنى المادى، أو طلقة مخاض تمهد لولادة عسيرة .

لم أقل بعد ، بأن تلك بعض مواصفات أولية لكون المرء فلسطينيا، سواء كان شاعرا، أم موضوعا للشعر، لكن ما أخشاه هو أن يبلغ فائض «الفلسطينة» الشعر أيضا، فيختزل إلى مرثية أو طردية معاصرة، الفريسة فيها هو الصياد ذاته! كانت أولئك المبكرة ، تشمل شروطا

وتاريخ الشعر هو تاريخ
مسوداته .. فاية حفر وأية
بئر هذه التي تتعمق كلما
غرفنا منها ؟

لقد قال «كيس» ومن
بعده «السياب»، إنهم
لا يرغبان في كتابة
اسميهما على صفحة الماء
.. وبالرغم من هذا القنوط

الشعرى، إلا أن زرقة الماء قد تكون مما
يكتب فيه من ذلك الرحيق ومن ذلك الحبر
الخالد.

الشاعر أكثر الناس شكا بجدوى
مهنته، فهو عائد حيث ينبعى له المرضى مع
الآخرين، وماض حيث يجب أن يعود ..
لكان الطرق تتبّع من أصابع قدميه .. لهذا
شبه أحد الشعراء مهنة الشاعر بالسلحفاة
التي تبيض بعيدا ، ولها من الصبر ما
تفتقده كانتات أخرى تبيض في أغشاش
أعدانها .

وقد تعلق الأمر بتجربة شخصية .
فلا أعرف بأن ما يتقطبه أحيانا من رعونة
، ونفاد صبر ، وروح وثابة ، هو أقرب إلى
التضليل البريء .. ليخفاء تلك السلحانية
التي يتسم بها عمل حذر يجتهد قدر
الإمكان كي لا يقول أقوال الآخرين، أو
يتتحول إلى صدى، هذا بالرغم من أن
مقوله دانتوس (سحقا لمن سبقونى فقد
قالوا أقوالى كلها) تصيبنى أحيانا ببيأس
يعيد إلى الصمت اعتباره المسروق، أن
الكتابة عن الأشياء والظواهر، هي تقipin
الكتابه منها .. وفي حرف جر واحد قد
تكمن الحكاية كلها، فمن يكتبون عن
فلسطين مثلا أو المرأة أو الحرية أو أي

شيء آخر إنما يتورطون
بتوصيف وغواية ما
يتسرّح من باطن
الحقيقة.

أما الكتابة (من) فهي
مشروع في حذف الجسور
والقنادر، التي كانت على
الدوام قرائن لقطيعة
ذهنية مع العالم ، وحين
كتبت شاعرة عن رسام عشق شجرة ،
وخلل يرسمها حتى تحول إلى شجرة
وتعقد الشجر على جسده، كانت تقصص
 شيئا آخر غير هذه الفنتازيا .. هو
الاستفرار والتوحد والحلول .

وكم كان مصيبة بول جيرالدى حين
قال إنه كتب أشعاره كلها ليحذف حرف
الواو الذى يفصل بينه وبين حبيبته،
ويعنى أدق بينه .. وبينه .

إن الشاعر سي الحظ لأن قعاسته
اللغة، وهو التي يشاركه بها الآخرون
بعكس الموسيقى أو الرسام .. لهذا
فالشاعر مطالب بالإفصاح ، لكن
الموسيقي يشرح لحنه بإعادة عزفه فقط.

هناك شرطان قد يفهمان الشاعر
الذى ولد فى هذا العصر ، أولهما :
احساسه بالتهميش الكوني، والثانى :
اختراع ضرورته لأنها ملغا ، فالقلب
الذى حرم من حق التفكير .. لا يعادله فى
الظل غير العقل الذى جرد من العاطفة ،
وهاهى الابتسامة كما الحزن، يقادان
بحاسوب، ولم تعد الدمعة أوسع من حدة
العين، والصرخة أوسع من الفم، لهذا
سطت الضرورة على الحرية ، مثلما يسطو
الليل على ضوء خجول، انقطع عن
 مصدره!

رحلة الأدب العربي

إلى مونولوج، أو حوار من طرف واحد؟
المرسل إليه، قدر تعلق المسألة بالشعر،
ليس كائناً محدوداً بزمان ومكان وذائقته،
إنه مبثوث في العالم، لهذا فإن شاعراً
تحول إلى رميم قبل قرون قد يكون أكثر
عافية من شاعر يرفل بالصحة، والفراغ،
والأوهام في أيامنا.

فكل كتابة هي بشير ونذير .. بشير
بأن الإنسان لم يت شيئاً، ولم يلتحق
باسطبلات الأباطرة، ونذير لأنه يقرع
الأجراس في زمن الصمت المقدس الذي
يصنفه المتضررون من كلام بأنه من ذهب!
هل قلت شيئاً عن قصائد؟ أم أنها
هي المسكينة من سيتولى القول، وينوب
عنى في شهادة لم أشأ لها أن تكون تواماً
شائها ومسخاً يسطو على حصة أخيه؟
أخيراً ، بل أولاً وقبل كل شيء ، فإنني
أكتب الشعر في عزلة قصدية، وأنسج
حول الشاعر الحذر في داخلِي محارة من
نشر، فهو الرهان السرى الآثير، وما
إخفاوه سوى التعبير الأمومى عن خوف
من الالتباس الذى لم يسلم منه حتى
الشعر، فى زمن تضاعف فيه عدد
الشعراء عشرات المرات.. وأوشك الشعر
فيه على الهجران !

خانة الشعر

أعرف أن هذه الأرجاع ليست مقاربة
شعرية لسيرة ذاتية ماتزال رملاً يحتاج
إلى قدر عالٍ من التسخين كى يتحول إلى
زجاج، وأعرف أن هناك شعراء يسطو
الوهم على وعيهم ، فيجدوا أنفسهم خارج
المدارين معاً .. مدار التاريخ ومدار
الجغرافيا، أو مدار الزمان ومدار المكان !
لم أنقطع عن كتابة الشعر إلا لتأمل

واسموها لي هنا ، وإن على حساب
أنانية خاصة أن أقول بأن الشعراء اعتبروا
بحاستهم النقدية ، فلم تنتهي، بل شحذها
المران والزمن ، وهذا هو ما يسمى التناغم
بين الإعداد العقلى والإعداد النفسي
للثقف ، فالشاعر في أيامنا ليس منشداً
، هبط للتو من الأولمب ، أو صعد من
وادي عابر، أنه خلاصة الثقافة وقد
تقطرت في كلمات قليلة، وهو آخر الشهدود
أيضاً ، لأنه وحده من يصفع إلى الموتى
الذين خذلهم الأحياء ، ووحده من يصفع
إلى آنين فريسة أخطاء الصيادون موقعها .
لقد كتبت ما كتبت شعراً ونشراً لأنني
لا أفعل شيئاً آخر ، ولم أتهيأ لما هو خارج
هذا الشجن ، وإن كانت العربية أحياناً
تفرض على الجوايدن الذين يجرانها قدرًا
من التناغم، فإن عربة الكتابة أشبه
بالزلقة التي يقودها أربعون كلباً على
الجليد .. فالشاعر يجد الآن أن من واجبه
أن يدافع ببسالة عما تبقى من شعرية في
نسيج الكون، وهو إذ يتحول إلى لقاح
باسل للدفاع عما تبقى من مناعة، إما
يتعدد في أدائه ، وفي وسائل تعبيره ،
فالاقتصار على الشعر رفاه لا يملكه إلا من
يعيشون في حمى القلاع الموسرة .. أو
هؤلاء الذين لم يتخلل هذه الزلزال
التاريخية رومانسيتهم ، وإصرارهم على
أن عواصف التاريخ ستذهب كما تشتهي
سفنهم الورقية .
ما لم أقله بعد، وقد يكون مثار فضول،
هو لماذا الشعر؟ ومن هو المرسل إليه في
هذا الحوار الذي أصبح مهدداً بأن يتحول

المزيد من جدواه ، لا بوصفه دفاعا إنسانيا باسلا عن آخر الحقول وأخر البكارات، وما تبقى من حرية .

لهذا لا أسعى على الإطلاق إلى التخفى بقناع الشاعر كى أهرب من الشهادة على واقع بالغ الفظاظة والفظاعة.

فمن يكتب يوميا بضعة ألف من الكلمات لأسباب مهنية فى مجال النثر، قد لا يكتب سوى بضع كلمات فى الشهر يمكن تصنيفها فى خانة الشعر إن كانت له خانة!

ليس فقط لأن اتساع الرؤيا يفضى إلى ضيق العبارة كما قال التفرى، بل لأن الشعر كما أرى هو تحرير للغة من صدئها، ومن مستوطنات البلاغة الصوتية التى تفاضل بين الطبل والنای لصالح الطبل ، وبين الأسد والفراشة لصالح الأسد !!

هذا بالرغم من أن فى الشعر متسع للأضداد كلها وغالبا ما تكون كيفية القول موازية فى الأهمية للقول ذاته.

تلاحظون أن الشعر الآن مطرود إلى الهاشم لأن المتون محتلة ، وأن الشعراء قد تأقلموا مع الهجران والعزلات حتى أوشك الناس على نسيان الشعر، وإن تذكروا ففى مواسم تطالب بأن يهتف . ويتظاهر ، ويأكل نفسه ويدمر وظيفته الأصلية ، وهو ينافس الخطبة ويسعى إلى مجرد التهبيج العاطفى الذى لا يدوم أكثر من إلقاء القصيدة !

المطرود ، والطارد والمهمش ليس

**لقد كتبت ما كتبت
شغراً ونشرًا لأننى
لا أفعل شيئاً آخر
ولم أتهيأ لما هو خارج
هذا الشجن !**

شيء .
لها لا يبالغ الناشرون
عندما يخفون إحصاءات نشر الشعر
وتسويقه كما لو أنها فضائح .

وإذا كان كونديرا قد قال إن الرواية
هي دائمًا فى مكان آخر ، فإن الشعر
أيضا فى مكان آخر ، ولا أعنى بالمكان
الجغرافيا ، بل ما تبقى من قارة سادسة
زحف عليها الجليد .

وما من نشاط روحي كالشعر أتاح لنا
جميعاً أن نبرر ما نكتبه لوفرة تعريفاته،
بدءاً من الموزون المقفى حتى آخر
مجازفات منظري قصيدة النثر .

فقد أصبح فرز الشعر عن اللاشعر
 مهمة يحتال عليها الناقد الأكاديمى
 بالفرار إلى قبور الشعراء الموتى، أما
 الناقد الآخر، فهو حائر بين ما يحفظ من
 مقولات، وبين ما يجب عليه قوله وهو
 يترجل من مرتفعات نظرية إلى نصوص!
 وإن المرء ليتسائل باندهاش .. هل
 نعود إلى الدفاع عن ضرورة الشعر بعد
 كل تلك القرون من كتابته ؟

إن وداع الشعر هو ذاته وداع
 الإنسان ، لأنهما توأمان، منذ السؤال
 الأول، والصرخة الأولى .. والقشعريرة
 الأولى .

ثواب العمال

في أمبراطورية المال

أحمد على بدوى

معهم بل وبغيرهم من مواطنين تلتفت أمهما إليهم مستلهمة أفكارهم - يجدر التعريف؛ كما تلتفت الأمة المصرية إلى سلامة موسى، الغنى عن أي تعريف.
والأمة الإيطالية تلتفت إلى إريكو مالاستا (١٨٥٢ -



١٩٣٢) المناضل الذي لم يهدأ لحظة، ولم يفارقه قلمه إلا مع النفس الأخير. وقد وصفته الصحافة الإيطالية في العشرينات من القرن العشرين بأنه "واحد من أهم شخصيات الحياة العامة في إيطاليا".
وكان مالاستا على رأس خمسة وثلاثين وقعوا في الخامس عشر من فبراير سنة ١٩١٥ احتجاجاً على استمرار الحرب العالمية، ومنهم الأميركيان ألكساندر بركمان وإما جولدمان، والثلاثة - الإيطالي والأميركيان - يستحقون المزيد والمزيد من التعريف والتفصيل، ولكن الأولوية مستوجبة لألكساندر بركمان وإما جولدمان؛ والأمة الأمريكية تتجاوز الآن مرحلة من تاريخها... حساسة وغنية عن كل تفصيل!!

إنها كلها أسماء ينتمي أصحابها إلى

حين تجتاز أمة "مرحلة صعبة من تاريخها": فإن أجيالها اللاحقة تلتف إلى روادها الذين تطلعوا في الماضي إلى المستقبل، ويخطأهم يسترشد أبناء الحاضر كى يأمنوا عثرات الطريق: فتلتفت

الأمة الروسية إلى مفكراها فسيفولد ميخائيلوفيتش أيشنباووم (١٨٨٢ - ١٩٤٥) الذي عرف بالاسم المستعار الذي وقع به كتاباته، وهو "قولين"... سالك طريق قاد خطاه إليه مواطنه بيتر كروبيوتкиن (١٨٤٢ - ١٩٢١) واستهله من قبلهما سلفهما ميخائيل باكونين (١٨١٤ - ١٨٧٦) الذي وصف بـ"شيطان الثورة"، وله مع كارل ماركس - الذي ترجم كتابه "رأس المال" إلى الروسية - التحام يستحق تفصيلاً مستقلاً، وتلتفت الأمة الفرنسية إلى جان جوري (١٨٥٩ - ١٩١٤) وإميل هنري (١٨٧٢ - ١٨٩٤) وتلتفت الأمة الألمانية إلى ماكس شترنر (١٨٠٦ - ١٨٥٦) والأمة السويسرية إلى جيمس جيوم (١٨٤٤ - ١٩١٦). بهم جميعاً - وأيضاً بـ"مواطنين لهم تكافدوا

NATIONAL BESTSELLER

Howard Zinn
A
PEOPLE'S
HISTORY
OF THE
UNITED
STATES

ارتبط التيار في أمم الغرب بأسمائها، فيما عدا باكونين الذي كان ضحية دعاية شعواء أطلقها ضد المتعصبين للبشرية؛ وتتأثر بها المصطلح العربي عندما ترجمت أعمال هؤلاء - ترجمة رسمية في الاتحاد السوفييتي السابق!! - إلى لغتنا؛ مما يمكن أن يكون له أثر الإخلال بفهم قارئ العربية لتيار فكري نابض بالحياة - حياة البقاء والبناء لا العشوائية والفوضى - وبه تتواصل الحياة في أروع تجلياتها... وتدين له مجتمعات ما يسمى بـ"العالم الأول" بما هو فيها إيجابي، تتنطق به مجالات عدّة لا تقتصر على النبأ والنقابي.

تفتح وعي ألكساندر بركمان وإما جولدمان على ما عرف بأحداث "ميدان هيبي ماركت" سنة 1886، أو بالأحرى - إذا شئنا تعريفاً أقرب إلى اللغة المعاصرة - بـ"ربيع شيكاجو"؛ حين تظاهر ثلاثة خمسون ألفاً من العاملين في نحو اثنى عشر ألف منشأة أمريكية، مطالبين بقصر

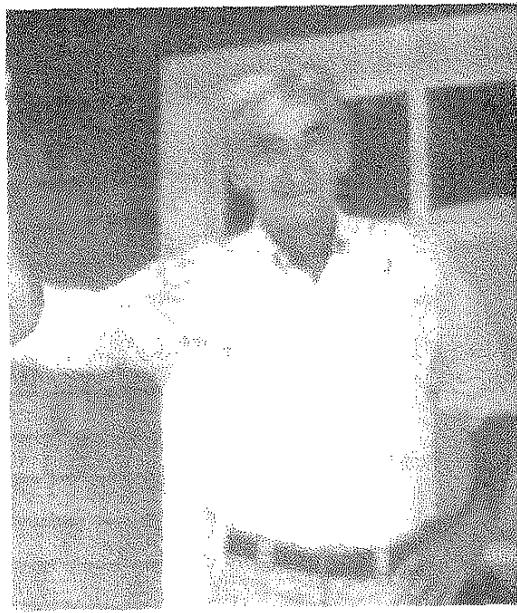
تيار عرفه التاريخ الحديث والماصر باسم إذا كتبنا بالعربى منطقه بالحروف الأوروبية - كما أمسى بعض الذين يترجمون المؤلفات الأوروبية يفعلون حالياً بكثرة وولع - لكان "الأناجية"! وهو تركيب في اللغات الأوروبية - راجع إلى اليونانية - من بادئتين: «أرخ» التي تعنى "الأصل"، وأن "الى إن سبقت صفة عكست مدلولها؛ فالاشتنان معاً تعنيان "اللأصل"! والتيار السياسي الذي اتخذ من هذه الكلمة عنواناً له هو المنادى بمبدأ بناء العلاقات في المجتمع على الأسس الفردية الحرة. لذا يبدو أن أنساب تعريف يمكن أن يطلق في العربية على المنتسبين لهذا التيار هو "الحرثيون"؛ لأنهم يطالبون بمعاودة حرث الأرض - أرض المجتمع - تمهيداً لإمدادها بجذور جديدة منها تتبت العلاقات السوية بين أفراده: "الحرثيون"؛ من فعل الحرث (حرث حرثاً فهو "حرثي")؛ قياساً على كلمة أخرى هي "القمعيون"؛ من فعل القمع (قمع قمعاً فهو "قمعي")؛ وهو تماثل بين الكلمتين في الشكل وتضاد كامل بين معنיהם كل منهما ومضمون الآخر؛ لأن أول ما يقاومه الحرثيون هو القمع! ولعل في هذا الاقتراح الذي يزيد منبر "الهلال" الرفيع ريادة إلى ريادة ما يمهد تمهيداً سليماً لتعريف وتقسيل لاحقين يستحقهما أصحاب هذا التيار؛ خاصة وأن أحداً من المنظرين المصريين الآخرين لم يسبق إلى إطلاق هذه الصفة على مفكراً سلاماً موسى، وأن الصفحات المطبوعة بالحروف العربية لم تسجل حتى الآن رصداً لأى من الشخصيات التي

نهاية العصر

لهذه الأحداث أثراً المجلل في العالم في زمن طويل، بدأ منذ إصدار الأحكام وحتى قبل تنفيذها؛ إذ انعقدت في مدن هولندا وروسيا وإيطاليا وأسبانيا اجتماعات المحتجين، وفي لندن عقد اجتماع كان من رعاته جورج برنارد شو ووليام موريس وبيتر كروبيوتكن وغيرهم، وقد أثر عن جورج برنارد شو قوله حينذاك بأسلوبه الساخر المعتمد إنه إن وجبت التضحية بشمانية من الأميركيين فلتكن بقضاء محكمة إلينوي العليا (وكان عددهم بالفعل ثمانية!) لا بالواقفين في ساحتها! وحتى التاريخ القريب؛ حيث وقع في سنة ١٩٦٨ حدثان أعادا إلى الأذهان ذكرى أحداث سنة ١٨٨٦، حين قامت مجموعة من شباب شيكاغو بنصب نصب تذكاري للجنود الذين راحوا ضحايا الواقع، وحين حوكم في شيكاغو أيضاً ثمانية من متزعمى حركة المناهضة للحرب؛ فأثيرت في الصحافة وكتابات الأدباء - بمثلاً في الاجتماعات - الحساسيات المبكرة المرتبطة بذكرى أول "ثمانية من شيكاغو" حوكموا بسبب ما دعوا إليه من قبل باثنين وثمانين عاماً؛ ومن حينها صار يوم الأول من مايو عيداً للعمال في جميع أنحاء العالم!

ولكن على أثر الأحداث مباشرة تجسد الغضب الهاادر في الحملة الانتخابية للمرشح لمنصب عمدة مدينة نيويورك من قبل اتحادات العمال التي كونت حزباً عمالياً مستقلاً ودفعت بمرشحها هنري جورج، مؤلف الكتاب الشهير "التقدم والفقر" الذي عرض فيه آراءه التقدمية

عدد ساعات العمل على ثمان في اليوم، وفي الأول من مايو سنة ١٨٨٦ سار في نيويورك خمسة وعشرون ألفاً يحملون المشاعل مارين بحى برودواى الشهير بمسارحه، وتظاهر أحد عشر ألف عامل في ديترويت، وفي الرابع من مايو عقد بميدان هيي ماركت بشيكاجو اجتماع حضره ثلاثة آلاف؛ وإذ بدأت السحب تخيم وتأخر الوقت انخفض عدد الحاضرين إلى بضع مئات، ثم ظهرت فرقة من الشرطة قوامها مئة وثمانون جندياً وطالبت الحاضرين بالتفريق؛ فأعلن آخر الخطباء أن الاجتماع على وشك الانفلاخ. وعندئذ دوت وسط أفراد الشرطة قنبلة، رجع فيما بعد أنها ألقاها بيد بعض العناصر المدسوسية (لأن الاستدلال على هوية القاتل بالقنبلة لم يتم قط!) فقتل من الجنود سبعة وجرح ستة وستون؛ وأطلقت الشرطة النار على الجموع فأصابت منهم متين، واعتقل من الحرثيين الأميركيين ثمانية قدموا إلى المحاكمة أمام قضاة ولاية إلينوي، وكان بينهم ألبرت بارسونز وهو عامل طباعة، وأوجست سبايز وهو حرفي "تجيد" وأدولف فيشر وجورج أنجل، والذين حكم عليهم بالإعدام ونفذ الحكم في غضون سنة، كما كان من بينهم لويس لينج، وهو نجار نصف نفسه في زنزانته بخرطوم من الديناميت وضعه في قمه؛ وقام خمسة وعشرون ألفاً بمسيرة جنائزية في شيكاغو ووقع ستون ألفاً عرائض احتجاج أرسلت إلى حاكم ولاية إلينوي. وقد كان



هوارد زن

خارج مدينة بيتسبرغ، يدعى هنري كلارك فينك وهو الذي قرر آنذاك خفض أجور العمال بالمصنع: ومن بين عمال المصنع البالغ عددهم ثلاثة آلاف وثمانمائة قرر ثلاثة آلاف الإضراب، ونصبوا ألفا منهم على طول ضفة نهر "مونونجاها لا" المحاذى للمصنع، في صف امتد عشرة أميال: وأستأجر هنري كلارك فينك قوة حراسة من وكالة بنكرتون الخاصة للاستخبارات، وداهمت المئات من أفراد القوة العمال في مواقعهم وسقط قتلى من الطرفين: وحوكم نحو مئتين من العمال بتهمة القتل وغيرها من التهم التي تمت تبرئتهم منها كلها. وفي خضم أحداث ذلك الإضراب الذي امتد أربعة أشهر كلفت مجموعة نيويورك من الحرثيين ألكساندر بركمان الذي كان في ريعان شبابه بالذهاب إلى بيتسبرج واقتحام مكتب هنري كلارك فينك بهدف اغتياله ولم ينجح بركمان في محاولته وحوكم بتهمة الشروع في القتل وحكم عليه

٢٥

وقرأه عشرات الآلاف من العمال: وقد بني هنري جورج برنامجه الانتخابي على أساس عدة نقاط من أهمها أن يختار المحلفون في المحاكم من جميع الطبقات لا من علياها فقط كما جرت العادة حتى ذلك الوقت، وألا تتدخل الشرطة في الاجتماعات السلمية، وأن تفرض الرقابة الصحية على مبانى المنشآت، وأن يلغى التعاقد المشروط مع العمال في الأعمال العامة، وأن تتم المساواة في الأجر بين الرجال والنساء. ورشح الحزب الديمقراطي للمنصب أبرام هيويت بينما رشح الحزب الجمهوري ثيودور روزفلت وقد فاز مرشح الديمقراطيين بالمنصب بحصوله على واحد وأربعين في المائة من مجموع الأصوات بينما حصل المرشح العمالي هنري جورج على واحد وثلاثين في المائة: وبالطبع كان ترتيب ثيودور روزفلت الأخير إذ حصل على سبعة وعشرين في المائة، ولكن فيما بعد عوشه التاريخ عن خسارته إذ جعل منه أول رئيس للولايات المتحدة في القرن العشرين! ومن مفارقات التاريخ التشابه بينه وبين أول رئيس لها في القرن الحادى والعشرين: من حيث الواضح من ظن كل منهما أن الحرب هي مما "تحتاجه البلاد"، والذي ثبت في حالة ثيودور روزفلت من رسالة شخصية بعث بها إلى أحد أصدقائه واكتشفها المؤرخون حين تصدوا لكتابته سيرته!!

وفي أوائل سنة ١٨٩٢ كان مدير مصنع كارنيجي للصلب في إحدى بقاع ولاية بنسلفانيا هي "هومستيد" الواقعة

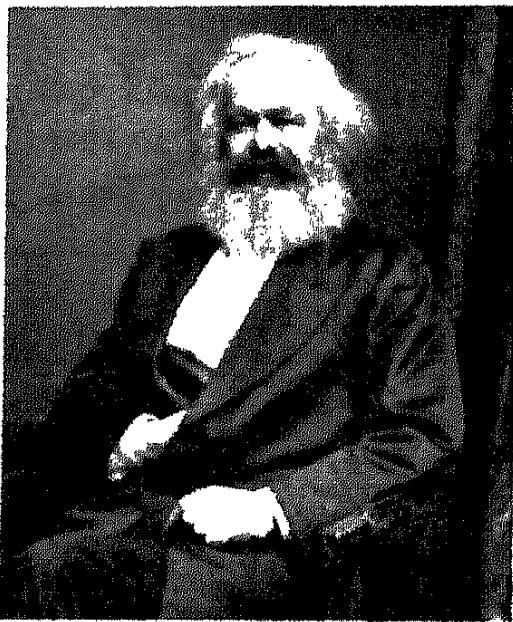
مملوك للثورة

في الولايات المتحدة تنشط حين استجمعت البلاد قواها بعد سنتين عجاف عانت فيها محنّة طاحنة، وكانت سنة ١٨٩٢ قد شهدت أشد أزمة اقتصادية عرفها تاريخ الولايات المتحدة؛ فبعد عقود عدة من التنمية الصناعية المزدهرة وما واكبها للأسف من مضاربة غير محسوبة وتربيح: انهار كل شيء! فأفلس من البنوك ستمائة وأثنان وأربعون وأغلقت أبوابها من دور الأعمال ست عشرة ألفاً، ومن القوى العاملة المقدرة في البلاد بخمسة عشر مليوناً عانى البطالة ثلاثة ملايين، وفي شيكاجو اكتظت أراضي دار البلدية وأقسام الشرطة وسلاملها بمن افترشوا ليلاً من فاقدي مساكنهم؛ وأرغمت المظاهرات الغفيرة في جميع أنحاء البلاد حكومات الولايات على توزيع الكفاف من الأغذية وعلى إيجاد أعمال صورية للمواطنين في الشوارع والحدائق العامة. وفي اجتماع حاشد اتخذ له ساحة "يونيون سكوير" (ميدان الاتحاد) بنويورك، خاطب إما جولدمان مكابدى البطالة وحث أولئك الذين يعاني أطفالهم الحاجة إلى الغذاء أن يمضوا إلى الحال ليحصلوا منها عليه؛ وقد اعتقلت وحوكمت بتهمة "التحريض على الشفب" وسجنت سنتين.

ويختتم التاريخ الأمريكي في القرن التاسع عشر بما عرف بـ"الحرب الأمريكية الأسبانية" التي شنتها الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨ لتحرير كوبا من حكم الاحتلال الأسباني، تلك الحرب التي كتب عنها الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين في

بالسجن أربعة عشر عاماً كتب خلالها "مذكرات حرثى من السجن" التي وصف فيها - بدقة متناهية - الجريمة التي شرع فيها وتفاصيل السنين التي قضتها سجينًا، وحيث أكد أنه لم يعد يرى جدوى في الاغتيالات ولكنه يظل مكرساً للثورة. وكتب رفيقة نضاله إما جولدمان سيرتها بعنوان "أعيش حياتي" لتعبر فيها عن الحفيظة والإحساس بالظلم والرغبة في حياة جديدة، تلك المشاعر التي كانت تعتمل في صدور الجيل الثوري الشاب في أمريكا حينذاك.

لم تكن إما جولدمان مناضلة سياسية فحسب، ولم تنس أنها امرأة! ولكن حميّتها لبنات جنسها استمدت من وعيها السياسي المفتح ما يقيها خطر الواقع في "إعلان الحرب على الرجل" بدلاً من إعلان الحرب على أعداء الإنسانية، وجنبًا إلى جنب مع الرجل طالما كانت حربه هو في سبيل الإنسانية. وعندما ارتفعت الأصوات مطالبة بحق المرأة في الإدلاء بصوتها نبهت إما جولدمان إلى أولويات في النضال النسوى تنتهي إلى النضال الإنساني العام؛ فكم سبقت المرأة في بقاع من العالم تتشابه بأمريكا الشمالية في تاريخها وتكونها الحضاري إلى الحصول على حق التصويت دون أن تكون تلك البقاع قد نعمت بتقدم حقيقي في الوضع الإنساني ... إن بمستطاع نساء أستراليا ونيوزيلندا التصويت في الانتخابات (كما كتبت إما جولدمان) فهل تحسن أوضاع العمل هناك؟" وقد بدأت الحركة النسوية



کارکرد

الجذور الأفريقية للحرب قال في إنها حرب على السيطرة: ماثل فيها الصراع بين المانيا وأعدانها على أفريقيا كرمز وحقيقة معاً وبالنصل إن أفريقيا هي - بالمعنى الحقيقي فعلاً - السبب الأساسي لهذا التردى الفظيع للحضارة الذى كتب علينا أن نعيش حتى نشهد... إنها أرض القرن العشرين: بسبب الذهب والماس فى جنوب أفريقيا، والكافكاو فى أنجولا ونيجيريا، والمطاط والعاج فى الكونجو، وزيت النخيل فى الساحل الغربى.

IV

في سنة ١٩١٥ تلك كانت غواصة ألمانية قد قصفت عابرة المحيطات البريطانية "لويزيتانيا": فغرقت في ثمانى عشرة دقيقة، ومات غرقا ألف ومئتا شخص، منهم مئة وخمسة وعشرون أمريكيًا. وادعت الولايات المتحدة أن الباخرة كانت تحمل بضائع "برية"، ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك؛ فقد كانت تحمل كميات وفيرة من الذخيرة من أمريكا إلى

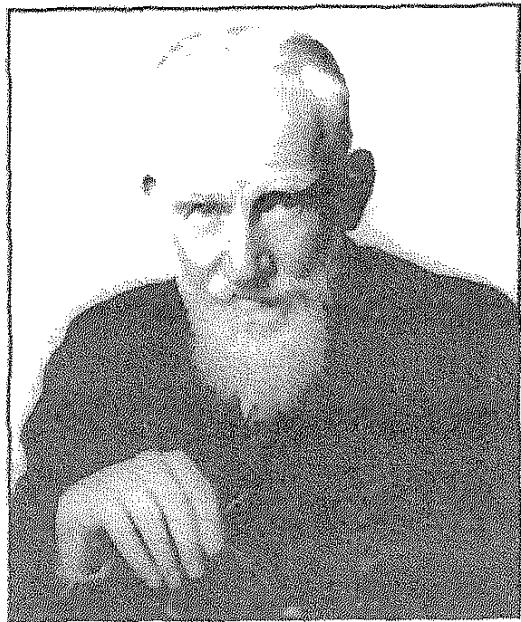
نُوكِيَ القَدَّارُ

كان! فكانت تلك السنة هي سنة دخول الولايات المتحدة الحرب.

إلا أن "الموطنين الأمريكيين" لم يكونوا بمثيل هذا الحماس لدخول الحرب! وكان المقدر أن تكون القوات الأمريكية من مليون نفر، ولكن بمرور ستة أسابيع على إعلان الحرب لم يزد عدد المتطوعين عن ثلاثة وسبعين ألفاً!!

وتعود السنة الثانية من الحرب فتفرض نفسها - بكل ما لها من أهمية وحسم - على سرد مجريات الأحداث؛ ففي الخامس عشر من فبراير سنة 1915 حرر المناضل الإيطالي إريكو مالاستتا من منفاه بلندن بياناً يشجب الحرب، جاء فيه إن أوروبا تشتعل: عشرات الملايين من البشر اشتباكاً في أبشع مجرزة سجلها التاريخ حتى الآن، ومئات الملايين من النساء والأطفال في شقاء، والحياة الاقتصادية والفكرية والمعنوية لسبعة شعوب عظيمة مشلولة بوحشية، ويوماً تلو الآخر يتزايد التهديد بتضاعف العمليات العسكرية. هذا هو - منذ خمسة شهور - المشهد الذي يطالعنا به العالم المتحضر! إنها العاقبة الطبيعية والمآل الحتمي لنظام أساسه اللامساواة الاقتصادية، يرتكز على صنوف التضارب الوحشي بين المصالح، ويضع مجال الإنتاج تحت وصاية مؤلمة تمارسها قلة من الطفيليين؛ يملكون في آن معاً السلطة السياسية والقدرة الاقتصادية. كانت الحرب محتممة! ومن أينما جاءت كان يجب أن تندلع؛ فلم يكن عبيذاً ذلك الإعداد المحموم منذ نصف قرن لأسلحة ضخمة، وذلك التحصيل

بريطانيا. كانت الولايات المتحدة - في سنة 1914 التي شهدت بداية الحرب - هي نفسها في بداية تراجع حاد؛ وعادتها المعاناة من البطالة وأصحاب صناعاتها الثقيلة الكساد، بيد أن "الطلبيات" من جانب بريطانيا - على رأس حلفائها - أنشئت بدءاً من سنة 1915 الاقتصاد الأمريكي، وبحلول شهر إبريل من سنة 1917 بلغ العائد على الولايات المتحدة من صادراتها إلى بريطانيا وحلفائها أكثر من ملياري دولار! ورفع الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون الحظر على إقراض البنوك الخاصة أموالاً للحلفاء، وتزايد غزو بريطانيا سوقاً للبضائع الأمريكية وللقروض ذات الفائدة المرتفعة؛ وهكذا "فتحت" جمع بين هؤلاء والولايات المتحدة رباطوثيق من الحرب والرخاء!! على حد تعبير المؤرخ ريتشارد هوفشتادر، أحد المشرفين على تحرير كتاب هام صدر في أوائل السبعينيات من القرن العشرين بعنوان " العنف الأمريكي: تاريخ وثائقى ". ولذا لم يكن من الواقعية في شيء توقع معاملة الألمان للولايات المتحدة الأمريكية كطرف محايده في الحرب؛ وفي شهر إبريل من سنة 1917 أعلن الألمان أن غواصاتهم ستفرق أي سفينة تأتي أعدائهم بإمدادات؛ وعندئذ أعلن الرئيس ويلسون أن من واجبه أن يساند حق مواطني الولايات المتحدة في السفر على سفن تجارية في مناطق القتال، وقال بالحرف الواحد " لا أستطيع أن أقبل بأي إهانة لحقوق المواطنين الأمريكيين بأي صدد



برنارد شو

والعشرين من ديسمبر سنة ١٩١٩ جمعت سلطات الادعاء الأمريكية متين وخمسين من مواطنى الولايات المتحدة المولودين على أرض روسيا، ومنهم ألكساندر بركمان وإما جولدمان؛ ليجري ترحيلهم إلى روسيا السوفيتية، ولم يعرف شيء عن استمرار نضالهما هناك في سبيل الإنسانية، وإن ظل كتاب إما جولدمان "الحرثية ومقالات أخرى" يعاد طبعه في الولايات المتحدة حتى السبعينيات من القرن العشرين. ولكن في سنة ١٩١٥ تلك التي لا تفتأ تفرض نفسها علينا: كان ألكساندر قد انتهى لتوه من قضاء فترة عقوبته في السجن بتهمة الشروع في القتل، وكانت إما قد قضت منذ زمن سنتين في السجن عقابا لها على "التحريض على الشغب"؛ فقبض عليها بتهمة معارضته الخدمة العسكرية وأودعا السجن من جديد، وقبل صدور الحكم عليهما خاطبت إما جولدمان المحلفين قائلة

المترافق لميزانيات يبتاع بها الهلاك، وذلك التحسين المتواصل لعدات القتال: منذ نصف قرن لا يعمل أحد في سبيل السلام!! لذا فإنه من السذاجة والصبيانية التساؤل عمن تقع عليه المسئولية عن هذه البشاعة، أو عمن هو الطرف المذنب بين الدول ومن هو الطرف البريء؟ لاتوجد تفرقة ممكناة بين الحروب الهجومية والحروب الدفاعية؛ وكل من الحكومات يبرز وثائق لا تقل في مصداقيتها عن تلك التي يبرزها الطرف الآخر، سواء في برلين أو في فيينا أو في باريس أو في لندن أو في بطرسبورج! والحضارة، من ذا إذن الذي يستطيع الآن أن يدعى أنه يمثلها؟ الدولة الألمانية بآلتها العسكرية الهائلة؟ أم الدولة الروسية ذات السجل الحافل بأحكام الإعدام والنفي إلى سيبيريا؟ فرنسا بغزوتها الدامي لبغشقر ومراكش وتجنيدها الإجباري لأبناء أفريقيا السوداء وساحات الإعدام حيث تبعث بأبنائها هي الذين يرفضون القتال، والتي تحتجز في معقلاتها أناسا مجرد أنهم عبروا عن آرائهم المناهضة للحرب قولا وكتابة؟ أم بريطانيا التي تستغل أبناء الشعوب في إمبراطوريتها الاستعمارية الشاسعة وتفرق بينهم؛ كي تسود هي، وتجييعهم وتقهرهم؟ وحمل البيان توقيعات خمس وثلاثي شخصية من بينها ألكساندر بركمان وإما جولدمان، الأميركيان مواطنا فقط لأن كلامهما ولد في روسيا؛ وهذه النقطة لها أهميتها لأنها التي شكلت النهاية المؤسفة لنخال هذين المتحابين على أرض الولايات المتحدة، ففي الحادى

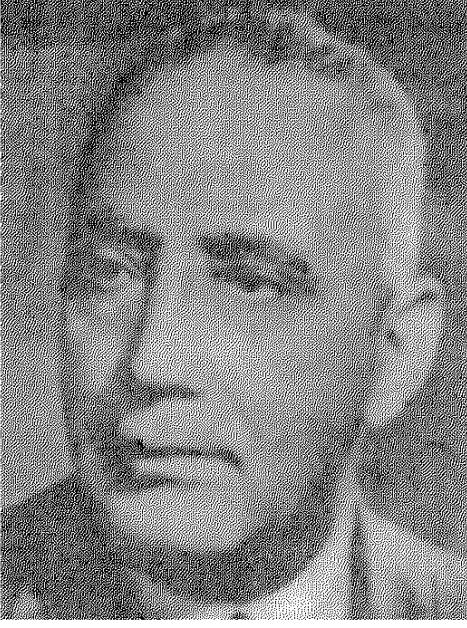
نَبِيُّ الْعَالَمَاتِ

بلاء، ويسعى رحوضه بأذن عذبة شفاعة ربها
في السجن فتدركه أمهات سجينه في زينة
خلالها العرائض تتذوق حسنة بين النها
لفت لها فقط بسبب مبارتها وأصولها
الأجنبية، وانتهت بإعدامها على الكرسي
الكهربائي. وقد ترك نيكولو ساكور رسالة
لابنه دانتي قال له فيها إذن يا بني، فبدلا
من أن تبكي: كن قوياً حتى تستطيع أن
تتواسي أمك... امض بها إلى جولات
تنزهان خلالها ملياً في الريف الهادئ؛
لتجمعوا الزهور البرية هنا وهناك... لكن
تذكر دائماً يا دانتي وأنت في سعادة
اللعب لا تفترفها كلها لنفسك وحدك...
عاون المضطهددين والضحايا لأنهم الأفضل
من بين أصدقائك... في هذا النضال في
سبيل الحياة ستجد المزيد، وأحبب فستجد
من يحبك.

هذه الرسالة، كما يقول المؤرخ والكاتب المسرحي الأمريكي هوارد زن في كتابه الجميل "تاريخ شعب الولايات المتحدة" (وأجمل ما في الكتاب عنوانه: "تاريخ شعب... لا تاريخ سلطات ومؤسسات! أ.ع.ب.) لاتنتهي إلى الماضي وحده، بل ولا إلى الحاضر وحده، وإنما إلى المستقبل أيضاً: إنها تشير الطريق لنا جميعاً وإن كانت آخر كلمات رجل صار الآن إلى ذمة التاريخ! هي كرسالة استودعت زجاجة أقيمت في البحر المحيط!! من يعثر عليها في الخضم عليه أن يتذكر أن من يحب يجد من يادله الحب. أما من يكره؟ لقد نتاج عن قرارات

لذلك هي التي أدركت أن المهمة المأمور
بتسلمه، وإن المهمة تخصيصه على عيوبه المماثلة
للحاجة تكريية وعلى استثمارها: شم
افتراضياً ديموقراطية ترتوى من دماء
الرجال ودموع النساء والأطفال ليست
بديموقراطية على الإطلاق، بل الاستبداد
بعينه!!

وقد وضعت الحرب أوزارها في نوفمبر سنة ١٩١٨، وبعد أن مات فيها من الأميركيين خمسون ألفاً، وكان من أعلام الكتاب الأميركيين الذين أعربوا في أدبهم عن سخطهم على الحرب جون دوس باسوس وإرنست همنجواي، وتضاعف هلع السلطات الأمريكية من مناهضي الحرب من بين التقديرين والحرثيين؛ وفي ربيع سنة ١٩٢٠ قبض على عامل بمطبعة عرف باتجاهه الحرثي اسمه أندرية سالاسيدو، واحتجز طيلة ثمانية أيام في مكاتب "إدارة التحقيقات المركزية" في مقرها بالدور الرابع عشر من إحدى بنيات نيويورك دون أن يسمح له بالاتصال بأقارب أو بمعارف أو بمحام، ثم وجدت جثته مهشمة على الرصيف المجاور للمبني؛ وقالت إدارة التحقيقات إنه انتحر بإلقاء نفسه من إحدى نوافذ الدور الرابع عشر. ولما عرف اثنان من أصدقاء سالاسيدو وشركائه في المبدأ - هما نيكولو ساكو وبارتولوميو فانزتي - بمصرعه ألى كل منها على نفسه إلا يسير إلا مسلحاً؛ وقد قبض عليهما في مدينة بروكلتون بولاية ماساشوستس



الرئيس الأمريكي ترورمان مقتل ملايين عديدة في آسيا، وعن العمليات التي أمر بها كل من الرئيسين ليندون جونسون ونيكسون - في ما كان يسمى بالهند الصينية - هلاك نحو ثلاثة ملايين، وغزا ريجان جرانادا، وهاجم الرئيس بوش (الأب) بينما ثم العراق، وقصف كابولتون أفغانستان والسودان، ثم العراق مرات ومرات؛ وماذا كانت النتيجة؟ هجمات الحادي عشر من سبتمبر المدانة بكل معانٍ العدل والعقل والمنطق.

قبل أحداث سبتمبر الشنفاء بسنوات ثلاثة كتب روبرت بومان في مجلة "ناشيونال كاثوليك رีبورتر" مقالاً قال فيه "نحن (أبناء الولايات المتحدة الأمريكية) لسنا موضع الكراهية لأننا نمارس الديمقراطية أو نعلّى من قيمة الحرية أو نساند حقوق الإنسان؛ وإنما لأن الواحدة تلو الأخرى من حكوماتنا جرت على إنكار هذه الأمور على بلد العالم الثالث التي تطمع منشآتنا التجارية المتعددة الجنسيات في مواردها. تلك الكراهية التي بذرناها تعود الآن في هيئه الإرهاب؛ كي تقض مضاجعنا... علينا - بدلاً من أن نرسل أبناءنا وبناتنا إلى أرجاء العالم ليقتلوا الناس حتى نستطيع أن نحوز ما تحت رمال هؤلاء من نفط - أن نرسل من أجيانا اللاحقة من يعيidon بناء البنية الأساسية التي خربتها الأجيال السابقة هنا، ولكن يمدو تلك البقاع بالماء النقى ويطعموا الأطفال الجوعى. باختصار علينا أن نفعل الخير بدلاً من الشر؛ ومن ذا الذي سيحاول منعنا؟ من ذا الذي سيكرهنا؟ من ذا الذي سيُبغي أن

سلامه موسى

يقصينا؟ هذه هي الحقيقة التي ينبغي على الشعب الأمريكي أن يلقي بسمعه إليها.

إن روبرت بومان هو أصلًا ضابط كبير في قوة الطيران الأمريكية، قاد طائرته في أجواء فيتنام ليفتقن من المهام القتالية ما تجاوز عدده المئة؛ بواحدة (بالتحديد!!) ثم انخرط في سلك الرهبة الكاثوليكية! وقد فيما كان الفيلسوف أفلاطون - حين تعرض في محاوراته للسياسة - يقيس الدول على الأفراد؛ فيقول إن الحكماء يماثلون الرؤوس والذمماء الشجعان يماثلون القلوب والمقاتلون يماثلون الأذرع الضاربة؛ مما أجمله من حلم حين نتطلع إلى الولايات المتحدة، التي طالما تطلعوا إليها التماسا للعلم ولمثل الديمقراطية والتقدم والتحضر الحقيقي، فنجد أنها قد ماثلت فرداً من ابنائها هجر الحرب إلى الحرب، وكتب يدعوا إلى فعل الخير بدلاً من الشر.

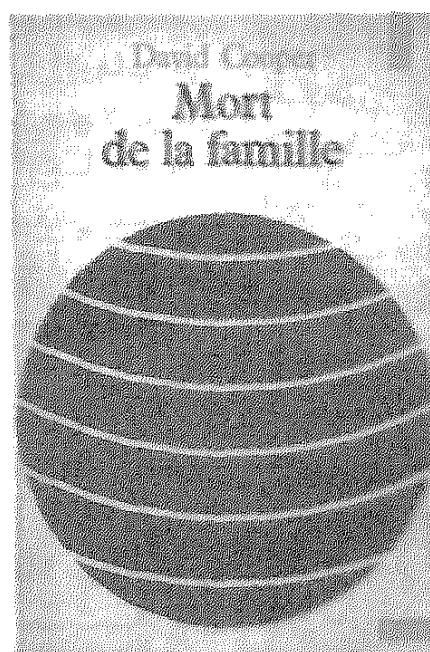
ماذا أقصوا فرنسا الآن؟

يختارها، أى زوجته وأطفاله فيما بعد ثم أيضاً معارفه؛ فلا يفعل أكثر من إدراج من يعرفهم من البشر في سلسلة متشابهة للحفلات، وتفوته المعرفة الصائبة بالبشر على حقيقتهم؛ لذا فإن أكثر الناس نجاحاً في حياتهم، والأقدر من غيرهم على سلوك حياة سوية هم الذين استقلوا عن الأسرة في وقت مبكر!

ترى هل يكون السبب في ما قامت به أخيراً دار النشر الفرنسية التقدمية "سوى" من تكليف من ينقل هذا الكتاب إلى الفرنسيّة هو أن كثيراً من الفرنسيّين باتوا فعلاً يستقلون عن أسرهم في وقت مبكر؟ ولكن هذا لا يرجع إلى إرادة منهم أو طموح أو إلى كون واحد منهم أو أكثر نموذجاً لـ"الطفل المعجزة"، قارئ كتاب ديفيد كوبير ومستوعبه ثم العامل بما فيه!! بل يرجع إلى الطلاق بين الأبوين؛ وبذلك يتحقق الفرد الفرنسي من صفره "نصف استقلال"؛ إذ يعيش إما مع أمّه فقط أو مع أبيه فقط! وقد أثبتت أحدث الإحصائيّات أنّ أسرة فرنسيّة من كل خمس أسر تتكون من عائل وحيد وزريته، وفهي ست وثمانين في المئة من

في السبعينيات من القرن العشرين أصدر ديفيد كوبير من لندن التي كان فيها يعيش ويُعمل بالطب النفسي آنذاك، كتابه "أقول الأسرة" الذي قال فيه إنّ الأسرة مسؤولة عن نشوء الفرد ثم ماضيه في حياته وهو ضحية حالة من الإذعان؛ إذ أنّ الأسرة تمثل تجسيداً مصغرًا للسلطات القمعية التي يواصل الإنسان حياته متّهياً إليها، وبذا تولد أجيال وأجيال من البشر تتشابه كلها في قبول الأمر الواقع على علاقته وت فقد روح التمرد (الإيجابي) على الواقع كما تفقد الحس النقدي والطموح إلى التغيير. هذا من ناحية العلاقات الرأسية بين البشر، أى اختيار الفرد موقعه في سلم القيادة: هل يقود أم يقاد؟ أما من ناحية العلاقات الأفقية، أى علاقة

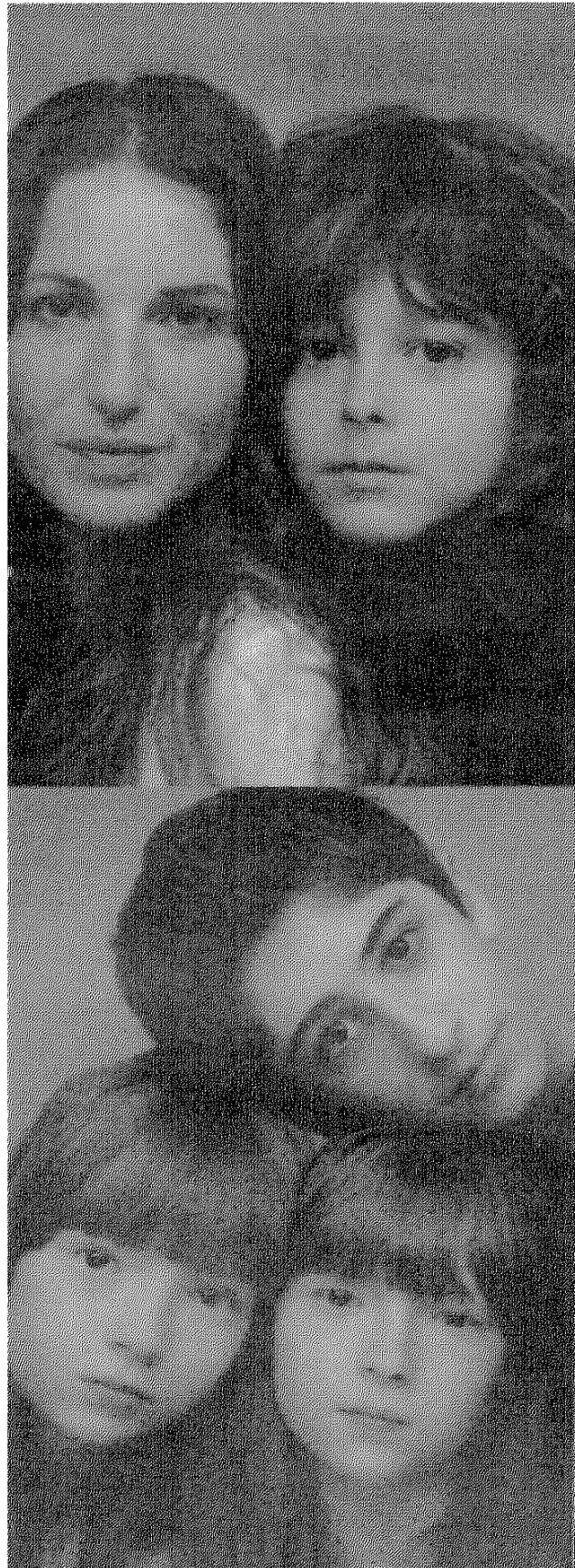
الفرد بأقرانه في المجتمع: فقد استشهد ديفيد كوبير برأي لفرويد قال فيه إن الوالد منا يحمل طيلة حياته انطباعاته الأولى التي جاءه من أسرته التي لم يختارها، أى أبواه وأجداده إن عرفهما، أو إخواته إن وجدوا؛ ثم يطبق الأحكام التي استخلصها من صورها الغائمة على الأسرة التي



الحالات يكون هذا العائل الوحيد هو الأم.

ولكن إذا كانت الحياة الفرنسية تقاجئنا كل يوم بجديد، فإنها على الأقل قد عودتنا على شيء واحد: هو أن نفاجأ! فمنذ الرابع من مارس سنة ٢٠٠٢ بدأ العمل بقانون جديد أحدث ثورة وثورة مضادة! وهو القانون الذي يتيح للقاضي الأمر بتقسيم وقت الطفل "بالعدل والقسطاس" بين الأبوين المطلقين!! ولكن القضاة - لحسن حظ الأطفال - لم يستخدموا حقهم في الأمر بتطبيق هذا القانون سوى في عشر من كل مئة حالة عرضت عليهم. أما الأطفال الذين حكم عليهم بهذا الوضع فهم أمام خيارين: أن يتمردوا عليه ويطلبوا حماية جمعية للأطفال تأسست حديثا خصيصا لهذا الغرض: التصدي للعمل بالقانون الجديد، وسميت جمعية "الطفل أولا"، أو أن يرضوا به وعندئذ فعندما يبلغون سن النضج سيمكن لنا بفضلهم أن نتعرف على صفات جيل جديد أمضى طفولته وصباه متقدلا بانتظام بين مسكنين؛ ومن ثم تتاح لنا قدرة أكبر على تقييم كتاب ديفيد كوير، والذي سيكون عند بلوغ هذا الجيل رشده قد ترجم إلى مزيد من اللغات، قد يكون من بينها الغربية!

أحمد على بدوى



نافذة قصيرة

شبكة القصة العربية

□ ياسر شعبان



المؤسس

والدهش في الأمر أن مؤسس هذا الموقع لم يكن مؤسسة أو اتحاد كتاب أو دار نشر كبرى، بل كان كاتب قصة عربي من المملكة العربية السعودية، وهو القاص "جبير المليحان" الذي لم يسبق له نشر مجموعات قصصية مطبوعة قبل إنشاء هذا الموقع، ليأتي نشر أولى قصصه من خلال الموقع طوال ثلاث سنوات (من عام ٢٠٠٣ إلى عام ٢٠٠٦)، ثم تصدر له مجموعة قصصية للأطفال بعنوان "كتاب الهدية" في عام ٢٠٠٣ والذي طبع منه ١٥٠ ألف نسخة توزع مجاناً تحت رعاية "شركة الزيت العربية السعودية" أرامكو" وله تحت الطبع مجموعة قصصية بعنوان "الوجه الذي من ماء". وتقديراً لدوره، قرر وزير الثقافة والإعلام السعودي تعينه عضواً في مجلـي إدارة النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية، ليتم انتخابـه لاحقاً رئيساً لهذا النادي.

إطلاة

شبكة القصة العربية - arabicsto-

طوال سنوات لم يكن أمام المهتمين بفن القصة سوى اقتناه المجلات والكتب للاطلاع على ابداعات كتاب القصة في الدول العربية المختلفة، ونعرف جميعاً تواضع عدد النسخ المطبوعة ومحبوبيـة التوزيع بما

يجعل أقصى طموح لـكاتب أن يطلع عليه بـضـعة آلـاف من القراء من خـلال تـداول الآلـف أو التـلـاث آلـاف نـسـخـةـ التي تـطبعـ لـكتـابـهـ. كذلكـ كانـ الـباحثـونـ والنـقادـ يـواجهـونـ صـعـوبـةـ شـدـيدـةـ عـنـ السـعـيـ لإـعـدـادـ درـاسـةـ عـنـ القـصـةـ العـرـبـيـةـ، لـصـعـوبـةـ تـجمـعـ النـصـوصـ وـالـإـحـاطـةـ بـكتـابـ القـصـةـ مـنـ مـخـلـفـ الـأـجيـالـ.

وـمعـ بدـاـيـةـ الـأـلـفـيـةـ الثـالـثـةـ، ظـهـرـ عـلـىـ الإنـترـنـتـ مـوقـعـ اسمـهـ "شبـكةـ القـصـةـ العـرـبـيـةـ"، معـ دـعـوةـ طـمـوـحةـ لـكتـابـ القـصـةـ العـربـ أنـ يـشارـكـواـ فـيـ هـذـاـ المـوقـعـ لـيـصـبـحـ بوـابـةـ لـالـقـصـةـ العـرـبـيـةـ تـتيـحـ لـمـنـ يـعـبـرـهاـ أنـ يـطـلـعـ بـضـغـطـةـ زـرـ كـمـبـيـوـتـرـ عـلـىـ نـمـاذـجـ مـنـ الإـبـداـعـ الـقـصـصـيـ فـيـ أـيـ دـولـةـ عـرـبـيـةـ وـفـيـ أيـ وقتـ يـختارـ.

٤٤
جـ ٢ـ جـ ٣ـ جـ ٤ـ



حبر المحتان

ويعد هذا المنتدى فضاءً للحوار الابداعي الحر والخلقاني بين الكتاب والقراء من مستخدمي الانترنت، بما يضفي الحيوية على الموقع ويتيح إمكانية التطوير الدائم للأفكار وأساليب الكتابة، وكذلك لتطوير الموقع ذاته.

— [ما مكتبة المدحه فتضخم

- الإصدارات الجديدة للكتاب المشاركين بالموقع، سواء كانت مجموعات قصصية أو دراسات نقدية عن أحد كتاب القصة أو مجموعة من الكتاب.
 - سلسلة مطبوعات القصة العربية، وهي كتب ورقية دورية تصدر عن شبكة

عنوان المقطع:

www.arabicstory.net

بر. IV. مستثمر في ثقافتي متسلق يعيش
البرامج الثقافية العالمية

- موقع الفحمة العربية الخاص بتطور
الخصوصية والتعليلات حولها
- الدراسات النقدية.
- مكتبة الإصدارات الفحامية
الجديدة.

- منتدى القصة العربية الحواري.
- سلسلة مطبوعات القصة العربية.

وهي عبارة عن كتب ورقية دورية تصدرها

شبكة القصة العربية.

امكانية البحث

- يتبع الموقع إمكانية البحث عن القصص بثلاثة طرق. اسم الكاتب أو اسم القصة أو البلد. فعند البحث باسم الكاتب تظهر القصص الخاصة به مع عدد القراءات والتعليقات الخاصة بكل قصة. أم عند البحث باسم القصة، يتم عرض القصة التي تم البحث عنها فقط. وأخيراً عند البحث باستخدام اسم البلد تظهر أسماء كل كتاب القصة المنتسبين لهذا البلد والمشاركين بهذا الموقع.
 - المنتدى الخاص بالموقع، فيتطلب الدخول إليه التسجيل في الموقع "الاسم وكلمة مرور".

عولمة الفقر

المطرودون لا يدخلون جنة العولمة

د. محسن خضر □

الناس الذين لم يكونوا أبداً فقراء أصبحوا لا ينظرون إلى الفقر كشيء بعيد عنهم ، بل كتوقع قريب قد يداهمهم في أي لحظة.

لاتزال الفجوة بين دخل أغنى٪٢٠ من سكان العالم الأكثر ثراءً، وبين دخل أفقري٪٢٠ من سكان العالم شاسعاً، بل زاد أكبر من الصعب طبقاً لإحصائيات الأمم المتحدة.

نستعيد جوهر العولمة: التناقض المكثف في السلع والخدمات، وأسوق رأس المال بين الأطراف الفاعلة، وحيث تجري العولمة وفقاً لقواعد يضعها الأقوياء، وتقصى الضعاف والفقراء، ولذا فإن عولمة التفاوت وعمولة الفقر والبطالة والجريمة المنظمة والعنف الفردي والعرقي ، وعمولة الأيدز وتجارة المخدرات هي وجوه العولمة الأخرى.

عرف الفقر في وقت مبكر بأنه هدر للحياة الإنسانية ولم يعد تعريف الفقر هو تعريف البنك الدولي بأنه يقل عن دخل دولار في اليوم للفرد، فقد لا يكفي خمسة دولارات لمعيشة لائقة للفرد في اليوم الواحد.



يعيش ١.٣ مليار فرد في العالم على أقل من دولار واحد في اليوم، ويعيش حوالي ٣ مليارات فرد على أقل من دولارين في اليوم، وحوالي ١١٪ من سكان البلدان الصناعية يعيشون على أقل من ١١ دولار في اليوم.

هذه محصلة وصفة الخلاص السحرية المسماة بالعولمة، وحيث انضمت مناطق جديدة من العالم إلى ما تحت خط الفقر في التسعينيات بعد تطبيق سياسات التكيف الهيكل المعروفة حركياً باسم الإصلاح الاقتصادي وفي العامين الأخيرين فقط زاد عدد الفقراء الذين أضيفوا إلى قائمة فقراء العالم في جنوب شرق آسيا بعشرات الملايين من الأفراد، وتضخم فقراء الاشتراكية السابقة فزادوا بمقدار ١٧٠ مليوناً خلال هذا العقد، وليس هناك باب سحرى للخروج من الفقر حتى الآن يمكن الوثوق به.

ويعرف «فيديريك مايلور» مدير عام منظمة اليونسكو السابق بأن تيار عدم الاستقرار يرتفع بشكل منتظم، حتى إن

٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠



الذى يحققه الإصلاح الاقتصادى بالضرورة يعتمد فى الأساس على تجربة الفريبية خلال قرنين، ومؤداتها أن توسيع الدخل يميل إلى الابتعاد عن المساواة وهذا ما تعبّر عنه نظرية التساقط إلى أسفل أى أن ثمرات النمو لا بد لها بعد مرحلة معينة أن تصل إلى الفقراء فليس هناك ضمان أن يتكرر نفس الأمر في ظروف مختلفة، في ثقافات شعوب مختلفة. لقد قال «فولتير» ذات مرة: إن بإمكانك أن تقتل قطيعاً من الغنم بممارسة بعض أعمال السحر أمامها ولكن على شرط أن تتضع في طعامها في الوقت نفسه جرعة كافية من السم!

٤٧

وبذلك المنطق السابق يمكن القول بأن سياسة التحرير الاقتصادي والانفتاح يمكن أن يترتب عليها نفع للفقراء، ولكن بشرط أن يصاحب تطبيق هذه السياسة إجراءات لحماية الفقراء المتضررين، ربما يكون المنطق الحقيقي لسياسات التكيف الهيكلى هو ضرورة تعويم الاقتصادات ذات الدخل المنخفض للبلدان المتأخرة والمختلفة اقتصادياً، وانقاذهما من بحر

Global Poverty- امتدت عولمة الفقر لتشمل جميع المناطق الأساسية في العالم بما فيها أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية، وببلاد الاتحاد السوفياتي السابقة، والبلدان الآسيوية الناشئة، وظهرت المجموعات في أفريقيا جنوب الصحراء، وعادت الأوبئة في الظهور في آسيا وبعد غياب، كمرض السل الرئوي والملاريا والكولييرا.. ويعاني أغلب سكان الاتحاد الروسي نفسه بعد تطبيقه الإصلاح الاقتصادي، والذي أدى إلى تراجع الإنفاق الإجمالي الروسي ٤٤٪ بالمقارنة من إنتاج ما قبل الحرب العالمية الثالثة.

تحت خط الفقر

ويعاني ٩٠٪ من البلغار من الفقر، حيث تعيش هذه النسبة تحت خط الفقر، إن تقارير خبراء البنك الدولي وصندوق النقد الدولي تبشرنا بأن الإصلاح الاقتصادي قد يكون سبباً كافياً لتحسين أحوال الفقراء، وإن كان النمو الاقتصادي شرطاً ضرورياً لتحقيق هذا التحسن. إن ثقة هذه التقارير بأن النمو الاقتصادي

عزلة الفقر

أفارقيا وأسيا، وتشير الإحصاءات إلى أن ١٧٪ من سكان الولايات المتحدة يعيشون تحت خط الفقر، ونسبة ٢٧٪ من سكان كندا، و٢٠٪ من سكان بريطانيا، و٢٧٪ من سكان إيطاليا وقرواتها، و١٣٪ من سكان ألمانيا حسب إحصائيات ١٩٩٣ لكتاب المعلومات الأوروبية، ومن المواقع ارتفاع نسبة الفقر في العالم فعلى إعادة تنظيم التجارب وتطبيق اتفاقيات الملكية الفكرية مما سيفسر المجال أمام الشركات متعددة الجنسيات المسيطرة على الأسواق وتهميش القصديرات الجنوبية.

كانت قطاعات التعليم والصحة والغذاء أكثر تضرراً بتراجع دور الدولة عن تقديم الخدمات الاجتماعية.

وتبلغ نسب الفقر في مصر ٦٪، في الأردن ٥٪، وفي المغرب ١١٪، وفي تونس ٣٪، أي الذين يعيشون على أقل من دولار في اليوم وإن لم تكن نسبة دالة لأنها تغفل الفقراء الذين يعيشون في مستوى أعلى ولكن ينطبق على أوضاعهم حال الفقراء أيضاً بمعنى العجز عن تأمين احتياجاتهم الأساسية.

وفي مصر يعاني نسبة ٢٢٪ من أطفال الحضر و٤٪ من أطفال الريف من تقل أعمارهم عن خمس سنوات من سوء التغذية.

وينفق ربع السكان ٧٥٪ من دخلهم على الغذاء، ولذا يتضررون من ارتفاع أسعاره فيلجاؤن إلى تخفيض استهلاكم منه مما يؤثر على المستوى الصحي.
إن سياسات التصحيف الهيكلى وليدة

لتحقيق أهداف التحول بيته المدارس الابتدائية، حيث اتسع المقدمة، وتغيرت محتوياته، مما يفتح «هيكل بيوج» عام ٢٠٠٣م على المسؤول التولى وجذب روؤس المسؤولية وإلها الرقابة على الأسعار والمعادن، رغم تحفيض إنفاق الميزانية وخاصة في حال التأمين الاجتماعي والتعليم، وبخسبيض عدد الموظفين والمصاريف المفروضة على المشروعات الاستثمارية ورأس المال والثروات الكبيرة، وخصخصة المؤسسات وإلغاء الشروط على العمل والأجر.

عند العولمة وفي القلب منها سياسات التثبيت والتكييف الهيكلى تقلص دور الدولة إلى حد الأدنى وهو خط الفقر، وانتهاء عهد دولة الرفاهية welfare state وأصبحت الأدوات الرئيسية في هذه السياسات الاستقرار المالي والتخلص من التنظيم وخصخصة المؤسسات العامة، وإصلاح الموازنة وتحديد السياسات القطاعية.

لقد كشفت دراسة للبنك الدولي أجريت على ١٩ بلداً في الثمانينيات أن النتائج المتحققة من سياسات التصحيف الهيكلى كانت ضعيفة بالنسبة لنمو الصادرات أو استقطاب الاستثمارات الأجنبية.

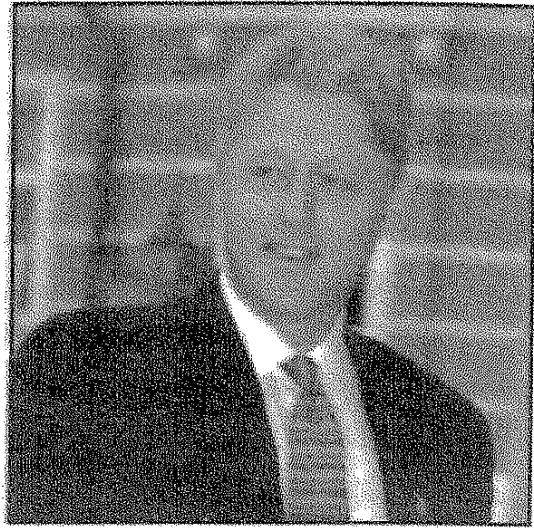
لم ينج من خطر الفقر سكان أوروبا والولايات المتحدة منها مثل سكان الجنوب، وتشابه ارتفاع وفيات المواليد والبطالة والتشرد في بعض الجيوب والجماعات الأوروبية مع مثيلتها في

٤٨

٢٠
٢١
٢٢
٢٣



فيديريكو مايور



بيل كلينتون

البلدان ودخلها أيضاً.

ودعونا نتذكر في النهاية حول التناقض في توزيع الثروة في العالم بأن ما ينفق على التعليم الأساسي في العالم كله يتتكلف ٦ مليارات دولار في السنة مقابل ٨ مليارات دولار تنفق سنوياً على التجميل في الولايات المتحدة وحدها.

وشر البالية ما يضحك!

ضحايا العولمة

يجربنا الحديث عن مزايا العولمة وتثيرها السحرى إلى الحديث عن الوجه الآخر للعولمة فللعولمة ضحاياها وخسائرها الفادحة وخاصة على مستوى دول الجنوب.

ومن المهم الانتباه إلى ضحايا العولمة للتفكير في الوسائل التي يمكن بها تضليل جراح العولمة وخاصة أن العرب والأفارقة سوف يكونون بالضرورة من بين هؤلاء الضحايا فلنطلاق من تعريف اللجنة الأوروبية للعولمة بأنها « العملية التي عن طريقها تصبح الأسواق والإنتاج في الدول المختلفة تعتمد كل منها على الأخرى بشكل متزايد بسبب ديناميات التجارة في السلع والخدمات وتتدفق رأس المال

الليبرالية الجديدة هدفها الرئيسي الدفاع عن مصالح أصحاب رؤوس الأموال، وتؤمن الليبرالية الجديدة بإيماناً راسخاً بقدرة النظام الرأسمالي بما يحققه التوظيف الكامل وقدرته على تصحيح أزماته بشكل دائم بشرط رفع الدولة عن التخلّى في سير الملكية الاقتصادية.

إن عبارة الرئيس الأمريكي كلينتون أن البلاد التي تتاجر معنا لا تتقائل تكشف عن زيف الإدارة الأمريكية، وكذب ووهم قردوس اقتصاد السوق ، فهذه الجنة لا يدخلها إلا الأغنياء، أما الفقراء فيقفون خارجها ولا يدخلونها ، فانتشار نسب الفقراء داخل الولايات المتحدة نفسها يفتزف زيف هذه الدعوة ، ومظاهرات سبوتيفاوس تفضح هذا الوعد.

ويعرف سكرتير عام مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية «الاوكتكاد» «روبنز ريكوبيرو» بأن سجل النمو الاقتصادي في التسعينيات كان سجلًا كئيباً مقارنة بأعوام السبعينيات، بل الأسوأ أن دخلنا عام ٢٠٠٠ لم يصاحب وجود حل لزيادة خطورة أهم مشكلتين في القرن العشرين: البطالة الجماعية، وعدم المساواة بين

عولمة الفقر

مليار دولار في اليوم، ويبلغ مجموع الاستثمارات المباشرة الخارجية العالمية إلى ٢٨٦٦ مليار دولار، ولكننا معنيون بشكل أساسي بمعرفة الآثار الاقتصادية للعولمة، وليس الثقافية التي تحتاج إلى وقفة أخرى فماذا عن ضحايا العولمة؟

يمكن القول إن ضحايا العولمة في الأساس الدولة القومية والحكومات الإقليمية في الإقاليم والمحافظات، والتي تحولت لفقد نفوذها، والتحول إلى المنافسة لتقديم أكثر الحوافز لجذب الرأس المال الأجنبي.

أما الباحثون من العولمة في الأساس فهي الشركات متعددة الجنسيات «١٦٠» شركة ضخمة مقابل ٤ حكومة دولة قومية تشكلان أهم القوى الاقتصادية الكبيرة في العالم وكذلك المنظمات غير الحكومية والمنظمات بين الحكومية والإقليمية مثل السوق الأوروبية المشتركة والجماعات الخاصة النافذة مثل قوات الجيش والشركة والأصوليات الدينية وجماعات المافيا وجماعات الضغط».

لكن ماذا عن الوجه البائس للعولمة فهل سيؤدي النمو الاقتصادي وتدوير رأس المال إلى الرخاء للجميع أم أن عملية العولمة ستتمضي بلا قلب تدوس فوق ضحاياها وخاصة في مجال فرص التوظيف وتوزيع الدخل.

فحجم البطالة المريحة في الدول الصناعية بلغ ٨٪ من مجموع القوى العاملة، وأصبح ثلثون في المائة فقط من السكان هم الذين يعيشون في الحقيقة، ونجح التقى التقى في تقليل حجم العمالة

والเทคโนโลยيا وهي ليست ظاهرة جديدة ولكنها استمرارية للتغيرات التي تتابعت لفترة طويلة من الزمن».

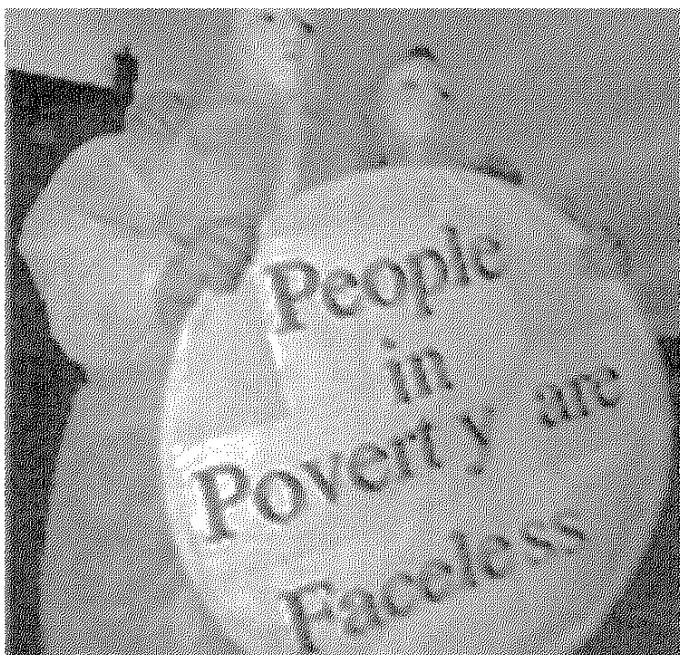
في مثل هذا التعريف أصبح تعظيم الفائض الاقتصادي يتم على مستوى العالم، يقود هذا التغيير الشركات متعددة الجنسيات إزاء الانحسار التدريجي لسلطة الدولة القومية وتحطيم الأنظمة الثقافية للمجتمعات القطبية، ومن ثم كما يقول «جوناثان فريدمان» أن الذي يقود حركة العولمة هو قوانين وأليات رأس المال وليس الثورة العلمية والتقنية.

إن العولمة الاقتصادية هي الرأسمالية وهي الشكل المتقدم لرسالة العالم أي التعميم الكوني للرأسمالية، وبالتالي سيطرة الاقتصاد وسلطته على العالم ويستند التراكم الرأسمالي المعولم على أساس الاحتكار التقني والمالي والعلومي والخدمي .

إن الحدود لم تعد السمة الأساسية للنظام الدولي الحالي بل أصبح العولمي هو المحلي وبحيث يستوطن العولمي ويكتسب طابع المحلي .

التجارة عبر الحدود

وأصبحت الاستثمارات المباشرة الخارجية أساسية في تدوير الإنفاق والأسواق وزادت التجارة عبر الحدود في السنادات والأسهم بحوالى ٢٥٪ في السنوات العشر الأخيرة في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي وزاد حجم التجارة على مستوى العالم ليصل إلى ١٢٠٠



ضد الفقر

مأسياتها وبنيتها التحتية، أما دول العالم الثالث فتعانى الانكشاف والتعرية إزاء الآثار السلبية للعولمة، بسبب ضعف هيكلها الإدارية والمؤسسية وتخلف سياساتها التعليمية والتكنولوجية والتربوية، كما تعد مشكلة المديونية الخارجية التى تعانى منها دول العالم الثالث، تنهك اقتصادياتها وستؤدى العولمة إذن إلى توسيع الفجوة بين دول الشمال والجنوب وخاصة في ظل غياب قواعد التنافس العالمي ، وتنعم العولمة بالقدرة على توسيع النمو وكعكة الإنتاج، لكنها لم تتقدم في حل مسألة اختلال عدالة التوزيع وعدم المساواة والتفاوت الاجتماعي ، ويشبه ضحايا العولمة المصارعين الرومان الذين يتقاتلون حتى الموت للترفيه عن السادة فى روما القديمة، ويقدمون التحية لقيصر قبل موتهم قائلين «مرحبا أيها القيصر» - إن هؤلاء الذين على وشك الموت يقدمون لك التحية.

وسوف يفجر التفاوت في الدخول

البشرية ومبدأها إنتاج كثير وجهد أقل. هذا ناهيك عن البطالة المقنعة والظاهرة إلى التقاعد والطلاب في مراحل التعليم الذين سيضعون على سوق العمل في القريب.

سياسات التوظيف

وعادة ما تقف الحكومات القومية عاجزة أمام جيوش المستبعدين من العمل وخاصة في ظل قانون التنافس الأقصى، فسياسات التوظيف

المربطة بالوضع العالمي باتت مغلولة الأيدي في اختيار سياسات التوظيف ويزداد حالياً إعداد المستبعدين من العمل والمعطلين في مصر والمغرب والبرازيل والهند. أما الجانب الثاني فيتمثل في فجوات الدخول فقط هبط نصيب أقل من ٠.٢٪ من سكان العالم من الدخل العالمي من ٢٠.٣٪ إلى ١٤٪ مقابل ارتفاع نصيب أكبر ٢٠٪ من السكان من ٧٠٪ إلى ٨٢٪ ويستأثر ٥٣ ملياردير بنصيب من الدخل السنوي يفوق ما يحصل عليه ٤٢٪ من سكان البشرية، وهناك ١٠.٥ مليار من البشر يعيشون بأقل من دولار في اليوم.

إن الدول الصناعية هي الرابحة الأكبر من عملية العولمة وخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية والتنافس الأساسي بين الولايات المتحدة واليابان والمجموعة الاقتصادية الأوروبية مما يجعل هذه الكتل هي الأكثر قدرة على الاستفادة من عملية العولمة، بسبب قوة اقتصاداتها ومتانة

عوّلة الفقر

الفقر لا تسألوني ما هو الفقر لأنكم التقىتم بي خارج مسكنى. انظروا إلى بيتي وأحصوا عدد الحفر. وانظروا إلى أدواتي والملابس التي ارتديها . انظروا إلى كل شيء واكتبوا ما ترونـه: إنه الفقر.

يلاحظ أنه في الفترة بين ١٩٨٧ و ١٩٩٨ انخفضت نسبة السكان الذين يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم من ٢٨ في المائة إلى ٢٤ في المائة، وهو انخفاض أقل من معدل الجهد الدولي لانقاص الفقر المدقع بنسبة النصف بحلول عام ٢٠١٥ لم يتغير عدد الفقراء بسبب النمو السكاني، ولكنه اختلف في توزيع الفقر في مناطق العالم فقد نقص عدد الفقراء في شرق آسيا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا، أما في بقية المناطق فزاد عدد الأشخاص الذين يقل دخلهم عن دولار واحد في اليوم.

وتبلغ نسب الفقراء في العالم ٣٦٪ تقريباً، وتبلغ أعلىها في إفريقيا جنوب الصحراء ٤٦٪ يليها جنوب آسيا ٤٠٪ أما نسبة البلدان العربية فتتمنع بنسبة فقر ١٩٪ من السكان، ولكننا لانثق تماماً لهذه النسبة لأنها تقيس المتوسط الذي يختلف من دولة عربية إلى دولة أخرى ارتفاعاً وانخفاضاً لو استخدمنا مفهوم الفقر النسبي.

يوجد في العالم ٥٢٢ مليوناً من الفقراء ، وقد ارتفعت نسبة الفقراء في أوروبا وأسيا الوسطى من ١١ مليون فقير إلى ٢٤ مليوناً، وزاد في إفريقيا جنوب الصحراء من ٢٧ مليوناً إلى ٢٩١ مليوناً خلال نصف الفترة أي أن نصف

وجود فائز واحد حالات من السخط والاستياء بين الضحايا.

تحقيق العدالة

ولذا فالعولة التي سيحدثها موت السوق بلا ضوابط أخلاقية سوف تزيد من شراستها تجاه افتراس ضحاياها مما يفرض الحاجة إلى تأسيس العولة على قواعد وقوانين، وإلا ترك عملها بأسلوب عشوائي ومن المهم قيام العولة على أساس اقتصادية وسياسية واجتماعية توجد شروطاً جديدة للتعاون الإنمائي بغرض تحقيق الاستقرار والعدالة وحتى لا يعاني الخاسرون من ضحايا العولة مصير المصارعين الرومان المهزومين في حلبات إسعاد القيصر الرومانى وحاشيته. هل تظل مسألة استئصال الفقر من العالم حلماً بعيد المدى؟ خصص البنك الدولى تقريره السنوى عن التنمية فى العالم لموضوع «شن هجوم على الفقر» .. يعني الفقر الحرمان من الغذاء والمأوى والتعليم والرعاية الصحية والتعمّق بالحياة. وقد سبق أن ربطنا العولة باردياد الفقر في العالم، ويدت العولة وكأنها تسيد لحالة الفقر حتى في الدول الغنية.

تفاعل الجوانب المختلفة من الفقر ويدعم كل منها الآخر، فنقص التعليم يؤدي إلى نقص الحالة الصحية، وتحسين الصحة يزيد من امكانيات الدخل، والعكس صحيح.

يتحدد خط الفقر بـ «١٠٨٠» دولار يومياً، يجب فقير كيني سأله عن معنى



الشيء الممتاز أو المميز في المجتمع

معاناة النساء الأكثر

ومن الغريب أن توزيع الفقر يميل لأن يرتبط بالبعد عن المدن والسواحل. وتعانى النساء من الفقر أكثر من الرجال، والريف أكثر من الحضر، وخلال فترات التحول إلى نظام السوق، ويتعدى الأمر إلى معدلات الصحة والتعليم والغريب أن هناك ١٢ دولة لا يحصل أبناء القراء فيها على أي تعليم كما تعانى الأقليات العرقية من حرمان أكبر، وكذلك السكان الأصليون في أمريكا اللاتينية.

كما زاد التحول إلى نظام السوق مدى حرمان القراء القدامى «أصحاب المعاشات التقاعدية، الأسر كبيرة العدد، الأسرة التي فقدت عائلها، كما أدى التحول إلى اقتصاد السوق إلى وجود فقراء جدد منهم المتعطلون لمدة طويلة، وعمال الزراعة، وحديثو التخرج من الجامعات والمدارس، اللاجئون،

تتجاوز معاناة الفرد من الفقر -
الحرمان المادى - والمستويات المنخفضة
من الصحة والتعليم إلى العجز عن اتخاذ
القرارات الحياتية وسوء المعاملة من جانب
أجهزة الدولة، ومعاناته من الحواجز
والعادات الاجتماعية ، والعنف الشخصى
والجماهى .

٥٣ يطرح تقرير البنك الدولي برنامج عمل واسعاً في ثلاثة مجالات:

- تشجيع إتاحة الفرص الاقتصادية للفقراء.
- تيسير التمكين من أسباب القوة.
- تعزيز الأمن والنفس والصحي، واللذاني..

أهم ما في التقرير أنه يطرح مشكلة الفقر من منظور دولي يحمل الدول الصناعية المسئولية عن انتشار وتسديد

عولمة الفقر

المسئولية الدولية عن مكافحة الفقر

مسئوليّة إنسانية مشتركة واعية، ولعل في مناداة الدول الأفريقيّة في مؤتمر مكافحة العنصرية «بدوريان» مؤخراً باعتراف الغرب بمسئوليّته عن ظاهرة العبوديّة، ما يفتح الباب أمام وضع الجميع أمام مسئوليّاتهم (وإن كانت الأسباب الداخليّة للفقر أساسية تتمثل في الفساد والقهر والظلم الاجتماعي واحتقار السلطة)، إلا أننا نلاحظ أن التقرير يركّز على أربعة مجالات رئيسية دوليّة للقليل من عدد القراء.

* توسيع فرص الوصول إلى أسواق الدول الغنيّة أمام السلع والخدمات القادمة من الدول الناميّة.

* تقليل مخاطر الأزمات الاقتصاديّة.
* تشجيع إنتاج السلع العامة الدوليّة التي تفيد القراء.

* ضمان الاستماع إلى صوت البلدان الفقيرة في المنتديات العالميّة.
ما يجب أن نتفق عليه في النهاية هو أن الفقر وإن بدأ مشكلة داخليّة إلا أنه وليد اختلال النظام الاقتصادي العالمي، ومحصلة حقب طويّلة من استنزاف مقدرات العالم الثالث وثرواته على يد الغرب، والدعوة إلى القضاء على الفقر تضامنيّة تنطلق من هذا الفهم: حساب المسؤوليّة الوطنيّة عن سوء إدارة مجتمعاتهم، وحساب الغرب عن شروره وخطاياه معاً.

هل كان سيدنا علي بن أبي طالب يقصد عالمنا عندما أطلق صرخته المحتجة: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته».

الفقر في العالم، ويدعو إلى المشاركة في إقتسام مسئوليّة الفقر والوصول إلى سياسات تقيم عالماً أكثر عدالة وتضامناً، يوصى التقرير صراحة لن يكون هناك غنى من تسخير القوى العالميّة لصالح البلدان الفقيرة والفقراء.. وهناك حاجة إلى إجراءات لتعزيز الاستقرار المالي على الصعيد العالمي وضمان عدم ترك البلدان الفقيرة في الصنوف الخلفيّة في مجال التقنيّة أو في البحوث العلميّة والطبيعيّة.

ويجب أن تفتح البلدان الغنيّة أسواقها أمام منتجات البلدان الفقيرة، ولا بد من زيادة المعونات وتحفييف عبء الدين من أجل مساعدة القراء على مساعدة أنفسهم.

يحدد تقرير البنك الدولي «شن هجوم على الفقر» إطاراً للعمل على الفقر أو تخفيفه يتضمن في المحاور التالية:

- توسيع الفرص الاقتصاديّة أمام القراء.

- تخفيف تعرّض القراء للمخاطر أي توفير الأمان لهم.

- التمكين من أسباب القوة أي زيادة قدرة القراء على التأثير على المؤسسات الحكوميّة التي تمس حياتهم.

- ترابط الفقر بين الداخل والخارج في مواجهة تزايد الفقر.

- التعاون الدولي.

ليس الفقر محصلة عامل واحد بل محصلة عدة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسيّة.

٥٤

جـ ٢
٣ـ ١
٤ـ ٢



دعوة للقضاء على الفقر

الظاهرة مرتبطة بغياب العدالة في النظام الاقتصادي. يعاني أكثر من نصف سكان العالم من الفقر، وذلك يعني تجريد الإنسان من إنسانيته، ويضع العدالة الكونية في قفص الاتهام... وجوب إلغاء الفقر هو الهدف الأساسي القادر على محوه، وحيث يحاول ٣ مليارات فرد يشكلون نصف سكان العالم مجرد البقاء على دخل أقل من دولارين يومياً.

يقتل الفقر في عالمنا المرفه أكثر مما تقتل الحروب والرصاص. ولن يتوقف نمو الفقر إلا بالاعتراف به كانتهاك لحقوق الإنسان.

الحرية والكرامة

صحيح إننا بحاجة إلى الحرية، ولكننا بحاجة أكثر أن نسكت صوت معداتنا الفارغة، وإذا كان الإنسان - حسب ماهيته الإنسانية - لا يعيش بالخيز وحده، ولكن يعيش بالإضافة إليه بالحرية والكرامة، ولكن أليس من الكرامة

في عالم ينتج أكثر من المطلوب لإطعام سكانه فإن ظاهرة أقرب إلى الفضيحة. وفي التقرير الأخير لمنظمة الصحة العالمية أشار إلى وفاة أكثر من عشرة ملايين طفل قبل بلوغهم سن الخامسة، ويسبب سوء التغذية (٥٢٪) من حالات الوفاة.

ال الطفل الإثيوبي عرضة للوفاة بثلاثين مرة عن الطفل الأوروبي، وترتفع وفيات الأطفال في شرق أفريقيا (٤٢٪ من المجموعة)، وفي شرق آسيا (٢٩٪) من مجموع وفيات أطفال العالم.

ويصف تقرير لمجلة «لأنسيت» الطبية الاحصائية السابقة بأنها «الاحصائيات الغير معقولة للقرن الحادى والعشرين».

وتبليغ نسبة وفيات المواليد الجدد ١٪ في الدول الغنية، في حين تستأثر دول الجنوب الفقيرة بـ ٩٩٪ من حالات الوفاة.

هل الفقر مسئولية الفقراء وحدهم؟ في عالم يستأثر فيه مليار فرد في الدول الغنية بـ ٨٠٪ من دخل العالم، تبدو

عزلة الفقر

الحصول على المعلومات والمهارات التي يمكن أن تساعدهم على الخلاص من وضعهم المأساوي، وبعدها التضليل ضد الفقر تهيئة خيارات الفقر، تعززهم فرصة السيطرة على مصائرهم، وإذا تمثل تنمية الموارد البشرية، والارتقاء، بنظم التعليم والتدريب أولويات لكل برنامج للنضال ضد الفقر كما يؤكد الاقتصادي الفرنسي «موريس جودير».

المساعدات

يشير التقرير الأخير لجوبية مؤتمر الألفية الثالثة حول الفقر في العالم على الحاجة إلى ٥٠ مليار دولار من المساعدات الإضافية سنوياً لتخفيض نسبة الفقر في العالم إلى النصف، وسبق لمؤتمر الألفية للتطویر أن حدد سنة ٢٠١٥ كـ سقف للقضاء على الفقر في العالم (نساء أنفسنا في براعة: لو وجّهت الولايات المتحدة اعتمادات حربية في أفغانستان والعراق إلى مساعدة الدول النامية للقضاء على التخلف والحرمان، فكيف كانت ستبدو صورة الفقر في العالم حالياً؟).

البيان وحدها هي التي تلتزم بمحضتها في مساعدة الدول النامية؟ يرتبط القضاء على الفقر بمكافحة الفساد فكثير من المساعدات التي وجهت للأنظمة الفاسدة ابتلعتها جيوب وأرصدة المسؤولين الفاسدين، وبدا وكأن جشعهم يشكل سقفاً يمنع المساعدات من الوصول إلى فقراء شعوبهم إلا قليلاً. وتشير تقارير غريبة إلى أنه تظل مساعدات الدول الصناعية تافهة إذا ما قورنت بداخلها (الفاينشیال تایمیز ٢٠٠٥/١٣)،

الأسابيع إن بعد ما سبق حيث دار به كان إيجابياً إن نسب الفقر قد انخفضت خلال الأعوام الخمسين الأخيرة لكنّها انخفضت خلال القرون الخمسة الماضية إلا أن الفقر لا يزال يشمل نصف سكان العالم. ويضع الاقتصادي الهندي الكبير «أماريتاسين» - الفائز بجائزة نوبل في الاقتصاد سنة ١٩٩٨ معياراً للفقر:

إن الفقر مرتبط بدرجة المعاناة المعنوية التي يسببها، ويتمثل التحدى الحقيقي فيما يتعلق بالفقر في زيادة قدرة الأفراد على الاختيار وبالتالي على حريةهم. يتم حالياً استخدام ثلاثة معايير أساسية لقياس الفقر:

مدى انتشاره، ومدى عمقه، متوسط تفاوت الدخل لكل فقير بالمقارنة مع خط الفقر، وعدم المساواة في الفقر (مختلف درجات الفقر) ...

انانية الأغنياء في الدول الصناعية تفاقم الظاهرة لدى بلدان الجنوب: إن إنفاقها بنسبة ١٪ من دخلها كافية للقضاء على الفقر المدقع، أما تبرعها بنسبة ٢٪ من دخلها فكافية لاستئصال ظاهرة الفقر من عالمنا. التأكيد على اعتماد كل دولة، على قواها الخاصة، قبل كل شيء يتكامل مع مسؤولية الأقطار الغنية تجاه القضاء على ظاهرة الفقر. ويأتي التعليم في مقدمة كل استراتيجية طويلة الأجل للنضال ضد الفقر كما يرى فدريكو «مايورثاراجوتا»، مدير منظمة اليونسكو السابق، فالغالبية الساحقة من الفقراء محرومون من



الحركات الاحتجاجية ضد عولمة رأس المال

الهيكلى والشخصية، مما يكشف عن التناقض المريئ بين زيادة غنى الأغنياء المستفيدين من العولمة، والتهم الشركات متعددة الجنسيات فى طريقها كل الحواجز والسدود، وإبقاء الفقراء تحت لافتات تدعى إلى أن مفاتيح الجنة الكوكبية فى أيدي مبشرى العولمة واقتصاديتها.

لا تنفصل الكرامة الإنسانية عن إشباع الحاجات الأساسية، وإذا كان تعريف الفقر بأنه «الحالة التى يكون الشخص من خلالها عاجزاً عن وسائل تلبية الرزق لنفسه (طعام، سكن، ملبس، رعاية صحية)، فإن الطريق لا يزال طويلاً للقضاء على الفقر، وفى نظام معلوم ينطبق عليه قول السيد المسيح «من معه يعطى ويزداد، ومن ليس معه يأخذ منه»، وتکاد صورة «نقيسة» بطلة رواية «نجيب محفوظ» الشهيرة «بداية ونهاية» وصورة «محجوب عبدالدaim» بل روایته الأخرى «القاهرة الجديدة» تطلان من بين السطور

ويصيغة أخرى فإن الاعتراف صراحة بأنه «كانت هناك مساعدات رديئة، أرسلت إلى بلدان غير مناسبة، ولأسباب غير مناسبة، ولتمويل مشاريع غير مناسبة».

اسقاط ديون الدول أكثر فقرأ (٢٧) دولة معظمها فى إفريقيا) آلية مهمة للتحرك ضد فقر الجنوب، وهو ما يدفع الحاجة على مشروع مارشال لإفريقيا للتخفيف من حدة الفقر فيها. عارضت إدارة بوش اقتراحًا أوروبياً بمضاعفة حجم المساعدات التي تقدمها الدول الغنية للدول الفقيرة إلى ١٠٠ مليار دولار سنويًاً مكتفيًا باقتراح تحويل القروش المستقبلية التي يمنحها البنك الدولي لها إلى منح. ورفضت واشنطن تنفيذ خطة مارشال المقترحة لدعم اقتصادات الدول الفقيرة.

تزيد العولمة من تفاقم الفقراء ومعاناتهم، وتتفق جميع الإحصائيات الدولية وال محلية على زيادة نسب الفقر في جميع الدول التي طبقت برنامج التكيف

عوْلَةُ الْفَقْرِ

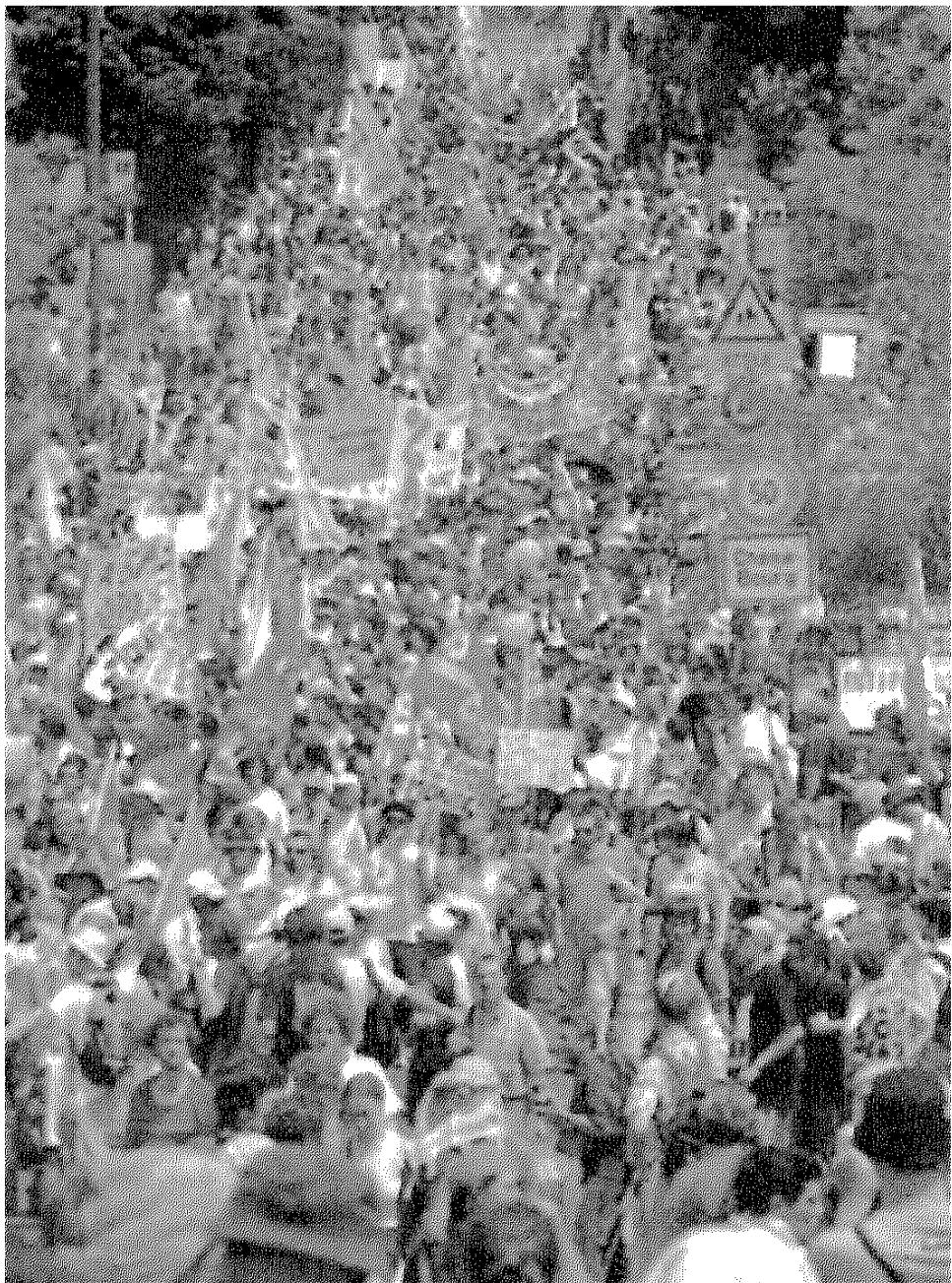
الторبينية» حيث مصطلح المحل العسكري الأمريكي «أدوار دلوتوك» تشير الأمم المتحدة في وثائقها إلى ظاهرة «تأنيث العمل» لكن الثمن الذي يدفعه النساء العاملات في سبيل ذلك يبدو فادحاً: ظروف عمل بائسة، حقوق قليلة، أجور منخفضة، أمام ظروف الفقر تصبح النساء أكثر طوعية وقبولاً لأوضاع التشغيل البائسة.

لا ينتبه المستهلك الذي يتفاخر بارتدائه قميصاً أو حذاءً رياضياً يحمل اسم شركة عالمية أن هذه القطعة صنعت في ريف بنجلاديش أو منزل فقير في فيتنام أو تايلاند أو في الهند بأيدي النساء الريفيات الفقيرات. تأتي التصميمات من نيويورك أو بون أو لندن، تذهب إلى مورد محلى في بلدان جنوب شرق آسيا أو أمريكا اللاتينية. يدفع المورد أو المعهد بالطلبية إلى فئات المعامل الصغير البائسة. تستفيد الشركات المتعددة الجنسيات والشرهة من رخص الأجور في بلدان الجنوب. تقضي السلع المستوردة الرخيصة على الإنتاج المحلي، والذي عرف طريقه إلى أفق القرى، ومتاجر الأحياء الشعبية بعد الإجهاز على الصناعات المحلية. تموت الصناعة الوطنية نفسها في المدن الأوروبية. أغلب هذه الصناعات الوطنية صناعات كانت تعمل بها النساء. أغلب أماكن العمل الجديدة تكون في المنزل، وحيث تعمل المرأة نصف ساعات اليوم مقابل أجر زهيد، أصبح الاقتصاد العالمي أكثر ارتباطاً بالطلب

ولسان حالهما يقول مع «فديركومايوز»: إننا لا نستطيع إرجاع الموتى، ولكن نستطيع أن نجعل المذنبين يدفعون الثمن.
النساء ضحايا العولمة

لا يلتقط الكثيرون من الباحثين العرب إلى موقع النساء من عملية العولمة وإذا كانت العولة تعنى ضمن، تعنى ضغط العالم أو إلغاء الزمان أو المكان، وتعتمد على الاقتصاد الذي يسبح في الفضاء السبيراني، فإن النساء يقعن في مقدمة ضحايا العولمة.

وثمة إحصائية مدهشة توردها المحلة الألمانية «ماريا هيز» في كتابها «الأبوية والتراكم على نطاق العالم» تورد فيها أن ثلثي كمية العمل المبذول عالمياً تقوم به النساء ولا يمكننا التجاوز عن النسبة الثقافية لأوضاع النساء العاملات، فلا يزال البون شاسعاً في تحقيق المساواة بين الجنسين على مستوى العالم، وتعانى النساء في الجنوب من غبن نتيجة العمل ألغى مدفوع الأجر، وعدم المساواة في الأجور، وأوضاع العمل الإنسانية، واستغلالها في التجارة الغير مشروعة، إلا أنه مع ذلك تعانى النساء في العالم بأسره من أوضاع التمييز على مستوى العمل. تستوعب النساء في الاقتصاد المعلوم، ولكنهن يهمشن ثانياً في الوقت نفسه يرفع السوق شعار «إلى الخارج بسرعة» يهرع العاملون إلى أماكن العمل، ويتأتى رأس المال إلى قوى العلم الرخيصة في نفس الوقت. أنها أحد عمليات تلك «الرأسمالية



٥٩

العولة .. رفض عالمي

على القوى العاملة الرخيصة والمرنة. وتتجاهل المخاطر الصحية البيئية. تلاحظ الباحثة «كريستا فيشتريش» في دراستها عن تأثير العولة في أوضاع النساء أن أصحاب الأعمال ينقلون العمل إلى المنازل والمعامل الصغيرة، وتلك تحول إلى بدور حمل، وتحتفظ في يوم واحد بعد انتهاء الطلبيات، وتشبه الشركات عابرة

تنتشر علاقات العمل الغير محمية، وتحتفظ عقود العمل الثابتة. يشكل النساء في ألمانيا ٩٠٪ من فرص العمل المؤقتة، وتبليغ النساء في أوروبا ٧٨٪. تحارب الدول الغنية وجود تنظيم عالمي لقوانين العمل، ويجرى تمييع حقوق العمل،

حولفة الفقر

الفقراء لكون ثلاثة أرباع النساء العاملات يتبنين إلى مجموعة الدخول المنخفضة.

ربما يكون أمل النساء في اتساع قطاع الخدمات أن يفضي إلى تحقيق المساواة، فحوالي ٨٠٪ من النساء العاملات الأوروبيات يعملن في قطاع الخدمات، ولكن أغلب عمل النساء موقف حيث تعمل - على سبيل المثال - ٩٠٪ من الأعمال المؤقتة تؤديها النساء. وتتخفض نسبة عمال النساء في مجال الخدمات في أوروبا ٨٠٪ لا يزال الفرق في الأجور يصل إلى ٤٠٪، وإنزداد تقسيم العمل بين الجنسين لصالح الذكور، وحيث تظل النساء حبيسات أنواع العمل متدنية الأجر تعاني أغلب النساء العاملات من إزدواجية: احترامهن لدخلن من العمل، واحتقارهن من جهة أخرى بسبب تمدهن على التقاليد المحافظة فخروجهن مفردة إلى العمل دون مرافقة رجل، ففي الصباح الباكر وحتى العودة في وقت متاخر إلى المنزل.

ترصد «فيشتريش» أوضاع النساء العاملات في فيتنام، واللائي يعملن للكبرى شركات الأذنية الرياضية في معامل تتبع شركات كورية أو تايوانية. يقفن في الشمس يجرين حول المعمل في شمس الظهيرة كنوع من العقاب يرکعن أمام الرؤساء تلصق أفواههن بالبلاستر حين يشرحن، ويشربن الماء مرتين فقط في اليوم، ويدهبن مرة واحدة إلى دورة المياه. كيف يمكن لمنظمات المجتمع المدني النضال من أجل الدفاع عن حقوق المرأة العاملة، ومواجهة أوضاع التمييز ضد

الحدود في السوق العالمية الزائفة في مراوغتها، ويفقد العمال في مواجهة مطاطي. ومن يجرؤ من النساء على المطالب بتحسين ظروف العمل يغلق الباب في وجههن، ويفصلن، وتتداول الشركات قوائم أسمائهن باعتبارهن من المشاغبات. تتتسارع الشركات الشرهة للبحث عن القوى العاملة الرخيصة خلف البحار. ثلثة عمل النساء في العالم عمل غير مدفوع الأجر وخاصة في الزراعة، والعمل المنزلي/والرعاية: تقدر بعض الدراسات بـ ١١ مليار دولار أي نصف الإنتاج الاجمالي السنوي في العالم.

ثمة ملاحظة متكررة من الواقئ المصاحبة للقوانين التي تفرضها العولمة هو «تأنيث الفقر» بمعنى أن النساء يشكلن القسم الأكبر من فقراء أوضاع العولمة «فـ ٧٠٪ من فقراء العالم من النساء» لأن المرأة أول من يطرد من سوق العمل حيث تزيد نسبة البطالة، وإذا كانت المؤشرات تزيد من فرص العمل للنساء فهي زيادة في الأعمال المؤقتة أو ذات الأجر المنخفض وذات الظروف البيئية والخالية من الضمانات، وهو ما يدفع بهن إلى الشارع في حالة التذمر، أو الإنجاب أو انتهاء الانتاج المؤقت، وهو ما يوازره كون المرأة عامل أساسى في التركيب الطبقي الأموى للمجتمع الرأسمالي.

في كل المجتمعات تقف النساء والشيخوخ على رأس سلم الفقر، في بلد غنى كأنجلترا تشكل النساء ٦٠٪ من

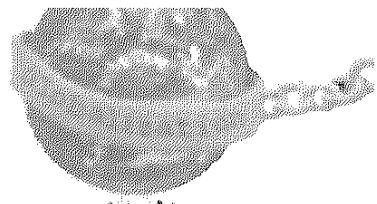


٦١

أطفال العولمة

في الاقتصاد المعولم. ذات يوم صرخ «ماركس»، «يا عمال العالم اتحدو»، فهل ترفع القوى المضادة للعولمة شعار «يا نساء العالم اتحدن»، ولذا يبقى النضال من أجل تصحيح أوضاع النساء العاملات جزءاً من نضال أكبر ضد توحش العولمة، وجشع الشركات متعددة الجنسيات.

المرأة، حيث تكون المرأة أول من يطرد من العمل، ولا تعمل إلا للأعمال المؤقتة، ولا تتمتع بضمادات ولا تحلم بالترقى. كيف يمكن النضال ضد استغلال الشركات المتعددة الجنسيات للنساء في نفس الوقت التي تتغاضى فيه الحكومات عن هذا الاستغلال لزيادة قدرته التنافسية

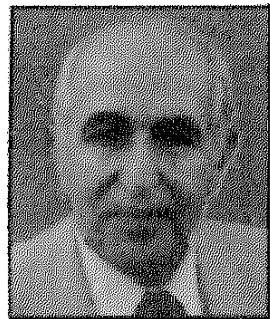


ملف الفيدا

أمريكا والعالم

رؤيه آسيوية

د.السيد أمين شلبي



nocence, Rebulilding the trust between America and the world, 2006 لاصدقائه الأمريكيين حول مأساة يمكن منعها، وهى أن بقية العالم يتحول ضد أمريكا، فرصد

حسن النية والإعجاب يستبدل بأරصدة من النوايا السيئة، بل وحتى الكراهية في أجزاء كثيرة من العالم، ومن المحزن أن الأمريكيين يتحولون بعيدا عن العالم، وهو أثر ينمو مصحوبا بتناقض هيكلي، فالعالم يتقلص، والقوة الأمريكية تنمو، وهذه المشكلة الهيكلية تحتاج لأن تعالج بشكل مباشر، وهو أمر يتطلب تضحيات ولكن ما هو أكثر أهمية تغير في العقلية وفي السياسات.

وفي البداية يحزن «محبوباني» أن مسيرة القرن الواحد والعشرين سوف تتحدد بالعلاقة التي ستتطورها أمريكا مع العالم، فالقرن الواحد والعشرين سوف يتجه حتما إذا ما أبحرنا فيه بالخرائط العقلية للقرن ١٩ أو القرن العشرين، فنحن ندخل عصرًا جديدا في تاريخ

Ki-shore Mahbobani

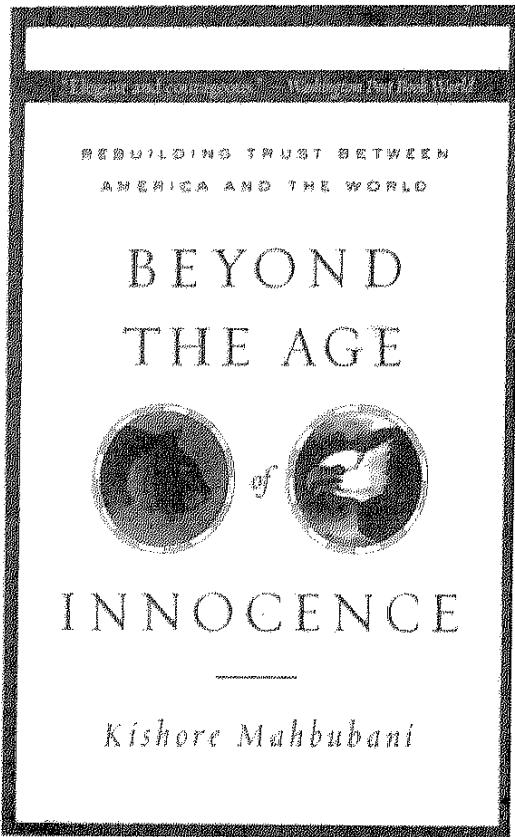
دبلوماسي سنغافوري عمل لمدة ثلاثة عشرة عاماً مندوباً دائمًا لبلاده في الأمم المتحدة بنيويورك، وهو يعمل الآن مديرًا

لمعهد «لي كوان» للعلاقات الدولية في سنغافورة، وقد أتاحت له فترة عمله الطويلة في الولايات المتحدة فرصة أن يعرف ويدرس عن قرب المجتمع والنظام الأمريكي، وأن يتبع السياسات الأمريكية في اشتباكاتها وتعاملها مع العالم. وهو لا يخفى إعجابه بالولايات المتحدة ودورها في العالم والأثر الذي تركه على قضاياه، ولكنه يعبر عن هذا بطريقة نقدية تتضمن رؤيته لكيف أفادت أمريكا العالم وكيف أضرت به، ويقدم نصائحه للسياسة الأمريكية والقرارات الاستراتيجية الحاسمة التي يجب أن تتخذها وبشكل يسهم في خلق نظام عالمي مستقر، وخلال هذا يناقش علاقة أمريكا مع قوتين عالميتين هما العالم الإسلامي، والصين ولهذا فإنه يقول إنه يكتب هذا الكتاب Beyond the Age of In-

٦٢

كتاب
رسالة
رسالة

□ كاتب وسفير سابق



البشرية. وعلى هذا فهو يعتبر أن كتابه هو حول الأربعين عاما وليس حول الأربعة أعوام القادمة وأن من أهدافه أن يجعل المجتمع الأمريكي يدرك أنه يوماً فإن ملايين الأعوين تراقبهم وتدرسهم وتحكم عليهم، ولذلك، فإن عليهم أن يهتموا بأفكار وأمال الستة مليارات من سكان عالمنا المتقلص وهي إذ تفعل هذا فإن أمريكا إنما تتصف فقط لحكمة ألهمت آباءها المؤسسين: «أن تظهر احتراماً مهذباً لآراء البشرية».

كيف أفادت أمريكا العالم؟

وفي تقديره لدور أمريكا ومساهمتها في النظام العالمي والأثر الذي تركته على بلايين البشر، يعتبر «محبوباني» أنه مثماً أفادت أمريكا فإنها أيضاً قد أضرت به. فعندما أن أكبر هدية قدمتها أمريكا للعالم هي الأمل، فقد علمت شعوبه أن مصير الإنسان لا يتقرر بالمولود فإن أي إنسان يستطيع أن ينجح في مجتمع قائم على الاستحقاق، meritocracy، كما شجعت أمريكا على تصفية الاستعمار.

وبعد الحرب العالمية الثانية سعت إلى خلق نظام عالمي جديد قائم على حكم القانون والمؤسسات المتعددة وعمليات سمحت لألم آخرى أن تنمو وتزدهر، كذلك شاركت أمريكا جامعاتها العظمى مع أفضل العقول في العالم، وقد عاد العديد من هذه العقول العظيمة إلى بلدانهم لكي يخلقوا قصص نجاحهم القومي، وهو ما نجده قد تحقق في الصين والهند ومن قادة مؤسساتهم الذين حققوا معدلات نموهم الأخيرة ومعظمهم من خريجي

٦٣

«هارفارد» الذين يطبقون معاييرها في العمل، وهو ما يعكس قول «دنج شاوينج» عندما سئل عن مستقبل الصين فقال: انتظروا حتى يعودوا إلى ٤٠٠٠ صيني الذين يدرسون في الجامعات الأمريكية، عندئذ فإن التغيير الحقيقي سوف يحدث. إلى جانب الصين والهند الذين استفادوا علمياً من العالم والجامعات الأمريكية، كذلك اليابان، ورغم ما قد يستنكره البعض منهم من مراة واستياء من الاحتلال الأمريكي، والجنرال «ماك آرثر» إلا أنهم يتذكرون كذلك أن «ماك آرثر» قد وضعهم على الطريق الصحيح ولم تعرف اليابان بعد ذلك إلا السلام والرخاء. وهكذا يعتبر «محبوباني» أن أمريكا كان لها أكثر الأثر على المجتمعات

أثر كارل والعالم

بلد يقلق صناع السياسة الغربية أكثر من باكستان وكدولة نووية يبدو استقرارها السياسي بعيد الأجل أمراً غير أكيد، فانهيار سيطرة الدولة على الأسلحة النووية ليس قلقاً مجرداً أو نظرياً، فإن عدم الاستقرار السياسي في باكستان يؤدي إلى حكومة ضعف، سوف تقدم بينما فرضاً أكبر لتضم نظم إرهابية تبحث عن «قنبلة قذرة» لاستخدامها في

إذا كان هذا هو ما أفادت به أمريكا،
كيف أضرت أمريكا العالم؟



مدن كبيرة مزدحمة. أما النموذج الثاني للانسحاب الأمريكي فهو أفغانستان، حيث تركت أمريكا ورائها فراغاً، وكان طبيعياً أن تدخل قوى أخرى لكي تملأه، وهو ما تأكّد من خلال إقامة حكومة طالبان الحرب التي جاءت نتيجة عدم الرضا الداخلي عن أمراء الحرب الفاسدين، الذين خلفتهم أمريكا، والمال السعودي،

دنج تشاؤ بنج

شوان لاي

التي شعرت أن أمريكا قد خانتها بطريقة أو بأخرى، وحتى اليوم فإن الأمريكيين لا يدركون ذلك.

أما الحالة الثالثة: التي يقدمها «محبوباني» كنموذج للضرر الذي ألحقه أمريكا بالعالم فهو الأزمة المالية الآسيوية عام ١٩٩٧، هي الأزمة التي بدأت في تايلاند والتي كانت حليفاً وثيقاً لأمريكا خلال الحرب الباردة، ولهذا شعر التايلانديون بالخيانة عندما قررت الخزانة الأمريكية أن تايلاند، على عكس المكسيك، ليس لها الأهمية الاستراتيجية الكافية التي تستحق مساعدة أمريكية مباشرة، وما زاد الشعور بالحزن تحقّقهم أن أحد أسباب الأزمة المالية التي حاقت بهم هو استماعهم لنصيحة صناع السياسة الأمريكية لتحرير تدفقاتهم المالية، فيما تمكنت بلدان مثل الصين والهند التي لم تصفع إلى هذه النصيحة إلى أن تتغلب على الأزمة المالية جيداً. أما الرئيس الاندونيسي سوهارتو، والذي أيدته لمدة ثلاثين عاماً، وأعتقد أنه أصبح لا غنى عنه

وتدخل «أسامة بن لادن» النشط، ورغبة المخابرات الأمريكية لحماية أجنهتهم الاستراتيجية تخلق نظاماً موالياً لباكستان، ورغم أن أمريكا لم توافق على وصول نظام طالبان إلا أنها لم تر خطاً مباشراً وظلت سياسة الإهمال الحميد Benign Neglect وهكذا أصبحت أفغانستان كيتيم في السبعينيات. ويستخلص «محبوباني» أن أي أمريكي لديه رغبة عميقه في فهم جنور أحداث العادى عشر، يجب أن يدرس بعناية التاريخ الحديث لأفغانستان والطرق العديدة التي دخلت بها أمريكا إلى تاريخ أفغانستان الحديثة، غير أن النموذج الباكستاني والأفغاني لم تكن الحالة الوحيدة للبلدان التي شعرت أمريكا قد هجرتها في التسعينيات، فأمام عديدة قد شعرت كذلك ولكن كل بطريقتها الخاصة، فكل منها اعتقدت أنها قد طورت علاقة خاصة مع أمريكا، ولكن حين واجهت أزمة تصرفت أمريكا وكأن هذه العلاقة لم تكن قائمة. ومن الصعب أن تحصي البلدان

أمريكا والعالم

ذاكرتهم، هو كيف يمكن لأمة كانت سخية أن تبتعد عنهم في ساعة الحاجة؟

وفي مناقشة لما يفرق بين كيف يرى الأمريكيون أنفسهم مقابل العالم، وكيف يرى العالم الأمريكيين، فإن «محبوباني» يقدم قصة الشرق الأوسط كنموذج فليس هناك مشكلة أخرى تثبت بشكل أكثر كيف تختلف التصورات الأمريكية عن بقية العالم، فهذه هي المشكلة التي يتوقع بقية العالم أن ترتفع أمريكا إلى مستوى ادعائها أنها دولة غير عادلة تقدم قيادة أخلاقية للعالم، وفي تقدير «محبوباني» أن أمريكا قد فعلت أكثر من أي دولة لتحقيق السلام، ابتداءً من كامب دافيد الأول في عهد كارتر إلى كامب دافيد الثانية في عهد كلينتون وحيث فشلت فإن هذا كان يرجع إلى الأطراف أنفسهم، ولكنه يعتبر أن جهوداً غير عادلة مطلوبة لكسر الجمود في هذه القضية، وسوف تبدو كل ادعاءات أمريكا لأن تكون بلداً غير عادي تقدم قيادة أخلاقية وسياسية للعالم ادعاءات خاوية حتى يوجد نوع من السلام في الشرق الأوسط وسوف يتطلب هذا اختبار لادعاء أمريكا للقيادة.

وفي تقدير «محبوباني» أن قارة أفريقيا هي المنطقة من العالم التي اختبرت ألمًا وغضباً أكثر من قرار أمريكا أن تصبح بلداً عادياً، فقد تدخلت أمريكا بقوة في أفريقيا خلال الحرب الباردة مدعمة نظماً عديدة، التي لم تكن لتقوم بدون هذا التأييد، وحين سحب هذا التأييد سقطت بعض الحكومات مثل بيت من ورق، وحتى اليوم فإن بلداً مثل «زاير» لم

لصالح أمريكا الإقليمية، ولكنه لم يكن على وعي بالتحول الكبير في السياسة الأمريكية، فبلاده التي اعتبرت يوماً كرصيد استراتيجي، أصبحت الآن عبئاً، وليس ثمة شك بأن النقطة الحاسمة التي أدت لإزاحة سوهارتو 1998 كانت نتيجة قرار لصنع السياسة الأمريكية، وعندما صنعوا هذا القرار فإنهم لم ينظروا إلى الصورة الكبيرة ولا إلى النتائج البعيدة المدى، ومثلاً يقول «فريد زكريا» فإن المطالب الأمريكية بإصلاحات عاجلة وجذرية في إندونيسيا خلال أزمة عام 1998 قد نزعت الشرعية وأسقطت الحكومة، فإذا كانوا قد أدركوا عدم الاستقرار السياسي الذي نشأ عن هذه الإصلاحات، فربما كانوا خفوا من مطالبهم واتبعوا أسلوباً تدريجياً، كان بالتأكيد، أفضل للإندونيسي العادي، وثمة مرحلة عجيبة، خلال الأزمة المالية تركت معظم الآسيويين في حيرة حول النوايا الأمريكية تجاه آسيا، ففي قمة الأزمة، عرضت اليابان القوة الاقتصادية الأعظم في المنطقة، أن تقدم فرضاً بقيمة 100 مليون دولار، ولكن أمريكا تدخلت بقوة واعتبرت على أن أي جهد فرنسي ياباني لمساعدة زملائها الآسيويين، وكانت الرسالة التي بعثت بها أمريكا للآسيويين المذكورين هي أنه ليس فقط أننا لن نساعدكم، ولكن أيضاً لن ندع الآخرين يساعدونكم باعتبار أن للآسيويين ذاكرة طويلة، فسوف يتطلب السؤال العالق في

تعاف تماماً، وغالباً فإن عدم الفصل الأميركي في القضايا الخامسة يمكن أن يسبب ضرراً جسماً لهذه البلدان. وليس هناك ما يصور هذا أكثر من الحالة المأساوية للمذبحة في «رواندا»، فحين بحث الوضع في رواندا أمام مجلس الأمن تلقى الوفد الأميركي تعليمات بعدم استخدام عبارة «مذبحة»- Jen-

ماوتسي تونج

صموئيل هنتنجرتون



icide في قرار مجلس الأمن». وهذا استخدمت الولايات المتحدة نفوذها لمنع مجلس الأمن من إدانة المذبحة في «رواندا» وهذا فهو لم تتمكن فقط عن وقف المذبحة في رواندا ولكنها أيضاً منعت المجتمع الدولي من أن يفعل هذا، وهذا هو مدى القوة الأمريكية، فحين تقرر أمريكا أن أمة ما يجب لا تتقى يتم سحب شبكة الأمان الدولي.

ويستخلص «محبوباتي» أنه إذا أحصيت بشكل موضوعي القرارات الأمريكية التي اتخذت خلال التسعينيات فإن المرء يمكن أن يحصي عدداً من الأفعال التي اتخذت في دفاع واضح عن المصالح الأمريكية بدون إعطاء وزن كافٍ لتأثير هذه الأفعال على بقية العالم، بالإضافة إلى ما رصد سابقاً فإن هناك قرارات موازية في الأهمية مثل قرار الخروج من بروتوكول «كيوتو»، وقرار عدم دفع المستحقات الأمريكية في ميزانية الأمم المتحدة، وقد تصاعدت الانفرادية الأمريكية في المجالات المتعددة الأطراف

حين جاءت إدارة «بوش» إلى السلطة في عام ٢٠٠١، إلا أنها لم تبدأ مع هذا الوقت فقد بدأت مبكراً حين سمحت نهاية الحرب الباردة أن تخثار السبل الانفرادية دون أن تعيّن بأي تكلفة على المصالح الأمريكية.

أمريكا والعالم الإسلامي

وبدون أن يقول ذلك يبدو أن «محبوباتي» متاثر بنظرية «هنتنجرتون» عن صدام الحضارات والتي توقع فيها أن يكون الصراع القائم هو صراع ثقافي بين أمريكا والغرب من ناحية، والعالم الإسلامي، والحضارة الكونفوشيوسية من ناحية أخرى. ولهذا فهو يخصص فصلين في كتابه عن علاقة أمريكا بكل من الإسلام والصين.

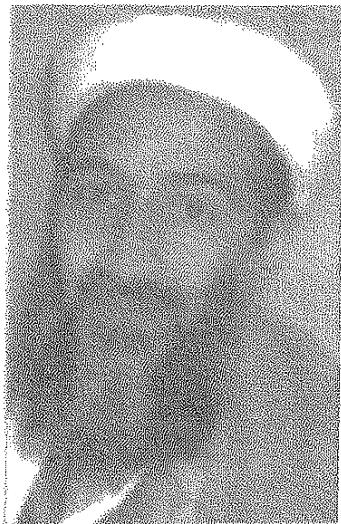
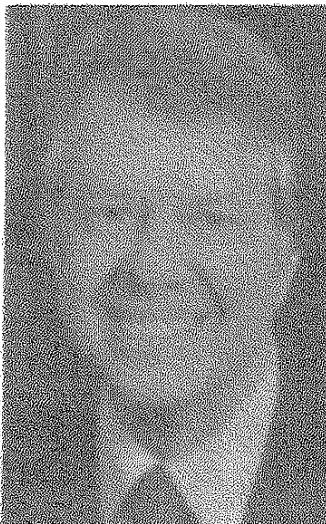
فعن الإسلام يعتبر أنه نظرياً لا يجب أن يكون هناك توتر بين أمريكا والعالم الإسلامي، فلم يهدد العالم الإسلامي أمريكا أبداً. وكانت معظم حملات أمريكا مع العالم الإسلامي العربي وغير العربي حميدة، وقد ساعدت الحرب الباردة في تعميق علاقات أمريكا بالمجتمعات

أمريكا والعالم

العالم الإسلامي لمحاربة السوفويت في أفغانستان، أمنوا أنهم هم الذين هزموا الإمبراطورية السوفيتية وأنهم لم يشاهدوا أي محارب أمريكي أو أوروبي يحارب إلى جانبهم في أفغانستان. لقد كان المجاهدون سعداء لتلقي الأسلحة الغربية ولكنهم أيضاً لاحظوا «الجبن» الغربي حول دخول ميدان المعركة مباشرة، وهكذا استخلصوا أن المحارب المسلم سوف يتصرّف في النهاية على المحارب الغربي لأن المحارب الإسلامي لا يخاف أن يموت.

وهكذا ظهر محارب جديد على المسرح العالمي الذي سيكون سعيداً عندما أحاط نفسه، بناءً على تعليمات، بالتفجرات ومشي في المدينة مفجراً نفسه، ويعتبر «محبوباني» أن هذا لم يكن أمراً حتمياً فديانة الإسلام ليست بالطبيعة دين العنف، فالإسلام يؤخذ غالباً على أنه يعني «دين السلام» وقد عاشت المجتمعات الإسلامية في سلام مع أنفسهم ومع جيرانهم لقرون، فالتشدد الذي نراه في كل ركن من أركان العالم الإسلامي ليس حدثاً طبيعياً، إنه نتيجة عدد من العوامل ليس أقلها سلسلة القرارات الخاطئة التي اتخذها صناع القرار الغربيين في حينها، وهي تأخذ وقتاً طويلاً لكي ترافق مستودعات من الكراهية والغضب، وقد لا يكون الغرب واعياً بذلك ولكن هذا الانفجار الجارى للغضب الإسلامي هو تراكم قرون من العمل الغربي، وينقل «محبوباني» عن عدد من المسلمين الأمريكيين المعتدلين الذي يعتبرون أن معظم الصراعات في العالم الإسلامي وظهور المجموعات

الإسلامية عبر العالم وبدأ صناع السياسة الأمريكية يدركون أن الإسلام يمثل حاجزاً طبيعياً ضد توسيع الشيوعية، وقد جاءت قمة التعاون بين أمريكا والعالم الإسلامي بعد الفزو السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٩، التي صنعت تحالفاً بين أمريكا ومعظم العالم الإسلامي حيث تلاقت المصالح الأمريكية مع مصالح الدول الإسلامية، ولكن المفارقة أنه حين حطم أمريكا الإمبراطورية السوفيتية، فإنها أيضاً قد أيقظت مارداً من المشاعر الإسلامية، فقد قدمت «أفغانستان» المذاق الأول للنصر لجموعة عانت الهزيمة فقط عبر عدة قرون، وقد نصر المجاهدين في أفغانستان للأمة الإسلامية ما قدمه النصر الياباني على روسيا عام ١٩٠٥ للآسيويين الآخرين، ومن هنا فإن شخصاً واحداً وهو أسامة بن لادن قد ألهمته الهزيمة السوفيتية في أفغانستان أن يعتقد أن الإسلام يستطيع أن يغلب قوة أعظم. وفي مقابل هذا فإن نهاية الحرب الباردة تمثل قمة النشوء الأوروبية والأمريكية، وظهرت نظريات مثل نهاية التاريخ تبشر بأن بقية العالم سوف يدرك الآن الوسيلة الأفضل والوحيدة للتقدم هي أن تصبح نسخاً أخرى من الغرب. غير أن لحظات الانتصار تنتج لحظات من فقدان البصر، فبينما كانت العواصم الغربية مشغولة بالاحتفال بانتصار الغرب فقد فشلوا في ملاحظة احتفالات مساوية في الأهمية؛ فالمحاربون المسلمين الذين أتوا من كل



المتطرفة لها جذورها في فشل مبادرات هذه البلدان لأن تبني نظماً شرعية ومنتجة اجتماعياً وسياسياً. وبدلاً من دعم المسلمين المعتدلين، فإن العكس قد حدث من خلال سيطرة سياسات قصيرة الأجل على الاستراتيجيات البعيدة، فليس ثمة خطة أمريكية أو غربية لمساعدة العالم الإسلامي، وبدلاً من هذا فإن المواقف

بن لادن

جيسي كارتر

القصوى لتشجيع نجاح المسلمين المعتدلين في المجتمعات الإسلامية فبدلاً من مساعدتهم ساعد الغرب هؤلاء الذين يقمعونهم.

أما الخطأ الرابع للغرب: فهو عدم الترويج لانتشار التعليم العلماني الحديث في المجتمعات الإسلامية، وبدلاً من هذا تطلع الغرب بعيداً وتجاهلياً عن تقديم ٣٠٠ مليون دولار من الأموال السعودية الخاصة سنوياً لتأسيس المدارس المتأثرة بالفكر الإرهابي والتي تدعم أصولية العصور الوسطى وليس الحادثة.

٦٩

والخطأ الاستراتيجي الخامس الذي ارتكبه الغرب: هو تطبيق سياسات اقتصادية تحقق النفع القصير الأجل للزعماء المنتجين ديمقراطياً، وأبرز مثل على هذا عندما طلب «برويز مشرف» من أمريكا حصصاً أكبر من المنتسوجات لاتاحة فرص عمل أكثر وهو ما رفضته أمريكا لأن قلة من الناخرين من عمال النسيج في كارولينا الشمالية كانوا أكثر أهمية من المصلحة القومية الأوسع في

الأمريكية والغربية المتناقضة ما زالت تعوق الاستقرار في العالم الإسلامي، ويتوقع محبوبياني أننا سوف نقضى الجزء الأكبر من القرن الواحد والعشرين في التعامل مع المشكلات العديدة التي ولدتها هذه السياسات المتناقضة والمشوشة.

ويعد «محبوبياني» إضافة إلى هذا ثلاثة أخطاء استراتيجية ارتكبها الغرب وأمريكا، في التعامل مع العالم الإسلامي، الأول: افتراض أن المصالح الطويلة الأجل يخدمها بشكل أفضل إبقاء الدول الإسلامية تغوص في الفقر والتخلف.

والثاني: هو عدم مشاركة العالم الإسلامي في سياسات التحديث الناجحة فقد كان للولايات المتحدة خطة ناجحة لتنمية أوروبا وهي خطة ماراشال، وكذلك خطة التنمية اليابانية، فلماذا لم تصمم مثل هذه الخطة للعالم الإسلامي، فهل كان هذا نتيجة لجهل تام أم لحسابات أن العالم الإسلامي سيكون أفضل حالاً إن لم يناله التحديث.

والخطأ الثالث: فهو عدم رؤية الأهمية

أمريكا والعالم

وكذلك الوثائق التي يصدرها شخصيات قريبة من الإدارة الأمريكية مثل وثيقة مع Defense Planning Guidance والتي تتضمن أن تفعل أمريكا كل ما في وسعها لمنع ظهور منافس لها، وكانوا بهذه يقصدون الصين بشكل أساسى. ومع بدايات عام ٢٠٠١ فإن أى متابع لمستقبل العلاقات الأمريكية الصينية كان سيخرج بتوقع كثيير، إلا أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر جاءت لكي تنفذ الصين حينما ركزت الولايات المتحدة على الخطر العاجل الذي يمثله بن لادن والمجموعات الإرهابية المماثلة التي تظهر فى العالم الإسلامي، وقد قدرت الصين بشكل حصيف أنها تستطيع أن تستخدم هذه اللحظة لكي تثبت جدواها الاستراتيجية للولايات المتحدة، وقد أثارت النتائج غير المتوقعة لأحداث الحادى عشر من سبتمبر سؤالاً أساسياً وهو: هل تركت العلاقة بين أقوى قوة في العالم، وأقوى قوة بازفة لكل تحديها بشكل خالص أحداث عارضة؟ أو يجب أن تكون هناك استراتيجية طويلة الأجل، والإجابة واضحة، فلكى تتفادى أزمات كبيرة في القرن ٢١ فإنه سيكون الحكمة أن نصنع ونطبق استراتيجية شاملة لكي تدير وتطور العلاقة بين أمريكا والصين. وبما يعيق تطوير مثل هذه الاستراتيجية فضلاً عن أحلاف الخبراء التاريخية، ما يبيه مجموعة الاستراتيجيين الأمريكيين المتشددين في المؤسسات والفكر الأمريكي من أن الصين تمثل تهديداً كبيراً للولايات المتحدة ومن هنا فإن بعض هذه الدوائر تميل إلى أنه يجب

تأييد مشرف على البقاء سياسياً ويستخلص «محبوبيانى» أن الولايات المتحدة تحتاج إلى صحوة شاملة، رغم أنها دخلت في المجتمعات الإسلامية بأكثر مما فعلت في التاريخ الإسلامي، إلا أنها تفعل ذلك بفهم أقل أو شامل للقوى القوية القومية التي تتعامل معها في نفس الوقت. فإذا كان بن لادن يمثل مجرد فرد أسيء توجيهه ومن نوع الذى أنتجته البشرية من وقت لآخر مثل هتلر وبول نوت، فإن المشكلة سوف تحل أتوماتيكياً بتصفيته، ولكن إذا كانت عقيدته وأفكاره ورقاه، وليس أفعاله، هي تجسيد لمجموعة قوية من المعتقدات في عقول الكثرين، فإن تصفيته لن تحل شيئاً، إن ما يجب التعامل معه هي هذه المجموعة القوية من المعتقدات، وليس لدى أمريكا أو الغرب سياسة شاملة طويلة الأجل للتعامل معها.

أمريكا والصين

أما الصين فإن «محبوبيانى» يعتبر أن الولايات المتحدة قد تعاملت معها بشكل غير حكيم، فقد استخدمت الصين حين تلامت مع مصالح أمريكا الجيوسياسية، ثم نبذتها عندما لم تعد تخدم المصالح الأمريكية. ويقدم الكتاب نماذج عديدة عن الطرق المختلفة التي تفهم وتقيم بها كلاً من الصين والولايات المتحدة القضايا والتطورات ومن أبرزها حادث ضرب الطائرات الأمريكية الصينية في بليجارد عام ١٩٩٩، وكيف أن هذا الحادث سيظل في الذاكرة الصينية وأنه عمل متعمد،



اعتراض الصين قبل أن تصبح قوة عسكرية منافسة للولايات المتحدة. ومن العقبات أيضاً عدم رسم مثل هذه الاستراتيجية هو أن السياسات الأمريكية الخارجية لا يمكن التنبؤ بها لأنها محصلة مجموعة معددة من العوامل: مجموعات المصالح الخاصة، والأراء الشعبية، وتحيزات وسائل الإعلام،

هتلر

هنري كيسنجر

الصين كيف بزغت ألمانيا واليابان من حطام الحرب العالمية الثانية.

أما القضية المركزية في العلاقات الأمريكية الصينية فهي قضية تايوان التي يعتبر القادة الصينيين أن التاريخ وشعبهم لن يسامحهم إذا ما سمحوا لไตوان أن تصبح مستقلة، وهو يدركون أنها ستكون كارثة إذا ما شنوا حرباً ضد تايوان إلا أنهم أوضحوا بشكل كبير أنه لن يكون أمامهم خيار إلا أن يفعلوا ذلك ورغم أن الزعماء الأمريكيين ومن بينهم كلينتون وبوش قد أظهروا حساسية في معالجة هذه القضية وأعربوا عن أنهم لن يشجعوا تايوان على إعلان الاستقلال، إلا أن تقلبات التاريخ تظهر أن قضية تايوان عنصرًا هشاً في العلاقات الأمريكية الصينية، ويستخلص محبوباني أنه سيكون مأساة إذا ما ذكرت الولايات المتحدة في النهاية باعتبارها البلد الذي جلبت عدم الاستقرار للمنطقة بسرعة إدارة صعود الصين. ويتناول «محبوباني» بشيء من التفصيل قضية الديمقراطية في

динاميكيات العملية الانتخابية المتغيرة، ولذلك يدرك القادة الصينيين أن عليهم أن يتتفقوا بعض الوقت «لتعلم» الإدارة الجديدة حين تأتي إلى السلطة.

وفي تقييم مستوى قادة الصين الحاليين، فإن «محبوباني» يعتبر أنه بالنظر إلى التاريخ الصيني وما تعرضت له الصين من قوى وطأة أراضيها وهي نائمة، فإنه ليس غريباً أن تستيقظ الصين كمارد غاضب، غير أنه بدلاً من هذا فإننا نرى الصين الصاعدة كأمّة ليس لديها الرغبة لكي تلعب دوراً ممزقاً على المسرح الدولي، وهذا في جانب منه نتيجة لوعي الصين بضعفها النسبي، وفي جانب آخر نتيجة لتاريخها السلمي النسبي مع جيرانها ولكن هي أيضاً نتيجة أن الصين قد اعتقدت في الرؤية التي قدمتها أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، أن الأمم لم تعد تحتاج لأن تتبع طرق الغزو العسكري لكي تنمو وتزدهر وبدلاً من هذا، فإن التجارة والتعامل الاقتصادي يقدمان طرقاً أكيدة للازدهار الاقتصادي والسلام، وقد لاحظت

أمريكا والعالم

هارفارد وستانفورد، وهكذا وبعد أكثر من مائة عام من الفوضى وسوء الحكم، فقد جمعت أفضل طبقة حاكمة شهدتها في قرن، فلم يعد هناك شخصيات متقدمة في السن تتعلق بحكم الحزب، وبدلًا من هذا شملة مجموعة من القادة متزمون بتحريك الصين إلى الأمام، ومما يقدم دليلاً على التحول في العقلية التي تحكم الصين أن الزائر الأجنبي كان يجد في غرفة فندقه كتاب صغير يحمل تعاليم ماو، أما الآن فإنه يجد كتبات تشرح له لماذا وأين يستثمر في الولاية وتلك من الصين، وبشكل أصبح هناك منافسة حادة بين المدن، والولايات الصينية حول الاستثمارات الخاصة وبحيث أصبحت الصين جنة للرأسمالية بين الزائرين، ويستخلص «محبوباني» أنه ستكون كارثة للصين إذا ما فككت فجأة الحزب الشيوعي، فالشرعية السياسية شيء ذو قيمة ولكنها أيضاً عملية هشة، وقد تمنع الحزب الشيوعي الصيني بالشرعية في الصين، وحين يتذكر القادة الغربيين «ماوتسى تونج» فإنهم يتذكرون تجاوزات وكوارث حكمه، ويدرك الصينيين التغرات العميقية في عهده ولكنهم، أيضاً يعلمون أنهم كانوا يحتاجون إلى رجل من حديد مثل ماو لتوحيد الصين ووضعها من جديد على طريق الوحدة الوطنية والنمو، وإذا لم يظهر ماو، فإن الصين كانت ستحتاج إلى قرن أو أكثر لكي تستعيد الوحدة الوطنية والإحساس بالهدف.

كذلك احتفظ الحزب الشيوعي بشرعنته في الحقب الأخيرة بإعادة تجديد

الصين ودور الحزب الشيوعي الصيني والتحولات التي حدثت فيه منذ نهاية السبعينيات، ويدرك في هذا أن أحد الأبعاد الخطيرة في السياسة الأمريكية نحو الصين هو الاعتقاد القوى بين عدد من المفكرين الاستراتيجيين أن الصين سوف يستفيد بشكل كبير إن ما تحولت إلى ديمقراطية. ومن ناحية أخرى يوضح «محبوباني» تأثر القادة الصينيين بتجربة الانفجار في الاتحاد السوفيتي واختلاف تقييمهم عن التقييم الأمريكي لهذا الحدث، ففي الوقت الذي رأى فيه الأمريكيين بزوعا للحربيات، رأى فيه الصينيين القوة السوفيتية، والانهيار السريع للدولة السوفيتية والفوبي الشديد الذي تأثرت بها الطبقات الفقيرة، وصعود الفساد، وبعضاً رؤية التجربة السوفيتية استخلص القادة الصينيين أن حكم الحزب الشيوعي الصيني سوف يظل مطلوباً لحقبة قادمة أو أكثر، ورغم هذا فإنه من المستحيل أن تقنع أي أمريكي أن استمرار الحزب الشيوعي سيكون مفيداً للصين والولايات المتحدة وللعالم، وبينه «محبوباني» إلى التحولات الملحوظة التي حدثت في الحزب الشيوعي الصيني، وإلى فشل السياسات الأمريكية في ملاحظة هذه التحولات، فعلى الورق قد يبدو الحزب أنه نفس الكائن السياسي، ولكن في الواقع فإن الحزب مختلف تماماً، فلم يحدث من قبل أن جمعت الصين هذه النخبة الواسعة المتقدمة لإدارة شئون الدولة حيث تدرس العديد منهم في الخارج وفي جامعات



نفسه بشكل مستمر، وقد كانت الصين محظوظة أن تنجي عملاقين في القرن العشرين الأول هو «ماوتسى تونج»، والثاني هو «دنج تشاؤ زعيم في الصين في القرن العشرين، فقد استخدم «دنج» نفس الحزب الشيوعي لكي يحرك بلدا ضخما مثل الصين، فقد حولها بشكل حاد

بوش

سوهارتو

سوف ترتد مرة أخرى إلى نوع من الحكم الفاسد الذي شهدته الصين من قبل، وهذا في الواقع هو أكبر تحدي تواجهه الصين في هذا الظرف.

التعاون مع الصين

ويحذر «محبوبيانى» من أن نهاية مفاجأة حكم الحزب الشيوعي في الصين عند هذه النقطة سوف تعنى أكبر كارثة وألما لشعب الصين ولشعوب المنطقة والعالم كله. ذلك أن ثمة قوى شعبية في النسيج السياسي الصيني، وهى محكومة بعناية بالقيادة الماهرة للقيادة السياسية داخل الحزب، فإذا ما انطلقت هذه القوى الشعبوية فإن القومية التي يمكن أن تنطلق وتوجه العالم في القرن الواحد والعشرين يمكن أن تكون أكثر غضبا وأكثر صعوبة في احتواها، ومن هنا فإن الحزب الشيوعي الصيني سوف يقدم معروفا كبيرا للعالم إذا ما استطاع أن يدير التحول التدريجي الإيجابي للمجتمع الصيني ويوجهه في اتجاه تكامله مع المجتمع المعاصر الجديد كمواطن مسئول،

من سيطرة الحزب الشيوعي الاقتصادية واتخذ خطوات ضخمة نحو نظام السوق، وخلال هذا كله حافظ على الاستقرار السياسي في الصين، وحتى حادثة ميدان تانيمان، فإن المؤرخين سوف ينظرون لها من خلال تاريخ الصين وسوف يفهمون لماذا حافظ دنج على سيطرة سياسية حازمة، فإذا كان قد فقد أعضاءه خلال الأزمة فإن الصين ربما كانت قد بدت حقا تحاول خلالها أن تستعيد إحساسها بالهدف والتقدم. كذلك وضع دنج خططا توجيهية لقادة الحزب: اختاروا الأفضل فقط، وبرنامجا للتغيير الدائم للذات، وربما قال لهم: تعلموا من هارفارد، وقد فعل الحزب ذلك في تقييم واستعمال القدرات، وأصبح عددا من قادة الصين الجدد من الذين تعلموا في هارفارد، واستبعد الفاسدون، وعديمى الكفاءة أو القادة غير الشعبين.

ويقع وراء هذا التحول إدراك أنه دون منع ظهور الفساد والنخب الراكرة، فهناك دائماً ظهراً خطراً كبيراً أن الصين

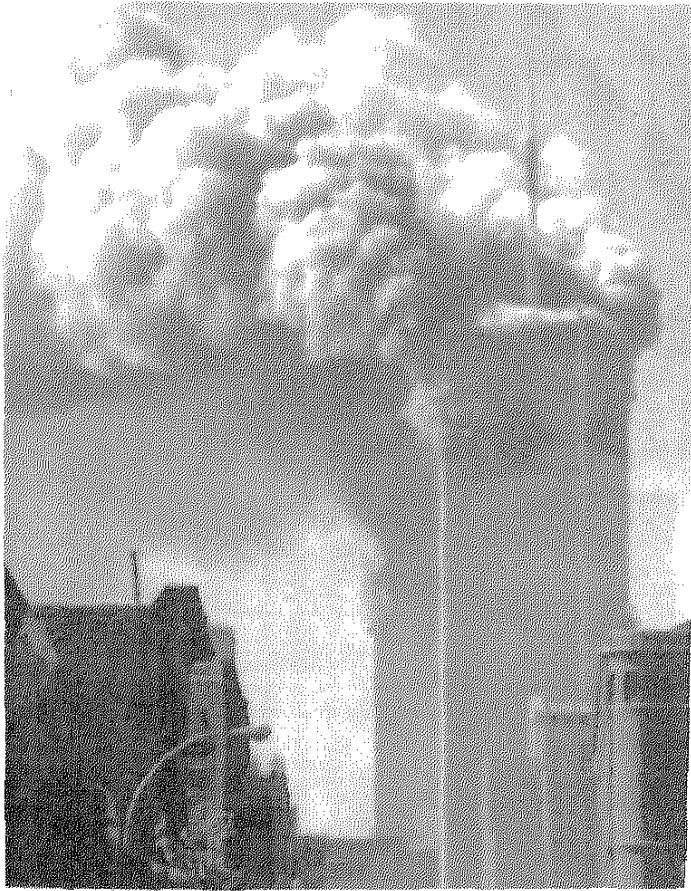
أمريكا والعالم

أخرى، فحين احتاجت أمريكا أن تمارس نفوذاً على كوريا الشمالية وحين اقتنعت أن الغزو العسكري ليس مطروحاً، كان هناك بدأً واحداً لديه قدرات لاقناع كوريا الشمالية وهي الصين، وقد طلبت أمريكا واستجابت الصين بایجابية وذهب الصين إلى حد قطع امدادات البترول لعدة أيام عن كوريا الشمالية، وهكذا خلقت الصين نوعاً من الاعتماد الأمريكي عليها. أما المنطقة التي يتصور «محبوباني» أن الصين يمكن أن تكون عوناً للولايات المتحدة فهي العالم الإسلامي، فباعتبار الانقسام العميق والثامني بين هذا العالم وأمريكا، فإن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تكون قوة تغيير إيجابي في هذا العالم وعلى العكس من هذا، فإن العالم الإسلامي ليس لديه شكوكاً في الصين، ولم تكن هناك في يوم ما انقسام بينهما رغم اختلاف الثقافات، ولم تكن هناك كراهية طبيعية كان هناك إعجاب طويل بالحضارة الصينية العظيمة داخل العالم الإسلامي، فإذا نجحت الصين في تحديد نفسها سوف يخلق هذا موجة من التأثير عبر العالم الإسلامي كلّه، فالعديد من المفكرين المسلمين متربدين في تقليد النموذج الغربي ولكن نفس هؤلاء المفكرين لن يتربدوا في تبني النموذج الصيني الإيجابي.

قرارات استراتيجية

ويستخلص «محبوباني» من قراءته لعلاقة أمريكا مع العالم، ما يجب عليها أن تفعله وتتخذه من قرارات استراتيجية للمساهمة في خلق نظام دولي مستقر،

وهكذا فالعالم كله له مصلحة في نجاح هذه التجربة الصينية العظيمة، وأمريكا يجب أن تكون شريكاً بناء وليس معاوياً لهذه العملية. ولكن كيف يدير القادة الصينيين علاقاتهم مع الولايات المتحدة؟ وبعد عدة عقود من المواجهات المباشرة مع الأمريكيين فقد طور القادة الصينيين شعوراً عقلانياً ومحنكاً بكيفية العمل مع أمريكا، فهم يدركون الآن أن الحجة وحدها لن تكفي لحث أمريكا على أن تكون أكثر حرصاً وضبطاً للنفس في اتخاذ أعمال ذات التأثير على الصين، وقد تعلمت الصين أن أمريكا، مثل أي دولة أخرى، تستجيب حين تتأثر مصالحها الوطنية بشكل مباشر، ففي هذا يخدم الصين ظهور مواقف تحتاج فيها أمريكا لمساعدة الصين وهذا يحدث حين تقع أمريكا في متابعة سياسية، وفي كل مرة تفعل أمريكا هذا فإنها تطور اهتماماً في طلب تعاون الصين، وثمة قضيتين حديثتين شغلتا اهتمام الزعماء الأمريكيين وهما: العراق، وكوريا الشمالية، وحيث أظهر الصينيون براعة دبلوماسية. فحين أعلنت أمريكا قرارها بغزو العراق، فإن الصين كمبدأ، كان عليها أن تعارض هذا، وعلى عكس فرنسا التي حاولت منع الغزو الأمريكي للعراق، فعلت الصين هذا بشكل هادئ، وربما أرادت الصين أن لا تغضب القيادة الأمريكية، ولكن أيضاً ربما قدرت أن الغزو سوف يضع أمريكا في مستنقع وأن هذا سوف يجعل أمريكا أقل قدرة واستعداداً لتحدي الصين. ومن ناحية



ففي التسعينيات حين بدأ
أتنا نعيش اليقين في حقبة
مباركة. كان الافتراض أن
المستقبل لن يكون إلا
مضيئاً، غير أن أحداث ١١
سبتمبر جاءت لكي تتصدع
هذا الافتراض.. واليوم نحن
في عالم مضطرب يبدو
خارج السيطرة وأضحت فيه
كل المشكلات بلا حدود،
والتدفعات المالية تتزايد في
الحجم والسرعة، وكل يوم
نستيقظ بإحساس أعظم
بعدم اليقين حول المستقبل
وأننا ننزلق إلى عالم أكثر
خطراً. في ضوء هذا كله
يستخلص «محبوباني»
حقيقة أن أمريكا لا تستطيع

فردى لأسباب تتعلق بالشرعية، والمشاركة
في العبء والفعالية. والقرار الاستراتيجي
الثانى الذى على أمريكا أن تتخذه ينبع
من الأول؛ فحينما تتخذ الحكومة الأمريكية
أى قرار كبير فإنها يجب أن تأخذ فى
الاعتبار الأثر العالمى لهذه القرارات.

٧٥

وأما القرار الاستراتيجي الثالث؛ فهو
أن تغير سياساتها تجاه المؤسسات
المتعددة الأطراف، فهي لا يجب أن تستمر
بعد هذا، فى استخدام قوتها الفالية
ونفوذها داخل هذه المنظمات مجرد أن
تخدم المصالح الأمريكية قصيرة الأجل
ويبدلاً من هذا فإنها يجب أن تزن المصالح
العالمية وتقيم أثر سياساتها على بقية
العالم عندما تتحنى هذه المؤسسات
المتعددة الأطراف للإدارة الأمريكية.

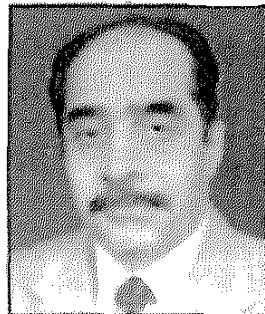
أن تواجه هذا العالم منفردة ولكنها بالعمل
مع بقية العالم يمكن أن تخلق نظاماً عالياً
أكثر استقراراً، ويمكن من أجل هذا على
أمريكا أن تتخذ عدداً من القرارات
الحاصلة. فعلى أمريكا أولاً أن تقرر أن
عالماً مستقراً إنما يخدم مصالحها، ورغم
أن القادة الأمريكيين يعلنوا في بلاغة
طنانة أنهم مؤيدون الاستقرار العالمي،
ولكن أفعالهم في مواجهة بقية العالم فإن
أمريكا تبعث برسائل مخطلة، وكما لاحظ
بعض الخبراء، فإنه مع إدراك أن
ال المشكلات العالمية لها جذور داخلية ويجب
أن تعالج بهذا الشكل، إلا أنها يجب أن
تدرك أيضاً أن هذه المشكلات يجب أن
 تعالج بشكل جماعي أكثر منها بشكل

أَيَّابَانُ

من الركود إلى أسئلة المستقبل

د. محمد عبد الشفيع عيسى □

الأمريكية قد عكفت في نفس الوقت على استكشاف الأسرار الابتكارية اليابانية ذات النفس العبقري، وعلى «تضخيم» متعمد لصورة اليابان في العالم من خلال أجهزة الاتصال، وكذلك من خلال المحافل



الأكاديمية والثقافية باعتبارها الدولة رقم (١) (عزرا فوجل: اليابان الدولة الأولى). في ذلك الوقت كانت الجامعات ومراكز البحث الأمريكية قد شرعت في التوسيع في إبرام البحوث الاقتصادية المشتركة مع الباحثين اليابانيين والمؤسسات العلمية اليابانية، وحملت الولايات المتحدة الحكومة اليابانية على فتح أبواب مؤسساتها لحصينة مثل وزارة التجارة الدولية الصناعة (ميتسى MITI) أمام فرق البحث المشتركة اليابانية - الأمريكية، لحصول على البيانات النادرة من خازنها الثمينة.

وقد استخدمت أمريكا العصا والجزرة
مع الجماعة الأكاديمية اليابانية أيضا، بل
ومع الحكومة اليابانية كل. فقد
استخدمت عصا التهديد المطنة أو

واجه اليابان تحديات
صعبة في عصر العولمة الجديد،
والذى يتزافق تاريخيا مع نهاية
مرحلة (الاقتصاد الفقاعي)
الذى ميز أواخر الثمانينيات وجلّ
التسعينيات من القرن العشرين
- وقد سبقتها مرحلة بدأت منذ

متتصف السبعينات واتسمت بالتوسيع الاقتصادي القائم على التعميق التكنولوجي والتصدير الكبير والاستثمار الياباني الهائل داخل أمريكا وأوروبا خلال إقامة فروع للشركات العملاقة فيما يشبه «الهرولة». ومثلت هذه المرحلة تطويراً طبيعياً لمرحلة (التنمية السريعة) والتي استمرت منذ مطلع الخمسينات ولربع قرن تقريباً.

وقد اتسمت مرحلة «الفقاعة» بالاعتماد
- في تحقيق معدل مرتفع نسبياً للنمو
الاقتصادي - على أنشطة ذات قيمة
 مضافة منخفضة نسبياً، وخاصة أنشطة
الخدمات المالية والقارية وقطاع التشييد
والإنشاءات الحكومية الضخم.

وبيّنما أخذت اليابان تنفّم في اقتصاد الفقاقيم كانت الولايات المتحدة

المضمرة لعقاب اليابان اقتصادياً من بوابة الاستيراد والتصدير، وقدمت جزءاً من الشواب الاقتصادي بالإضافة إلى إغراء الأكاديميين والباحثين بفرص السفر وإلقاء الكلمات والزيارات العلمية والنشر في كبرى الجامعات ومراكز البحث المتخصصة. وكان لأمريكا ما أرادت. فقد تمت تعرية أعضاء الشركات اليابانية بل واليابان كلها كشركة Japan Corpo

ration . وفي نفس الوقت كان بعض السوس قد أخذ ينخر في تلك الأعصاب من جراء توسيع البنك في الإقراض غير الآمن ، ويزاد الدين المدعومة تدريجيا ، مما جعل المنظومة المالية نقطة ضعف لا تنكر في النظام الاقتصادي الياباني - بالإضافة إلى التوسيع ربما غير المبرر تماماً في أنشطة الأشغال العامة والتشيدات بالمقارنة مع (النظام الإنتاجي التصنيعي) الذي هو مركز التفوق الياباني النسبي في العالم الصناعي.

وفي نفس الوقت - منذ منتصف الثمانينيات حتى التسعينيات تحديداً - كانت الولايات المتحدة تعمل في صمت في حقول من حقول (العلم - التكنولوجيا) بما التكنولوجيا الحيوية، والتكنولوجيا الإلكترونية: المعلوماتية - الاتصالية. وما أن أهل عقد التسعينات ثم انتصف حتى كانت تلك الولايات المتحدة قد حازت قصب السبق، وأصبحت تقدم الجميع بغير منازع ، بينما أسفرت الأحداث عن اكتشاف اليابان لنفسها ، وقد أخذت تتقهقر من خلف «غريمتها - حليتها» الأشيرة: أمريكا.

وبهذه الأدوات كلها: «التضخيم الزائد» لصورة اليابان، واكتشاف أسرارها، وانغماس اليابان في اقتصاد الفقاعة، وعكوف أمريكا على سر تفوقها الخاص: علوم الحياة وعلوم الإلكترونيات، تحقق الفوز لأمريكا - ولو إلى حين - في

٧٧

معركة التقى الاقتصادي والتكنولوجي. وقد أدركت إدارة كلينتون بالذات، إدارة عقد التسعينات الأمريكية (٩١ - ٢٠٠٠) جوهر ما هي مقبلة عليه، فإذا هي تدير معركتها الاقتصادية الخاصة بأسلوب (إدارة الحرب) وباستراتيجية تضعها (هيئة الأركان) في (غرفة العمليات) - وكانت تلك هي الحرب الاقتصادية مع اليابان في المقام الأول، وبالاستراتيجية التنافسية، وفي غرفة

البيان

ولكن الرأى الغالب أنها نتاج قصور في الطلب الكلى نتيجة التركيز الياباني الطويل على كبح الطلب الاستهلاكي المحلي بما فيه الطلب على الواردات، مقابل التركيز على التوسيع في الطاقات الإنتاجية وفي ثلبيّة الطلب الأجنبي على الصادرات.

ومع مفتتح القرن الجديد أخذ اليابانيون يدركون - تطبيقيا - سر «الوصفة» المبكرة للورد كينز الاقتصادي البريطاني الكبير ، والتي قدمها في غمار ما سمي بأزمة الكساد العالمي الكبير (١٩٢٢ - ١٩٢٩). وقد كان كينز الداعية المبرز لما صار يعرف بعد ذلك بالسياسة الاقتصادية الجديدة، والتي تقوم على نبذ مفهوم الحرية الاقتصادية المطلقة للمشروعات الخاصة ودعوى السوق التنافسية الخالصة. وقد أكد في مقابل ذلك على حفز تدخل الدولة بصورة انتقائية في الحياة الاقتصادية، باستخدام أدوات السياسة المالية والنقدية، انطلاقاً من ضرورة رفع مستوى الإنفاق الحكومي، وخاصة في مجال الأشغال العامة، وما يتبعه من زيادة التشغيل أو التوظيف وضخ المزيد من الأجور ومن ثم تنشيط الطلب (الفعل) الاستهلاكي والاستثماري. وقد اعتبر ذلك مدخلاً لابد منه للقضاء على البطالة ورفع مستويات الدخل القومي، ومن ثم: اللووج إلى دورة الانتعاش الاقتصادي.

وهكذا ومع مطلع الألفية الجديدة شرع اليابانيون في تنشيط الطلب من جانبي:

عمليات (مشتركة) من الحكومة الأمريكية والشركات عابرة الجنسيات.

وكان الهدف: مواصلة زيادة الانتاجية، واكتشاف المصدر البديل للإنفاق العسكري كمحرك للاقتصاد بعد زوال الاتحاد السوفييتي، وهو مصدر مزدوج من:

أ - التقدم العلمي - التكنولوجي، وإن شئت فقل: التقدم على معراج «الاقتصاد الجديد» أو الاقتصاد المعرفي، رغم عثراته الناجمة عن التوسيع غير المخطط أحياناً، وخاصة تعثر شركات التكنولوجيا المتقدمة كما يعكسها مؤشر الأسواق المالية المتخصص «تأسداك».

ب - جنى مزايا اقتصادية من جراء تعاظم المكانة الاستراتيجية والجيوستراتيجية الأمريكية، جراء انفرادها بموقع (القوة العظمى الوحيدة) كفعل معادل آلياً لسقوط القطب (الثاني): السوفيييت.

وعلى جناحين من التكنولوجيا والتفوز السياسي - الاستراتيجي مضت أمريكا فحملت الجميع على الركض من خلفها، على طريق طويل وصعب جداً هو طريق التنافسية التي حملت لواوها في مقدمة الصنوف لا تلوى على شيء.

أما اليابان فقد انكفت منذ منتصف التسعينات، بعد ما سبق كله أو بموافكته، تتعرض في حفرة عميقه هي ما تسمى بالركود *Recession*. وقد أصبحت هذه هي «الكلمة المفاتحية» التي يرددها الجميع في طوكيو، وحار في فهمها الكل: من أكاديميين ورسميين وأصحاب شركات،

أ - طلب
الحكومة، وقد
توسعت في
(الأشغال
العامة)
وخصصت
الأموال الهائلة
في هذا
السبيل، لزيادة
مستوى الدخول
المتاح للإنفاق
الاستهلاكي لدى الجمهور
وامتصاص معدل البطالة

المتامي بتأثيره الاقتصادية والاجتماعية
الوحيمة (الجريمة والعنف.. إلخ).

ب - الطلب الاستثماري: وفي هذا
السبيل شجعت الدولة الشركات على بناء
المزيد من الطاقات الإنتاجية، رغم الآثار
السلبية المماثلة في الأذهان للتوجه في
(الإقراض الرديء). وقد أعلنت الحكومة
سياسة (سعر الفائدة صفر) بفرض حفز
هذا الطلب، وأصرت عليه رغم المصاعب.
وأما الشركات نفسها فقد أخذت تداوى
أنفسها بالتي كانت هي الداء: تخفيض
حجم العمالة، والاستغناء عن كبار السن
نسبة من العاملين، والكف عن سياسة
التوظيف مدي الحياة وعن الترقى
(التلقائى) للموظفين والعمال، جنبا إلى
جنب مع الاندماجات بين الشركات، جريا
وراء (حمسى الاندماج) في العالم
الرأسمالى كله، بل وقد أدخلت لها شركاء
من أوروبا وأمريكا لجذب الموارد المالية
والטכנولوجية، مع إجراء الجراحات



الصعب، التي يطلدون
عليها (إعادة
الهيكلة).

الابتكار

أما في

المجال العلمي

- التكنولوجي

تحديا فقد

أصدرت (وكالة

العلم

والتكنولوجيا

(STA) وثيقة

بسياسة

وقانون العلم والتكنولوجيا، وأخذت
الجامعات ترخي قيودها المفروضة على
إسهام الأساتذة في البحث مع الشركات،
وشررت (وزارة التعليم والشباب
والرياضة) تنظر في سبل تحديث النظام
التربيوي. وفي أروقة «الأكاديميا» ووزارة
التجارة الدولية والصناعة (الميتسى) ووكالة
العلم والتكنولوجيا أخذ يجري الحديث
صراحة وخفية عن ضرورة الخروج من
حرب الركود بالقفز إلى أعلى، على سلم
التنافسية، قفزة تبعو فوق طاقة الجميع،

سيكولوجيا فيما يبيو: قفزة الابتكار. وما
أدرك ما الابتكار؟ إنه الابتكار الذي كان
سمة وسمت اليابانيين في الستينيات
والسبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن
العشرين، حين كانت تلك البلاد تقف على
«الحافة الرفيعة» للتقدم التكنولوجي، وحين
كانت معامل البحث والتطوير في شركات
تويوتا وهوندا ونيسان وهيتاشي وسونى
وسانيدو وميتسوبىشى وباناسونيك، تقدم

ال اليابان

في اليابان.

فهل يمكن للإليابان حقاً أن تعاود السير في المقدمة؟ وهل تحقق قصب السبق - ولو «بالمشاركة» مع غيرها - في حقل «الحياة والآلة»؟ وهل تسترد جزء من استثماراتها الخارجية ومعها كواردراها وتكنولوجيتها ومواردها لتعزز قدراتها الإنتاجية المحلية؟

وهل يكون تشغيل الطلب النهائي - الاستهلاكي والاستثماري والحكومي، قاطرة لدفع النمو الاقتصادي - غير الفقاعي بالطبع؟

وهل تحمل اليابان التكفة القاسية لإعادة الهيكلة، وخاصة التضخيمية بـ(النظام الياباني) التقليدي والذي كان

المشتغل فيه يعتبر الشركة بيته وقلعته؟

وهل تكون هذه التكفة ثمناً لانطلاقه كبرى في التكنولوجيا والإبتكار ومن ثم: انطلاقة تسمح بانطلاقات متتالية لا تنتهي تتسع وتطاول وتعمق في مسار الحرب الاقتصادية الراهنة المسماة بالتفافية في (عصر العولمة)؟

أم ترى اليابان تقبع في مستنقع الركود لفترة قادمة - فإلى متى؟.. وهل تكون إعادة الهيكلة القاسية وإعادة تنظيم عنصر العمل بغير عائد يقابلها؟..

وعلى المدى الطويل: هل تظل اليابان أسييرة المشروع العالمي والإقليمي - الآسيوي للولايات المتحدة الأمريكية، فيكون تقدمها ظلاً من ظلال شمس أمريكا غير المشرقة جغرافيا؟ أم تبزغ الشمس حقاً من أرض الشمس المشرقة تاريخياً؟ وحينذاك تبني اليابان مشروعها الوطني

الجديد للعالم جميراً كل مطلع شمس ابتداءً من أجزاء السيارة «الأوتوماتيكية» وانتهاءً بالإنسان الآلي (روبوت).

والابتكار الذي يتحدون عنه الآن ليس سياسة لابتكار، وإنما (نظام وطني لابتكار National System of Innovation) - إنها الصيحة التي رفعها الأمريكيون ويلاحقها الأوروبيون - لا سيما البريطانيون - وكذا اليابانيون. وأما مركز الإبتكار المنتظر فيعرفه اليابانيون جيداً، لأنّ نقطة الضعف والنقص (مربي الفرس): إنه ابتكار المجالين المبرزين من التكنولوجيا العالمية «الهائى تك»: البيوتكنولوجيا من جهة أولى، والمعلوماتية - الاتصالية من جهة ثانية.

فهل ترى اليابان قادرة على أداء القفزة التاريخية، لتعاود السير إلى الأمام، بعد أن لبست سفين عدداً متقدمة خلف حلقتها وغريمتها أمريكا، تلعق جراح الركود الذي يضنيها، وبعد أن زرعت حلقتها - غريمتها تلك في قلب جيلها الجديد حمى وحمم الثقافة الأمريكية «الشائعة» في أبرز صورها وربما أشدّها رداء: عدو (مجتمع الاستهلاك) وما يتبعها من تكالب غير مبرر على اقتتال السلع غير الضرورية، وانخفاض وقت العمل لصالح وقت الفراغ، أو طغيان الفراغ على العمل - حتى لتكاد (الفضيلة) اليابانية التقليدية أن تطاردها نمائضها القادمة من الخارج على أجنبية (السرعة)..!

والحق أن هذا زمن الحيرة والارتياح



للتطور الاقتصادي والاجتماعي المستثير، في إطار ياباني أصيل، نابع من تقاليد تاريخية ذات طابع (جماعي)، طابع شرقي - آسيوي (يتناهش الشطر الأعظم من النخبة اليابانية تناهياً الآن) - مع مصالحة تاريخية لابد منها إزاء بقية آسيا الشرقية وخاصة الصين وكوريا... هل تفعل اليابان هذا أم ذاك؟

الخيارات

أم لا هذا ولا ذاك، فتظل أسيرة خيار وسيطى (معتم تاريخيا): حيث تكون اليابان مع أمريكا - في مواجهة آسيا، بمعنى ما، ومع أوروبا ولا سيما ألمانيا - في عزلة نسبية عن إفريقيا بمعنى ما، وعن الوطن العربي والعالم الإسلامي أيضاً، وتكون متراجحة بين جماعية آسيا وفردية الغرب، إذا صرخ هذا التعبير؟

هي إذن خيارات ثلاث للمدى الطويل تطل من بعد برؤوسها الغامضة فوق اليابان.. يكتنفها قدر غير يسير من (انعدام اليقين).. ويظل اللغز الكامن خلفها جزء من لغز تطور البشرية كلها في هذا القرن الجديد والذي تحكمه عدة متغيرات رئيسية منها:

□ الأضمحل المتوقع للمشروع الامبراطوري الأمريكي عبر النصف الأول من هذا القرن.

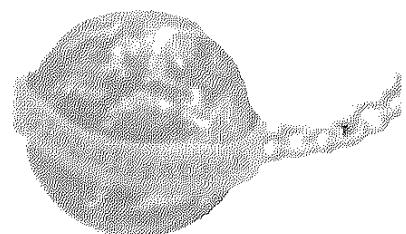
□ الصعود المتوقع لقوى جديدة، في مقدمتها الصين، ودول يختلف ترتيبها بين الباحثين، في جنوب شرق آسيا والعالم اللاتيني، وربما أيضاً - ولم لا؟ - في بعض من الوطن العربي وإفريقيا جنوب الصحراء.

□ تسارع التقدم التكنولوجي - على جبهتي الحياة والاتصالات - جنباً إلى جنب مع اتساع جبهات الخطر البيئي على الكوكب الأرضي، لأسباب متعددة.

□ صراع الرؤى الاجتماعية -

العقائدية، من مداخل السعي إلى العدل الاجتماعي، وديمقراطية المجتمع، وتكاملية الروح الإنسانية في تطلعها الكوني الدائب...!

□ تمثل هذه المقالة خلاصة من خبرة الكاتب من «المهمة العلمية»، التي قام بها موFDA من معهد التخطيط القومي بالقاهرة إلى كلية الاقتصاد بجامعة طوكيو لمدة ستة شهور .

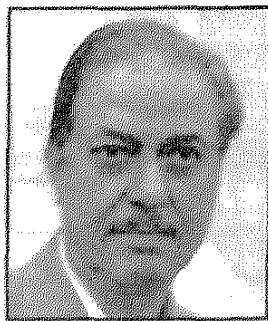


ملف العدد

الصين وتوازن القوى

□ حامد الشناوى

تلعبه الصين كأكبر منتج متعدد ومتتنوع في كل مجالات حاجيات الإنسان واحتياجاته ، وصاحبة الدور الأوفر في تحقيق الإشباع اللازم لسللزمات البشر على اختلافها من فانوس رمضان والسبحة والسجادة والجلاليب



درج العالم فيما قبل على استخدام مصطلح توازن القوى إبان القطبية الثانية أو عالم القوتين العظميين «الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي» للتعبير عن توازن القوى العسكرية والتلوية .

وقد كان العالم غير عالم اليوم الأحادي القطبية، وحيث تفرد قوة واحدة ووحيدة بالقرار على مستوى العالم، تحكم وتتحكم وتدير مع بعض المنفصلات أو القلائل والمعوقات هنا وهناك . لكنها وفي النهاية القوى الأعظم الواحدة صاحبة القول الفصل .

ولعل الذهن يتوجه بإيحاء المقدمة وعنوان المقال للصين كقوة دولية صاعدة ومرشحة لأن تحتل موقع القوة الثانية الموازية أو المحاذية للولايات المتحدة في اتجاه إعادة التوازن الدولي المفقود . غير أن البحث ينحو منحى خاصاً ويتخذ مدخلاً مغايراً وينظر من زاوية ثانية، ذلك أن ماتقوم به الصين الآن، وبالفعل من دور في هذه المرحلة، مختلف ومغاير يمكن أن تكون الحياة بغيره أكثر قسوة وضراوة ومرارة .

وما أعنيه هنا الدور الاقتصادي الذي

٨٢



وإنما في الإنتاج الكبير الرخيص من جانب وفي سياستها السعرية، وهذه الأسعار الزهيدة القليلة القائمة المحددة بما لا يتجاوز ١٠٪ من أسعار المنتج المماثل من السلع الواردة من الغرب وأمريكا وحتى اليابان من جانب آخر .
حيث السلعة هي السلعة قد لا تكون

٨٣

بجودتها أو عمرها الإفتراضي ، أو بعض تقنياتها لكنها السلعة نفس السلعة والدور ذات الدور والفرض نفس الفرض ، والأمثلة بغير حصر متعددة من أبسط الأشياء إلى الكهربائيات والإلكترونيات والحواسيب ومعدات الاتصالات والسيارات، إلى غير ذلك من المنتج الصيني المقابل لكل منتج غربي ياهظ الثمن . وتصور المستهلك محدود الدخل المتطلع لحياة الجديدة من المنتج الضاغط

اهتمامه، ولتحقيق حجم إنتاج قومي يقدر بـ (١٦٥٠ بليون دولار) وتجارة خارجية بواقع (١١٠٠ بليون دولار) ومعدل نمو اقتصادي يبلغ (١٢٪ سنويًا) ونصيب في الناتج العالمي يقدر بـ (٢٠٪ من رقم إجمالي الناتج العالمي) ولتصير صاحبة أكبر احتياطي نقدى (دولارى) فى العالم بما يحمله من آثار وإمكانات وقدرات تأثير .

والأرقام تعود إلى العام (٢٠٠٤) . ثم بفعل امتداد تأثيرها الإنتاجى والاقتصادى المتعد لثلثى سكان العالم أو سكان آسيا المحيطة بها وبخاصة الهند بما تمثل معه المحور وقطر الدائرة الاقتصادية لتلك المنطقة والعالم .

والعبرة أو محل البحث هو ليس هذا الحجم الكمى من الإنتاج والمنتج المتنوع

الصين وتوارث القرى

عليه بفعل وسائل الإعلان والدعاية والترويج ، عبر كل وسائل الميديا المطاردة للإنسان والملاحقة له . وهل كان له أن يتطلع لحياة ما يحوزه الآن من أمورات ومعدات ومستلزمات، إذا لم تكن الصين قائمة في السوق منتجة وموزعة بأسعارها الزهيدة الرخيصة .

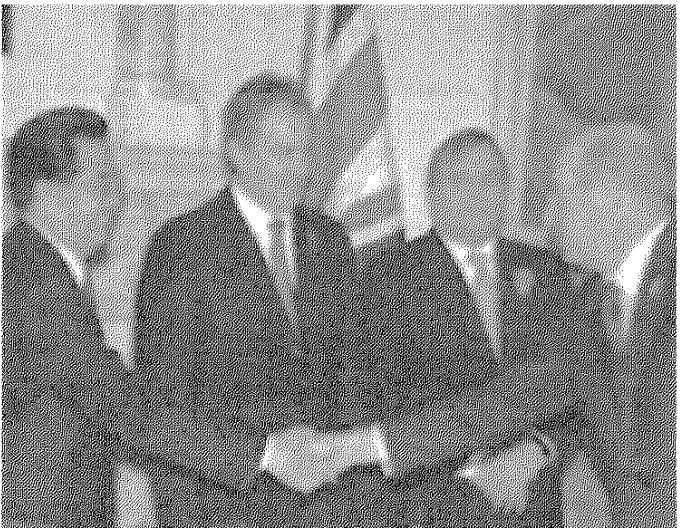
الإنتاج الرخيص

هذا المنحى أخترت أن أخذ منه خيطاً واحداً .. جانباً ودوراً واحداً قد تكون قصته الصين ومدفعت له اتساقاً مع أيديولوجيتها وكونها دولة من العالم الثالث ، وقد لا تكون قصتها وتكون رمية بغير رام . غير أن ذلك لا يمنع من أن يسجل لها فضل ذلك وواجب الشكر عليه . هذا الخيط أو هذا الدور - كما قلت بشكل خاص - يتمثل في سياساتها السعرية وهذا الإنتاج المتنوع الرخيص الذي تتيحه وتعرضه والذي حق للطبقات غير القادرة والمحظوظة الدخل على مستوى العالم الحق في التطلع لحياة هذه الأشياء والتي ما كان لها أن تشتريها أو تحوزها ، مع أسعار العشرة أضعاف المعروض به مثيلها الغربي، وما كان لها أن تقتنيها أو تستهلكها أو حتى تتعرف عليها بغير الحسرة والنظر عن بعد ، والتطلع بألم ويمزيد من القهر والمعاناة ، ومن الشعور بالعجز والدونية وعدم القدرة وهي معان مرة مؤلمة ومزعجة، وبخاصة مع ما قلت من مطاردة الفضائيات وقنوات التليفزيون والمساحات المتاحة للإعلان في الصحف وفي الشارع وفي كل مكان ، وأينما كنت

ويكل وسيلة . وهذا مناط البحث و نتيجته،
وحيث لا يتعرض لسببيات وما وراء وكيفية تحقق هذه الطفرة الإنتاجية هذا الكم الهائل وهذا المقدار من التنوع الممتد والمستوعب لكل حاجيات البشر مع هذا السعر المنخفض البسيط وهذه المعادلة الصعبة مناط بحث آخر . لكنني فقط أتناول تأثير هذه الحالة على المستهلك الفقير أو محدود الدخل أو مستهلكي وإنسان العالم الثالث أو النامي .

ثم إننى لا أتناول كذلك سبب هذه القوى الشرائية من رصيد مستهلكى المنتج الغربي والأمرىكى وتأثيره على الإنتاج فى هذه البلاد، وعلى اقتصادياتها وعلى الدورة الاقتصادية ومعدلات النمو والتقدم، وهى كلها حلقات متصلة وسلسلة متشابكة لانهائية من التداعيات والأثار والنتائج . والتى تمثل جميعها تحتا من المثال اقتصادياً لتلك الدول لحساب الصين ولصالحها . و

هو مادعا الولايات المتحدة للضغط المتواصل، وعلى بذل قصارى جهدها لكسر هذه الحلقة الجهنمية الدائرة وغير المتوقعة فى سبيل رفع سعر صرف اليوان ورفع قيمته فى مقابل العملات العالمية الأخرى كوسيلة للحد من انخفاض أسعار السلع الصينية والحد من انتشارها وللحيلولة دون هذا المدى المتواصل فى كسب الأسواق بما فيه السوق الأمريكية، والتى واجهته فيها برفع الضريبة الجمركية على السلع الواردة من الصين، ويرفع قضايا إغراق فى مواجهتها، وهى فى كل هذا وفي النهاية تستهدف فقراء العالم وتحجيم



قدرتهم على الشراء وفرض سلعها الغالية الثمن لمن يقدر على شرائها بدلاً من أن تسعى لتقديم منتج رخيص منافس يكون في متناول القطاع العريض من مستهلكي السلعة الصينية، تسعى نحو حرمانهم من هذه السلعة من خلال دفع الصين لزيادة ورفع أسعار سلعها كنتيجة لزيادة قيمة ورفع سعر صرف اليوان

وهو ما تقاومه الصين وترفضه وتمتنع عن الاستجابة له . وهو الموقف المبدئي المتسرق مع قيمتها وفكرها والمحسوب والمحسوم لصالح ذوى القدرة المحدودة من المستهلكين ، بما فيهم مستهلكى سوقها المحلية الواسعة بما يزيد على المليار نسمة وهو ما يؤكد على الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للصين هذه الأيام .

قد يقول قائل بأن هذا التسعيرو هذه السياسة تحقق للصين دائمًا صالحها فى الميزان التجارى، من خلال تزايد قدرتها على التصدير، وحيث تحول هذه السياسة السعرية دون أية قدرة على المنافسة لها من جانب الدول الأخرى والرد . وماذا في هذا العالم متسع للمنافسة، ول يكن الميزان التجارى لدولة ما مع الصين لصالح الصين ويكون التوازن على حساب صادرات تلك الدولة لدول أخرى بما يمكن أن يتحقق فى النهاية صالح تلك الدولة أو على الأقل تحقيق التوازن اللازم لميزانها التجارى .

هكذا فإن ما أردت إبرازه قوله إنما

بريطانيا تطلب ود الصين

يعود على الدور الاجتماعي للسياسات الاقتصادية الصينية، ودورها في هذا المجال في عالمنا المعاصر كدور أحدى منفرد في مواجهة الغلاء المفتعل في الكثير منه بفعل الاقتصاديات الرأسمالية المستغلة، وباعتبارها حاملة دعوة ولواء «سلعة رخيصة لمواطن فقير» بما يحمله المعنى من تقويض للفوارق الاجتماعية بين الناس، وهي رسالة مستمرة لفكها الاشتراكي، وإحساسها العام بالفقر وغير القادر، والذي يمثل غالبية شعبها وشعوب العالم الثالث .

٨٥

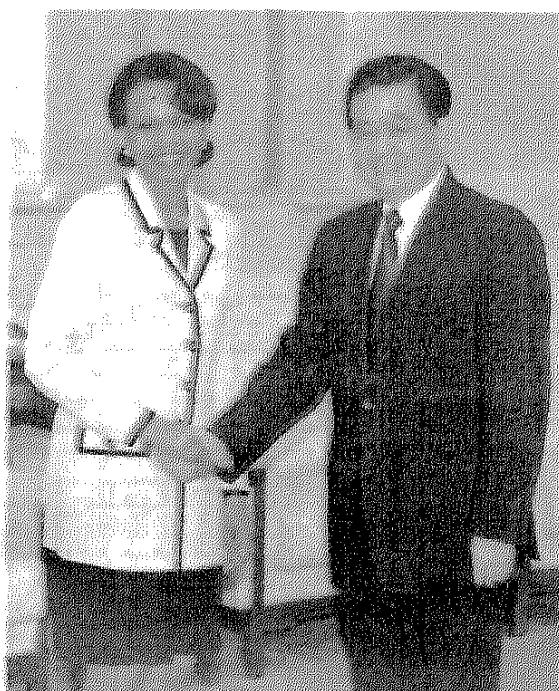
وهي رسالة ودور غاية في الأهمية كسبيل لتحقيق السلام الاجتماعي على مستوى خريطة العالم، وهل بعد ذلك يستمر التوجه والاتجاه نحو الغرب أم تتجه الآن وفي ضوء ظروفنا وقدراتنا الاقتصادية وامكانات ودخول المصريين المتدينة لهذا البلد الواعد، ولعل في الاقتراب من التجربة الصينية ما يمكن أن يحل لنا مشكلة كون زیادتنا السكانية عبء وليس ميزة، وهو ما يمكن أن يكون في

الصين وتوازن القوى

ضوء تجربة بلد فى حجم سكان مصر ستة عشر مرة .

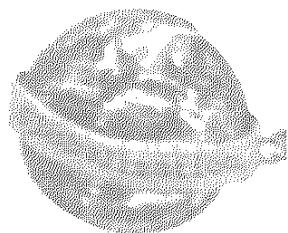
وفى ذلك يمكن أن أخرج على الماكينة الإنتاجية الرخيصة التى تقوم عليها الآن العديد من المصانع الصغيرة والمتوسطة فى العالم الثالث، والتى كان يمكن أن يحرم من ناتجها تلك الدول حال عدم توافرها واقتصر المتأخر أو العرض على الماكينة الأوروبية والأمريكية التى تعجز كل إمكاناتها عن توفيرها .

ثم أن البحث يترك لمجال آخر - كذلك - تفصيل ما يستلزم هذه الطفرة الاقتصادية من ضرورة توفير الحماية العسكرية لها ، وهو ما يتأكد بشكل شبه يومى حيث وصل التسلح الصيني درجة مستوى رفيعاً في كافة المجالات البرية والبحرية والجوية والصاروخية (٣ ملايين جندي - أكبر جيش في العالم) بما يضاهى ويماثل القوة الأمريكية ويقف أمامها بنفس الدرجة برغم إيمانها بسلمية صعودها وبمبدأ الصعود السلمي الذي تنتهي مع تراجع زمن الأيديولوجيات وبروز زمان المصلحة والمصلحة الاقتصادية تحديداً ، والتي صارت ميدان وأرض المعركة الجديدة بين دول العالم الكبيرة، فالصراع صراع اقتصادي والغلبة فيه للمنتج الأكبر والأكثر تنوعاً والأقدر على عملية غزو الأسواق والأكثر مبيعاً وهو ما تؤكد عليه كافة المؤشرات الاقتصادية لصالح الصين الصاعدة الوعيدة والقادمة، والعالم الآن إن لم يكن - بفضل ذلك - يتوجه نحو



الصين قوة اقتصادية فى مواجهة القطب الواحد تحقيق التوازن الدولى المفتقد فى ظل القطبية الواحدة، فهو فى حده الأدنى يتوجه مؤكداً نحو عالم متعدد الأقطاب والقوى كسرأً لدائرة الدولة الواحدة والقوة العظمى المنفردة، بكل ما يعيانيه العالم من تفرداتها ووحدانيتها وأحادية القرار . بما ينبئ بتغير ما مع صعود القدرات الاستراتيجية والسياسية والمعنوية بفعل القدرة الاقتصادية المتなمة للصين فى اتجاه القطبية الثانية .

وهي دعوة لمزيد من الضغط فى اتجاه كسر حلقة القطب الواحد وهل الأمس بمثل اليوم .. المؤكد أن المتابع للموقف السياسى资料 العالمى، فيما بين قوى العالم الكبرى يمكن أن يتتأكد من أن الأمس ليس بمثل اليوم، وأن الوحدانية فى تراجع والأنفراد فى انسحاب، وأن ليس الغد بمثل اليوم .



هلف الولد

تجارة البشر

د. بركات محمد مراد □



كذلك فإن مخاطر المقاضاة الجنائية تكون ضئيلة في معظم الدول، حيث تشير الأرقام العالمية خلال عام ٢٠٠٤م على سبيل المثال إلى ٦٨٨٥ حالة مقاضاة فقط لم يتم الإدانة في ٣٠٢٥ حالة فيها. في الوقت

نفسه - كما تشير الدراسة - فإن العقوبات المقررة في هذا المجال ما زالت أقل بكثير من عقوبة الاتجار في المخدرات . أضف إلى ذلك عوامل أخرى تزيد من فرص انتشار تجارة البشر، وهي عوامل ترتبط بالضحايا أنفسهم، مثل الفقر والتمييز الجنسي والتفكك الأسري والعنف والصراعسلح والنزوح، وغيرها، كل هذه الأسباب تتدخل - وفقاً للدراسة -

٨٧

أدت إلى انتشار هذا النشاط المجرم الذي يعد انتهاكاً فاضحاً لحقوق البشر، حيث يتجاوز أثره السيئ الأفراد ليطول العائلات والمجتمعات والدول.

فالضحية في تجارة البشر تتعرض لآثار نفسية مدمرة وأشكال مختلفة من الإيذاء النفسي والبدني والعاطفي، كما تتعرض الضحايا للأمراض المنقولة جنسياً كالأيدز وغيره، ويعانون باستمرار من الخوف والتهديد بالعنف ضدهم، أو

أكدت دراسة علمية حديثة صادرة عن مركز دراسات اللاجئين بجامعة أكسفورد البريطانية أن تجارة البشر تعد ثالث أكبر نشاط إجرامي في العالم بعد تجارة السلاح لكنها تظل الأسرع نمواً، وأن أرباح استغلال النساء والأطفال جنسياً من خلال تجارة البشر تقدر بنحو ٢٨ مليار دولار سنوياً.

الدراسة صدرت في كتاب يحمل عنوان (الاتجار بالنساء والأطفال.. مكافحة تجارة الجنس غير المشروعة) والدراسة من إعداد هيذر مونتجمرى وزساري ساس كروبونى وروز إيفانز. وقد تولى معهد دراسات السلام التابع لكتبة الإسكندرية ترجمة الكتاب ونشره. وتشير الدراسة إلى أنه وفقاً لتقديرات منظمة العمل الدولية، فإن هناك نحو مليوني شخص يتم الاتجار بهم عبر الحدود سنوياً، أغلبهم من النساء والأطفال . علماً بأن أسباب الاتجار في البشر تتعدد وتتدخل بشكل معقد ومتناهٍ. ولعل أهم هذه الأسباب يتمثل في الأرباح الوفيرة التي تتيحها هذه التجارة في وقت قصير وبتكلفة إنشائية بسيطة.

تجارة البيض

الأربعين لأسباب كثيرة أهمها العنف والأمراض وقلة التغذية.

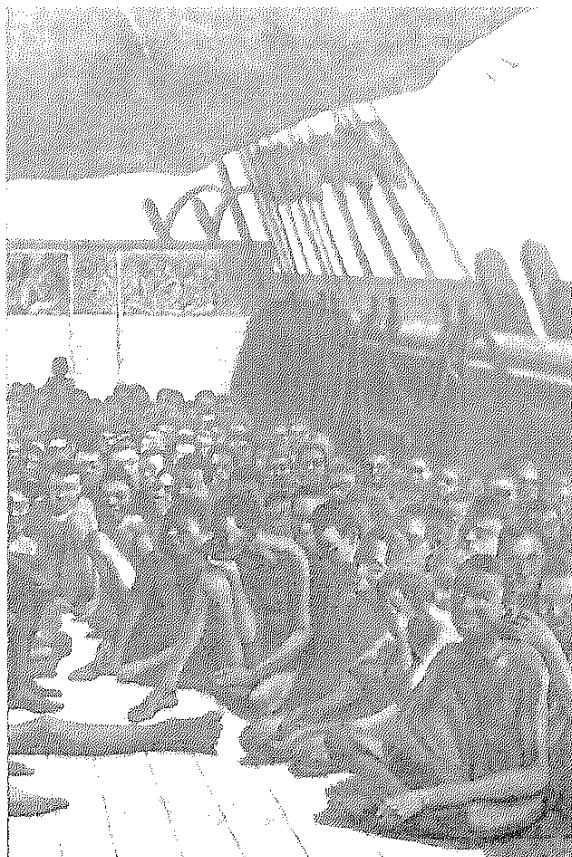
العبودية : أشكال جديدة : وعموماً ما زال الكثيرين يعتقدون أن العبودية ظاهرة مضى عليها الزمان، وتستمر مجرد صور أليمة من الماضي . ففرنسا على سبيل المثال أصدرت عام ١٨٤٨ قانون يحرم العبودية، وأبعد من ذلك، ما زلت نستعيد صور العبيد في حقول القطن الأمريكية في القرن التاسع عشر ... في هذه الفترة - يقول "مايكيل دو تريديج" المدير السابق لمؤسسة "محاربة العبودية" التي أنشئت في العام ١٨٣٩م، أن أصحاب الحقول كانوا يعمدون إلى شراء العبيد من "القراصنة البيض" وإجبارهم على العمل في أقسى الظروف.

أما اليوم فقد اتخذت العبودية أشكالاً أخرى ليس أقلها أن يرهن الإنسان كل حياته لتسديد ديون تراكم عليه من قواد إلى آخر، "أملاً بحياة أفضل"، يضيف دو تريديج : "إذا كانت مثل هذه العبودية إلى ازدياد بنسبة عالية، سنة تلو أخرى، فذلك دليلاً على ارتفاع نسبة المحررمين والبؤساء في العالم".

تقوم مؤسسة "محاربة العبودية" في أحد أحياط لندن، هادئة بلا روح، تعلو جدران مكاتبها المتعددة صور لعدد من العبيد الجدد : عمال من غرب إفريقيا، أطفال باكستانيون وتايلاندون لا يتعدى عمر الواحد منهم ست سنوات يُخطفون ليتم بيعهم في الأسواق والأوروبية، إما لتأدية أعمال قاسية صعبة أو لممارسة أعمال بفداء شاذة بناء لطلب مئات

ضد عائلاتهم أو أصدقائهم، كما أن الضحية كثيراً ما يتم بيعها عدة مرات، وهو ما يضاعف من الآثار السيئة.

وكمثال صارخ على ذلك ما نجده من بيوتات تكثر على طريق "فوكلاند" في مدينة بومباي الهندية . في النهار والليل تعرض الفتيات إغراءاتهن على مداخل أفواصهن، وكثيرات منهن كن ضحية القوادين، كما أن الكثيرات جرى بيعهن من قبل ذويهن أو أزواجهن. وهناك حوالي ٥٠٠ ألف بائعة هوى في المدينة ونصفهن يعملن على طول الطريق الذي يصل بين نيبال ويومباي (٦٠٠ كلم)، وحيث سرعان ما يفقدن حياتهن قبل بلوغهن





والدعاة وغيرها من الأعمال الفدراة.

ذلك ان عصابات التهريب، تعمد من فتره إلى أخرى إلى رفع أسعارها، ما يفرض على عشرات ألف البؤساء، تمضية سنوات طويلة في أعمال كادحة لتسديد ديونهم، غالباً ما يعذرون، خصوصاً أنهم يعملون بالتهريب، وبالطريقة التي دخلوا بها، وهم في جميع الحالات مطاردون من القوات الشرعية والعصابات على السواء.

٤٩

جـ ١
بـ ٢

الإنترنت وبيع الأطفال : قال سارتر ذات مرة "الإنسان يكتب ليحذر". الجريمة وجدت على الأرض منذ وجد الإنسان، وتتنوع أشكالها وأدواتها تكاثرت مع تعدد الحضارة البشرية، وتزايد الابتكارات العالمية، فمع اكتشاف الزراعة ظهرت جرائم حرق وإغراق المزروعات، وسرقة

الرأسماليين الذين يتوزعون القارة الأوروبية وبعض الشرق الأقصى، وهناك العديد من المستثمرين في غابات الأمازون الاستوائية الذين يستخرون آلاف العمال الفقراء في الهند يعملون في القطاع الزراعي، فقط لسداد دين تعود إلى أيام آجدادهم وأبائهم، وحيث جرت العادة أن ينتقل الدين من الآباء إلى الأبناء فالاحفاد، وبذلك تنتقل العبودية من جيل إلى آخر.

العبودية والعولمة : انطلاقاً من هذه الحقائق تشهد حركة التجارة البشرية وعباديتها فيما بعد ازدهاراً كبيراً، وإذا تمكنت العولمة من تسهيل حركة الصادرات والواردات، وأيضاً التبادل المالي، فإن تجارة الرقيق تسير في خط معاكس تماماً. فعندما يحاول ملايين البوسae حول العالم تحسين أوضاعهم المعيشية المزرية بالانتقال إلى الدول الغنية : أكان ذلك بالطرق الشرعية، وتحديداً الهجرة، أم بالطرق الملتوية الدخول خلسة، فإنهم يصطدمون بعواقب وحواجز أخذت بالتزايد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في كل من نيويورك وواشنطن. ذلك أن الدخول الشرعي لم يعد متيسراً إلا للمقتدرین مالياً، وهؤلاء أكثر من واحد بالمئة من المهاجرين، في حين أن الأكثرية الساحقة التي تحاول مغادرة بلادها إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وكذا واستراليا، فإنها غالباً ما تقع ضحية شبكات عصابات التهريب التي سرعان ما تحولهم إلى عملة المقايضة بين هذه الشبكة أو تلك يصعب الفكاك منها، مما يجعلهم عبيداً في أسواق النخاسة

تجارة المسر

والعجب أن شبكات استغلال الأطفال

في الدعاية تجد حماية رفيعة المستوى في بعض الدول، بل يمكن ان نقول أن تلك الشبكات تحولت إلى شركات متعددة الجنسيات من حيث انتشارها وقوتها، فقد أصبحت صناعة كونية، وسهل ذلك التكنولوجيا الجديدة من كاميرات فيديو منزلية وإنترنت والتي يقدم فيها مئات الآلاف من الملفات عن الاستغلال الجنسي للأطفال، وإذا كان الهدف النهائي لتلك الشبكات هو استغلال الأطفال جسدياً بغير الكسب المادي (في إيطاليا وحدها تحقق دخلاً يزيد على ٢ مليارات دولار في السنة)، فإن ذلك يسبق جرائم خطف واغتصاب وقتل الأطفال والتمثيل بإنسانيتهم لإشباع شهوات شاذة، تمثل مجتمعة جرائم شاذة ومهينة ضد المجتمع الإنساني.

وهناك أكثر من عشرة ملايين طفل في العالم يتم تقييدهم في تلك الشبكات، وفي كل عام يدخل تلك الشبكات حوالي مليون طفل جديد من قارة آسيا وحدها، حيث يتم اغتيال طفولتهم، ونشر إعلانات عنهم في الإنترت، وتشغيلهم في هذه الشبكات مستغلين الظروف الاقتصادية المتدهورة في دول العالم المتخلف.

لقد عَظَمت الإنترت تلك التجارة البشعة، ودعمت خطوط مواصلاتها، فخريطة العالم لحركة الموصلات تظهر العالم وهو محاط بحلقات صناعة وتجارة الجنس التي يستغل فيها الأطفال، ومن الخريطة رصد أحد الباحثين المناطق المصدرة لهذا النوع من التجارة فكانت:

المواشي وتسميم الحيوانات، وبعد اختراع السيارة ظهرت جرائم سرقة السيارات، وعندما جاء التليفون ظهرت جرائم الخداع والمضايقات عبر الهاتف، وبعد اختراع الطائرات، ظهرت جرائم اختطاف الطائرات، ومع ظهور الإنترنت، ونموها السريع وانفجاس عشرات الملايين في نشاطاتها المعلوماتية والتجارية والترفيهية، وجه البعض نشاطاتهم الإجرامية إلى هذه الشبكة العالمية، وهو أمر طبيعي فالجريمة موجودة في أي مجتمع، مهما كان صغيراً، فما بالك بمجتمع الإنترت الذي تجاوز عدد مواطنيه مئات الملايين.

والجرائم التي تدور عبر الشبكة متعددة، وتتراوح بين الجنح الصغيرة والجرائم الخطيرة، منها الاحتيال واستغلال الآخرين حيث، سهل البريد الإلكتروني بعض أنواع الاحتيال، نظراً لسرعة وسهولة إرسال الرسائل، وقد تعددت الأجناس والأنواع من الجرائم المختلفة والتي تتم الآن عبر الإنترت، وليس آخرها جريمة بشعة هي تجارة الأطفال لأغراض الجنس، والتي لها عدة صور منها:

- ١- دعاية الأطفال، وهي تجارة الاستغلال الجنسي للأطفال.
- ٢- التجارة وبيع الأطفال لأغراض جنسية.
- ٣- بورنو جرافيا الأطفال Child Pornography وهي استخدام الطفل كمادة للصور والأفلام الداعرة.



٥- أمريكا اللاتينية : تزداد فيها تجارة الجنس، خاصة البرازيل وجمهورية دومينican، حيث يتم تصدير الأطفال إلى أوروبا الغربية والشرق الأقصى.
وإذا انتقلنا من منابع خطوط مواصلات تجارة الجنس إلى المناطق التي تصب فيها، نجد أنها ثلاثة مناطق رئيسية : المنطقة الأولى : الولايات المتحدة الأمريكية، وتصب فيها التجارة القادمة من تايلاند والفلبين بصفة أساسية . المنطقة الثانية : أوروبا الغربية تصب فيها روافد قادمة من دول أمريكا اللاتينية وأوروبا الشرقية وتايلاند وغرب إفريقيا. المنطقة الثالثة : استراليا ونيوزلانيا لها روافد من تايلاند والفلبين.
 طفل للبيع : وامتداداً لهذه التجار البشعة، أصبح للأرحام سوق تجارية -

١- أوروبا الشرقية التي أصبحت بديلاً للشرق الأقصى لأنخفاض تكلفة النقل إلى الدول الغربية، خاصة بعد المذابح في البوسنة والهرسك.

٢- تايلاند : وهي مركز رئيس لتلك التجارة منذ زمن طويل، وهي ملتقي لكل المفاسد والشذوذ وليس لاستغلال الأطفال في تجارة الجنس فقط، وهي محور أيضاً لتقديم الخدمات الجنسية للعالم حيث تقطن فيها خطوط تلك التجارة.

٣- منطقة غرب إفريقيا : هي مركز رئيس لتصدير الفتيات الصغيرات للغرب.

٤- منطقة النيبال وبنجلاديش: تصدر أطفالها أولاً إلى الهند، ومنها يتم التصدير إلى الخارج، وفي سيريلانكا يتم استغلال الأطفال والصبية والخدم في أعمال الدعاية.

تجارة البُشَرُ

الضحية، ولكن القصة وصلت إلى مسامع وزير الصحة الإيطالي "كوزتارنت ريفات" وصلته في تقرير من الدكتور "لويجي رانا" رئيس المجلس الإيطالي لاستشارات الحمل، فأوصى بإغلاق بنوك الحيوانات المنوية الخاصة في البلد . وعلق الدكتور "لويجي لارانا" على هذه البنوك: "إنها منطة ولا تتحمل المسئولة، وقضية المرأة ذات الطفل الأسود تبرز المخاطر التي تتطوّر عليها، وهي مخاطر تتعلق أساساً بأمانة الطبيب واحتياطات التجربة".

ويقول الدكتور "سمير غوبية": "عندما يتأنّى المرء فكرة تأجير الأرحام (أو الأمهات بالوكالة) يكتشف أن هذه الفكرة تتنافى مع كل الدعوات لتكريم المرأة وصيانتها من (الابتذال بالتعامل معها كالبهائم القادرة على الحمل والإنجاب، مما يحمل الكراهية الاجتماعية والدينية)، فشراء جسد المرأة وتأجير الرحم إلى فترة معروفة، يحمل معه مضاعفات جسمية ونفسية للأم. وإن هذه الفكرة ستكون مدخلاً لكثير من الشرور، وذلك بسبب تسابق كثير من الأمهات اللاتي يعانين من الفقر إلى تأجير أرحامهن، وينتّج عن ذلك احتراف بعض الأمهات لهذه المهنة، كما هو الحال في الاتجار ببيع الدم، وهو في الواقع ما حدث بعد إنشاء وكالات التلقيح الصناعي، والتي تمارس نشاطها على أوسع نطاق في الخارج. وما يسهل هذه الجريمة، سعي وكالات الأم بالوكالة أن يظل الطرفان الأم بالوكالة والأبوان صاحبا الجنين مجهولين، فلا يعرف في كل منها الآخر، وذلك إمعاناً في التضليل

بعد تقديم عمليات إخصاب اطفال الأنابيب ونجاحها في العقود الأخيرة . وضمن هذه الاتجاهات المتطرفة تم افتتاح أول وكالة دولية أوربية لتأجير أرحام السيدات في مدينة فرانكفورت في ألمانيا الغربية، وقام بتأسيس هذه الوكالة محام شاب يدعى "نويل كوين" وكان هذا المحامي قد أسس وكالة مماثلة في ولاية ميشجان الأمريكية منذ عشر سنوات.

تقول مديرية الوكالة الأوربية الجديدة "هاتيلور سيلر": "إن الوكالة ثقت ١٢ طلباً خلال اليومين الأولين بعد الافتتاح، وتضييف بان رسوم تأجير الرحم تبلغ حالياً ٢٠ ألف دولار توزع كالتالي : ١٠ آلاف دولار لمجزرة الرحم، ١٥ ألف دولار للوكالة، ٥ آلاف دولار مقابل مصاريف الولادة والمصاريف الثانوية".

وقد تكشفت بعض المأسى لهذه الوكالات الغربية، مثل تلك الشقراء التي أنجبت طفلاً أسود من زوج أبيض، وهي حكاية "سيودرا روزيتا" تلك السيدة التي عانت من حرمان الإنجاب، وبعد موافقة زوجها الذي يعاني من العقم قررت أن تجرب التلقيح الصناعي في بنك خاص للحيوانات المنوية في نابولي، ونجحت التجربة، وكانت السيدة روزيتا سعيدة عندما أصبحت حاملاً، حتى أنها أخذت تخطط للمستقبل بالاشتراك مع زوجها، لكن الولادة جاءت (صدمة) غير عادية لروزيتا وزوجها، فالطفل كان (أسود) وحاول المسؤولون عن التجربة، كتمان



ليتوجه إلى جنوب بلغاريا على سبيل المثال بهدف شراء بعض الفتيات نقدا، حيث يصل ثمن الفتاة في هذه المنطقة إلى ألف يورو، إنما بقليل من المقابلة يمكن شراء فتاتين بالسعر نفسه، خصوصا إذا تمت عملية البيع والشراء، يومي السبت والأحد، على اعتبار أن أكثر هذه العمليات تتم في العطلة الأسبوعية بعيدا عن عيون الشرطة والأجهزة الأمنية.

ومن النكدي إلى الحالات المصرفية التي تعتمدها شبكات التهريب الكبرى، خصوصا إذا تمت العملية بين دولتين متبعتين، وبهذه المعاملة يكفي أن يطلب أحدهم فتيات من موسكو لتصل (الطلبية) عن طريق رومانيا مثلا ما يفيد أنه ليس من الضروري أن يعرف الشارى البائع شخصيا حتى إتمام الصفقة، وما على المستورد سوى تحديد شروطه من خلال الهاتف أو الفاكس أو أى وسيلة أخرى:

والخداع، وتسهيله في الواقع في المحرمات وأولها حرمت المصايرة بسبب الأمومة بالوكالة.

شبكات متعددة الجنسيات : وسط هذه الفوضى العارمة، يبدو من الصعوبة البالغة ملاحقة عشرات آلاف عصابات التهريب المنتشرة من أدنى العالم إلى قصاه وهذا ما أكدته عالم الاجتماع اليوناني البروفسور "غريفورى لازوس" فى دراسة أخيرة أصدرها، ويكشف العلاقة الوطيدة والمترادفة بين تجارة البغاء وال العبودية.

" ومن الضروري بمكان الفصل بين أفراد يتاجرون بالبغاء وشبكة كبيرة ينضوى تحت لوائها عشرات العصابات ووكالاتها ومواقعها على الإنترنت وحساباتها المصرفية..." يقول "لازوس" ويضيف : "يمكن لكل صاحب بار واحد أو أكثر في اليونان أن ينتدب سمسارا له

تجارة البشر

والشابات للعمل في البغاء، أو في بعض المؤسسات الصناعية، بأسعار رخيصة جداً، في دول الاتحاد الأوروبي، وتبين لاحقاً أن زوجته اليابانية الأصل كانت تؤمن له وسيلة الاتصال مع الشبكات المماثلة في العديد من الدول الآسيوية، خصوصاً الصين.

وقد حق الزوجان ثروات طائلة من خلال فتيات كردية، وعراقيات، وإيرانيات، ومن كل البلاد التي يعاني مواطنوها من أزمات اقتصادية ومعيشية بفعل البطالة والتضخم وارتفاع الأعباء، وحيث تبدو استعدادات هؤلاء لكل التضحيات لتحسين مداخيلهن، وهم في واقع الحال يجهلون مصيرهم الأسود في البارات والنوادي الليلية وبيوت الدعارة.

وتكشف التقارير عن أرقام مذهلة، ففي تسعينيات القرن العشرين تمكنت شبكات المافيا والتجار الصغار من (تصدير) ٢٥٠ ألف فتاة في السنة الواحدة إلى دول أوروبا الغربية انطلاقاً من منطقة تريستا في إيطاليا، وحيث كانت القوافل تتطلق ليلاً عبر الجبال العالية والغابات المعتمة عند حدود سلوفانيا.

وإذا كانت تلك الدروب تصل ما بين عدد من الدول الفقيرة الدخل والمصادر، فإنه على بعد آلاف الكيلومترات منها تزداد يوماً بعد يوم قوافل الهاربين من دول أمريكا الوسطى إلى الولايات المتحدة، وحيث تنتظرون العبودية أيضاً بأبشع أشكالها ومظاهرها.

الضحايا نساء وأطفال : وتفيد الدراسة "الاتجار بالنساء والأطفال" والتي

اللون، الطول، الجنسية، العمر .. وقبل هذا وذلك الأعداد المطلوبة من الفئة الأولى أو الثانية أو الثالثة.

ويكشف عالم الاجتماع اليوناني عن أرقام مذهلة وصادقة تفضح حجم تجارة الرقيق والبغاء في اليونان "خلال الفترة ١٩٩٠ - ٢٠٠٠م تعددت الأرقام ٥ و ٥ مليارات يورو، وكان نصيب العاملات لحسابهن الخاص، وغالبيتهن يونانيات، ٥ ١ مليار يورو". وما فرضه العالم في دراسته الإحصائية - على ما يذكر الباحث البير خوري - حول شبكات التجارة الشاذة لم يفاجئ السلطات اليونانية، ولا أيضاً منظمة "تجارة العبودية" التي جندت أعداداً كبيرة من عملائها لللاحقة عمليات التهريب والبيع انطلاقاً من مرفاً تريستا التي تعتبر بوابة البلقان إلى شمال إيطاليا، حيث تم اعتقال جوزيب لانكارك، وهو سائق سابق من زغرب (كرواتيا) تحول بسرعة قياسية إلى صاحب ومدير شركات طيران عدة في كل منألبانيا ومقدونيا، بتهمة تهريب آلاف الشباب

٩٤
٦-٣-٢٠١٧





العملة الرخيصة أو الاستغلال الجنسي يبلغ نحو ٢ و ١ مليون طفل.

وفي حالات الحروب ينخرط الكثير من الأطفال في الصراعات عن طريق تجارة البشر أيضا، حيث يشتركون في القتال، أو يتم تجنيدهم ليصبحوا رسلاً أو جواسيس أو طهاة للطعام أو حراساً أو عناصر للخدمات الجنسية، وفي بعض الأحيان يتم إجبارهم على ذلك مقابل الطعام أو المأوى أو تأمين خروجهم ونومهم من مناطق الحروب.

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ اتخذت السلطات الأمريكية المزيد من التدابير الأمنية خصوصاً عند الحدود بين المكسيك والولايات المتحدة، ما ضاعف أسعار عمليات التهريب من ألف يورو للشخص إلى ألفين، وفي بعض الأحيان إلى ضعف هذا المبلغ، الأمر الذي ضاعف وبالتالي إمكانيات استعباد "الفارين" من قبل العصابات والسماسرة.

هي من إعداد مونتجمرى وزوسادى ساس وروفز إيفانز" أن نسبة ٩٨ % من ضحايا الاتجار في البشر هم من النساء والفتيات والأطفال، وتقدر المنظمة الدولية للهجرة عدد النساء اللاتي يعملن بالدعارة من خلال الاتجار بالبشر بنحو نصف مليون امرأة سنوياً، وذلك لأسباب عديدة أهمها انتشار العنف والتمييز ضد المرأة عالمياً ونقص التعليم بما يؤدي بدوره إلى قلة فرص العمل المناسبة وهو ما يجعل النساء أكثر عرضة للانخداع بوعود تجار البشر الكاذبة.

والأطفال في بعض الأحيان يكونون أكثر عرضة للوقوع ضحايا لهذا النشاط أكثر من البالغين لاسيما عندما تعانى العائلة من الفقر الشديد، عندئذ يتحول الطفل إلى سلعة، ووفقاً لتقديرات صندوق الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) فإن عدد الأطفال تحت سن ١٨ سنة الذين يتورطون في تجارة البشر سنوياً بغرض

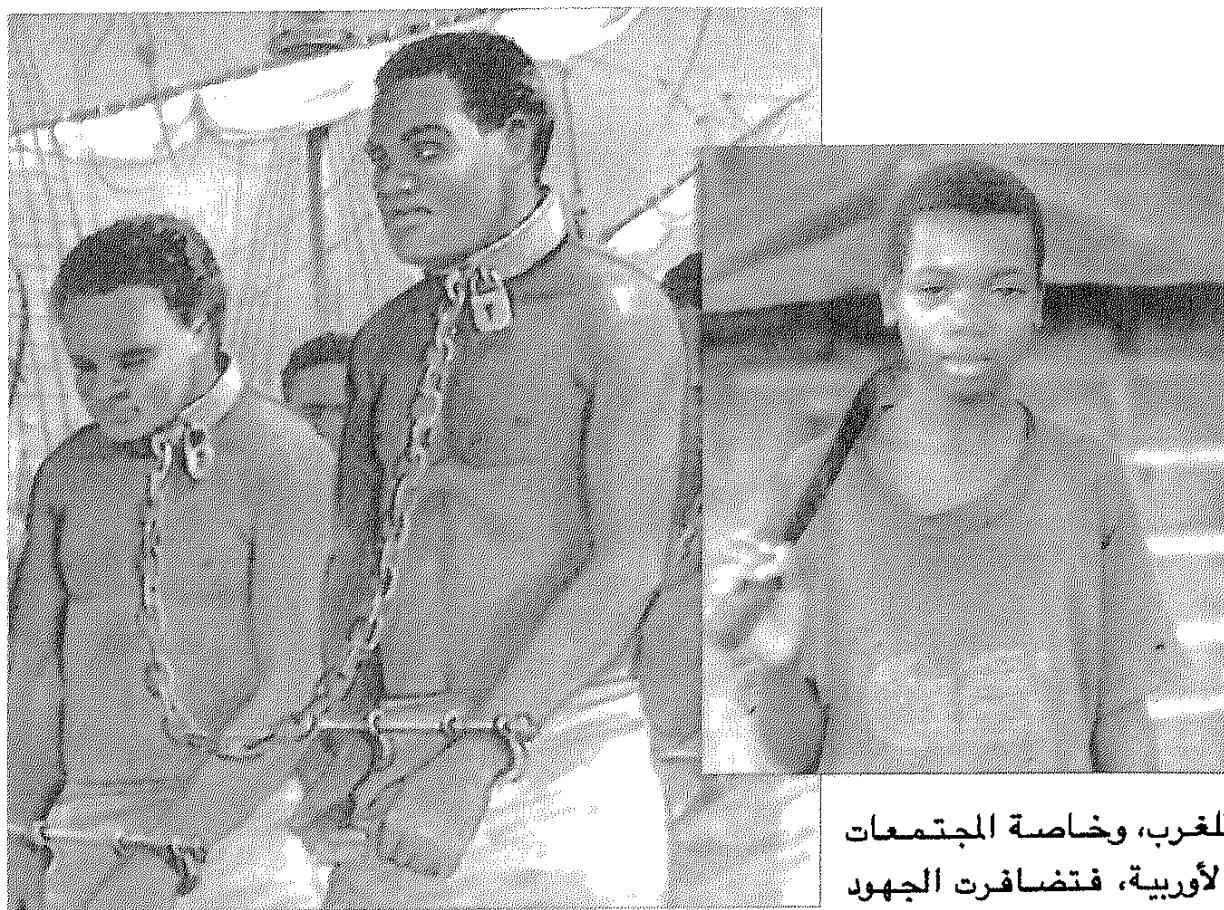
تجارة البشر

الأولى لظهور الولايات المتحدة، ومن يمكن من الفرار، عندما تسنح له الظروف، فإنه سرعان ما يُستعاد بالقوة حتى يفوي ذويه الكبيرة. وحتى تجمل الولايات المتحدة من هذا الوجه القبيح من الاستغلال والذي استمر طوال عقود عديدة، تحاول الآن أن تقيم حائطاً عالياً على الحدود بينها وبين جارتها المكسيك في الجنوب المصدر الأرخص والأساسي للأيدي العاملة الفقيرة.

وفيمما يتصل باستغلال الأطفال في الدعارة، إذا لم توقف تلك الظاهرة فسوف تطول أطفال العالم الثالث وأوروبا الشرقية، بل ستتمتد إلى دول غيرها، سوف تهان أدمية الأطفال فيها . وما كشفته عن تجارة أطفال في أوروبا الشرقية (١٠٠ ألف طفل يتم استغلالهم في أعمال منافية للآداب في أوروبا الغربية) وكان صدمة

ويتأكد ذلك في بلدة إيموكالي في فلوريدا حيث يجتمع يومياً مئات العمال المكسيكيين بين رجال ونساء بحثاً عن العمل في المزارع لقاء أجور زهيدة، ولشدة المأساة المتعاظمة تمكّن هؤلاء أخيراً من تأسيس تجمع للدفاع عن حقوقهم وتحسين أوضاعهم، ونظراً لافتقارهم الأوراق الثبوتية، فإن القوانين لا تراعي أوضاعهم، وحيث لا يتعدى مدخل الفرد منهم ٧٥٠٠ يورو في العام يدفعون ثلاثة أرباعها رشاوى لرجال الأمن مقابل السماح بالبقاء، ومثل هذه الحالة تضع عشرات آلاف المهاجرين والمهاجرات أمام مصير لا فكاك منه : أعمال شاقة لقاء لقمة العيش والنوم في أكواخ بدائية .. أي العودية إلى عصور العبودية في العقود





للغرب، وخاصة المجتمعات الأوروبية، فتضافرت الجهود لعقد المؤتمرات وسن القوانين

واتخاذ الإجراءات الكفيلة بوقف تلك التجارة والحد منها، والغريب أن نفس القضية تفجرت من قبل في آسيا خاصة بالفلبين وتايلاند والهند . ولم يتحرك الغرب ولم يهتز العالم ولم تعقد المؤتمرات، لأنه ببساطة كان المستورد الأساس للأطفال المستغلين من تلك الدول الفقيرة، وحين اكتشفت الدول الغربية - حيث كل شيء ممكن وكل شيء يمكن شراؤه حتى أجسام الأطفال - أن المرض مستفحلاً داخل أوروبا الشرقية، هنا ثار الغرب وعقد الندوات والمؤتمرات، وأقر أنه نقطة سوداء في سجل الإنسانية.

وفي إطار محاولة البحث عن حلول عالمية للظاهرة، تشير الدراسات إلى أنه قد تم تبني العديد من الاتفاقيات والوسائل القانونية بهدف إلغاء تجارة البشر وحماية

الضحايا، كما يجري العمل حالياً من خلال العديد من المبادرات لدعم التشريعات الوطنية ومقاضاة تجار البشر بشكل مكثف، والعمل على زيادة وعي الحكومات والمنظمات غير الحكومية والأفراد بالقضية، ولكن على الرغم من بعض التطورات الإيجابية، فإنه مازالت هناك معوقات تتمثل في غياب المراقبة والتقييم والتشريعات المتضاربة، والدول الضعيفة، وغياب التنسيق بين السلطات والتدريب غير الكافي والأهداف قصيرة المدى والبرامج ضيقة الأفق في مواجهة المشكلة، وبشكل عام فإن الاتجار بالبشر يعد مشكلة عالمية والتغلب عليها لا بد له من تعزيز جميع القطاعات بالمجتمعات المختلفة حرصاً على كرامة النساء والأطفال وضمان حصولهم على العدالة.

المصريّة الـلـبـانـيـة ..

مِنْ حَسْنَاتِ الْكَافِرِ وَلَا مُنْفَعٌ لَهُمْ

د. سعید اسماعیل علی

بدرجات تبدأ من الإعجاب
الشديد ، إلى الحب ، إلى
العشق ، فمن هؤلاء : الشاعر
إسماعيل صبرى ، ولى الدين
 يكن ، مصطفى صادق الرافعى
 ، عباس محمود العقاد ، أحمد
 لطفى السيد ، أنطون الجميل ،
 أمين الريحانى ، شبلى شمائل ، يعقوب
 صروف ، جبران خليل جبران .
 لكن ، من هى تلك التى استطاعت أن
 تأسر قلوب هذه الكوكبة من الأدباء
 والمفكرين ؟

كان إلياس زخور زيادة لبنيا
مارونيَا من بلدة «شحتوُل» إحدى بلدات
كسروان بـلبنان ، وأراد الرجل أن يسعى
وراء رزقه ، فانتقل إلى مدينة السيد
المسيح «الناصِرَة» ليعمل معلما بمدرسة
أولية ، وهو مستوى من التعليم يقع في
نطاق المرحلة الأولى ، اشتهر بأنه تعلم
القراء ، ثم تعرف الرجل إلى فلسطينية
أرثوذكسيَّة تسمى «نَزَهَةِ مَعْمَر» ، فأعجبَ
بها وتزوجها ، وأنجب منها في عام
١٨٨٦ ، أو ١٨٨٥ في أقوال أخرى ،
«ماري» ، أدَّيتنا موضوع المقال ، التي

هي الأديبة الشهيرة «مى زيادة» التي لم يصل إلى مكانتها أحد قبلها أو بعدها في الاستحواذ على هذا العدد الكبير من الأدباء والمفكرين في مصر خاصة ، عربا أو مصريين ، إلى الدرجة التي جعلت كثيرون يرونها كأعلى دار

كثيرين - ومنهم كاتب هذه السطور -
عندما يكتبون عنها لا يستوقفهم من
حياتها إلا هذه الزاوية بصفة خاصة ، مع
أنها كانت صاحبة كتابات أدبية إبداعية
عده ، شعراً ونثراً ، وكانت صاحبة
دراسات أدبية نقدية ، فمن إبداعاتها :
- ظلمات وأشعة ، مجموعة من
الشعر المنثور ، عام ١٩٢٢ .

- سوانح فتاة ، مجموعة خواطر
وآراء في الحياة ، عام ١٩٢٢ .
ومن دراساتها : كتابها عن كل من
باحثة الbadia ، ملك حفني ناصف ،
وعائشة التيمورية ، حيث أخرجتها
الكاتبة المعروفة صافى ناز كاظم فى أحد
أعداد سلسلة كتاب الهلال (يونيه ١٩٩٩).
ويدهش الإنسان حقاً عندما يتأمل
فى قائمة من استثنى بقلوبهم وعقلهم



هي زيادة للفنانة سهام وهدان

منه مجموعة باللغة الفرنسية ، سميיתה (أزهار الحلم) ونشرتها بإمضاء (ايزييس كوبيرا) عام ١٩١١ ، بعد أن نزلت مصر مع والدى ، وكانت هذه المجموعة أول كتاب صدر لي في عالم التأليف .

في سماء الفكر

وعندما هاجر إلياس زيادة إلى مصر عام ١٩١١ ، كانت مصر هي ذلك الصدر الذي وسع عدداً غير قليل من مفكري الأمة العربية الذين عانوا من التضييق عليهم ، سواء لأسباب سياسية أو اجتماعية أو دينية ، ومن حسن حظ مصر حقاً ، بل ومن حسن حظ العروبة عموماً أن عدداً من هؤلاء المهاجرين استطاعوا أن يغرسوا في مصر مراكز إشعاع حضاري في مجالات شتى ، ويكفى أن نشير فقط إلى ثلاثة منها ألا وهي : الأهرام التي أنشأها جيرائيل وبشارة تقلا ، ودار الهلال التي أنشأها جرجي زيدان ، والمقتطف والمقطم ، التي أنشأهما يعقوب صروف وفارس نمر.

وإذا كان إلياس زيادة قد جاء إلى مصر مدرساً مغموراً ، إذا به يصبح صحيفياً لاماً ، وبهدي إلى مصر وإلى العروبة نجمة لمعت في سماء الفكر والثقافة .

كانت جريدة المحروسة ، فيما تروى صافى ناز كاظم ، قد أسسها سليم نقاش وأديب إسحاق في عهد الخديو إسماعيل ، ثم انتقلت إلى إدريس باشا راغب الذي منحها إلى والد أديبتنا ، خاصة وأن مى كانت قد علمت ابنتى صاحبنا الباشا

اختصرت اسمها فيما بعد بحذف كل من الألف والراء ليصبح «مى» ، وقضت مى طفولتها في هذه المدينة العريقة والتي كانت بالنسبة لها ، كما كتبت «مدينة الأزاهير العذبة ، ومجال التنعم بأطيب الأوقات».

ويرى البعض أن اختيارها لاسم مى إنما هو لسببين ، أولهما أنه أخف وأقرب إلى العربية ، وإن كنا لا نلمس في اسم «مارى» صعوبة ، فهو اسم شائع ومعروف في العربية ، لكن ربما كان السبب الثاني معقولاً بعض الشئ ، وهو أنها مثلت في بدء حياتها مسرحية كان اسمها فيها «مى» ، وإن كان هناك من يؤكدون أن داود بركات الذي كان رئيساً لتحرير الأهرام هو الذي غير اسمها من مارى إلى مى ، وكان أنطون الجميل يلقبها بـ «بيبي» - الرضيع - ويوقع بلقب «فوتر بيبي» - أي الرضيع الآخر !

ثم انتقل الأب إلى قرية «عنيطرة» ببلنان ليواصل العمل بالتدريس ، ثم في بيروت نفسها ، وقد ولد لها أخ لم يعمر طويلاً ، لكن وفاته تركت أثراً نفسياً مؤلماً لدى أديبتنا الشهيرة .

وتمكنـت مـى من تـعلم الفـرنـسيـة وإجـادـتها فـى لـبنـان عـلـى يـد بـعـض الـرـاهـبـات ، وـقـد أـتـاح لـهـا هـذـا قـرـاءـة وـحـفـظـ العـدـيدـ من أـشـعـارـ عـدـدـ من شـعـراءـ الروـمـانـسـيـةـ الفـرنـسيـينـ مـثـلـ لـامـارتـينـ وـدـىـ مـوسـيـهـ ، وـحـرـصـتـ عـلـىـ جـمـعـ وـتـدوـينـ هـذـاـ الشـعـرـ ، بـلـ وـحـاـوـلـتـ أـنـ تـنـظـمـ الشـعـرـ ، وـعـنـ هـذـاـ كـتـبـتـ تـقـولـ: «ـهـنـىـ اـجـتمـعـ لـىـ



عباس العقاد

إسماعيل صبرى

مصطفى عبد الرزاق

نجومه أساطير في اللغة والأدب ، فكان أن نصحها بعض القريبين منها بدراسة اللغة العربية ومطالعة الكتب العربية الفصحى ، وشرعت في ذلك بالفعل حتى شعرت بأنها قد تمكن من العربية ، وقد روت مى للطناحى أن أحمد لطفى السيد نصحها عام ١٩١٤ بأن تتلو القرآن الكريم ، على الرغم من مسيحيتها ، حتى يمكن أن تقف على قدميها في اللغة العربية لما هو معروف من فصاحة الأسلوب القرآني وبلاغته ، ولما اعتذرت بأن ليس لديها نسخة منه ، وعدها أستاذ الجيل بإرسال نسخة لها ، ووفى بهذا الوعد ، مع كتب عربية أخرى ، وأقرت أديبتنا بما لمسته بالفعل في القرآن ، «من روعة جذابة ساعدتني على تنسيق كتاباتي» ، وليت بعضاً من يفرزون من الدعوة إلى تعليم أجزاء من القرآن في سنوات التعليم الأولى ، ويعتبرون ذلك «رجعية» و«سلفية» و«ردة» إلى الوراء ، ينظروا بعين الاعتبار إلى هذا المثال ، وهناك غيره مما يضيق المقام عن الإشارة

١٠١

اللغة الفرنسية ، وإن كان الكتيب الذى صدر عن مى (إعداد لجنة الرواد والمشاهير بإشراف د. روف سلامة موسى ، وراجعه الأستاذ وديع فلسطين) يذكر أن الذى كان مالكاً للمحروسة عندما اشتراها إلياس هو «عزيز الزند» ، ولا نستطيع البث في هذه القضية تاركين للعارفين بتاريخ الصحافة هذه المهمة ، حيث أننا لا ندعى العلم المعمق والدقيق به .

يوميات فتاة

وكان من شأن اشتغال إلياس بالصحافة أن أخذ الوضع المالى للأسرة يتحسن إلى حد كبير ، فضلاً عما أثارته له ولابنته من التعرف على عدد كبير من أقطاب مصر في السياسة ، والفكر والثقافة ، إذ أصبح لمى باباً ثابتاً تحرره في المحروسة بعنوان : «يوميات فتاة» ، إلى جانب بعض المقالات في الشؤون الأدبية والفلسفية .

وشعرت مى بأن لغتها العربية ليست بدرجة مرضية في وسط ثقافي كان

الصعب تصور الاختلاف إلى هذا الحد، ويبعد أن في أحدهما خطأ مطبعياً . وشكلت هذه الوفاة صدمة عنيفة لم حيث كان والدها يشجعها على ارتياح واقتحام عالم الصحافة والفكر والصالونات ، بينما كانت أمها ، على العكس من ذلك ، حاثة لها على التفكير في الزواج وتكونين أسرة ، والابتعاد عن عالم الأضواء الأدبية ، ثم ما لبثت الأم أن لحقت بالرفيق الأعلى لتصبح مى وحيدة بغير أب أو أم أو أخوة ، فكان لهذه الوحدة أثر الحصار الذي يلتف حول النفس التكافف حبل حول العنق ، يكاد يختنقها ، على الرغم من كل ما كان حولها من أضواء وعالٍ مزدحم بنجوم وكواكب مضيئة ، لكنه الشعور بالوحدة الداخلية الذي يمتلك أى شعور بالفرح والسعادة ، إلى الدرجة التي جعلتها تردد مع ابن الفارض قوله:

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى
ونور ولا نار وروح ولا جسم
ويطرب من لم يدرها عند ذكرها
كمشتاق ، نعم كلما ذكرت نعم
على نفسه فليبك من ضاع عمره
وليس له فيه تصيب ولا سهم .

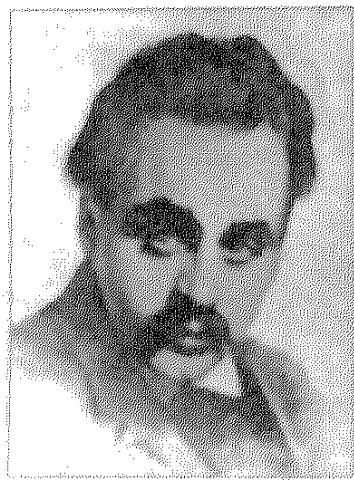
وبعد أن كانت مى محصورة كتاباتها في المحروسة ، أخذت تكتب في غيرها كذلك ، وفي مقدمة مجالات النشر: ، جريدة الأهرام ، ومجلة الزهور التي كان قد أصدرها أمين تقى الدين وأنطون الجميل ، وكتبت كذلك في المقتطف والهلال ، بل وكانت تشرف على صفحة التسويات في السياسة الأسبوعية ،

إليه.

هذا بالإضافة بطبيعة الحال إلى لغات أجنبية كانت تجيدها مثل الفرنسية والإنجليزية وأربع لغات أخرى ، وإن كان هناك من يشك في إجادتها لكل هذه اللغات ، لكن من الثابت ترجمتها عن الفرنسية والإنجليزية والألمانية ، وبذلك تمكنت من أن تقدم على ترجمة رواية من الفرنسية إلى العربية عنوانها : (رجوع الموجة) ، والذي يعتبر أول كتاب مترجم إلى العربية ينشر لها .

واستطاعت مى أن تنتهز فرصة وجودها في مصر ل تستزيد من مناهيل العلم والثقافة ، خاصة وأن النظام القديم للجامعة المصرية في مرحلتها الأهلية كان مرتنا ، فيقدم دروساً عاماً مثل تلك الدروس النظامية التي يتلقاها الطلاب في صورة مقررات يتناولون عنها شهادة ، ومن هنا فقد انتظمت في تلك الدروس التي نظمتها الجامعة للإناث ، فدرست أثناء الحرب العالمية الأولى - بتشجيع من أحمد لطفي السيد - تاريخ الفلسفة العامة ، و تاريخ الفلسفة العربية ، وعلم الأخلاق على يد المستشرق الأسباني « الكونت دى جلارزا » ، و تاريخ الآداب العربية على يد الشيخ محمد المهدى ، وتاريخ الدول الإسلامية للشيخ محمد الخضرى .

وبينما يذكر طاهر الطناحي في كتابه (أطيااف من حياة مى) أن والدها توفي عام 1929 ، يذكر الكتاب الذي راجعه وديع فلسطين أنه توفي عام 1919 ، ومن



جبران خليل جبران



أمين الريحاني



أحمد لطفي السيد

لسليم سركيس لأسرتها عام ١٩١٣؛ حيث دعاها أن تلقى خطاباً لجبران خليل جبران في حفل أقيم لتكريم خليل مطران، بمناسبة الإنعام عليه بالوسام المجيدى، وكانت تلك أول مرة تتاح فيها الفرصة لفتاة عربية أن تلقى كلمة في محفل عام، وشجعها هذا على أن تعقد صالوناً يوم الثلاثاء من كل أسبوع، حيث كان إسماعيل صبرى يترأسه في سنواته الأولى، وكان من رواد هذا الصالون، بالإضافة إلى ما سبق أن أشرنا من أسماء: على ومصطفى عبد الرزاق وعبد العزيز فهمي، ود. منصور فهمي، ود.

طه حسين، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وإسماعيل مظهر، وسلامة موسى، والأمير مصطفى الشهابي، وليس المقالة مسألة عدد، ولكنها نوعية من المفكرين تكاد تجمع مختلف التيارات والاتجاهات، فهل أحبها كل هؤلاء؟ ومن أحبته فيهم جميعاً؟ وهل يجوز في مجال الحب أن نتسائل لماذا أحبت هذا دون ذاك؟ أو لماذا أحبها فلان وفلان؟ الحق

فضلاً عن الإسهام في تحرير عدة مجلات مصرية وعربية.

وكان من ملامح الازدهار الثقافي الذي كانت تعيشه مصر هو تلك الصالونات الثقافية التي كانت فرصة لتوثيق العلاقات بين المفكريين، و«التفاكر» بينهم والحوار، مما كان له أثره الواضح على توليد أفكار الكثيرين، وعلى سبيل المثال، فهناك من يؤكد أن فكرة الكتابين الشهيرين الذين أصدرهما قاسم أمين وأحدثاً ضجة كبيرة عن «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» إنما نبتت من خلال ذلك الصالون الذي كانت تقيمه الأميرة «نازلى فاضل»، وكان من رواده، بالإضافة إلى قاسم أمين، الشيخ محمد عبده، وسعد زغلول، وأحمد لطفي السيد، وكان ذلك إبان حكم الخديوى عباس حلمى الثانى.

وكان لمى كذلك صالونها الثقافى الذى استقطب نجوم الفكر والثقافة مدة تصل إلى عشرين عاماً على وجه التقرير. وترجع فكرة هذا الصالون، إلى زيارة

مختوية الأدب العربي

إليها شعراً يقول فيه:

روحى على بعض دور الحى هائمة
ظامنِ الطير تواقا إلى الماء
إن لم أمتع «بمى» ناظرى غدا
أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء !
أما ولى الدين يكن فقد كتب إليها
مرة يقول :
«سيدى ملكرة الإلهام..»

ما أسكت هذا القلم عن مناجاتك إلا
حرب الأيام ، إنه منذ أيام كثيرة الذى لا
يرجى فكاكه ، غير أنى كنت أناجي روحك
كلما بدت لعينى أشياء من محاسن هذا
الوجود .. كم وقفت أمام الآبيض المتوسط
أرتجل العبرات .. هذه أشعارى لا أهدىها
إليك .. إنى لأشفق أن أحبيبك بغير
الابتسamas . وكم دخلت الروض أساجل
قاماريه ، تلك أغانى أرجعها لديك . إنى
لأخاف أن أغريك بغير المسرات . والآن
عندى قبلة هي أجمل زهرة فى ربيع الأمل
أضعها تحت قدميك ، أن تقبليها تزيد
كرما ، وإن تريديها ، فقصاري الامتثال ،
وبعد فإنى فى إنتظار بشائر رضاك ،
وطاعة لك وإخلاص.

تحت قدميك

ولي الدين يكن

وإذا كان الشاعر أحمد شوقي قد
تردد أحيانا إلى صالونها ، إلا أنه يقال
إنه لم يكن يشترك فيما يجرى من نقاش ،
وقد كتب عنها شعرا قال فيه:
أسائل خاطرى عما سباني
أحسن الخلق أم حسن البيان
رأيت تنافس الحسنين فيها

أنه كما يقولون إن الأسماء لا تعلل ،
فكذلك الحب يصعب تعليله.

هاموا بها حبا !

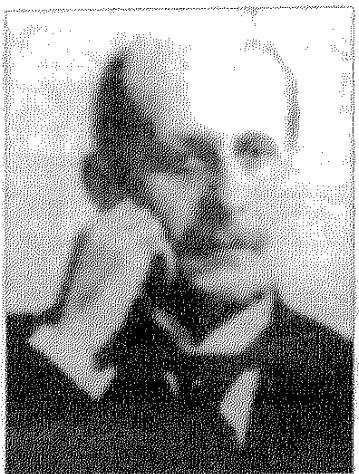
ومع ذلك فـلابد ألا ننسى هذه
الظروف التى كان يعيشها المجتمع
المصرى ، بل ومعظم المجتمعات العربية ،
من حيث الانفصالية بين مجتمع الرجال
ومجتمع النساء ، بل والحجاب الكامل
الذى كانت المرأة تعيش وراءه ، فإذا ما
وجدت إمراة على قدر كبير من الجمال ،
وسافرة ، وزات عقل متفتح متعمق ،
ولسان متحدث لبق ، وروح سمححة ، وقلب
عطوف ، وتفتح بيته للندوات
والاجتماعات التى يحضرها رجال ، فمن
المرجح أن تتعلق بها أفندة عدد غير قليل
منهم ، وأن يظن ، من خلال ترحيبها
والاهتمام بهذا وذاك أنها تحبه ، وأنظر
أنتا فى أوائل الخمسينيات فى أداب
القاهرة ، حيث كان المجتمع قد أصبح
أكثر افتاحا ، ومع ذلك ، فإن بعضاً منا
كان يعيش حياته فى مجتمع لا يعرف
الاختلاط بين الرجال والإناث ، وهكذا
كان بعض الزملاء إذا ابتسمت زميلة له ،
أو ألقى عليه تحية الصباح ، فرح كثيرا
وظن أنها مهتمة به بصفة خاصة ، فيقع
في حبها !

١٠٤

كان إسماعيل صبرى شيخاً كبيراً
فى السن عندما التقى بـمى ، التى كانت
فى مقتبل العمر ، فإذا به يهيم بها حباً ،
ومن مظاهر ذلك أن اضطرته بعض
ظروف السفر أن يتخلف مرة عن
صالونها يوم الثلاثاء ، فإذا به يرسل



أحمد شوقي



يعقوب صرروف



مصطفى صادق الرافاعي

كأنهما « مليه » عاشقان

إذا نطقت صبا عقلى إليها

وإن بسمت إلى صبا جنانى

وما أدرى : أتبسم عن حنين

إلى بقلبها أم عن حنان؟

أم أن شبابها راث لشبيبي

وما أوهى زمانى من كيانى

أما أحمد لطفى السيد فقد كتب
إليها، ولما يمض عليها فى مصر أكثر من
عامين ، حيث كان تاريخ كتابته هذه:
يوليو ١٩١٢ يقول : « مضى أسبوع كامل
من يوم كنت أستاذن فى السفر إلى
الإسكندرية ، وما كان من عادتى أن
أغيب عنك أكثر من أسبوع ، إذا مضى
كان يدفعنى الشوق إلى حديث الحلو
وأفكارك الممتعة إلى زيارتك ، فلا غرو أن
أستعيض عن الزيارة غير المستطاعة بهذه
الرسالة الكلفى».

وعندما سافر مفكرا إلى باريس عام
١٩٢٠، ضمن الوفد المصرى للسعى
لاستقلال مصر عقب ثورة ١٩١٩ ، كتب
إليها فى الخامس عشر من أكتوبر عام

١٩٢٠، يقول:

صديقتي العزيزة ...

أكتب إليك ، وإنىأشعر أنى زيادة
على تفريطي فى أمر الكتابة إليك إلى
الآن ، ربما اخترت الفرصة الأبعد ملامحة
لحادشك ، فإنى أراني من حرج الصدر
بحيث أخشى أن ينم كتابى على حالى
التي ربما غلوت كعاده الشباب على
تصورها من خلال الحديث».

ومن المعروف أن مفكرا الكبير فقد
زوجته عام ١٩١٠ ، وظل إلى أن توفي
عام ١٩٦٢ بدون زوجة !

١٠٥ وكتب الشيخ مصطفى عبد الرزاق ،
والذى كان أستاذًا للفلسفة الإسلامية
بآداب القاهرة ، ثم شيخا للأزهر ، إليها ،
معبرا ، ربما عن مشاعر حب فى عفة
وحياه ، وكان فى زيارة لباريس ، يقول
أنه على الرغم من حبه لباريس ، لكنه
« يت Urgel العودة إلى القاهرة .. لأن فيها
من هو أحب إليه من مدينة الشباب
والأمل .. »

وذكر العقاد للطناحى معترفا بأنه ما

مختصر في الأدب العربي

ذاك الحنين يذوب في خديك
أيراك باكية وأنت ضياؤه
ونعيم عيشى كله بين يديك
.....

من عطف قلبك فاض من عينيك
لو استطيع جمعت كل ذخيرة
في الدهر من ضحك يروق لديك
وكتب مرة أخرى يقول :
ماذا في الدنيا ، لعمري أريد ؟
أنت هي الدنيا ، فهل من مزيد ؟
وقد حث أحمد لطفي السيد مى على
أن تحضر مناقشة رسالة الدكتوراه
الخاصة بـ طه حسين في الجامعة المصرية
القديمة عن أبي العلاء المعري ، وقد شعر
ـ طه حسين بامتنان كبير لذلك ، ورأى أنه
من الواجب أن يتعدد هو الآخر على
صالونها ، وكان مما ذكره عنها : إن
صوتها حين تستمع إلى خطاب لها ، كان
ينفذ في خفة إلى القلب فيفعل به
الأفاعيل !

ويذكر بعض الباحثين أن جبران خليل
جبران ، على الرغم من إقامته بعيدا ،
كان الأقرب إلى قلب مى ، وأنه قد صرخ
بحبه لمى لصديقة له في نيويورك ، وقد
أرسل جبران بذلك إلى مى في الأول من شهر
نوفمبر عام ١٩٢٠ ، في رسالة كتب فيها :
عزيزتى مى ...

«النفس يا مى لا ترى بالحياة إلا ما
بها ، لا تؤمن إلا باختباراتها الشخصية ،
وإذا ما اختبرت أمرا صار جزءا منها ،
وأنا قد اختبرت أمرا في العام الغابر ،
اختبرته مرارا عديدة ، اختبرته بنفسى

أحب في حياته إلا مرتين ، إحداها تلك
التي أسمها اسم مستعارا بـ «سارة» ،
أما الثانية ، فهى كما يكتب
بنفسه . «وأحببت مارى زiadة ، الأديبة
المعروفة باسم مى» . وكان يصف مى
بأنها «مثقفة قوية الحجة تناقش وتهتم
بتحرير المرأة وإعطائها حقوقها السياسية
، وكانت جليس علم وفن وأدب ، وزميلة
في حياة الفكر ، أى أن اهتمامها كان
موزعا بين الأدب والأنوثة» .

ولذا كانت مى جميلة مثل سارة
«ولكن الجمال فى مى كالحسن الذى
يحيط به الخندق» .

وكانت مى قد سافرت إلى إيطاليا
عام ١٩٢٥ ، وأرسلت رسالة إلى العقاد
يبدو أنها حركت الكثير من عواطف الحب
الكاميرا في قلبه ، فأرسل إليها هذه
الأبيات التي يبدو فيها مصرحا بعواطفه ،
وكان ذلك في الخامس والعشرين من
شهر أبريل من العام نفسه .

آل روما لكمو مني الولاء

وثناء عاطر بعد ثناء

١٠٦

وسلام كلما ضاء لنا
طالع الإصلاح أو جن مساء
في حماكم كعبة ترميقها
مهج منا وأماق ظماء
ولما كتبت إليه رسالة تبين تأثيرها
الشديد إلى درجة البكاء برسالة كان قد
كتبها ت قطر حزنا على وفاة أخيه مصطفى
، بعث إليها في السابع عشر من نوفمبر
١٩٢٥ ، بأبيات قال فيها :
تبكين ؟ والهف الفؤاد يذيبه



الجبال ، وقد أعطاني أبي كسروانية بما فيها من مقاومة بدنية ، فخذ كل ذلك مني ... وها أنتا عندما أتنفس أبطئ حركة التنشق لأضم إلى قوتي قوة البحر وحيوية الطبيعة ، ثم أتنفس موجهة مجموعة هذه القوى إليك لتشفي بها وتتشدد».

وعلى الرغم من كل هذه الشهرة ، وكل هذه الأضواء ، وفيضانات العبر التي غمرت مى ، إلا أنها قضت نحبها في القاهرة عام ١٩٤١ وحيدة ، بعد عدة سنوات من العذاب ، الذي كان من صوره أن دس عليها البعض الاتهام بالجنون ، فأودعت شهوراً عددة في مستشفى العصفورية بلبنان أثناء زيارة لها ، فضلاً عن انقضاض كثرين عنها ، كأنها زهرة ، وقد ذلت وراح أريجها ، فانصرف عنها من كانوا يبحثون عن الرائحة العطرة الذكية.

١٠٧

شوقى
عبدالرازق
جيран
صبرى
مى

وعقلى وحواسى ، اختبرته وكان بقصدى أن أكتمه كشى خصوصى ، ولكنى لم أكتمه ، بل أظهرته لصديقة لى تعودت محادثتها ، أظهرته لها لأننى شعرت إذ ذاك بحاجة ماسة إلى إظهاره .. وهل تعلمين ماذا قالت صديقتك ؟ قالت لى على الفور : «هذا نشيد غنائى !»

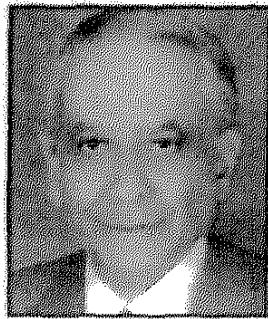
ولأنه حب من «بعد» ، مثله مثل ما يتم هذه الأيام من تعليم عن بعد ، تكتب إليه مى سائلة أن يصف لها ملابسه وألوانها وعاداته في لبسها ، وعن التدخين ، وكم من السجائر يدخن كل يوم ، وعن مكتبه : كيف يكون ؟ ويجيبها عما سالت ، وهى تساؤلات من تحب ، لكنها إذ لا ترى محبوبها تأمل أن يكتب لها هو بنفسه ليصف أطرافاً من حياته ، لتعيش خيالاً تجوب فيه بين ردهات هذا الحبيب البعيد . وتكتب هي إليه رسالة صريحة تصور فيها مشاعرها ، وكان ذلك في أغسطس من عام ١٩٢١ ، وتلمع بين سطور الرسالة كم كانت عواطفها نحوه «كلية» لا تتحصر في ذلك المسار الشهير بين قلبين تعانق حباً وعشقاً ، وإنما هما قلبان تعددت أبعاد الروابط بينهما وكانتها تتضم مختلف أبعاد الحياة ، فها هي تقول : «أنت الغريب الذي كنت لى بداهة وعلى الرغم منك ، أباً ، وأخاً ، ورفيقاً ، وصديقًا .. و كنت أنا الغريبة بداهة وعلى الرغم مني أما ، وأختاً ، ورفيقة ، وصديقة .

«ولا يكفينى انتظام القلب المعنى منك ، بل أريد انتظام الآلى .. وإنى أعطيك لذلك بطيبة خاطر انتظام قلبي الشديد المتن ، إن لى مكانة أهل روس

عادل المصري

وتحولات الكون من جوف الأرض

د. محمد المهدى



الأوركسترالية ، وبين الآلات
المفردة المتميزة .. متميزة
بالمجموع ، وجموع متميزة
بحضور الأفراد . ففى وسط
القاعة تجلس الآلات الخشبية
يتقدمها (سيزان) بالفلوت ،
وتجيّبه أبواباً وكلاربنـيت
(كاندينسكي) و(مندريان) .. ومن بعيد
نسمع همس (كلـى) .

وتصور أن المايسترو قد قرر ذات ليلة
تقديم هذا الكونشرتو من جوف غواصة
(جول فيرن) .. وقرر أن يغوص بها في
بؤة جوف الأرض .

بدأ يتأمل ولكن لم يخنقه الضيق
كمايسترو (دالي) الذي دفع في عصبية
قشرة البيضة ليخرج .. أو كما يقول إلى
العالم الجديد ، ولكنه قرر أن يجلس
جلسة مفكر (رودان) . ويدلاً من أن ينظر
كاسفاً ، نظر متطلعاً إلى حركة سطح
البيضة من داخل هذا الرحم . وتصور أن
هذا الطفل معجزة (عيسوية) .. لا تتكلم
في المهد فقط ، ولكن تتفكر في قلب
الجوف الذي ابتلع أسرار هذه البحيرة
الساحرة .. البحر الأبيض .. من شرقية ،
وغربيـة ، وإلى عربية ، وحديثة .

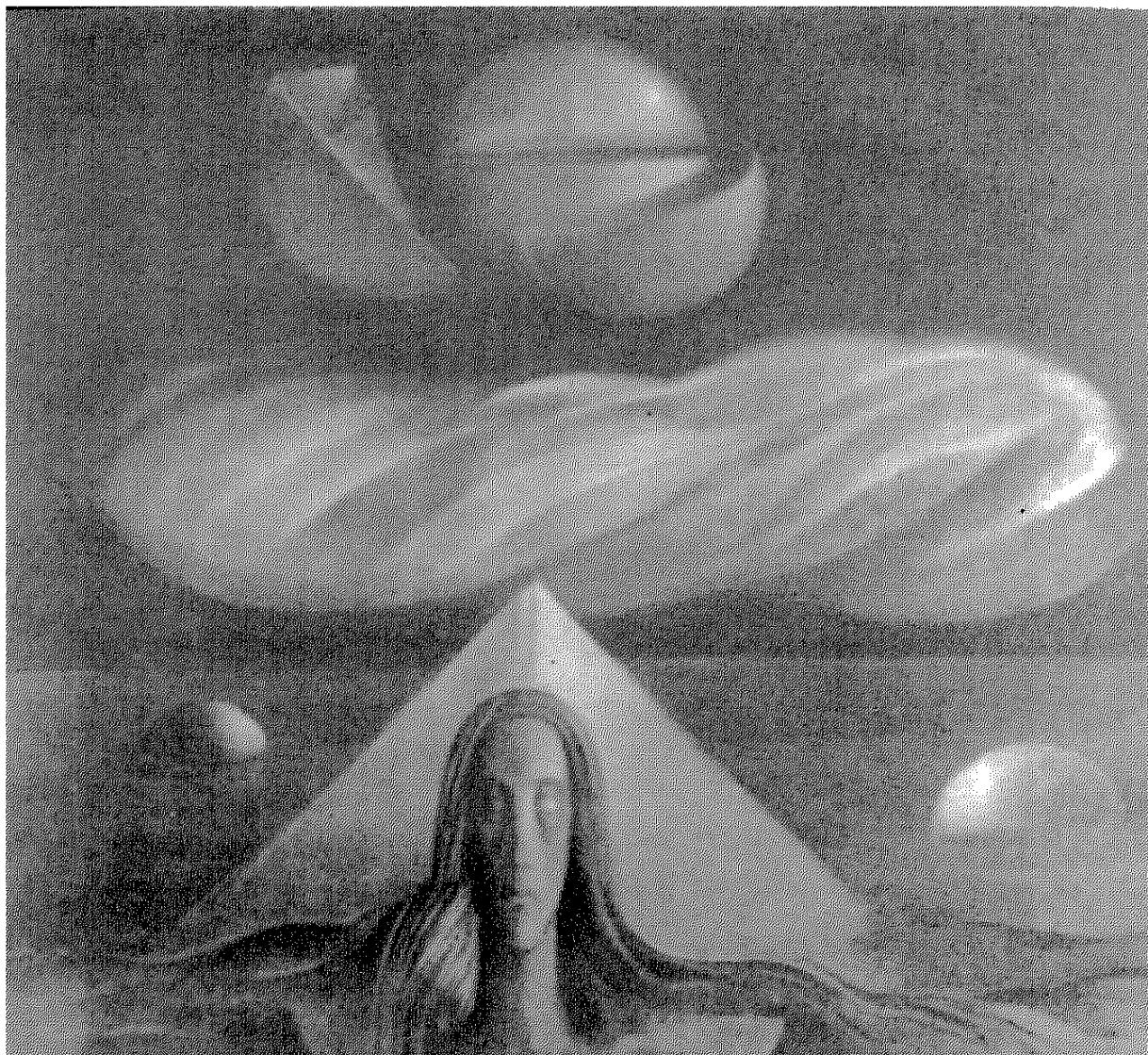
رحيل الفنان الدكتور عادل
المصري عن دنيانا بعد رحلة
عطاء فنية طويلة وقد عرفته عن
قرب ، بساطة روح في نفس
زكية يعادلها عمق في التفكير
ويبحث دعوب عن المعادل
التشكيلى في نسيج حيرة

الفنان المتفكر . وهذه محاولة لكي أوفيـه
بعض حقـه في العالم الذي شغلـه وأبدع
فيـه بعد مرور أكثر من عام على رحيلـه .
أمسك المايـسترو الفنان بعصـاه ونظرـه
من منـصة عـين السـمكة . أشارـ إلى طـرفـه
فتـحرـكت الآـلات الـوتـرـية يـقدم لها (سـورـاه)
ليـنتـهي إـلـى قـرارـ (بـيكـاسـوـ) ، وـ(برـاكـ)
وـ(ميـروـ) .

وأشارـ إلى طـرفـه آخرـ فـتـحرـكت الآـلاتـ
الـنـهـاسـيـةـ تـرـدـ فيـ عـفـويـتهاـ ماـ وـضـعـهـ
(جوـجانـ) وـ(فـانـ جـوخـ) وـ(روـسوـ)، لـتـصلـ
إـلـى قـرارـ المـجمـوعـةـ النـهـاسـيـةـ عـنـدـ
(ماـتـيسـ) وـ(بـورـانـ) وـ(دـفـىـ) وـ(شـاجـالـ) .

ماـيـستـروـ فـيـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ الـتـيـ سـتـطـولـ
لـأـكـثـرـ مـنـ قـرـنـ لـمـ يـقـدمـ سـيمـفـونـيـةـ الـكـونـ ،ـ
أـوـ سـوـنـاتـاـ الـقـمـرـ ..ـ وـلـكـنـ سـيـقـدـمـ كـونـشـرـتوـ
الـجـنـوـرـ،ـ فـفـيـهـ تـبـادـلـيـةـ بـيـنـ الـجـمـوعـ

١٠٨



وأنطقتهم من الباطن

لتفاحة أدم تدفع من كوتها لسعة ضوء
مبهر . ولا تأخذك أيضاً مشاعر طقسية
تربيط بينها وبين لساعات ضوء عصر
النهضة العبرة عن هبوط المسيح أو
صعوده . ولا يأخذك خيال على فتنذهب
باحتا عن النواه وانشطارها .. فهو من
العلم أيضاً أني . ولا تستسلم لمشاعر
قومية تحدثك عن التراكيب الهندسية ، أو
تيسير لنفسك المهمة فتقول: إنها لعبة
تشريح طريفة .

فلسفة الضوء
لقد تواصلت الدراما بكل هذا ،
ولكنها تجرت فاكتشفت الأبعد ، أو ما

حساسية الخامة الحضارية
قلة من الفنانين هي التي دفعت
بمكونات الأرض من جوفها ، تحركت في
أناة فاكتشفت أن مجرد اهتزاز الأنامل
في هذا الجوف يخل بالنظام الكوني من
الداخل إلى الخارج .

أدرك حساسية الخامة الحضارية
فمررت يدها ، ولونها وكتلتها على أن
تخرج مراتتها بحساب دقيق ، وحركة
محسوبة .

الكرة تنشق في أعمال الراحل ،
الفنان عادل المصري فلا تحسينها الكرة
الهندسية المعروفة ، أو رمزاً سانجا

عازل المجرى

التجريدية المحددة . الرأس تبدو من الخلف ، والوجه جانبي ، وكتلة الجسد تحت (كلسه الزمن) فشحنه بالكثير . ومن لك بجيولوجي بإمكانه تفتيت دورات نفوس وحوادث الملايين فى هذا الأثر ؟

والأثر يأخذه الفنان من وجه امرأة فى تمثال فرعونى من الأسرة ١٢ ، يثبته على قاعدة . كعادته أو عادة أن يصبح التعبير هو رسوخ الرؤية الحية للفنان ، يخفى الملامح ويغيب العيون الباحثة فى بحر مثبت فى كتلة قاعدة هرم .. قاعدة زاقوره .. قاعدة برج بابل .. وربما قاعدة مئذنة ابن طولون . الكف البيضاء تخرج من باطن الكتلة بلونها ، وفي اتجاهها تحمل الكرة . علامة الخلود أو علامة الوحيدة الزمانية لما ربط قديم الحضارة بحديثها ، ومن الخلف يتم التحاور ، اللون الكتلة ، بين شعر المرأة وقبة كروية .

إنها أيضاً دوره هذا الكائن (الكسى) .. من التراب يأتي وإليه يعود .

الحوار مع شيريوكو وبرانكوزى
وقد يقول قائل .. إننى المح جسراً بين طيبة المصرية ، وطيبة اليونانية . من مفتاح الحياة إلى (الساندور) . أو بين إسكندرية بطليموس ، وروما (دى شيريوكو) خاصة في الوجوده والكتل البشرية .

وأقول لك .. ولم لا ؟ ولكن عليك أيضاً أن تلمح جسراً آخر خاصة في الأعمال الحرفية للفنان بين مكونات الحرف الصيني ، والحرف المسماري ، وفراغات الحرف العربي .

الحالة الأولى المصرية اليونانية

هو حق . والحق تراكيب مدروسة مدركة وغير مدركة .
فلسفة الضوء تمثل موقفاً مهماً في أعمال الفنان (المصرى) .

ينشغل الفنان بشكل الكرة منفردة أو متداخلة . تضيق الكرة بالجدار فتشطر أحياناً لتقذف بالضوء كتلاً في قاع أو قمة الهرم اللغز ، وربما الحكمة المبكرة . وقد تتشطر أحياناً أخرى لتولد عدة كرات تسقط على المساحة علامة استفهام هادئة بدرجات لونية ضوئية . وقد تستقر الكرة على القاعدة ببعض اليقين ، ولكن يظل يطاردها لغز الهرم المبترور .. يفتق قشرتها بشرخ الموت النافذ .. فمن عرف السر ؟

ولا يقبل الفنان التفاؤل الساذج .. يشطر الكرة إلى ثلات ويدعها سابحة في الفضاء الأبيض .. ولكن ما يليث أن يبتلعها الثقب الأسود لتضمراً واهنة في حجم الفولة . وفي قاع المساحة القاتمة نشهد كتلة هرمية مبتورة الرأس ، واهنة الجدار .. هل هي بقايا الوجود ؟

١١٠
توزيع الأدوار مذهل .. مشحون بالحوار .

العنصر البشري

الحوار البشري في أعمال الفنان عادل غير مكشف للظاهر .. إنه فن من عالم التفكير في جوف الأرض المليئة بالأسرار .. العنصر البشري في أعماله لا يواجهك فليس لديه ما يفصح عنه كما في نظارات أعمال عصر النهضة الواضحة ، أو عصر التأثيرية الحاملة . أو عصر



١١١

ج - ب - ف - ح

ولكن برانكوزى النحات جاء طائره تصويريا كقط السريالي (توبيان) الذى اسماه الصاعقة ، بينما جاء طائر الفنان عادل المصرى نحتيا . فى التكوين الجماعى للطيوور يقدم أربعة طيوور ، واحد خدعتك لبساطتها . والحالة الثانية الصينية ، المسمارية ، العربية ، غابت عنك لغورها . ومن عناصر الفنان الحية .. عنصر الطائر، تحاور فيه مع الفنان برانكوزى .

عَالَمُ الْمُصْرِي

لقد أعطاه الفنان لحظة حرية وراحة إلى حين باختيارات لونية شفافة من حيرة التساؤل .

واترك تنوعة ألحان الطيور وأعود إلى السكونية النحتية في العناصر البشرية .. إنها مقوله موجزة .. حكمة في كلمات تقول الزمن يجدد الآمال ، ويقرب المنية ولكنه يباعد الأممية ليخلق الجديد . وهكذا تتواتي التحولات لتردد قول المعري :

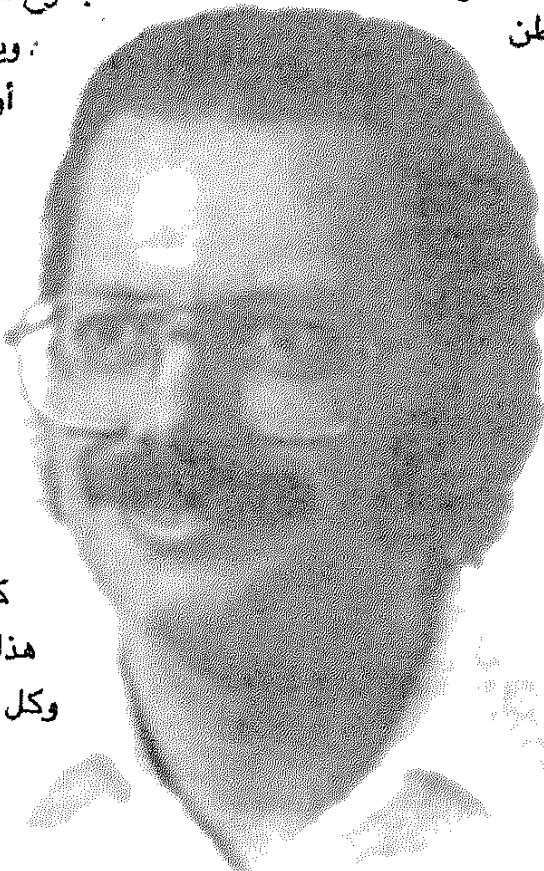
شامخ بهم بالطيران فيحيط ساحة اللوحة بجناحيه ويقسمها كالملايسترو إلى مستوى أعلى يمسك بزمام التكوين برغم الفضاء المتسع ، تتحاور معه ثلاثة طيور متعطشة في مستوى القاعدة وفي التكوين الفردي للطيور يكتفى الفنان بحوار رفة الأجنحة البيضاء يبيث الظلال في حماية جدار المسرح الذي يخفى درامية الكواليس ..



الناس صنفان، موتى فى
حياتهم.. وأخرون بيطن
الأرض أحياء ..
عقد الفنان من
سكونية (الأموات
الأخياء) جلسة
حوار وأنطقهم من
الباطن.

اللون التحولي
يستوقفنا اللون
عند الفنان عادل
المصري .. يستخدم
كل الألوان وكل
المشتقات .
يصعب
التحدث عن
تباير لوني ،
فالتحول يحكمه

التحول (ميتمور فوزين)
الفنان الدكتور عادل المصري تحتاج إلى إجابات
أيضا . تخرج الألوان من
ثقلها إلى ضعيفها أو العكس .. أليست
جميعا من أصل واحد ؟
ولا أقول كما يقول العلم إنها جميعا
من اللون الأبيض ، لأن الفنان جعل كل
الألوان أصولاً لها فروع ، وأيضا كل
الفروع لها أصول . الاستحضار اللوني
عنه له ملمس خاص من عدة عصور ،
التقطته عين (مرتبة بالعطش) .. ملمس
اللون من جيوبتو إلى رفائيل اللاتيني .
وثقل اللون الفلمنكي من (فرمير) إلى
(رامبرانت) . وخفة ، اللون الفرنسي من
(بوشيه) إلى (ماتيس) ، وسخونة اللون
الاسباني من (جويا) إلى (ميريو) ..



جموع في أوركسترا الظاهر
ويصعب تعداد أعضاء
أوركسترا الباطن في
جوف حركتنا
الحضارية .
وكنت أشاغب
الفنان الصديق
الراحل فأسأل ..
وماذا بعد ؟
ابتسامته
الطفولية النقية
كانت تقول .. كل
هذا الكون المشحون ،
وكل هذه العروال ،
وعلامات
الاستفهم
والتعجب ، ألا
تحتاج إلى إجابات
واجابت .. ومنها تخرج
تساؤلات وتساؤلات .. لأعمال الفنان عادل
فروع وفروع . ولكل فرع قدرة عطاء .
وكل عطاء فيه (تساؤل وتحوصلات) .

١١٣

وما دامت قاعدة المايسترو مليئة بالأسرار ،
ستظل جوقة باقية قادرة على العطاء .
فالمصدر في أعماله هو التحوّلات كشجرة
(البوابات) في قصة (الأمير الصغير)
لأنطوان دي سانت أكزبيري . التي لا
توقف عن النمو وشغل المساحات .
الفنان الراحل الكبير سيظل من أبناء
الشطر الثاني من البيت العلائي :
وآخرهم بيطن الأرض أحياء ..

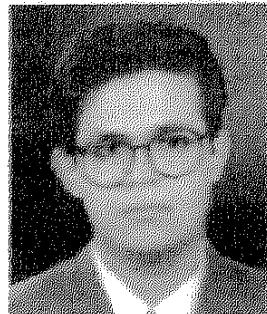
قصة لوحة

من كانت السيدة

العارية على الحصان؟

شادي رفعت

إله. سيدة انجلوسكسونية كانت وزوجها ليوفربك من المحسنين الكرماء، خصوصاً إلى المؤسسات الدينية في إفيشام ووستر وأماكن أخرى من إنجلترا.



بدأت علاقتهم ببلدة كوفينترى مع عام 1043 عندما انتقلوا إليها من شروذبىري بمقاطعة شروذبىشائر، حيث كسب ليوفربك ثروته هناك من تجارتة الناجحة في الخراف. ثم قدموا إلى البلدة ليقيما ديراً به، بعد أن لاحظوا قلة المراكز التربوية الصحيحة لتدريب وإسكان رجال الدين في أو حول تلك المنطقة الصغيرة الخشنة ل Kovintri.

جاء ليوفربك وكوديفا إذن لتأسيس وتمويل ذلك الدير الذي كرس باسم ست البانس من ساكسونندام «أول شهيد قتل بالسلخ على يدي الرومان»، ليمتحا الانتباه والاحترام الذي اشتاقوا إليه منذ البداية، فهم بعد أن خدموا أهداف الكنيسة بإقامة هذا الدير الذي لم يعد موجوداً في كل إنجلترا ديراً مثلاً في وفرة الذهب والفضة الجواهر وال أحجار الكريمة.. ليتتوزع نشاطهم بعد ذلك حول الدير ليشمل

في بلدة كوفينترى التابعة لمقاطعة وارويكشاير بإنجلترا، عشر علماء الآثار على جزء من نافذة لها زجاج ملون، تحمل وجهها لامرأة جميلة يعتقد أن يكون لليدي كوديفا.

مارجريت ريلات عالمة الآثار

التي كانت وراء هذا الاكتشاف تشير إلى أن القطع الزجاجية المكتشفة هي جزء من النافذة الشرقية للكاتدرائية السابقة، حيث توضع تقليدياً صور المحسنين وما عنثر عليه يحمل وجهاً جميلاً متوجاً بالشعر الذهبي المتموج وإنه لحقاً الوجه الذي نحن سنتخيل الليلي كوديفا أن يكون عندها.

والليلي كوديفا التي عاشت في القرن الحادى عشر، هي زوجة ليوفربك إيرل ميرسييا أحد أقوى النبلاء في إنجلترا في ذلك الوقت، وهي التي قامت بجولتها الشهيرة عارية على ظهر حصان، خلال شوارع مدينة كوفينترى، والتي اعتبرت منذ ذلك الحين أهم الأحداث التي مرت على البلدة. حيث يصور الآن شعار مجلس المدينة الحالى بذلك الموكب الذي سارت به الليلي كوديفا خلال جولتها الفريدة.

والليلي كوديفا اسمها يعني هدية

١١٤



يقول بان الليدى «كوديفا» توصلت إلى زوجها تخفيض عبء الضرائب الفادحة عن الفلاحين، ليرفض ليوفربك بالطبع ويوبخها بحدة لحماقة السؤال، لكنها وبإصرار إمرأة مازالت تثير تلك المسألة على زوجها ، حتى إنها طلبت منه أن يستعمل المال على الأقل لبند الاعمال الفنية لصالح الفلاحين، وهو الذي أضحك ليوفربك كثيراً أو جعله يتقدم لزوجته الليدى كوديفا بذلك العرض المذهل: أن تركب عارية على ظهر حصان خلال سوق كوفينترى ، من طرف لآخر وفي منتصف النهار وعند عودتها سوف يقوم بالغاء - وليس تخفيض - كل الضرائب المحلية المفروضة على الفلاحين فما كان من الليدى «كوديفا» أن وافقت على الفور.

فهل كانت الليدى كوديفا عندما وافقت على عرض زوجها الغريب، لم تكن تتبع إلا مزاجها الخاص، باشباع رغبتها فى استعراض نفسها عارية على ظهر

مجتمع فلاحي كوفينترى .

فظهرت سمعة ليوفربك كرجل محسن، لعب دوراً متزايداً في حكم الشئون العامة وأعطى بالتأكيد مسؤولية بعض الأمور المالية، بعد أن نمت البلدة بما فيه الكفاية ليكون لها أمور مالية حقيقة. في هذه الأثناء تألقت ليدى «كوديفا» - التي كانت أصغر بكثير من زوجها كفارسة ملمعة إلى درجة كبيرة بينما اكتسبت ذوقاً بارعاً للصيد والمجاملات الاجتماعية وأصبحت راعية للفنون بالبلدة إذ اعتقدت أنها بذلك تساعد على رفع وعي عامة الفلاحين الذين يرددحون تحت وطأة الفقر والضرائب . التي بات زوجها ليوفربك يفرضها على كل شيء يمكن أن يفكر به وذلك بعد أن بدأ اشغالاً عامة كبيرة للبلدة.

عرض مذهل

إن قصة الليدى كوديفا موجودة في فلوريس هيستورياروم من قبل روجر من ويندفير وهو سجل من القرن الرابع عشر،

من كلام السيدة؟

والناس من حولها ينظرون إلى عريها
البسيط والطبيعي بنظرة ملؤها التقدير
والتقدير لما فعلته من أجلهم.

وبعد أن تمت الرحلة عادت بالبهجة
إلى زوجها، الذي منح لتوه أهالي
كوفيتري دستور أزيل بموجبها كافة
الضرائب وأكده بختمه.

روعه الجسد

وإذا اتفق الجميع على حقيقة الليدي
«كوديفا» كامرأة محترمة كريمة محسنة
قوية الإرادة تتمتع بجمال نادر، وايا كان
الخلاف حول جولتها العارية بشوارع
كوفيتري ، وأنها اختلفت لجذب السائحين
إلى البلدة. أو لإحياء أحد المظاهر
الفولكلورية المتعلقة بمناسك الخصوبة في
بعض النشاطات الوثنية، أو حتى
باعتبارها دعاية بيوريانية لتسوييد سمعة
الكنيسة قبل الإصلاح، فإن الموكب العاري
لليدي «كوديفا» أصبح أسطورة حية،
ودرساً لكل الذين ينظرون إلى الجسم
الإنساني العاري تحت أي ظرف، كأنه
فعل شنيع يلعن صاحبه ويطارده إلى
جحيم الأبدية، وفكنت تجربة عرى الليدي
«كوديفا» مثلاً فريداً على روعة الجسد
الأنثوي واعتباره الشكل المثالى الجدير
حقاً بعمل الإله.

فالليدي «كوديفا» سيدة حالة امتلكت
الشجاعة لقبول عرض زوجها ، لتجلب إلى
تلك الزاوية الصغيرة من القرن الحادى عشر
درجة هائلة من التنوير تحتاج إليها الآن فى
القرن الحادى والعشرين والتى من المحتمل
أن لا أحد ذهب إلى الجحيم بسببها!

حصان، أمام فلاحي كوفيتري؟!

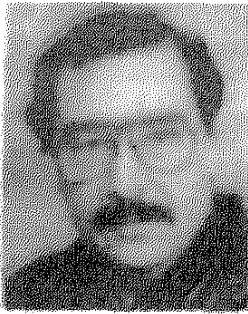
لقد نظر هؤلاء الأنجلوسكسون
الخشين إلى الجسم الإنساني العاري ،
كأحد التعابير الأعلى لكمال الطبيعة .
فالتعري لم يكن يرى كشيء جنسى فى
أى إحساس، ولكن كنقاوة خالصة
والاحتفال بالشكل الحسى للجسد يعرض
في كل مجده الرائع للاعتبار والتقدير.
وبهذا أمنت الليدي «كوديفا» انه
بتقديم جسمها العاري المشكلاً جيداً
كموذج للجمال العظيم، فى عرض قيم،
يجب أن تقوده بنفسها ، وتعهد به إلى
ال فلاحين البسطاء لـ كوفيتري ، الذين لم
يسبق لتجاربهم وتصوراتهم أن منيت بمثل
هذا الجمال المجيد، لجسم إنسانى عارى
مثالي . فما بالهم بجسم الليدي «كوديفا»
البديع التكوين بذاته.

وفي اليوم المعين لذلك الحدث الجلل
في تاريخ بلدة كوفيتري خرجت الليدي
«كوديفا».. وركبت على ظهر حصانها
عارية تماماً وبدون أي مجواهات أو زينة
أخرى ، حيث أطلقت خصلات شعرها
الكثيف الطويل ليغطي كل جسمها حتى
خاصرتها ولتبو سيقانها من على جانبى
الحصان بيضاء ثلوجية.

وعبرت الليدي «كوديفا» السوق بعد أن
طلبت من سكان المدينة البقاء في الداخل
أثناء جولتها وقد جلست باستقامة تمتطي
الحصان بشكل صحيح كفارسة قديرة
تسسيطر على وجهها نظرة هادئة وقد انتشر
شعرها خلفها مغطياً السرج، وسقط
 أمامها في موجتين متوازيتين فوق نهديها.

فنون الحضارة البدائية في العصر الحجري القديم

محمود الهندى



الفرنسية الكانتابرية، والمجموعة الأسبانية الشرقية، والمجموعة الإفريقية الشمالية)، ولكن رسوم الكهوف باسبانيا لاتزال هي الأكثر دهشة وأهمية. ولولا جهود العلم والعلماء في البحث والتقطيب والدأب المعرفي، لا

ستعتصى علينا فهم الكثير من أمور الفن خلال حقب التاريخ المختلفة، فبفضل تطور علم الآثار وعلم الجيولوجيا استطعنا - على وجه اليقين - تحديد العصور

التاريخية، من خلال معرفة طبقات الأرض، ووصف أعمار وحدود الصخور والتربة، فالقاعدة السائدة تقيد أن العصر الأحدث زمنياً يكون دائماً في أعلى قمة طبقات الأرض، أما الأكثر قدماً فيحتاج التوغل للوصول إلى القاع. والعصر البليوليتي هو العصر الحجري القديم، والعصر النيوليتي هو العصر الحجري الحديث، والعصر الأولينيaka والمجدلني هما فترتان جادتا في التقسيم الإنساني والجيولوجي الذي وضعه علماء التاريخ

لا يمكن للشكل وحده - بحال من الأحوال - أن يجسد عملاً من أعمال الفن، ورغم أن العمل الفني غالباً ما يتضمن شكلاً من الأشكال، فإن الأشكال لا تصبح بالضرورة أعمالاً فنية، فالعمل الفني عادة

ما يتشكل جوهرياً وفق درجة معينة من التعقيد؛ عندها يتحول إلى تصميم هندسي بسيط، ولا يصير عملاً فنياً إلا في حالة توازنه خلال تكامل التصميم.

وقد عثر في عام ١٨٧٩ على النماذج الأولى لرسوم الكهوف البليوليتي في التاميرا، وتطلب الأمر أكثر من عشرين عاماً للاعتراف بتلك الاكتشافات، وما يماثلها من فنون ما قبل التاريخ في الواقع الأخرى، ويوجد حالياً أكثر من تسعين كهفاً معروضاً بالرسوم الجدارية، غير أن ظاهرة الفن البليوليتي لاتزال تعامل باعتبارها لفزاً، أو حقيقة غير مؤكدة. وتقع أهم أمثلة فن ما قبل التاريخ ضمن ثلاثة مجموعات جغرافية: (المجموعة



الحيوانات، وتنبئ الخطوط السريعة المتلاحمقة عن تفوق الفنان، فلا يوجد أدنى ملمح يشير إلى عدم الثقة، أو إلى التردد والتراجع، وإنما نجدنا أمام فنان يتميز بالجرأة والثقة والتتمكن التام، ودقة الملاحظة، حتى يخال لنا إذا أنعمنا النظر أن الشكل حي يتحرك.

تتداول أشكال بعض الحيوانات مع خلفية اللوحة، كما أن الخدوش الموجودة بالقرب من الحيوانات تؤكد رسم الفنان لأكثر من شكل في المكان الواحد. ويمكن الجزم بأن الفنان لم يكن ضمن أغراضه إمتاع المشاهد، بل أراد تحقيق هدف بعينه، وهو التخدير والتنبيه حتى لا يقع الآخرون فريسة شرور الحيوانات، ومن المستبعد أن يتخرج مثل هذا الرسم عن فنان هاو، فهو حصيلة تدريب شاق وخبرة ومران طويل لفنان واع محترف، يرسم على سطح شديد الصلف والصلابة والخشونة، وفي نفس الوقت فإنه يسيطر

ضمن الفترتان المتواجهتان في أعقاب العصر الجليدي الرابع من ناحية، وبده الزراعة الجماعية المستقرة من ناحية أخرى، وجاءت بينهما الفترة السوليتيرية التي بدأ فيها استئناس الحيوان الزراعي.



واللوحة المصاحبة واحدة من الرسوم الشهيرة للحيوانات في كهف لاسكو، وهي من طراز شبيه بالفن الجداري الموجود داخل مواقع منطقة دور دوني بفرنسا، اكتشف هذا الكهف بالصدفة عام 1940، وهو من أحدث مكتشفات فن الكهوف التي تعود إلى العصر الحجري القديم، ومعظم الحيوانات ظاهرة في هذا الجزء التفصيلي من الجدار، الثور البري، والجاموس الأوروبي الذي انقرض في بولونيا، ويمكننا ملاحظة توظيف الفنان البدائي للمناطق المتباعدة في حائط الكهف، لقد استغل الفنان هذا الانبعاج ووظف النتوءات للتقرير بينهما وبين صور باقى



يوم لفترات طويلة، وظلت الحركة المستمرة السائدة من يده إلى فمه بالمعنى الحرفي ١١٩ الدقيق، ولم يكن هناك شيء ثابت في حياته، ولم يكن يساوره الإحساس بالديمومة والبقاء، وكان يعتقد في استطاعته وقوع الحدث الفعلى عن طريق التمثيل الرمزى للحدث، فالاشتياق إلى الإنجاب والذرية، والرغبة فى موت عدو، أو في الخلود بعد الموت، أو خروج روح شريرة وطردها، كانت هى الدوافع وراد خلق الرمز المناسب لها.

على الحركات والسكنات فى أداء متمنك ضمن الكثرة والفراغ، ولا يغفل دقائق التفاصيل رغم استعماله لحجر الصوان فى نقش ورقش الخطوط الرئيسية، ثم يعزز خطوطه، ويؤكدها لتصير أكثر إقناعاً وفاعلية، لقد اضطر لكسوها باللون، واللون لديه نوع من الأصياغ الناجمة عن أكسيد الحديد، يتراوح بين درجات الأحمر والبني والبني الداكن، كما يستخدم الأصياغ المستخلصة من الفحم وأكسيد المنجنيز الأسود، يخلطها مع دهن الحيوان، ويقوم بفرش الألوان على سطح اللوحة، تارة بأصابع يده، وباستخدام فرشاة مصنوعة من شعر الحيوانات أو العيدان الطيرية بعد إزالة الألياف عنها. ويکاد يكون الرسم فى هذه الحالة وسيلة لغاية أهم، هي عملية تحذير أطفال ونساء وشيوخ الجماعة من انقضاض الحيوانات المفترسة عليهم، فالفنان ينقل خبراته فى الصيد لجماعته، حتى ينبههم إلى الخطر الداهم المحيق بهم. والمجموعات البليوليتية والنيلوليتية الصغيرة كانت دون شك بسيطة وبدائية، غير أن بذرة أسلوبينا فى الحياة والتفكير تطورت المرة تلو المرة فى هذه المستوطنات القروية الأولى، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تكون قد جاءت مباشرة من إنسان الكهف فى العصر الحجرى القديم، وإنما سبقتها مراحل ومراحل مارس فيها الفنان دربته ودرايته ومرانه، فالخلق الفنى لدى الفنان البدائى كان فى الغالب هروباً من فرضية الحياة وتحكماتها.

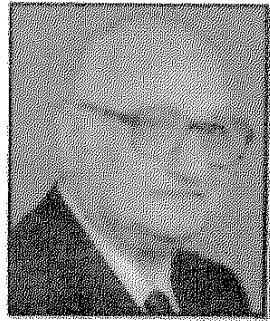
لقد عاش الرجل البدائى من يوم إلى

عندما قال ناصر من فوق منبر الأزهر:

«صوت العرب» هون عسكري

أحمد سعيد

أساساً على الحقيقة التاريخية المتواترة. إن أمور المجتمعات وتصارعها تحسمها دائماً آخر الأمر نوعية الإرادة الجمعية لها رافضة أو مستسلمة، وذلك لأنها بمقاييس الحرب العسكرية تكون دائماً هزيمة مؤقتة، تلك التي يفرضها جيش قوى على جيش آخر ويحتل بلاده، بينما تكون هذه الهزيمة أبدية عندما تتم مع هزيمة الجيش هزيمة إرادة شعب البلد المحتل، وهي الهزيمة - مع البروز القومي لسلاح الإعلام الجماهيري، مثل الإذاعة والتليفزيون، صارت اليوم مسئولية الإعلاميين على الجانبين: إما تأييد الهزيمة، أو إبقاء الإرادة حرة رافضة لهزيمة الجيش، أو حتى المرحلة بجيelaها ونظامها، وصولاً إلى تفعيلها شحناً بشورات تتقبل التضحيات حتى يتحقق لشعبها النصر المطلوب.. وهذا الواقع يؤكّد دقة وصف منصات إطلاق فضائيات الإعلام اليوم، بأنها صارت تتتجاوز في أهميتها وأثارها في التوجيه وجسم الصراعات ذلك التأثير الكبير والخطير لمنصات إطلاق الصواريخ العابرة للقارات



سجل المؤرخون على اختلاف توجهاتهم وسياسات بلادهم تجاه العرب: أن حرب السويس عام ١٩٥٦ وتداعيات المواجهة بين أطرافها وصولاً إلى انسحاب المعتدين أيامها، وعدم تحقيق أهدافهم، شهدت

استخداماً مؤثراً في مجرياتها وفرض نتائجها للأجهزة الإعلامية عامة والإذاعية خاصة، مما جعلها منذ هذه الحرب سلاحاً رئيسياً في معارك الصراعات التي لا تنتهي ولم تنتهِ بين المجتمعات، بهدف تغليب مصلحة طرف على مصلحة الآخر.. وهو الواقع الذي دفع أيامها بإذاعة «صوت العرب» من القاهرة - وعلى وجه التحديد - إلى بورة العناصر المساهمة في صناعة الأحداث وتغيير مسيرة حركة التاريخ، وفرض تطورات بعينها مع انتشار خمسينيات القرن الميلادي العشرين، مبشرة ومنذرة في نفس الوقت بما مسار عليه اليوم من القرن الحادى والعشرين، ما نشهده من نفوذ رهيب للإعلام من خلال سلاح القنوات الفضائية التليفزيونية، ذلك أن الأصل في استقرار أمور الشعوب، إن خيراً وإن شرًا يعتمد

١٢٠
جـ جـ جـ جـ



عبد الناصر يخطب في الازهر

العرب نورا حاسما فى توسيع رقعة المواجهة وإخراجها من إطار مواجهة مصرية إلى مواجهة عربية شملت غرب آسيا وشمال إفريقيا وكثيرا من دول آسيا مع القارة السوداء مما أدى إلى نجاح الضغوط داخل بريطانيا وفرنسا، مع ضغوط واشنطن بالذات فى وقف استمرار الحرب وانسحاب الجيوش من مصر، لمنع التدهور والضياع للمصالح الغربية الاستراتيجية والبتروлиمة).

كذلك أشار الصحفى الأمريكى المخابراتى «ويليام إيليس» فى بحثه الذى نشر ملخص له فى المجلة الأمريكية «الأقدر - هاربر» - (إلى أن ما صار إذاعة صوت العرب - الصوت الآخر لناصر - من نفوذ لدى العرب أقرب إلى الموسى الدينى جعلها فى حرب السويس

حاملة الرعب الذرية ومثيلاتها من أسلحة الدمار الشامل.

الميديا وحرب السويس

وقد كان وعلى قيادة ثورة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ بحقائق الوجود المصرى كجزء من كل عربى يدور معه حيث يدور: من أهم أسباب الإيمان المبكر لهذه القيادة بسلاح الإعلام يخوض به معاركها حيث تعجز ضاللة السلاح والعتاد وتصبح المواجهة العسكرية ضربا من الحمق والجنون..

وقد عبر عن هذه القناعة الثورية أكثر من كاتب غربى مثل «أرسكين تشايلدز» و«إدوار سابليه» و«تونى شو» الذى قال فى كتابه عن الميديا وحرب السويس (إن ناصر اكتشف مبكرا أنه يمكن أن يملك سلاحا يحارب به معاركه التى لا يمكن له أن يكسبها بالحروب، فلجا إلى الدعاية وأنشأ سنة ١٩٥٣ إذاعة «صوت العرب» التى استطاعت خلال فترة قصيرة نسبيا أن تتحقق له انتصارات ما كان يستطيع يده عند بدء حرب السويس سلاحا دعائيا، أسهم كثيرا فى فرض نتائج لصالحه، مغایرة تماما لأهداف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل من حرب السويس، ولتجسد له ما صار من نفوذ إذاعاته الموجهة إلى العرب، وتلك الموجة إلى شعوب بلاد إفريقيا وأسيا قبل مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥).

ويضيف الكاتب الفرنسي «بيير مونتالي» فى بحثه المنشور بمجلة التاريخ إلى مقوله «تونى شو» قوله: (أدى صوت

صوت العربي في ثورات عسكرية

مبادئها وسياساتها لم تثبت أن أتاحت للإذاعيين مجالات أرحب للعمل الحرفي المتميز، في ظل قناعاتها باستمرارية عقائدية واضحة المعالم في حرية كل الوطن العربي واسترداده لثرواته المنهوبة، وإقامة وحدته المرجوة لا يوقفها عن تشويرها الإعلامي يوماً تهدى، أو يردها نذير، أو تُرجعها عن أي حق عربي إغراءات متساوية أو انكسارات هزائم. ومثال ذلك..

أنه عندما طلبت حكومة فرنسا بلسان وزير خارجيتها «كريستيان بينو» عند لقائه بعد الناصر في القاهرة خلال مارس ١٩٥٦ إيقاف دعم مصر لثورة الجزائر، كانت تعليقات وبرامج صوت العرب ضد السياسة الاستعمارية في الجزائر محل حديثه وأغراطه، بشراء محصول القطن المصري، وهي التي وصفها فيما بعد الصحفى الفرنسي الخبير بشئون الوطن العربي «إيريك رولو» بصحيفة «لى موند» قائلاً: (إن الكونت أرمان دى شاتيلا الذى حضر لقاء الوزير资料 法国) مع الرئيس المصرى، ذكر له أن «بينو» حاول كثيراً مع ناصر ولو التخفيف من عنف هجمات صوت العرب على الفرنسيين في الجزائر وشمال أفريقيا، وأن ناصر كان يرد على «بينو» باسماً بأنه مستعد لبحث مطلب «بينو» فور أن تبدأ فرنسا في التفاوض مع الجزائريين حول مطالبهم. وأن ابتسام ناصر هذا كان مثار ضيق «بينو» وقوله للكونت دى شاتيلا - كم أثارتني ابتسامة

أحد أهم أسلحة ناصر في فرض تأميم لقناة السويس على المجتمع الدولى الغربي بالذات وخروجه من الحرب ليس متصرفاً فقط وإنما زعيمًا للعرب وأملًا مرجواً لتحقيق ما يحلمون به).

وإنصافاً للتاريخ:

واحتراماً لأصحاب الفضل :

لم يكن هذا التوظيف للإذاعة المصرية في الدعوة النافذة المؤثرة لفكر قومي سياسي وكفاح نضالى قتالى يرجع فقط إلى الثورة.. إذ سبقتَه إرهاصات ومحاولات إذاعية قبل إلغاء معايدة سنة ١٩٣٦، في عام ١٩٥١ والدعوة للعمل الفدائي ضد البريطانيين، الذين يتمركز جنودهم في قاعدة قناة السويس. وهي الحملات الإذاعية التي كانت محل انتباه وتقدير جمال عبد الناصر قبل الثورة بسبعة شهور، حدثنى به في لقاء صدفة جمعنى به قائد الجناح وجيه أباظة، وتتناول فيه ما كانت الحكومة الوفدية برئاسة رفعت مصطفى النحاس باشا وإشراف وزيرها لشئون الإذاعة الدكتور حامد زكي باشا قد سمح لها وشجعت عليه من دعوة مبكرة سبقت قرارها وإعلانها إلغاء المعايدة وتأيدت على لكافاج أبناء مصر في منطقة القناة.

١٢٢
جـ ٣
ـ جـ ٤

مفهوم جديد

ورغم قصر وحدودية الممارسة الإذاعية للعمل الإعلامي الثورى قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فإن الثورة بمفهوم التغيير الجذرى الشامل الواجب التحقيق، وفق



أحمد سعيد وعيارون صوت العرب

إقدام حكومة العراق على التحالف مع تركيا، في إطار منظومة دفاعية غربية: أجابه عبدالناصر كما أثبت «أنتوني إيدن» في مذكراته بضرورة إيقاف عمليات الضغط البريطاني أولاً لفرض الحلف رغم إرادة العرب. وهو الأمر الذي لم يحدث كما تروي الأحداث التي تلت هذا اللقاء إذ جرت محاولات ضم دول عربية مجاورة مثل سوريا ولبنان، وخاصة الأردن مما دفع مصر بإذاعة صوت العرب إلى شن سلسلة حملات، أدت إلى فشل ضم الأردن إثر مظاهرات شملت البلاد وفرضت قرار الجنرال «جييرالد تمبرلر» رئيس أركان القوات البريطانية والذي كان قد جاء من لندن إلى عمان ليشهد احتفال توقيع الانضمام الأردني .. ومن بعده هروب وزراء حكومة «هزاع المالكي» مع رئيسهم ليلاً إلى لبنان والذي أرجع في مذكراته ما

ناصر وأنا أحدثه عن إذاعة حتى أنسى تمنيت في نفسي أن أنسفهما له معاً: ابتسامة وإذاعة).
ذلك

عبر «أنتوني إيدن» عندما كان وزير الخارجية البريطانية - وقبل أن يصبح رئيساً للوزراء - مما زعمه من تأثير ضار لإذاعة صوت العرب على العلاقات المصرية البريطانية، عندما التقى بجمال عبد الناصر يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٥، إثر رفض مصر لسياسة التحالف العربي مع الغرب واشتعال معركة حلف بغداد، ملوحاً بما يجب أن يسود علاقة القاهرة بلندن من مودة، عقب إقرار بريطانيا بالجلاء العسكري عن مصر بتوقيع اتفاقية الجلاء في أكتوبر ١٩٥٤، وحتى لا تهددها إذاعات واتهامات مطالبة بوقف حملات الدعاية التي يشنها صوت العرب ضد

صوت العرب لغير عساكر

يوليو ١٩٥٦، وصولاً إلى العدوان الثلاثي في نهاية أكتوبر من نفس العام.

فإذا كان نصيب صوت العرب والإعلام المصري والعربي عاملاً من خلال العمل الإذاعي خلال شهور هذا الصيف اللاهب، وأين كانت مواقعها منه وتعاملها مع تطورات الأحداث؟!.

الصراع

بدأ الصراع الإعلامي العربي الغربي هزلياً سانجاً بعض الشيء، وذلك عندما فوجئت الإذاعة المصرية في القاهرة بإلغاء الإذاعة البريطانية في لندن للحصة المصرية باشتراك عشرة إذاعيين مصريين في دورات تدريبية إذاعية في بوش هاويس، مقرها في لندن، وهو الاشتراك الدورى الذى تعاقب بانتظام طوال عشرين عاماً متتالية من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٥٦، وقد كان هذا الإلغاء مثار تعليقات ساخرة وخاصة في صوت العرب، التي كانت قد بدأ تصبح الإذاعة العربية الأولى على امتداد الوطن منذ تأييد مصر لثورة المغرب، وإسهامها المباشر في ثورة الجزائر، وإشعالها لروح الجهاد في عدن وسائر مشيخات وسلطنات جنوب الجزيرة العربية، محاصرة تماماً لحلف بغداد داخل حدود العراق الذي تحكم فيه حكومة عميل بريطانيا نوري السعيد بدعم من القاعدة البريطانية في الحجازية.

ثم حدث في إبريل من نفس العام أن تقدمت الحكومة البريطانية إلى مجلس العموم بطلب تعديل سريع في الميزانية

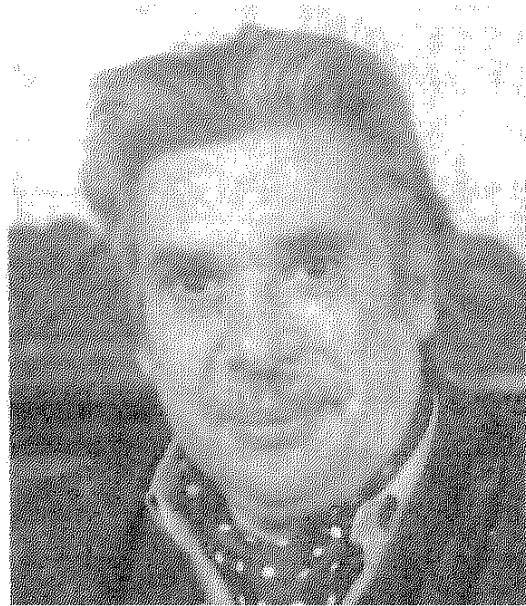
أكده إليه القائد البريطاني لجيش الأردن العربي الجنرال «جون باجييت جلوب» عقب طرده من منصبه وكل البلاد، حول مسئولية حملات صوت العرب في إثارة الشعب الأردني مما اضطر الملك حسين إلى التخلّى تباعاً عنهم.

ويذكر «أنتوني ناتينج» وزير الدولة البريطاني الذي استقال أيام العدوان الثلاثي على مصر، فيما كتبه من مذكرات أن رئيس الوزراء «أنتوني إيدن» عندما بلغه نباء طرد الجنرال «جلوب» من الأردن، أثناء زيارة وزير خارجية «سلوين لويد» القاهرة واجتمعه بعبدالناصر وقيام الصحيفة اللندنية - الأكسبريس - بنشر ما حدث لجلوب في الصفحة الأولى تحت عنوان بعرضها، يحمل كلمة واحدة هي - الحصار - في نفس الوقت الذي جاءته الأنباء من عدن ثم من البحرين عن مقاطعة العرب فيهما لزيارة وزير خارجيته وقد ذ بالحجارة، رد وفق رواية «أنتوني ناتينج» على مسمع نفر من وزرائه كان هو أحدهم (يجب تدمير ناصر.. لا.. لا.. يكفي تدميره.. أريد جثته).

إلى هذه الدرجة من العداء كان يفكر رئيس الوزراء البريطاني أنتوني إيدن مثلاً كان يأمل وزير خارجية فرنسا «كريستيان بينو» أن ينسف ابتسامة عبد الناصر، تقديرًا وإعجابًا بالأداء القومي التلويري لإذاعة صوت العرب، وقبل شهر قليلة من بدء التداعيات السريعة لازمة مشروع السد العالي وتأميم القناة في



جلال معرض



فاروق خورشيد

حرب اقتصادية

وامتدت الحرب من دنيا الإعلام إلى دنيا الاقتصاد، عندما مارست حكومة إيدن في بريطانيا مثلاً على الشركات والمصانع البريطانية التي تستورد القطن المصري في مارس عام ١٩٥٦ لوقف استكمال استيراد ما سبق وأبرمه من مخزون محصول صيف ١٩٥٥، وإيقاف أية تعاقدات مبكرة لشراء محصول القطن التالي صيف ١٩٥٦، مع إصدار لها رولد ماكميلان وزير الخزانة البريطانية بأن الحكومة نصحت الشركات عامة بمثل هذا التجميد، بحكم تصاعد الموقف العدائي

المصرية ضد المصالح البريطانية، وهو ما يفرض على مؤسسات البلاد التوقف تماماً عن أي نشاط يدعم دولة تسبب دعائياتها وسياساتها أبلغ الأضرار في بلاد الشرق الأوسط وببلاد أفريقيا وأسيوية كثيرة.

واذ جاءت أواخر مارس من نفس العام ١٩٥٦ يفاجأ قراء الصحفة المصرية

السنوية لتخفيض عشرة ملايين جنيه استرليني (وهو مبلغ ضخم القيمة بأسعار ١٩٥٦)، لشراء ونشر عشر محطات للإرسال اللاسلكي قوية البث، هدفها الوحيد التشويش على إذاعة صوت العرب، وهو ما تم تفزيذه خلال ثلاثة أشهر فقط، تصنينا وتركيا في لبنان والأردن وال العراق ولبيبا وقبرص وقطر ودبى، بجانب ثلاثة محطات تشويش على سفن.. اثنتان في البحر الأبيض وواحدة في البحر الأحمر، قرب الشواطئ الغربية للمملكة العربية السعودية..

كذلك ضغطت حكومتا لندن وباريس على مصانع بريطانية وفرنسية، وصولاً إلى مصانع ألمانية وسويسرية، للحيلولة بينها وتنفيذ تعاقدات إذاعة مصر معها، لتزويدها بمحطات إرسال إذاعي وقطع غيار لازمة، والتعهد لها بسداد قيمة أية تعويضات تقررها المحاكم ولجان التحكيم لصالح مصر ضد هذه الشركات..

صوت العرب لشرف عسكري

الذى كان محل تعجب مصرى على مختلف المستويات المعنية، والتى كانت قد تيقنت من خلال تحقيق أشرف عليه يومها على صبرى مدير مكتب الرئيس، وأثبتت فعلا وجود أكثر من عبارة تهدد وتتنزى وتحرض ضد رعایا ومتناشات بريطانيا في برامج صوت العرب، والإذاعات الموجهة أيضا في الفترة التي ادعاهما الاحتجاج البريطاني، الأمر الذي أكد لمصر بعض خبايا الاختلافات في سبل المواجهات الغربية مع عبدالناصر، بين عواصم الغرب وتصارعها فيما بينها على تأمين مصالحها في الشرق الأوسط، والتي بدت علانية أوضح ما تكون عندما احتلت قوات بريطانية واحة البورمي السعودية الغنية بالبترول، في تحد عسكري صارخ لصالح أمريكا وشركاتها التي كانت أيامها تحكم آبار البترول السعودى.

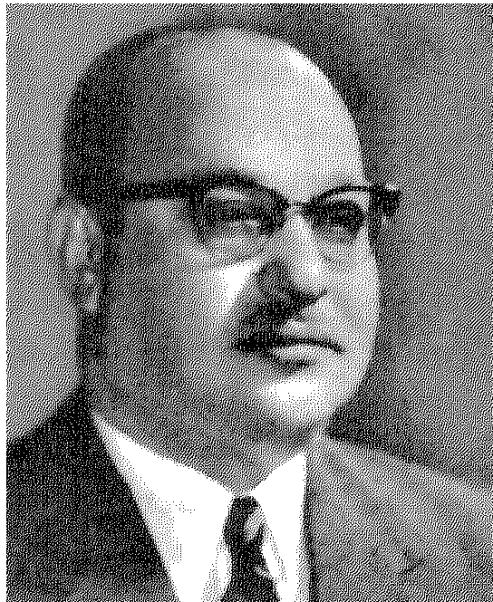
من أجل المبادئ

يومها:

الخميس ٢٩ مارس المذكور تلقيت تليفونا من سامي شرف سكرتير الرئيس، يطلب مني الحضور إلى بيت عبدالناصر في الساعة الواحدة ظهراً عقب صلاة الجمعة، وليدخلنى عليه في مكتبة بالدور الأرضى وليديأ معى جلسة استغرقت نحو ثلاثة ساعات تناولت أمورا سياسية عربية وأجنبية وتساؤلات ورقى إعلامية، لم يذكر خلالها موضوع الاحتجاج البريطاني والتدخل الأمريكى بالمنتج الذى استبدل برامج بأخرى، وعبارات بغيرها.. وإذا

اليومية - الأخبار - بعدد يوم الخميس ٢٩ منه وقد تصدرت صفحته الأولى وعلى امتداد عرضها عدة «مانشتات» ضخمة باللونين الأحمر والأسود تقول فضيحة دبلوماسية - جمال عبدالناصر يكشف مؤامرة خطيرة ضد مصر - السفير البريطاني يحتاج على إذاعات لم تحدث - أسفلها مقال لكاتب الكبير محمد حسين هيكل (ولم يكن قد انتقل إلى الأهرام بعد - يتحدث فيه عن احتجاج رسمي بريطاني على إذاعات منسوبة إلى صوت العرب يحرض فيها على قتل رعایا وأصدقاء بريطانيا في البلاد العربية وخاصة في عدن وجنوب الجزيرة والعراق وسلطنة عمان ومشيخات الخليج، وتدمير أية منشآت تمت إلى البريطانيين، وأن جمال عبدالناصر ألى تسلم الاحتجاج البريطاني من السفير «سير همفري تريفيليان» لتاكده من كذب هذه الإذاعات، وليفاجأ السفير وهو يعد تقريرا لحكومته عن لقائه بعبدالناصر بزميله سفير الولايات المتحدة الأمريكية «هنرى بايرود» يبعث إلى السفارة البريطانية بنسخ من أشرطة لما تسجله الأجهزة الأمريكية الموجودة على سفينة تابعة للأساطول تحمل اسم - كاريير - في البحر الأبيض، تتضمن كل ما بثه صوت العرب على امتداد الأيام محل الاحتجاج البريطاني، والتي خلت تماما من الإذاعات البريطانية ضد صوت العرب، وهو ما كان محل دهشة بريطانية معاذبة لواشنطن في نفس الوقت

١٣٦



فتحي الدبي卜



أمين حماد

جيل وربما كل جيلين تلاه وده لوحده يخليل وزملائه فى صوت العرب تعرفوا خطورة دوركم ومسئوليتكم ونتائج عملكم على مستقبل الناس بالمليين وبالأجيال (كمان)

هكذا كانت قناعة جمال عبدالناصر بالإعلام كجيش يقاتل به - ويمكن - على مدار الساعة كسلاح لو أحسن استخدامه فى خطاب إعلامي تحررى تقدمى أن يتحقق به إحداث التغيير المرجو فى ١٢٧ المجتمع المصرى والعربى، وليفرض بقناعاتهم الثورية الجديدة تحركاً تنموا حضارياً يتافق مع ما يملكون من ثروات اقتصادية وبشرية، لو أجيد استخدامها وتوظيفها، لصنعت تاريخاً مجيداً للمنطقة كان دائم الحلم به..

ويجيء متتصف مايو من العام ١٩٥٦ وتبدأ معه أجهزة الدولة المعنية بالعمل السياسي وتتابعه في الإعداد ل تمام جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة

يصل اللقاء إلى نهايته بدخول قائد الجيش «عبدالحكيم عامر» نحو الساعة الثالثة والخمسين دقيقة، أبادر من جانبى بإبداء بعض الأسف لما سببته برامج قديمة لصوت العرب من مشاكل متعددة مع بعض الدول، وخاصة ببريطانيا، لأفاجأ به يقول باسمه وسط ضحكات عبدالحكيم عامر (إنتم صحيح لكم في صوت العرب عبارات أعنف مما يجب وأنا كتير سالت عنها كتير من الناس المختصين في علوم المجتمع، وأغلبهم أجمع على أنها بعنتها والحدة اللي فيها ومعانيها مناسبة جداً لحالة اليأس والضياع الموجودة عند شعوب بعض البلدان.. بس مش معنى كلامي ده إنكم تزويوها بتحريض مباشر قوى يجيب لنا مشاكل بسببها أكثر من فوایدھا وعشان كده أنا بآقول لك وقادم حكيم إن صوت العرب جيش بنحارب بيـه معاـركـنا من أجل مـبادـئـنا وكل يوم مش زى قواتـنا المسـلـحةـ اللي يمكنـ نـحارـبـ بـيـهـ كلـ

صوت العرب في فرنسا العسكري

وكانت حجته التي أقنعني بها أن أمة إشارة من صوت العرب إلى أفكاره وطلعت حرب حول القناة وتأميمها قد يكون مفسداً للأمل المصري المتوازن منذ احتلال بريطانيا بتحقيق الجلاء التام، خاصة وأن العلاقات المصرية البريطانية تشهد تأزماً متزايداً يوماً بعد آخر. وأتبادل الرأي في هواجس الدكتور مصطفى الحفناوي لرجل المخابرات فتحى الديب صاحب فكرة إنشاء إذاعة صوت العرب، فيبلغني بعد يومين بأن أتجنب أية إشارة إلى طموحات سابقة لطلعت حرب ومصطفى الحفناوي، بشأن القناة وأن أركز فقط على كفاح أجيال مصر منذ الاحتلال من أجل الجلاء والاستقلال.

الفرحة الكبرى

وتمضي أيام يونيو والأسبوع الأول من يوليو لتعيش مصر ومعها العرب من خلال إعلام يعيش والناس الفرحة الكبرى بإتمام الجلاء الأجنبي. بعد نحو ثمانين عاماً من الاحتلال البريطاني. وقد امتزجت بأمال كبيرة في بدء مرحلة تنمية شاملة تبدأ بتنفيذ أكبر مشاريع المياه في العالم بإقامة سد عالي جنوب أسوان، يوفر لمصر من مياه فيضان نهر النيل ما يحقق لأجيالها المتزايدة توسيعاً زراعياً عملاقاً، وطاقة كهربائية تتير قراها بضوء حضاري وتدبر مصانع نهضة كبيرة.

ولكن ..

- يجيء السابع من يوليو حاملاً نذر سحب تأمر ضد أمل مصر وثورتها في

السويس، والمحدد له الثالث عشر من الشهور التالي يونيو، ونفكر في صوت العرب في تخصيص الأيام الأولى من الشهر السابقة على يوم جلاء آخر جندي لعرض قصة الاحتلال والمقاومة وتوارثها، حتى نجحت في توقيع الاتفاق على الجلاء ومتابعة تنفيذه، وكان التاريخ مثل هذه المرحلة يتطلب أن نتناول قصة امتياز قناة السويس، واتفاقية القدسية بشأن حرية الملاحة الدولية في القناة، وكذلك تعهد ديليسبيس لقائد جيش عرابي الذي يقاوم الغزو البريطاني بعدم استخدام المعتدين لقناة السويس في هاجمتهم للأراضي المصرية من الشرق، بعد فشلهم وعجزهم عقب هزيمتهم في كفر الدوار في التقدم من الإسكندرية إلى القاهرة، عبر غرب الدلتا، ثم ما تلى ذلك من وقفة رافضة عام 1912 لطلعت حرب ومعه غالبية أعضاء الجمعية التشريعية لمحاولات حكومة مصطفى فهمي باشا، بضغط من الاحتلال البريطاني زيادة مدة امتياز شركة قناة السويس، بعد المحدد من قبل عام 1968، وإذ ذهبت بوصفى كاتب المسلسل الدرامي الذي قررناه عن قاعدة السويس إلى الدكتور مصطفى الحفناوي، صاحب أولى الدراسات التاريخية والقانونية عن القناة، والتي دعا فيها إلى التأميم فاجأته يومها ناصحاً بأن أستشير في موضوع القناة وما طرحته ومن قبله طلعت حرب سنة 1912، بخصوص ما طرحاه سابقاً من تأميم..



على صبرى



عبد الحكيم عامر

مشاريع القوانين التي لم تتم مناقشتها والتصويت عليها، قبل انتهاء الدورة البرلمانية بجازة الصيف.. واستنتج من هذه الاضافة التفسيرية أنه على الرغم مما كان يصلنا عن خلافات مصرية أمريكية بشأن شروط إسهام واشنطن، فإن الرئيس يرجو تجاوزها وتجنب تصعيدها فتزداد في صوت العرب حساسيتها خلال الأيام التالية للسابع من يوليو فيتناول كل ما يتصل بأمريكا من قريب أو بعيد..

١٢٩

ويتأكد ما ذهبنا إليه بمكالمة المستشار القانوني للرئيس عندما ردد على مسامعي نفس المعنى تليفونيا مدير مصلحة الاستعلامات يومها، عبدالقادر حاتم ليتلوه في الاتصال سكرتير الرئيس سامي شرف، مضيقاً أن اجتماعاً سيعقده وزير الخارجية الدكتور محمود فوزي الساعة العاشرة من صباح الغد، سيحضره معن من الإذاعة مديرها أمين حماد ورؤساء تحرير الصحف اليومية، وبعد أن عاود

إقامة السد..

ففي مساء هذا اليوم - نحو الساعة الثامنة والنصف - يرد نبأ من العاصمة الأمريكية وصفته الصيفية باللغة الإنجليزية، بسقوط مشروع قانون إسهام الولايات المتحدة في قرض دولي لمصر من تكلفة بناء السد، كان البيت الأبيض قد تقدم به إلى الكongress لاعتماده مع مشاريع قوانين أخرى، بسبب انتهاء الدورة البرلمانية.. وأفاجأ محمد فهمي السيد - وهو يمت بصلة نسب قريبة بالرئيس وبأسرته - يتصل، ويبلغني على غير ما هو مستقر في عملنا الإعلامي - حيث لم يكن يوماً قناة اتصال - أن الرئيس الموجود ليلتها في برج العرب بالساحل الشمالي، حريص أن تتضمن صيغة إذاعتنا للنبأ المذكور في النشرة الإخبارية لصوت العرب الساعة العاشرة والنصف، إضافة له بأن هذا السقوط إجراء دستوري قانوني روتيني سنوي لكل

الوزير شرح الخلفية الدستورية القانونية لسقوط المشروع، أضاف تحذيرا بصيغة عذبة رقيقة اشتهر بها في أخرج المواقف، طلب فيها أن يكف الجميع مؤقتا عن تناول الشأن الأمريكي عامه ولو بعتاب المحبين، ردد باسما مضيفا التأكيد على أن الرئيس عبدالناصر حريص للغاية على أن لا يتصادر على أى أمل فى احتمال تجديد مشروع الإسهام الأمريكي فى القرض الدولى لبناء السد، مع الطرح الحكومى لمشروع الموازنة الجديدة رغم محاولات اللوبي اليهودى فى الولايات المتحدة فى إشارة الأزمات بين العرب وواشنطن، وخاصة بعد عودة «دافيد بن جوريون» إلى رئاسة الحكومة الإسرائيلية وبدء سلسلة التحرشات المتتالية التى تشهدتها الحدود مع مصر وسوريا والأردن ولبنان.

ويمضى الإعلام المصرى بشقيقه المسموع والممروء لمدة أيام وهو أحقر ما يكون على مشاعر واشنطن بينما كان المسؤولون فى العاصمة الأمريكية يدبرون توجيه ضربة، تصوروا يومها أنها ستثال من مصر وثورتها وعبدالناصر..

ففى يوم ١٩ يوليو من العام ١٩٥٦ فاجأ وزير خارجية أمريكا جون فوستر دالاس وزير خارجية مصر فى واشنطن الدكتور أحمد حسين باعتذار حكومة الولايات المتحدة عن المساهمة بقرض فى مشروع بناء السد، مدعيا عجز الاقتصاد المصرى عن الوفاء بتقديم النقد المطلوب لللازم للمشروع بجانب استحالة التزامه

حوث التهريب لثروت عسكرى

بالوفاء بسداد القروض الأجنبية الازمة للمشروع، بالإضافة إلى أن مياه النيل تشارك فى ملكيتها مع مصر دول أخرى كثيرة، ثم إن تخزين مياهه على مساحات شاسعة يؤثر بالضرر على دول أخرى فى حوض النهر، بما يهدد باحتمالات نشوء نزاعات مسلحة. وللينهى الوزير الأمريكى حديثه للسفير المصرى قائلاً بلهجة ساخرة بأنكم وقد رهنتم «حصولكم من القطن» لسنوات ثمنا لما حصلتم عليه من سلاح سوفيتى، فبإمكانكم أن يساهم الاتحاد السوفيتى فى إقامة المشروع معكم .. ثم يردف بسخرية مردداً بأن هذا الإسهام سوفيتى سيكون أمراً طيباً لهم ولكم !!

وتتفاجأ مصر مع العالم بأنه بينما كان الوزير الأمريكى يبلغ السفير المصرى بالاعتذار بأن بياناً رسمياً أصدرته وزارة الخارجية، يرد مع إعلان الاعتذار نفس الأسباب المهيمنة لمصر واقتصادها وسياساتها الاستقلالية الثورية، وهو ما وضع حكومة مصر وأجهزتها الإعلامية خلال لحظة واحدة من الزمن فى موقف التقىض، مما كان كانت حريصة عليه طويلاً وخاصة مؤخراً منذ أسابيع من يوليو ..

تحدى سافر

وأذكر:

أن لجاناً كثيرة في وزارة الخارجية وإدارة المخابرات، درست تقارير كثيرة وناقشت احتمالات مختلفة حول الموقف الأمريكى، وما يمكن أن يكون وراءه من



سامي شرف



وجيه ناظرة

مصرى معنى على مختلف مستويات المسئولية أن ثمة تدبيراً لممارسة ضغوط على مصر وعبدالناصر - ونمضي نهارنا وليلنا أيضاً نفك فى المواجهة التى بدأ نذرها عنيفة شرسة، قد تتسع لتجاوز الرفض السلبى الغربى، ولتأخذ ضغوطاً اقتصادية أشمل وربما مقاطعة تصل إلى فرض أنواع من الحصار.

ولكن :

ويحكم خطورة الرؤى واحتمالات ١٣١ تداعياتها وخاصة مع وجود توجيه رئاسى سابق بتهيئة حريصة شاملة مع الطرف الأمريكى، منذ نحو الأسبوعين : رأى جميع المسؤولين فى مصر انتظار عودة الرئيس عبد الناصر بالطائرة فيما بعد منتصف الليل، بعد رحلته إلى يوغوسلافيا وعقده مؤتمر حياد وعدم إنحياز مع رئيسها تيتور رئيس وزراء الهند نهرو .

ويحدث أن يتصل بي وأن أكتب نص التعليق الذى سأذيعه عقب نشرة الساعة

مقاصد ويكل تداعيات أية مواجهات بين العاصمتين المصرية والأمريكية خاصة وقد جاءت صيغة الإعلان الأمريكى مكتبياً وعلنياً اتهاماً صارخاً يعكس تحد سافر، قد يؤثر بالسلب على ما حققته الثورة مصرية وعربياً وأفريقياً وأسيوية وعالمياً أيضاً .

وبينما كنا فى صوت العرب نتأهب لوضع تفاصيل خطاب إعلامى يتناول الموقف الجديد ببعاده المحتملة، من خلال ما ستنستقر عليه دراسات رئاسة الدولة، وما يمكن أن تكون عليها معالجتنا لقرار عبد الناصر فى هذا الشأن على اختلاف احتمالياته ودرجات المواجهة بمفرداتنا الحرافية : إذا بالآلة التيكرز تطلق رنينها المنذر بنبأ هام، ولنجد أنفسنا أمام خبر من لندن تعلن، فيه الحكومة البريطانية بصياغة مشابهة للصياغة الأمريكية رفضها بدورها الأسهام فى القرض الدولى لمصر لبناء السد، فيتأكد لكل

صوت العرب هرف عسكري

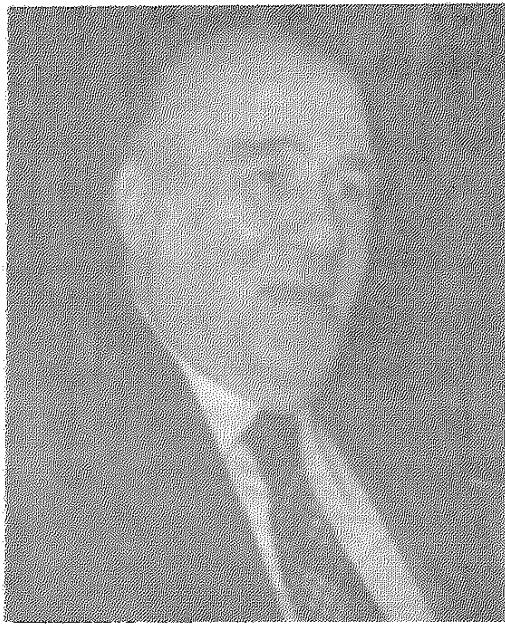
والبرامج مختارات غربية وعربية موضوعية ، بما يؤكد حرص صوت العرب على إعلام مستمعيه بكل الأنباء التي تعكس مواقف متصلة بوطن العرب، بين مؤيدة مناصرة له، أو معادية تزيد النيل منه بهدف التحريم الواجب لاهتمامات أجهزة الإعلام المضاد مسموعة أو مقرودة. وإذا نذيع صوت العرب ما اتفقنا عليه، أفاد بالكاتب الكبير مصطفى أمين يتصل بي تليفونياً متسائلاً عما إذا كان قد صدر توجيه رئاسي بتعامل معين مع قراري واشنطن ولندن، وإذا أجيبه بخلافية ما توصلت إليه مع فتحي الديب، انفجر ضاحكاً قائلاً (وناقل الكفر ليس بكافر) وأجد نفسي أجبيه مضيقاً (والطشاش ولا العمى) فينفجر صاحباً ساخراً معلناً أن المثلين من أهم قواعد التعامل مع بعض الأخبار صحيفياً وإذاعياً في بعض الظروف ..

ويجيء يوم ٢٣ يوليو..

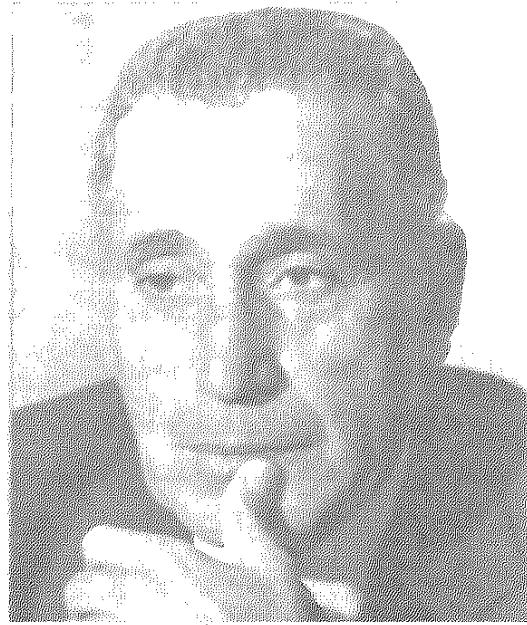
ويقتطع الجميع إلى القاهرة وإذاعاتها، يتربكون من عبدالناصر أن يفتح النار غضباً في خطابه السنوي يوم ٢٣ يوليو احتفالاً بالعيد الثالث للثورة.. غير أنهم لا يجدون في خطابه يومها غير معان تقليدية تنصل بالمناسبة، وأمنياته للشعب في ظل مبادئ الثورة، مما أصابنا في صوت العرب ومعنا كثيرون بإحباط وحيرة على الرغم من اتصال فتحي الديب بي لإخباري بمروود جيد سجلته فروع المخابرات لأسلوب صوت العرب بالأمس

الثامنة مساءً، لبرنامج كفاح العرب ثلاثة مسؤولين.. أولهما الزميل سعيد صبرى مسؤول الاستماع السياسي بالإذاعة ، وثانيهما حسني عبدالوهاب مسؤول الملحقين الصحفيين في الخارج، وثالثهما فتحي الديب مسؤول الشئون العربية في المخابرات يرددون على مسامعي تفاصيل أزعجتني إعلامياً، عن تداعيات القرارات الأمريكية والبريطانية وغلبة غمزات الصحف والإذاعات صاحبة الارتباطات مع الغرب، على حيرة الصحف والإذاعات الحرة.

وأسأل فتحي الديب بوصفه المسئول الأول عن الشئون العربية بالمخابرات عن أسرار تخلفنا في صوت العرب، عن مشاركة الشامتين في مصر وعبدالناصر، والمهاجمين لأمريكا وبريطانيا، وعدائهم الذي أسفرا عنه بهذا الرفض المهنئ وأجد منه باديء الأمر حذراً انضباطياً، فاقه وأغرقه يومها قناعة بضرورة إتساق صوت العرب مع ماله من صلاحيات سابقة، في الإقدام على مواجهات فورية في مثل هذه الأزمة في حدود ما هو مرسوم له من خطوط حمراء وأضواء خضراء . وأسر إليه بإمكان أن نذيع ضمن أخبار كفاح العرب الساعة الثامنة، وكذلك ضمن برنامج الصحافة العربية اليوم (أمة العرب في صوت العرب) فقرات من معالجات أجهزة الرأي العام العربية، مقرؤة ومسموعة للقرارين الأمريكي والبريطاني. ويستقر حوارنا على تضمين الأخبار



مصطفى أمين



محمد حسنين هيكل

إسرائيل مما قد يؤدي إلى مواجهة عسكرية مبكرة مع مصر، وقيل أن تستكمل وتستوعب التسلیح السوفیتی للجیش، وتحكم من حلقة التضامن العسكري العربي حول إسرائل ، والتي تسرع خطواتها وتتابع بعد اتفاق مؤتمر الدمام الرياض بين مصر وسوريا والسعودیة، وقيام حکم وطني متتحرر في الأردن في ظل حکومة وحدة وطنیة قویة العناصر يرأسها سليمان النابلی ..

١٣٣ بينما رأى بعضاً الآخر أن ذلك الهواء المفاجئ الذي لم نعتد على مثله من جمال عبد الناصر عند وقوع مثل هذا التحدی منذ أزمة حلف بغداد أواخر عام ١٩٥٤ ، وعدوان إسرائل على غزة وقتها العشرات من الجنود المصريين مما عبر عنه بعدها بصفقة الأسلحة التشیکیة السوفیتیة التي أثارت جنون عواصم الغرب وخاصة واشنطن.

وتمر ساعات يومي ٢٤ و ٢٥ ونهار

القريب، في تناول النباین وتداعیاتهما الغربیة الساخرة من مصر والغاضبة لمصر وأن توجیها عاماً سیصدر الليلة بهذه المعالجة مع إبراز الآراء الغاضبة لنا.

انقسام

ويدور نقاش في صوت العرب مشابها لما تردد يومها من جدل في دور الصحف المصرية، حول الخطاب الهدایء المعانی للرئيس ذلك اليوم ٢٣ يوليو، رغم ما كان في الجو السياسي من سخونة سببها القرارین الأمريكي والبريطاني فمثلاً .. انقسمنا في صوت العرب إلى فريقين .. فالبعض رأى أننا ويسبب ظروف التحرشات الإسرائیلیة وما يصاحبها من أبناء عن شحنات فرنسيّة من السلاح والعتاد، وخاصة أسراب طائرات حربية فرنسيّة كانت فرنسا تتجهها لجيوش حلف شمال الأطلنطي : قد تكون الرئاسة قد أدركت أن في الرفض الأمريكي البريطاني بداية مخطط غربي، لا تثبت أن تسهم فيه

صوت العرب هدف عسكري

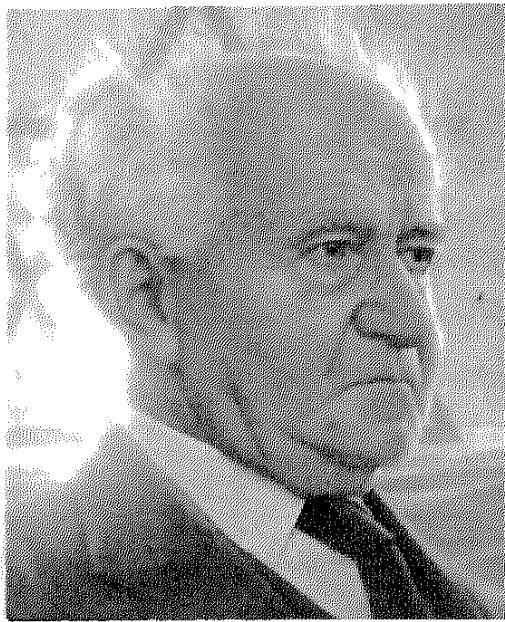
قروض دولية مع الحملة المصرية لتنفيذ
مشروع السد العالي ، ثم ليعلن بتاكيد
قاطع إصرار الثورة على البناء مرددا
بأداء أقرب إلى بشير المؤذن: قرار رئيس
الجمهورية بتأميم شركة قناة السويس .
ولتردد أجواء ميدان المنشية بتصفيق
وهتاف، اهتزت له الدنيا بين مؤيدين
مهاللين، وأعداء صاحبين فاجأهم
عبدالناصر بقرار تاريخي يؤكد رغم
المردود المادي الرقمي له وجوب حتمية
تحرك الشعوب، ضد مخططات أعدائها
وقدرتها على فرض مواجهة بناءة ظافرة
للمتربصين لها الطامعين في ثرواتها ، مما
شجع شعوباً عديدة في إفريقيا وأسيا على
بدء نضال متتابع من أجل الاستقلال،
واسترداد الثروات وفي مقدمتها شعوب
الأمة العربية، التي حرص عبد الناصر على
استشارتها مع مصر ومشاركتها لها وهو
يؤمم القناة مردداً وصفه لها الذي يؤمن
فيه بأنها قناة كل العرب.

إذاعة حبطة

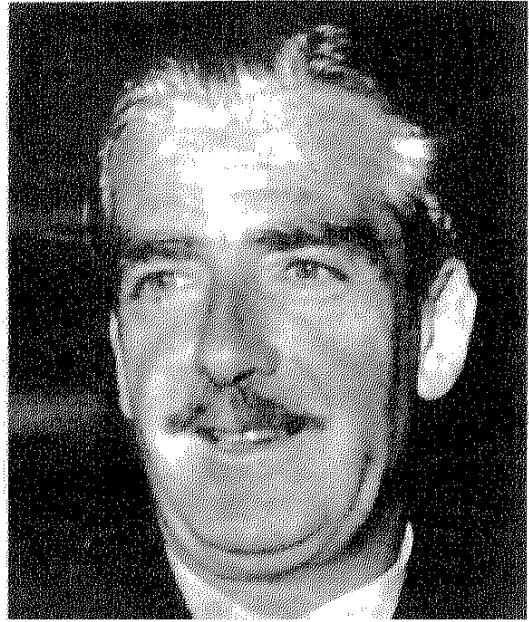
ويومض على الفور في جميع الزملاء
بصوت العرب إدراكنا المترسب في
أعماقنا بأننا إذاعة حية، يتذوق بثها
ويتوالى مع خطاب الرئيس وقد مضى
يستكمله بعد إعلانه التأميم .. فنقرر في
حماس سرعة التفكير فيما يجب أن نقدمه
من فقرات مناسبة للقرار التاريخي، فور
إنتهاء عبدالناصر من خطابه، تاركين
واحداً منا فقط يتتابع الرئيس في بقية
حديثه ولتسرع يقتتنا إلى حجرة مجاورة

٢٦ يوليو وصوت العرب يتعامل مع الرفض الأمريكي البريطاني وفق القاعدة التي اجتهدناها بأن (الطشاش ولا العمى) في حدود التوجه الرئاسي بالهدوء المتأهب إلى أن يجيء موعد بدء خطاب تقرر للرئيس من شرفة بورصة الإسكندرية، بميدان المنشية بمناسبة مرور أربع سنوات على تنحازل فاروق عن العرش ومجاولته للبلاد . وأستقر في مكتبي مع نفر من الزملاء وقد تسليح كل منا بأوراق وأقلام اعتدنا مع كل خطاب لعبد الناصر أن ثبتت عليها النقاط الرئيسية التي يتناولها ، فيه بحكم أنها تمثل دائمًا رؤية للأحداث الجارية وتعكس ما قد يوحى به، أو يتخذه من مواقف ومحاذيره من احتمالات أية تداعيات .. وأذكر أنتا تبادلنا نظرات تساؤل وعبارات تعجب، ونحن نستمع ليتلتها إلى عبد الناصر وقد بدأ يفيض في رواية لقصة منع والي مصر سعيد باشا امتياز حفر قناة السويس لفريديناند دي دلسيس، وبعاود في تكرار نطقه لاسم دي

ليسبس، ثم وهو يفيض ويزيد في رواية
تفاصيل قصة منح الامتياز، مما دفع
بعضنا إلى أن يبدي تساؤلاً عما إذا كان
الرئيس ينتوى استمرار تجاهله للرفض
الأمريكى البريطانى، رغم ما يثيره غضب
محبى الأحرار وسط ترقبهم لرد الفعل
المصرى .. غير أن الرئيس لم يلبث أن
أطfa غليل حيرتنا حول هذا الأمر، عندما
بدأ فى استعراض بدا لنا مريرا فى
عباراته متحفزا فى نبراته، لازمة تمويل



بن جوريون



إيدن

فتحى رضوان، وعضو مجلس الإنتاج محمد فؤاد جلال . بالإضافة إلى العديد من أناشيد قديمة سبق تسجيلاها قبل الثورة عندما اشتعل نضال الفدائين ضد معسكرات الجيش бритانى، أثر إلغاء حكومة الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ فى أكتوبر ١٩٥١ وفي مقدمتها نشيد محمد عبد الوهاب من كلمات كامل الشناوى الذى يقول مطلعه . (كنت فى صمتك مرغم ونشيدان بأسلوب أغانى السمسمية الشعبية المشهورة فى بورسعيد والإسماعيلية يبدأ أولها منشدا (قنالى قنالى دايما فى بالى) .

والثانى (قنانا مصرية .. مانها انجليزية .. راجعة لنا أهية .. بدمانا الذكية) بالإضافة إلى سبعة برامج درامية جاء فيها ذكر ما يتصل بقناة السويس من أكثر من زاوية مما اعتبرناه يومها كنز اذاعيا، ووظفناه بعد إجراء عمليات مونتاج حرافية، مع وضع عبارات مستحدثة تربط

١٣٥

تتدارس فيما يجب أن نواكب به الحدث الجليل تصيلا لحق. وتبثينا لقرار وتأكيدا لانتصار ودعوة لفرض مثيله لاسترداد المنهوب من ثروات مختلف بلاد العرب .
ويفرض احتمال أن ينتهي سريعا عبد الناصر من استكمال خطابه، أن تستحضر الدفاتر المثبت بها الكثير من التسجيلات البرنامجية والفنائية، فنجد شريطًا عليه تسجيل كامل لحاضرة الدكتور مصطفى الحفناوى، صاحب أشهر دراسة أكademie عن قناة السويس وكان قد ألقاها بنادى ضباط الجيش بالزمالة فى افتتاح محاضرات الموسم الثقافى خلال نوفمبر ١٩٥٢، كما وجدنا شريطًا آخر عليه حوارات سبقت إذاعتها فى صوت العرب لبعض أعضاء مكتب قناة السويس الذى أصدر جمال عبد الناصر قرارا بإنشائه ملحقا بمجلس قيادة الثورة، مثل أستاذى القانون حامد سلطان ومحمد على الفتى، بالإضافة إلى الوزير المناضل

صوت العرب هدف عسكري

وإذ يأتى اليوم الثانى على التأمين تهدى حكومتا سوريا وال سعودية صوت العرب أسس حملة إعلامية متضاده تسهم تباعا فى تصفيه ركائز الشركات الأجنبية من أمريكية وبريطانية وفرنسية وهولندية ، المسيطرة على البترول العربى وتعريب منشأته وإخضاع انتاجه وتسيقه لصالح تنمية البلاد العربية المنتجة.

ففي دمشق

عقد مجلس الوزراء السوري اجتماعا حضره على غير العادة رئيس الجمهورية شكرى القوتلى، ليصدر بيانا رسميا يرحب بالتأمين ويباركه ويساند مصر فى تنفيذه مؤكدا أنه عمل يدعم القوى العربية، ويطلق ملكاتها وقدراتها لصالح مستقبل الأمة كلها .. يعقبه بيان حماس لاهب يعلنه أعضاء مجلس النواب السوري، الذى عقد جلسة طارئة عاجلة وسط تظاهرات شعبية شارك فيها رجال الجيش، معلنين تأييدهم لمصر وعبد الناصر، مبشرين بأن التأمين عمل ثورى يحقق مكسبا قوميا تتأكد به حرية القرار المصرى وضرورة مؤازرته وحمايته بالإسراع فى تتويج النضال الوحدوى.

ومن الرياض :

يبعث ملك السعودية سعود بن عبد العزيز ببرقية عاجلة إلى سفيرة فى القاهرة يكلفه فيها بأن ينقل إلى الرئيس المصرى فوراً قرار الملكة بتأييد مصر وباركتها على التأمين يقول له فيها. (قابل حالا السيد الرئيس وارفع له

بين جزئيات فقراته حتى إذا ما انتهى الرئيس من خطابه ، وانفصلت موجة صوت العرب عن موجة البرنامج العام ، بدأنا بتقديم فقرات متناسقة من المحاضرة القديمة للدكتور مصطفى الحفناوى، والتىتناول فيها حقوق مصر الضائعة فى قناة السويس ، يليها نشيد محمد عبد الوهاب (كنت فى صمت مرغم) ولتوالى الأحاديث والبرامج والأناشيد، التى تدور كلها حول قناة السويس ومصريتها وكفاح الشعب من أجل تحريرها، حتى بدا للملائين المستمعين ليتها ، وكأن صوت العرب كان على علم مسبق ببنية عبد الناصر فى تأمين القناة - وهو الأمر الذى ليس له نصيب من الصحة - مما يذكرنى بأمررين .. أولهما : عتاب الصحفيين الكبيرين مصطفى أمين وحسين فهمى للرئيس على ما تصوراه انفراد صوت العرب بالسر .. وثانيهما : التقدير الرئاسى لتغطية صوت العرب الفورية لإعلان التأمين ، وخاصة ما كنا قد حققناه من استطلاعات ردود أفعال عربية صاحبتها صور صوتية لهتافات مظاهرات عربية شهدتها دمشق وبيروت وعمان ، وهو ما دفعنى ليتها إلى إذاعة تعليق أبشر به شعوب العرب بأن استرداد مصر لقناة السويس ودخلها، نقطة انطلاق لبدء عمليات تحرر عربي اقتصادى ، تسترد به الشعوب المنهوبة ثرواتها من عائد آبار البترول العربى فى الشرق وعائد مناجم الكوبالت والفوسفات فى المغرب ..



ديليسبس



جي موليه

فأولاً:

التأكيد على الحق الوطني في ثروات البلاد وامتلاكها بالتأمين وغيره من الوسائل أو العمل الفوري على تقليل الفروق العددية الهائلة بين الانتاج المسلط غير المعلوم، والفتات الذي يعطيه للحكام والشعوب.

وثانياً:

الدعوة إلى إعادة النظر في الامتيازات المتوجهة للأجانب في جميع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، وصولاً إلى ضبطها وتأمين مصالح الوطن وأجياله.

ثالثاً:

المطالبة بإنشاء تكتل عربى في مجال البترول يضم جميع المشيخات المنتجة مع المملكة العربية السعودية لمواجهة الاحتكارات العالمية الموازية.

ورابعاً:

تجسيد إعلامي تشارك فيه مع صوت

باسمنا تأييدنا الكامل للخطوة التي خطها في تأميم شركة القناة ونحن واثقون أن الرئيس يعرف موقفنا واتجاهنا وتأييدنا المطلق له في شتى مجالات التعاون وارفعوا لسيادته تحياتنا وتنبيئتنا الطيبة).

وعلى الفور

يأخذ الخطاب الإعلامي لصوت العرب فيما يلى من أيام وصولاً إلى يوم العدوان الثلاثى على مصر في ٢٩ أكتوبر من نفس العام ١٩٥٦ التوجّهات التالية وخاصة عندما بدأت إذاعة بريطانيا الناطقة بالعربية من قبرص (الشرق الأدنى) في زيادة ساعات إرسالها اليومى في الثاني من أغسطس وتبعتها في ذلك إذاعة المخابرات الفرنسية بالعربية والمسمّاة (مصر الحرة) والتي كانت تبث برامجها من مونت كارلو ويديرها أفراد من عائلة أبو الفتح.

صوت العربي لهدف عسكري

البلاد العربية المتحالفه مع ناصر مثل سوريا والأردن منذرا بخطر يهدى إسرائيل وأمنها ووجودها نفسه وهو ما لا تملك في مواجهته ترف السكوت عليه .

وثامنا ، وليس آخرًا :

التنسيق مع الإذاعات العربية المؤيدة والمعاطفة وكذلك المحايدة سواء من خلال إدارييها أو المتألقين الأحرار من مذيعيها ومحرريها، وإنشاء شبكة اتصالات يومية فيما بينها وصوت العرب، سواء في شأن رصد اتجاهات المستمعين لكل منها، وتاثيرات دعائيات الإذاعات العربية المعادية الصادرة عن دول الغرب أو إذاعة حكومة «نوري السعيد» في بغداد بالإضافة إلى صحف معادية في لبنان والعراق.

ومع توالي أنباء محاولات الغرب، حشد الغرب وخاصة أوروبا المستهلكة الرئيسية للبترونول العربي الذي يمر أغلبه عبر قناة السويس، وأنابيب ممتدة في أراضي شعوب عربية مختلفة: يقع حدثان تأكّد فيما بعد رغم تباعد مواقعهما واختلاف صناعهما، وكأنهما تمهدان مشترك متفق عليه لمواجهة غريبة حاشدة لصر وللغرب وعبد الناصر، وكل غضبة شعبية قومية. بما يجعلنا اليوم نجزم بأنهما كانا اختبارا مبكرا لرد الفعل العربي لأى عمل عدواني..

ففي خلال أسبوع واحد حدث التالي: قرار في السابع عشر من أكتوبر من العام ١٩٥٦، إتحاد عمال الشحن والتغليف في ميناء نيويورك والخاص

العرب إذاعات الحكومات العربية المتحررة للعمل الفوري المستمر، على تصعيد عملية تعبوية شاملة تحسبا لأى رد فعل أجنبى لخطوات العرب التنموية، ومشاريع استردادهم لحرياتهم وثرواتهم.

وخامساً:

بدء الإعلان عن تحديد بيان تفصيلي للمصالح والشركات المتعددة لدول الغرب عامة وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا وأمريكا خاصة والمنتشرة في بلاد العرب وإفريقيا وأسيا، وتهيئة الشعوب لضغط باستمرارا عند الحاجة على صناع القرار في هذه الدول.

وسادساً :

كشف أسماء وادعاءات من جنحوا أنفسهم من العرب في خدمة السياسات الغربية المعادية للعرب، وفضح تواطؤاتهم ضد شعوبهم العربية ومساعيهم من أجل الحرية والنماء.

وسابعاً:

تحقيق مربود يفيد التوجه الإعلامي القومي العربي لوقف قيادات إسرائيل وأجهزتها الدعائية ضد سياسات مصر، ووقف عبد الناصر وعلى رأسها صفقة الأسلحة التشيكية، وقرار تأميم القناة ، مثل تصريح بن جوديون رئيس وزراء إسرائيل يوم أول أغسطس بأن عدم مواجهة العالم - كما ردد - لناصر وتأميمه لقناة السويس، يعني إفلاته مما يجب إزالته به من عقاب يردعه وغيره من العرب، وإلا انقلب الحال في مصر وفي

١٣٨

جـ ٢
١ـ جـ ٢



الملك سعود



شكري القوتلى

محمد الخامس ورئيس تونس الحبيب بورقيبة.

المقاطعة

وبينما كنا في صوت العرب نتعامل معحدث الأول داعين ، أولا وأخيرا إلى مقاطعة عمالية عربية أشركنا فيها معنا البرامج المواجهة من مصر وإذاعتي دمشق وعمان : يصدر عن الاتحاد العام لنقابات العمال العرب - وقبل يومين من وقوع القرصنة الفرنسية الجوية - قرار يرد به على قرار عمال ميناء نيويورك بإعلان إضراب عام على امتداد بلاد الوطن العربي ، من الخليج إلى المحيط يشمل مقاطعة كاملة لكل ما يمت لأمريكا بصلة في البلاد العربية ، مثل وسائل الاتصالات من سفن وطائرات وتمويل سيارات أفراد ، وغير ذلك من التعاملات اعتبارا من يوم ٢٨ أكتوبر ، إذا لم يتراجع اتحاد عمال ميناء نيويورك عن قرار مقاطعة السفينة كليوبترا ..

١٣٩

ج ٢ ج ٢

لتفوز اللوبي اليهودي ، بمقاطعة السفينة المصرية التجارية كليوبترا عند وصولها القريب من موانئ كندا في طريقها إلى موانئ أمريكا اللاتينية ، بحجة قيام حكومة مصر التي تدير الملاحة في قناة السويس بعد التأميم بمنع سفينة إسرائيلية تجارية من عبور القناة ..

وبعد خمسة أيام فقط من موقف عمال ميناء نيويورك - يوم ٢٢ أكتوبر على وجه التحديد - يفاجأ العالم بعملية قرصنة جوية مسلحة باختطاف فرنسا بواسطة السلاح الجوى الحربى ، طائرة ملكية مغربية كانت في طريقها من المغرب إلى تونس وعلى متنها خمسة من كبار قادة الثورة الجزائرية وصناعها (أحمد بن بيلاء ومحمد بوضياف وحسين آية أحمد ومحمد خيضر ودابع بيطاوط) والذين كانوا في طريقهم إلى تونس للاجتماع بممثل الحكومة الفرنسية تنفيذا لوساطة حكومة جى موليه في باريس ، من ملك المغرب

صوت العرب لغير عسكري

من دمشق وبيروت وعمان وطرابلس لليبيا، حيث انتشر المذيعون المصريون الخمسة : إذا بائباء عن هجوم إسرائيلي مباغت على شبه جزيرة سيناء يجرى التأكيد عليها تباعاً ليلة ٢٩/١٠ أكتوبر .. ويتصور البعض منا بأنه لن يتجاوز ما اعتدناه من تحرشات إسرائيلية .. غير أن اتصالاً تليفونياً من مكتب قائد الجيش عبد الحكيم عامر يبدد هذا التصور، عندما طالب الصاغ عباس رضوان أحد الضباط الأحرار العاملين في مكتب قائد الجيش بأن يجري استفار الإذاعيين على الفور ، ومنع إنتهاء الإرسال الليلي لصوت العرب والبرنامج العام، كما جرت العادة بعد انتصاف الليل ، وذلك تحسيناً لتطور متوقع، بدأت القيادة المصرية تستعين ملامحه فور أن ثبت لها أنه قد تم تدمير مراكز اتصالات عسكرية شرق ووسط سيناء ، أعقبه إسقاط مع المساء لوحدة مظلات معادية في موقع استراتيجي وسط سيناء أقرب إلى الشاطئ الشرقي لقناة السويس منه إلى حدود خط الهدنة بين مصر وإسرائيل..

ومع الفجر واقتراب شروق الشمس يبدأ توالي تلقى الإذاعة لبيانات حربية عن معارك متفرقة في سيناء وسط طوفان من دعاية إسرائيلية تردد صداها إذاعات لندن وباريس والشرق الأدنى، تتحدث عن تقدم سريع لوحدات من جيش إسرائيل من الشرق إلى الغرب من سيناء نحو قناة السويس، كما كانت تردد أيامها إذاعات

وإذ تقع القرصنة الجوية الفرنسية يسارع اتحاد العمال العرب إلى إنذار فرنسا ممثلة في كل منشاتها وسفاراتها ورعاياها في بلاد العرب، بضمها إلى قرار مقاطعة كل ما هو أمريكي إن لم تفرج عن الزعماء الجزائريين المختطفين، بينما كان صوت العرب قد قرر - دعماً لحملة ضد المقاطعة الأمريكية والجريمة الفرنسية - أن يوفد إلى خمس بلاد عربية خمسة من المذيعين المتمرسين (أربعة من صوت العرب هم جمال السنهوري وسعد زغلول نصار وصلاح عويس وعبد المنعم سلام مع استعارة زميلهم نبيل بدر من البرنامج العام ، وذلك لتسجيل برامج وصور صوتية لزيارات الفعل العربية الشعبية والرسمية ضد الحدين الأمريكي والفرنسي..

وتنتشى برامج صوت العرب تباعاً بفيضان متدفق في غير انقطاع من الرسائل الصوتية للمذيعين الخمسة، منذ الثالث والعشرين من أكتوبر، تضاعف من لهيب عداء المشاعر الشعبية للأمريكيين والفرنسيين ومنشاتهم الرسمية والمدنية والاقتصادية، في جميع المدن العربية مما جعل كثيرين من المراقبين الغربيين الفرنسيين والأمريكيين، ينتقد قرار اتحاد العمال الأمريكي وعملية الاختطاف الفرنسي.

ولكن :

بينما كانت تتعاظم بهجتنا بالوقفة الشعبية العربية والصور الصوتية الإذاعية المعبرة عنها تتدفق علينا في صوت العرب



عبد الله السالم الصبا



الملك حسين

الجماهيرية، مثل الإذاعة البدء في حملة تعبوية شاملة تعطى جماهير مدن القناة: السويس والاسماعيلية وبورسعيد اهتماما خاصا، وكذلك مدن شرق الدلتا من خلفها إلى الغرب وصولا إلى العمق عند التل الكبير والمطربة ..

التعبئة

وتتدافع في أذهاننا بصوت العرب جميع القواعد الإعلامية المناسبة للتعامل مع مثل هذا الموقف الجديد علينا، فاجدها جمِيعاً تدور داخل إطار أن الإعلام عملية تابعة لوقوع الحدث، وأن الدعوة تالية لنزول الوحي بالدين بمعنى آخر أن يتكون المبدأ وما يقوم عليه من ركائز .. بينما المطلوب اليوم تعبئة جماهيرية ذات بعدين : أولهما بعد محلى مصرى مطلوب استثارته لواجهة خطر فيه تضحيات، قد تتزايد مع استمراره وطول مقاومة مما قد يدفع إلى سطح الإدراك العقلى بمخاوف ذاتية وجماعية .

١٤١

فرنسا وبريطانيا وأسرائيل بمختلف اللغات .. فتبدا الأجهزة المصرية المعنية في إعادة تقييم الموقف على ضوء قناعة تولدت من إسقاط مظلتين إسرائيليين ، وسط سيناء يتقدم إليهم لساندتهم طابور عسكري سريع الحركة.

لا يلبث معهم أن يتقدم في اتجاه شرق قناة السويس في هروبة تحميها كثافة جوية من طائرات نفاثة لمقاتلات فرنسية (ثبت فيما بعد افتراض التامر الثلاثي ونشر بعض وثائقه أنها كانت تابعة للسلاح الجوى الفرنسي) .. فيصدر توجيه سياسى إعلامى بأن المستهدف من مصر، هو قناة السويس وهى شأن دولى فى إدعاء الغرب، وخاصة عند فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة أكثر منها محل اهتمام إسرائيلى مباشر تغامر معه وحدها بشن عدوان على مصر .

ويطلب التوجيه الرئاسى فى ختام عباراته من الأجهزة المعنية وخاصة

صوت العرب في الغرب العسكري

جماهيري يتقبل المشاركة في الصراع والتكيف مع ما قد يفرضه من عنف، مما قد يضمن معايشة الجماهير المستهدفة بأن تعيش المعارك بأخطارها، متقبلة ما قد تفرضه من تضحيات جسام، وفي قناعتها أنها ثمن بخس تدفعه راضية مقابل واجب لأحلامها في الكرامة، و إصرارها على الحرية والتماسها لمكاسب حياتية لها ولأجيالها ..

الإنذار

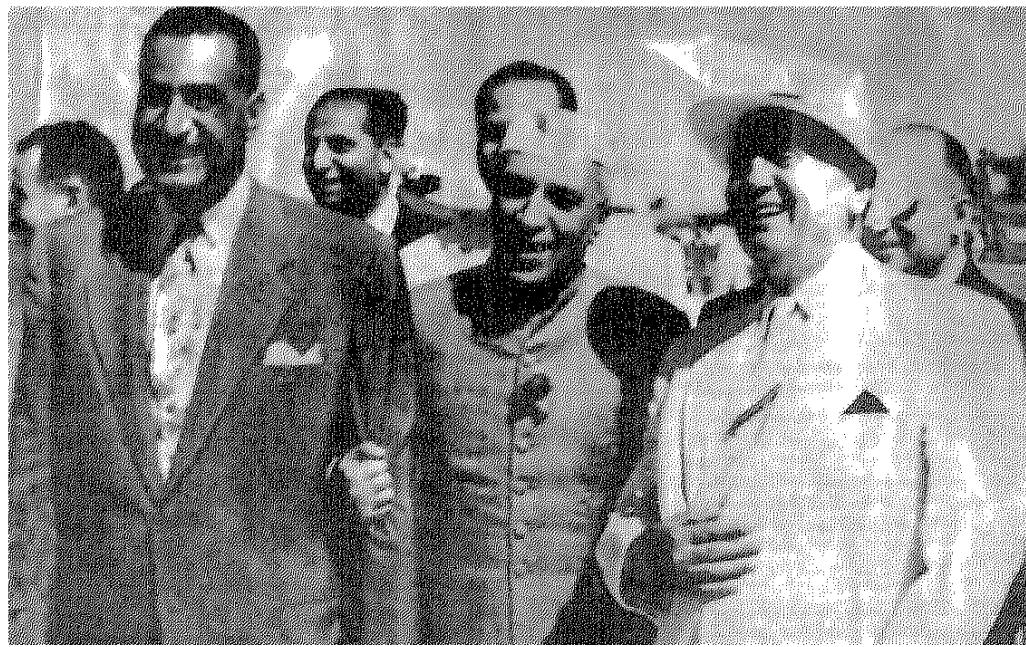
وازد تجئ الساعة السادسة من مساء اليوم الثلاثاء من أكتوبر، تتتأكد أبعاد استخدام إسرائيل لجنودها المظلعين في احتلال بقعة استراتيجية وسط سيناء، على بعد ٧٥ كيلو متر فقط إلى الغرب من الشاطئ الشرقي لقناة السويس. فقد وجهت فرنسا وبريطانيا نداءهما المشهور إلى مصر وإسرائيل بإذار عسكري صارم بنية احتلال قوات الجيشين المتحالفين الفرنسي والبريطاني لقناة السويس ويعرض عشرة كيلو مترات شرقاً ومثلها عشرة إلى الغرب ..

وتذكر الوثائق التي تم نشرها أخيراً وخاصة في بريطانيا حول العدوان الثلاثي أن اجتماعاً تم عقده في لندن قبل يوم من بدء الحرب ب أسبوع واحد فقط، ضم من الجانب البريطاني السير الجنرال تشارلس كيتنى قائد التحالف، و «الليوتينانت جنرال» السير الجنرال هيوج ستوكويل قائد قوات الفزو البرية .. ومن الجانب الفرنسي فاييس ادميرال بيير بارجوت نائب جيوش التحالف والمأجور جنرال جاك ماسو قائد

وثانيهما : بعد عربي يجب حشده لتوسيع رقة المواجهة مع الخطر وتداعياته الغربية المتوقعة، من خلال تحرك شامل جارف - رفضاً لأى عدوان - داعماً لصر، يهدد في تفعيل إيجابي مصالح حماتها البريطانيين والفرنسيين والأمريكين .

وبالبعدان يخرجان بالعملية الإعلامية المرجوة من مجال التبعية للحدث، إلى مجال التبيه إليه وصولاً إلى الإنذار به وخطره على الكل العربي، والاستنفار المتصاعد لدحره بكل ما يجب حفنه وتسلیح الجماهير ضد احتمالات القلق المتخوف من تضحيات غير مرئية أو محددة، وهي نوافض يمكن أن تتبع لآلية دعاية معادية مجال تحرك واسع نافذ يظفر بنفوس ضعيفة، ولم يكن أمامي ساعتها غير اختيار الإيحاء بالمشاركة العربي المسؤول مع شعب مصر، على أساس ما كان قد قام بالفعل من استنفار الغضب العربي العام، والثائر، منذ أكثر من عشرة أيام بسبب مقاطعة السفينة المصرية كليوباترا في الميناء الأمريكي،

وازدادت غضبته وثورته بخطف فرنسا الفادر لزعماء ثورة الشعب العربي الجزائري، وهو ما لم يلبث أن فرض مع تداعيات العدوان الإسرائيلي والاشتراك الفرنسي البريطاني فيه، أن نلجم في صوت العرب إلى أسلوب حرافية خطاب إعلامي يقوم على خلق تيار جمعي يتكيف مع أجواء الصراع الناشب بكل احتمالات تطوره، مستهدفاً تكوين رأى عام



تيتو ، نهرو ، عبد الناصر فى باندونج

١٤٣

مصالح فرنسا وبريطانيا، في نفس الوقت الذي يشير إليهما غضبةرأى عام عالى، تملك الأحزاب الشيوعية والاشتراكية والليبرالية قدرات فائقة على تحريكه دوما ضد السياسات الخارجية لدولتى التحالف الفرنسى البريطاني. ويوافق قادة جيش الغزو على ما ذهب إليه تقرير رئيس قسم الحرب النفسية، ضابط المخابرات البريطانية جون فيرجون من أولوية خاصة بحرمان ناصر - كما نصت عبارة الوثيقة - من لسانه وحنجرته وكل ما يجعله قادرًا على استئثارة العرب من جهة، وجمع المصريين حوله واستنفارهم لقتال شعبي مسلح قد يصمد طويلا، مما يفسد سرعة استسلام مصر والعرب والعالم من بعد للأمر الواقع الذى فرضه العمل العسكري، باحتلال سريع لقناة السويس والانهيار الاستسلامى لمصر .
ويحدث أن تدرك الرئاسة المصرية

فرقة المظلات الفرنسية لدراسة آخر تقارير المخابرات فى البلدين، عن مصر محل الهجوم الوشيك، وكان على رأسها تقرير تفصيلي عن العمليات الواجب تنفيذها لإضعاف المقاومة المصرية سريعا، وإفقدان المصريين الثقة فى إمكانية الصمود وتآليب الشعب على عبد الناصر، وصولا إلى إقامة حكم يستسلم للغرب .. واعتمدت خطة هذه العمليات المتصلة بالحرب النفسية، ضرورة القيام مع البدايات الأولى للغزو الفرنسي бритانى، أن يتم قصف مجمع محطات إرسال الإذاعة المصرية فى أبي زبل، إلى الشمال الشرقي من القاهرة والتى تجمع الشعب حول عبد الناصر، وخاصة برنامجها صوت العرب والتى تهدد بإثارة الجماهير فى كل مكان يصل إليه صوتها فى بلاد الشرق الأوسط، مما قد يؤدي إلى صمود مصرى غير مرغوب فيه يؤثر مع استمراره فى إثارة شعبية عربية ضد

صوت العرب في حرب عسكرية

لتماسكها وانضباطها استعداداً لمقاومة
شعبية مجده ..
ثم ..

أفاجأ مع منتصف أول نوفمبر اليوم الرابع منذ بدء عدوان إسرائيل، والثاني من بدء هجمات بحرية وجوية فرنسية بريطانية بفتحي الدين ضابط المخابرات المسؤول عن الشؤون العربية، وصاحب فكرة إنشاء صوت العرب يتصل بي تليفوني ويخبرني بأن الصاع عباس رضوان في طريقه إلى مبنى الإذاعة للإشراف على مهمة إذاعية هامة، متصلة بالقتل الدائر، قرر الرئيس تكليفها ، وأن المطلوب مني أن أذهب به فور وصوله إلى مكتب مدير الإذاعة محمد أمين حماد، للبدء إدارياً وفنرياً في تنفيذ المهمة العاجلة، وأنذكر وأنا في انتظار عباس رضوان أنني سمعت كثيراً عنه كرجل مهم خاصة يكلفه بها الرئيس عبدالناصر والقائد عبدالحكيم عامر، وفور وصوله يذكر في مكتب مدير الإذاعة الذي تم إغلاقه على ثلاثة بأن أعد نفسي وطاقم إذاعي من ستة مذيعين أكفاء غيري، لديهم إحساس بالمسؤولية وإدراك شامل للحرفية، يتم تزويدهم بكم مكثف من أشرطة تسجيلات القرآن الكريم حول الجهاد، بالإضافة إلى ما تم ويجرى تسجيله تبعاً من أحاديث ونداءات المشايخ والأساقفة تأميناً لإذاعة متنقلة، سينتهي سلاحاً الإشارة والمهندسين من إعدادها فنياً بأطقم بشرية من ضباط مختارين متخصصين، ويشير عباس رضوان إلى أهمية اختيار مذيع مسيحي ضمن الإذاعيين المقترحين، مثل

أبعاد الإنذار المشترك بكل ما تضمنه صراحة من نية غزو مسلح ت يريد به فرنسا وبريطانيا احتلال كامل قناة السويس احتفال نجاح المع狄ن في القضاء التام على وحدات الجيش المصري التي أسرعت إلى سيناء مع بدء تمثيلية العدوان الإسرائيلي ، في نفس الوقت الذي أدرك فيه عبدالناصر أن وجود مدن عاصمة بالسكان المصريين في منطقة قناة السويس، يعني من ناحية حتمية التحام بين القوات الفرنسية البريطانية وجمahir مدن وقرى القناة بكل تداعيات هذا الالتحام، من مقاومة شعبية واجبة وتعرض هذه الجماهير لنتائج الغزو المسلح وعمليات المقاومة المرجوة، وكان أن قرر على الفور سحب الجيش من سيناء والتحامه بالشعب، وتهجير لأسر رجال مدن القناة مع بدء توزيع الأسلحة والذخيرة والتدريب العاجل عليها وتنظيم مقاومة شعبية تحت قيادة نفر من الضباط الأحرار .

دور الإذاعة

١٤٤ وتبداً الإذاعة على الفور في خدمة توجهات عبدالناصر .. ويتم استخدام متقطع للمذيعين في توجيه نداءات تتطوى على شفرات توجه قواتنا المسلحة في سيناء، إلى تأمين الانسحاب السريع المطلوب .. في نفس الوقت الذي حملت الإذاعة عباء إشاعة الطمأنينة بين نفوس مواطنى مدن وقرى القناة تأميناً لتهجير جزئي متتسارع، للكثير من الإناث والأطفال مع تركيز إيحائي يضمن تواجد الرجال وغرس فكر المقاومة والدعوة

المقاومة مصر يا وعربيا وتطلب تحركا
سريعا يستنفر كل الطاقات، وهزيلها قبل
جليلها، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه..

بدأ خطر المأساة بعد قصف جوى
فرنسى بريطانى لواقع عسكرية ومدنية
فى أنحاء متفرقة من مصر، مع تركيز
نوعى على بورسعيد وسط نداءات تهديد
بقصف موقع تجمعات كثيفة السكان،
وبالتحديد مبنى الإذاعة بشارع الشريفين
وسط القاهرة ، مما اضطربنا يومها بدورنا
إلى أن نوجه النداءات إلى المذيعين
والمحررين العرب العاملين فى إذاعتنا
بريطانيا الناطقتين بالعربية فى لندن
ووبرص الشرق الأدنى، نطالبهم فيها
باستقالات فورية قبل أن يعتبروا خونة
يطاردهم العرب فى كل مكان ..

ولنفاجأ على الفور بصمت إذاعة
الشرق الأدنى نحو نصف الساعة، عاودت
بعدها توجيهه تهديدات المعتدين بقصف
مدمراً لبني الإذاعة المصرية وسط القاهرة،
بصوت لأجنبى ينطق العربية بلتكنة أجنبية
مثيرة للسخرية والاستهزء، دفعت يومها
- كما بيّنت الوثائق المنشورة أخيرا -

١٤٥ ضابط المخابرات البريطانية مسئول
الحرب النفسية في قوات المعتدين، إلى
إصدار أمره الفوري، بايقاف إرسال
إذاعة الشرق الأدنى وخروجها تماماً من
معركة الدعاية ضد مصر وعبدالناصر .
ولكن ..

وبينما كانا تبادل التهانى على النهاية
الهزلية للإذاعة البريطانية الشرق الأدنى :
فوجئنا مع الساعة الثامنة والدقيقة الثالثة
والخمسين صباحاً بتوقف إرسال إذاعتنا،
نتيجة قصف جوى بريطانى أصاب مجمع



الرئيس بن علي يستقبل أحمد سعيد في الجزائر
المذيع المسيحي بصوت العرب ديمترى
لوقا، وإذ أبلغه باستقالته منذ أسبوع
وهجرته إلى كندا وأن هناك زملاء
مسيحيين من مترجمى ومحررى نشرات
الأخبار مثل عزيز قسطندي واسحاق حنا،
إلا أنه يأبى مؤكداً أن مثل هذه الإذاعة
السرية ستحتاج إلى جانب موهبة التحرير
حرفية الأداء، فائذكر أستاذنا المذيع
السابق سامي داود الذى أصبح صحفياً
فى جريدة الجمهورية، فيضيفه إلى قائمة
المرشحين حسنى الحيدى وجلال معرض
وفاروق خورشيد والسيد الغضبان والتى
تم اعتمادها مخابرتينا خلال ساعة زمن.

مسئوليّة خطيرة

ويجيء يوم الجمعة الثانية من نوفمبر
حملنا إلينا في إذاعة مسئوليّة خطيرة
مفاجئة تهدى صمود الشعب وانهيار

صوت العرب بالحرف العسكري

والمخابرات العامة كان من بينهم على صبرى مسئول مكتب الرئيس، يتصلون تليفونياً بأهالىهم ومعارفهم فى مساكنهم بمختلف أنحاء القاهرة لإعلامهم برقم موجة إذاعتنا الطارئة، كذلك تم يومها الاتصال بأرقام عشوائية تليفونية ودعوتهم إلى الاتصال بدورهم بمعارفهم وإعلامهم برقم المحطة بهدف إشاعةطمأنينة والثقة في القدرة على استمرار المقاومة حتى النصر ..

هدف عسكري

ومع ظهر نفس اليوم يتم إصلاح بعض الأعطال التي سببها القصف الجوى البريطانى لأبى زعبل .. وينجح المهندسون المصريون بقيادة على أبو قنديل من تدبير استديو احتياطى ومحطة ارسال، كان قد بدأ تركيبها فى جبل المقطم شرق القاهرة .. ويقف جمال عبد الناصر فوق منبر الأزهر مؤكداً فى خطابه التاريخى إرادة المقاومة والقتال، ذاكراً عدوان طائرات الغزاة على محطات الإرسال بأبى زعبل، هادفة تدميرها قائلاً بالحرف (صوت العرب هدف عسكري .. جت طيارات العدو تضرره .. عايزه تسكت صوت الحرية العربية .. صوت القومية العربية .. صوت العرب رجع أقوى مما كان .. بيتكلم أقوى مما كان .. بيدعى العرب للحرية والوحدة .

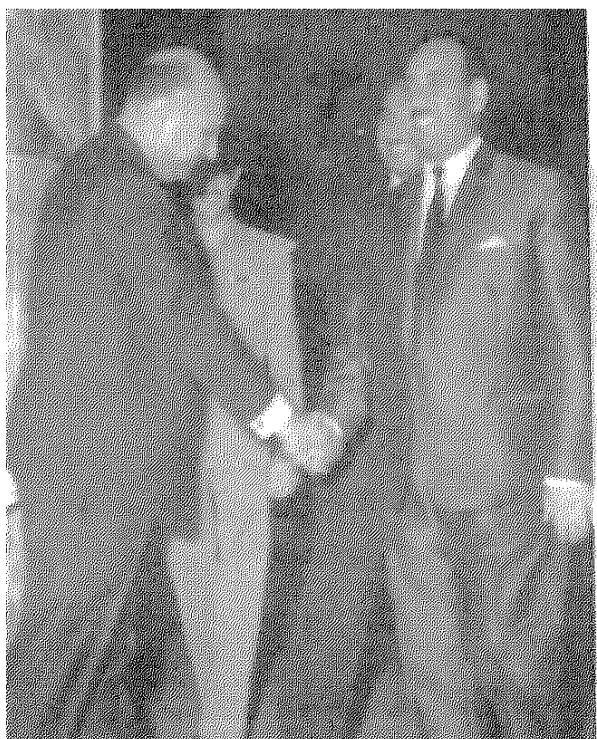
ويحدث وسط ما انتابنا من قلق متزايد كمواطنين أولاً تهدد بلادهم قوى جيوش دولتين كبيرتين مثل بريطانيا وفرنسا بالإضافة إلى جيش إسرائيل وكإذاعتين ثانية فقدوا سلاحهم الذى

محطات الإرسال فى أبى زعبل .. غير أنه وسط حالة الإحباط التى أصابتنا أجمعين، يتصل بي ضابط المخابرات فتحى الدibe، يذكرنى بجهاز الإرسال القابع فى مبنى المخابرات العامة، والمخصص أساساً لخدمة اتصالات قادة الخارج بقيادة الداخل من زعماء الثورة الجزائرية، ويجرى إعداده ليتحول إلى إذاعة ثورية باللغة الفرنسية، مؤكداً لي أن المهندس المختص بهذا الجهاز يرى إمكان استخدامه كبديل سريع محدود نطاق الاستماع إليه على الموجة المتوسطة، داخل نطاق القاهرة فقط حتى يتم إصلاح محطات الإرسال فى أبى زعبل، أو يكتمل إعداد عربة الإذاعة المتنقلة .. وأبادر مسرعاً إلى مبنى المخابرات فى شارع حجازى بالمنيرة خلف مبنى مجلس الوزراء مصطحباً معى المذيع الزميل فهمى عمر والزميلة نادية توفيق وعدة أشرطة مسجل عليها أناشيد نضال وكفاح .

ويتم فيما يشبه العجذات، تحويل محطة الإرسال للموجة القصيرة إلى محطة إرسال للموجة المتوسطة غير أن أجهزتها تأبى أن يتم ضبط مؤشر بثها على رقم إذاعة القاهرة، أو صوت العرب، مما دفعنا إلى الإسراع بالاتصال بمدير هيئة الاستعلامات يومها البكباشى عبدالقادر حاتم، حتى يوجه سيارات المصلحة المزودة بمكبرات الصوت بالتجول فى أحياء القاهرة المختلفة والإعلان عن رقم الموجة التى بدأنا ببث عليها النداءات الداعية إلى الصمود والأمل فى النصر، بينما انطلق نفر كثير من مجلس الوزراء

١٤٦

٢٣
٢٤
٢٥
٢٦



١٤٧

.. وفي لقاء مع الرئيس العراقي عبد السلام عارف يقودها نائب مدير الشرطة جاسم القطامي تدعو شيخ الكويت يومها عبد الله السالم الصباح، إلى إيقاف ضخ البترول إلى السفن حتى يتوقف العدوان ويرحل عن مصر .. ولتتوالى من بعد مواجهات عارمة ضد كل ما هو بريطاني وفرنسي في بلاد العرب دفعت أنتونى ناتينج وزير الدولة للخارجية في حكومة أنتونى إيدن البريطانية إلى الاستقالة من منصبه رافضا المشاركة في توسيع عدوانى غير مبرر يتسم بالحمق الذى يهدى مصالحها واصدقائها فى كل منطقة الشرق الأوسط.

والى يوم

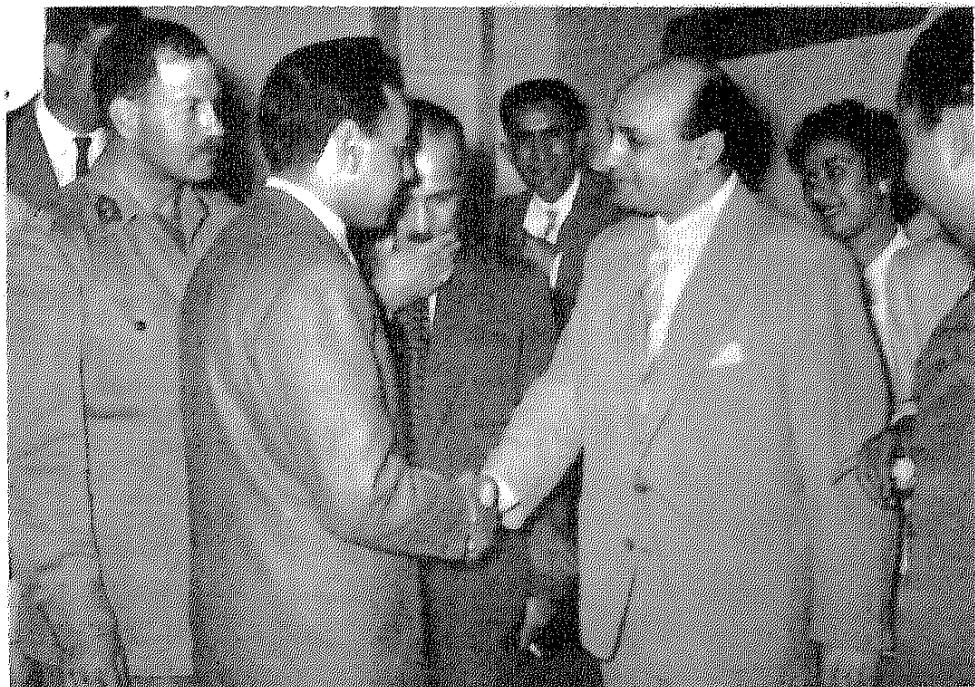
بعد خمسين عاما على حرب السويس ومؤامرة العدوان الثلاثي على مصر، تنشر بريطانيا عدة وثائق عن أحداث أكتوبر نوفمبر ١٩٥٦ نجد بينها وثيقة يشير ما

يخوضون به معركة الحرية المصرية العربية، أن تأتينا ونحن نتعامل مع إذاعة المخابرات المحدودة أبناء زملاء في أقسام الاستماع الإذاعى بالتقاطها إذاعات سوريا والأردن ولبنان وال سعودية وليبية تردد بعد أقل من نصف ساعة من صمت إذاعات مصر، نتيجة للقصف الجوى نداءات بأصوات مصرية وعربية تردد (صوت العرب من دمشق وصوت العرب من عمان وصوت العرب من بيروت وصوت العرب من جدة وصوت العرب من طرابلس) وأتذكر حامدا المذيعين الخمسة الذين أوفدناهم قبل بدء العدوان بأربعة أيام إلى بعض العواصم العربية لتزويد صوت العرب بصور صوتية، لتظاهرات مقاطعات شعوب العرب، ردا على مقاطعة مينا، نيويورك الامريكى للسفينة المصرية كليو بترا وخطف فرنسا للزعيم الجزائريين الخمسة .

ثم ..

تکتمل فرحتنا كإذاعيين أن يلبى السوريون في البدء نداءات تدمير مصالح العدو، عندما فجروا تحت اشراف ثلاثة من الضباط السوريين (عبد الحميد السراج وهيثم الأيوبي وكامل عرنوس) محطات ضخ البترول العراقي في أنابيب متعددة عبر سوريا، مما يثير حماس العراقيين العاملين في شركات استخراج البترول العراقي في كركوك، فيقدمون تحت إشراف الضباط نظام الطبقجي الذي أسهم فيما بعد في ثورة العراق عام ١٩٥٨ مع المناضل العراقي الشاعر عدنان الرواوى .. في نفس الوقت الذى تشهد الكويت مظاهره شعبية رسمية بوليسية

صوت المحنّى هرث عسكري

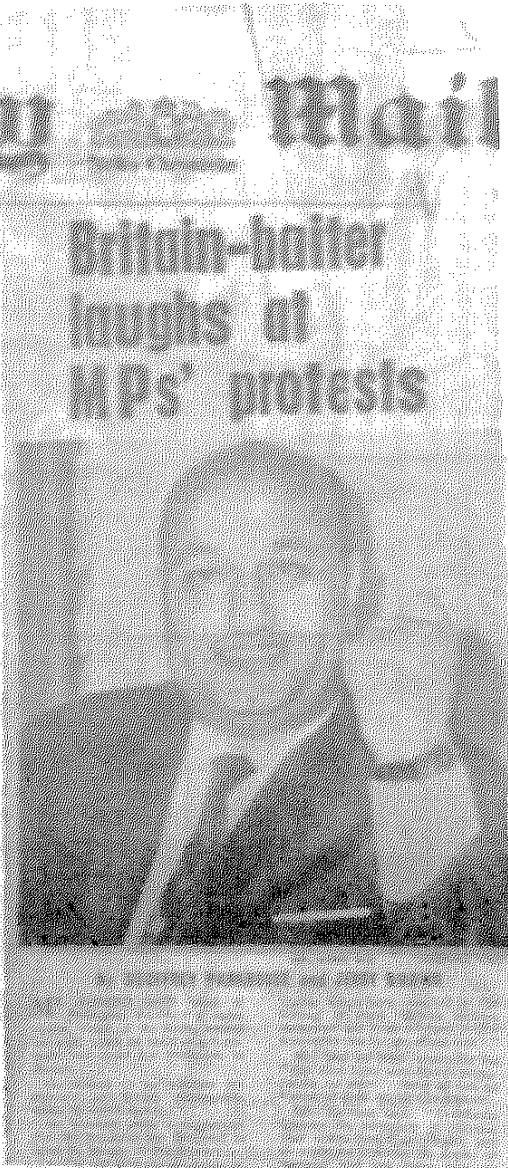


.. وفي المغرب يستقبله الأمير الحسن ولـى العهد وـمعه الوزير فتحى رضوان

فى نفس يوم القصف الذى أرادته مدمرة فى نفس الوقت الذى فوجئنا فيه بقسم إدارة الحرب النفسية بقيام إذاعات، أكثر من إذاعة عربية فى آسيا وإفريقيا، باستضافة مذيعين مصريين يعمل أكثرهم بإذاعة ناصر للعرب وهم يرددون على أرقام الموجات إذاعات سوريا ولبنان والأردن وليبية وال سعودية نداءات إذاعة ناصر العربية، إذاعة صوت العرب من دمشق، إذاعة صوت العرب من بيروت، إذاعة صوت العرب من عمان ، إذاعة صوت العرب من جدة ، إذاعة صوت العرب من طرابلس ، وكأننا بقصف إرسال إذاعة واحدة أطلقنا مكانها خمس إذاعات عربية، من دول غير مستهدفة فى تخطيطنا للحرب ، مما ساعد كثيرا في إشاعة روح العداء ضد الدولتين المتحالفتين ، وهو ما ساعد من بعد على

ورد فى بعض سطورها من حقائق يعترف بها أحد المسؤولين البريطانيين المشاركين فى التدبیر للعدوان وتنفيذه، بما يمكن أن ينجح فى توقيره من إسهام ناذن فى تأمين نضال الشعب من أجل الحرية والاستقلال .. فقد سجل ضابط المخابرات البريطانية جون فيرجون المسئول عن إدارة الحرب النفسية ضد مصر والعرب، فى قيادة التحالف资料 الفرنسي البريطاني ضمن صفحات تقريره الذى قيم فيه عمله قائلا : (من أن تقديره للإنجاز الذى تم ياسكات إذاعات ناصر عن مخاطبة المصريين، والتواصل الدعائى مع العرب صباح يوم الجمعة الثانى من نوفمبر ، فلم يلبث أن أفسدت تدبیره أخطاء صاحبت القصف الجوى لحطات إرسال الإذاعات المصرية، مكنت مهندسيها من تدبیر إصلاح سريع لأغلبها وإعادتها إلى البث

ومستقبله، من ماضيه وتجاربه في مجالات العمليات الإعلامية، على سبيل المثال، وبعد أن أصبح اليوم فريسة ٢٥٧ قناة إذاعية و١٣٦ قناة تليفزيونية أرضية وفضائية، مقابل ٢١ إذاعة، فقط كانت في أثير عرب عام ١٩٥٦ : لماذا حرصت قوات النامير الفرنسي البريطاني مع بدء عدوانها على مصر، قصف محطات إرسال الإذاعات المصرية لدميرها وحرمان مصر وعبد الناصر من التواصل مع العرب، وحشدهم ضد المع狄ين ، بينما لم تسع قوات التحالف الذي تقوده أمريكا من قاعدتها الحربية في إمارة قطر تدمير ولو قناة واحدة من القنوات التليفزيونية التي تتنافس منذ بدء حروب الخليج، واحتلال العراق على عرض الأنبياء والصور والتحليلات والانتقادات، فيما يتصل بكل التوجهات الغربية والعربية بين معادية وعيثية، وكأنها تستهدف تكريس التفوق الأجنبي مع الدونية العربية !! .. فما أكبر ١٤٩ الفارق المتناقض الصارخ بين إعلام معاصر يدعى المعارض في توجهاته، بينما هو من خلال حرافية متميزة يستهدف فيما يقدمه ويعرضه إشاعة القنوط واليأس وروح الاستسلام ، وبين الإعلام الإذاعي الثوري التثويري في الخمسينيات من القرن الميلادي العشرين، بكل زخم صدقه التفعيلي المفجر لثورات الشعوب، البائع فيها روح النضال التي تستعدب التضحية وتزغرد للشهداء .



تصاعد الرفض العالمي للسياسة البريطانية الفرنسية ، واتهاء العمليات الحربية في غير صالح الدولتين في نفس الوقت الذي استقرت فيه ولو إلى حين شعبية ناصر وسياساته التي يدعو إليها وإلى مبادئها المصريون والعرب في كل مكان) .

وهكذا

يحق لجيل القرن الميلادي الحادى والعشرين أن يجد لنفسه جوابا عن تساؤل واجب عما يمكن أن يتعلمـه لحاضرـه

شاعر للكوكب بطل بور سعيد

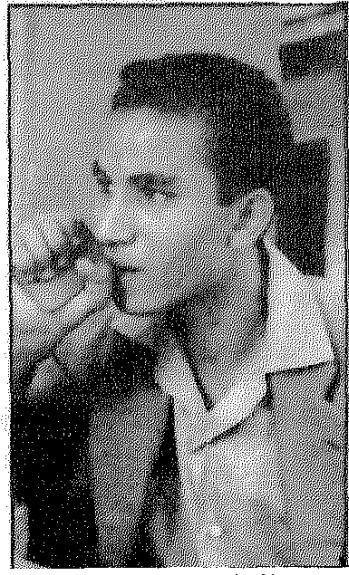
البطل سيد عسaran



وقبل رحيله



عدد ديسمبر ٢٠٠٦



البطل في شبابه

«شيخ فدائني بور سعيد»، البطل «سيد عسaran».. اسم يعرفه مقاتلو وفدائنيو بور سعيد الذين عايشوا العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، فحيثها كان ابن الثامنة عشرة رمزاً من رموز المقاومة، وهو صاحب فكرة «القنبلة الرغيف» التي أطلقها لتقضى على واحد من كبار ضباط الجيش البريطاني «ويليامز».

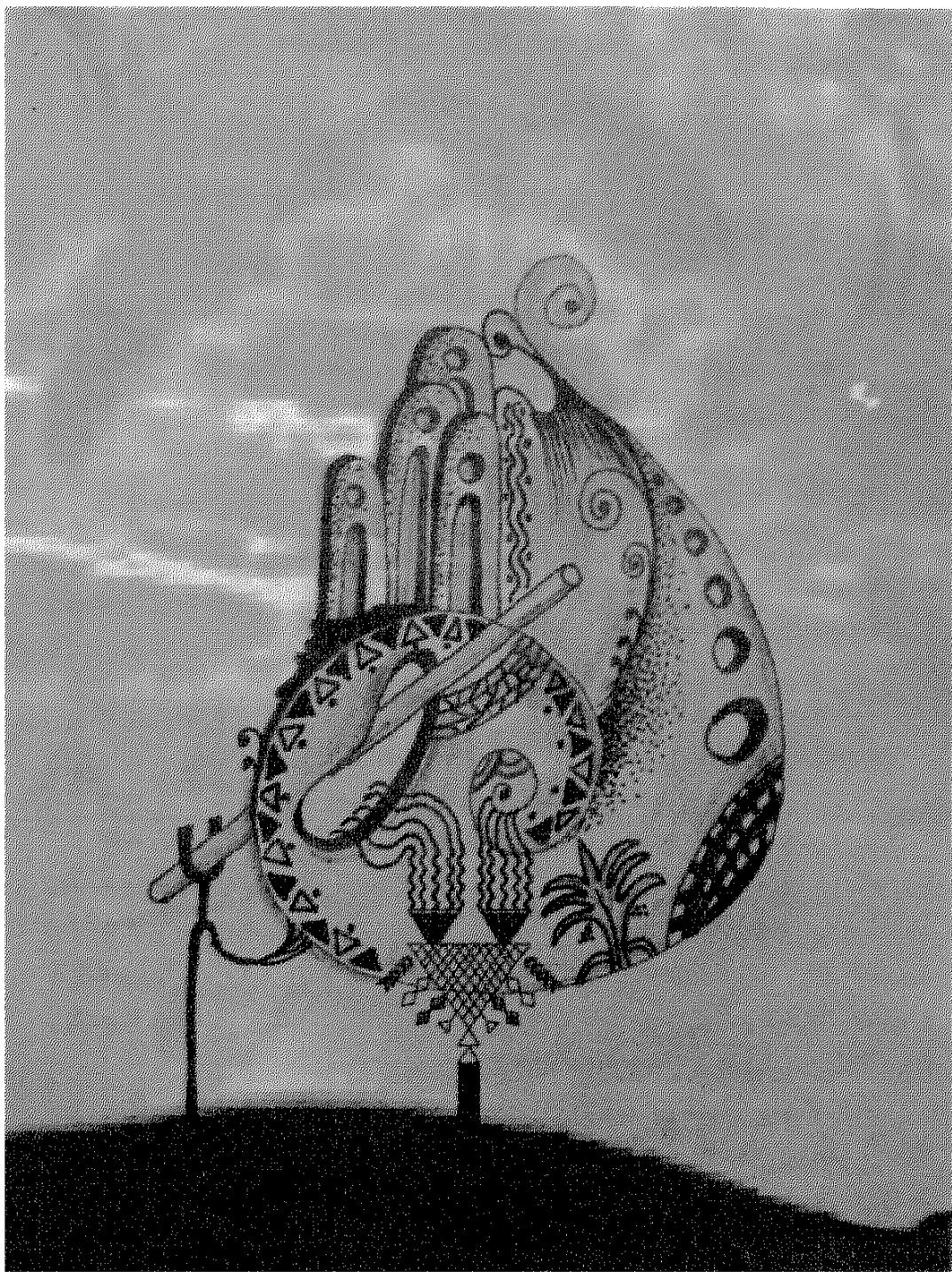
وقبل شهور قليلة من الاحتفال بمرور خمسين عاماً على نصر العدوان الثلاثي، توفي البطل «سيد عسaran». ولأن مصر لا تنسى أبطالها الذين ضحوا بأرواحهم دفاعاً عنها، ندعوا المجلس المحلي لمحافظة بور سعيد أن يُطلق اسم هذا البطل على أحد شوارع المحافظة، الشارع المحطة بمنشأته وحياته، أو شارع «بنما» أو «رمسيس» اللذين شهدا أعماله البطولية، فهذا البطل يستحق، أسوة برفاقه الأبطال «مهران» و«حمد الله»، أن يكون اسمه عنواناً لأحد هذه الشوارع، حتى تحفظه عيون الأجيال القادمة ويظل رمزاً للبطولة والفاء».

أدباء وفنانو ومثقفو بور سعيد

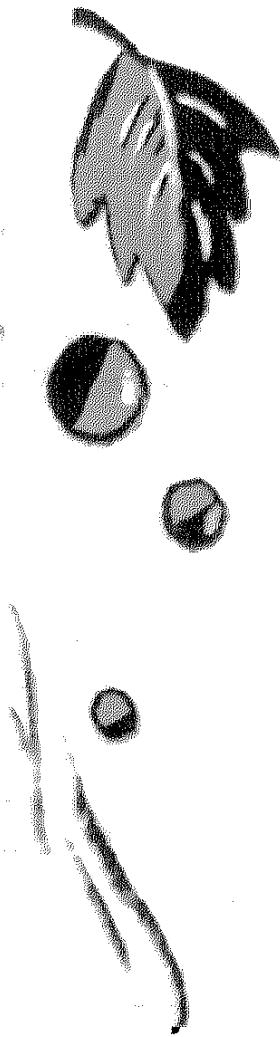


١٥٢

الطبعة - بيروت - ٢٠٠٣م



لوحة للفنان: خالد الزهيري



الله

- عن سيرة حياة رجل تافه محمد آدم
- قصائد محمد الكفراوي
- مات أبي د. أمانس فؤاد
- قصيدة تران من باريس حمزة قناوى
- إنى أحب الآن هولا ذ عبد الله الأنور

عن سيرة حباهه رجل تافه

محمد آدم

أكاد أنتشى حماساً لإحساسى الدائم
بالعبث واللجدوى
أنا رجل تافه بما يكفى
أتقلب فى فراشى مثل رجل مصاب
بالصدفية
ومثل درقة
أحلم بالشئ
ونقيضه فى نفس الوقت
أتوقف أمام كافة الشوارع
وأقول :
يجب على أن أجلس على كافة الأرصفة
المعادية
- دعنى أحىي هذه الأرصفة التي كلت من
الوطء -
أرفع حياتى الحارة للشمس
وأقول :
أنا الكائن العابر بشكل غير متتبه ولا
إنسانى
كل امرأة تعبر من أمامى ألمح تحت ثوبها
جسداً يتكلم
أو أسدًا يزار
كل نجمة تظهر
أو تخفي
 تكون بمثابة روح ضالة أو عين شريرة
كل قمر يضئ - هو بالتأكيد - نسيان
أخير لرائحة الموت
كلما أتوقف لأنذكر اسم شارع

أنا رجل تافه بما يكفى
لم تنفعنى حياتى الماضية بشئ
ولم يتقرر مصير خيباتى بعد
نزيل خمارات سابق
وصديق دائم لمستشفيات الدرجة الثالثة
وكذلك لنوبات الجنون
والصرع !!
أنا أستاذ وأبله
فقيه في علم الروث الكوني
وصديق دائم لسقراط
مقامر ولا أملك سوى أزرار بنطلونى
وفردتى حذاء من مخلفات حرب كونية
سابقة
لم يقل لي أحد ما هي الحياة
وماذا يحدث بعد الموت
أصاب بالزكام مجرد عبور امرأة على
سطح الذاكرة
أشعر بالأمراض الجمة وأتعلل بالأوجاع
حتى لا أذهب إلى العمل اليومى مثل حمار
بعوينات
في الحمامات العامة
أصاب بأسفكسيا الغرق
وأبصق على كافة الجماهير البلهاء
التي لا تعرف غير معنى واحد للحياة
أبول بضمجر
وحميمية على كافة النظم السياسية
والديكتاتوريات

١٥٤

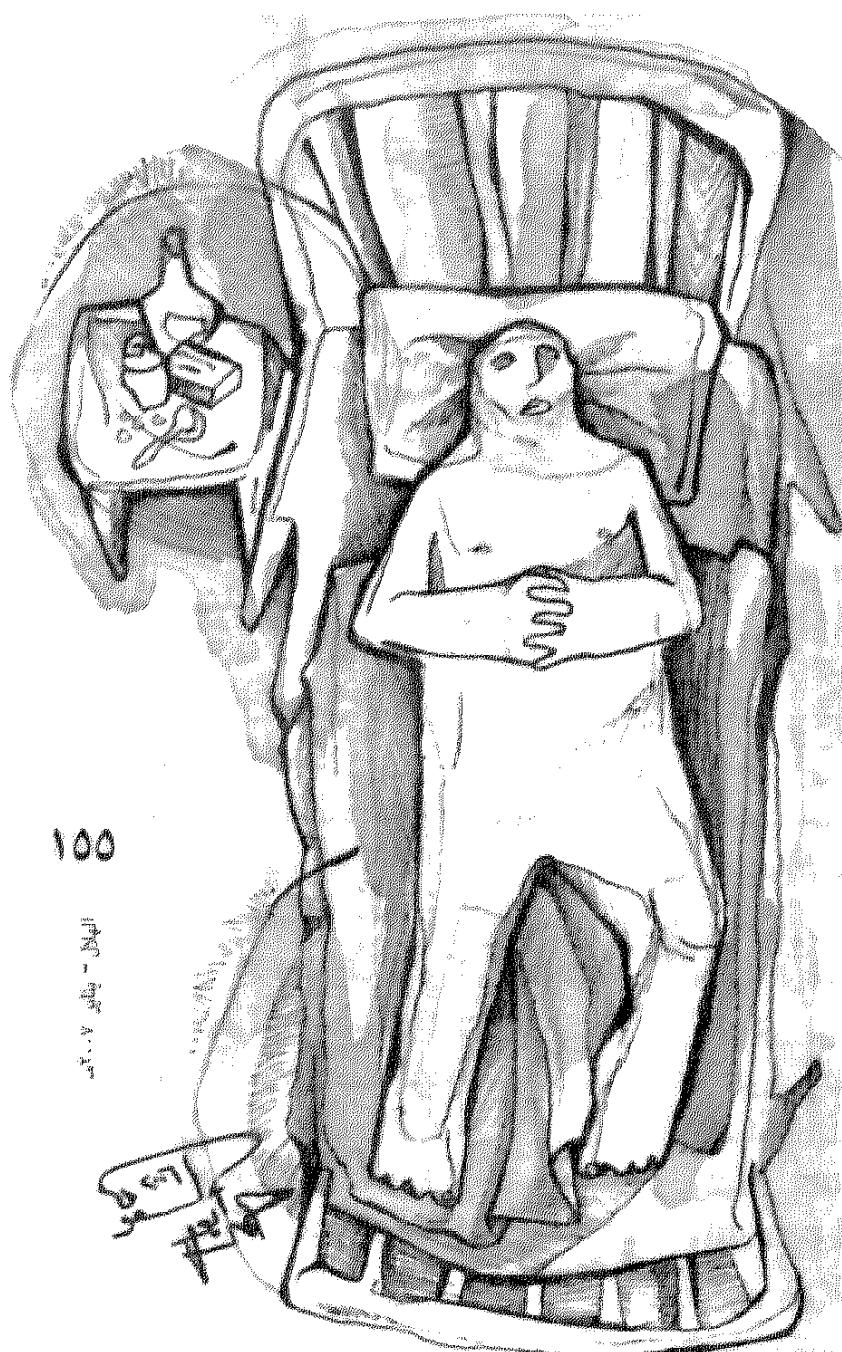
٦
٧
٨
٩

والشر
ورفع أسعار الفائدة
وزيادة معدلات البطالة أو التنمية
وانتشار الفقر في العالم الثالث
وزيادة معدلات مرض الإيدز
ولماذا ظلَّ الرجل الأبيض هو السيد

تهبط على رأسى حمامه ضالة
كلما أحنى لأربط حذائي
تسقط مني دمعة متراكمة
أنا رجل تافه بما يكفى
اللايقين يصير حقيقة مجرد أننى أفكر
فيه

المادة تحول بين أصابعى إلى
الآب والإبن والروح القدس
كافه المحسوسات تحول
إلى الامحسوسات
الميتافيزيقا تنتقد كل
فلسفة الأبعاد وفلسفة
اللأبعاد
وتخترع لنفسها
ميتافيزيقا جديدة
العالم يستحيل إلى مائدة
من وساخات كونية
ومجموعة من الكلاب
الضالة
وقطط من الفخار
المضمحل
فى الطبق الذى أتناول فيه
طعام إفطارى
تسقط كافة ذكرياتي الميتة
والحياة

على السواء!!
أنا راجل تافه بما يكفى.
لعدم درايتي الكاملة
بقوانين الدولة الاستثنائية
والأعيب رجال السياسة
الوحمة
والتشريعات العجائبية
الغريبة عن مجلمل الخير





بازغاً ينظر إلى
 بنصف عين والنجوم تتجلو في تلك
 الناحية من الغرفة
 أجلس على الأرصفة
 ودائماً ما أجلس على الأرصفة فاري
 الشمس أربنا
 والقمر فاري
 وبقوة الرغبة في الحياة أو أصل السير
 والتفكير في اللامفكر فيه
 لا أدرى لماذا ودائماً أفك في اللامفكر فيه
 فأصاب بالشلل التام
 وستوقف كافة خطوط مواصلاتي
 وأفقد الثقة في العالم
 وأنهار على أول رصيف مقابل
 أحياناً تتنابني الرغبة الملحّة في أن

ويامتياز
 على كافة العصور
 ولماذا ظل الرجل الأسود هو العبد ويامتياز
 على كافة العصور
 هل كان الله منحازاً للرجل الأبيض -
 وطوال الوقت -
 إلى هذا الحد
 أم أنها الصدفة غير المبررة ولا منطقية
 أنا رجل تافه بما يكفي
 أقرر السير في هذا اتجاه
 أقرر
 عدم الكلام مع أحد البتة
 فتتفجر كل خلية - في - بالضحك
 أطلع من فوهة غرفتي
 نحو قبة السماء الصافية فاري القمر

أخرج عضوى لكل شئ فى العالم
 وأبول على كل شئ
 وأقول إلى الجحيم لكل هذه المهزلة
 الأرضية!!

 يا لها من مسرحية فجةٌ
 اللهُ والشيطان
 وأنا بينهما
 مثل كرةِ البلياردو
 يا لها من حفلة تذكريةٌ
 ومتافزية كذلك
 لا تكاد تنتهى إلا لتبدأ
 ولا تبدأ إلا لتنتهى
 في اللحظة الواحدة أكون الشئ ونقيضةُ
 غالباً
 ما أرتكن على الرصيف لأرقبَ حركةَ

الشارعِ العضويةُ
 وهي تنقبض وتنبسط مثل رحمٍ
 بألف فمٍ
 لم لا أقول:
 أن هذه السماء صندلٌ
 وأن هذا الليل
 جورب بثمانية أزواجٍ
 لم أت لألقق أحداً
 فقط
 ألقت روحي الجريحة
 أنا سائق العربة المعطوبة
 لست أكثر من نودةٍ تسعي على الأرضِ
 و ٧٠ كيلو غراماً
 من اللحم المخلوط بالعظم
 والمخاطات!!*



قصائص

محمد الكفراوى

ولكن .. عليها أن تكتشف بنفسها
سواء عاجلاً أو أجلأً
أن هذا العالم غير آمن .
عرفت ..
سأهديها وردة
وأوصيها أن تضعها على قبرى
حين أموت قريباً جداً
في حادث سير تافة .

قانون الصدفة

الصدفة البحنة
هي التي جعلت تلك الرصاصة
تخترق رأس هذه الشخص دون سواه

ليلية لطفلاتى

لا أعرف ماذا أهديها
إذا أحضرت لها رشاشات وبنادق
من تلك التي تخرج أصواتاً مرعبة
وألواناً مبهجة
ربما تصبح البنت دموية
ولا تفرق بين من يحبونها ومن
يكرهونها
وإذا أحضرت لها عروسة
ربما تفك في البحث عن عريس لها
في هذا السن الخطير
فكرت أن أشتري لها مسدساً حقيقياً





كل ما هناك أنتي
دخلت سيجارة حشيش
وقلت صرصاراً في الحمام
وأجلس هادئاً
في انتظار العقاب
مسكون بالغرباء

١٥٩

٢٠١٣
٢٠١٣
٢٠١٣

إنهم أقرب مما تظن
يتلبسون وجهك ويحتلون ملامحك
يسكنون تجاعيد جبهاك العريضة
تحت الجلد مباشرة - بمحاذة الروح
يظهرون أحياناً على هيئة تكشيرة
أو نظرة زجاجية باهتة من عيونك
تسرب إلى من تقع عليه
إحساساً بالمحو .

الصدفة أيضاً
هي التي جمعت بين أبي وأمي
تحت سقف واحد .
وبالصدفة ..
تحولت من لعبة كرة القدم الفدراة
إلى شخص حساس
يحب الشعر .

ترجمة على كافكا

لا أمل في الهروب
سأظل مرمياً هكذا في سريري
حتى يأتي إلى العالم
على هيئة صرصار ضخم
بحجم المنزل كله
يقترب مني مثل وحش بشع
ويفتح فمه ويبتلعني .
لست مهوشًا ..

مات أبي

د. أماني فؤاد



كبيراً يأوك لم يزل
رجفة أذنُ بها الأنواء
أنت من يسحب فوق ساقى الرداء
حين أقف قبالة الموج
وأنا أخشى الماء
البقاء لك
بقاء فقد
لكنه بقاء
أبي ، لا أحد يملك فيك العزاء
لم تزل أنت
لم يحتلك أنصاف العطاء
موزعو العبارات الجوفاء
أنصاف الدفء

مات أبي
اتشح الهواء بالسواد
لحفظ البحر أصدافه
تلون بالرماد
وانفتحت ثغرة في السماء
ما الوت ؟ وأين أنت ؟ ولم أنا ؟
شجيرات التين وزهرات الترجمس
ففررت كل منها الفاه
سيطرت ضحكات الصباح وحكايا
المساء
وانغرست أشواك الصبار في مسام
الأشياء
لم يعد الكون يتتنفس فوق شفاه أبي
لم تعد أصابعه القصيرة هي الفرشاة
لم يعد جبينه الأحمر المعد
 فعل الريح والمطر
في الأيام
البقاء لله
لا تحزن أبي
البقاء لك أيضا
ليس فقط في الصور التي أعادت
طبعها أمي
وأضافت الرتوش
تأتينى تأكل
تضصب وتتمام
ترتدى الملابس
أحاديث
لم يزل لسانك شهد وعسل الأيام

ذرأفو دموع الزجاج

المسافات يا أبي بيني وبين الأشخاص
تمتد طرقا شاسعة

وعرة الأحداق

مشهد موتك أحياه آلاف المرات
في هذه العاصمة الصماء

فزع معدني يركض في نتوءات النفس
ورم خرساني ينبعق فوق الرأس
في الشارع الذي أقطن

فوق طريق أسود

أعانق فيه كراهية أو قدراً
الصق خدي بخشونة الأسفلت
أهبك أمانا

بكلتا يدي

أدفع دائرة الفزع الملتهب
الرعب القاتل من عينيك إلى القلب
إلى روحك تنسكب فوق الأرض
فوق تلال مدینتنا البيضاء

ونخلات الشط

دوامات البحر

تنفرز بكله الأشياء
 تستأنف أسئلتي دوماً ما بدأت من

نحيب

الموت قبر ؟

صدرك المتسع وأكتافك البيضاء
رحيق تمتسه ديدان الأرض ؟

جدار الجامع ؟

حطب حطام الأحياء ؟

الموت ذهاب في سماء ؟

عودة أجزاء

لكل واحد

تنفصل لزمن

تعترك بأرض

جسد قد أرهق ؟
الحنين يا أبي يدفعنى إليك
أمازالت متورداً حليق الذقن
أم صفيت ذاتك
صرت طاقة وضياء
أبي يصفعني الغياب
لم الموت باغتك واغتال الحصاد ؟
لم موتك دهس الفرح
أخرج وحش الوحدة
انطلقت شرفة
الآن يلفحني الفراغ
قدمي حين تخطوا
تهميم في فضاء
تتعثر في ظل الأشياء
أفقدت جاذبيتها الأرض ؟
أنت بقيت بالسماء ؟



قصيدة قنواى هن بيلوريس

حمزة قنواوى

للمت أزهارها فوق النجيل ورف عطر
فاغم

وانداح فىْ
توهجه مثل الشموس
وثار موج عاصف
فوق البساط المرمرى
- «تعال قد تلقى على جسدى الهوية»!
تمتمت..

ونسيت ذاكرتى وحزن أصابعى التعبي
وضحكتها تجلجل فى هواء..
أشعلته كهوف فتنتها البعيدة
فى مدى وعد خفى
- «إنى ..»
- تعال».

- «وكيف لي؟ وملامحى رحلت
ملامحها إلى تيه اغترابى
.. كالمياه ولم تعد
وتمرد الإعصار فى جسدى علىْ
- «تعال وانثرنى مسافات ويعثر فتنتى
لوزا وأزهاراً على الجسد الفتى!
- «إنى أخافك!»
فالغريب يمر برقاً فوق ذاكرة البنفسج
إن تعري
ثم تنساه الأنامل بعد رعشتها
وتفترق المساعات الشريدة في مفاوزها
إلى الحزن القصى!»

برق على جسد البنفسج

- «أقبل إلى!»

أشارت امرأة ت ذلك نهدتها بالشمس
نحوى
وانشقت فوق النجيل
فأن تحت حريرها العشب الندى
- «.. من أنت؟ ما اسمك؟»
راودت قلبي ابتسامتها وقد نفذت إلى
أعمقه

تلقيه في حلم تشرد في يدي
- «إنى غريب!»





- «خذنى إليك فنحن ملقيان عاصفة
تحاصر عابراً
.. وسحابة تهفو لكي تنضو بياض
مياهها عن عريها
وتحلُ فوق صدالنَّيمطاراً ورِيحَة رِيحَة
- «أنا...»!
- «تعال!»
تدخلت في الأفق أشكوان
على إيقاع عاصفتين تلتقيان..
.. يُنثر في قضايئها البنفسج
إن ندت من شهقة المسافر للشواطئ
آهٌ نحو الغرب..

موجاً أنفاسه على ربي الرياح
الخرين
إيرين يا سحابة الحرير
يا وجهة الذي عيناه في الطريق
بحثان عن طريقه وعن مصير
لو أن كفك الدفوفة الحنان لم تُمدّ لى ..
.. بهذه المدينة الثلوجية العيون لانتهيت
شدائها الأخير
لكتما عيناكِ كانتا مدینتا السلام
لوداد

.. تضوّع مدنٌ من الفريوس
وامرأةٌ تُحلُّ كما الغناء عَلَى ذراعِ
مسافرٍ
ترنيمتانِ انداحتا
نعمانٍ
فِي لحنِ شجىٍ
أغنيةٌ لإيرين
إيرينٌ وردةٌ
تفتحت على الجبال والسهول في
الشمال

مدتاً ضيالها للعاشر الوحد
جاعنا لتسريحاً خيوطاً حزنه الضئيل
وتأخذناه تعبراً به المدى إلى الغيم
لولاكِ يا رفيقة الشمال يا مظلة النجوم
لاقتاتت الفؤاد ظلمة الهموم
لولا ابتسام وجهك الدفء
في جليد هذه المدينة الوجوم
ما أقبلت وسائل الربيع نحو قلبي
كليل

عينانِ نجمتانِ تهديانِ حيرةَ الغريب
زورقانِ أزرقانِ فِي بحيرةِ المساءِ
للهما من عمقها اللآلِ
سحابةُ بيضاءٍ تقطعُ السماءِ
ودفقةٌ من العبيرِ فِي الهجيرِ
واحةٌ لَمْ تقطَّعْتِ بِهِ السبيلُ فِي مهامِهِ
الحالِ

إيرينِ أغنيةُ
سمعتها تجيءُ من مدىٍ بعيدٍ
حين لفني الظلام باحثاً كلها وردَّ لي
النهارِ

إني أحب الآن

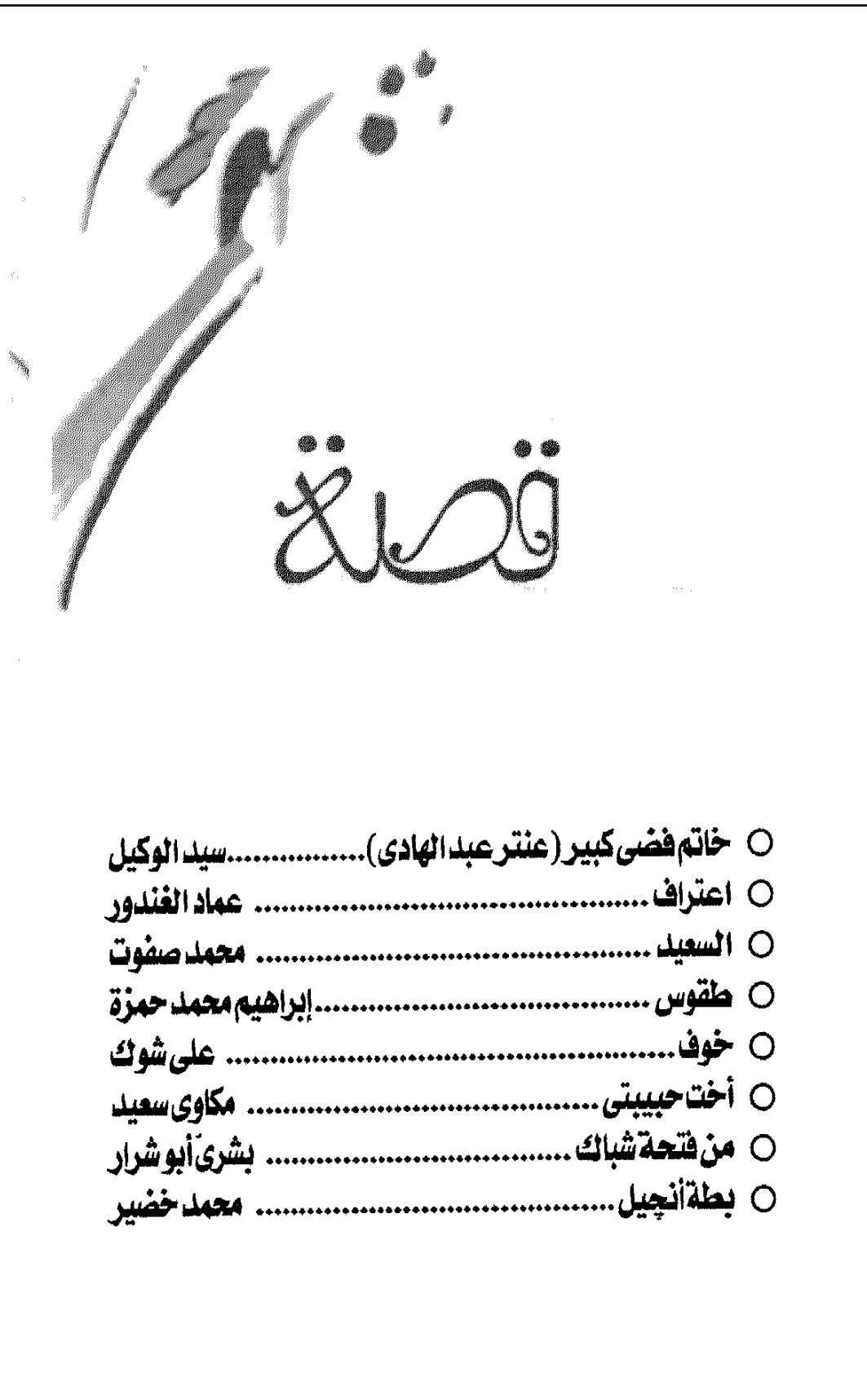
فولاد عبد الله الأنور



١٦٤

أنتِ أنتِ من أحببت في طفولتي
أوشك أن أقول
أوشك أن أهتف يا حبيبتي
رجعت لي على المدى الطويل
على المدى البخيل
أكاد أن أقول
لكنني أرجع فجأة، ويعقد اللسان
صديقتي معذرةً
إني أحب الآن

حين لحت وجهك الطفلى
تنبهت مشاعرى
وانفتحت عيناي فجأة،
على سنين عمرى القصوى
رأيت فيك سمرة القرى
وهبة النخيل
رأيت فيك سمتها، وخدما الأسىل
ووجهها المدور النبيل
سمعت فيك صوتها الجميل
عيناكِ آهِ آهِ ياعينيك،



- خاتم فضي كبير (عنت عبد الهادي) سيد الوكيل
- اعتراف عماد الغندور
- السعيد محمد صفوتوت
- طقوس إبراهيم محمد حمزة
- خوف علي شوك
- اخت حبيبتي مكاوى سعيد
- من فتحة شباك بشري أبو شرار
- بطة أنجيل محمد خضرير

خاتم شخص كبير

«عشق عبد الهادي»

سيد الوكيل

حين وقف أمامها بجلبابه الأزرق وعصاه ، امتد ظله طويلاً حتى غطاها ، هي لم تلحظه وهو يتأملها بابتسامة غائمة .. هي كما هي .. الكحلة الزرقاء .. الأسنان الذهبية .. كفيف مخصوصين بحناء أرجوانية . وعطر ثقيل فواح ، في كل مرة كان يكلفه غطساً في الترعة ، قبل أن يعود لبيته .

- إزيك يا ألاجا ..

رفعت رأسها وضيقـت عينيها حتى تراه ، بدا في ضوء الشمس الذي يعشـي عينيها مجرد قامة طويلة وصوت عميق متهدج خفق له قلبها فابتسمت ، ولا تربع بجوارها في مساحة الظل ، وأراح عصاه على فخذيه ، مد يده في صدره وأخرج علبة الدخان المعدنية - والله ما عرفتك يا عتر .

- الكبر غير يا سيدة .

قالـها بإذاعـان وهو يهز رأسـه ، وينظر ناحـية حـسـنة الـذـى بدأ شـخـيرـه يـعلـو .
- الـولـدـ دـهـ لـازـقـ لـكـ عـلـىـ طـولـ ؟

- غـلـبـانـ ..

مد يده بالـسيـجـارـةـ ، فـرأـتـ الخـاتـمـ الفـضـيـ الكـبـيرـ ، وـفصـ أـزـرقـ مـمـوهـ بـخـيوـطـ دـخـانـيـةـ وـأـصـابـعـ طـوـلـةـ جـافـةـ شـوـهـاـ الرـومـاتـوـيدـ ، صـدتـ كـفـهـ بـدـلـالـ ، فـلامـسـتـ الحـنـاءـ زـرـقةـ الفـصـ بـخـفـةـ ..

١٦٦

- خـدـ منـىـ وـاحـدـةـ ماـكـيـنـةـ .. لـساـكـ بـتـلـفـ ؟

- اللـفـ كـيـفـ ياـ سـيـدةـ .. مـانـتـىـ عـارـفـةـ .

قالـتـ .. طـولـ عمرـكـ كـيـفـ الحـلوـ .. رـقـصـتـ حاجـبـيـهاـ المـزـجـجـتـيـنـ وـقـالتـ .. يـاحـلـوـ أـنتـ ياـ حـلوـ ..
ابـتـسـمـ حتـىـ بـانتـ سـنـتـاهـ الـوحـيدـتـانـ .. يـاهـ .. لـسـهـ فـاكـرـهـ ؟
كلـمـةـ السـرـ بـيـنـهـماـ ، كـلـمـةـ وـاحـدـةـ فـقـطـ ، كـانـ يـرـدـدـهاـ ، وـكـانـتـ هـىـ تـرـدـدـ نـفـسـ الـكـلمـةـ ،
كلـمـةـ وـاحـدـةـ كـانـتـ كـافـيـةـ لـتـصـاحـبـ إـيقـاعـ لـذـةـ الـوصـالـ ، وـبـنـفـسـ الصـوتـ العـمـيقـ المـتـهـدـجـ
يـهـمـسـ فـيـ أـذـنـهـ .. حـلوـ يـاـ بـتـ ؟

وـبـنـفـسـ الصـوتـ الصـافـيـ تـلـهـثـ تـحـتـهـ .. حـلوـ

وـفـيـ لـحـظـاتـ ذـرـوـتـهـاـ تـرـدـدـهـاـ بـسـرـعـةـ .. حـلوـ .. حـلوـ .. حـلوـ يـاـ بـنـ الـكـلـبـ .. حـلوـ ، وـفـيـ
لحـظـةـ كـهـذـهـ فـقـطـ ، يـسـمـعـ لـأـمـرـأـ أـنـ تـشـتـمـهـ .

فجأة قالت .. إزى مراتك يا عنتر ؟
- يعوه .. تعيشى انتى .



اعتراف

عماد الفنديور □

دخلت من هذا الزقاق وهي تحمل نصف ثوبها الأسفل، تلتفت وهي ترتجف من شدة البرد من غرابة الطريق ومن فضول الرقيب...
الأنسة لم تطرق الباب حين وصلت، حبيبته في غيبوبة، تسترجع الغائب وتتأتي بالمؤمل... لحظة...

* الغائب كانت كلمة جرحت حواسها ويكت كأول مرة وأخرجت دموعها الغالية، دموع بتول لم يلمسها إنس ولا جان، سامحتهم حين اعتبروا سنها عيما، سامحتم حين كانت تضحي بوقتها الشبابي وحين تمشى من «شبرا» إلى مكان بعيد تطلق عليه عملها، لم لا والعمل هنا عبادة وربه غير رحيم بها، سامحتم عندما جاء العريس ورحل وكان المبرر بأنهم يحتاجون لحسنات عبادتها، سامحتم وسامحتم...
ثورة ...

* المؤمل هو قرار تأخذه وهي في طريقها لعبادة، لا يهم غضب رب العمل، ولا تسأل إن سالت أسرتها عنها، أقصد عن حسناتها... تهrol الأربعينية حتى تقترب أكثر من الباب الضخم صاحب جرس كبير وناقوس لم يسمح بعد لرجل أن زعزعه، وبأعلى الباب يوجد قوس لبناء عجوز يحمل آلامه المثلث. أصررت أن تدخل بين أعمدة الذهب وثريات الكريستال وضوء الشموع...
دهشة ...

من الذي جاء بها إلى كنيسة في يوم ليس به طقوس، ما الذي جعلها تخطئ وتحب كل هذه المدة الطويلة رجل منافق يستغلها ويتركها تحكى... ١٦٨

لم تعد الحكايات تنفعها، فهي ذاقت حلاوة حبها لرجل المنبر، صاحب الصوت الوقور والعينين العسليتين، الرجل الشاهد على شيء حضرت له بالمثلث، إكيللاً يتبعه إكيليل، دون احترام لشعور هذه «الشبراوية»، وكم تمنت وتمنت أن تكون البطلة أو أن تقذف بالورود من خلفها...

ترتمى اليوم على صدره بجرأة تجعل دقات قلبها تختلط بدقنات الأجراس، وتنهد في اعترافاتها بحبها السابق له، حب من أول صلة أمامة، وتستمر في حماسها كأنها أبصرت أو كأنها تمحي السنين عن صبرها بإلحاح منها على قلب تاريخها، كان صاماً قاسي القلب ولم يبادرها قبلاتها الحارة والهادئة المنافسة لهدوء المذبح، صامد المشاعر متحجر القلب يعرف الرب ولا يعرف الحب... صدفة...

□ كاتب وسينمائي من المغرب

لكن الرب عادل ولم يسمع لابنته بأن تتوسل أكثر....
إنه الخيط الرفيع الماسك بصلبيه الفضي الثقيل والممتد بالتراب ونسيج العنكبوت...
كان لابد من أن يكون «حنا» المراهق العجوز هنا لينتفخ في الأعلى، وكان لابد أن
يحيا حبه لابنة حبيه الجميلة، وكان لابد بالغيرة أن تقطع الخيط ويقع الصليب على
جسدها ...

ترانيم الموت تمسمح خطيبة الفتاة، و«حنا» العجوز يتأسف.. أه.. لماذا لم يقتل
القسис القاسي القلب لماذا؟! لم يعد العجوز يصدق بأن هناك أشخاصاً يصعدون أمام
الإغراء... تنتهي اللحظة..

لقد تعجبت المسكينة من الوقوف أمام الباب، وتعب «حنا» بتكرار أنها لم تجد أحداً من
القساوسة اليوم، وليس وقت الاعتراف الآن، حتى إنه من غيظه كاد ينعتها بالعائس..
لكنها شاردة وتصر على أن تدخل قبل أن تأتي مواعيد عملها المتعب البعيد، الذي
ينسيها أنها وحيدة بلا حبيب يسمع اعترافها.



العنوان

محمد صفت

أمام مبنى شرطة قسم أول بور سعيد، انتظم السعيد في جمع كبير من زملائه الجنود، يستمرون باهتمام بالغ إلى أوامر وتعليمات قائهم، وكل منهم يرحب بما يكلف به، مدفوعاً برغبته الشخصية في تلبية نداء الواجب الوطني المقدس.

أصدر الضابط أمره قائلاً:

- عسكري الشرطة.. السعيد محمد حسن حمادة.. حراسة الفنصلية الإيطالية.
- سمعاً وطاعة.

أدى السعيد التحية العسكرية لقائده، ضرب الأرض بقدميه ودار على عقبه، ثم انصرف مسرعاً ومعه سلاحه وذخيرته، متقدماً طريقة إلى دار الفنصلية الإيطالية وكله حماس وتحفز، ملامح وجهه جامدة صارمة ونظارات عينية قاسية متعددة، يجز على أسنانه ويقسم أن يشرب من دم أي معتد يقع في يده، بعد أن يمزق جسده تمزيقاً.

جرى ذلك في منتصف الساعة السادسة من صباح اليوم السادس من شهر نوفمبر، عام ستة وخمسين وتسعمائة وألف.

قبيل الفجر التقى السعيد كعادته اليومية بأفراد أسرته في بيته، لم يكن في حاجة إلى إيقاظهم من نومهم، فقد كانوا مستيقظين ينتظرون لقاءه مع إشراقة الفجر، كما أن أحوال الحرب المشتعلة حولهم يجعلهم يقضون ليهم قلقين مسهددين، يملأهم الخوف والرعب من طائرات الأعداء المغيرة، وقتالهم المدمرة وقذائفهم القاتلة، وغيرها من أسلحة الموت المتریص بهم في كل لحظة، على أيدي جيوش ثلات دول ركبها الجنون، بفعل إعلان الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس!

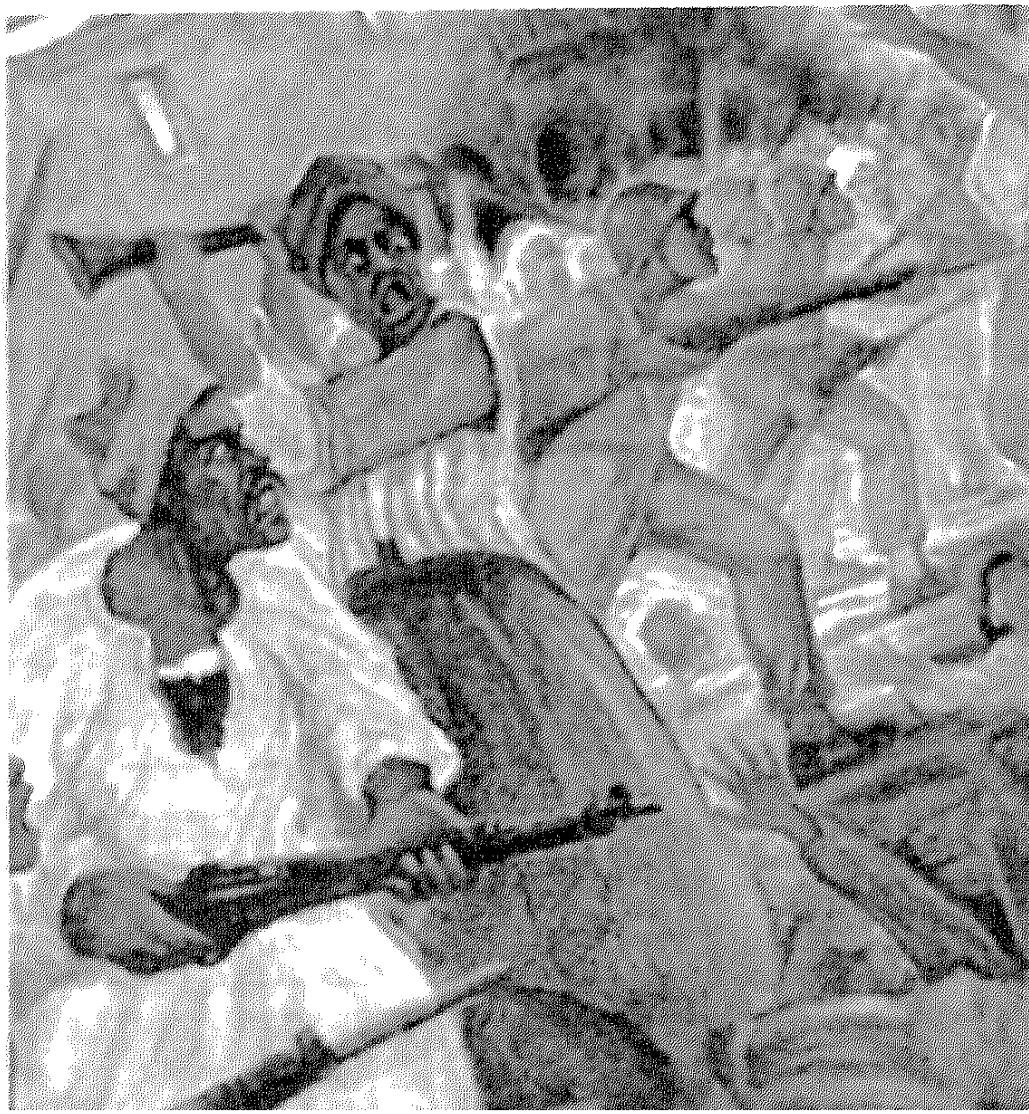
١٧٠

أمام باب الفنصلية الإيطالية وقف الحارس السعيد رابط الجأش قوى العزم، متقدماً بسلاحه وضع الاستعداد للدفاع عنها.

بعد الساعة السابعة صباحاً، تضاعف عنف الهجوم واشتدت قوة الضرب، الطائرات المعادية تحوم في سماء المدينة وتلقى بقابتها من الجنون تمييز بين المنشآت العسكرية والأحياء السكنية، الأسطول الحربي يطلق مدافعه وصواريخته على قلب المدينة وهو رابض في البحر، القذائف النارية تنفجر هنا وهناك فتحصد أرواح المواطنين دون تفريق بين شاب وكهل أو امرأة وطفل.

لقاء الأهل بالسعيد كان حاراً، وكأنهم لم يروه منذ سنوات، لم تكف أمه عن عناقها معه إلا ليستقبله صدر أبيه وأحضان شقيقاته السبع.

أدى السعيد صلاة الفجر جماعة مع والديه وبعض أخواته، وكانت اشتئان منه قد



أعدتا له إفطاراً خفيفاً، فتناول جزءاً محدوداً منه على عجل وهو واقف يتحدث إلى أبويه
والملاقات حوله من أخواته، دون أن يستجيب لرجائهم المتكرر ويجلس، ليستقر طعامه في
معدته ويستريح بدنه المكود.

بأسلحتهم الثقيلة دمر المعتدون المنشآت، ودكوا العمارات على من فيها مستهدفين
إحداث أكبر قدر من الخسائر في صفوفنا، توطئة لعركة البيوت والشوارع بالسلاح
الأبيض!

من البحر والجو دفع الأعداء بمجموعات كبيرة من رجالهم ليشعلاها حرباً برية، غير
أنهم فوجئوا بجنودنا الأبطال ومواطينا الشجعان بكل فنائهم يتصدرون لهم وينقضون
عليهم بقوة تقاد تحطمهم تحطيمها، وتذيب آمالهم في تحقيق أي نصر علينا.

ظل المسعيد واقفاً كالمعتاد يتناول لقيمات الطعام وهو يقص على نوبيه بإيجاز ملخصاً
للمعارك التي شهدتها وشارك فيها بنفسه.

في الوقت ذاته كان أبوه يستمع إليه وهو يننظف له سلاحه ويتأكد من نحيرته، فهو محارب قديم وعضو سابق في ثورة ١٩١٥.

في الوقت نفسه أيضاً كانت أخته الصغرى قد صنعت له الشنط الوحيدة التي تجيد صنعها، وتحرص على تقديمها بيداتها لأخيها البطل، كوبا من الشاي بالبن.

اعتقد الرعايا الإيطاليون أن الطائرات المفيرة لن تخرب القنصلية الإيطالية، فتواقندوا إلى داخل مبنائهما يتحصنون به هرباً من الموت غدرًا في تلك الحرب الظالمة! وثمة صحفي إيطالي يعمل مراسلاً في بورسعيد لجريدة «دومينكا دى لكونز» الإيطالية، جاء ليحتمني أيضاً بالقنصلية، وعلى بابها لفت نظره الحارس المصري بطلاً السعيد، الواقف بسلاحه في منتهى الثبات والشجاعة، دون أي خوف من القذائف القاتلة التي ترجم وتفجر حوله!

لم يسع الصحفي الإيطالي إلا أن يبادر بالتقاط أكثر من صورة للسعيد، قبل أن يدخل القنصلية، ويمسك بقلمه ويكتب لجريدة، ممتدحاً ذلك البطل المصري، ومشيداً بصلابته واستبساله، وإصراره على الدفاع عن أرضه وحماية المقيمين عليها من الضيوف الأجانب، حتى في أقصى ساعات المعركة.

نظر السعيد في ساعة يده، وأدرك أنه قد أمضى عشرين دقيقة كاملة في لقائه بأهله، فاكتفى بشرب نصف كوب الشاي فقط، واضطرر أهله إلى ابتلاء دهشتهم كالمعتاد، لأنهم يعلمون سلفاً بحكم تجاربهم معه أن أي محاولات منهم لن تفلح في دفعه لتناول المزيد من الطعام أو الشراب، وكلما قالوا له:

- يجب أن تتغذى جيداً
لتجد لديك القوة الازمة للتغلب
على العدو.

رد عليهم قائلاً:

- يقيني أن القوة تأتي من
عند الله.

علم القنصل الإيطالي
بال موقف البطولي للسعيد فأعجب
به وأشفق عليه، وخرج إليه
بنفسه ودعاه للدخول معه إلى
مبني القنصلية لينجو من الموت
الذي يتربص به، ولكن السعيد
شكراً في أدب جم ورفض أن
يترك مكان حراسته ويدخل معه!
أخرج السعيد من جيبه





معظم المبلغ المتبقى معه من راتبه عن شهر أكتوبر وأعطاه لأمه، وعبيداً حاولت هي وأبويه وأخواته إقناعه بأن يحتفظ بنقوده لنفسه، وبدأ عليه أنه يتذهب ليغادرهم فحاولا استبقاءه معهم وقتاً أطول، ولكن دون جدوى!

أهالى بورسعيد جميرا ضربوا أروع الأمثلة فى الدفاع عن مدinetهم الغالية، من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع، وجنباً إلى جنب مع رجال جيشنا المقاتل، فسيطر الذهول على الجيوش الثلاثة للدول المعادية،

وغضيهم الخوف من أن تلحق بهم هزيمة ساحقة على أيدي جنودنا ومواطينينا، الذين توحدوا معاً في تلامم وطني حميم، وجن جنون المفتدين فاعتزموا تحويل سماء المدينة وأرضها إلى قطعة من جهنم!

حانت لحظة الوداع بين السعيد وأهله، فكانت مليئة بالمشاعر والانفعالات والدموع والقبلات بشكل أقوى وأشد من كل ما كان يحدث في المرات السابقة، وقبل أن يخرج السعيد من باب البيت تذكر شقيقه رفاعي الغائب في عمله بالقاهرة، وعصف الشوق بقلبه فعاد مثقل الخاطر، وقبل صورته المعلقة على الجدار، وهو يشعر بإحساس غريب غامض لم يستطع تفسيره!

مرة أخرى خرج القنصل الإيطالي إلى السعيد يرجوه ألا يخاطر بحياته، ويطلب منه في الحال أن يرافقه إلى الداخل ليحتمي بمبنى القنصلية من الموت الذي يلاحقه، قائلاً له أنه يعيده رسميًا من حراسة القنصلية، وسيعطيه إقراراً كتابياً موقعًا منه بذلك، ليواجه به قائده إذا اتهمه بالجبن أو التقصير.

ولكن بطلاً السعيد أصر على تمسكه بواجبه الوطني، وبأسلوب مهذب أبدى عدم استجابته للقنصل شاكراً ممتناً.

لم تهدأ الحرب إلا بعد أن دمرت العديد من الأحياء السكنية والمؤسسات الحكومية، وفتك بالكثير من المواطنين والجنود، سقطوا قتلى وجرحى بالمئات والآلاف!

خرج القنصل الإيطالي ومعه مراسل الصحيفة الإيطالية للأطمئنان على السعيد واستطلاع آثار المعركة في المنطقة المحيطة بالقنصلية، بيد أن أقدامهما تسمرت على باب

المبني، فقد فوجئا ببرؤية جسد السعيد ممددا على الأرض في برقة من دمائه، وحوله جثث خمسة قتلى من المعذبين!

صدم المشهد بقوته وعظمته عيون الرجلين الإيطاليين، خاصة وأن البطل المصري كان لا يزال قابضا على سلاحه بينما في عزم وإصرار.

دفعهما الأمل والرجاء إلى التقدم خطوات قليلة، والتعامل بأيديهم المرتجفة مع جسد السعيد، ولكنها فجعا باكتشاف أن روحه قد فارقته منذ وقت غير قصير!

مات السعيد شهيداً وغاب عن بيته، وطالت غيبته دون أن يعود لأهله، فغرقوا في نوامات طاحنة من القلق واليأس، وتدهورت أحوالهم النفسية أكثر فأكثر بعد انتهاء الحرب وعودة معظم المحاربين إلى أهليهم، ولو في لقاءات خاطفة لتبادل الاطمئنان.

رغم أن الكثرين من الأهالي كانوا يهاجرون من بورسعيد إلى القاهرة وأقاليم مصر الأخرى طلبا للعمل والأمان، إلا أن رفاعي شقيق السعيد فجع باعتبار أخيه في حكم المفقودين، واستقال من عمله في القاهرة وجاء إلى بورسعيد ليشد من أزر أهله، ويشاركهم في البحث عن أخيه!

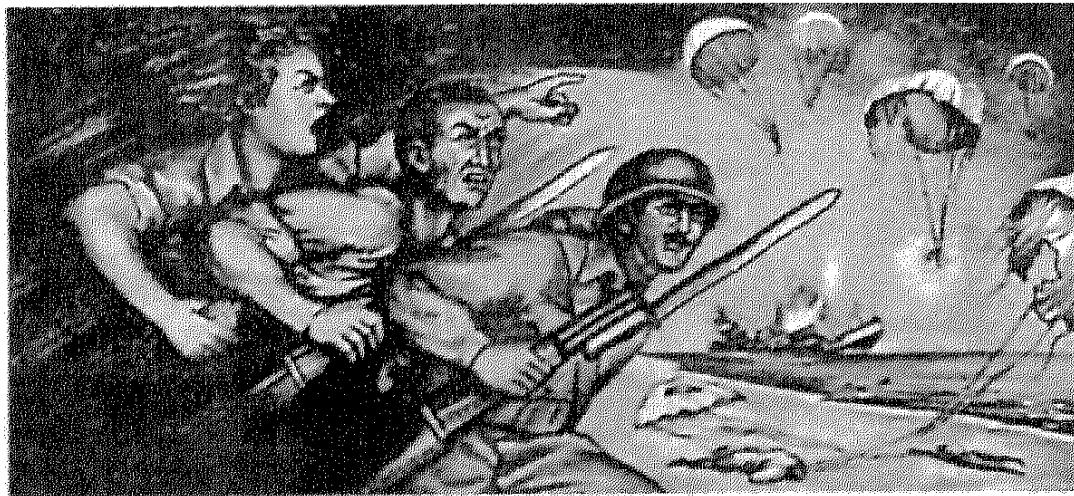
أبو السعيد وأمه وأخيه وأخواته انطلقوا أزواجاً أزواجاً يبحثون عنه بين تجمعات جنودنا وجنود الاحتلال كل على حدة، وفي شوارع المدينة وجميع الأماكن العامة المحتمل تواجده بها حالياً أو سابقاً..

في قسم الشرطة التابع له السعيد قيل لأهله إن توزيع العساكر تم شفوياً بسبب ظروف الحرب القهريّة، وهو لم يكن قد ذكر لهم شيئاً عن تكليفه بحراسة القنصلية الإيطالية، حرصاً منه على سرية التعليمات العسكرية.

في سجلات المستشفيات لا وجود لاسم السعيد بين أسماء جرحى الحرب! بين الأطلال تحت الأنفاس أضناهم البحث مع فرق الإنقاذ عن أي أثر للسعيد! الجنود والأفراد الذين يعرفون السعيد، أو يحتمل أن يكونوا قد التقوا به لسبب أو آخر، لم يذكر أي منهم أي معلومات مفيدة!

تغلغل الحزن والقنوط في نفوس أهل السعيد، واعتلت أيدانهم لعزوفهم عن الطعام، وكلت عيونهم من كثرة البكاء، ولم تكتحل بالضروري من النوم على مدى مئات الليالي! ولم يعد لأهل السعيد وجيرانهم من شيء يتحدثون فيه غير سيرة البطل الغائب، والأمل في عودته إليهم في يوم من الأيام، وكلما فكروا في احتمال أن يكون قد مات شهيداً طردوا الفكرة من روعهم سريعاً، لخوفهم من تحققها، واعتقادهم أن الحكومة كانت ستتدار بإبلاغهم مهما يكن لديها من المشاغل والمسؤوليات.

محاولات رفاعي المتواصلة في البحث عن أخيه قادته إلى متحف كفاح بورسعيد الكائن بميدان الشهداء، هنالك راح يتأمل بعض الصور المعروضة والمسجلة أثناء المعركة.



أمام إحدى الصور وقف يحملق مصعوقاً وكاد يسقط على الأرض وهو يصرخ:
 - أخى السعيد.. آه يا حبيبي يا أخوايا!

رکع على ركبتيه باكيا منهاراً وهو يلتقي بأخيه مقتولاً في الصورة، وخيل إليه أنه يرى دمه الركيكي الطاهر لايزال أحمر دافئاً يقطر من الصورة!
 انتبه إلى أن الصورة تتوسط صورتين آخرتين، قرأ التعليق المكتوب تحت الصورة الوسطى:

«الجندى المصرى البطل.. السعيد محمد حسن حمادة.. حارس القنصلية الإيطالية فى بورسعيد، وقد استشهد أمام بابها وهو يؤدى واجبه.. فى الصورة الأولى إلى اليمين نرى الحارس السعيد يقف مدافعاً بسلاحه أمام باب القنصلية، وفي الصورة الأخيرة إلى اليسار نرى الشهيد السعيد وحوله خمس جثث لبعض من قتلهم من جنود العتدين».
 الصور الثلاث منشورة فى صدر صفحة من جريدة «لومينكا دى لكوير» الإيطالية، ومعها مقال كبير بعنوانين بارزتين تمتداح السعيد وصموده وبطولته.

مات الأمل العقيم فى قلوب أهل السعيد، تاركاً إياهم لحزنهم الجليل، ورغبتهم الملحة ١٧٥
 فى معرفة موقع قبره والمزيد من التفاصيل عن حياته فى أيامه الأخيرة وظروف استشهاده!

توجهوا إلى القنصلية الإيطالية، فرحب بهم قنصل غير الذى كان، وذكر لهم أنه لم يكن موجوداً فى بورسعيد أثناء العدوان الثلاثي الغاشم، ولكنه علم بقصة البطل السعيد من قراءته لما نشر عنه، وأهداهم نسخة من الصحيفة المنشورة بها صور السعيد ومقال الإشادة به.. ثم أضاف قائلاً:

- جميع موظفى القنصلية السابقين قد نقلوا وتركوا أماكنهم لغيرهم، ما عدا ذلك الباب الثوبى الواقف بالباب، وهو قد عايش السعيد وعرف كل ما جرى له، ولعله لم يستطع أن يهتدى إليكم ليبلغكم بما حدث!

طقوس

إبرهيم محمد حمزة

١ - البصق :

.... ليس بسبب القرف أو الزعل أو غيره إنما الأمر لا يعود العادة، ورغم ضيق الكابينة، وساعد السائق المتحرك كالبنيول في «جنبى» أثناء تغيير السرعات، رغم ذلك فقد انشغلنا بالحديث، «عم رجب» حلمه الوحيد زيادة الأجرة من خمسين قرشا للنفر إلى خمسة وسبعين.

- وهكذا تكون عال، أربعة عشر نفرا، حوالي عشرة جنيهات في الدور، قل عشرة أدوار.....

ويرد عليه من بجوارى: لديك الحق، الأسعار زادت، ما ذنبكم؟
ويستمر الحوار، أجد نفسى أجمع ما فى فمى، وأتخبط، فالم جمیع البصاق تحت لسانى وأنظر بغيظ لزجاج الشباك المغلق والأكرة المكسورة (من يوم ما عرفت عم رجب والأكرة مكسورة) فيظل فمى على إغلاقه.

ثمة أشياء كثيرة، أكثر من
عم رجب تستأهل هذه البصقة.

٢ - تلخص :

كانت مصادفة أن مددت
جسدى ذات يوم على بلاط
الحجرة، نصيحة صديق مجرب
لأمراض الظهر. سنتين، مددت
جسدى وشددت أطرافه بقوة،
فجائتني أصوات تأوهات عذبة..
جيранنا الجدد (ونعم الجيرة)
عروسان مازالا في أيام
عسلهما، أطلقت لخيالى العنان،
بالخبرة أدركت بعض
طقوسهم، هى تستحم كل يوم
مرتين (قبل وبعد)، أدركت





جدول المواجهات بأكمله، اكتشفت أن شباك حجرتي الصغرى يطل على الحمام لديهما، فصررت أغلق الباب بقوة وأدعى الخروج، لتصير هي أثناء حمامها على هواها، كنت أتأمل هذا الجسد النابض الحى من وراء زجاج الحمام، كانت تصب الشامبو على رأسها، وهي مغمضة عينيها، ثم تدلك رأسها بيديها ثم تغسل نهديها، وتتألم بدلل لنزول قطرات الماء، فأذوب وأنذوب.. وأنذوب...

٣ - عشم :

ولا وصلنا لرجم إبليس، أمسكت الحصوات وعزمت، فوجدت إبليس يخرج لى بعينيه التاريتين، وحواجبه المرفوعة لأعلى وضحكته الساخرة دائمة، وهو يقول لى: «عيك عليك يا أبا العزم، ترجمتى بعد هذه العشرة الطويلة... إخسن !!

١٧٧

وأخذ يذكرنى يوم سحبت البنت العبيطة فى عشة الطيور، وأمرتها أن ترفع أطراف ملابسها وتضعها فى فمهما، وكله بتديره، هو الذى ألهمنى الإجابة وستر فضيحتى، حين فاجأتنى بناتى سائلات عما أفعله، فقلت أنى أعطى المسكينة حقنة.. هكذا تنسانى يا أبا العزم وأنا الذى بنيت بيتك، جمعت معك قروش السائقين، حتى امتلأت بطنك وحسدك زملاؤك من مساعدى الشرطة، حتى بعد أن صرت على المعاش بنيت بيتك، فساعدتك، ماطلت فى دفع ثمن الحديد، سرقت سعر الطوب، فما شراك أحد وكله بفضل نصائحى.. إخسن إخسن يا أبا العزم».

محمدت وتلتقت أطمئن على أسرارى.

أمسكت الحصوات ومرجحتها فى يدى واستعذت وألقيتها معذرا.

خوف

على شوك

الليل خوف .. وصوت «عربجية» الجبزة وصياعها خوف وعتمة الليل في برد قارص خوف .. المدرسة خوف وعصى المدرسین خوف وصوتهم الخشن الأخش خوف وأساليب التعذيب من صفع الوجه إلى مد القدمين إلى «العبيط»، وهو الضرب على المؤخرة، ووجهنا للحائط ورفع أذرعنا لساعات، وضرب المؤخرة بالساقي ... خوف، خوف، البيت خوف وعيني أبي تكشر خوف، أبي كان جلادا يذرف الدموع ويضعف لكنه كان يخيفنا، قد ألهت الخوف .

لم يعد مشهد العسكر مخيفا، ولم تعد عرباتهم المصفحة والتي تتتوغل في أرجاء القاهرة، الميادين والأحياء والأرقعة لم تعد هذه المشاهد ذات مغزى كان الرعب يدب في قلبي ويهتز جذعي كنخلة هاوية، وأسير متচنعا الثبات وأنا أتلفت حولي بركن عين، ذات اليمين ذات اليسار، وأحياناً أنظر خلفي لأتيقن تماماً أن أحداً منهم لا يغيرني اهتماما....

كانت كثيراً ما تأتي عيناي في عيونهم فجأة، فأرى تركيز عيني كبيرهم في عيني كأنه ينتظر مني تلك البصمة المفاجئة، يرشق جسدي كله ببصاته، يمسحني تماماً، فأشعر أنني حتماً مجرم الهارب منهم، ربماً أنسى أنني لم أقترف ذنبًا لكن بصماتهم كانت أكثر تأكيداً من يقيني بنفسي .

بجوار محطة المترو في شوارع حلوان الجانبية، في شارع منصور في وسط البلد،
أمام القضاء العالي، في محطة عبدالناصر، عند السادات، شارع القصر العيني، أمام
نقابة المحامين شارع ٢٦ يوليو، وأمام نقابة الصحفيين، ثم يتركز المصدر، عند مبارك
والرتب الكبيرة والصف والجنود، كل شوارع القاهرة صارت ثكنات لهم، صار الأمر
عادياً، لكنهم قادرون على زرع الخوف، عربات كبيرة محشورة بعشرات الجنود المغلوبين
على أمرهم، يمسكون ببنادقهم، ينتظرون الأوامر في أي لحظة، كنت أشاهدهم وأقرب
تصرفاتهم حتى ألهت وجه بعضهم رغم تغير مكان خدماتهم، أقترب منه وأسئلته بتودد:

- هو فيه إيه ؟

- أوامر .

- تأخذ سيجارة ؟

- شكرًا .

- يا عم خد ماحدش واحد باله .

يتلفت الجندي حوله ثم يمد يده يسحب سيجارة من علبتى المتدودة له، يسحبها مسرعاً، ثم يسحب أخرى لزميله يعودا لثباتهما، وقبل أن أشعّل له عود ثقاب يكون قد أشعّلها من عقب سيجارة لزميل آخر .

في اليوم التالي نفس العربات، نفس الأماكن، غير أن الجنود غير الجنود لكنهم متشابهون.. كل يوم تزداد مساحة احتلالهم واستعاناً أخيراً بدبابات أمريكية الصنع. قالت علياء الصغيرة : هي إسرائيل

دخلت مصر يا بابا؟

- ليه ياحبيتي ؟

- الجيش ده زى اللي
بنشوفه في التليفزيون
بيضربوا الفلسطينيين ؟

.....

- هو في إسرائيل هنا
بابا؟

.....

- بابا رد على !!

.....
أصبح مشهد الجنود
مألاً فما حتى أتنى لم أتخيل
القاهرة بدونهم، ولم

أتخيل كيف أسيء في
شوارعها الجميلة دون
أن أرى وجه أولئك
الملائكة whom
محششون في
عربات مصفحة
وأياديهم على الزناد.
صار مشهدهم من
معالم قاهرة المعز.

أخت حبيبي

مكاوى سعيد

جارتنا التي كنت أحبها قديماً .. أدس لها الرسائل في كرسى المصعد .. أرقب وجيئها المحمرتين وصفائرها المترعشة ويسمتها الخجل ، وهي تختنس النظر إلى ظلى المختبئ خلف الزجاج المصنفر لباب مسكننا . وكانت أعنو طائراً إلى الداخل بينما صوت جرس باب مسكنها الحاد - وهي تضغط على زرها بلا توقف - يفرد في أننى

جارتنا التي كنت أحبها قديماً كانت لها اخت أكبر ، تكرهني ولا تطيقني دونما سبب .. وكلما وجدتني بالشرفة تكورت شفتاها كالحرباء التي تتأهب لصيدها .. مرسلة سبابها الذي لا يسمعه سوانا ..

كنت أكتب كل يوم رسالة لحبيبي لكنى لم أطلب أبداً لقاءً بالخارج ، كنت سعيداً بعالمي الذى رسمت كل حدوده فيما وراء باب مسكننا وفيما أمام الردهة التى يتوقف عندها المصعد وفي خطواتها القليلة المهرولة حين تدخل شقتها .. وقد تتسع حدود عالمي أحياناً للشارع الذى به منزلنا حين ترتفع رأسى بحذر تترقب شرفتها التى نادراً ما وجدت بها حبيبي بقدر ما وجدت اختها الكبرى التى كانت تكرهنى وهى واقفة تتوعدى.

لم تصعد حبيبي بالمصعد هذه المرة .. التي صعدت اختها التى تكبرها بسنوات قلائل وتكرهنى . فتكت بخشوة كرسى المصعد حتى وجدت رسالتى ودخلت بها إلى مسكنها غاضبة .. انساب البول رغمًا عنى ملوثاً بنطلونى القصير وجوربى وحذائى .. وفررت من عالمى الصغير إلى غرف إخوتي الكبار فلم أجد من يجبرنى .. حتى اختى التى تكبرنى بستة واحدة . رمقتني بنظرة بائسة ولطمته بيدها على خدھا وأبى يطلبني بصوت جهورى .. لم أجرؤ على الذهاب إليه طوعاً وتطوع إخوتي الكبار بحملى إليه كاتمين ابتسامات التشفى.

١٨
٣٠
٢٩
٢٨

كانت الرسائل فى حجر أبي وأخت حبيبي الواقفة قبالته تمزق كل رسالة بعد أن يتأملها أبي .. أصبح أبي قاسياً جداً معى بعد تلك الحادثة.

سنوات قليلة مرت ومات أبي وتزوجت اخت حبيبي الكبرى برجل ضئيل مسن أقام معهم فى مسكنهم .. لم يدعُ أحد لحضور حفل زفاف اخت حبيبي الكبرى ، ولا حتى حفل زفاف حبيبي اللاحق ، وإن كان كل إخوتي بلا استثناء حضروا كلا الفرحين .. اخت حبيبي لم تكن تصعد معى بالمصعد أبداً .. إن وجدتني أنتظره تباعدت أمتاراً



حتى أوشكت أن تلتتصق بباب المنزل
الخارجي ثم تدير لى ظهرها حتى أصعد ..
ولأن كانت بانتظاره ولحتنى خلفها أسرعت
بالدخول وهي تغلق الباب فى وجهى
بصوت مدو ..

لم يعد أخواتي يتتكلمون عن
جيراننا وأنا موجود بينهم وإن دخلت
فجأة وهم يتحدثون عنهم قطعوا
الحديث ومضوا يتحاورون بأعينهم ..
ورغم ذلك علمت أن زوج اخت حبيبى
الكبرى مريض جداً وتتألت بحق لكتنى
لم أجرؤ على الذهاب إلى المستشفى ..

كانت الليلة شتوية والمطر الملوث
بالوحش الملتصق ببرق الشجر يتتساقط
برتابة .. وأنا أحاذر أن أسقط فى حفرة أو
أقترب من إحدى عمدة الإنارة المفتوحة
بطونها وأسلاكها الكهربية تومض على فترات
، ودخلت إلى بهو المنزل واستدعيت المصعد ..
وهو في منتصف المسافة .. تصاعدت إلى
أذني خطوات مهرولة تجتاز الشارع ثم
توقف فجأة في بهو المنزل .. التفت
بالتزامن مع نزول المصعد .. كانت
اخت حبيبى الكبرى تتراجع
بيطء إلى ركنها الأثير .. لكنها لم
تذر لى ظهرها هذه المرة .. فقط
أشاحت بوجهها عنى .. كانت
ملابسها مبللة وجسدها يرتعد من البرد

.. تجاهلتها وصعدت لكتى بمجرد دخولي مسكنى داهمنى صوتها الحاد
الصاعد من أسفل يصرخ بجنون ..

كل الجيران هرولوا ونزلوا ، وإخواتي الموجون بالمسكن ، على الدرجات الحجرية بعد أن
فاتهم المصعد .. وظللت بغرفتي ساكتاً متوجساً منتظراً شراؤ أجهله .. رجع أخواتي واحداً

إثر الآخر وبعد أن أنهوا اجتماعاتهم
أخبرنى أحدهم بأن زوج أخت حبيبى
الكبرى مات بالمستشفى وسنقوم بالواجب
تجاه العائلة نيابة عنك ..



سنوات مرت أكثر وأكثر ، وما عدنا
تلتقى أنا وأخت حبيبى لا بالصعود ولا
بالهبوط ولا حتى فى الشرفتين
المجاورتين .. ومهما اجتهدت كى
أسترجع اسمها فشلت أكثر .. وحتى
ظلها بالرداء الأسود الذى لم تغيره منذ
وفاة زوجها والذى كان يخيفنى جداً إذا
ما لحته مصادفة اختفى نهائياً .

أخت حبيبى الكبرى والتي تكبرها
بسنوات قليلة .. ماتت أمس .. وسار
إخوتها الذين صاروا شيوخاً الآن فى

جنازتها التى لم أجرؤ حتى على الاقتراب منها خوفاً من أن تخرج إلى وتبخنى ... أختى
التي تكبرنى بعام تركت أولادها وزوجها ولازمتهم .. تشارك بهمة حماس إعداد الولائم
للمعزين وغسيل الأوانى والملابس وفاءً لجارتها وصديقتها ..

وأنا بغرفتى وحيداً بعد كل هذه السنوات .. انسلت أختى من مسكنهم ليلاً فى اليوم
التالى للعزاء .. وجئت على بغرفتى .. جلست أمامى متناثلة وأزاحت بيدها الضخمة المجلة
التي كنت أتصفحها، ثم ألقت أمامى بسلسلة ذهبية تنتهى بحلقة بلاتينية .. وأومأت إلى بائن
أتمسها .. تفحصت الحلقة كانت بها صورة شخصية باهنة لزوج الراحلة خلف زجاج يكاد
يكون معتم .. قلب شفتي متسائلاً .. أمسكت أختى الحلقة وفتحتها بعنف فسقطت صورة
كانت منزوية خلف صورة الزوج الراحل .. كانت الصورة راقدة على الأرض بين قدمى ..
ولم أكن بحاجة لتأملها .. كانت صورة لفتى فى السادسة عشر من العمر .. وكانت صورتى
.. أعادت أختى إحكام الحلقة وقامت غير مبالية بقدمها التي تطا صورتى وقالت وهى
تمضى ..

١٨٢

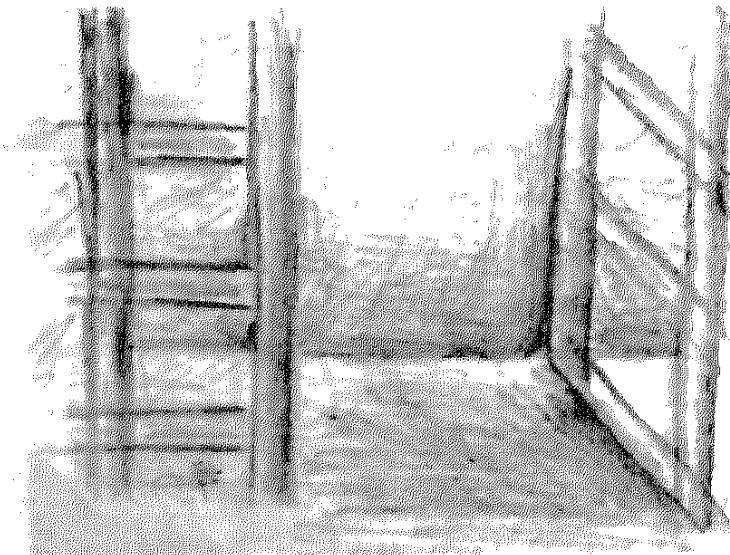
٣
٤
٥
٦

- ها روح أسلمهم بقيت الصيحة .. يا ريتهم ما خلوها فى عهدي ..

كان صدى صوت خطوات أختى الثقيلة يتبعاد وأنا منهمك بإخراج رسائلى القديمة
التي كنت قد أعدت لصيقها بمهارة .. كان الصمع مازال قوياً .. لم أفلح فى تمزيقها ولم تعد
بى حاجة لقراءتها .. كنت فقط أرقبها وهى تحرق واحدة تلو الأخرى.

من فتحة شباك

بشرى أبو شرار □



انحنى بسيارتها تدخل شارع بيتهما، تبحث بعينيها عن فتحة شباك في الطابق الأرضي.. نور باهت يسكن النافذة، نظرت لعقرب ساعتها، ألقت حقيبتها خلف كتفها، مدت يدها تسحب المزلاج، تدفع الباب الخشبي، ترهف السمع لأصوات قد تأتيها من الداخل، وقفـت بجوار النافذة، كانا نائمين وقد تلاصق رأسيهما، ينسجان أحلامهما معا..

يدـها الصغيرة تقبض على قطعة خبـز لم تكـمل قضمـها، آثار أـسنانـها باقـية عـلـيـها، هـمـست تـنـادـيـ أـمـهـماـ، لـمـ يـجـبـهاـ أـحـدـ، تـتأـمـلـهـماـ فـيـ فـرـشـتـهـماـ عـلـىـ لـحـظـاتـ الـانتـظـارـ، نـهـضـ الصـبـيـ النـائـمـ أـسـفـلـ النـافـذـةـ يـهـذـيـ بـكـلـمـاتـ الصـغـيرـةـ:

– ليسـتـ هـنـاـ.

١٨٣

يـهـزـ رـأـسـهـ وـقـدـ أـسـدـلـ أـهـدـابـهـ، يـكـرـرـ ذاتـ كـلـمـاتـ:

– أـمـيـ لـيـسـتـ هـنـاـ.

ثمـ أـلـقـىـ بـجـسـدـهـ، جـوـارـ أـخـتـهـ مـسـتـسـلـمـاـ لـأـحـلـامـهـ.

الـقـلـ المـغلـقـ عـلـيـهـماـ حـالـ بـيـنـهـماـ وـبـيـنـهـماـ، هـمـسـتـ لـهـ ماـ بـيـنـ فـتـحـاتـ النـافـذـةـ:

– شـدـ الـغـطـاءـ جـيـداـ يـاـ حـمـدـيـ.

شدـتـ يـدـهـ النـائـمـةـ طـرفـ الـغـطـاءـ الصـوـفـيـ عـلـىـ جـسـدـ أـخـتـهـ المـلـكـومـ بـجـوـارـهـ وـمـاـ تـبـقـىـ منهـ أـسـدـلـهـ عـلـىـ كـتـفـيهـ.. انـفـرـدـ الـغـطـاءـ وـظـهـرـتـ فـتـحـاتـ الـمـهـرـةـ جـلـياـ، أـلـوـانـ رـمـاديـةـ زـاحـفةـ عـلـىـ الأـبـيـضـ، دـفـءـ فـرـاشـهـماـ سـرـىـ إـلـيـهـاـ، عـادـتـ أـدـرـاجـهـاـ، تـنـظـرـ شـبـاكـ حـجـرـتـهاـ، سـتـائـرـهـ المـسـدـلـةـ تـتـرـاقـصـ لـرـيـحـ تـصـفـرـ لـبـرـدـ سـاـكـنـ فـيـهـاـ.

□ كـاتـبـةـ مـنـ فـلـسـطـينـ تـعـيـشـ فـيـ مـصـرـ

بطة أنجيل

محمد خضر

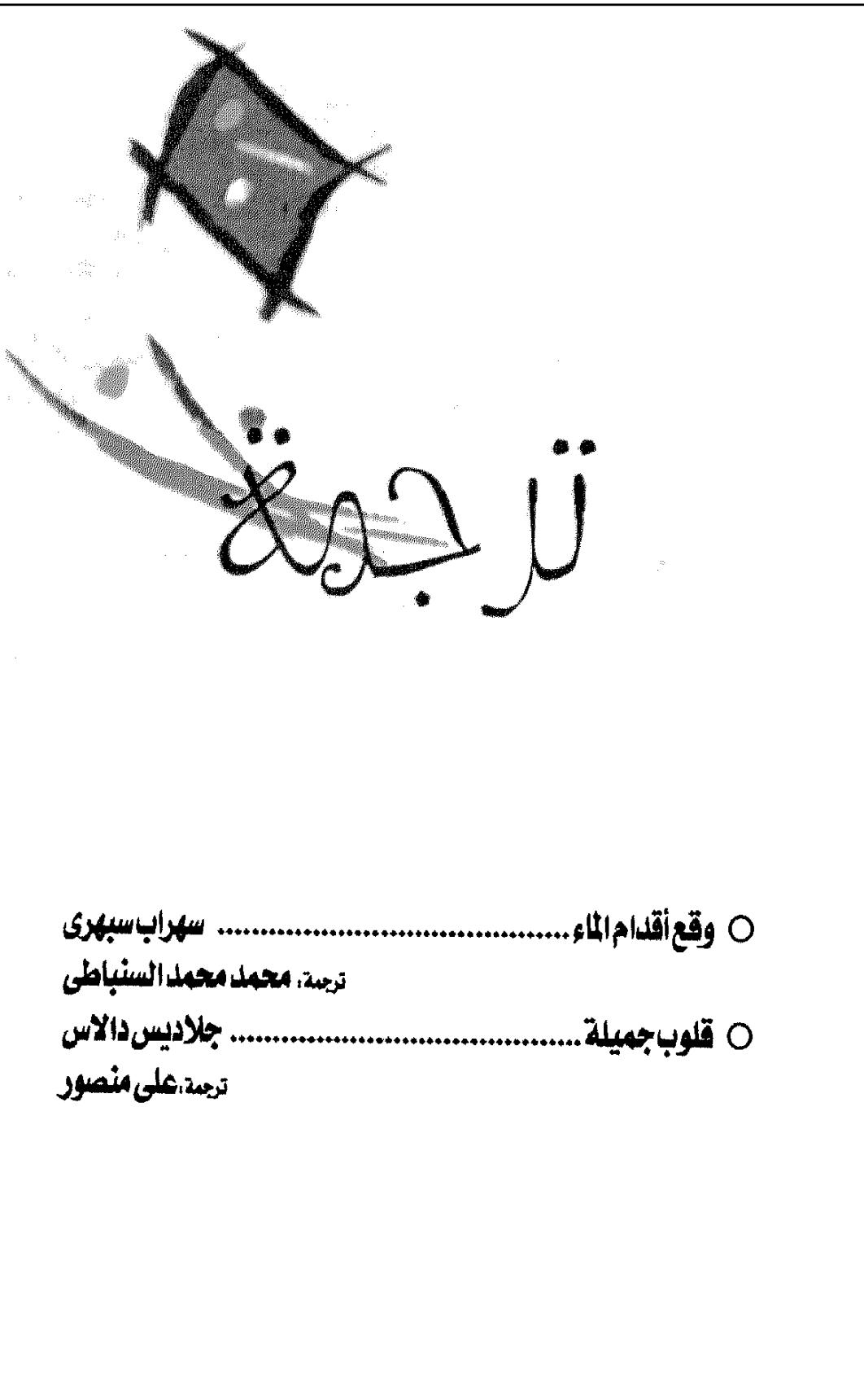
ذهبت «أنجيل» متلهفة إلى السوق وراحت تتجول بين محال الطيور وبعد اللف والدوران والمعاينة والفحص والدوخة، وقع نظرها على بطة سمينة، حيث قام الفرارجي بوضعها على الميزان. وبعد فاصل من المداولات معه على السعر قام بذبحها وتريشها ثم وضعها في كيس وأعطها إياها.

حملت «أنجيل» البطة وراحت تتباخر بها في الطريق وكأنها تترافق على أنغام باليه بحيرة البجع، وهي فرحة سعيدة، حتى وصلت إلى دارها ووضعتها في الثلاجة تمهدأ للاحتفال بها في ليلة العيد.

.. كم سببت بخيالها أثناء الصيام فى أمر هذه البطة السمينة وفى كيفية إعدادها وتقديمها للطعام مع الأصناف المختلفة من الخضروات التى أتت بها من السوق حتى استقر رأيها النهائى على أن تضعها فى صينية وتختلفها بالورق المفضض مع البطاطس والصلصة داخل الفرن.

.. وفي ليلة العيد ذهبت «أنجيل» إلى عم «سكر» الفران بصينية البطاطس تتوسطها ٤٨٤ البطة حيث قام بوضعها داخل «المhma» إلى جوار بيت النار كى يسويها على نار هادئة حتى فاحت رائحتها واكتمل سواها، فحملتها وراحت تطير بها كالفراشة إلى البيت.. وفور الانتهاء من القدس عادت وهى تعلم بتلك اللحظة، وتخيلت وهى تقدم لرفيق دربها، الذى كم انتظرته طويلاً، ولكنه لم يأت بعد، تخيلت وهى تناوله قطعاً من لحم البطة «المستوى» اللذيد، وسرحت مع صوت فيروز وهى تغنى (نظرتك على بابى بليلة العيد، مروا كل أصحابى وحدك إلى بعيد) وفور وصولها للمنزل وصعودها لشققتها لم تجد سوى العظم فقط، فتحسست من ذلك المشهد المروع حينما اكتشفت أن النافذة مفتوحة فأدركت أن قط الجيران قد قفز داخل مسكنها حين راودته رائحة البطة التى فاحت، فسأل لعابه وقد انفتحت شهيته عليها فأخذ يلتهمها التهاماً وكأنه فى معركة حربية ولم يترك منها فتقة واحدة!!! تسمرت أنجيل فى مكانها وراحت تتلעם غيظاً فى نفسها، ولم تنبس ببنت بشفه!! فيما كان القط يهز ذيله مغادراً !!





○ وقع أقدام الماء سهرا بسبيري

ترجمة: محمد محمد السنباطي

○ قلوب جميلة جلاديس دالاس

ترجمة: علي منصور

وقع أفلام الماء

سهراب سبهري □
ت. محمد محمد السنباطى

الوردات

بذاك السجن فائٌ خيالٌ أى خيالٌ !
 أعلم أن حجابي لا روح له
 أعلم أن حياضًا أرسمها .. دون سمك !
 أنا من كاشانٌ

نسبي قد يمتد إلى عشب بالهند
 وقد يصل إلى غانية من أهل بخارى
 □□□

وأبى ، بعد مجبي سلاحف أكثر من مرّة
 بعد سقوط ثلوج أكثر من مرّة
 بعد النوم وقد غطاه القمر الأبيض أكثر
 من مرّة
 مات أبي
 فزعت أمي الغافلة .. من النوم
 وأختى أزدادت حسناً
 كان الحراس بأجمعهم شعراء
 بقالٌ يسألنى : كم رطلاً ترتفع من هذا
 الشمام ؟
 □□□

كان أبي رساماً
 كان يشد الأوتار
 ويعزف فوق الأوتار
 وكان الحظ يحالفه
 وحديقتنا في جانب ظل المعرفة
 حديقتنا نقطة ضوء فوق المائدة ، المرأة ،
 القفص ، حديقتنا كانت قوساً من دائرة
 سعادتنا الخضراء

أنا من كاشانٌ
 أيامى ليست سينٌ
 أملك كسرة خبزٍ
 بعض ذكاءٍ
 نوقاً أكبر من رأس الدبوس
 عندي أملٌ أنضر من فنٍ
 وصحابٌ أفضل من نبيع رقاق .
 □□□

وأنا مُسلمٌ
 قبلت الوردة حمراء
 ومصلاي عيون الماء
 ومكان سجودي التور
 وسجاداتي الصحراء
 ووضوئي هزات شبابيك
 وصلاتي يجري فيها القمر كما الطيف
 وحين أصلى
 تتقرب أشجار السرو وتتناجى بذوائبه
 □□□

١٨٦

وعلى حافة ماء جارٌ تتبدى الكعبة
 تعلوها أشجارٌ الملح ، وإن الكعبة
 مثل نسيم تسري من روضٍ لرياض
 من بلد ليلاً
 أما حجري الأسود فهو ضياءٌ حديقةٌ
 أنا من كاشانٌ
 عملى الرسم ، وأصنع أحياناً
 قفصاً من ألوانٍ لبياع لكم
 كى يتجدد قلب الواحدة فيكم بنداء



أمضغ فاكهة الله الفجة في
النوم وأشرب ماء
وبلامعرفةِ أقطف ثمرات
التوت
مادام الرمان التركي به ثمر
فيدي ترحب في ماء
النافورة
حين يغنى العصفورُ الدوريُّ
فهذا جسدي يحترق غراماً
في الإصغاءِ
كانت تلخص خداً بالنافذة
الوحدة
يأتي النورُ يطوق بيديه الجيدَ
حياتى كانت أشبه بالملطَّر
النسائي
وبأشجار السنار الممتلئة بطيفور
الزرزور

كانت صفا من نورٍ ودمٍ
كانت حوضاً للموسقياً.

ورويداً ... ينأى الطفلُ عن الحارةِ
والحرارة ملأى بجرادٍ
وحملت الزادُ

غادرت مدينةً أخيلتي
وإلى الدنيا ، وتجاه الهم

وإلى بستان العرفانِ

وإلى إيوانِ مصابيحِ المعرفةِ
صعدت إلى درجات الإيمانِ
ثم هبطت إلى الشكِّ الخاويِ
وإلى جو الاستغناءِ النشوانِ

وذهبت لرؤية شخصٍ يملك سر العشقِ
ذهبت إلى المرأةِ

حتى مصابيح اللذةِ

حتى الصوت المتكدّس بالوحدةِ
وعلى وجه الأرض تبدت أشياءً

طفلُ كان يشمُ القمرُ
 وقفصُ ليس له بابٌ ويرفرف فيه النورُ
 والسلمُ ، جاء العشقُ ليصعده حتى سقفِ
 الملوكِ .
 وامرأةً ماذا كانت تصحنُ في الهalon ؟
 ليس سوى النور !

١٨٧

وعند الظهر على المائدة تبدى الخيرُ،
الريحانُ، وأطباق الطللُ، وأكواب الدفءِ
وشحاذٌ يتسلول صوت القبرةِ
وكان الشاعر يخشى في حضره سوستةٍ
فرأيت كتاباً فيه الكلمات حرائق
أما تلك الورقة فهي كما نيسان
هذا المتحف ناءٌ عن نفس مدینتنا الحى
هذا المسجد ناءٌ عن ذاك الماءِ
وفقيه في البؤسِ فوق وسادتهِ
كوزٌ يقرطر ألف سؤالٍ.

قلوب جميلة

جلاليس دالاس ت: على منصور

لا شيء سوف يفوق هذا الذي يحدث الآن
أنتم ترون
كل هؤلاء الناس الطيبين
قد لونوا اليوم بيتي بقلوبهم الجميلة .

لهم يبدو كثيما، ويشعا، هذا العالم
مع هذا
فلابد من الالتفاف على المأزق.
لابد من العثور على
جذور عظيمة،
جذور، أنتا أحياء .
تحت حطام العواصف والأعاصير
اصغ ..

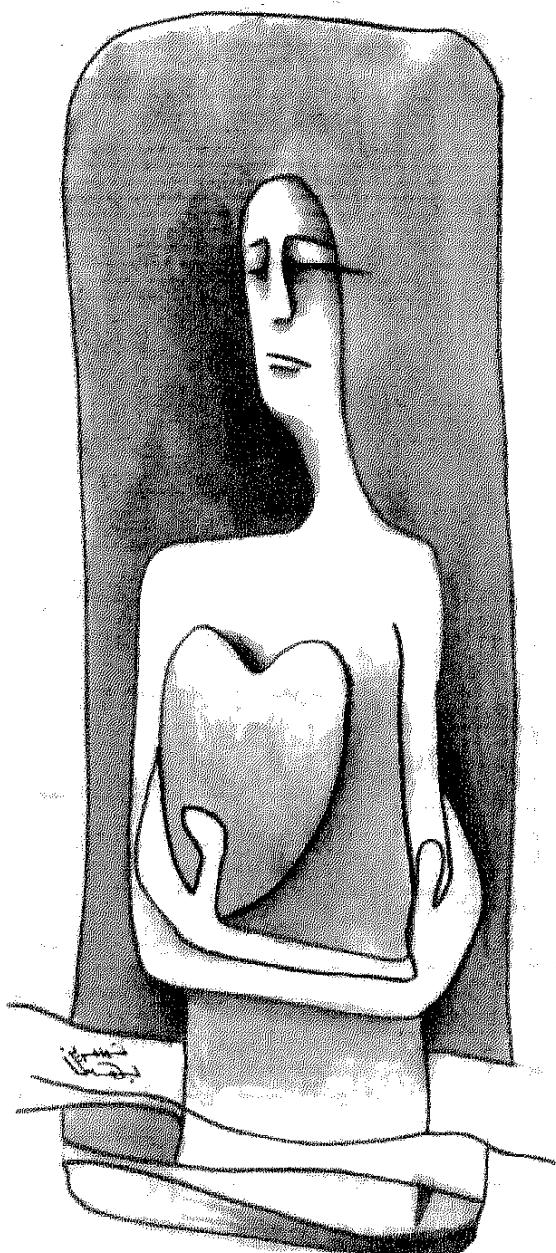
صوت واهن ضعيف
والرجال المتطوعون يتدافعون للمساعدة
هؤلاء، ذوو الشهامة،
دائماً يكونون حولنا.
لابأس، وهذه الحياة تمضي
مثل سيرة امرأة ساقطة
والأمل فيما هو جميل يخبو، ويتشاشى
عندئذ يطبق:

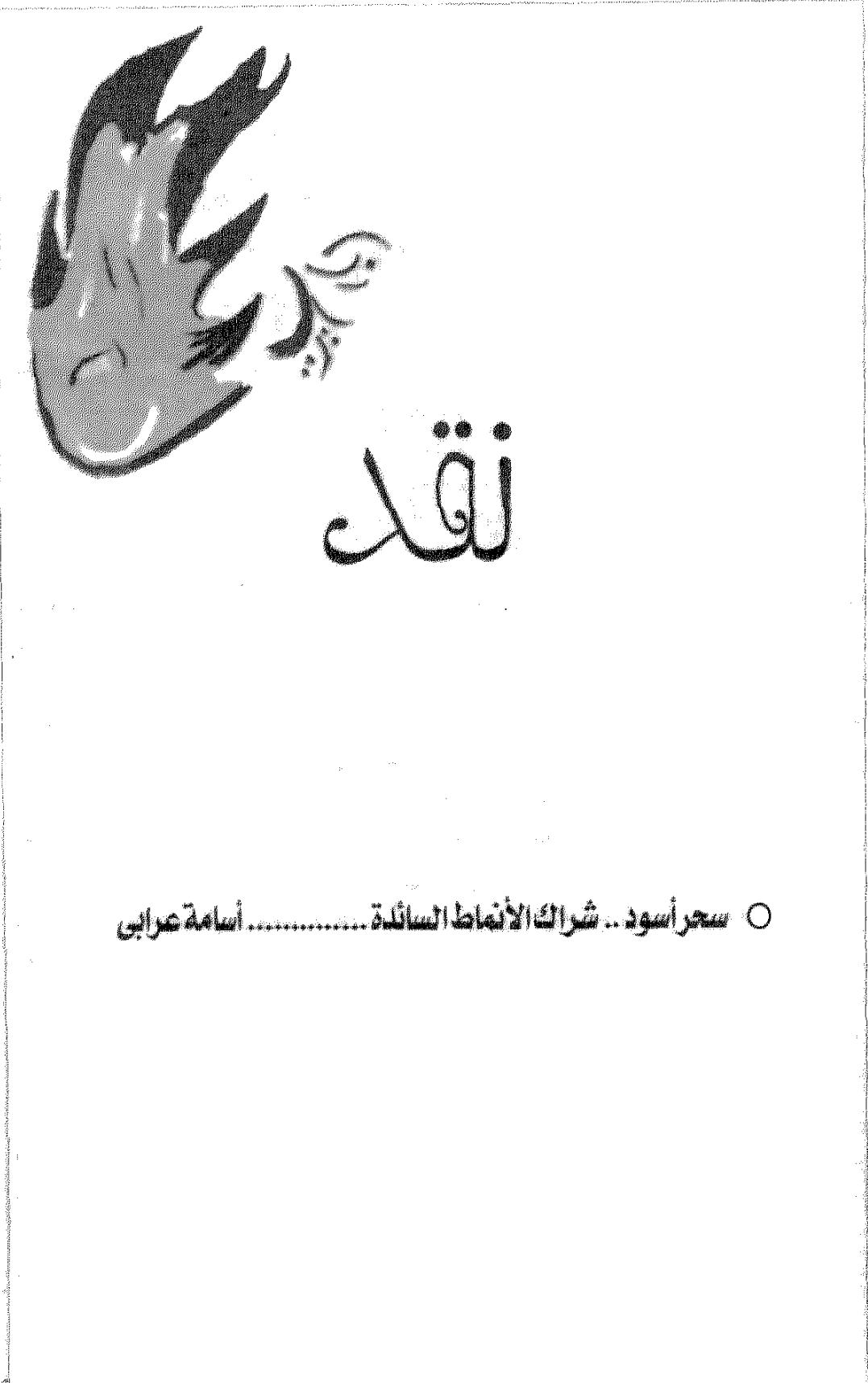
(طهروا قلوبكم أيها البشر)
كى ينبع العالم الفذر - ثانية - بالحيو
والنشاط .

١٨٨

٢٠٢٣
٢٠٢٣
٢٠٢٣
٢٠٢٣

ذوو الشهامة هؤلاء
لهم أجورهم أضعافا مضاعفة
وبالنسبة لى
فمن المؤكد أن هذا اليوم
هو بمثابة اكتشاف كنز الذهب.
لدى ما لا يزال حيا من الذكريات الجميلة
سوى أنه





١٨٩



سحر أسود

شراك الأنصاف السائدة

□ أسامي عرابي



شغوفاً بملمسه بين كفيه،
وعدستها البارزة الكبيرة» ص
٢٠. وأدرك فيما بعد عبر
علاقته المديدة بها، ووقفه على
أسرارها أن «ما تفعله الكاميرا
ليس أقل من سحر أسود» ص
١٢٤ .. في إشارة لاتخفي إلى

ماهية صنيعها وما تنهض به حيال الواقع
والأشياء»، من تحوير وتمويه وختل وتديس
.. وهو ما عبر عنه «ناصر» بوضوح وجلاء
في غير موضع وتجربة.. سواء في قاعة
المؤتمرات الكبرى، أثناء قيامه بنقل وقائع
مؤتمر «مستقبل مصر في الألفية الثالثة»،
فرأى كيف «تضع - أى الكاميرا - على
الواقع غلاله رقيقة شفافة، تجعل الألوان
الكابية الكالحة ألواناً ساطعة مبهجة،
وتجعل المشهد مكتفاً موجزاً مقطوعاً من
الحياة ألواناً ساطعة مبهجة، وتجعل
المشهد مكتفاً موجزاً مقطوعاً من الحياة»
ص ٢٣، أو في أثناء اضطلاعه بالتقاط
صورة لشقيقه «مأمون عطا الله»، فاستقر
في روعه أن «المصورين هم الذين يكتبون»،
بدرجة ما، أفكار الناس عن القادة
السياسيين ونجوم السينما والمجتمع
والرياضة والمشاهير، وكل من له علاقة
بالظهور العام. نحن كهنة الضوء والظلمة
.. نحن الذين بإمكاننا أن نفسر بعض

تشي الرواية الأولى للكاتب
الشاب حمدى الجزار «سحر
أسود» الصادرة عن «دارميريت
للنشر» عام ٢٠٠٥ ، بموهبة
لافتة، تملك حساسية خاصة في
التعامل مع عالمها الفنى، وأاليات
مقاربته .. بيد أنه استطاع

بحرفية عالية، وأنوات ناضجة، الإمساك
بمسرحه، وإدارة علاقاته بمهارة واقتدار،
فنانٌ عن الترهل والتزبد، واقترن من
حقيقة اللحظية.

فما «السحر الأسود» الذى اتخذه
الكاتب عنواناً لروايته هذه؟. ما الذى
يحيلنا إليه، ويسعى إلى بلورته من وراء
مجازه هذا، الذى يعتمد تقنية يمكن أن
ندعواها، بـ «السلب والجاوزة» .. أى
التصرير بالضدية على نحو يستولد
الصورة المنشودة، ويومئه إلى فحوى
شبكتها العنكبوتية، فتشف وتبين عن
ماهية الشيء لذاته، لافى ذاته؟.

إنه «كاميرا التصوير» التى عاينها
وخبر طبيعتها وإمكاناتها اللامحدودة
«ناصر عطا الله»، يوم كان فى الرابعة
عشرة من عمره، وجاءه «كاميرا ياشكا»
هدية من أبيه الذى فوجئ بنجاحه الباهر
غير المتوقع فى الشهادة الإعدادية، فأحب
«جسمها الأسود الخشن، الذى كنت

جacket
book
pen



العالم المعروف «شانجو» رأيه بأنه ليس ببعيد ولا بمستبعد ذات يوم أن تنهض «الكاميرا ذات البوزيترون» باستعراض صورة الأشياء الذهنية على الشاشة في يوم من الأيام بفضل التقنيات الجديدة التي تستخدم في معالجة الصوت والصورة رقمياً، وإمكان الدمج بين الحقيقة والخيال على الشاشة ذاتها، كما فعل المخرج «روبرت زيماكى» في الفيلم الأمريكي المعروف باسم «فورست جامب» وسواء .. مما دعاه إلى أن يسر لنفسه يوماً بأمنية بدأ عزيزة لديه، عليها تخليص من ركام الأكاذيب التي باتت تحاصره، وتنفعه من التنفس بحرية في أجواء صحية «لا يمتلك أحد، الآن فرصة ابتكار تليفزيونه الخاص، بنفسه، لنفسه، لامفذ».

«الغاز الكون المعقد» ص ١٢٠، أو خلال محاولاته الفرار من صديقته «فاتن شهدى»، لكي لا يجيبها إلى طلبها في التقاط صورة لها، إيماناً منه بأن «وضع شخص أمام عدسة كاميرا يعني لي الآن أن أقوم بعمل جاف ويليد .. يعني أن تصير الكاميرا آلة طحن، ماكينة هائلة الضخامة ذات ترس حديدي كبير يدور، ويدور بسرعة الضوء، فارما في وجهه كل ما يلقى إليه. آلة خرافية تسحق كل شيء دون هواة، دون أن يهتز قلبها الحديد، وقد تقتل فى عملها البارد أباً أو أما، عاشقاً أو عاشقة .. أو قد تقتلك أنت» ص ١٢٢ . الأمر الذى أفضى - في مآل الأخير، حين أذعن لرغبتها وانصاع - إلى أن «رمت الصورة فى وجهي، فسقطت على الأرض، وهرولت خارجة من المطعم» بعد أن «صفقت الباب الزجاجي خلفها بقوة» ص ١٢٦ .. وعلى هذا النحو، مضى «ناصر عطا الله» ينعي على الكاميرا صنيعها هذا .. وراح ينعتها أثناء قيامه بتصوير مولد جبل المقطم، مستمعاً إلى صوت الشیخ محمد الأشرفى، بـ «الكاميرا المخبولة، الوحش، تقترب وتفضح، تبتعد وتكتشف، تفوق فى التفاصيل ، تبصر الأعمى، تصدم وتذل، تجمل وتكتذب وتعرى الجميع من الثياب والنيات، تصطعن وتدارى، تجمع الأصداد والمتناقضات، مزهوة بوجودها وحده، تسلبنى الإرادة والاختيار، متھورة وهمجية، ببربرية من زمن الأصنام الجديدة...» ص ١٦٢ . حتى لكانه يساطر

أنا أعمل في خدمة كل ما أكرهه، فلماذا ينتابني كل هذا الغضب الآن على شيء تافه وعادى مثل التحقيق القانوني والعقاب والخوزقة إن أمكن» ص ٤٣، لذا لم يأل جهداً في فضح «جمهورية ماسبيرو»، وما تعجب من «زيف وأونطة» محاولاً أثناه تقصصه شخصية «شارلوك هولمز»، ودخوله «الاستديوهات ووحدات المنتاج والمكاتب» في غفلة من الجميع» «شم الروائح العفنة والدسائس والمؤامرات والفساد والأموال المنهوبة». لكنه لا يدرى كيف يحمي نفسه ويصونها من هذا المستنقع الإعلامي الأسن الذي ألقى نفسه فيه، وجعله مغلول اليد، فعمد إلى وصمه بما هو أهل له وخليق ..

(فقط أحس جريل ماسبيرو الضخم الملئ بكل شيء في هذه الدنيا ينسكب فوق دماغي لآخره، ويترك ملابسي قذرة .. ملوثة، وجسدي عفنا خربانا، يحياني إلى آلة جديدة لاحشو أدمغة الخلق بالزيف والباطل والحقائق والأوهام والجمال والقبح والمعنة» ص ٤٤ ، ٤٥ .

وقد تعددت هذه الهجائيات وتنوعت، ١٩٢ عبر الموضع والواقف التي مر بها، واصطدامه برئيسيه: «نعمان» و«صبرى غريب» بحماقتهما وضيق أفقهما، وافتقادهما المنظور الأشمل والرؤى المفailable، حتى أضحي «ناصر» يردد بشكل شبه ثورى، وكأنه فعل تطهري يخفف من وطأة إحساسه بالذنب والمشاركة في عمل لا يلبى طموحاته، ولا يتاغم وما تعلمه واستقر في وعيه، حتى غدت الصورة أمامه انتهاكاً للأفلاطونية التي رأت الحوار طريقاً للوجود والحق،

ووثماً للكانطية التي دعت إلى حرية الكوني العام: «صرت أكثر المصورين شهرة في صنع ما يريد له الخروج، ما يريد تماماً بدقة وإن حكم بالغ، مهما كانت عيوبه الفنية وبلاهته وتفاهته .. أنا أصنع فقط ما يريدون» ص ٢٢ . غير أنه لم يستسلم .. وقرر الرد بطريقته الساخرة التي لا تعبأ بالأعراف المرعية في عمله الوظيفي وتقاليد الاضطلاع به على النحو المحدد والممنون سلفاً، وبذلك لا يخون شرف المهنة، ولا يفقد احترامه لنفسه، فقام بتسلیط الكاميرا على دواخل هؤلاء المسؤولين المدلسين الذين التقاهم في «قاعة المؤتمرات الكبرى»، وفرض عليه «نعمان» «زاوية تصوير ميّة بالنسبة لي، قادر متوسط يظهر الجميع، وأنصار أجسامهم العليا ملتخصة بالخلفية، قادر مسطح بلا عمق ومتخلط الألوان والإضاءة التي وضعتها وحاولت بها إضفاء بعض العلاقات بين كتل الأشخاص والمكان، صارت من هذه الزاوية أشبه بإضاءة ملهي ليلي تحتفى بالراقصة النجمة» فوجد أنهم «لا يرتدون ملابس داخلية تستر أعضاء أجسامهم وعوراتهم المسترخية. كنت أرى أفخاذهم السمينة متبرهله وشاحبة تكسوها التجاعيد والعروق الزرقاء النافرة، والدوالي المنتفخة، وأعضاءهم المنورة للإثماء منكمشة نائمة رخوة، مجدها مثل بركة صغيرة آسنة سوداء».

خرجت قهقهتها عالية صافية، لم تستطع السيطرة على مخيلتي وعلى ضحكتي المتواصل الذي بدا ثابياً وغريباً، فتوقفت السيدة التي كانت تتحدث بحرقة عن المستقبل النسوى المأمول عن الكلام،

وران همت ثقيل في القاعة
التي ردلت حيطانها صدى
ضحكى المستيري ..» ص
٢٤. ولم تكن هذه هي المرة
الوحيدة التي تعمد فيها إماطة
الثام عن خواهنم وأقنعتهم
الكاذبة، بل كررها في غير
مكان و موقف، كما فعلها مع
عمة إحدى قرئ وسط الدلتا
الذى ضبطه متلبسا بالكذب



حمدى الجزار

السيدة زينب» في مقابلة
كشفت ربما عن علاقة بالمكان
حدث به إلى استبدال الزين
بالحقيقة، والتبعية والاغتراب
يروح الانتماء الأصيلة
وحرارة الرغبة في تجاوز
واقع مكبل .. وذلك على نحو
ما تقدمنا إلى فهمه كلماته
الدالة «لست مثل مثقفى
اليوم، أتحدث عن السياسة

والفاقة والأزمة الاقتصادية والفساد،
والديكتاتورية والعولمة والقطب الواحد
والإرهاب، وإحساس الناس بالهزيمة
والفشل والإحباط، ونجوم شبابيك السينما
الجدد والهوس بالاستهلاك والسعادة
والفردية، ولا أنا أتكلم عن الأشياء
الصغرى والتفاصيل الحميمة والجسد
والجنس وموت القضايا الكبرى وسقوط
الأيديولوجيات وحياد النصوص والكتابة
الباردة. الأجدى لي أن أتحدث عن الحرب
والقتل والعنف والموت، لأنني لا أتحدث
 سوى عن العشق .. العشق فحسب» ص
٨٢.. غير أن ناصرا هنا ليس بعدمى ..
ولا بمنسحبا من واقعه .. ولا بفارقـ

١٩٣ الاتجاه والطريق .. بل هو امرؤ «يصر
على التشبيث بالخطأ مقابل كل الآخرين،
مقابل العالم كله» على حد تعبيره ص ٨٢.
منطلاقا في هذا من وجдан متزع باللائقين،
متتحرر من الإيمان الأعمى، ومن إلفـ
العادة وسلطان الموروث، مثل «عدم تأكده
من معنى كلمة «يحب» هذه أبدا».. ص
١٠٩ . ساعيا إلى زمن جديد، قوامه
النضيـ والواقعيـ، لا المطلق والسرمـي ..
لذا احتفىـ بـ «فاتنـ شهدـي» كـ امرأـة «تخـلوـ
منـ الزـيفـ والـتصـنـعـ والـتكلـفـ الـذـىـ صـرـتـ

في حوارـ معـ المـذـيعـ، فـقـرـبـ الكـامـيراـ منـ
وجهـهـ وـعينـيهـ الصـغـيرـتينـ الضـيقـيتـينـ، فـعـرـفـتـ
أنـهـ يـكـذـبـ. يـكـذـبـ بـصـدقـ ماـهـرـ يـبـدوـ أنـهـ
اعـتـادـ عـلـيـهـ طـوـيلـاـ» صـ ٣٣ـ، وـلـمـ يـتوـانـ عـنـ
إـعـطـاءـ الـكلـمـةـ لـأـمـرـأـةـ نـحـيـلـةـ شـاحـبـةـ الـوجـهـ
فـيـ نـحـوـ الـخـمـسـينـ، لـتـقـولـ الـحـقـيقـةـ التـيـ
يـنـتـهـكـ شـرـفـهـ عـرـفـهـ الـعـمـدـةـ بـكـلـ وـقـاحـةـ وـبـجـاجـةـ،
وـتـرـكـ وجـهـهـاـ «يـمـلـأـ الشـاشـةـ الـمـحـايـدـ الـمـيـةـ ..
يـمـلـأـ عـيـنـيـ الـدـمـيـةـ الـقـبـيـحـةـ التـيـ لـاتـرـىـ
وـلـاتـعـرـفـ وـلـاتـفـعـلـ شـيـئـاـ» صـ ٣٤ـ.

وعلى هذا النحو، استطاع «حمدى
الجـازـارـ» باقتدارـ أنـ يـنـزعـ القـشـرةـ الـخـادـعـةـ
الـتـيـ تـسـتـدـرـ بـهـ الصـورـةـ فـيـ اـدـعـائـهـ حرـيةـ
الـنـطقـ بـالـحـقـيقـةـ، وـحقـ تمـثـيلـهاـ «ـالـزـائـفـ
بـالـطـبعـ» للـوـاقـعـ، كـوسـيـلـةـ عـصـرـيـةـ لـتـسـويـقـ
الـمـعـايـرـ وـالـسـلـوكـيـاتـ، وـلـلـتـنـمـيـتـ الـاجـتمـاعـيـ،
بعدـ أنـ جـقـقـتـ وـسـائـطـ الـإـعـلامـ دـمـجاـ
تـارـيـخـياـ بـيـنـ عـالـمـ الـاتـصالـ وـالـقـطـاعـ
الـسـمـعـيـ -ـ المـرـئـيـ وـالـعـلـومـاتـيـةـ،
وـاسـتـطـاعـتـ أـنـ تـخـلـقـ مـاـيـدـعـيـ الـ Teleaـ goraـ

أـجلـ .. يـفـعـلـ «ـنـاصـرـ عـطاـ اللهـ» ذـلـكـ،
بـذـاتـ الـيـقـيـنـ الـداـخـلـىـ الـذـىـ دـفـعـهـ وـهـوـ بـعـدـ
غـضـ طـرـىـ لـيـكـونـ «ـمـاـكـيـنـةـ تـصـوـيـرـ فـتـحـتـ
خطـ إـنـتـاجـ سـرـيعـ فـيـ حـارـاتـ وـعـطـفـاتـ

لا أحتمل التعامل معه في النساء والرجال» ص ٦٤ .. واستطاعت «بإصرار ومثابرة أن تعوض الزمن الذي ولّ بلا عودة .. خمسة عشر عاماً غائمة مهزوزة غير واضحة الأحداث، تقع بين هجرتين: الهجرة الأولى إلى الخليج العربي .. وهجرة عكسية في الاتجاه المضاد إلى القاهرة، وللأسف كانت القاهرة تستقبل الأنفية الثالثة بوجه عجوز نحيلة مريضة، هشة وفقيرة» ص ٤٧. ورأى أن الجنس «أيقونة أيامنا هذه» لا يفرض سلطانه سوى لأن التعبير الأتم الكامل عن خراب حياتنا، حياتنا هنا والآن التي تجعل من المستحيل على الواحد أن يقول شيئاً ما، أي شيء عن الجنس» ص ٦٢ .. بيد أنه فقدوا «فقد فاتن» إثر التقاط صورة فوتografية لها، لم تعجبها، بل رأت فيها وجهة نظر «ناصر» تجاهها، فغادرت المطعم الذي كانا يتناولان فيه الطعام، واختفت!!.. وظل يهوس بها وبذكرياته معها، محسداً بأماكن وجودها، مستعيداً .. حالما بلقاءاته معها .. لكنها لم تعد، ولم تظهر ثانية في حياته .. وظلت كسائرشخصيات الرواية تتاردها لعنة العجز واللامكتمال وعدم القدرة على التواصل حتى المستمر «مثل موت مليء زوجة باسم» خطأ في حادث غير مقصود، وانسحاب «باسم» إلى ذاته وهجره شقته في «مصر الجديدة» لينتقل إلى «الحرامية»، حيث مرسمه وانطواؤه .. ضجر «فاتن» بصحبة المرضى وهجرها مهنة الطب .. خشيته من ظهور أخيه «مأمون» في حياته فجأة، فيوقظ خوفه ورعبه القديم منه» في ظل واقع معتل .. تتوشه التناقضات، وتحدد توجهاته

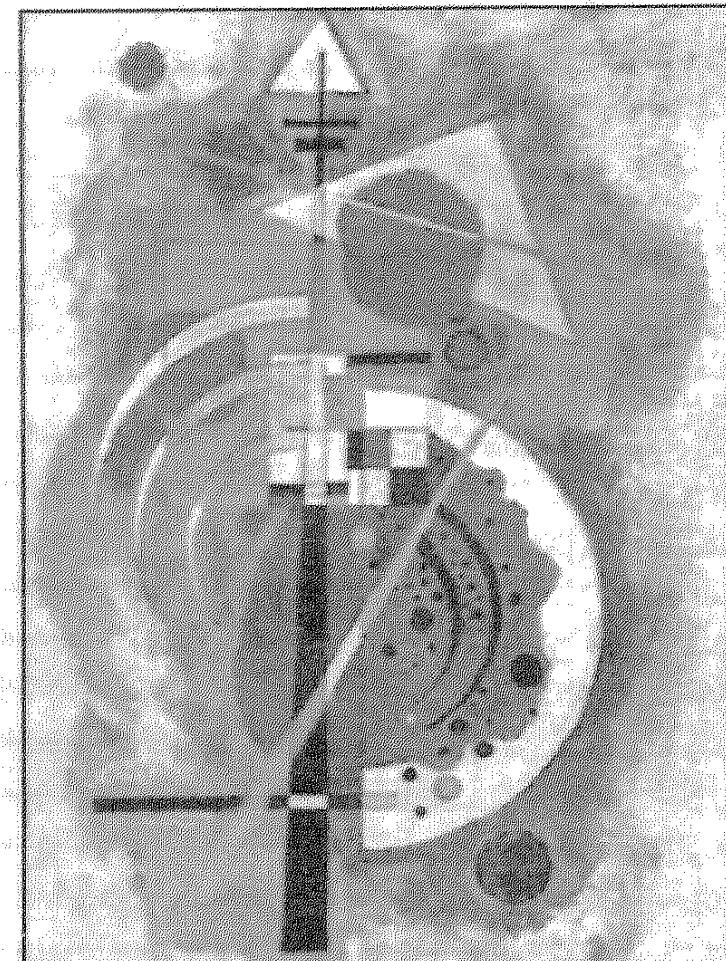
مواضيع برمجاتية ردئية، دفعت الزوج أن يقول لزوجته «فاتن»: «النقود لا تصنع السعادة، إنها تصنع الحياة» ص ٨٨ .. وأن يقول «ديبيه» لـ «فاتن» وهو يبيع لها أريكة عربية من الأرابيسك والصفد: «أنت تعجبيني أكثر من الكتبة» ص ٩٢ !! .. أو أن تعد «فاتن» علاقتها بـ «ناصر» ضريراً من التواصل الروحي؛ فلا يرافق له المعنى ولا يستطيعه، ويرى فيها «توقعها، حسناً بدائياً به يعرف الذكر موقع أنثاه» ص ١٢٨ .. أو أن يكتسب الجنس «في هذه الأيام شكل السلعة» ص ١٢٥ إلخ.. حقاً .. إنها شخصيات تعيش أماءً مهدورة .. وأحلاماً مؤجلة .. في ظل واقع شحيح يضن بالفرح وبالسعادة .. لكنها .. ويا للمفارقة المؤسية - تبدأ باكتناه الذات، وتنتهي برفض العالم .. دونما قدرة على التغيير الذي يتتيح لروحها فسحة بلا حدود .. فظلت مكبلة .. مشلولة، لاتملك بديلاً ولا مشروعًا متكاملًا يعينها على التجاوز والخطى.

تحية لـ «حمدي الجزار» ولروايته الجميلة .. الأسرة .. ولغته التي قُدت من الألم والشعر معاً .. الألم بمعناه الإنساني النبيل، والشعر الذي يمتحن من نبع صاف رقراق .. فيسافر بعيداً في سويداء قلق داخلي لا يبني يحياث أبطاله، ويشكل دراما تحولاتهم، فيقف على مجالى الأزمة المجتمعية الراهنة، ولا يقينية الأنماط السائدة للخطاب والتواصل، وهي تعيش مفارقـات واقعها الخشن والفظـ، بلـغـةـ جـارـحةـ .. متـمرـدةـ .. لا تـكـفـ عنـ الـبـحـثـ عنـ الـعـنـيـ، وـمـوـاجـهـةـ زـمـنـهـاـ التـارـيـخـيـ المسـكـونـ بـالـتـنـاقـضـ وـالـتـنوـعـ.

كتاب
مجلة

الفلسفة في شمال إفريقيا

د. مراد وهبة



الفلاسفة في شكل إفريقيا

د. مراد وهبة



مطولاً عنوانه «هيبياتيا» ركز فيه على كهنة الإسكندرية برئاسة بطريق البابا كيرلس المابر لهذا الفعل المرعب وهو قتل هيبياتيا من قبل الكهنة الذين قاموا بتنفيذ غضبه المتغصّب. أما «فولتير» فقد استعان بصورة «هيبياتيا» للتعبير عن اشمئزازه من الكنيسة ومن الدين الوحي. ففي رأيه أن قتل «هيبياتيا» مردود إلى تفكيرها العقلاني وثقتها في قدرات العقل الإنساني عندما يتحرر من الدوจما، أي المعتقد المفروض عليه (١). هذا الرأي وارد من القرن الثامن عشر.

أما في القرن العشرين ففي كتابه «تاريخ الفلسفة الغريبة» اقتبس «برتراند رسل» وصف جيبيون لقتل «هيبياتيا» وقال معلقاً بامتناعه أن الإسكندرية، بعد هذا الحادث، خلت من متّبع الفلسفة» (٢). وفي القرن الثاني عشر حدث في قرطبة بإسبانيا في عام ١١٩٨ حادث أكثر مأساوية من حادث «هيبياتيا» حيث أتهم الفيلسوف الإسلامي ابن رشد بالإلحاد، فأحرق تألفاته ونفي إلى قريته أليسانه. وكان مفهومه عن التأويل هو سبب هذا الانبطهاد. قال :

كتابه المعنون «صعود وسقوط الإمبراطورية الرومانية» يتحدث جيبيون عن النهاية المأساوية للفيلسوفة المصرية «هيبياتيا». يقول إنها كانت تعلم الفلسفة اليونانية

فارتئت أن ليس ثمة تناقض بين الأفلاطونية الجديدة وال المسيحية، ولهذا تبنت نظرية «نسطور» في أن المسيح له طبيعتان، طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية. والجدير بالتنويه أن هذه النظرية قد أدانها مجمع أفسس في عام ٤٣١، وأدانت صاحبها «نسطور» بأنه هرطيق، وبالتالي حلت اللعنة على «هيبياتيا» باعتبارها من أتباع نسطور. وفي عام ٤١٥ قتلتها بعض الرهبان بطريقة بشعة. وذلك بأمر من البابا كيرلس بطريق الإسكندرية.

وفي عبارة موجزة يمكن القول بأن الفلسفة في مصر انتهت في النصف الثاني من القرن الخامس. أما في أوروبا فقد ظهرت «هيبياتيا» لأول مرة بسبب شهرتها في مجال الإشكاليات الدينية والفلسفية، وكان ذلك في القرن الثامن عشر المعروف بعصر التنوير. وفي عام ١٧٢٠ نشر «جون تولاند» مقالاً تاريخياً

١٩٦

٢٠١
٢٠٢
٢٠٣



فولتير



ابن رشد

١٩٧

استبعد هذا الوهم فلا أحد له الحق في اتهام الآخر بأنه كافر، وبالتالي يتم استبعاد الإجماع وما يتبعه من دوجماتيكية. وتأسيساً على ذلك أصبح ابن رشد هامشياً في الثقافة الإسلامية، أو بالأدق تم إهماله. أما في أوروبا فقد ترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية والعبرية في القرن الثالث عشر بقرار من فردرิก الثاني. وسبب هذا القرار أن هذا الإمبراطور قد نشأ في مجتمع تبزغ فيه ثقافة جديدة هي الثقافة العلمانية، وبالتالي أدت فلسفة ابن رشد دوراً حاسماً في بزوغ حركتين متكاملتين. الحركة الأولى هي الإصلاح الديني الذي قاده لوثر وكان شعاره «البحث الحر في الإنجيل». ويمكن القول بأن هذا الشعار هو خلاصة لعبارة ابن رشد، وهي أن الإجماع ليس ممكناً عند تأويل القرآن. وقد أدين كل من لوثر وابن رشد بالهرطقة بسبب تمايز موقفهما. وأعلن

«إن كان المعنى الظاهر للشرع مخالف لما أدى إليه البرهان فيه طلب تأويله مجازياً. وإذا كان هذا هكذا فإن أدى النظر البرهانى إلى نحو ما من المعرفة موجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه في الشرع أو نطق به، فإن كان مما سكت عنه فلا تعارض هناك وهو بمنزلة مما سكت عنه من الأحكام فاستتبعها الفقيه بالقياس الشرعي، وإن كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ذلك النطق أن يكون موافقاً لما أدى إليه البرهان فيه أو مخالفاً، فإن كان موافقاً فلا قول هناك وإن كان مخالفاً طلب هناك تأويله، ومنعنى التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية».

وأظن أن هذا التعريف للفظ «تأويل» هو السبب في اضطهاد ابن رشد لأنه يعطي مشروعية لتعدد التأويلات، وبالتالي يستبعد الوهم بأن الحقيقة مطلقة. وإذا

الفلاسفة في شمال إفريقيا

بيد أن انتشار أفكار هاتين الحركتين لم يكن بالأمر الميسور للرشديين، إذ واجهوا صراعاً مريراً، وبالخصوص في الجامعات الأوروبية. فقد أصدر ألبرت الكبير كتاباً عنوانه «وحدة العقل ضد الرشديين» كما أصدر توما الأكويني كتابه المعنون «ضد الرشديين». ومن ثم أدينت الرشدية في عام ١٢٦٥ على أنها هرطقة. وفي ديسمبر عام ١٢٧٠ حرم أسقف باريس إيتين تامبييه خمس عشرة نظرية، منها ثلاثة عشرة ذات توجه رشدي. وأكتفى هنا بذكر ثلاثة نظريات عن فناء الروح، ووحدة العقل الفعال، وإنكار العناية الإلهية.

رفض تام

والآن، ماذا حدث في العالم العربي في شأن ابن رشد؟

كما ذكرت آنفاً، رفض تام له حتى من قبل المصلحين المسلمين من أمثال محمد عبده. ورفض للعلمانية، التي هي من أهم ملامح عقلانية ابن رشد، من قبل المفكرين المسلمين. وهذا الرفض هو صدى للاستجابة الجماعية في العالم العربي التي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة: السلفية والتحديث المجهض والحداثة المعتدلة.

إن السلفية تعنى اتجاهها سلبياً نحو الحضارة الغربية ولأية رؤية مستقبلية لأن العصر الذهبي مطروح في الماضي وليس في المستقبل. والتحديث المجهض هو اتجاه ايجابي نحو الغرب، ولكنه في الوقت نفسه محكم بالتراث. إنه ليس أكثر من

جان دى جاندون الفرنسي، (١٢٧٥ - ١٣٢٨) والذي كان معارضياً سياسياً للبابوية، وأن ليس ثمة اعتقاد سوى العقل والتجربة. ثم أيد النظرية القائلة بأن ثمة تمييزاً بين المستويات الفلسفية والدينية في الخطاب الذي تبناه الرشديون اللاتين في القرن الرابع عشر. وأضاف رفيقه في السياسة مارسيل دى بادو تمييزاً بين العقل والإيمان، وبين الزمان والروحاني، وبين الكنيسة والدولة في مجال السياسة. وفي إطار هذا التمييز ارتقى أن أساس السياسة ينبغي أن يكون علمانياً وليس دينياً.

عصر العقل

أما الحركة الثانية فهي التنوير أو عصر العقل، أو سلطان العقل. ففي منتصف القرن الثامن عشر تحدى فلاسفة نظريات التاريخ وطبيعة الإنسان وطبيعة الكون التي كانت تدعوا إليها كنيسة روما. وكان كاظم ينظر إليه على أنه الفيلسوف الذي أوجر منجزات التنوير. فقد أعلن في كتابه المعنون «نقد العقل العملي» أن مفهوم الواجب يمتنع تحديده من العالم المادي المكون من الظواهر المدركة. وهذا القول يتضمن رفض إحالة الواجب إلى السلطات الدينية، كما يتضمن مفهوم العقد الاجتماعي المضاد لنظرية الحق الإلهي للملوك، وللتدليل على أن سلطان العقل هو المصدر النهائي لسلطة الأخلاق. وكان ابن رشد هو المهد لهذه الرؤى.

١٩٨

جـ ٤
جـ ٣
جـ ٢



جمال الدين الأفغاني



محمد عبد

١٩٩

تختلف المسلمين حيث يقول «كل مسلم مريض، وشفاؤه في القرآن» (٣). ومعنى هذه العبارة أن مشكلة العالم الإسلامي ليست في كيف يكون قوياً، وإنما في كيف يفهم الدين ويحيا وفقاً لتعاليمه. وفي هذا الإطار أصدر الأفغاني كتابه المعنون «الرد على الدهريين»، وهو كتاب يعد نموذجاً للفكر السلفي (٤). هاجم فيه كل من كان مادياً ابتداءً من ديمقريطس إلى داروين بالإضافة إلى المسلمين الذين فسروا العالم من غير الاستعانت بوجود إله مفارق. واهتمام الأفغاني بالmadia الغربية يعكس انحيازاً إسلامياً ضد العلم، الذي كان يعتبر مسؤولاً عن تفكك السلفية المسيحية، التي كانت مهددة للإسلام. ولهذا لم يكن هذا الموقف موضع دهشة عندما أفضى منطقياً إلى منع أي خطاب موجه ومن ثم أسمهم في تحية أي اهتمام بالنقد العقلاني.

أن يكون سلفية مستنيرة، وهذا هو السبب في أن التحديث المجهض، سواء في مقدماته أو في نتائجه، معارض للعناصر العلمانية الكامنة في التحديث الاجتماعي وليس في السلفية. أما الحداثة المعتدلة فهي علاج مقترن للشرطين اللذين أشرنا إليهما وهما يختصان بالعقل، ذلك أن هذه الحداثة تقول التراث في إطار علماني خال من المحرمات الثقافية.

من مشاهير الحركة السلفية إثنان هما : جمال الدين الأفغاني (١٨٢٩ - ١٨٩٧) ومحمد عبد (١٨٤٩ - ١٩٠٥). ولكن ينبغي التنوية، منذ البداية، بأن هذه الحركة لم تضع العقيدة موضع التساؤل، إذ كانت مهمتها الأولى مواجهة تحدي الغرب للعالم العربي، وذلك بتدعيم العقيدة الإسلامية وليس نقدها عقلانياً.

كيف نفهم الدين ؟
وكان الأفغاني واضحاً في تعبيره عن

الفلكة في شكل أفرقة

السبب في رفضه للمجتمع العلماني. ودليلنا على ذلك الجدل الذي دار بينه وبين فرح أنطون بمناسبة نشر هذا الأخير لكتابه المعنون «ابن رشد وفلسفته» (١٩٠٢). ويوجه الإهداء إلى عقلاً الشرقيين في الإسلام والمسيحية وغيرهما، ويقصد أولئك العقلاً في كل ملة وكل دين في الشرق، الذين عرفوا مضار مزاج الدنيا بالدين في عصر كهذا العصر فصاروا يطلبون وضع أديانهم جانباً في مكان مقدس محترم ليتمكنوا من الاتحاد اتحاداً حقيقياً ومجاراة تيار التمدن الأوروبي الجديد لمزاحمة أهله وإلا جرفهم جميعاً وجعلهم مسخرین لغيرهم»^(٥). ثم يستطرد متسللاً : لماذا أكتب عن ابن رشد ؟

ويجيب قائلاً : لفصل ما هو زمانى عن السلطة الدينية. وهذا الفصل ضروري لأسباب خمسة، وأهمها السبب الثالث: الذي يقرر أن السلطات الدينية تشرع للحياة الأخرى، ولذلك فهي تصطدم مع الهدف الذي تتبناه الحكومة وهو التشريع لهذا العالم الدنيوى. وهذا السبب يفترض أن الدولة ينبغي أن تكون محايدة أمام الأديان، وبالتالي تكون متسامحة. وهو الأمر الذي يعارضه محمد عبد لسببين السبب الأول : أن فصل الدين عن الدولة ليس فقط غير مرغوب بل هو أيضاً أمر محال لأن الحكم ينبغي أن يكون منتمياً لدين معين. والسبب الثاني : أن الدين يشترط تنقيته، وفي هذه الحالة يمكن أن

وهكذا صاغ الأفغاني الاتجاه العام نحو السلفية ولكن محمد عبد هو الذي حدد هذه الصياغة بدقة متأثراً في ذلك بتعاليم الأفغاني باعتبارها أداة القفز نحو هذه الدقة. وتضمنت هذه المهمة مسائلتين: المسألة الأولى خاصة بإعادة الإسلام إلى نحو ما كان في الماضي. والمسألة الثانية خاصة بتطبيق هذا الإسلام على المجتمع الحديث. فيما يختص بالمسألة الأولى كان رأى محمد عبد أن على العقل قبول كل ما هو وارد في القرآن بلا تردّد. فبمجرد اعتراف العقل بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يلزم الاعتراف بكل ما ورد في رسالته النبوية. والمسألة الثانية لازمة من المسألة الأولى. إذا كان العقل محكوماً بالقرآن فالمجتمع المثالي ينبغي أن يكون خاضعاً لأوامر الله لأن هذه الأوامر هي أيضاً مبادئ تنظيم المجتمع الإنساني. والسلوك الذي نتعلمه من القرآن لإرضاء الله ينبغي أيضاً أن يكون نفس السلوك الذي يعلمنا إياه الفكر الاجتماعي الحديث ليكون مفتاح التقدم. إن الإسلام هو علم الاجتماع على الأصلية، وهو علم السعادة في هذا العالم وفي العالم الآخر. وهكذا يتقدم المجتمع بطاعة الشرع وينحل برفض هذا الشرع.

٢٠٠

ـ ـ ـ ـ

رفض للمجتمع العلماني

أما عند محمد عبد فذلك المجتمع ليس هو المجتمع المثالي وإنما هو مجتمع كان قائماً في الماضي. وقد تصلب خياله عند هذا العصر الذهبي للإسلام. وهذا هو



فريديريك الثاني

شارلز داروين

الفلسفة الحديثة» مع تعليق على كل مذهب فلسفى إما بالرفض أو التأييد فى ضوء مذهبه الفلسفى الذى يسميه «العقلانية المعتدلة» المطروح فى كتابيه «العقل والوجود»، و«الطبيعة وما بعد الطبيعية».

والعقلانية المعتدلة، لدى يوسف كرم، تعكس تأثيره «ب JACK ما ريثان الذى تتلمذ له فى المعهد الكاثوليكى فى فرنسا مع بداية الحرب العالمية الأولى. فمذهبه يدور على أن العقل يتوجه إلى الحقيقة وهو لهذا يقتصر اليقين. فالعقل قادر على إدراك ماهية الأشياء بسبب قدرته على التجريد، الذى هو وسيط بين العقل والوجود. وهذا هو الضامن للموضوعية العلمية. ولهذا فإن يوسف كرم ضد الحسينيين، لأنهم يحذفون العقل ولا يعتقدون إلا فى الحواس. ولكنه أيضا ضد العقليين الذين ينكرون التجريد لأنهم يفشلون فى معرفة العلة الحقيقية التى توحد بين العقل والأشياء.

٢٠١

جامعة
الإسكندرية

يكون أساسا للحياة السياسية. وكان جواب «أنطون» أن الدول لم يعد أساسها الدين بل الوحدة الوطنية والعلم الحديث والتكنولوجيا. ومع ذلك فقد هيمنت فلسفة محمد عبده مع صعود الإخوان المسلمين بقيادة حسن البنا (١٩٠٦ - ١٩٤٩) الذى هو مبدع الأصولية الإسلامية فى مصر فى الأربعينيات من القرن الماضى.

والآن ننتقل إلى الحركة الثانية وهى الحداثة المجهضة وأهم روادها: يوسف كرم (١٨٨٦ - ١٩٥٩) وعثمان أمين (١٩٠٥ - ١٩٧٣)، وذكى نجيب محمود (١٩٩٣ - ١٩٠٥)، وعبد الرحمن بدوى (١٩١٧ -)، ومالك بن نبي (١٩٠٥ - ١٩٧٨)، ومحمد عزيز الحبابى (١٩٢٢ - ١٩٩٣).

نبداً «ب يوسف كرم» الداعية للعقلانية المعتدلة. ألف ثلاثة كتب عن « تاريخ الفلسفة اليونانية» و« تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط»، و« تاريخ

الفلسفة في شمال إفريقيا

لكل فعل غاية بالضرورة. ويوفس كرم يرى أن مبدأ العلية والغاية هي مبادئ العقل، ومبادئ العقل كلية.

العقلانية المعتدلة

وعند يوسف كرم العقل وظيفته الحكم وليس الفعل لأن الفعل من شأن الإرادة، والعلاقة بين العقل والإرادة تكمن في أن كلاً منها علة، والعلة لها علاقة بالحكم. ومع ذلك فهما متبابنان من حيث إن الإرادة علة فاعلة في تكوين العقل للحكم، لأنها هي التي توجه العقل في اتجاه معين. وحكم العقل هو العلة الغائبة للإرادة لأنها هي التي تقدم للإرادة علة معينة. وتوجيه الإرادة للعقل هو الذي يمنع التصادم بين العقل والدين لأن الإرادة وليس العقل هي التي تدعم الإيمان. يقول يوسف كرم : «إذا كان سلوك الإنسان مستقيماً وحاسماً فإن إرادته مهيئة للإيمان، وهي التي ستوجه العقل نحو إيجاد سند لعقيدة بعينها».

ومغزى هذه العبارة أن العقل من حيث هو كذلك لا يقبل أو يرفض عقيدة بعينها، أى لا ينجذب نحوها، إنما العقل موجه نحو عقيدة معينة عندما يقبل أسباباً خارجية تحت تأثير الإرادة. والنتيجة الحتمية لهذه «العقلانية المعتدلة» هي أن الإيمان مجاوز للعقل.

أما «عثمان أمين» فهو يدعو إلى «فلسفة الجوانية» (٦). وهي فلسفة تحاول رؤية البشر والأشياء من الزاوية الروحية، أو بعبارة أخرى هي فلسفة تحاول رؤية

خلود النفس

والتجريد تبرير لتأسيس الميتافيزيقا، إذ بفضلها يتتجاوز العقل الطبيعية الحسية إلى أصولها غير الحسية، ومن ثم يتوجه إلى الموجود في ذاته موضوع الميتافيزيقا. وإذا كان ذلك كذلك فإن العلم، من هذه الزاوية، يفضي بيوسف كرم إلى أبحاث تنتهي به إلى براهين خلود الروح وجود الله.

خلود الروح له براهين ثلاثة : الأول: برهان ميتافيزيقي ويستند إلى أن الروح لها وجود وفعل مستقلان عن البدن. ويقصد بالوجود العقل وبالفعل الإرادة. ولهذا فإن الروح خالدة ولا تفنى بفناء البدن. والثاني: برهان نفسى مشتق من الميل الطبيعي نحو البقاء الأبدى.

والثالث : برهان أخلاقي لازم من ضرورة وجود عقاب نهائى لأفعالنا الحرة. وهذا العقاب يستلزم حياة أخرى لأنه لا يمكن أن يتحقق في الطبيعة لأنها ليست إنسانية، ولا يمكن أن يتحقق في المجتمع لأن المجتمع لا يهتم إلا بالأفعال الظاهرة، ولا يمكن أن يتحقق في الضمير لأن الضمير لا يمكن أن يقاوم نفسه.

والله موجود وبراهين وجوده متعددة، وأهمها ثلاثة : برهان من الحركة إلى المرك الدائم، ومن النظام إلى المنظم، ومن المكن إلى الضروري.. والبرهان الثالث مثل البرهان الأول يستند إلى مبدأ العلية وصياغته لكل موجود علة. والبرهان الثاني يعتمد على مبدأ الغائية وصياغته

٢٠٢

ج - ب - د -



د. عثمان أمين

نفوسنا» (أمين، ١٩٧٣). ثم يستطرد قائلاً: «إن فلسفة الجوانية تتبنى التفرقة التي اصطنعها برجسون بين طريقتين من طرق المعرفة أحدهما هو طريق الرؤية الجوانية، أى اختراق الروح بالتعاطف العقل، والآخر هو طريق الرؤية الخارجية مستعينة بشهادة الحواس أو بالتحليل المنطقي وحده». **مفهوم الحرية**

أما عن مفهوم الحرية فيرى عثمان

أمين أنه وارد في الأخلاق الديكارتية التي تنشد تحكم النفس في الشهوات، وفي فكرة كانط عن القانون الخلقي الذي هو جواني وسابق على التجربة، أى أنه شرط لكل تجربة وليس مشتقاً من العالم الخارجي.

وبسبب اتجاهه المثالى فإن عثمان أمين ضد الوضعية المنطقية ضد المادية التاريخية، هو ضد الوضعية المنطقية لأنها

ذكر نجيب محمود

العالم غير المجرى بتجاوز ما هو مرنى. إنها تبحث عن الوجود الجوانى ولا تقف عند البرانى.

وثمة أحاديث نبوية تؤكد هذا التعارض بين المجرى وغير المجرى، «إن الله لا ينظر إلى وجوهكم وثروتكم ولكنه ينظر إلى قلوبكم وأفعالكم»، (أمين، ١٩٧٣). ومن هذه الزاوية الدينية الجوانية مرادفة للحرية لأن الحرية لا تقوم في امتلاك الأشياء مثل الثروات والشرف ولكن في

الروح، أى في شيء مستقل استقلالاً مطلقاً، أعني الإيمان بالله واحترام الإنسان. وفي هذا الإطار يربط عثمان أمين بين الفلسفة الغربية والتراث الإسلامي. يقول: «والآن نعود إلى التفسير الفلسفى للجوانية. ومن هذه الزاوية فإن مين دى بيران معين لنا: إذ يقول لنا إن ثمة فارقاً بين معرفة الحقيقة بالعقل، وأن تكون حاضرة دائماً في

الفلسفة في شنكل الأفريقيا

المنطقية لها من يمثلها في قسم الفلسفة، وهو زكي نجيب محمود.

مفهوم العلم

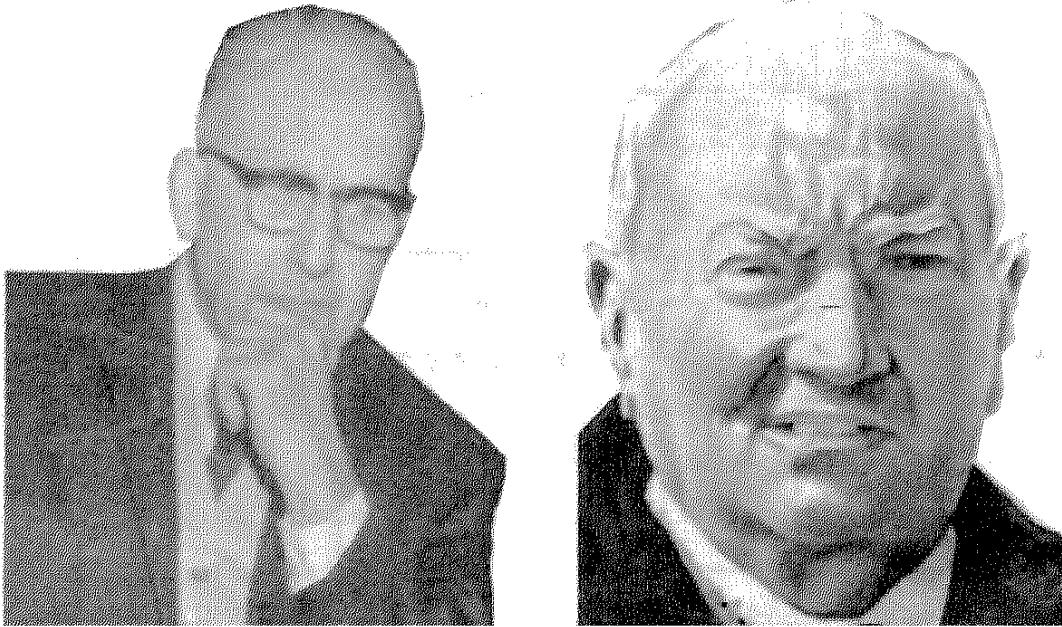
و«زكي نجيب محمود» يتبنى وجهة نظر الوضعية المنطقية في مفهوم العلم، فالعلم، عنده، هو العلم الطبيعي التجربى، ووسيلة المعرفة العلمية هي الحواس، وليس لنا من مصدر سواها. والنظرية العلمية تقتضى من صاحبها ألا يجاوز «أوضاع» الأمور الواقعية. ولما كان «وضع الأمور» في عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمي أطلق على النظرة العلمية اسم الوضعية، فإن كان «الوضع» القائم الذي يشغل الباحث عبارة من عبارات اللغة كانت الوضعية، في هذه الحالة «وضعية منطقية». ومن ثم كان اسم الوضعية المنطقية مميزة لطائفة من أصحاب الفكر صمموا على ألا يجاوزوا الواقع ببنظرهم، وعلى أن يكون هذا الواقع الذي يختص به، هو اللغة التي يصوغ فيها سائر العلماء علومهم على اختلاف موضوعاتها. ومن ثم فإن أمر الفلسفة ينبغي أن يقتصر على التحليل اللغوى للعبارات العلمية.

واثمة نتنيجتان هامتان يخلص إليها زكي نجيب محمود من هذا التحليل اللغوى. النتيجة الأولى أن التحليل المنطقي للجملة الرياضية يبين أنها تحصيل حاصل، وأن يقينها مرивود إلى أنها لم تقل شيئاً. يقول «ومفرزى هذا الكشف العجيب عن طبيعة الجملة الرياضية هو أنه لم يعد ما يبرر لنا القول بأن للإنسان مصدراً

تقف عند الحواس والتجربة، وتتنكر أصلحة العقل. وهو ضد المادية التاريخية لأنها تستعين بالعلم للقضاء على الإنسان، وبالتالي على الدين لأن الإنسان، في تعريف عثمان أمين، حيوان دينى.

والنتيجة المحتملة بعد ذلك مواجهة المسائل الاجتماعية ليس فقط مواجهة مثالية، بل أيضاً مواجهة دينية. وهو يتخذ من الاشتراكية مثلاً لهذه المواجهة المزدوجة، فالمواجهة المثالية تقضى بأن الاشتراكية فكرة أولاً، أى حقيقة مطلقة موجودة في عالم الأذهان وجوداً غير شخصي، وغير مقيد بقيود الزمان والمكان. أما المواجهة الدينية فتقضى بأن اللزمانى أو اللامكانى لا يصلح أن يكون نظرية أو أيديولوجياً أو خاضعاً لقانون، بل إنه يصلح أن يكون موضوعاً للعقيدة الدينية. ومن ثم فالاشراكية إسلامية وروادها : جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، والكواكبى، ومحمد إقبال. فهو لاء جميرا ٢٠٤ هم الذين أبقوه على الاشتراكى في المجتمع.

والغاية من وراء هذا المذهب الفلسفى، على حد تعبير صاحبه محاولة أن يعيد إلى العصر الذى، عصر المادية التاريخية والوضعية المنطقية، الإيمان بالله والولاء للإنسان، غير أن محاضرات عثمان أمين بالجامعة لم تكن تخلو واحدة منها من توجيه النقد للوضعية المنطقية دون المادية التاريخية. وتفسير ذلك أن الوضعية



مالك بن نبى

عبد الرحمن بدوى

يكون التراث العربي مسألة أيديولوجية وإنما مسألة تكنولوجية (٧).
والسؤال الآن :

ماذا يعني التحديث ؟

إنه، في رأى زكي نجيب محمود،
الوضعية المنطقية «التي تمثل روح
الحداثة. وهذا هو السبب الذي من أجله
يميز زكي نجيب بين حكم الواقع وحكم
القيمة. الأول علمي والثاني ليس كذلك».

٢٠٥

وبالتالي فليس في إمكاننا الحديث عن
تناول علمي لدراسة التغير الاجتماعي لأن
هذا التغير مسألة خاصة بالقيم ومن ثم
فالأيديولوجيا ليست علمية كذلك، ومن
الصعب بعد ذلك الحديث عن صراع
أيديولوجي. وهو لذلك يرى إحلال مصطلح
«مجتمع تكنولوجي» أو «مجتمع ما بعد
الصناعي» «بدليلاً عن «مجتمع رأسمالي»
أو «مجتمع اشتراكي».

وقد حدد هذا المفهوم التيار الرئيسي

يستقى منه العلم غير حواسه. ولم يعد ما
يبرر تصور عنصر وراء الحواس ومستقل
عنها وهو العقل». والنتيجة الثانية أن القيم
«تعبير ذاتي صرف لا شأن له بالعالم
الخارجي»، ومفرزى ذلك أنه إذا اختلف
اثنان في حكم تقويمى «فلا سبيل إلى
الرجوع إلى مقياس خارجي لنقرر به
أيهما مصيب وأيهما مخطئ».

والسؤال الآن :

ما هو دافع «زكي نجيب محمود» إلى
تبني هذا التأويل لمفهوم العلم ؟
في رأينا أنه دافع اجتماعي. ففي
كتابه «تجديد الفكر العربي» يقول إن غايته
هي التوفيق بين التراث العربي والحداثة.
ولكن ما معنى التراث العربي ؟ في رأيه
يعنى جملة التكنיקات التي كان يحيا عليها
أسلافنا. وتبقى مهمتنا، بعد ذلك،
محضورة في انتقاء التكنيكات التي
تساعدنا في حياتنا المعاصرة، ومن ثم لا

الفلاسفة في شمال أفرقيا

أما كيف تفسر الطفرة فسؤال لا يمكن أن نجيب عنه بطريقة معقولة، فيرأى بدوى، لأن الطفرة لا تفهم إلا بفضل فكريتين: اللامعقول واللاعلية. تفصيل ذلك: إن العدم عامل جوهري في تركيب الوجود، واللامعقول هو التعبير الفكري عن العدم الوجودي. والفزياء الحديثة تقرر فكرة اللا معقول هذه. ظاهرة التأثير عن بعد شيء لا معقول، أي غير قابل للرد إلى عناصر معقدة خالصة. أما اللالعلية فمقررها كذلك في الفزياء الحديثة في نظرية الكوانتوم والميكانيكا الموجية. ويدوى هنا يعتمد على فقرة «للوى دى بروى» تقول بأن على الفزياء أن ترفض فكرة الاتصال وتقتصر على استخراج القوانين التي هي إحصائية بالضرورة. ويترتب على ذلك أن معرفة الذات لذاتها لا يمكن أن تتم بالعقل، ولكن بملكة أخرى هي الوجودان، ومنطق الوجودان منطق متواتر. ويدوى يقصد بالتواتر عدم رفع التناقضات. وهذا هو معنى الجدل، مكانه الذات ولا يتعداها، أما خارج الذات فليس ثمة جدل.

ويدوى بعد ذلك يرى أن مذهب هذا يصلح أن يكون أيديولوجيا للمجتمع العربي - في بحث منشور له عام ١٩٦٧ - وتبريره لهذه الصلاحية هو التراث الإسلامي ممثلا في التصوف. فهو يرى أن ثمة علاقة وثيقة بين التصوف والوجودية. فكل منهما يبدأ من الذاتية ويوضع الوجود الذاتي فوق الوجود الفزيائي. والتجريد، عند الصوفية، غايتها

في الأيديولوجيا البرجوازية الحديثة والذي أطلق عليه اسم «نفى الأيديولوجيا»، وهو محاولة لنشر حالة ذهنية لا سياسية لا تكترث بالتغيير الاجتماعي أو المجتمع. ولهذا كان ذكي نجيب متسقا مع فلسفته عندما قال في كتابه المعنون «أيام في أمريكا» (٨)، «وأنا بحكم اتجاهي الفكري أرحب بكل ما يقوى فردية الفرد وكل ما يهدم المجتمع إن كان تماساك المجتمع على حساب الأفراد، وكل ما عدا ذلك ما هو إلا وسائل لتقوية ذلك الوجود»، وهذه العبارة تؤيد وجهة نظره في أن نفى الأيديولوجيا هو سلاح أيديولوجي موجه ضد التغيير الاجتماعي.

الطفرة

والى مثل هذه النتيجة ينتهي عبدالرحمن بدوى، ولكن من خلال الوجودية الملحدة. فعندہ أن طبيعة الوجود من طبيعة الزمان. يقول في كتابه «الزمان الوجودي». «إننا نقرر هنا في صراحة تامة وبلا أدنى مواربة أن كل وجود غير الوجود المترافق بالزمان وجود باطل كل البطلان»، ولما كان الزمان، عنده نوعان: زمان فزيائي وزمان ذاتي، فالوجود كذلك نوعان: وجود فزيائي وجود ذاتي.

الوجود الفزيائي: هو وجود الأشياء في العالم الذي يوجد به الإنسان، والوجود الذاتي: هو وجود الذات المفردة، وهو وجود مستقل بنفسه في عزلة تامة. ولهذا فالاتصال معنوم بين النوات، ولكن يمحى اجتياز ما بينها من هوة بواسطة الطفرة،



محمد إقبال



د. محمد عبد الجباري

أن الحقيقة ليست محصورة في وجهة نظر واحدة، ولكن في وجهات نظر متعددة. وعلى الرغم من أن هذا الاعتراض قد يكون مشتقاً من وجهة نظر «مالك بن نبي» نفسه إلا أنه يلح على أن أحداً لا ينكر أن هذه الفعالية قد تحققت أثناء زمن النبي.

ما معنى ذلك عند بن نبي صلعم؟

معنى ذلك أن الحقيقة ذاتية والفعالية موضوعية، ويتربّ على ذلك أن تكون الفعالية مرهونة بتوفّر ظروف موضوعية. ٢٠٧ والظروف الموضوعية ليست متوفّرة في اللحظة الراهنة للفكرة الإسلامية. وعدم توفرها مررود إلى سببين: ظهور الاستعمار وغياب الأفكار.. السبب الأول واضح أما السبب الثاني فغامض وفي حاجة إلى تفصيل. في رأي مالك بن نبي أن كل حضارة تدور على عوالم ثلاثة: عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء، وعالم الأفكار يأتي في المقدمة لأن الإنسان يتميّز عن الحيوان بالعقل.

التخلص من الآخر حتى لا تبقى إلا الذات وحدها. بل إن فكرة الإنسان الكامل، عند المتصوفة، لا تعنى إلا استقطاب الوجود كله في الإنسان دون أي كائن آخر، وبذلك تصبح الإنسانية بديلاً عن الله، ولكنها الإنسانية على صعيد الذاتية وليس على صعيد الموضوعية.

أما الفيلسوف الجزائري «مالك بن نبي» فالفكرة المحورية، عنده، هي الدعوة إلى تأسيس مجتمع إسلامي متحرر من الاستعمار، ومواكب للحضارة المعاصرة، وليس ذلك في الإمكان إلا إذا استعادت الفكرة الإسلامية «فعاليتها»، ولكن ماذا تعني فعالية الفكر؟ تعنى القدرة على إحداث انقلاب في العالم، ومن ثم تعنى القدرة على صناعة التاريخ. وهو يقول إن هذا الضرب من الفعالية قد تحقق في زمن النبي صلعم، وذلك بخلق إمبراطورية إسلامية وتأسيس الحقيقة الإسلامية. وقد تكون هذه الفكرة موضع اعتراض بدعوى

الفكرة في شمال إفريقيا

الفشل ؟

جواب بن نبى : بالثورة الثقافية. إلا أن هذه الثورة وإن كانت شرطا ضروريا إلا أنها ليست شرطا كافيا. ولكن تحقق فاعليتها عبر الفكرة الإسلامية فلابد من وجود «مفجر اقتصادي» قادر على إطلاق القوى الإنتاجية (٩). ولكن ما هو تعريف هذا «المفجر الاقتصادي» ؟ تعريفه، عند بن نبى، ليس كاما في التموذج الرأسمالي أو النموذج الماركسي. فماذا هو ؟ ليس لدى بن نبى جواب وهذه معضلة لأنه ليس في الإمكان التحكم في التغير الاجتماعي وتوجيهه بدون فكرة واضحة مما هو مطلوب لإحداث هذا التغير.

وإذ أنتقل إلى الفيلسوف المغربي «محمد عزيز الحبابي». لديه تحليل جذري لانحطاط العالم الإسلامي في ضوء الينابيع الأصلية للإسلام، أى القرآن والسنّة. وعلى هذا الأساس يدعو الحبابي إلى تغيير عاجل للوضع القائم وما يلزم منه من اتجاهات هي في غاية التخلف. كما يدعو إلى العودة إلى الإسلام الأصيل وإلى نبذ الإيمان الأعمى بالنصوص المقدسة، أو بالتقليد، وإلى ضرورة الاجتهاد، أى إعادة النظر في معنى الرسالة النبوية. وفي ضوء هذا المفهوم للإحياء الإسلامي، أى السلفية يحدد الحبابي التباين الجذري بين السلفية وعصر النهضة في الغرب.

السلفية

يرى الحبابي أن عصر النهضة، في

ومعنى ذلك أن فكرتنا عن شيء ما تسبق تحقيق هذا الشيء في الواقع. ولهذا فإن الأفكار لديها القدرة على تغيير عالم الأشخاص وعالم الأشياء.

عالم الأفكار

وهنا ثمة سؤال لابد أن يثار : ماهي مكانة عالم الأفكار في العالم الإسلامي في هذا الزمان ؟ جواب ابن نبى أن عالم الأفكار غائب وغيابه مردود إلى عاملين : عامل موضوعي وعامل ذاتي. وعنه العامل الموضوعي هو الاستعمار الذي يدمر طاقات الإنسان الابداعية، وذلك بآن يجعله يحيا في عالم الأشياء بدلا من عالم الأفكار فيعود إلى مرحلة الطفولة التي تتميز بتناول الأشياء من غير استعداد لفهمها. ولهذا فإن الاستعمار يحرص دائمًا على أن يبيع لنا الأشياء دون الأفكار. بل حتى إذا قبل الاستعمار أن يبيع لنا الأفكار فهو لن يبيعها إلا بعد تشويهها وتزيفها. أما الإمبرالية من حيث هي عامل موضوعي فليس لها آية فعالية بدون العامل الذاتي الذي هو القابلية للاستعمار من قبل الضحية. وهذه القابلية كامنة في عدم قدرة الإنسان على استثمار قدراته لرفع مستوى معيشته. يقول بن نبى في كتابه «وجهة العالم الإسلامي» أنه لكي تتحرر من آثر الاستعمار يجب أن تتحرر من القابلية لتبنى الرأسمالية. ولهذا فعندما تتجاهل الثورة هذا العامل الذاتي فإنها تحكم على نفسها بالفشل.

ولكن كيف تتجنب الثورة مثل هذا



حسن البنا



عبد الرحمن الكواكبي

جميع المجالات. وبهذا المعنى يمكن القول بأن الزواج قد تم بين المقدس والعلماني. فقد استعار المسلمين كلاسيكيات العصر اليوناني القديم، وبوجه خاص في الفلسفة والعلوم لا على أنها نماذج كاملة كما كان الحال في عصر النهضة، ولكن على أنها قابلة للتكييف مع الإسلام (١٠).

وفي تقديري أن نظرية البابي تعانى من ضعف مزدوج. الأول: يكمن فى أن البابي لا يتبنى منهجاً محدداً، والثانى: أنه لا يتناول النتائج الاجتماعية لنظريته. والجدير بالتنويه، هنا، أن البابي لم يكن فى إمكانه قهر شبح الغرب. ومن المؤكد أن النتاج الدينى للعصر الوسيط الإسلامي ليس فى مقدوره أن يكون مرشداً معقولاً لمسلمى اليوم أو الغد على الرغم من ثراء المخزون الفكري لذلك العصر.

ولهذا كان البابي محقاً في القول بأن ضعف المثقفين العرب مردود إلى أنهم

الغرب، هو لحظة بتر في مسار الحضارة؛ إذ تحرر الإنسان من أسلوب التفكير في العصر الوسيط ليسجن نفسه في أسلوب التفكير في العصر اليوناني القديم.. وهكذا تحرك هذا الإنسان خطوة إلى الأمام في مقابل خطوتين إلى الخلف. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن السلفية عادت إلى مصادر الإسلام بدون رفض أية مكتسبات ثقافية جديدة سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية.

وهكذا تتحقق العودة إلى القرآن والسنة لتحرير الوجما والشرع من الخرافات. إن السلفية هي بحث عن القوة الأصلية للإسلام، وبذلك تكون عودة خلقة في مقابل عصر النهضة الذي كان رد فعل ضد العصر الوسيط. والمفارقة هنا أن التقدم تحقق برد فعل عبر محاكاة فكر اليونان والرومان. أما المسلمين فعلى الضد من ذلك، إذ كان العصر الوسيط، لديهم، هو عصر الإبداع والتأويل الحر في

الفلسفة في شمال إفريقيا

تعرضه للاتهام بأنه كافر ومدمر للنظام السياسي. وفي الحالة الثانية يبدو فيه الدين على أنه هو الذي يحكم. ولكن إذا تعمقنا المسألة نجد أن الدين ليس هو الذي يحكم، وأن الحكم لم يكن خاضعاً لله. أما إذا تأخرنا في التعمق فإننا نخوض أنفسنا في أن معتقداتنا لا تقبل الجدل، وبالتالي نتمرغ في وحل المعتقدات الخيالية الكامنة في اللغة الدينية وفي الطقوس.

وتؤسساً على ما يراه أركون نحن أمام ضربتين من العقل : العقل الوجماتيقي والعقل العلماني. ولكن مهمتنا محصورة في تحقيق الانصهار بينهما بحيث تقضى على الثنائية الزائفة، وبذلك نؤسس ما يسميه أركون الإنسانية الإسلامية ذات النكهة العلمانية. إلا أن هذا النوع من الإسلام قد أجهض في القرن الحادى عشر بدعوى أن الإسلام ضد العلمانية بسبب المحرمات الثقافية. ومع ذلك فإن أركون يدافع عن نظريته بقوله إن العلمانية قد بزغت في عام ١٦٦١هـ، أى بعد موت النبي (صلى الله عليه وسلم) بثلاثين عاماً. وهكذا لا تتقاض بين العلمانية والدين من حيث هو كذلك (١١).

أما «الجابرى» فمستفرق في تحليل العقل العربى في إطار التقليد. وهكذا يتناول إشكالية التحديد والأصالة من أجل تأسيس مشروع النهضة لمواجهة التخلف. والمشكلة، في رأيه، تكمن في أن الثقافة الإسلامية ليس في مقدورها إنتاج أشياء

محكومون بأساليب فى التناول : السلفية والتلغيقية. ومن شأن هذين الأسلوبين أن يقضيا على البعد التاريخي، إلا أن هذا التفكير اللا تاريخي ليس له إلا نتيجة واحدة : الفشل في رؤية الواقع. والوسيلة الوحيدة لجاوزة هذين الأسلوبين تكمن في الالتزام الصارم بالتفكير التاريخي وقبول ما ينطوى عليه من فروض وهي على النحو الآتى : وجود قوانين للتطور التاريخي، ووحدة التاريخ وفعالية الدور السياسي للفيلسوف. إلا أن هذه الفروض مرفوضة. ذلك أن السلفي يعتقد في العناية الإلهية، والتلغيقى منبهر باللحظة العابرة. أما أنا فرأى أن تبنى التفكير التاريخي ليس بالأمر الميسور، إذ هو يستلزم مرحلة معينة من التطور الحضارى وهي التنوير الذى يعني تحرير العقل الإنسانى من أية سلطان ماعدا سلطان العقل.

أما عن التوجه الثالث في الفلسفة الإسلامية الحديثة وهو الحادثة المعتدلة فروادها : الفيلسوف الجزائري محمد أركون والفيلسوف المغربي محمد عابد الجابرى. يزعم «أركون» أن ثمة ضربتين من النصوص : شفهي ومكتوب وهو القرآن. ولكن هذا النص المكتوب لا علاقة له بالوحى. فاللغة المقدسة قابلة للعلمنة. فإذا تم ذلك على وجه السرعة فيها ونعت. وإذا لم يتم ذلك فقد يتحول النص المقدس إلى ضرب من الارثوذكسيّة. وإذا تم ذلك فإن محاولة أي مفكر لعلمنة النص قد



محمد أركون



كانت

- القاهرة، الطيبى، ١٩٩٥ .
- (٤) المخزومى، محمد، أفكار جمال الدين الأفغاني، بيروت، ١٩٢١ ، دار الكندى، ص ٨٨
- (٥) أنطون، فرح، ابن رشد وفلسفته، القاهرة ٢، ١٩٠٢، ص ٢
- (٦) أمين، عثمان، الجوانية، القاهرة، دار الكلام، ١٩٦٤.
- (٧) تجديد الفكر العربى، دار الشروق، ١٩٧١
- (٨) محمود، زكي نجيب، أيام في أمريكا، القاهرة، ١٩٥٥ .
- (٩) بن نبى، مالك، نهضة الإسلام، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٠.
- (10) Lahbabi, A., *Le Persalisme Musulman*, Paris: P.U.F., 1967.
- (11) أركون، محمد، العلمانية والدين، دار الساقى، ١٩٩٢ .
- (12) الجابرى، محمد عابد، التقليد والتحديث، ١٩٩١ .
- جديدة وبالتالي فإن إدعاتها نادرة. ومعنى ذلك أن البيئة العربية المعاصرة مرادفة للتقاليد، والمفارقة هنا، في رأى الجابرى، أن العرب هم الشعب الوحيد على وجه العمورة الذى يتميز بتراث معاصر مع تفكيرهم المعاصر (١٢).
- هواش**
- * هذا البحث حررت باللغة الإنجليزية بناء على طلب من الناشر الإنجليزى الشهير «بازل بلاكويل» فى عام ٢٠٠٢ ، لكنى ينشر مع بحوث أخرى فى مجلد ضخم تحت عنوان «الفلسفة الإفريقية». وقد صدر عام ٢٠٠٤ .
- (1) Dzielska M., *Hypatia of Alexandria*, Harvard Univ. Press, 1995, pp. 109-110
- (2) Russell B., *History of Western Philosophy*, LONDON: ALLEN AND UNWIN, 1946, p.368.
- (3) الأفغاني، جمال الدين، الرد على الدهريين، ترجمة محمد عبدة من الفارسية، ط٢،

أنت والهلال

العدد الذى أصدرناه فى الشهر الماضى ديسمبر ٢٠٠٦ «العدوان الثلاثي ٥ عاماً» جعلنا مضطرين وأسفين لتأجيل باب «أنت والهلال»، وهو باب عزيز علينا، لأنه بمثابة همزة الوصل الحقيقية، بيننا وبين القراء، ومنهم أساتذة أجيال وكتاب يتمتعون بحس أدبى عال.

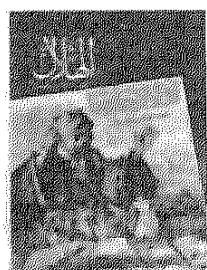
لهذا ستفتح الباب كله لرسائل هؤلاء الأعزاء وسيكون تعليقهم كما ستقرأون عن العدددين السابقين وهما: «أولاد حارتنا» كما نحب أن نطلق عليه، وعدد «الجبل الغربى» أى شهرى أكتوبر ونوفمبر ٢٠٠٦.

وستلاحظون أن بعض الأساتذة ومنهم الدكتور سامي منير عامر، قد أرسل تعليقا على العدددين، وللأسباب التى ذكرناها لم ننشرها فى حينها، لذا قررنا أن يكون «أنت والهلال» هذا الشهر متضمنا هذين العدددين. وسنواصل نشر بقية المراسلات - وهي كثيرة - فى أعدادنا القادمة، وعذرا للقراء الأعزاء، أن الأعداد الخاصة، تجعلنا نؤجل باب «أنت والهلال».

(المحرر)

محاكمة نجيب محفوظ حيا والدفاع عنه ميتا

٢١٢



السيد رئيس تحرير مجلة الهلال
أرجو أن أسمهم معلقا على قدر خبرتى على موضوع «أولاد حارتنا - النشر دون وصاية» والذى أسمهم فيه بالفقد والتعليق «العميق والإخبارى» كلمات كبار فى النقد والشعر وكتابه الرواية والفلسفة والفن التشكيلي.

والعجب فى هذا الدفاع عن حق المؤلف فى وضع مؤلفه دون الرجوع إلى جهة غير متخصصة، كى تسمح له بجواز مرور «حتى لو طلب صاحب المؤلف ذلك فى آخريات أيامه أو تخفى وراء عدم موافقته بحجج شتى فى سنى قوته وشبابه وفحولته المقتحة» أقول مع كل ذلك فإن هذه الجلسة التى فى سويدائها - جلسة محاكمة يقف فيها

عاطف مصطفى

رجالات الإبداع بشتى مناحي مواهبهم التخصصية مدافعين عن عمل ألبى محير في تفسيراته إزاء رجل ميت جسداً حتى إبداعاً وفكراً، هذا الأمر عجيب لأنه قد عقدت «محاكمة لأدب نجيب محفوظ» سنة ١٩٧٠ في عدد فبراير من الهلال، وكان صاحب الأمر «نجيب محفوظ» هو المدافع بقلمه حيال من كانوا يطرحون عليه أسئلة تضرّ مصالحهم، وكان معظمهم من كبار الأدباء والنقاد: الأستاذة آنيس منصور «ألوان الطيف» رجاء النقاش «بين العنصرية والماركسيّة» الدكتور رشاد رشدي «التسجيلية والأخلاقية»، الأستاذ رشدي صالح «جيilk وجيلهم» الدكتورة فاطمة موسى «تطور الرواية بعدك» فؤاد دوارة «ألفاز وفوازير» الدكتورة لطيفة الزيات «أنت ومن بعدك!» الدكتور لويس عوض «مشكلة بلا حل» كاتب المسرح الفلسطيني معين بسيسو «سر انتقالك للمسرح» الدكتور مصطفى سويف «ترجمة ذاتية صادقة» ضياء الدين بيبرس وهو صاحب عرض هذا التحقيق «ماذا يبقى منك؟» «هذا التحقيق من ص ٣٥ وحتى ص ٤٩» والقارئ للدفاع عن محفوظ «الهلال أكتوبر ٢٠٠٦» يلمع تلخيمها لكل إجابة أجاب بها محفوظ «الهلال عن نجيب محفوظ فبراير ١٩٧٠» وخاصة تلك الإجابة الجامحة للخط الفكري الذي دار حوله أدب نجيب محفوظ وكتب نقاطها السبع ردأ على الناقد رجاء النقاش «ص ٤ فبراير ١٩٧٠» وهي هي نفسها التي أعادها هذا الناقد الكبير الأكثر محبة وقرباً ٢١٣ لأدب نجيب محفوظ بما صدر عنه «كتاب الهلال ١٩٧١ رقم ٢٤١ / في حب نجيب محفوظ ١٩٩٥ / وفي ١٩٩٨ نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأصواته» أعادها بهلال أكتوبر ٢٠٠٦ ولخصها في كلمات «هي الديمقراطية والعدالة والحرية وسيادة القانون على الجميع وعدم السماح بـلا يجد الفرد أن دخله أقل من احتياجات الأساسية» فيتعرض للبؤس والضياع والمهانة «ص ١٥» «ص ١٦» هكذا سار الخط الفكري خلال الأعمال الأدبية للراحل العظيم محفوظ مما تعددت أشكال تلك الأعمال رواية / قصة / أقصوصة / وجهات نظر / حتى الأحلام، والسبب في عدم تحقيق ذلك قول نجيب ص ٤٦ «من أولاد حارتنا / الصادرة عن دار الأداب بيروت ١٩٦٧ » «... الموت الذي يقتل



د. سامي منير عامر

الحياة والهلال

الحياة بالخوف حتى قبل أن يجيء.. لا تخاف.. الخوف لا يمنع من الموت.. ولكنه يمنع من الحياة، ولستم يا أهل حارتنا أحياء، ولن تتاح لكم الحياة مادمتם تخافون الموت».

ويردد نفس الكلام على لسان الشيخ عبدربه «محفوظ» التائب في العنصر «عندما» بأصياء السيرة الذاتية ص ١١٩ حين يسأل أحدهم:

- متى يصلح هذا البلد؟

فيرد عبدربه «نجيب» محفوظ «التائب» قائلاً:

- حين يؤمن أهلها بأن عاقبة الجبن، أو خم من عاقبة السلامة. وقد تحدث محفوظ كثيراً عن أولاد حارتنا إما في الأهرام «وجهة نظر» يوم الخميس ١٩٩٥/٧/١ - العدد ٢٩٦٢٢ بقلم محمد سلماوى، وكذلك في كتاب الناقد الكبير رجاء النقاش عن نجيب محفوظ «صفحات من مذكراته وأضواء» صفحات ص ٢٤٣، ٢٤٤، ١٩٩٨، بالإضافة إلى عدد الأهرام الصادر يوم الخميس ٢٠٠٦/١/٢٦ العدد ٤٢٥١٥ وهو الذي طلب فيه السماح لأهل الحل والربط في الأمور الدينية أن يقدموا لعمله هذا الأدبي الضخم «المتعدد التفاسير» بمقدمة أعطاهما الناقد الكبير رجاء النقاش حقها، ونشرت مقتطفات من هذه المقدمة للرواية بقلم الدكتور أحمد كمال أبوالمجد في الأهرام الأسبوعي Weekiy يوم الخميس ٢٠٠٦/٢/٩ العدد ٧٨١ حيث جاء فيها:

All my writings, both the old, and the new, adhere to these two axes, Islam which is the Source of the values virtue in our umma, and science, which is the instrument of progress and revival in our present and future.

الترجمة إلى الإنجليزية: هالة حليم

ورغم هذه الاستفاضة في مجال الدفاع عن موقف الأديب وما يجب على أمته، حيال نشر أدبه يجسم كل من الاستاذين الناقد رجاء النقاش والكاتب كامل زهيري رئيس تحرير الهلال ١٩٧٠ رأيهما في أن رجاء يرى أن كل مفكر كبير، أديباً كان أم غير أديب له جمهوريته المتمثلة في الخط الفكري لأعماله، وأولاد حارتنا هي جمهورية نجيب محفوظ. بينما يرى زهيري أن مقدمة الدكتور كمال أبوالمجد هي نوع من «الفتوى الليبرالية» ونوعاً من المواجهة مع الظروف التي أحاطت



رجاء النقاش



لويس عورض

٢١٤

ج ٢
٢٠١٣

بنشر الرواية. ويخيل إلى أن الاستاذ كامل زهيري نفسه في عدد فبراير ١٩٧٠ ص٤، صه تحت عنوان «لماذا نجيب محفوظ» قد سبر أغوار أدب نجيب إذ قال:

إن نجيب محفوظ منذ أول سطر كتبه، حتى آخر سطر، يضع عينيه دائمًا على: مصر، إنه يستمع باستمرار إلى نبض مصر.. كل ما كتبه نجيب محفوظ له صلة بمصر وبال تاريخ والإنسان والمستقبل في مصر...»

ولعل في نفس عدد فبراير ١٩٧٠ بحث تحت عنوان: نجيب محفوظ بين الدين والفلسفة من ص١٦٦ وحتى ص١٢٧ للدكتور صبرى حافظ، وبحث آخر تحت عنوان: الزمن الروائى عند نجيب محفوظ لعبد الرحمن أبو عوف من ص١٦٨ وحتى ص١٨١ ما يكفى لدرء الشبهات عن أولاد حارتنا والكل في رأىي «قدامى ومحدثين» ينضمون تحت لواء مقوله محفوظ فى روايته «قشتلم» ص٣٢ الصادرة عام ١٩٨٨.

«مصر جديرة بالحب، ولكنها لم تجد بعد من يحبها لذاتها». مع تقبل كل أساتذتى الذين تكرموا على قراء الهلال بخشاشة محبتهم لأدب نجيب محفوظ الخالد أديباً وإنساناً.

د.سامي منير عامر
كلية التربية - الإسكندرية

٢١٥

الهلال: نشكر الباحث والكاتب المبدع د. سامي منير عامر علي دأبه المستمر، ومتابعته لكل ما ينشر في الهلال وأيضاً استعراضه الأمين لما جاء من مقالات وأراء في العدد الخاص عن «نجيب محفوظ» ١٩٧٠ وما تناولناه في عدد «أولاد حارتنا» كما نحب أن نطلق عليه والمنشور في أكتوبر ٢٠٠٦.



كامل زهيري



د. صبرى حافظ

رشاد رشدى قاصا

فى رؤيته النقدية لعدد أغسطس من «الهلال» ذكر الزميل الكريم الأستاذ الدكتور سامي منير عامر أن رشاد رشدى «ناقد لم يحترق بحميا تجربة كتابة الأقصوصة»، ولكن الواقع أنه احترق بها منذ فترة مبكرة من حياته الأدبية!

ففي سنة ١٩٥٥ أصدرت له مكتبة الأنجلو المصرية مجموعة

انت و الهلال

قصصية عنوانها «عربة الحرير وقصص أخرى» «كان ثمنها على الغلاف الخلفي شمانية قروش!» وضمت ثمانى أقاچيس هي: في عربة الحرير- يوم القيمة- بعد المصيف- عذاب الجسم وعذاب الروح- في إجازة- ذراعا امرأة- فرح بنت العمدة- كذاب، إلى جانب مسرحية قصيرة عنوانها «ساحر اسمه الحب» ترجمت أغلب هذه الأقاچيس إلى اللغة الإنجليزية».

وفي فترة لاحقة عاد رشاد رشدى إلى كتابة الأقصوصة، حيث ضم كتابه المسمى «بحور الحب لا تعرف الغرق» «كتاب اليوم ١٩٨٤» عدة أقاچيس هي: الصورة التي لم تكتمل، عشر سنوات، خطابات، حكاية عطا أفندي والتاكسي، ضريح الشيخ النعمان، محراب الحب.

ولرشاد رشدى بالإضافة إلى ذلك «لا رواية» تحمل عنوان «الحب في حياتى» صدرت فى سلسلة «مطبوعات الجديد» فى فبراير ١٩٧٤، و«نوفيلا» قصة متوسطة الحجم- رمزية الطابع، نشرت منجمة على صفحات مجلته «الجديد» فى منتصف السبعينيات.

د. ماهر شفيق فريد
الأستاذ بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الأدب- جامعة القاهرة



د. رشاد رشدى



د. ماهر شفيق فريد

تحية الهلال

إلى رئيس تحرير الهلال

أبعث إليك بكل تحية وتقدير في سعيك في ألا يحرم القارئ المصري من الإطلاع على درة كاتبنا الكبير نجيب محفوظ، أولاد حارتنا، في طبعة شعبية، وأن تتحمل أكبر وأعرق دور الصحفية المصرية، «دار الهلال»، العب، الأكبـر لتحقيق ذلك.

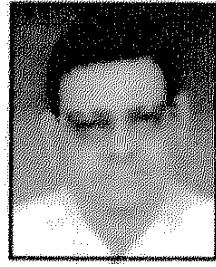
يا سيدي لقد أقيمت بحجر في بركة الثقافة والنشر في مصر، أرجو أن تكمل بكل شجاعـه ما بدأـت ولتكن هذه الـبداية.

لا أنسـى أن أبعث إليك بتحية خاصة على المحـاورـة التي أجريـت معكـ في «قـناةـ الـحرـةـ» حولـ ما نـشرـتـهـ «ـالـهـلـالـ»ـ عنـ أمـينـ الـريـحانـيـ، أثـقـ تماماـ «ـأـنـكـ مـحاـورـ شـجـاعـ وـصـنـدـيدـ مـداـفعـاـ عـنـ حرـيـةـ الرـأـيـ،ـ لاـ يـهـابـ،ـ وـلاـ يـخـضـعـ لـلـابتـزاـنـ»ـ.

يزيد يوسف ثابت
كاتب

٢١٦

الـلـهـلـالـ



د. ماجد شفيق

فكرة لنشر أولاد حارتنا

السيد رئيس التحرير

أرجو أن تفسح لي صدرك لكي أطلعك على مشكلة، هي شخصية، وهي نفس الوقت وجدت أن آخرين قد عانوا منها معى. بينما أبحث بناظري ماسحاً طاوية باائع الجرائد والمجلات الذى أتعامل معه، فوجئت بالهلال وعليها عنوان «أولاد حارتنا» وتحتها «ضد الفتوى والمقديمات» ويدعون تردد اشتربت العدد مسترجعًا تاريخاً قديماً، كانت فيه مطبوعات «الهلال» أحد الاركان الرئيسية للقراءة، وذهبت للمنزل متوقعاً ليلة سعيدة أعيد فيها قراءة القصة، التى قرأتها منذ زمان طويل، وغاب عن الكتاب نفسه، لعله أستغير ولم يرد، لأننى لا يضيع كتاب!

وانتابنى غضب شديد حينما طالعت العدد من الداخل، ووجدت أنه لا يوجد قصة، ولكن صراخ ونقد شديدين، لما يجرى للقصة ومعها. في البداية اعتبرت أن مطبوعة الهلال قد خدعنتى بهذا العنوان الزائف، واتصلت بالمطبوعة، فرد على أحد هم وبدأ النقاش بحدة وانفعال واتهام صريح من جانبي بأن «الهلال» قد خدعنى بهذا العنوان.

واستمر النقاش، ووضح أن من يقوم بالرد على اتهاماتى ليس بالقطع عامل التليفون، أو حتى أحد الموظفين بالجريدة، ولم اسأل متعمداً عن يرد على، ولكن مع استمرار النقاش والأخذ والرد اتضاع أن المخطئ هو أنا، إذ أن الرواية حينما تصدر، تصدر عن مطبوعة «روايات الهلال» وليس «مجلة الهلال».

واستمر النقاش ووضح أن محدثي شخص على درجة عالية من الثقافة والمقدرة الفائقة في الدفاع ببسالة عن رسالة المطبوعة. وأخيراً قرب نهاية النقاش عرفتني بنفسه، إنه هو رئيس التحرير الاستاذ مجدى الدقاد.

ومع كراهيتى الشديدة لധ احد، فى تعاملى معه من خلال عمله، إلا أن الحق أولى بالاتباع، لقد أغubi فكر الرجل، وخاصة فى دفاعه الرائع والحق عن طبع ونشر الرواية، ووصل النقاش إلى النهاية المسودة أمام محاولة النشر.

عزيزى القارئ

أنا لم أرسل خطابى هذا من أجل كل ما سبق، ولكن ما ذكرته كان لازماً لطرح ما أريد فعلاً أن أقوله.

لأنك أنت والهلال

ونحن طلبة كانت هناك لعبة اتضحت فيما بعد أنها لعبة لوزن لها ولا قيمة، كنا نجد على درج أحدها ورقة بها ما بها، ومعها تحذير بأن من لم يقم بكتابة عدد من النسخ - محددة في كل رسالة - سوف يحدث له ما لا يحمد عقباه، وسوف يكابد من الشرور ما يتم توضيحه بجلاء.

عزيزي القارئ

ما رأيك لو حولنا هذه اللعبة الفارغة، إلى لعبة حقيقة نلعبها كلنا معا، لكن نضرب بغلين بحجر واحد «لا يوجد خطأ مطبعي أو لغوی». **البغل الأول** هو الجمود والتخلف واسهال الفتاوي التي خرج بها علينا من يفهم وممن لا يفهم، لكن يحكم على عمل لنجيب محفوظ «أيا كان هذا العمل» والذي بسببه نحن فيما نحن فيه.

البغل الثاني: هو بيزنس المصالح والمنافع الذي تدخل المنع نشر آخرين للرواية والتنتيجة أتنا لم نحصل على الرواية لا من «دار الهلال» ولا من أية دار أخرى، ودار الزمان بنا إلى الوراء، وبدلا من أن ينشر أحدهم الرواية ويطلب لها قراء، صار الحال في بلدنا، أن القراء يطلبون القراءة ويستجدونها ممن يستحق وممن لا يستحق.

عزيزي القارئ

إليك اقتراحى، ليشتري كل قادر منا الرواية، وهي معروضة فى كل مكان، صادرة عن دور نشر أخرى خارج خارج البلد. ولنقم بتصوير الرواية ٣ نسخ، وهى الأن مهمة ليست صعبة مع الأجهزة الحديثة فى التصوير، ويوزع النسخ الثلاث على ثلاثة أفراد، ثم يقوم بإعطاء النسخة الأصلية لثلاثة آخرين لقرايتها وإعادتها إليه مرة أخرى. وهذا العدد طبعاً قابل للزيادة. هل وصلت الفكرة؟ إذن كل رواية سيقرؤها على الأقل سبعة أفراد. وبهذا ستنتشر الرواية ويقرؤها كل محب للقراءة، ونصبح في غنى عن الطابع والناشر، فيخسر كل من وقف في صف الرواية من جهة عدم نشرها.

وبهذا يصبح للمثقفين وسائلهم للرد على المنع والتحريم والتساطع، ويقف كل من كان في موضعه. ويدفع ثمن اختياره.

شكراً على سعة صدركم

د. ماجد صفت نحيلة
القاهرة - شبرا

٢١٨

شبرا
بريم
الهلال

الهلال

وصلت الفكرة، وطبعاً نحن معك فمن الضروري طبع رواية «أولاد حارتنا» لتكون بين يدي القراء، وحتى تتحقق حرية النشر مع حرية الفكر الذي ننشده جميراً.



نجيب محفوظ

مواجهة أعداء النشر

كان هلال أكتوبر الماضي دفعة تقدم وليس وقفه تردد في نضاله من أجل حرية الفكر والرأي والإبداع، وأثبت الهلال باقتدار، قدرته في الدعوى إلى كسر حاجز الصمت حول رائعة الراحل العظيم نجيب محفوظ «أولاد حارتنا»، وهذا ما نجح فيه الهلال فعلاً، وكانت افتتاحية العدد «أولاد حارتنا وكوكب القردة» مقاala ممتازا سطره رئيس التحرير، كشف عما يراد لأدبنا وفكernا المعاصر، من رغبة أعداء حرية الفكر والإبداع من قهر كل رأى حر، وقصف كل قلم مستنير، من الألف إلى الياء من خلال قصد محاولة الهلال ورئيس تحريره نشر رائعة نجيب محفوظ، والذي أؤكدde كقارئ للهلال على مدى أربعين عاماً، أنه سوف ينتصر على قوى الظلم والإرهاب الفكري، ولم يكن الهلال أو رئيس تحريره في المعركة وحده، فقد كانت معه جميرة من المثقفين الأحرار، وأعلنت رأيها بصراحة في قضية نشر «أولاد حارتنا» ففي العدد ٨٧١ بتاريخ السبت ١٠ ديسمبر الماضي وفي مقال نشرته جريدة الوفد لكاتب هذه السطور بعنوان «افرجوا عن أولاد حارتنا»، «ناشد فيه السيد الرئيس محمد حسني مبارك التدخل بما له من سلطات دستورية بالإفراج عن الرواية، ويرفع الحظر عنها بعد أن نشرت في بيروت في طبعات بلغت العشرين، وأن تنشر عن طريق مؤسسات الدولة الثقافية وبرعايتها في وزارة الثقافة، واختتمت هذا المقال بالقول: إننى اعتقاد أن أقيم هدية تقدم إلى

صاحب نوبيل نجيب محفوظ في عيد ميلاده الرابع والتسعين من رئيس الدولة ورؤسها هي اصدار أمره بطباعة ونشر «أولاد حارتنا»، دفاعاً عن حرية الفكر وكرامته وحرية التعبير عنه، وحماية لقيم الإبداع الفني والأدبي».

وبتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠٠٦، وفي جريدة الوفد أيضاً كتبت مقاala بعنوان «نجيب محفوظ.. ما بعد الرحيل» أكدت فيه على أن التخليد والتكرير لشخص نجيب محفوظ وأدبه وفكرة إنما يمكن في نشر أعماله كاملة غير منقوصة، وفي مقدمتها «أولاد حارتنا».. وطالبت في هذا المقال بأنه لو اقتضى الأمر إلى اللجوء إلى القضاء لا ستتصار حكم قضائي بإلزام وزير الثقافة وفي مواجهة الجهات التي فرضت الحظر على الرواية، بشرها، وكان ينبغي على

رئيس التحرير أن يكشف عن أشخاص من لهم مصلحة في عدم نشر الرواية من أطلق عليهم «البيزنس الثقافي السرى»، ومن أطلق عليهم اسم «البطانة التاريخية» لاستاذنا الرائع، وأخيراً، فإن «الهلال» ورئيس تحريره سوف يتصرّف مع ركته في ترسیخ حرية الفكر والإبداع، وسوف تنشر «أولاد حارتنا» عاجلاً أو آجلاً.

عمرٌ عبد المنعم حمودة
كاتب وباحث

الطب

نحي الصديق عمرو حمودة على رسالته، ونواصل الجهد كي يتحقق بالفعل نشر هذه الرواية، وإن يطول الزمن حتى يتحقق أمل ينتظره القراء في مصر.

مناخ ديموقراطي

لقد قرأت في عدد الهلال لشهر نوفمبر ٢٠٠٦ ما كتب باقلام العديد من المثقفين تعكس رؤى هذه الصفوة حول العراقيل التي تحول بين نشر رواية أولاً حارتنا لأديبنا الكبير الراحل نجيب محفوظ. هذه الرواية الإبداعية التي كنت لا أتوقع في يوم ما أن أقرأها ولكن أسعدني الحظ أن تنشرها جريدة حزب التجمع «الهالي» عام ١٩٩٤ بعد ما تعرض كاتبنا الكبير لمحاولة اغتيال، وإنى أود أن أضيف لكل ما قيل في هذا الصدد أن مصر أصبحت الآن تتعم بمناخ ديمقراطي غير مسبوق، وعلينا أن نستثمره لصالح ثقافتنا المصرية، وإنى على قناعة تامة بأن تقدم الشعوب ورقبيها يبدأ بالاهتمام بالتنوير الفكري، الذي يمكن في كل أنواع الشعاف. ومنه على وجه الخصوص الأدب. فأتأمنى أن تخطو مجلة «الهلال» إحدى خطواتها التنويرية الجريئة وتنشر هذه الرواية الإبداعية لأديبنا الكبير نجيب محفوظ، هذه الرواية التي تحمل في طياتها باختصار شديد، رؤية أديب كبير له باع طويل في درب الثقافة، تعكس نمطاً سياسياً يشمل العالم أجمع، لا ينتهي إلى يومنا هذا وهو تحكم الأقوى في الأضعف، واعتقد أن هذه الرؤية سائدة ونراها في جميع بلاد العالم كل يوم. إذن فهذه الرواية رؤية أدبية صالحة لكل العصور، وينشرها في مجلة من أعرق المجالات الثقافية سوف تثبت للعالم أجمع أن مصر بمبدعيها ومثقفيها قد تغيرت للأفضل وتحدى قهر الإبداع.

سامح صبری أیوب

الهلال: القارئ العزيز.. كما ترى نبذل الجهد انطلاقاً من حرصنا على نشر هذه الرواية، حتى أثنا وبعد إصدار العدد الخاص عن نجيب محفوظ، أعددنا الرواية وجهزناها للطبع، وكان من الممكن أن تكون الآن في بيت كل مثقف ومحب لأدب نجيب محفوظ.. ولكن للأسف ما زالت الرواية حبيسة حتى الآن!

جبل الجداوى وأبن خفاجة

السيد رئيس التحرير

تحية التواصل الثقافى وتتجدد الثقة المتداة المستديمة.

ما إن انتهيت من مقدمتكم التي تتم عن الوفاء لكاتب تميز بصدق الكتابة في لون معين من ألوان الأدب «معايشة الإنسان حين يقع تحت طائلة الجريمة» أعني الأديب المرحوم عبد المنعم الجداوى، حتى ألفيتني أستعيد ما قد وعيته مما قد وفره لنا من حديثه عن أدب الجريمة في مجلة المصور، وما أمعننا به في كتاب الهلال «الجريمة في الرواية العربية» ويكفى تعليقكم الذي جاء تحت عنوان «عاشق الكلمة» إذ قلتم ص ١٠٠ استطاع الأستاذ الجداوى وهو المسكون بروح الأدب والأديب أن يحول خبر جريمة إلى قصة أدبية، تقفز فيها مشاعر البشر قبل مشاهد القتل والدماء، يكفى هذا التعليق كي يجعل قارئ الهلال يلح عالم الجداوى مستثيراً بهذا التعليق خاصة فيما قد استحدثتموه في نهاية العدد «كتيب في مجلة» مفتتحين هذا الباب بالرؤية الأدبية للكاتب الجداوى عن «الجبل الغربى» الذى قال عنه.

«اسمه في آذان الصعايدة - والجداوى طبعاً صعیدی - كما جاء

في مقدمتكم يوحى بالكثير كجوهرة لا تكفى عن إرسال عشرات الأضواء في كل اتجاه. ارتبط بالطاريد» و«السفاحين» كما ارتبط بالرهبان والزهاد ولهملاً وهؤلاء مئات القصص والأساطير.. «الجبل الغربى» رمز لمجهول مقدس غامض يعظمه ويحبونه ويختلفونه.. وقد لا يعرف أبناء سوهاج وأسيوط والمنيا شيئاً عن جنوبه أو شماله، فهم يكتفون بأنه يطوقهم من الغرب حتى مدى البصر، هذا الوصف الذى قدمه الجداوى لذلك الجبل جعلنا نحس بأنه البطل الرئيسي لكل ما أورده من أحداث فيما بعد، احتوتها مغاراته بكل ما دار فيها من قصص تقترب من مغامرات ألف ليلة وليلة فى أدبنا العربى - وعلى الفصوص أقصوصة «هدية رفاعى» الذى أجبره ظلم استشراء عادة الأخذ بالثار إلى أن يقطع الشقة بعيدة المدى فى الصيف القائظ حتى

أنتِ وَ الْهَلَالُ

يصل قمة الجبل الذى استقبله على إحدى مصاطبه شيخ الخفراء - واحدا من المظلومين المطاريد - وكان شيئاً لهذا الجبل الغربى، واستن هو ومن معه دستوراً لمن يلتحق بركب قمة هذا الجبل العملاق ذى الأسرار المتوارية فى أنحائه وأول هذا الدستور أن يضع فى حسباته أن «الجبل» الذى أوى الرهبان والنساك والزهاد ليعبدوا الله فيه - له حرمة فلا يخترقها، ولا يجور عليها ولا يدنسه بفعل غير شريف، ومن يفعل ذلك فإن «الجبل» يلفظه كما يلفظ النهر جث الغرقى، غير مأسوف عليهم «ص ٢٠٩» وليس أدل على تغلغل مهابة هذا الجبل الغربى فى نفوس أهل الصعيد من تحدث عنهم الجداوى، من أنهم كانوا يرون فيه صلة القرابة «جدى الجبل» أو عمى أو خالى «٢٠٩».

وما أشبه الواقع الحيوى لإنسانية العلاقة بين آل الصعيد والجبل الغربى بما ورثناه فى تراثنا الأدبى العربى، مما هو أقرب فى نفوس شعرائنا خاصة شاعر الطبيعة الأندلسى ابن خفاجة فى القرن السادس الهجرى، وكان حال كبار رجالات الدولة فى الأندلس أيام المرابطين والموحدين، أقرب فى تطاحنها وواقع أحداثها مما هو واقع فى صعيد مصر من ثارات يطل عليها جبل، وأدار ابن خفاجة الأندلسى على لسان هذا الجبل فى الأندلس حواراً مستططاً إياه بما هو أشبه بما يدور فى ثياترا الجبل الغربى فى رؤية عبد المنعم الجداوى يقول ابن خفاجة:

وأرعن طماح التذكرة باذخ يطاؤل أعنان السماء يفارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة ويزحم ليلاً شهبه بالمناقب
وقود على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مفكر في العوائب
أصحت إليه وهو آخرس صامت فحدثنى ليل السرى بالعجبات
وقال إلاكم كنت ملجاً قاتلها ومسوطن أواه تبتتل تائب
فما كان إلا أن طوتهم يد الردى وطارت بهم ريح النوى والنواب
فتحى متى أبقى ويطعن صاحب أودع منه راحلاً غير أيه؟

٢٢٢

جـ ٣
١٧

هذا بعض حديث جبل ابن خفاجة الأندلسى «وهو فى سويدائه مناجاة داخلية فى وصف واقع حال الأندلس آنذاك من خلال الرؤية الشعرية للشاعر» حاولت قدر جهدى أن أنقله إلى القارئ كى يتكتشف له مدى ما أ Medina به كـ ^١ _٢ جالات تحرير الملال من تعريفنا برواية أدبية معاصرة، حركت فىينا أن نتفق فى تراثنا الأدبى كى نتعلم أن الجديد هو لون متجدد موصول بأمراس القديم، وتلك إحدى أعظم

مكرمات صرحتنا «الهلال» علينا جميعاً شيباً وشباناً. لكم جميعاً
خالص الدعاء بالتجدد الدائم.

د. سامي منير عامر
كلية التربية - الإسكندرية

الهلال: الدكتور سامي العزيز.. إن ما ذكرته عن الاستاذ الجداوي
يستحقه فعلاً لأنك تتصفه كما أنتصفه الهلال، فهو يستحق ذاك وأكثر
وهذه المقارنة بين جيله وجيل الشاعر الاندلسي ابن خفاجة، إضافة
لكاتبنا الراحل العزيز نشكرك عليها.

الجداوى كاتباً في مجلة الشرطة

وصلتنا هذه الرسالة من رامي يوسف إبراهيم من المنصورة
دقهليه يتسائل فيها، وبعد استعراضه لحكایة «الجبل الغربي»
المنشورة في عدد نوفمبر ٢٠٠٦.

لماذا أفلتم دور الراحل الكبير عبد المنعم الجداوى وكتابته في
مجلة الشرطة، حيث عمل لعشرين سنة مستشاراً للتحرير فيها،
ونشر عدة حلقات أثارت إعجاب القراء، أما حواراته الصحفية، فهي
كثيرة، وبخاصة حواره مع الموسيقار محمد عبدالوهاب، الذي نشرت
صورته معه بوجود اللواء الرائد «جيني» عبد المنعم معاوض.

إن ما كتبه الكاتب الكبير في مجلة الشرطة طوال عشرين سنة،
يحتاج لتجميئه ونشره في كتاب.

اللواء عبد المنعم
معوض «الرائد
جيني» يتوسط
الجداوى وعبد
الوهاب

وأعتقد أن إدارة الإعلام
٢٢٣ بوزارة الداخلية تمتلك أعداد

هذه المجلة، وعليها بالفعل أن
تساعد في تجميئها
وإعدادها للنشر، ولتخرج
تجربته متكاملة.

الهلال: نتمنى من إدارة
الإعلام بوزارة الداخلية،
وهي إدارة نشطة بحق أن
تحقق رغبة القارئ العزيز
وكل محبي أدب وكتابات
الراحل عبد المنعم الجداوى.



عن الجداوى والجىب

الاستاذ رئيس التحرير

لقد اعدتنا إلى عصر مجلة ال�لال الذهبي، أعددت إلينا منذ ما يقرب من العام ونصف العام إلى قراءة مجلة ال�لال، وكتاب ال�لال ورواية ال�لال بعد أن تركناها مرغمين لا راغبين!

ولكن لى سؤال: فقد قرأت وبكل الفرحة العدد الصادر فى أكتوبر ٢٠٠٦ وظننت أنى سوف أمتع نفسي بقصة أديب نبيل الراحل نجيب محفوظ ولكن سرعان ما اكتشفت بأن العدد غير ما رغبت فحزنت على فشل المحاولة منك لنشر رواية «أولاد حارتنا»

ثم قرأت من أخذ رأيهم فى النشر: الاستاذ رجاء النقاش، ود خالد منتصر، والاستاذ كامل زهيري، والاستاذ محمود أمين العالم، والاستاذ أحمد عبدالمعطى حجازى.

المهم أننى خلصت أن منهم من طلب النشر بمقدمة الدكتور أحمد كمال أبوالمجد، ومنهم من رفض هذه الفكرة وأنا معهم.

وما عرفته مما قرأت حول الرواية أن هناك من يملك حق النشر، ولكنه يستفيد إلى أبعد حد من هذه الثورة على الرواية، ثم يطبعها ويجني من ورائها الآلاف، هل هذا هو من تعتبره ناشراً للثقافة؟ وهل يستحق لقب ناشر لإنارة العقول المصرية.

أستاذى ارجوك أن تطرح فكرة من يرغب فى نشر الرواية فى «مجلة ال�لال» أن يرسل لك فى استفتاء تقوم به المجلة، وستجد معك مليون مثقف مصرى وطالب جامعى ومصرى حر وليقم قضية صاحب الحق فى النشر على كل المصريين إن كان يملك هذا!

ولما كنت إنساناً نبيلاً فى مشاعرك وقرأت عدد نوفمبر ٢٠٠٦ ووجدت به قصة الكاتب الصحفى .. عبد المنعم الجداوى «الجبل الغربى» شعرت بالفخر لشاب مثل يحمل قلماً حراً، ومشعل الثقافة أن كتب رواية أديب رحل عن دنياناً، وأعترف كما نعترف جميعاً بوزن هذا الكاتب الذى جعل من قراءة الجريمة أدباً وثقافة.

لقد امتعنا الجداوى سنوات وسنوات بعمريته فى الكتابة وتطويع جمال اللغة العربية وبعثرتها على الورق فى صورة أدبية فلسفية رائعة.



عبد المنعم الجداوى

لذلك أهدى مجلة الهلال أحد كتابات الرائع المتعدد الموهوب في كتابته، بين الكتابة الدينية والكتابة الشعرية والكتابة الأدبية. أهدى يابن قطبنة الزجلية وهو يتحدث عن ابن القرية وصدقه وهي لم تنشر قط من قبل.

أنا ذنب يرهقه الندم.. موجود بيدده العدم.. نفسي تلاشت ذاتي توارت.. سياط الإثم تطاردني.. أهال العفو تراودني..
يارب هل تكفى التوبة.. كى أتطهر من رجس الرغبة؟
نشأت فى الريف عفيفا.. مغسول الأعماق نظيفا.. لا أنظر قط
إلى أنسى.. ألقاني ظهر مهود.. فى بطن أحمق مكود
ما مر العيب بخاطرها.. كبرت فإذا بي اعتصر طفولتى فى حقول الناس
وكنا أطفال عدة.. حياتنا تحكمها الشدة.. والوالد فوق الستين
لا شئ إلا بمعين.. لا بد له من كيف خاص.. ومعروف
وطعم خاص.. وعلى تأجير شبابى وليالى طويلة من عمرى.. كى أعطى
للوالد حقه.. أما الأسرة فقد كانت على عاتق باقى الأخوة
وكان يسعدنى رضاها.. أنتظر بسمته الحلوة التى تملأ محياه
وفى يوم قلت له أبي أريد الهجرة - القرية تأكل أيامى..
القرية تسجن أحلامى.. فى القاهرة يمكن أن أكسب.. ذكائى
أكبر من قرية.. مواهبي تدفنها الساقية.. فائنا أقرأ وأنا اكتب.
سكت كائناً أخذته السكتة - تمرقة - تتنازعه مشاعر شتى :
كانت أعماقه تتلوى.. يوشك أن يبكي البلوى.. قلت يا والدى
لا تغضب منى.. اسأل الله تقصدنى.. وسأسافر مصر..
فزوينى.. بكلام يحفظ قلبي.. استمع إلى مذهبوا..
ما رفض ولا ابدى قبولا.. واصفر وازاداد خجولا..
وتركتنى أشعر بالذنب.. وبعد الصمت المصطخب.. الدامي
كجزور الغضب.. تكلم فى صوت عصبي.. لكنه يقطر أحزاننا
يا ابنى أقديك بعينى.. اسمعنى أو لا تسمعنى.. القاهرة
تعطى المستغنى.. القاهرة إن أعطيت أخذت..
القاهرة إن أخذت سلبت.. القاهرة إن سلبت تقتل
قد تقتل فيك الإنسان

٢٢٥

فاروق محمد خزيم
سوهاج

العولمة

د. عاصم المسوقي

العولمة.. مأزق الحتمية وحرارة الاختيار

شاع مصطلح «العولمة» في مطلع تسعينيات القرن الماضي مقتربنا بمقولة «نهاية التاريخ»، التي أعلنتها فوكو ياما الكاتب الأمريكي الياباني الأصل، ثم مقولة «صراع الحضارات» التي صاغها صمويل هنتنجلتون وذلك في أعقاب تفكك الاتحاد السوفييتي وانهيار حكم الأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية، كنهاية عن سقوط المركزية الشيوعية وانتصار الليبرالية الرأسمالية. ولأن طرح العولمة جاء من بنات أفكار الحكومة الأمريكية، فقد استقر في الذهان أن هذه الحكومة تريد إعادة صياغة حياة الشعوب وفق النسق الأمريكي في الحياة دون مبالغة للاختلاف الثقافي بين الشعوب، حتى لقد أصبحت «العولمة» مرادفة لكلمة «الأمركة».

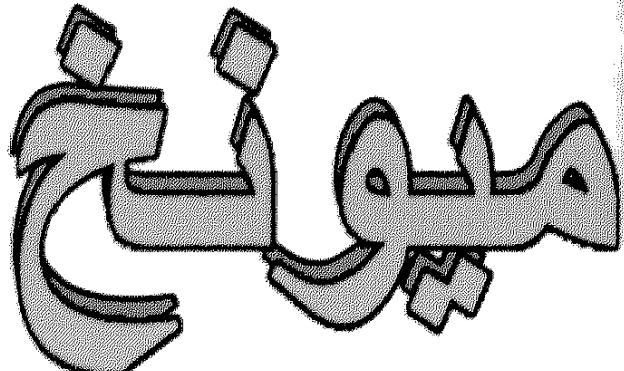
والعولمة بهذا المعنى حلم بشري قديم، منذ كان أصحاب الأفكار الإنسانية الكبرى يحلمون بأن تسود أفكارهم العالم، وحين كانت كل قوة من القوى الكبرى على مدار التاريخ تحاول أن تفرض نموذجها في الحياة على الآخرين. ولكن ومع نجاح عملية التماقф بين المجتمعات طوعاً و اختياراً، بفعل الهجرات والتنقلات، ظهرت إشكالية «الاصالة والمعاصرة»، أي النزاع بين القديم القائم، وبين الجديد الوارد والتي تبلور معها مصطلح «الخصوصية الثقافية».

ولايزال هذا النزاع يمثل جوهر مشكلة العولمة.. فريق يقول : إنها آتية لا ريب فيها، وعليها أن تقبل التعامل معها، وفريق يرفض هذه الحتمية الآلية اعتماداً على حرية الاختيار عند أبناء البشر، خصوصاً أن خطاب العولمة منذ الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ترافق مع اتجاه سياسي قوامه تفتت الدولة القومية إلى طوائف دينية ومذهبية وعرقية، وغلق أبواب النادي النموي على أصحابه القدماء، واستبقاء العالم الثالث في حوزة السوق الرأسمالية العالمية، الأمر الذي أخفى صوراً قد تكون إيجابية للعولمة.

والحقيقة أن العولمة ليست كلها شراً مستطيراً، فمن الممكن لأبناء مجتمع ما أن يستفيدوا من الإنجازات العلمية التي حققتها مجتمعات مغایرة، استناداً إلى حقيقة «أن العلم لا وطن له» مع تطوير هذا العلم للاحتياجات الذاتية. ولا يعني هذا الكفر بالมوروث الثقافي أو التمرد على التقاليد.. فالليابان مثلاً بعد تدميرها في الحرب العالمية الثانية، بدأت تعميتها الحديثة بنقل أسرار التقدم الصناعي من الغرب الأوروبي دون أن يؤثر ذلك على التقاليد اليابانية التي لا تزال تحكم العلاقات بين أفراد المجتمع.

ويبقى القول أخيراً.. إن حرية الشعوب في الاختيار خير مصفاة لفرز ما يتاسب مع خصوصيتهم الثقافية وتتجنب ما لا يتلاءم دون قسر أو إكراه.

الخطوط الجوية



**رحلات أسبوعياً
الثلاثاء - الجمعة - السبت - الأحد**



بالإضافة إلى رحلاتنا المنتظمة

- القاهرة / فرانكفورت يومياً**
- القاهرة / فرانكفورت كل يوم سبعة**
- القاهرة / موسكو يوم الجمعة والسبت**
- القاهرة / برلين الثلاثاء والسبت**

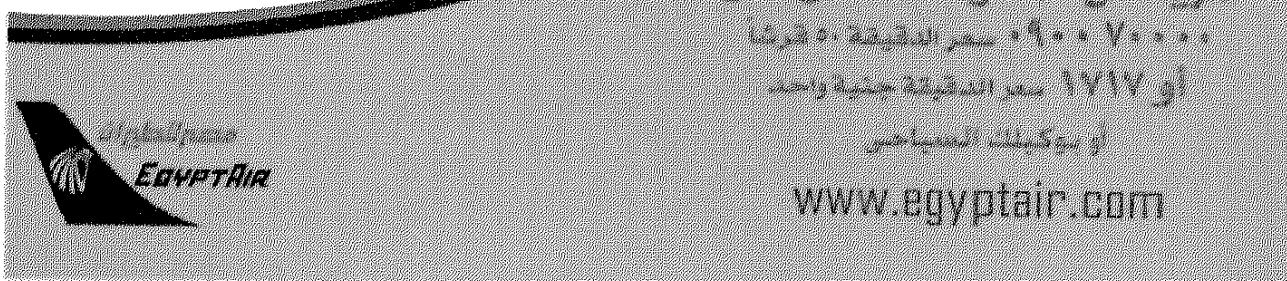
للحجز من المكاتب اتصل الآن

أو ٠٢٣٨٧٠٤٠٣٥ - ٠٢٣٨٧٠٤٠٣٦

أو ٠٢٣٨٧٠٤٠٣٦٣ - ٠٢٣٨٧٠٤٠٣٧

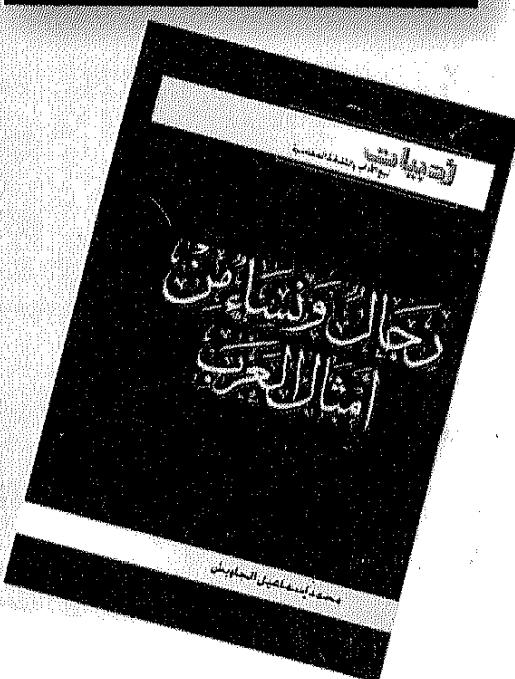
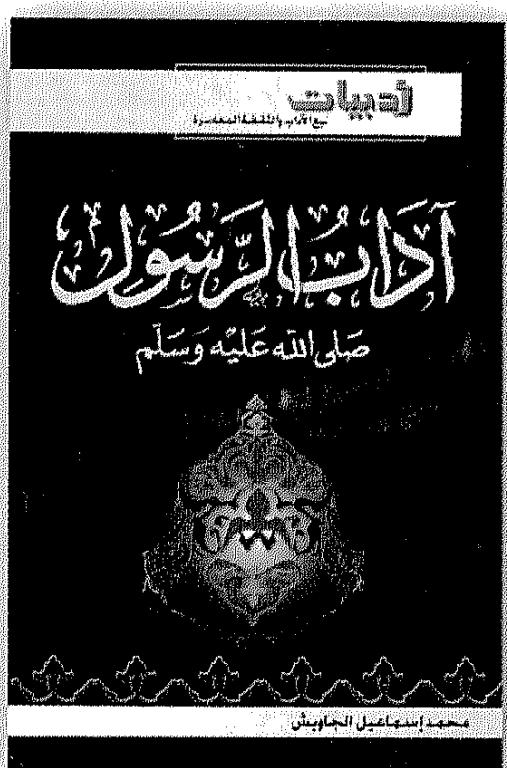
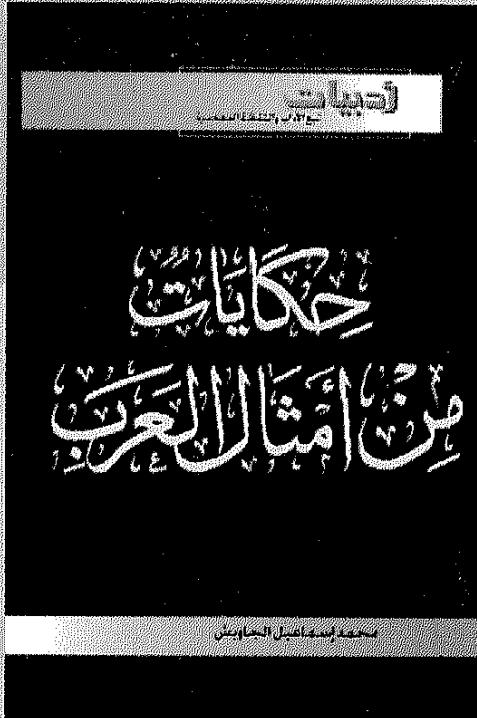
أو ٠٢٣٨٧٠٤٠٣٨١ - ٠٢٣٨٧٠٤٠٣٩

www.egyptair.com



لَدْبِيَات

نبع الأدب والثقافة المعاصرة



طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - المطابع ١٠، شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - منافذ البيع: ١٦، ١٠، ش. كامل صدقى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكتى مصر الجديدة - القاهرة، ٦٨٢٢٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧، فاكس ٢٥٩٦١٥٠، ج.م.ع. ٤٦٢٢٧٠٠٢ / ٢٠٢ - ش. بدوى محرب بك - الإسكندرية.

الطباطبائي

الله

فهرانی ۷ - ۲ - ۲۰۰۵

طباطبائی

رجای النقاض
القائم .. الإنسان



نِرْمِينْ بِهَاءُ الْنَّقَاشِ

بورتريه للفنانة نرمين بهاء

٢٠٠٧ء داء إ

الأستاذ الدكتور / خالد عزب
الإسكندرية

المَلَكُ

الطبعة الثانية عشرة تصدرها دار الملك أنسوها جرجس (دار الملك) عام ١٤٢٦

رئيس مجلس الإدارة

عبد القادر شهيب

رئيس التحرير

مجدى الدقاد

المنتدي العربي الشعري

محمد أبو طالب

مدير التحرير

عاطف مصطفى

مكياليم التحرير

أحمد البكري

OF DH KHALED AZAB

FROM THE LIBRARY

العام الخامس عشر بعد الميلاد

فبراير (شباط) ٢٠٠٧

محرم ١٤٢٦

طوبية ١٤٢٦

القاهرة - ٦٦ شارع محمد

عز العرب (البيهان سابقاً)

٦٣٥٤٥٦٣ (خطبوط)

المكتبات ص ٦٦ - العتبة

- الرقم البريدي ١١٥١١ -

للرافعية-الصقر-القاهرة

ج ٢٤ مجلدات الهراء

٣٦٣٤٨١

ذاكـس ٣٦٣٥٤٩١

البريد الإلكتروني

helalmag@yahoo.com

سوريا ١٢٥ ليس في لبنان

٤٠٠ لمسيرة - الإربل

٥ - بيادر، الكويت / ديار

السعوية - ١٢٦٦ العروق

٦٠٠ - بيادر، التحرير

لبنان - قطر - ١٢٦٦ - ديار /

أنطاكـي ١٠ - إرافق - سلطنة

مسـنـان ١٢٦٦ - تونس ٣

سيارات - المغرب ٣ - ترـعـما

الصـهـيـونـيـةـ الـسـيـنـيـةـ ٣ - رـيـالـ

مـرـهـ الصـفـفـ / القـسـسـ ٣

دولـارـ إـيطـالـيـاـ يـورـوـ

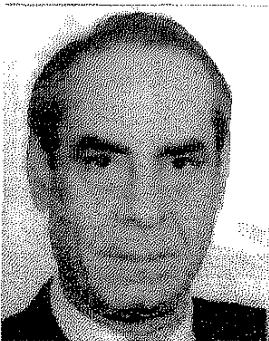
سوـيـسـاـ دـيـنـكـاـنـ المـلـكـ

الـمـجـدـ ٦ - جـ. اـمـرـيـكاـ ٨

دوـلـاتـ



سميع القاسم - ٤٠
حجازي - ٣٤



تليمة - ٣٠
صلاح فضل - ٢٨



المقالح - ٨٨



محفوظ - ٨٤



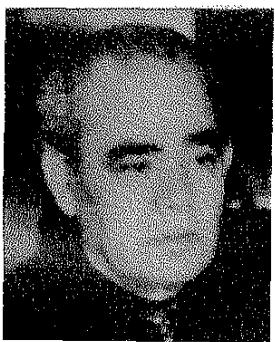
خيرى منصور - ٧٢
 Maher Shafiq - ٧٢



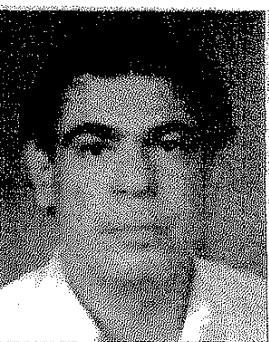
فريدة الشعياشى - ١٣٩
علي سالم - ١٤٠



محمد المخنجى - ١٢٨
فريدة الشعياشى - ١٣١



رأفت الميهى - ١٨٨
سعد هجرس - ٢٠٠



حلمى سالم - ١٩٤
مهدى الحسينى - ٢٤٦



جابر عصفور - ٤٢ خيري شلبي - ٥٨ إبراهيم فتحى - ٦٠ فاروق جويدة - ٧١



أحمد درويش - ٩٠ محمد حسن عبدالله - ٩٨ وديع فلسطين - ١٠٨ محمود سالم - ١١٦



فكري النقاش - ١٤٢ أمينة النقاش - ١٥٢ أنور عكاشه - ١٦١

مجدى الدقاد - ٦ / حلمى التونسي - ١١٤ / أبو المعاطى أبو النجا - ١٢٠ / عبد المنعم رمضان - ١٢٦ / حسين عبدالرازق - ١٥٦ / سعيد إسماعيل على - ١٥٨ / محمد أبوستة - ١٦٤ / لينا كيلانى - ١٦٦ / أحمد زكي عبدالحليم - ١٦٨ / البهجوري - ١٧٢ / أحمد ينوى - ١٧٨ / إبراهيم عبدالجيد - ١٩١ / الفقيه - ٢٠٨ / ياسر شعبان - ٢١٨ / سعيد شعيب - ٢٢٢ / أحمد كشك - ٢٢٤ / سلوى بكر - ٢٢٦ / سعيد الكفراوى - ٢٢٧ / ناصر عراق - ٢٢٠ / عبدالنور خليل - ٢٢٣ / على حامد - ٢٢٦ / عبد الغنى داود - ٢٥٣ / صبحى حيدى - ٢٥٥ / صلاح عبدالصبار - ٢٥٨

الاشتراك

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عدداً) ٤٨ جنيهًا داخل ج.م.ع تسدد مقدماً أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٢٥ دولاراً، أمريكا وأوروبا وافريقيا ٤٥ دولاراً، باقى دول العالم ٤٥ دولاراً.

القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال ويرجى عدم ارسال معلات نقدية بالبريد.

بريد الاشتراكات

subscription_dep@yahoo.com

جميع المنشآت
باسم رئيس التحرير



رِجَاءُ النَّقَاشِ



□ مجلد النقاق

الأستاذ رجاء نفسه. وبكل تواضع لم يستحسن أستاذنا الكبير الفكرة، وفشل جهودي «الصحفية» في إقناعه، ويرقته المعهودة وأديبه الجم، أحرجني قائلاً: «إذا كنت بتحبني بلاش تكتب عنى»!!.
ولأنني أحبه وأحترمه وأقدرها، احترمت رغبته، ولكنني لم أقتنع بأشبابه التي ساقها ومنها.. «لا يهم الناس أن تقرأ عنى»!!

ومنها أيضاً.. «من أكون حتى تصدر الهلال عدداً خاصاً عن رجاء النقاش»، وفهمت أن رفضه جزء من سياق شخصية أستاذى المتواضعة الرافضة للأضواء، المفضلة للعمل فى صمت. واكتشفت أن جزءاً من رفضه هو حرصه على، وخوفه من حملة هجوم محتملة على «الهلال».

لهذا العدد قصة تستحق أن تروى، فقد فكرت «الهلال» في إصدار عدد خاص عن الكاتب والناقد الكبير الأستاذ رجاء النقاش، وبدأت في إعداد خطة تنفيذه، وتم الاتصال بمجموعة من الكتاب للمشاركة فيه.

كان ذلك في شهر يناير من العام الماضي، وفي غضون أيام قليلة تجمع لدينا ما يقرب من ١٠ مقالات، منها ما كتبه الأستاذ أحمد زكي عبدالحليم، الذي قدر له أن يرحل منذ شهور قليلة ولا يرى سطور ما كتبه منشورة، ووعدنا عشرات المفكرين والأدباء والكتاب بالمشاركة في هذا العدد، تقديرأ لاسم وقلم «الأستاذ» ونوره الكبير في الحياة الثقافية المصرية والعربية، ولكن تنفيذ العدد اصطدم برفض



٧

الليل - العدد ٧٠٣

البورتريه للفنان محمد أبو طالب

ندوة مجلة «العربي» بدولة الكويت الشقيقة، وبعد تقديمها لى ولجلة «الهلال» أمام جمع غفير من المثقفين العرب، وإشادتها بالمجلة وإصداراتها، ونكران دوره المهم والمؤثر في مسيرة الهلال، قلت لنفسي، لقد طال الأمر، وعليك أن تمارس عشم التلميذ على أستاذه، وببعض من الأسباب الواقعية واستغلالاً للحب والتقدير الذي يكنه لك، يمكنك أن تنجح في إقناعه وانتزاع موافقته، وفعلت ذلك وأنا العارف بنقطة الضعف الأساسية لدى أستاذى وأخي الأكبر، فهو يحب النجاح ويفرح لنجاح الآخرين، ويملك قلباً يفيض حباً للبشر، وهو إنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانى العطاء والمساندة، وإنكار الذات.

ذكرته بنصائحه لى عندما عملت معه في «المصور» منذ أكثر من عشرين عاماً، ومساندته لى، واختياره لى - وأنا الوافد الجديد - أخاً وصديقاً له، وكذلك بسؤالى المباشر له: لماذا يخصنى ببعض من همومه العامة والشخصية أثناء لقائنا اليومى بمكتبه في «دار الهلال»، وكيف أجابنى بقوله: «إنى ألح صفاء نفسك، وصدقك، وإخلاصك لعملك ولزمائك». ٨

وذكرته ببرقتيه لى عقب تشرفي بمسؤولية رئاسة تحرير الهلال ومساندته لى منذ اللحظة الأولى، وزيارتة الخاصة جداً للدار وهو الذى لم يدخلها منذ عشر سنوات، وقلت له: إن ما سأفعله هو حقك الذى يليق بك ويقلك، فأنتم صاحب فضل على الجميع، وكنت سندًا وكاشفًا لكل

بسبب الكتابة عن قلم ناقد شريف لايزال يكتب ويبدع دون حسابات شخصية! ظلت الفكرة كامنة في داخلى، ولكنها مؤجلة احتراماً لرغبته، ولكن قناعتي في إصدار العدد ظلت قائمة ولمحة لأسباب عديدة، فرجاء النقاش ليس كاتباً أو صحفياً عادياً، فهو في تقديرى وتقدير المثقفين المصريين والعرب، حالة فكرية وأدبية، فقد ظل يثيرى هذه الحياة طوال ٥ عاماً، ولا يزال قلمه الناقد، المستنير، يحرك مياه الثقافة العربية، وهي حالة أسست مدرسة في النقد والإبداع لا بد من قراعتها دراستها، ربما يساعد هذا في تعميم منهاجها، وسط حياة أدبية مضطربة، ونقد لا يأخذ بأسباب الإبداع بقدر ما يعود للعلاقات الشخصية وال موقف السياسية.

إن دور الصحفى، والنقدى الذى لعبه رجاء النقاش في حياتنا الفكرية، كان أحد ركائز تواصل الإبداع الروائى والشعرى والمسرحى وطاقة نور للمبدعين المصريين والعرب، فضلاً عن دوره الإنساني الذى تميزت به علاقاته بالجميع.

عدت إليه في منتصف العام الماضى، وطلبت منه «متعشاً» موافقته على العدد، فظل على موقفه، ولم أستطع إصداره إلا بموافقتة، فأنا هنا صحفى يحترم رغبة مصدره ويحترم مهنته.

في ديسمبر الماضى وعقب عودتنا من



الأستاذ رجاء النقاش مع مجدى الدقاد رئيس التحرير

مبدع، ولكل قلم حاول نقش حروفه على وقصيدة ونحو خمسة عشر بورتريها ولوحة ترسم ملامح رجاء النقاش (القلم والإنسان).

مارست عشمى مرة أخرى، طلبت منه ومن السيدة الفاضلة الدكتورة هانية عمر زوجته، أن يهدى بعض الإصدارات التي لا أملكها وملف الصور الخاصة برحلته ومسيرته الحياتية الثقافية والصحفية، وطلبت نفس الشيء من شقيقتي الزميلتين الأستاذتين فريدة وأمينة النقاش وكذلك

من كل أصدقائه ومحبيه. وزاد طمعي المهني، وقلت له أريد أن أفتتح العدد بحوار خاص، فابتسم وهو «الصناعي» و«المعلم»، وحدد لي موعداً قائلاً: «أهلاً بك أنت ومن يحضر معك من أسرة الهلال».

ذهبنا إلى منزل الأستاذ، يتقدمنا الفنان المبدع الصديق محمد أبو طالب ورافقا الكاتب والشاعر العربي الصديق الجميل خيري منصور، وزميل الدراسة المهووس بالحرف والصحافة على حامد

سطح البحر الثقافي المتلاطم، فلماذا تحرم الأجيال الجديدة من قراءة تجربتك وإبداعك، الذي لم يعد ملكاً لك، بل هو ملك للحياة الثقافية المصرية والعربية؟ ولماذا لا تساعدنى على إرساء مبدأ تكريم من يستحق التكريم في حياته؟ ولماذا تحرمنى - بسبب أخوتك وصداقتك وأستاذتيك لى - من إصدار عدد خاص عن دورك وقلمك؟

ويبدو أن عريضة الدفاع هذه، واستغلال بعض الحب والعشم قد مسّ قلبه الرقيق، وبعد لحظات مرت كدهر على، ابتسם ابتسامة الجميلة قائلاً: «اعمل اللي أنت عايزة».

انتزعت موافقة الأستاذ، وحركت فريق العمل، فهالنى ما حدث، ٥٠ كاتباً رحبوا بالفكرة من مصر وفلسطين وسوريا واليمن وليبيا والأردن، وخلال ١٥ يوماً فقط كان بين أيدينا ٥٠ دراسة ومقالاً



القرن الذى عرفنا فيه المسرح وأصبح لنا فيه كتاب موهوبون لهم أهمية وتأثير. وفي هذا القرن عرفنا قن القصة والرواية ووصلنا فيما إلى درجة عالية من القيمة والأهمية وهو ما اعترف به العالم فى شخصية عظيمة مثل نجيب محفوظ، أصبح قرأه فى قارات الدنيا المختلفة وفي لغات الأرض المتعددة أكثر من قرأه فى العالم العربى، وكذلك يوسف إدريس أحد سادة القصة القصيرة فى العالم كله باعتراف النقاد الأجانب قبل النقاد العرب، وفي هذا القرن العبقري، أى القرن العشرين ظهرت لأول مرة مواهب فى الفنون التشكيلية اعترف بها العالم ووقف أمامها مندهشاً مبدياً إعجابه بهذا الانفجار الفنى الرائع المفاجئ الذى ترجمته تماثيل مختار ولوحات سيف وأدهم وانلى وراغب عياد وأحمد صبرى وتحية حليم وغيرهم، وقد جاءت هذه الأعمال كلها بعد أن توقفت مسيرة الفن التشكيلي فى بلد كان سيداً عملاقاً فيها مثل مصر منذ آلاف السنين حتى مطلع القرن العشرين، وفجأة دبت الحياة فى النهر الذى ظن الجميع أنه جف إلى الأبد، فإذا به يسيل بنهر بديع يشير الدهشة والمتعة والاحترام فى كل مكان فى العالم، ولابد من الإشارة هنا إلى أن الموسيقى العربية الحقيقية الجديرة بأن نطلق عليها هذا الاسم قد ظهرت فى هذا القرن، ويكفى أن نشير فى هذا المجال إلى عبقرية سيد درويش المدهشة والتى أحيا الموسيقى العربية ومنحتها قوة لم تكن

والزميلة الجميلة الفنانة التشكيلية سهام وهدان ومعنا بالطبع الفنان المصور الفوتوغرافي الزميل إبراهيم بشير وهو يحمل آلة التصوير ليسجل بعدها صور اللقاء.

بترحاب وأخوية تعودناها من أسرة كاتبنا الكبير، استقبلتنا الدكتورة هانية عمر زوجة الأستاذ ورفيقه عمره وكفاحه وإبداعه.

امتدت جلسة الحوار لساعات، ودارت شرائط التسجيل.. وكان الحوار العدد الذى انتظرناه عاماً كاملاً.

□□□

Ubqrية القرن العشرين

□

- كان لي رأى قديم مازلت متمسكاً به وهو أن القرن العشرين في الثقافة العربية هو قرن عبقرى وقد ناديت مراراً بأن نعيد إحياء الإنتاج الثقافى لهذا القرن ونضعه بين أيدينا وأمام أجيالنا الجديدة، فهذا الإنتاج الثقافى الذى أصفه بالعبقرية دون مبالغة هو بداية نهضة كبيرة تحتاج إليها، ولا يمكن لهذه النهضة أن تتم دون أن تكون على صلة وثيقة بإنتاج القرن العشرين. فهو قرن تجديد اللغة وتتجديد الفكر الدينى وفتح الأبواب أمام الفكر السياسى الفرىبى الذى بدون استيعابه والاستفادة منه لا يمكن أن نقيم حياة سياسية سليمة، كما أن هذا القرن هو



الأستاذ رجاء النقاش مع زوجته ورفيقه عمره وإبداعه د. هانية عمر



أول كتاب في حياتي

□

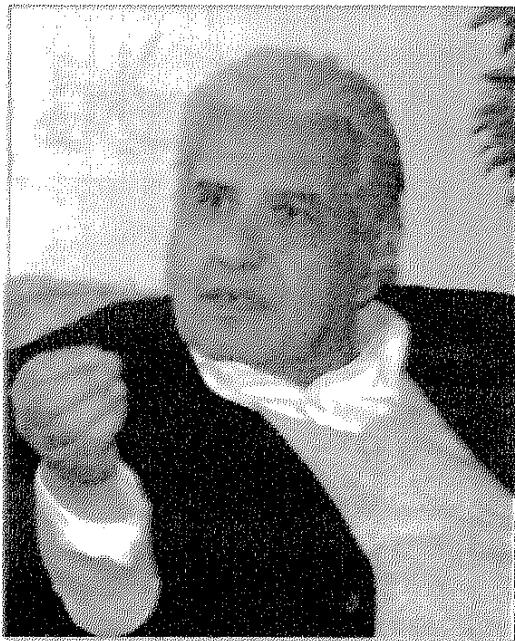
- كان أول كتاب له تأثير في حياتي هو القرآن الكريم ولا أعنى بذلك الجانب الديني من القرآن، فهذا الجانب هو جانب عام مشترك بيئي - كمسلم - وبين سائر المسلمين في كل أنحاء الأرض.

وقد كتبت في السنوات الأخيرة كثيراً عن التأثير القرآني في حياتي الأدبية والأخلاقية، بعيداً عن التأثير الديني البديهي عند كل مسلم يقرأ القرآن ويقترب منه، ولا أرى بأساً في أن أعيد بعض ما قلته عن هذه القضية في السابق، وعندما أحاول أن أراجع مطالعاتي الأولى فإني أجده صعوبة كبيرة في تذكر أول كتاب قرأتة، ولكنني لا أستطيع أن أنسى أنني في هذه المرحلة كنت شغوفاً جداً بأن أحفظ بعض سور القرآن الكريم في هذه السن المبكرة. وقد ساعدني والدى المرحوم عبد المؤمن النقاش على ذلك لأننى كنت أجده صعوبة في قراءة أي سورة من سور القرآن وحدي، وكان أبي رحمة الله شاعراً أدبياً كما كان من علماء الدين في قرية صغيرة «منية سمنود» محافظة الدقهلية (المنصورة) وكان أبي يقول لى: عليك أن تفهم أولاً قبل أن تحفظ، ولابد أن تعرف معانى الألفاظ الصعبة ثم عليك أن تقرأ قراءة صحيحة من حيث التشكيل، وهو ما نسميه في علوم اللغة باسم الإعراب، وبعد فهم الألفاظ وتشكيلها تشكيلاً صحيحاً فإن الحفظ يكون سهلاً، ولا أزعم أننى استطعت أن أحفظ كل القرآن ولكنني

موجودة فيها بل إن الموسيقى العربية نفسها - هي في ظني - لم يكن لها وجود محسوس أما الأدباء والمفكرون والشعراء فيما أروع وما أجمل وما أعمق هذه الأسماء: طه حسين، وتوفيق الحكيم، العقاد، المازنی، ذکری مبارک، الزيات، أحمد أمین، عبد الرحمن الرافعی وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم.

هذا القرن الجبار كيف نهمله كل هذا الإهمال إِنَّكَ لَوْ حَاوَلْتَ إِلَّا أَنْ تَعْثُرَ عَلَى كِتَابٍ وَاحِدٍ لَطَهِ حَسَنَ أوِ الْعَقَادِ أَوِ الْمَازِنِيِّ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَصْعَبِ الْأَمْرِ بَيْنَمَا الْوَاجِبُ كَانَ أَنْ نَجْعَلَ مِنْ هُؤُلَاءِ جَمِيعًا مِثْلَ لَقْمَةِ الْخَبْزِ مَتَاحَةً لِلْجَمِيعِ، وَخَاصَّةً لِأَبْنَاءِ الْأَجِيَالِ الْجَدِيدَةِ، فَمِنْ هَذَا التِّرَاثِ الْمُعَاصِرِ تَتَعَلَّمُ هَذِهِ الْأَجِيَالُ لِغَتِهَا، وَتَكُونُ شَخْصِيَّتَهَا الْأَخْلَاقِيَّةُ، وَتَرْتَقِي بِأَفْكَارِهَا بِعِيَادَةٍ عَنِ التَّعَصُّبِ وَالتَّطَرُّفِ وَضِيقِ الْأَفْقِ وَالسَّقْوَطِ فِي أَيْدِيِ الْجَاهِلِينَ أَعْدَاءِ الْحَضَارَةِ وَالْتَّقْدِيمِ.

إِنَّنِي أَكْرَرُ النَّدَاءَ بِأَنْ تَكُونَ لَنَا نَهْضَةٌ بِلَثُورَةٍ فِي إِعْدَادِ نَشْرِ تِرَاثِ الْقَرْنِ الْعَشِيرِ بِأَمَانَةٍ وَعَنْيَادَةٍ وَحَرَصٍ عَلَى أَنْ يَصْلِي لِلْجَمَاهِيرِ الشَّعْبِيَّةِ الْوَاسِعَةِ وَإِلَّا - وَاللَّهُ - إِنْ لَمْ نَفْعَلْ فَسَوْفَ نَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ فِي خَضْمِ الْبَحْرِ الْهَائِجِ الْخَطِيرِ لِلْحَضَارَةِ الْعَصْرِيَّةِ .



القرآن الكريم هو الذي دفعني لقراءة التوراة والإنجيل

هو على وشك الانهيار وكأنه قد أصبح كائناً حياً له إرادة، وهو يريد أن ينقض، أى أن ينهار، وهذه صورة رائعة أخرى تهز شعر الرأس، لأن الجدار وهو جماد في جماد، قد أصبح في هذه الصورة واحداً من الكائنات الحية، ولذلك تصدقني إذا قلت لك أن هذه الآية الكريمة بعد أن قرأتها وحفظتها، أشعر أن الأشياء المادية جميعها في هذه الدنيا لها روح، ولذلك ١٣ فلما لا أستطيع أن أتعامل معها على أساس أن عندها إحساساً خاصاً بها، وأن من واجبي أن أحافظ على إحساسها ولا أجرحه.

والخلاصة أنتي استفدت من القراءة المتأنية الحريصة على فهم كل كلمة وكل آية الكثير من المعرفة باللغة العربية، لا من حيث الألفاظ فقط، ولكن من حيث التذوق والتصوير الفني القادر على التأثير الكبير

حفظت بعض السور، وخرجت من هذا الحفظ المعتمد على فهم للألفاظ وصواب في نطقها، وأنا في حالة حب شديد للغة التي يمكن أن نسميها باسم اللغة القرآنية، وقد ساعدتني هذه المحبة التي تكونت عندي في بداية حياتي على قراءة القرآن كله بعد ذلك مرات عديدة، وقد يبدو غريباً أن أقول هنا: إن القرآن الكريم هو الذي يضم العهد القديم وهو «التوراة» والعهد الجديد وهو «الإنجيل»، وذلك لأن القرآن يعلمنا أن نؤمن بالأنبياء والرسل السابقين على سيدنا محمد(ص)، وما جاء في القرآن عن موسى وعيسى يرسم لهذين النبيين الكريمين صورة رائعة مليئة بالتقدير والتكرير والمحبة، ولذلك فقد خلق القرآن عندي رغبة في قراءة الكتاب المقدس فقرأته وكثيراً ما أعود إليه بين الحين والحين.

أريد أن أتحدث هنا عن جانبين من جوانب المتعة والفائدة العالية من قراءة القرآن الكريم، أما الجانب الأول فهو جانب أدبي وفني وذوقى، ذلك أن القرآن مليء بالصور الفنية الرائعة المؤثرة، وهي صور مدهشة من الناحية الأدبية الخالصة، عندما نقرأ الآية التي تقول: «ولما سكت عن موسى الغضب»، فإننا نتخيل على الفور أن الغضب له صوت زاعق داخل النفوس، وإن الغضب لا يهدأ ولا ينتهي ولكنه «يسكت»، وهذه صورة بالغة الحيوية والجمال والتأثير، وعندما نقرأ آية كريمة أخرى تقول: فوجدا جداراً يريد أن ينقض، فسوف نجد أن هذا الجدار الذي



كلها بما فيها من شعر وأدب روائي هي في وضع عام على هامش الحياة العربية الراهنة. الثقافة للأسف لا تشغل إلا هامش الحياة العربية فلا أهل السلطة ينظرون إليها نظرة اهتمام جدي ولا الجمهور يهتم بها ويقبل عليها، فقد ابتلت السياسة والهموم الاقتصادية دور الثقافة وأعادته كثيرا إلى الوراء. وفي هذا الوضع خطير عظيم على الأمة لأنه عندما تختفي الثقافة الحقيقية تحل محلها ثقافة زائفة مليئة بالخرافات والانحرافات، وتلك هي البيئة التي يظهر فيها التعصب والتطرف وانعدام الحوار والاهتمام بالشكليات والبعد عن جوهر الأمور.

وهذه الثقافة الزيانة هي ثقافة التخلف وهي التي تعوق نهضة الأمة وتقدمها. وبدون ثقافة قوية حقيقة مستنيرة نابضة بالحياة فإنه يستحيل على الأمة أن تقدم وأن تعالج مشاكلها المصعبة علاجاً صحيحاً نافعاً، فالمسألة إذن في النهاية ليست في تقدم الرواية على الشعر أو الشعر على الرواية، وإنما هي أن الثقافة الحقيقة مطرودة إلى هامش الحياة ولابد من معالجة هذا الوضع وتصحيحه إذا أردنا أن نمشي إلى الأمام، وأن نواجه تحديات الحياة، الكبيرة ونتصر في هذه المواجهة بدلاً مما هو حادث الآن من أننا ننهزم وننكسر في كل مواجهة جدية، لأننا لانملك المقومات الثقافية الحقيقة لمثل هذه المواجهة.

رؤساء مصر

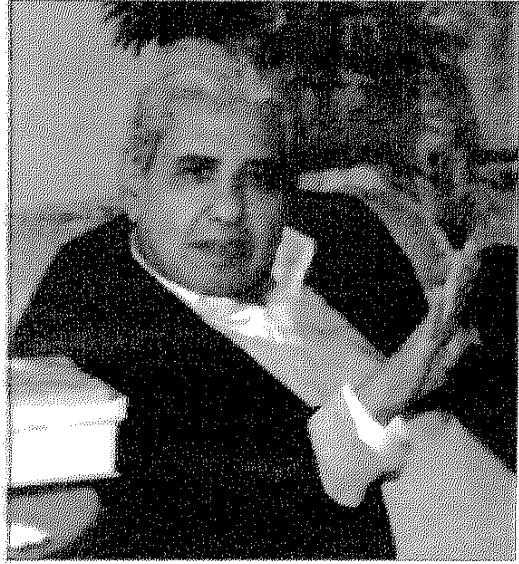
- عندى وجهة نظر قد يعترض عليها

فى النفس، ولا أتصور أن هناك من يحب الثقافة، ويريد أن يكسب لنفسه ذوقاً رفيعاً سليماً يمكنه أن يصل إلى شيء من ذلك دون أن يقرأ القرآن قراءة فهم واستيعاب من الناحية اللغوية والأدبية والأخلاقية، أما الناحية الدينية فمن البديهي أنها واجب على الجميع.

الشعر والرواية

.....□

- ما يقال الآن هو أن الزمن الأدبي
الراهن هو زمن الرواية وليس زمن الشعر.
لقد اختفى الشعراء وظهر الروائيون،
والروائيون هم نجوم الأدب الذين يسعى
وداعهم الجمهور ويحرص على متابعتهم
وهذا صحيح في الظاهر، فهناك عدد كبير
من الروائيين الذين ظهروا بعد نجيب
محفوظ وأحبهم الناس ووثقوا بهم ومنهم
على سبيل المثال وليس الحصر بهاء طاهر
وخيري شلبي وعلاء الأسوانى وإبراهيم
عبدالمجيد وجميل عطية وإبراهيم، وغيرهم
ولكننى لا أرى في هذه الظاهرة إلغاء أو
إقصاء لدور الشعر والشعراء، فما يزال
عندنا حركة شعرية قوية يغذيها شعراء
كبار خاصة إذا أضفنا إلى هذه الحركة
الشعرية ما يكتبه شعراء العامية
الموهوبون مثل الأبنودى وسید حجاب
وجمال بخيت وبهاء جاهين وغيرهم،
فالشعر موجود والرواية لم تنزل الشعر
من عرشه. والأصل أن نقول إن الثقافة



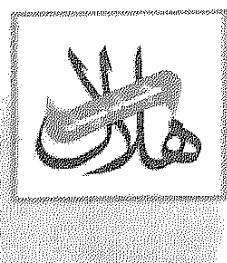
يلون ثقافة مستترة نابضة بالحياة لنتحقق التقدم والنهضة

الأزمة ولم يعرف بها الرأى العام إلا بعد أن تم حلها، وعليها هنا أن نتصور كم كان ذلك أمراً مثيراً للقلق والتوتر والتعب عند القائد المسؤول وهو عبدالناصر، وليس من الإنصاف أن يتم الحكم على أي زعيم دون دراسة ما كان يحيط به من مصاعب وعواصف من ضغوط داخلية وخارجية.

وأحب أن أضرب مثلاً آخر في عهد السادات، فقد عرفنا بعد حرب ١٩٧٣ أن مصر كان فيها خزانة فارغة توشك على الإفلاس التام قبل قيام الحرب بفترة قصيرة، وكان لابد من إخفاء هذا الأمر وتدبّير ما يمكن به أن تستمر الحياة ولو لفترة قليلة حتى يمكن للحرب أن تحقق بعض أهدافها، والحق أن هذه كانت أزمة خطيرة تحتاج إلى أعصاب قوية وصبر شديد واتساع في الحيلة لإنقاذ البلاد من الإفلاس والانهيار الاقتصادي في وقت حساس مثل هذا الوقت.

هذا مجرد مثالين للأزمات الخطيرة

البعد، ولكن، أؤمن بها وأتمنى أن يؤمن بها عيري، نـا أدعـو إـلى معـاملـة زـعـماء مـدـرـسـة درـاستـهم تـارـيـخـياً معـاملـة منـصـسة تـقـوم عـلـى الاحـترـام وـمحاـولة الفـهم الصـحـيحـ والـظـروف الصـعـبة التـى كـانـت تـحـيط بـهـؤـلـاء الزـعـماء فـي فـتـرة قـيـادـتهم، أـمـا النـظـرة العـشـواـئـية العـاطـفـية الشـخـصـية إـلـى هـؤـلـاء الزـعـماء، فـأـظـن أـنـهـا غـيـر مـوـضـوعـية وـغـيـر مـرـضـيـة، فـالـزـعـماء لـا يـتـصـرـفـون مـن فـرـاغـ وـلـكـنـهـم يـكـونـونـ مـحـاطـيـنـ دـائـماً بـظـروفـ دـاخـلـيـةـ وـظـروفـ خـارـجـيـةـ عـلـىـهـمـ أـنـ يـحـسـبـواـ حـسـابـهـاـ وـيـضـعـوهـاـ أـمـامـ عـيـونـهـمـ وـهـمـ يـتـخـذـنـ قـرـارـاتـهـمـ، وـيـعـضـ هـذـهـ الـظـروفـ تـكـونـ ظـاهـرـةـ لـلـرأـيـ الـعـامـ وـيـعـضـهاـ الآـخـرـ يـكـونـ مـعـرـوفـاًـ لـلـزـعـماءـ فـقـطـ، وـيـكـونـ مـنـ الصـعـبـ الكـشـفـ عـنـهـ لـمـ قـدـ يـتـرـتبـ عـلـىـ ذـلـكـ مـنـ نـتـائـجـ سـلـبـيـةـ..ـ وـأـضـرـبـ لـذـلـكـ مـثـلاـ بـأـنـ مـصـرـ فـيـ عـهـدـ عـبـدـ النـاصـرـ وـفـيـ لـحظـةـ مـنـ لـحظـاتـ الـأـزـمـاتـ الـقـاسـيـةـ لـمـ يـكـنـ لـدـيـهـاـ سـوـىـ مـخـزـونـ قـمـحـ لـاـ يـكـفـيـ إـلـاـ لـأـكـثـرـ مـنـ أـيـامـ قـلـيلـةـ، وـمـاـ لـمـ يـتـمـ العـثـورـ عـلـىـ حلـ عـاجـلـ خـلـالـ سـاعـاتـ قـلـيلـةـ، فـإـنـ مـعـنىـ ذـلـكـ أـنـ مـصـرـ سـوـفـ تـصـحـوـ بـعـدـ نـفـادـ المـخـزـونـ الـقـمـحـ عـلـىـ صـبـاحـ لـاـ يـجـدـ فـيـ الشـعـبـ كـلـهـ رـغـيفـ خـبـزـ وـاحـدـ..ـ وـقـدـ اـسـتـطـاعـ عـبـدـ النـاصـرـ بـجـهـدـ خـالـصـ أـنـ يـحلـ هـذـهـ الـأـزـمـةـ الـعـسـيـرـةـ بـفـضـلـ مـاـ كـانـ يـحـظـىـ بـهـ مـنـ ثـقـةـ وـاحـترـامـ عـنـ السـوـفـيـيـتـ، فـقـامـواـ بـتـحـوـيلـ شـحـنـاتـ مـنـ الـقـمـحـ كـانـتـ فـيـ طـرـيقـهـاـ إـلـىـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـيـتـ لـكـيـ تـفـرـغـ حـمـولـتـهـاـ فـيـ الـمـوـانـيـعـ الـمـصـرـيـةـ، وـلـوـ هـذـاـ الـحـلـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ سـهـلـاـ عـلـىـ الـإـطـلاقـ لـوـقـعـتـ كـارـثـةـ، وـقـدـ تـمـ إـخـفـاءـ أـنـباءـ هـذـهـ



عبدالناصر سيظل هو المشروع الأساسي للنهوض بمصر وتحقيق العدالة لشعبها. وبصرف النظر عن التفاصيل التي يمكن أن تتغير وأساليب العمل التي يمكن أن يحل محلها أساليب أخرى، فإن العناصر الأساسية في المشروع الناشرى تبقى صحيحة، ولا بديل عنها علينا، أن نتخلص من كل المشاعر الخاصة والتفكير الشخصى وغير ذلك، لكي نواصل العمل من أجل إكمال هذا المشروع .

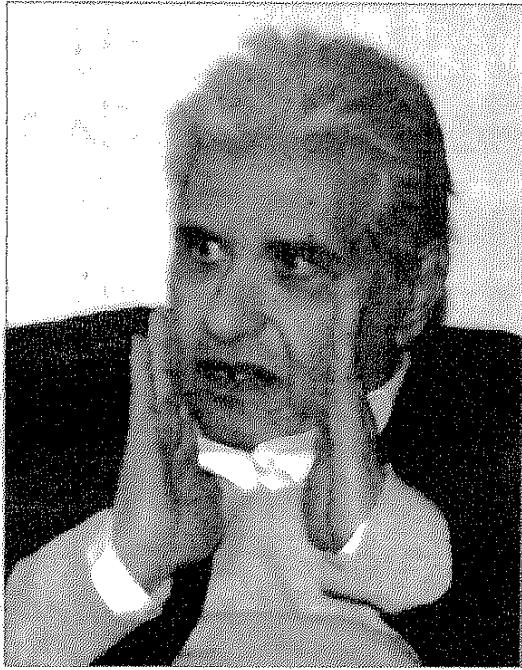
السادات نموذج آخر مختلف تماماً عن عبدالناصر. ولكن السادات هو صاحب الفضل في حرب ١٩٧٣، وصاحب التخطيط الناجح الذي جعل من هذه الحرب في مراحلها الأولى - نصراً تاريخياً لا شك فيه، فهذه صفحة مشرقة في تاريخ السادات لا يمكن تجاهلها، بعد ذلك فاجأتنا السادات بنظريته الواقعية التي تقوم على رفض الأفكار السابقة والاعتراف بالحقائق الموجودة أمام العين، وهذه النظرية فيها جوانب إيجابية لأنها تقلل من تأثير الأوهام والخيالات والأحلام على المواقف والقرارات. ولكن السادات فيما يبذلو قد بالغ في واقعيته، وأهضاف إليها «لزوم مالا يلزم». فإذا كان السادات على حق في محاولته ترميم العلاقات المصرية الأمريكية وإزالة الفيوم الكثيفة في هذه العلاقات، وعدم الاستهانة بقوة أمريكا بالنسبة لنا وبالنسبة للعالم كله .. إذا كان هذا صحيحاً، وكان السادات فيه على حق، فما الذي يدفع السادات إلى إيداء السوفيت وتوجيه الإهانات لهم في كل مناسبة بل وبدون مناسبة، فقد طرد

التي تحيط بالزعماء ولابد أنها تحكم في القرارات التي تصدر عنهم، فإذا نظرنا للقرارات وحدها فربما اعتبرنا عليها، ولكننا إذا نظرنا إلى ما يحيط بهذه القرارات من ظروف واعتبارات، فإن ذلك يكون أقرب للفهم الصحيح والإنصاف العادل .

هذا ما أدعوه إليه عند أي دراسة تاريخية، أي احترام الزعماء ودراسة ظروفهم المحيطة بهم، ولا بأس بعد ذلك من أن يكون هناك اختلاف واعتراض على بعض ما يستحق الاعتراض، ولكن بعد البحث والدراسة والتأنى في معرفة الظروف والأحوال .

أعود بعد ذلك إلى كلمات سريعة حول زعمائنا الثلاثة: عبدالناصر والسدات وحسنى مبارك .

فعبدالناصر كان زعيماً عظيماً وكان عصره مليئاً بالأحلام الكبيرة التي تحقق بعضها وانكسر بعضها الآخر. وقد كان عبدالناصر يمثل إرادة الشعب في نهضة سريعة قوية عادلة، وكان لا يتردد في عمل أي شيء من أجل تحقيق ذلك. ولأن مشروع عبدالناصر كان يعني أن تصبح مصر الصغيرة الضعيفة بلداً آخر قوياً له تأثير محسوس على المحيط الذي تعيش فيه، فقد اجتمع الأعداء لتحطيم عبدالناصر وتحطيم مشروعه، مما تجسد في نكسة ١٩٦٧، ولكن مشروع



لابد من إعادة إنتاج التراث الثقافي والفكري للقرن العشرين لأنّه قرن عبقرى في كل مجالات النهضة

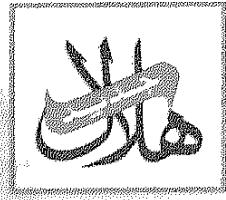
سكتيرا للتحرير أما المدير العام للجريدة فكان أنور السادات وكان رئيس التحرير حسين فهمي وكان من المعروف للجميع أن زكريا الحجاوى هو أقرب صديق للسادات لأنّه كان يعرفه منذ ما قبل الثورة وكان يعرفه عندما كان السادات مطروضاً من الجيش وقد وقف الحجاوى إلى جانب السادات بصورة قوية وسانده مساندة كبيرة في أزماته المختلفة ومن هنا كان الظن أن الحجاوى سوف يكون رجل السادات القوى في مشروع جريدة الجمهورية والحق أن زكريا الحجاوى قد ساعد مساعدة أساسية جداً في بناء الجمهورية حيث إستطاع أن يجمع لها عدداً من أفضل الكفاءات الصحفية التي كانت معروفة في تلك الفترة مثل إبراهيم موسى رئيس القسم الخارجى وإبراهيم

السادات السوفيت من مصر فى مسرحية تهدف إلى إهانتهم، وكان يمكن تحقيق ذلك دون إهانة هؤلاء الذين ساعدنَا فى أشد أزماتنا خطرًا، ثم ماهى الصلة بين تصحيح العلاقات المصرية الأمريكية وإعادة النظر فيها وبين الصداقة المبالغ فيها، والمفتعلة والتى وصلت إلى حد العشق بين السادات وشاه إيران، وما هي العلاقة بين ذلك وبين تسليع المجاهدين الأفغان وتحريضهم على السوفيت، وغير ذلك من المواقف التى اتخذها باندفاع شخصى شديد لم يكن يبرره شيء من الحكمة السياسية ولم يكن يفسره ما نادى به السادات من الواقعية، فالواقعية ليست ضد الحكم ولن يست ضد الحسابات السياسية الدقيقة. وأظن أن الواقعية على طريقة السادات ستظل لوقت طويل موضع جدل بين خصوم كثيرين وأنصار كثيرين .
أما الرئيس حسنى مبارك فأنا لا أملك أن أقول عنه شيئاً لأننى من المحبين له والمقدرین لجهوده كما أنتقى في وطنيته وإنسانيته وأنا مدین له كثيراً فلولا رعايته لى بعد محنـة مرضـى منـذ حـوالـى عـامـين لـكـنـتـ الآـنـ فـىـ عـدـادـ الموـتـىـ منـذـ وقتـ طـوـيلـ والـحـمـدـ لـلـهـ الـذـىـ قـدـرـ لـىـ أـكـونـ مـوـضـعـ رـعاـيـةـ الرـئـيـسـ مـبارـكـ وـعـنـايـتـهـ .

٥٤ سنة صحفة

.....

- أعمل بالصحافة منذ سنة ١٩٥٢، عندما اختارنى أستاذى الفنان الإنسان زكريا الحجاوى لكي أعمل فى جريدة كانت تحت الإنشاء فى ذلك الوقت وهى جريدة «الجمهورية» وكان زكريا الحجاوى



ولم نعرف للأمر سبباً واضحاً سوى ما كان يتردد من شائعات بأن هناك تقارير سرية تم تقديمها للسادات تقول له إن زكريا الحجاوي يتآمر عليه وقد صدق السادات ذلك وتصرف بناء على ما جاء في هذه التقارير العجيبة.

على أنه لم تمض سوى فترة قصيرة بعد صدور الجمهورية، حتى تعرضت أنا للفصل لأنه لم يعد في الجريدة من يعرفني أو يحميني بعد خروج الحجاوى، وكانت نفقات الجريدة قد زادت بصورة عالية جداً، نتيجة للمجاملات وسوء الإداره، وكان لابد من أن تصدر قوائم متتالية للذين يتم الاستغناء عنهم.. وكانت أنا من هؤلاء، ولحسن حظى أنه لم تمض سوى أسابيع قليلة على فصلى من الجمهورية، حتى رشحتنى أستاذى الناقد الكبير أنور المعداوي للعمل فى مجلة الإذاعة الأسبوعية، وقد عملت فى هذه المجلة مراجعاً لكل المادة التى تنشر فيها، وكان من حسن حظى أن أجده فى نفس المجلة أخي وصديقى الفنان الكبير صلاح جاهين الذى كان مسؤولاً عن إخراج المجلة، و كنت أنا وهو نشغل غرفة واحدة، وتلتقي كل يوم بصورة منتظمة ومن الطرائف التى قابلتني فى الفترة الأولى من عملى بمجلة الإذاعة أن أول رئيس تحرير عملت معه كان اسمه عبدالعزيز أحمد عرابى وهو النجل الأصغر للزعيم عرابى، وسبحان الله كان عبدالعزيز صورة طبق الأصل من والده العظيم، وكانت كلما رأيته ألهب واقفا وأحياناً مدعاوراً لأننى كنت أتخيل أن ما

عامر المحرر السياسي وعبدالسلام الشريف أمير فن الإخراج الصحفى فى تلك الفترة وغيرهم وقد اختارنى الحجاوى للعمل فى وظيفة متواضعة هى وظيفة التصحیح وکنت طالباً في الجامعة وکنت بأشد الحاجة لمثل هذا العمل حيث أن ظروفى الاقتصادية لم تكن تساعدنى أبداً على إكمال تعليمي الجامعى بدون ذلك وكان مرتبى عشرة جنيهات فى الشهر، كان لها فضل كبير على تمكنى من الاستمرار فى الدراسة وهو فضل لا أنساه لأستاذى زكريا الحجاوى بل وأقول أنه فضل لا أنساه للسادات، رغم أن السادات لم يكن يعرفنى ولم تكن لى به أية صلة، وإنما كان تعيينى في هذه الوظيفة بناء على طلب من الحجاوى. على أننى في هذه الفترة تعرضت لما أسميه أول صدمة ثقافية في حياتى ذلك أننا فوجئنا قبل صدور العدد الأول من الجمهورية بعدة أسابيع بصدور قرار تم تعليقه على مدخل الجريدة باتفاق زكريا الحجاوى عن العمل ومنعه من دخول الجريدة وقد كان هذا قراراً عجيباً وغير مفهوم لأن الحجاوى، كان صاحب الفضل الأول في تأسيس الجريدة وإعدادها النهائي للصدور وقد كان ما أصابه جزاءً ظلماً ومتناقضًا مع ما كان شائعاً لصداقته لأنور السادات وقد كان هذا القرار صادراً من أنور السادات ويتوقيعه



قصيدة النثر ثورة كبيرة في الشعر العربي وعدم استقرارها فيه خطر غير مشدود

الكثيرين لأن هذا الشخص هو مخبر يكتب تقارير سرية ضد الآخرين وقد كان مثل هذا الاتهام قاسياً جداً وكفياً بتعكير صفو حياة من يتعرض له خاصة إذا كان مثلي مجرد صحفي لا علاقة له بهذه الأمور ولا يسمح له ضميره أبداً بالمشاركة

في شيء منها، ولكن لم يكن أمامي حيلة سوى الاستمرار في العمل، خاصة أنني كنت أكتب باسم الصريح مقالات أدبية هي كل ما كنت أرجو أن يحاسبني الناس عليه.

بقيت في مجلة البوليس لمدة سنتين، ثم خضت تجربة عجيبة هي العمل في جريدة يومية كانت تصدر في دمشق في أيام الوحيدة هي «جريدة الجماهير» التي كان يرأس تحريرها الدكتور جمال الأتاسي،

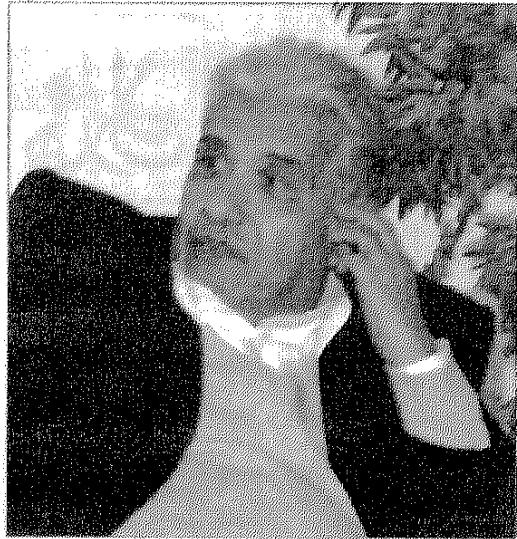
أعيشه ليس حقيقة وإنما هو وهم وخيال وكان الرجل يسعد لمعاملتي له وإن مندهشاً من شدة مبالغتي في إجلالي وأحترامي له، على أن هذه الفترة لم تطل وتغير عبدالعزيز عرابي ولم أعرف شيئاً عن مصيره بعد ذلك وجاعني رئيس تحرير جديد. وقد بقى في مجلة الإذاعة من سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٥٦ وبعد أن تخرجت من كلية الآداب في يونيو سنة ١٩٥٦ عملت في الإذاعة نفسها في قسم التمثيليات مع الأستاذ الكبير يوسف الخطاب الذي كان رئيساً لهذا القسم وقد عينتني معه قارئاً للنصوص ورغم أنني والحمد لله نجحت في هذا العمل ولفتت تقاريرى الفنية عن نصوص التمثيليات أنظار المسؤولين إلا أننى لم أستمر طويلاً في هذا العمل لظروف لا مجال لشرحها الآن وانتقلت للعمل مع الكاتب الفنان سعد الدين وهبه في المجلة التي كان يحررها في ذلك الوقت وهي مجلة البوليس. ورغم أن المجلة كانت مجلة عامة ممتازة، وكان يكتب فيها عدد من كبار كتابنا في ذلك الوقت مثل الدكتور محمد مندور ومحسن محمد والدكتور عز الدين إسماعيل، إلا أنني كنتأشعر بالخجل الشديد، لأنني كنت أعمل في مجلة تحمل اسم البوليس ولم يكن في هذا الشعور شيء ضد البوليس.. نفسه ولكن في تلك الفترة وفي السنوات الأولى من الثورة كانت قبضة الأجهزة الأمنية قوية وعنيفة. وكان الاتصال بهذه الأجهزة من شخص مدنى لا علاقة له بهذه الأجهزة وبها يشير الشك عند

انتقلت للعمل في مجلة الإذاعة والتليفزيون رئيساً لمجلس الإدارة ورئيساً لتحرير ولم يستمر بقائي طويلاً في المجلة حيث أنَّ الوزير الذي اختارني للعمل فيها وهو الأستاذ الكبير محمد فائق كان قد دخل السجن في انقلاب 15 مايو المعروف ورغم أنَّ الاعداد التي أصدرتها من مجلة الإذاعة والتليفزيون «١٩» عدداً قد لقيت نجاحاً غير محدود بين الجمهور والرأي العام الصحفى والثقافى إلا أنَّ الظروف التي أحاطت بهذا العمل كانت من الصعوبة بمكان كبير. وقد حمدت الله على أنَّى خرجت من هذا العمل دون أن يزج بي في السجن بتهمة الانتماء لـ«مراكز القوى» وهي تهمة ملفقة تعرض لها الكثيرون حيث أنَّ مراكز القوى هذه كانت هي الدولة وكان لا يمكن لأحد أن يعمل خارج نطاق هذه الدولة.

عدت بعد ذلك إلى دار الهلال مرة أخرى في أوائل عام ١٩٧٢ حيث عملت محرراً أدبياً في مجلة المصور وبقيت في عملي هذا عدة سنوات حتى تولت أستاذتي الكبيرة أمينة السعيد رئاسة مجلس إدارة الهلال فعينتني مسئولاً عن مجلة الهلال وحاوت أن تصدر قراراً برئاستي لتحرير المجلة التي كنت أنا عملياً رئيساً لتحريرها في تلك الفترة حوالي سنة ١٩٧٦، وأرادت أمينة السعيد تعييني في رئاسة التحرير بدلاً مما كان يكتب في كل عدد من عبارة «أشرف على تحرير هذا العدد رجاء النقاش» وكانت هذه العبارة تتكرر في كل عدد، وفوجئت

وقد أصبح معروفاً بعد الانفصال أنه زعيم الانفصاليين في سوريا ولكن أيام الوحدة كانت التقارير لا تنتهي ضده على أنه يتآمر على عبدالناصر ونظامه، ولذلك لم تستطع «جريدة الجماهير» الاستمرار بعد توالي التقارير السورية الأمنية ضدها وضد رئيس تحريرها، ولذلك توقفت عن الصدور في سبتمبر سنة ١٩٥٩ واضطررنا نحن المصريين العاملين فيها إلى العودة لمصر في ظروف بالغة الصعوبة فلم يكن لدينا مرتبات ولم نحصل على مكافآت ولا على أي شيء وقد امتد عملنا عدة شهور فقط هي عمر الجريدة من أبريل سنة ١٩٥٩ إلى سبتمبر ١٩٥٩، وأنذر من الذين شاركتم في العمل بالجريدة الأخوين العزيزين أحمد عبدالمعطي حجازي الشاعر الكبير وحمدي قنديل الإعلامي المشهور.

عدت إلى مصر وعملت تقريباً في كل المؤسسات الصحفية المصرية وكانت البداية في «روزاليوسف» ثم انتقلت منها سنة ١٩٦١ إلى «أخبار اليوم» وفي أول سنة ١٩٦٤ انتقلت إلى جريدة «الجمهورية» وبعد عام واحد استدعاني أستاذى أحمد بهاء الدين للعمل معه في دار الهلال ومع الأستاذ بهاء توليت رئاسة تحرير مجلة «الكوناكي» لفترة ثم توليت رئاسة تحرير مجلة «الهلال» ابتداءً من سنة ١٩٦٩ واستمر عملى فيها حتى ١٩٧١ حيث



عبدالناصر كان زعيماً عظيماً ومشروعه للنهضة لا يزال قائماً

أن المطارةة التي أتعرض لها لن تهدأ حتى أختفى من مصر خاصة وأن أبواب الرزق بدأت تضيق أمامي، فقررت أن أستجيب لأول فرصة تتاح لي للعمل في الخارج وفرضت على نفسي شرطاً واحداً التزمت به هو أنني عندما أخرج من مصر سوف أعمل فقط بمهنتي وهي الصحافة والكتابة وأنني لن أعمل خارج مصر في السياسة.. وكانت قد تلقيت عروضاً للعمل في بعض العواصم العربية، فاختارت قطر

وذهبت إليها سنة ١٩٧٩، حيث ساهمت في إنشاء جريدة الرأي التي لاتزال تصدر حتى الآن وكانت أول مدير لتحريرها وبقيت في هذا العمل سنتين، ثم انتقلت إلى رئاسة تحرير مجلة الدوحة سنة ١٩٨١، وبقيت رئيساً لتحرير هذه المجلة المهمة حتى توقفها عن الصدور سنة ١٩٨٦ ثم عدت إلى مصر لأعمل في دار الهلال وفي مجلة المصور بالتحديد ابتداءً من سنة ١٩٨٧ وبقيت في عملى في دار الهلال

أمينة السعيد بأن الرئيس الراحل أنور السادات يستدعيها ويقول لها لا تصدر قراراً بتعيين رجاء النقاش رئيساً لتحرير الهلال لأن يوسف السباعي جائع وقال لي إذا حدث ذلك فسوف أستقيل من كل مناصبى، وكان السباعي أيامها رئيساً لمجلس إدارة الأهرام ورئيساً لتحرير وقد كان السباعي يعترض أشد الاعتراض على تعييني رئيساً لمجلة ثقافية شعبية مهمة هي الهلال لأنه كان يرى أننى منحاز إلى نجيب محفوظ ضد وحقيقة أننى لم يكن في ذهنى شيء من ذلك ولم أكن أتصور أن الإعجاب بنجيب محفوظ يعني إغضاب يوسف السباعي حتى حدثت هذه القصة الغريبة فعرفت أن يوسف السباعي يحمل في نفسه مرارة تجاهى لا يمكن التخلص منها أبداً ولما كنت على معرفة بأن يوسف السباعي كان في مركز من أقوى المراكز في عصر السادات فقد علمت أن هناك فيتو سوف يظل يطاردنى ولن أستطيع التغلب عليه أو التحرر منه وكانت سنة ١٩٧٤ تلقيت دعوة من صديقى الأديب الكبير الطيب صالح الذى كان يعمل مديرًا للإعلام فى قطر للعمل فى قطر وإنشاء مجلة الدوحة ولكننى ترددت لأننى فى الحقيقة لست من الذين يحبون أن يتربكوا مصر ويعيشون خارجها.. فمهما كانت الصعوبات والمشاكل والتعقيدات فإن الحياة فى مصر هى البيئة المناسبة لنفسى، وهى التى تعطينى قدرًا كافياً من الإحساس بالأمان. ولكن عندما أحسست باشتداد الحصار حولى، أدركت

وأن يتعاملوا معه، أما أن تبقي قصيدة النثر ثورة تحطم اللغة، وتحطم الموسيقى المعروفة في الشعر العربي بجميع مدارسه السابقة، وأن تسدل بينها وبين التراث العربي ستارا كثيفا وكأنها لا هي منه ولا هو منها.. أما أن يحدث هذا فقط ولا يحدث شيء سواه، فإن النتيجة هي الدهشة والانتظار لما قد تأتى به الأيام لأن ما جرى على ساحة قصيدة النثر ليس عملا متكاملا حتى الآن وإنما هو شلال هادر لم يصل بعد إلى أن يصبح نهرا يجري بين ضفتين، ويعرف الناس معالله الواضحة ولا يخافون إن وقفوا على شاطئه أو سبحوا في مياهه أو أجرروا سفنهم على سطحه أن يكونوا من الغارقين الحالكين.

والخلاصة أنتي أرى في قصيدة النثر ثورة وأنا أؤيد الثورة التي تتحول إلى نظام ولا يمكنني أبدا أن أؤيد الثورة المستمرة بل أرى فيها خطرا غير محدود.

فريتى

.....
- هي قرية صغيرة نائمة في حضن النيل على الضفة الشرقية لفرع دمياط. وعندما أتذكر هذه القرية الآن أجده العديد من المتناقضات فهي قرية ذكية أنجبت لمصر عددا من الشخصيات العامة المهمة واللامعة وهو الأمر الذي يندهش له الإنسان عندما يفكر في هذه القرية الصغيرة الفقيرة بل المسحوقة من شدة الفقر. وأنا أتحدث طبعا عن هذه القرية حتى ما قبل الثورة وقد تركت هذه القرية

حتى انتقلت إلى الأهرام ككاتب متفرغ حيث مازلت أعمل حتى الآن.

تلك هي الملامع الرئيسية لرحلتي الطويلة خلال ٤٤ عاماً متصلة في عالم الصحافة.. والتفاصيل في هذه الرحلة لا يستوعبها سوى كتاب كامل.
قصيدة النثر

.....
- لاشك أن قصيدة النثر تمثل ثورة كبيرة جديدة في الشعر العربي والمفروض أن ننتظر من هذه الثورة خيرا ونتائج طيبة ولكنني ألاحظ - للأسف - أن هذه الثورة الأدبية التي بدأت منذ حوالي نصف قرن مازالت مستمرة إلى الآن والثورة إن استمرت لفترة طويلة بهذه الصورة ولم تتحول إلى نظام فإنها تصبح خطرا على الجميع حتى أصحابها أنفسهم وهذا هو ما يحدث مع قصيدة النثر فإنها ثورة مستمرة لم تتحول بعد إلى نظام له قواعد ثابتة، وهذا يعني أن قصيدة النثر لا تزال تعمل ما يعلمه السبيل الجارف المندفع والذي لا يبني وإنما يهدم ويحاول أن يدفع بكل شيء في طريقه إلى العدم.. فالثورة المستمرة في أي شيء هي هدم مستمر وتغيير لكل ما هو قائم. أما الثورات العظيمة حقا فإنها تضع حدأ للثورة عندما تثق بنفسها وتتمكن من سلطانها ثم تتحول إلى نظام واضح المعالم يستطيع الناس جميعا أن يفهموه



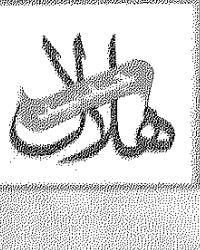
حرب أكتوبر صفرة مشرقة في تاريخ السادات لا يمكن تجاهلها

والكتابة فيها، إلا أن الكتب والمجلات والصحف كان لها انتشار عجيب في هذه القرية، ولازالت أذكر أن والدى قال لى يوماً إن قريتنا وحدها تحصل على ستين نسخة من مجلة «الرسالة» الأدبية الشهيرة، رغم أن عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة في القرية لا يمكن أن يزيدوا بائمة حال من الأحوال على خسمائة شخص، ومجلة «الرسالة» كانت مجلة ثقافية مدهشة

٢٣

وكانت تجمع بين الاهتمام بالتراث العربي والثقافة الغربية الحديثة، وكانت تحرص على أن تعرض ذلك كله في مقالات واضحة حسنة الأسلوب سليمة اللغة، ودخول هذا العدد الكبير إلى قريتي يدل على ما كانت القرية تحس به من تعطش كبير إلى الثقافة. ومن ذكرياتي في هذا المجال أيضاً أن بيتنا الصغير الضيق كان مليئاً بالكتب في كل مكان، حيث كان أبي

سنة ١٩٥١ لألتحق بالجامعة وحتى ذلك التاريخ كانت القرية تعانى من ظروف بالغة السوء فلا مياه نقية ولا كهرباء ولا مستشفى ولا حتى مستوصف ولا شارع واحد نظيف ومع ذلك أنجبت هذه القرية في ظل ظروفها الصعبة شخصيات منها محمد بدوى الخولى أحد الضباط الأحرار ومحافظ السويس البطل أثناء حرب سنة ١٩٧٣، ومن هذه الشخصيات أيضاً الدكتور محمد عبدالمقصود النادى وهو فيما أعلم أحد كبار علماء الكرة العربية وقد كان شقيقه الذى لا أتذكر اسمه الآن هو أيضاً أحد النابغين في العلوم الذرية، ومن هذه الشخصيات أيضاً فتحى البيومى الذى كان رئيساً لاتحاد الإذاعة والتليفزيون، ومثل هذه الشخصيات هي دليل على أن أرض مصر وإن تعرضت للمصاعب والمصائب قادرة على إنجاب شخصيات رائعة ذات كفاءة وقدرة عالية على القيادة والإسهام في نهضة البلاد كلها. ورغم الظروف الصعبة التي كانت هذه القرية تعيش فيها إلا أنها كانت قرية فيها نوع من التفتح الغريب، ولعل ذلك يرجع إلى قربها الشديد من بعض المدن الكبيرة مثل مدينة سمنود التي تقع على الضفة الغربية المقابلة للقرية، ومثل مدينة المنصورة التي تبعد - فيما أذكر - عن قريتي بحوالي عشرين كيلو متراً فقط، ومدينة المحلة الكبرى القريبة جداً من القرية، وبفضل هذه المدن كانت قريتنا تحس بكل ما يجرى في مصر من أحداث. وعلى قلة من كانوا يعرفون القراءة



يجري عليها كل ما يجري على البلاد من شئون وشجون ومتاعب ومصاعب، ولذلك فقد كانت القرية تئن من سلطان الاستبداد، كما كانت الأمور تجري في كل أنحاء البلاد. وكان مثل الاستبداد هو العمدة الذي كان يستمد قوته من الاحتلال أو من حكومات الأقلية، وكان يفعل بالقرية ما يشاء بشرط أن ينفذ تعليمات أسياده الذين فوقه، وقد سمعت من جدي رحمة الله قصة تكفى لشرح هذا الأمر بوضوح شديد وذلك عن العمدة الذي كان يحكم قريتنا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فقد كان هذا العمدة يعامل المواطنين أسوأ معاملة ويفرض عليهم ما لا يطيقون، ولكن يخيف الجميع فقد كان يقبض على فلاح ويقيد يديه من الخلف ويربط قدميه بعضهما البعض ثم يطلق له شعر رأسه بالموس حتى يبدو جلد الرأس بلا شعر تماما ثم يلبس الفلاح المiskin طاقية فيها بعض الخناfangs ويتركه هكذا والنتيجة أن الفلاح يموت بعد عذاب شديد ولا أدري ما هو التفسير العضوى للموت بهذه الطريقة الفظيعة، ولكن لا شك أن مثل هذا الفلاح كان يتعرض لاصدارات عصبية مستمرة نتيجة لحركة الخناfangs فوق جلد رأسه، وأظن أن مثل هذه الصدمات كانت كفيلة بأن تؤدى إلى موت مفزع للإنسان.

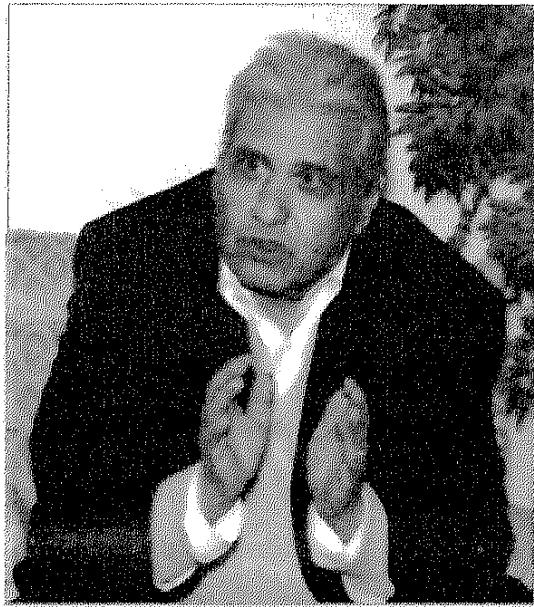
هذا العمدة بلغ حداً من الظلم لم يسبق له مثيل، وقد قال لي جدي إنه يوم أن مات هذا العمدة وتم دفنه في مقبرته وإغلاقها رأى الناس جميعاً دخاناً يتصاعد من هذه المقبرة أى أنه قد دخل

عاشاً للثقافة ينفق عليها من مرتبه القليل كمدرس إلزامي، وهو المرتب الذي لم يكن يزيد في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي عن ثمانية جنيهات.. رغم هذا المرتب الضئيل والمسئوليات الكبيرة التي كان يتحملها أبي عن والديه وأبنائه فإنه كان ينفق على الكتب والمجلات الثقافية ما يفوق قدرته فقد امتلاً بيتنا بهذه الكتب وكانت هي البيئة الثقافية الأولى التي كونتني أدبياً وساعدتني على أن تتسع آفاق المعرفة أمامي في اللغة والشعر والقصة وسائر فنون الأدب والثقافة، وأنذر أيضاً أن زميلاً لوالدي اسمه الأستاذ محب مشالى، كان من عشاق اقتناة الكتب وتجليدها تجليداً فاخراً، ولم يكن متزوجاً حتى ذلك الوقت، وكان يعيش وحده في بيته الصغير الأنثيق مع كتبه وكان رجالاً فاضلاً لا يضن بكتبه على أحد، وكانت أنا وأخي المرحوم وحيد أكثر المترددin عليه والمستعيرين من مكتبته، وكان يحبنا ويساعدنا كائناً أولاده، ومن مكتبة الأستاذ محب قرأت أول رواية وقعت في يدي لنجيب محفوظ، وهي الرواية الفرعونية «رانديس» وقد فتنتني هذه الرواية، وكانت بداية رحلتي الطويلة في حب نجيب محفوظ.

مواطنون ومستبدون

.....

كانت قريتنا خلية من خلايا مصر



أقدر جهود الرئيس مبارك وأثق في وطنيته وإنسانيته وأن أمدin له بحياتي

القرية وعبرت عن مشاركتها للعروسين ومتنياتها لهما بالسعادة. وفي صباح اليوم التالي سمعت القرية كلها بخبر عجيب وهو أن العريس الشاب قد تم ذبحه ذبحاً في سرير عروسه، ولاشك أن العروس كانت تعرف من هو الجاني ولكنها لم تستطع أن تنطق بحرف وتم تسجيل الجريمة ضد مجهول، ولم أتابع ما حدث بعد ذلك. ولعل الفتاة قد تزوجت من الثرى وأسلمت أمرها لله، ولكن فزعى مما حدث والذى مازالت له آثار باقية حتى الآن، لم يسمح لى أبداً بمتابعة أي شئٍ فى هذه القصة الدامية.

لعل مثل هذه القصة تثبت للذين لا يذلون يقولون إن ثورة يوليو لم يكن لها ضرورة، أنهم ليسوا على حق، فما كان بالإمكان أن تستمر أمور الحياة في قريتنا أو أي مكان آخر على هذا المستوى الدموي المهين لكرامة الإنسان.

٢٥

متحف
الفنون
العاشر

النار فور دخوله المقبرة ولعل ذلك كان خيالاً في أذهان الناس، ولكنه كان خيالاً يعبر عما يحمله المواطنين لهذا المستبد من كراهية وتنميات لأن يعذبه الله بما جناه على أهل القرية.

جريمة

ومنما أذكره عن قريتي في أربعينيات القرن الماضي، أن جرائم القتل كانت تقع بكثرة غير معهودة، وكانت معظم هذه الجرائم يتم تسجيلها ضد مجهول لأن الذين كانوا يرتكبونها هم الأثرياء ودخلات السلطة تحقيقاً لصالحهم المختلفة وعلى رأسها شهوتهم التي لا تنتهي للاستيلاء على الأرض الصغيرة التي كان يمتلكها بعض الفلاحين.

ولا أنسى أبداً تلك الحادثة المفزعة التي مر عليها الآن ما يزيد على ستين عاماً، ولكنني الآن ما زلت أذكرها كما لو أنها وقعت بالأمس، وهذه الحادثة تتصل بفلاح شاب أحب ابنة عمه الفلاحية الجميلة التي يادلته الحب، وقد كان أحد أثرياء القرية قد أعجبته هذه الفلاحية الفتاتنة وطلبها من أهلها لتكون زوجة ثالثة أو رابعة له، ولم يمانع الأهل خوفاً من سلطته ونفوذه ولكن الفتاة تمسكت بابن عمها، وبكت كثيراً وصممت على ألا تتزوج غير الذي تحبه وأظهرت الثرى أنه تنازل عن طلبه للفتاة مادامت غير راغبة فيه وظن الجميع أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد واستعدوا لإقامة الفرح والزواج بين الفتاة وابن عمها، وجاءت ليلة الفرح وسهرت

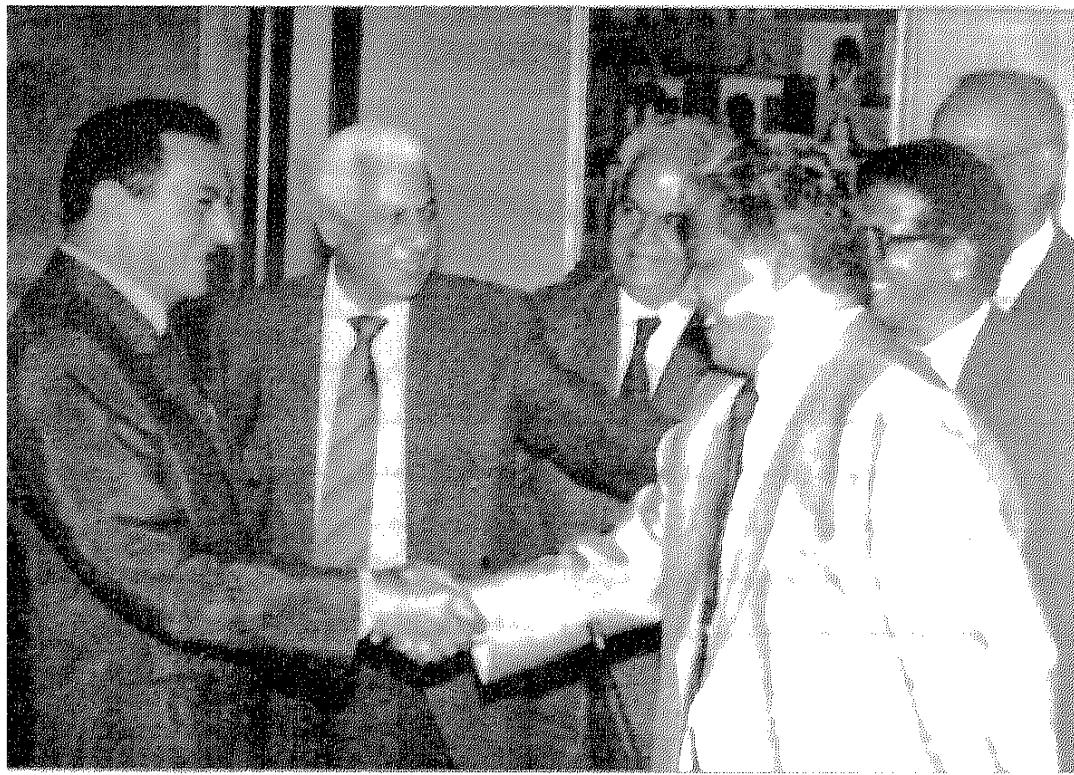


أسرة الهلال في منزل الأستاذ رجاء وزوجته د. هانيه
من اليمين محمد أبو طالب، مجدى الدقاقي، سهام وهدان، خيرى منصور، على حامد

المدرسة ونحن في المدرسة، لا نتكلّم في السياسة ولا نتصرّف على أساسها، وإنما نؤدي واجبنا تعليمياً ليس فيه تفرقة بين تلميذ وتلميذ أو مدرس ومدرس، فما كان من رجل العمة إلا أن ضرب والدى قلماً على وجهه ثم انصرف الرجل شاعراً أنه قد انتصر، وأوصل إلى أبي رسالة الترهيب والتهديد، ولكن أبي أصر في اليوم التالي على أن يذهب للمركز الذي تتبعه قريتنا والذى يضم محكمة، وأن يرفع قضية على رجل العمة وفوجئ الرجل بذلك، فلم يكن متعمداً على هذا النوع من المعاملة. ولم يحدث من قبل قط

القانون ضد الاستبداد

كان أبي وقدياً عن حماس واقتتاع، وكان أنصار الوفد في تلك الفترة معرضين للمطاردة والاضطهاد، وذات يوم ذهب أحد رجال العمة إلى المدرسة التي يعمل فيها والدى قاصداً إرهابه واتهامه أن وفديته سوف تؤدي به إلى أن يدفع ثمناً غالياً، لأن معنى الوفدية في القرية أن يكون الوفدي ضد العمة، ووقف والدى بشجاعة كاملة كانت معروفة عنه في وجه رجل العمة، وقال له لا حق لك في أن توجه لي هذا الكلام، وأنا أؤدي عملى في



الرئيس مبارك يصافح الأستاذ رجاء النقاش وبينهما الأستاذ مكرم محمد أحمد
ويظهر في الصورة الأستاذان منع الصلح ومصطفى نبيل - القاهرة ١٩٩٢

وحضر مع بعض أعيان القرية إلى بيتنا
المتواضع، وأمام الجميع قدم اعتذاره وقبل
رأس والدى وقد تقبل الوالد الاعتذار
٢٧ وتنازل عن القضية، وقد استقر فى ذهنى
وأنا أشاهد هذا كله أن القانون هو سلاح
قوى ضد الاستبداد، ولكن من يعرف ما
هو القانون سوى المتعلمين غير الأميين
الذين استثارت عقولهم ببعض الأنوار
الثقافية، ومن هنا كان التعليم وسيلة
لمعرفة القانون، وكان القانون وسيلة لمقاومة
الاستبداد.

مجلة المثقف

في القرية أن رفع أحد قضية على العدة
أو أحد رجاله، حيث كان هؤلاء يفعلون ما
يشاون دون أن يحاسبهم أحد، وقد فزع
رجل العدة من هذا الإجراء القانوني،
حيث أن الحكم ضده كان لا مفر منه،
فهناك شهود على الواقع، كما أن الواقع
قد حدث أثناء تأدية أبي وظيفته الرسمية،
وقد كان الحكم ضد رجل العدة كفيلاً
بإبعاده عن منصبه وهو أمر يفرز له
أصحاب السلطان في القرية، وسرعان ما
تحول هذا المستبد المغزور الواثق بنفسه
وسلطته إلى خائف مرتعد، لا من أبي
ولكن من القانون، فسعى للصلح مع الوالد



البراعة والعنف

د. صلاح فضل □

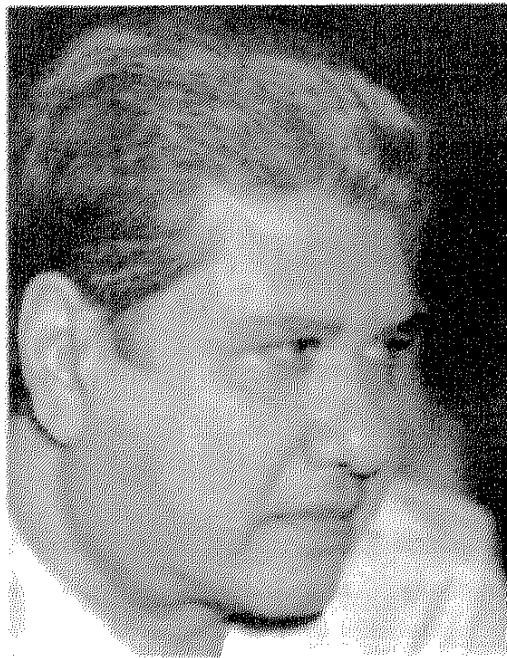
صانه من التميز الساذج والاندفاع وراء الهوى الشخصى فى الدرجة الأولى هو براعته من العمى الأيديولوجي الذى كان سائدا فى أوساط المثقفين من اليسار المصرى، فى العقود الوسطى من القرن العشرين، فكم ضلل هذا العمى كبار النقاد وجعلهم يخطئون في النبوءة ويقدمون من لا يستحق التقدير بالرغم من ثقافتهم العالية وإخلاصهم الشديد، لكن احتکام رجاء النقاش إلى وجданه الوضيء وضميره الفنى، وضعه في زاوية الرؤية الصحيحة لمستقبل الإبداع، ومكنته من احتضان الكتابة بعشق وحنان ودأب، وأتاح له فرصة امتلاك نعمة إذا فقدها الناقد - اختلت البوصلة في يده، وهي الإصابة في معرفة أقدار الكتاب، ونصيبهم من الإبداع، مهما كانت علاقته الشخصية بهم ، وجعله في نهاية المطاف قادرا على الإسهام الفعال في صناعة استراتيجية الثقافة العامة.

بيد أن هناك نعمة أخرى ظفر بها رجاء النقاش، وتفادى ما تضمنه من نعمة، وهى براعته من التقدّر الأكاديمى الذى سقط فيه كثير من أساتذة الأدب والنقد، عندما سجنوا أنفسهم داخل

إذا كان النقاد عادة هم قضاة الفكر الأدبى، ورعاة العدالة الثقافية، المسكون بميزان الإبداع، فإن تاريخهم يحفل عادة بأحكام القيمة، والزمن والجمهور وتطور الاتجاهات درجات لاستئناف هذه الأحكام أو نقضها، وتمحیص مدى نزاهتها أو مصداقيتها ، فإذا خرج الناقد من كل ذلك بريئا من الهوى، بصيرا باقدار الناس، عزيز الثقة بمستواه، وترسخت قيمته في ضمير قرائه على مدى الأجيال المتعاقبة.

ورجاء النقاش الذي تميز بنبوغه المبكر في مجال الكتابة النقدية، وهي عادة تتطلب نضجاً متمهلاً واستحضاراً بطيئاً، بهر قراءه بعين الصقر التي يمتلكها منذ صباه، فقد كان موهوباً في اكتشاف المواهب الكبرى والتنبؤ بمستقبلها الواعد، سواء كان ذلك في الشعر أو الرواية، وليس أدل على هذه المقدرة الفذة التي صدقتها الأيام من اسمى محمود درويش والطيب صالح وغيرهما، ولعل نشأة رجاء في أسرة حافلة بالإبداع والذكاء المبكر من الرجال والنساء - أن تكون عاملاً مؤسساً لهذا الوعي الناضج والرؤى الشاقبة، لكن ما

٢٨
٦٣
٦٤
٦٥



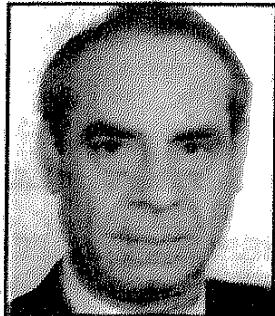
كان ذلك خلال رئاسته لتحرير الهلال أو تخييقه لتيار عارم من الإبداع الصحفى والأدبي فى مجلة الدوحة التى تعتبر من أنفس ما عمر الذاكرة العربية من مطبوعات ثقافية، قد أسهمت فى مضاعفة دوره فى مجال الفكر والكتابة، حتى أصبح اسمه يتوجه بالتعرف والعطاء النبيل، المشرف فى فلك التاريخ والتأصيل، مما جعله يحقق فى نهاية الأمر إحدى أجمل رسالات الخطاب النبدي فى حمل قارئه على عشق الفن والأدب والثقافة .

احتفظ رجاء النقاش - عبر مسارات متقلبة عنيفة فى الحركة والعمل - بقدر عظيم من التوازن ، محافظاً على طابعه الطفولى البرئ حتى وهو فى شيخوخته، فجعل من النقد الصحفى منبراً لتأكيد القيم العظمى فى الوطنية والحق والخير والجمال، الأمر الذى جعل من كتابته منبعاً ثراً للمنعة الراقية ونموذجاً بديعاً للتواصل الجمالى الخلاق مع قرائه ومربيه.

أسوار الجامعات والمعاهد العلمية، فحرموا من الإنصات لنبرض الواقع الحى والكفاءة فى قياس حرارته وجمالياته، وقد ذكر بشيء من الأسى بعض المناوشات الخفيفة التى قامت بينه وبين هؤلاء الأساتذة، وكيف خرج منها منتصرأ مؤمنا بررسالة الفكر النبدي فى التدوير والتحديث والتقدم دون تعصب أيديدولوجي أو تقدّر أكاديمى ممقوت.

لكن نقطة الضعف التى حالت بين رجاء النقاش وتصدره مشهد النقد الأدبي بعد مندور ولويس عوض - وقد كان مؤهلاً لذلك - أنه لم يعبر مهنة الاتصال المباشر بالثقافة الغربية فى إحدى عواصمها الكبرى، ولم يتقن بالقدر الكافى إحدى لغاتها باعتبارها منفذ للتواصل الخالق مع روح العصر والحضارة المجددة له، فظل معلقاً بما يقدمه الآخرون من ترجمات دون أن يصنع بنفسه أو يعجن بيديه فطيرته الخاصة، معتمداً على فطرته ويقظته فى التقاط ما يوجد به الآخرون، وقد ترتبت على ذلك فى فترة السبعينيات المفصلية فى تاريخ الفكر النبدي العالمى أن خرج صديقنا من دائرة القيادة للفكر النبدي العربى مع كفاءته العالية فى ممارسته، ولم تشغله مشكلة المناهج المتغيرة، فاكتفى بمزاجه الشخصى وثقافته الموسوعية ونضارته حساسية فى تلقى الأعمال الإبداعية وإضاعتها بمقارباته الواعية .

على أن إنجازات رجاء النقاش فى مجال الصحافة الأدبية والثقافية، سواء



شواذ قلائل في الأفق

د. عبد المنعم تليمة □

الراهن - فقد ورث عن رواده وحمل الألوية ووعى التوجيه: تعلموا منا ولا تتزموا بنا . يجري ذلك في شروط تاريخية جديدة متتجدة من التقدم العلمي والتكنى والتعقد المنهجى والفلسفى والتدخل بين المذاهب والتأزير بين الفنون والتحاور بين الأبنية الإيديولوجية والثقافية والقومية والحضارية .

ونقف هنا — في النهضة الحديثة والمعاصرة — عند حقل الإبداع الأدبي والقدي . وسيجد مؤرخ هذه النهضة أن قسم اللغة العربية وأدابها بجامعة القاهرة قد نهض بدور بارز في ريادة حركات تجديد الإبداع وضبط قواعد الدرس الأدبي ومناهج النقد . خرج مؤسسو القسم وعلماؤه، طه حسين وأحمد أمين وأمين الخلوي ، أعلام النقد الجديد — محمد مندور ومن حوله — وأعلام محققى التراث ومؤرخى الأدب — شوقي ضيف وبنى الشاطئ ومن حولهما ، وأعلام درس الأداب المحلية والشعبية — سهير القلماوى وعبد العزيز الاهوانى وعبد الحميد يونس ومن حولهم — وخرجوا النابهين من المبدعين والنقاد من هذا الجيل الرابع الراهن ، صلاح عبد

بدأ الجيل الرابع من طلائع النهضة المصرية الحديثة ينشط حول منتصف القرن العشرين ، وأخذ ينضج ويؤثر عبر العقود إلى يوم الناس هذا . وقاعدة النهضة التحديد والتعقيل، الإحياء والتجديد ، الموروثات المتواترة والمؤثرات العصرية . وكانت لدى الأجيال الثلاثة الأولى الرائدة مفهومات لكل ذلك، تتفاوت في البيان والوضوح لكن عمومها كان موجهاً : غلت لدى الجيل الأول — رفاعة الطهطاوى ومحمد عبد — الموروثات الدينية والروحية والشرعية والفقهية وجدلية التقليدية والعقلية ، وغلت لدى الثاني أحمد شوقى وأحمد لطفى السيد وطه حسين- الموروثات الأدبية والإبداعية وجدلية الوجدانية والعقلية والإحياء والتجديد ، وغلت لدى الثالث — مصطفى عبد الرزاق وأمين الخلوي وذكى نجيب محمود — الموروثات الفكرية وجدلية التحليلية والمنهجية . وتحيط بعمل الأجيال الثلاثة قضايا تحرير الوطن وإقامة الدولة المدنية والاتصال بعطايا الثقافات الحديثة وأصنفاع نهج المحاورة والتعددية الفكرية والسياسية . وأما هذا الجيل الرابع —

٣٠

شواذ
قلائل
في الأفق

□ كاتب وأستاذ جامعي



٣١

يحمل أشواقا إنسانية رفيعة وهموما اجتماعية مائة وصلات وروابط أسرية مباشرة ، ورجاء النقاش أكبر أخوه وأخواته ، فصار بينهم الرائد والأستاذ . اتجهوا جميعا - حبا له وتأثرا به - إلى نفس الحقل وتفرقوا — برعايته — في مجالات الإبداع والتفكير والتعبير : كنا — وحيد النقاش وأنا — من مواليد نفس السنة ومن خريجي نفس الكلية ، هو من قسم اللغة الفرنسية وأنا من قسم اللغة العربية . كنا في سنوات الطلب صديقين حميمين ، ولما تخرجنا اتفقنا

الصبيدر وشكري عياد وعز الدين إسماعيل ورجاء التقاش ومن حولهم . في الأربعينات والخمسينات اتسعت دائرة التعليم المصرى الحديث اتساعا هائلا ، وسعت الطبقات الفقيرة والفئات الصغيرة من البرجوازية إلى الدفع بولادها وبناتها إلى هذه الدائرة . وتنتمي الأجيال المصرية الفاعلة بعد الحرب العالمية الثانية إلى هذه الفئات ، ولهذا كانت أكثرية أبناء الجيل الرابع من طلائع النهضة ترجع إلى أصول اجتماعية متواضعة مجاهدة . كان الواحد منهم

(أخي رجاء محب للتأمل ، وهو فضلاً عن ذلك حكاء من طراز فريد وشوقه للمعرفة بلا حد .

ولأنما وقفت عند هذا الجانب) الشخصي) لأنني أرأه - ومعي كثيرون - واحدة من القرائن المبكرة الدالة على التكوين النفسي والروحي والأخلاقي والاجتماعي ، وهو التكوين الذي نضج ونما وتبدى في شخصيته العامة مفكراً مسؤولاً وناقداً جاداً .

كان الناقد — ولا يزال — طرفاً ملماحاً في المنازلات والمعارك الفكرية المشهودة في أفاق الهوية المصرية والحركة القومية والثقافة العربية . ونهض بدور ثابت في تأسيس الصحافة الأدبية والفنية ، ورأس تحرير أعرق الدوريات العربية الثقافية ، أبرزها (الهلال) . لكن منجزه الساطع الباقى في حقل النقد الأدبي ، وهو في هذه الساحة من أعمال السباقيين إلى التقديم والتقويم ، قدم الطيب صالح (موسم الهجرة إلى الشمال) ومحمد درويش (شعراء المقاومة) وأول دواوين أحمد عبد المعطي حجازي (مدينة بلا قلب) ، وتابع أعمال الجدد من الشعراء وكتاب الرواية والمسرحية والقصمة القصيرة . اتصل رجاء الناقد اتصالاً حميمًا بانتظار الأجيال الثلاثة التي سبقته وعلمه . وكان أعلم تلك الأجيال قد تفتحوا — بأسالة على الأصول التي أمرها العلم الحديث في تحديد البنية الثقافية والعوامل

على دراسة اللغات القديمة ، اليونانية واللاتينية . ومضيت في هذا الأمر ومضى هو إلى جوار ربه . وتخرجت فريدة بعدها بعامين ، في نفس الكلية ، قسم اللغة الإنجليزية ، وسعت سعيها النشط في العمل العام حتى احتلت مكانها في الصفوف الأولى من الكتابة الصحفية اليقظة والنقد الأدبي المسؤول . ودرست أمينة — بacademy الفنون — الأدب المسرحي والنقد الأدبي وتوفرت على الكتابة في التحليل السياسي والنقد الاجتماعي . وأما فكري فله كتاباته المسرحية الموهوبة . وحمل الأخيرة والأخوات كل الحب والوفاء لرائدتهم ورعايهم . فلما بلغ رجاء السبعين — أطال الله عمره — كتبت فريدة إليه رسالة عنده (الهلال ، أكتوبر ٤ ٢٠٠٤) :

(أذكر الآن جيداً الكلمات الأولى للرسالة التي كتبتها له حين سافر إلى القاهرة عام ١٩٥٢ ليلتحق بالجامعة . وكنا ما نزال في قريتنا (منية سمنود) دقهلية قبل أن نشد رحالنا إلى العاصمة حتى نكون إلى جواره وندخل على الجامعة تباعاً، نحن الأشقاء الثمانية من الأسرة الريفية المستورة بالكاد ، والتي وجدت من التعليم قارب نجاة سيره أبي المدرس والشاعر عبد المؤمن الناقد رحمة الله بمهارة وتفان .

(كان أول من أعطاني كتاباً ، قال خذى واقرئى فلم أكف عن القراءة أبداً بعدها .



لويس عوض



محمد مندور



زكي نجيب محمود

مراحل تطور الأدب العربي في عصر نهوضه الحديث : مرحلة الأحياء ومرحلة التجديد ومرحلة المعاصرة . وأما لويس عوض فقد بنى عمله النقدي على مقوله (الفكر) . نظر عوض إلى العمل الفني من جهة أنه (محظى) فكري، وراح يفتش في الأعمال الأدبية ، قديمة وحديثة عربية وعالية ، عن العقائد والملل والنحل والمذاهب والفلسفات والأيديولوجيات .

يصدر رجاء النقاش في عمله النقدي عن الجوهر المشترك في تلك المقولات والأصول مع التزود الدائب بالجديد في المذاهب والمناهج وطرائق التعبير ، وهو — النقاش — على الحقيقة من أصحاب ما سماه الرواد(المنهج التاريخي الاجتماعي) الذي يعتمد بالتفصي والروحي والفكري ثمرات لعوامل تاريخية اجتماعية ثقافية ، والذي يستند — في التطبيق والتعامل مع الأعمال الأدبية والفنية — إلى ذائقـة جمالية مدرية وتخلص الانطباعية النقية من الذاتية والهوى .

٤٣

جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية

التاريخية الاجتماعية الفعالة في تكوينها وتطورها ، وفي درس الفن ونقد الأدب : جعل طه حسين الإبداع — فكرا وفنا وأدبا — مرأة لعصره ، وبقيت معالجته التطبيقية في هذا الضوء منذ الجاهليين والإسلاميين إلى معاصريه من الاحيائين والمجددين والرومانسيين . وجعل أمين الخلوي الإبداع ثمرة لبيئته ، مؤكدا جدلية الاجتماعي والطبيعي ، حتى تحقق سعيه بإنشاء كرسى الأدب المصرى الذى صاغ له بيانا فكريأ شهيرا فى (الأدب المصرى، فكرة ومنهج) سنة ١٩٤٣ . أما محمد مندور فقد توجه إلى إعمال مقوله المجتمع). لقد رأى أن الفن يعبر عن المجتمع ، فناته وطبقاته وصراعاته وتناقضاته وعلاقات حاكمه بمحكميه ومستويات تطوره الثقافي . ودرس مندور الأدب العربي الحديث في هدى كل ذلك ، وخاصة في كتابه الشامل (الشعر المصرى بعد شوقى) الذى أخرجه فى ثلاثة أجزاء صرف كل جزء منها لمرحلة من



رَجَاءُ الصِّدِيقِ وَرَجَاءُ النَّاقِدِ

أحمد عبد المعطي حجازي □

رجاء النقاش يحب ويكتب بكل كيانه، وهذا ما قصدته وأنا أتحدث عن التزامه. الالتزام الذي قصدته ليس الالتزام السياسي أو المذهبى الذى كنا نتحدث عنه فى الخمسينيات والستينيات، وإنما هو هذا الالتزام الثقائى الذى يندفع إليه الإنسان للوقوف إلى جانب القيم التى يقدسها حين يراها مستباحة أو مهددة.

هكذا يعلن رجاء النقاش فى التمهيد الذى قدم به كتابه الأول «فى أزمة الثقافة المصرية» الصادر فى يناير عام ١٩٥٨ عن دار الأداب فى بيروت أن كتابه ليس مجرد كتاب، وإنما هو «محاولة لمساهمة فى عملية المراجعة التى تهدف إلى التغيير والتبدل، ومن هنا فلم يكن تاريخ الحركة الثقافية فيه مستقلاً عن تاريخ الحركة الاجتماعية».

ورجاء فى هذا الكتاب كما هو فى كتبه جميراً ناقد متخصص يناصر من يحبهم، ويحب من يدافعون مثله عن «الإنسان فى معركة البقاء» كما يقول عن محمود أمين العالم ومعبد العظيم أنيس. وقد استطاع صلاح عبد الصبور أن يكشف فى كلمته الجميلة التى ظهر بها غلاف هذا الكتاب عن العلاقة الحميمة بين

أنا متلهب متثير لا أدرى من أين أبدأ حديثى عن رجاء النقاش. من رجاء الصديق أم من رجاء الناقد؟ لكنى أتمالك نفسى، وأضبط عواطفى، وأكتشف أن الناقد والصديق واحد فى رجاء النقاش. فرجاء يكتب لأنه يحب موضوعه وينفعل به. وهو يحب لأنه كاتب حقيقى ملتزم، لا يستطيع أن يكون لا مبالياً، ولا يستطيع أن يكون محايضاً فى الصراع القائم الدائم بين الخير والشر، أو بين العدل والظلم، أو بين الجمال والقبح، أو بين الحرية والعبودية.

الحب مفتاح المعرفة

رجاء النقاش خلق ليحب ويكتب. أعنى ليتتصر للخير والعدل والجمال والحرية. ولاشك أنه وجد نفسه فى الكلمة التى قالها الروائى资料français رولان عن الكاتب النمساوى ستيفان زفایج، ونقلها عنه رجاء وهو يتحدث عن هذا الأخير فى كتابه «أدباء وموافق» الصادر عن المكتبة العصرية فى لبنان: «يقولون إن الحب هو مفتاح المعرفة، وهذا صحيح بالنسبة إلى ستيفان زفایج، ولكن العكس صحيح أيضاً. إن المعرفة مفتاح الحب. إنه يحب بالعقل، ويفهم بالقلب».

البورتريه للفنانة نيفين إمام

بطلن الكل، ولا يخاف. إن الفجيعة في قلبه تصبح حياة ومحبة وشهوة لإصلاح العالم».

هذه الروح هي التي قادت رجاء النقاش إلى الأسماء التي اهتدى إليها

الحياة والكتابة عن رجاء النقاش. يقول صلاح: «إذا كان بعض الناس يعبرون الحياة، وبعض الناس يعيشونها، فإن رجاء يعياتها. يحمل رجاء في قلبه الفجيعة دائماً، ولكن لا يبكي، ولا يعلن



رَهْلُوا الصَّوْرُ .. رَهْلُوا النَّاقَرُ

قبل غيره، وكشف عنها قبل غيره، وأتاح لها أن تنمو وتزدهر وتنال اعتراف الجميع.

لقد كان رجاء أول من بشرنا بالروائي السوداني الكبير الطيب صالح، وبالشاعر الفلسطيني المبدع محمود درويش، وكان أول من قدم لنا الديوان المخطوط للشاعرة المصرية التي انطفئت قبل الأوان ناهد طه عبد البر.

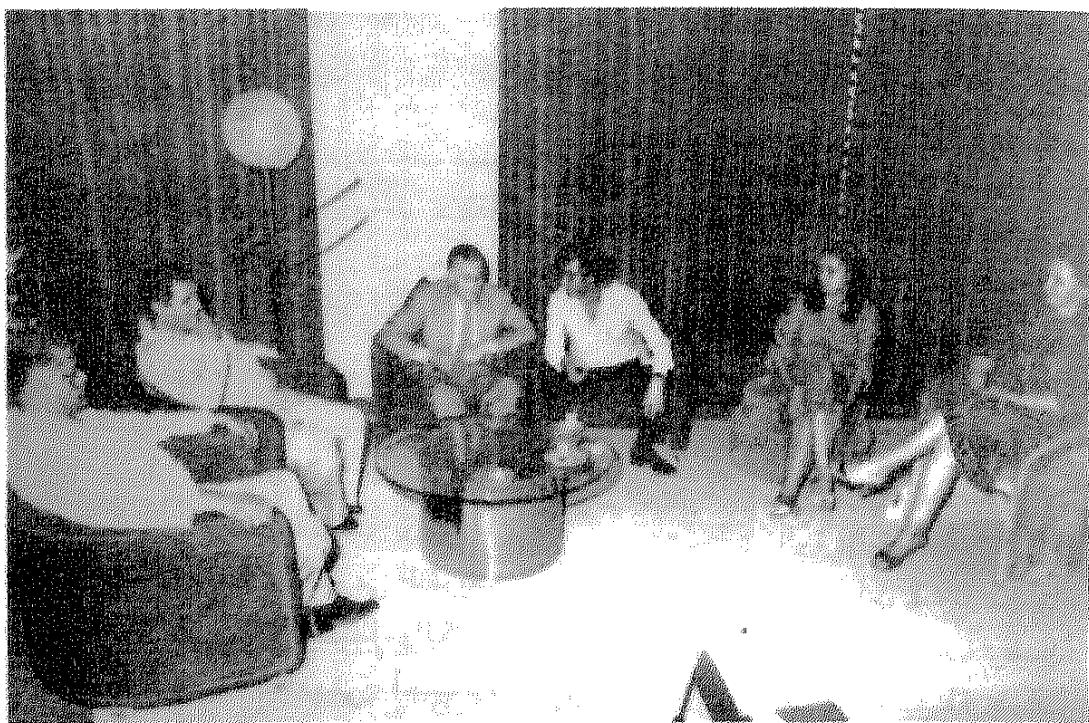
وهو في حديثه عن الذين قدمتهم لقارئه يلتفت ويلفت القراء معه إلى قيمتين جوهريتين يضعهما دائمًا في المقدمة: الصدق، والجمال.

كان يشده إلى هؤلاء الذين كتب عنهم أنهم يقتعون بموهبة حقيقة تمنحهم هذا الجمال الذي يفتننا في المهوبيين. وكان يشده إليهم أيضًا أنهم متألون محرومون من حق طبيعي أو من ظروف ملائمة، لكنهم يقاومون عجزهم بالموهبة، ويصارعون بها الظروف الصعبة التي تحيط بهم وتحرمهم من الشعور بالطمأنينة ومن الفرح بالحياة. وفي هذا الصراع الأليم تتوثق الصلة بين الإبداع والحياة تتألق مواهبهم ويتجسد صدقهم فيما يقولون وفيما يفعلون.

ولقد وقف رجاء النقاش بإجلال واحترام أمام طه حسين الطفل الضرير الفقير الذي ارتفع فوق عذابه وقاد المصريين والعرب جميعاً إلى النور. وأمام العقاد الذي حرمه الفقر من التعليم المنظم، لكنه أotti من الإرادة ومن

الكبراء ما صار به الشاعر العبقري والكاتب الجبار. ووقف أمام عبد الحميد الديب الشاعر الموهوب والصلعول البائس. ووقف أمام تولستوى الذى منحه الله الموهبة وجمال العقل والشعور، لكنه كان دمياً إلى الحد الذى دفعه وهو شاب إلى التفكير فى الانتحار. ووقف رجاء أمام والده عبد المؤمن النقاش متذكرة « تلك الأيام الصعبة التى كنا نعيش فيها فى قريتنا «منية سمنود» حيث كنت تستعين على متاعب الأيام بقراءة الكتب، وكتابة الشعر فى مدح الرسول الكريم وفي حب الطبيعة وفي شکوى الزمان. ولم نكن نجد فى قريتنا البعيدة فرصة لنشر قصائدك الجميلة، حيث كانت صحف تلك الأيام تنظر إلى القرية على أنها عالم مجهول ومنسى ولا أهمية له.. ومن أيامها تعلمت منك أن الأدب حب وجihad وصدق فى معاملة النفس والحياة. وتعلمت منك أن الأدب مثل الدين يقتضى الكثير من التجرد والبعد عن الإغراءات السهلة». وأرجو ألا تكون متطفلاً إذا تحدثت فى هذا السياق عن علاقتى برجاء النقاش، فهو تجربة من تجاربه العديدة فى محبة الفن ومحبة البشر. وربما تميزت عن غيرها بعض الشئ، فقد أتيح لي فيها أكثر مما أتيح للأخرين.

رأيت رجاء النقاش لأول مرة فى أواخر عام ١٩٥٥ ولم أكن أعرفه من قبل، ولم أكن قرأت له شيئاً. كنت فى العشرين من عمرى، حدثت عهد الإقامة فى القاهرة، أعيش فى البطالة ولا أملك من حطام الدنيا إلا الشعر الذى لا يفنى كما



مع محمود درويش ويسين الشريفي ود. هانيه وليس - الدوحة ١٩٨١

السيدة زينب لصديقين من أبناء القرية
يطلبان العلم في الأزهر ودار العلوم،
ويسكنان معاً في شقة صغيرة أبدياً
استعدادهما لاستضافتي أول قدومي
للقاهرة، ونسخة من الثاني عشر من مجلة
«الرسالة الجديدة» الصادر في مارس
١٩٥٥ وفيه القصيدة الوحيدة التي كانت
قد نشرت لي حتى ذلك الوقت «بكاء الأبد»
بالإضافة إلى كراسة تضم ما كنت نظمته
حتى ذلك الوقت، وكان حوالي عشرين
قصيدة تمثل مرحلة الانتقال من البحث
عن الشعر إلى الوصول إليه، ولهذا لم
أنشر منها إلا نحو أربع قصائد، واعتبرت
الباقي ذكريات شخصية تستحق أن اعتز
بها وحدي، ولا تستحق أن تنشر على
الناس.

بهذه الهيئة ذهبت إلى قهوة عبدالله
التي قيل لي إنها تقع في ميدان الجيزة،

يفنى المال ولا يغنى عنه شيء؛ ففي ذلك
العام أنهيت دراستي في مدرسة المعلمين
بشبين الكوم، لكن أجهزة الأمن
اعتبرت- ولها الشكر الجزيل! - على
تعييني مدرساً بعد أن اعتقلتني في العام
السابق إثر قيادتي مظاهره طلابية
اعتبرتها هذه الأجهزة معادية للنظام
ال العسكري الذي قمع الحركة الشعبية التي
تفجرت في مارس عام ١٩٥٤ وطالبت
 بإعادة العمل بالدستور وعودة الجيش إلى
 ثكناته.

البحث عن الشعر

حاولت العثور في قريتنا على عمل في
إحدى المدارس الخاصة لكنى لم أوفق،
فلم يبق أمامي إلا أن أجرب حظى في
العاصمة التي رحلت إليها صفر اليدين
من كل زاد ومن كل متاع إلا جنيهات
قليلة زودنى بها والدى، وعنوان في حى

رَهَابُ الْقَسْوَرِ، رَهَابُ النَّاقَةِ

الجديدة فحسب، ولم يكن هو الذي يرسلها إلى مجلة الأداب التي كان يراسلها في ذلك الوقت لتنشر فيها إلى جانب قصائد صلاح عبدالصبور، والسياب، ونماذج الملائكة، ونزار قباني وكفى، وإنما كان رجاء أقرب من أحدهم عن نفسي، وكانت أقرب من يتحدثهم هو عن نفسه. وهو لا يقرأ قصائد ويستك، وإنما يقرأها للأخرين ويحدثهم عنها وعنى. وهو يناقش أفكارى وينبهنى لما قد يجده فيها من سذاجة أو خطأ.

كان أكبر مني بعام، قارئاً نهما، تتلمذ على أيدي طه حسين، وأحمد أمين، وأمين الخولي، وعاش حياة حافلة بالصراع حافلة بالتجارب التي شهدت عقله، وأرهفت ذوقه، وأيقظت ضميره. كانت الفجيعة تحول عندهـ كما قال عنه صلاح عبدالصبور، إلى حياة ومحبة وشهرة لصلاح العالم.

فرد من أسرته

أصبحت علاقتنا شرطاً من شروط حياتي وربما أصبحت كذلك بالنسبة له. كائي صرت فرداً من أفراد أسرته الذين ربطتني بهم العلاقة التي ربطتني بهـ فوالده والد، وشقيقه وحيد، وشقيقته فريدة شقيقان. وعن طريق رجاء تعرفت على العالم الذي يتحرك فيه زملاؤه في الجامعة، وعارفه من الكتاب والشعراء والصحفيين الذين كان يعمل معهم وأصبحت أعمل معهم أنا أيضاً. فقد توسط لي أنور المعاوى لدى صديقه مرسي الشافعى الذى كان يعمل مديرًا لتحرير «المصور» من أجل أن يجد لي

وإنها المكان المفضل للناقد المعروف أنور المعاوى الذى كنت أتابعه بشغف منذ أصبحت قارئاً منتظمـاً لمجلة «الرسالة» رسالة الزيارات. وفي قهوة عبدالله تعرفت على عدد من الأدباء الذين كانوا يواظبون على حضور ندوة المعاوى التي كانت فى حالة انعقاد دائم كل مساء، ومنهم الدكتور عبدالقادر القط وعبدالمحسن طه بدرـ الدكتور فيما بعدـ وزكريا الحجاوى، والمحامى الشرعى الظريف عبدالحميد قطامشـ أحياناً، والكاتب الساخر محمود السعدنىـ أحياناً، والشاعر محمود حسن إسماعيل، وكان من رواد القهوة دون أن يكون من رواد الندوة. ورجاء النقاش الذى كان أقرب الرواد للمعاوى، فهو معجب به يتفق معه فى الكثير ويعامله معاملة العيد للأستاذ. وكذلك يفعل المعاوى مع رجاء، فهو يقرأ له ويقرئه إليه ويستخدم فى مخاطبته لهجة عائلية دافئة حانية.

ولست أذكر الآن كيف صرناـ رجاء وأناـ صديقين، وكم من الوقت استغرق انتقالى من زائر ريفى طارئ لا تربطه بأى من رواد الندوة علاقة شخصية تؤهله للاندماج فيها إلى صديق حميم لرجاء تجاوزت علاقتنا حدود الندوة وحدود القهوة، فنحن نلتقي فى النهار والليل، فى القهوة وفي المنزل الذى كان رجاء يسكنه مع أسرته، وكان يقع وراء المدينة الجامعية غير بعيد عن ميدان الجizza.

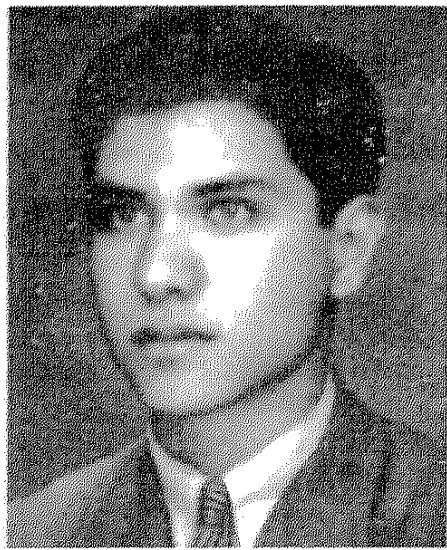
لم يكن رجاء أول من يقرأ قصائدى

عملًا في «دار الهلال»، وقد عرض على أن أعمل مصححاً في الدار فقبلت، و وسلمت عملى بالفعل في أواسط عام ١٩٥٦ و انظمت فيه خمسة عشر يوماً لم أحد خلالها ما يشجعني على الاستمرار فقد كانت قواعد الحضور والانصراف صارمة، ولم يكن المناخ الذي

أعمل فيه هو المناخ الذي كنت أحلم بالعمل فيه، فلما عرض على أن أعمل مصححاً في مجلة «صباح الخير» بأجر أقل قبلت على الفور، إذ كان العمل في دار «روزاليوسف» يعني أن أعمل مع محمود أمين العالم، وحسن فؤاد، وأحمد بهاء الدين، وصلاح جاهين.

في تلك الفترة كانت قصائدي الجديدة تنشر، وكانت علاقتي بالأوساط الأدبية تتسع، فتقرر «صباح الخير» أن تستعين بي في إعادة صياغة موادها الصحفية، وهكذا تحولت من مصحح إلى محرر، وتضاعف مرتبى مرتين في شهور قليلة، وسكنت غرفة مستقلة مفروشة في ميدان الدقى، واستيقظت ذات صباح كما حدث لـ «لورد بايرون» فوجدت نفسي مشهوراً، إذ أصبحت كفؤاً لرجاء النقاش.

أظن أنى كتبت أول كلمة ترحيب تنشر في الصحف المصرية عن كتاب رجاء الأول «في أزمة الثقافة المصرية». وقد نشرت كلمتى فور صدور الكتاب عام



١٩٥٨ في «صباح الخير»، وقبل ذلك بعام نظمت قصيدة استوحيتها من تجربة قاسية مر بها رجاء، وقبل هذه القصيدة بعام أهديتها قصيدة «إلى اللقاء» التي مجده فيها صداقتنا. وأستطيع أن أقول إن في مجموعتي الأولى «مدينة بلا قلب» ثلاث قصائد على الأقل مستوحاة من رجاء وعالمه، غير قصائد أخرى في مجموعاتي التالية تتصل به من قريب.

وكما نظمت عن رجاء، كتب هو عنى. فمقدمته الطويلة المترحمة لمجموعتي الأولى - أسهمت بقوة في تقديم القراء وشكلت صورتى عندهم. بل أقول بكل ثقة إن هذه المقدمة أسهمت بقوة في تقديم حركة الشعر الجديد، والدافع عنها، وبيان مشروعيتها، ومساعدة جمهور الشعر على الاقتراب منها وتنوّع إنجازاتها الفنية والفكرية.

ولقد أتيح لنا أن نعمل معاً في صحيفة «الجماهير» في دمشق عام ١٩٥٩، ثم عدنا معاً إلى القاهرة لنعمل معاً في روزاليوسف، ثم نفترق، ثم تلتقي لنكتشف أننا لم نفترق.

إننى أدين بالكثير لرجاء النقاش. فقد وضع يده على ما لم أكن أعرفه في نفسي، وما لم يكن القارئ يعرفه وحده عنى، ففتح لي طريقاً نحو الشعر، ونحو الناس، ونحو نفسي!



سَكَلَ عَالَى يَأْعُمْ رَجَاهَا ..

سميح القاسم □

وهكذا ، عقو الخاطر ، ارتبط اسم رجاء النقاش بوجداني ، بمثيل الحميمية التي أحسستها في فتوتى إزاء عمي رجاء العربي الأصيل والإنسان الجميل والنبيل. حين توسيع في قراءة أعمال رجاء النقاش ، فقد كان طبيعياً أن أحس بالتبض القومى العربى التقدمى ، وبالزخم الإنسانى الحضارى ، فى ذاته وفي قلمه وفي وعيه ونهرجه .

كان عمي رجا يطلق الألقاب ذات اليمين وذات اليسار على كل من يصادفه من أبناء العائلة والبلدة .. وقد طالنى منه لقبيان، «أبوعلى تارة» .. و«البible طوراً» .. ولماذا أبوعلى ولماذا البible ؟ فهمت منه أنهما استبشران خير بالمستقبل .

أما العم رجاء النقاش فقد أطلق على ابنه ، وحيده الاسم «سميع» تيمناً .. جزاه الله وذرته كل خير ، وليس من قبيل المjamalaة ، بل من قبيل الاعتراف بالحقيقة الناجزة ، فإن اسم رجاء النقاش أصبح ، بمرور الزمن وتراكم المعرفة وتتابع الإنجازات ، من أسماء الثقافة العربية الحستى ، ولا ريب لدى فى أن المناخ الذى أحاط به من محبة نوبه والسيدة الدكتورة هانىة ، الإنسانة النبيلة الرائعة ، والأسرة الكريمة والأصدقاء والمعجبين

يوم سمعت الاسم «رجاء النقاش» وقرأت له ، قبل قرابة الأربعين عاماً ، فقد ومضت فى القلب شرارة نبضة خاصة ، وتولدت طاقة استثنائية ، أسميتها الألفة وأسمتها الإعجاب وأسمتها الصدقة . لماذا ؟ لأن هذه ، كما يبدو ، هي طبيعة الكائنات فى تفاعلاتها وتحولاتها . وما هي قصتى الأولية البسيطة والإنسانية مع رجاء النقاش .

كان للمرحوم والدى ابن عم اسمه رجا الحسين .. وتعودنا على لفظ اسمه مخففاً دون لفظ الهمزة فى نهايته .. رجا .. هكذا .. عمي رجا .

وكان عمي رجا شخصية ذات حضور متميز فى بلدتنا الجليلة الجليلة «الرامنة» ، واحة الزيتون المعترزة بتاريخها الثقافى ، والمباهية بحضورتها الأبدية .

ورث عمي رجا عن والده مختار البلدة (العمدة) طبعاً عربياً أصيلاً متشبثاً بالعادات والتقاليد ، وفي مقدمتها مبدأ البيت المفتوح للضيوف ، وطفوس القهوة السادة (المراة) فى الديوان العامر بالحضر وبالبدو ، ورواية الأخبار والغير والشعر الشعبي ، وحكايات الكرم والشجاعة والعسر واليسر والسراء والضراء ..



الكثير ، الذين أعزت بكوني واحداً منهم ، هذا المناخ شكل خلفية مواتية لتدفق العم رجاء ، موهبة وإبداعاً وإضافة ثقافية بارزة ، ومنزها عن الشخصية والذاتية المنفلقة ، فقد كان للعم رجاء النقاش دوره المميز في تقديم الأدب العربي الفلسطيني إلى القراء ، لا في جمهورية مصر العربية فحسب ، بل في جميع أرجاء الوطن العربي الكبير ، كما كانت له اليد الطولى في إبراز الطاقات الثقافية العربية الخارجية على قوانين النوع وطقوس وموسيقى الهوان ، وأعراف الانحناء في مواجهة الطاغوت .

ويمثل ما أعزت بلقب «أبو على» الذي أطلقه على عمِّي رجا الحسين ، فائناً أعزت بلقب «شاعر الغضب الثوري» الذي أطلقه على العم أبوسميع ، رجاء النقاش . ولأن قصائد الحب المكثفة والصغيرة تستطيع التعبير عن مشاعر المحبة الكبيرة والعميقة ، فاكتفى بكلمات قليلة :

البورتريه للفنان السوري حسن أدلي

أحبك أيها العم رجا النقاش (بدون الهمزة ومعها) .. أحب ما تمثله من أصالة ونبل .. وأستطيع قولهما بصيغة الجمع ، مطمئناً واثقاً : نحبك يا رجا النقاش .. نحبك ياعم رجا .. ونحب محبيك .

بوركت من أخيك سمعي القاسم



في ذكرى ميلاده تأكيد

د. جابر عصفور □

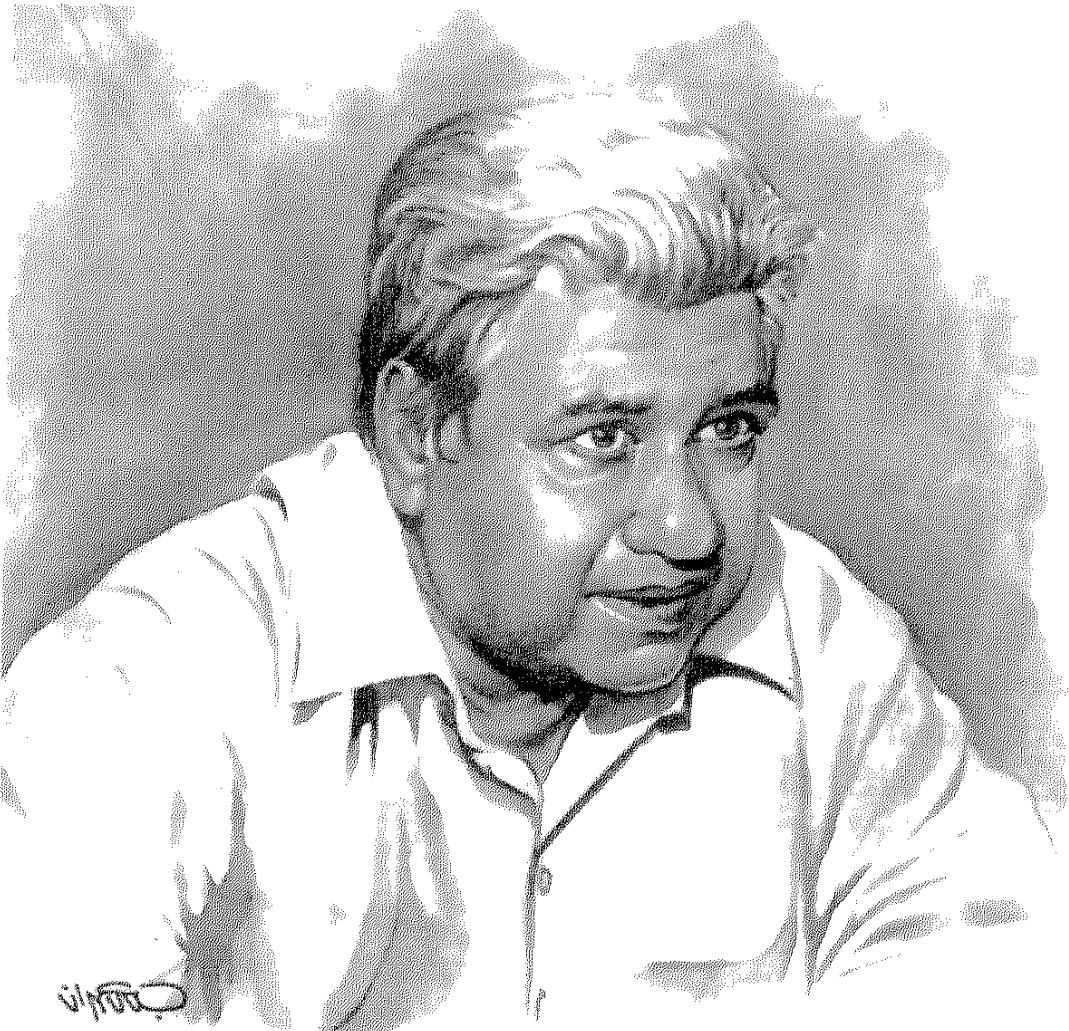
١٩٥٧، مروراً بديوانه "أقول لكم" الذي صدر عن بيروت سنة ١٩٦١، وانتهاء بديوانه "أحلام الفارس القديم" الذي صدر سنة ١٩٦٤. أما الثاني فهو رجاء النقاش - مد الله في عمره، ومتّعه بالصحة والعافية - وقد ولد سنة ١٩٣٤، في محافظة الدقهلية القريبة من بلدتي المحلة الكبرى في محافظة الغربية. وكنا نتابع رجاء النقاش كما نتابع زميله صلاح عبد الصبور، وكان رجاء النقاش قد عمل محرراً أدبياً بمجلة "روزاليوسف" من ١٩٥٩ إلى ١٩٦١، وانتقل منها إلى "أخبار اليوم" (١٩٦١ - ١٩٦٤) ثم "الجمهورية" (١٩٦٥ - ١٩٦٩).

ومن المؤكد أنه زامل صلاح عبد الصبور الذي يكبره بعامين في "روزاليوسف" كما تعرف على زميلهما الثالث الذي عمل معهما في الدار نفسها أحمد عبد المعطى حجازي الذي يكبره رجاء النقاش بعام واحد، فقد ولد حجازي سنة ١٩٢٥، ورجاء سنة ١٩٣٤. وأتصور أن ذلك هو ما قارب بينهما إلى أبعد حد، ودفع رجاء إلى كتابة مقدمة لـ ديوان حجازي الأول "مدينة بلا قلب" الذي صدر سنة ١٩٥٩، بعد صدور ديوان صلاح

عندما اقتربت من سنة التخرج في قسم اللغة العربية، كلية الآداب بجامعة القاهرة، بدأت أسمع عن اثنين من خريجي القسم، أصبح لهما شأن في الحياة الثقافية من حولنا. وكانت أقرأ لكليهما في صحف ذلك الزمان ومجلاته الأدبية. أولهما الشاعر صلاح عبد الصبور (١٩٣١ - ١٩٨١) رحمه الله رحمة واسعة، وكان الملحق الأدبي لجريدة "الأهرام" الذي يشرف عليه لويس عوض هو تأذنته على الحياة الثقافية التي كان يملؤها شعراً ونقداً ومتابعة في ذلك الوقت، خصوصاً بعد أن انتقل من دار روزاليوسف التي نشر في مجلتيها - "روزاليوسف" و"صباح الخير" - مقالاته الأولى التي جمع عدداً منها في كتابه "ماذا يبقى منهم للتاريخ" الذي سعى فيه إلى إعادة تقييم كل من طه حسين وعباس محمود العقاد وتوفيق الحكيم والمازنی، فيما أذكر. وكان صلاح عبد الصبور قد أصدر قبل سنة تخرجي عدداً من أهم دواوينه التي جعلته أبرز شعراء قصيدة الشعر الحر في مصر، وذلك ابتداءً من "الناس في بلادي" الذي صدر في "دار الأداب" الباريسية بتقديم بدر الدين سنة

٤٢

٢٠١٠
٢٠١١
٢٠١٢
٢٠١٣



البورتريه للفنان جلال عمران

٤٣ موقف اليسار من أزمة الديمocratie التي حدثت سنة ١٩٥٤ منعكساً على القصيدة التي هجا بها صلاح عبدالصبور انتصار تيار عبدالناصر في ذلك الوقت. أعني قصيدة "عودة ذي الوجه الكئيب" التي أهدتها إلى "الاستعمار وأعوان الاستعمار" في نوع من التقبية.

وثيقة

أما حجازي فكان، مثل رجاء النقاش، قومياً، رومانسيّاً، ابتداءً من عنوان ديوانه "مدينة بلا قلب" وليس انتهاءً بقصائده

عبدالصبور بمقدمة بدر الدبي卜 بعامين. وظني أن تقارب العمر بين صلاح وحجازي كان الوجه الأول من تقارب الفكر، فقد كان كلاهما أقرب إلى الفكر القومي، مع ميل إلى أفكار البعث، بينما صلاح عبدالصبور كان أقرب إلى التيار اليساري مع بدر الدبي卜، مع ميل إلى الماركسيّة التي ظهرت آثارها واقعيتها الأدبية في قصائد "الناس في بلادي"، وبخاصة قصائد من طراز "الملك لك" و"الناس في بلادي". وطبعي أن يكون

في ذكرى ميلاده

في زمن مبكر في الصدارة من نقاد الشعر الذي لم تقطع علاقته النقدية به على امتداد نصف قرن، لم يتوقف فيها عن الانحياز للشعراء الذين يكتبون من المنظور القومي ثائرين على أوضاع التخلف العربي. وأعتقد أن ذلك ما دفعه إلى تقدير شعر صلاح عبد الصبور وتقديمه والإشادة بموهبة، خصوصاً في قصائد صلاح التي لم تخل من نزعة قومية، وذلك منذ زمن يرجع إلى سنة ١٩٥٧، حين استهل رجاء كتابته عن صلاح عبد الصبور الذي سرعان ما حطم القيود التي كانت تصله بالمجموعات الشيوعية، وفتح لنفسه آفاقاً واعدة في النزعة الإنسانية التي تجاوحت مع الشعور القومي الذي برز في الكتابة ضد الاستعمار البريطاني، وضد العوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦. وهو العوان الذي خرج منه عبدالناصر منتصراً، زعيمًا لكل العرب، وخرج منه التيار القومي عفياً واعداً مكتسحاً، يبشر بالحرية والوحدة والاشتراكية في وعد التفاؤل بالمستقبل الذي سطعت نجومه الوضاءة بالحرية والعدل تقترب من الأكب على امتداد الأمة العربية التي أصبحت وطننا واحداً، هادراً، يمتد من المحيط إلى الخليج.

التنبيه

وكان واضحاً أن رجاء النقاش يتمتع بقدرة تنبؤية عالية على اكتشاف معدن الشعر الأصيل الذي يضع يديه المرهفتين عليه بالكتابة عنه والتقدير له منذ البداية.

البارزة، وذلك في المنحى الذي صدرت فيه قصيدة المدوية - في ذلك الوقت - "أوراس" في السنة نفسها التي صدر فيها ديوانه الأول الذي كتب مقدمته رجاء النقاش. ويعيناً عن الاختلاف في الرؤية والمعالجة، فقد كانت مقدمة رجاء لـديوان "مدينة بلا قلب" لا تقل أهمية عن مقدمة بدر الدين لـديوان "الناس في بلادي". ولذلك ظلت كلتا المقدمتين وثيقتين تأسيسيتين من أهم الوثائق التي صحبت ثورة شعراء القصيدة الحرة في مصر التي كان يتنازع موضع الصدارة فيها عبد الصبور وحجازي، بالطبع إلى جانب أسماء فوزي العنتيل والفيتوري وتاج السر حسن (وكلاهما سوداني كان يدرس في مصر) فضلاً عن أسماء كمال نشأت ثم مجاهد عبد المنعم مجاهد وغيرهما من الشعراء الذين كان قدرهم أن يتحدون المؤسسة النقدية والشعرية التقليدية في مصر، وأن يواجهوا العملاق عباس العقاد رئيس لجنة الشعر في "المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب" (المجلس الأعلى للثقافة حالياً) الذي كان يحيل قصائدهم ودواوينهم إلى لجنة النشر للاختصاص.

المهم أنه بقدر ما كانت مقدمة بدر الدين بطاقة دخول صاحبها إلى صدارة جيل جديد من النقاد، جيل ينطوى على رؤية جديدة مغايرة في تمردها على الرؤى الجامدة القديمة، كانت مقدمة رجاء النقاش تتطوى على المعنى نفسه، وتضعه



.. ومع نجيب محفوظ وأبنته فاطمة وأم كلثوم

والأدب"، نشرها - بعد ذلك - في كتابه "أدب وعروبة وحرية" الذي يؤكد - في استهلله - أن ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت ثورة اشتراكية وعربية في الوقت نفسه، لأنها اكتشفت الطابع القومي الأصيل للشخصية المصرية، وهو الأمر الذي صنع الفارق الحاسم بين زعامة مصطفى كامل الذي اقتصرت رؤيته السياسية على تحرير مصر، بينما امتدت رؤية عبد الناصر الزعيم الذي جعل من مصر جزءاً لا يتجزأ عن محيطها العربي الذي تبادلت معه التأثير والتاثير. واعية بدورها القيادي في تحريره، والانتقال به إلى كل ما يحقق أحلام الوجдан الاشتراكي العربي ووحدة أراضيه. ولذلك كان خط تطورنا الفكري في مصر يمتد منذ مقدمات ثورة ١٩١٩ إلى ثورة ١٩٥٢ في مسيرة طويلة صاعدةً من الوجدان القومي المصري إلى الوجدان الاشتراكي العربي.

وهكذا، كان أول من كتب بإسهاب وعمق وتفصيل عن أحمد عبد المعطى حجازي، وأول من ناقش، في حرارة، نازك الملائكة في أفكارها عن القومية. وأول من أسرف في الهجوم على الحزب القومي السوري في هويته الفينيقية، وهو الهجوم الذي جمع في الرفض ما بين الدعوة الفينيقية والرموز التي استخدمها الأدباء القوميون السوريون في كتاباتهم، حالمين بإعادة فينيقيا التاريخ والرمز إلى الوجود، ورأى رجاءً في مثل هذا الحلم بذرة من بنور الشر في حياتنا الأدبية والسياسية. وكان طبيعياً - في ذلك الوقت - أن يتركز الهجوم على أدونيس، أبرز شاعر قومي سوري في ذلك الزمان، وأن يحل الناقد - في رجاء - قصائد أدونيس التي تقدم "صورة كثيبة الحياة" وحلماً رجاعياً بالعودة السعيدة إلى فينيقيا القديمة. وكان ذلك عبر أربعة مقالات باللغة الدلالة والأهمية بعنوان "القوميون السوريون

الاحتفاء بشعراء المقاومة

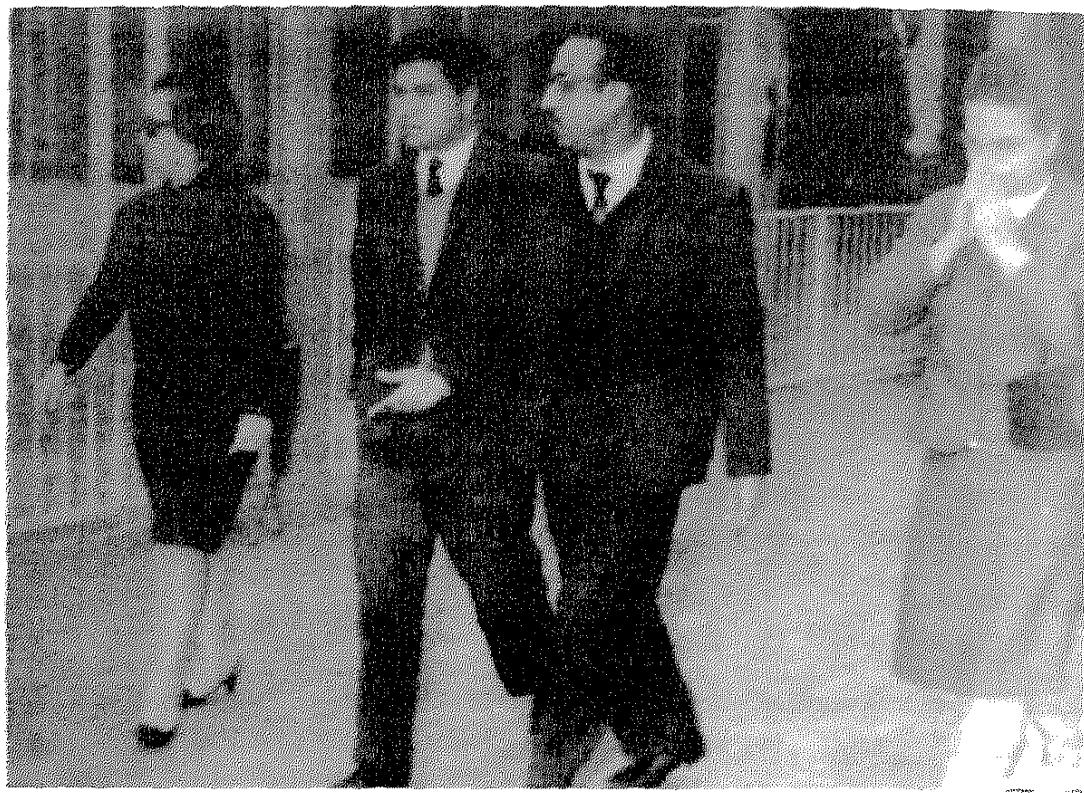
احتفاء بـ رجاء النقاش

له، وأتصور، أخيراً، أن تضافر هذين الوعيين كان وراء اهتمامه بكتابات أحمد مطر، مؤخراً، والتعريف النقدي بديوانه "لافتات" الذي أعطى لتيار الشعر الفلسطيني المعاصر دفقة جديدة من الغضب والتمرد والسخرية في آن. وكان رجاء في ذلك كله الكاشف عن كنوز الإبداع الفلسطيني، قبل أي ناقد غيره في مصر، وذلك من منطلق وعيه القومي الذي صاغ - بالقطع - "الذائقه الجمالية" لوعيه النقدي.

رؤيا معايرة

ولم يكن من المستغرب - والأمر كذلك - أن يبقى رجاء النقاش - ناقد الشعر - على رفضه لتجربة أدونيس الشعرية، خصوصاً في تحيزاتها الفنية، وعدائتها للثقافة القومية ونزاعاتها السياسية. وقد تواصل هذا العداء في مقالات من قبيل أيها الشاعر الكبير إني أرفضك" و"مع أدونيس مرة أخرى وظاهره العبث في الشعر العربي المعاصر". وأنكر أنتي كنت أعتراض على رجاء النقاش في موقفه النقدي السلبي من أدونيس، محاولاً تتباهى به إلى الفارق الكبير بين أدونيس الذي كان منتمياً إلى الحزب القومي السوري وأدونيس الذي تباعد عن موقف الحزب وصاغ رؤيا معايرة، للعروبة فيها مكان أساسى. وهو الفارق الذي يظهر ما بين قصيدة "قالت الأرض" أو ما ماثلها من قصائد وقصائد من طراز "الصقر" و"تحولات الصقر" في "كتاب التحولات والهجرة في أقاليم الليل والنهر" أو

ولم يتخل رجاء النقاش عن منظوره القومي الذي دفعه إلى الاهتمام البالغ بالمسألة الفلسطينية - جرح العرب النازف - والكتابة عنها، ومرة ثانية تظهر في أفق رؤيته النقدية للإبداع الفلسطيني قدرته التنبؤية الفائقة على اكتشاف عروق الذهب الصافي في شعر هذا الإبداع. ولذلك كان احتفاؤه حماسياً بشعر محمود درويش الذي كتب عنه مقالاته التي فتنتنا حين نشرها متفرقة، وحين نشرها كتاباً بعنوان محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة. وهو الكتاب الذي كان - بعد المقالات - مدخلاً إلى معرفة أعظم شعراء فلسطين بلا منازع، ومعرفة قصائده التي حفظنا الكثير منها عن ظهر قلب، دون أن نهمل - أو يهمل رجاء النقاش - أقرانه من أمثال سميحة القاسم الذي كتب عنه للمرة الأولى في مصر، وراشد حسين الذي مات قتيلاً في نيويورك، وتوفيق زياد الذي أضيف إليه فدوى طوقان التي كتب رجاء عن شعرها، وعن المراسلات التي كانت تدور بينها والناقد المصري أنور المعاوبي، كاشفاً بذلك، حقاً، عن صفحات مجهملة في الأدب العربي المعاصر. وأتصور أن رجاء النقاش لو جمع ما كتبه عن الشعر والشعراء والشاعرات في فلسطين لشغل ما كتبه أكثر من مجلد، يؤكد كل واحد منها اهتمامه البالغ بهذا الشعر، والانحياز لأهم شعرائه، ومتابعته الدعوية



رجاء النقاش مع زوجته د. هانى «على اليمين» والشاعر صلاح عبد الصبور وزوجته سعيحة غالب فى بيروت - مارس ١٩٧٧

ألونيس - في الخطاب نفسه - إلى تأكيد هذه الصفة حين يقول جازماً «إننى أرى العرب في نفسي، إننى أسكن وأنتنفس على الرغم من كل شيء في الجذر والنسل».

وأنكر جيداً أن العزيز أمل دنقل - رحمة الله - كان مفتوناً بقصيدة «مقدمة لتأريخ ملوك الطوائف». وكان يقرأها لي، معجباً بها، وافتونا بصورها، وذلك على طريقة العجيبة، فقد كان ينام على بطنه بطريقة عكسية فوق سرير حديدي صغير، وينزل بجذعه إلى الأرض، ماداً رأسه إلى الديوان الموضوع فوق بلاط الغرفة الصغيرة، ويستمر في القراءة، متوقفاً ما بين مقطع ومقطع لينقل لى انطباعاته،

«مقدمة لتأريخ ملوك الطوائف» من ديوانه «وقت بين الرماد والورد». وقصيدة «مقدمة لتأريخ ملوك الطوائف» التي جعلها قومية في الإهدا، يجعلها «تحية لجمال عبد الناصر، أول قائد عربي حديث عمل لكي ينتهي عصر ملوك الطوائف ويبتدئ العصر الآخر». وقد أعلن ألونيس نفسه عن تحوله في أحد خطاباته إلى يوسف الحال، وقد نشر الخطاب في كتابه «زمن الشعر» (بيروت ١٩٧٢) مؤكداً ما يلى: «الوجود العربي والمصير العربي يؤسسان حقيقتي، لا الشعرية وحسب، بل الإنسانية كذلك. هذا واقع لا يغيره أى شيء: لا إنكاره أضطراراً ولا رفضه اختياراً.. قليس العرب شيئاً وأنا شيء آخر يقابلهم.. فلا هوية لنا خارج الهوية العربية»، ويعود

في ذكرى ولادة أدونيس العربي

الطوائف" رغم بعد ما بين البناء الفنى
وعلقات الصور فى القصيدتين.

أدونيس العربى

ولا أزال أذكر أننى تعلمت من حواراتى مع أمل وتأملى الطويل فى شعره أن عنفوان رفض الشاعر للواقع والإدانة المستمرة له والكره الشديد لفرداته لا تعنى عدم الانتماء بالضرورة، بل قد تعنى عمق الانتماء الذى يهتاج فيه المحب إذا لم ير المحبوب على الصورة التى يرجوه عليها. وهذا هو السبب فى هجوم أدونيس على التاريخ العربى الملىء بالقتل والدماء، على نحو ما يظهر بوضوح فى أجزاء "الكتاب" الثلاثة. ولا تزال هذه النقطة مصدر خلاف بينى والعزيز رجاء الذى لا أناقشه، الآن، فى الأساس القومى لرفضه أدونيس القومى السورى، وإنما أتبهه إلى أدونيس العربى الرافض لها نهان العرب، الباحث فى اللحظة التى تتوسط ما بين الرماد والورد، لعل الرماد يتحول إلى ورد، ويعاود العرب نهضتهم فتتحول ممالك ملوك الطوائف إلى دولة عربية كبيرة، شعاراتها العدل والحرية، تنبئ من مماتها كما ينبئ الفينيق من رماده بالمعنى الأسطورى الإنسانى وليس بالمعنى المترتب لأفكار أنطون سعادة.

لكن يبقى لرجاء النقاش، وسيظل باقيا فى وجدا نى، إدراكي درجة الصدق الحقيقى مع النفس، والإيمان القومى العميق الذى لم يتزعزع، لكن دون أن يقلل من احترام رجاء النقاش لقيمة شعر

بعد القراءة بصوته المميز. وأكاد أتخيل صوته الآن، وهو يقرأ:

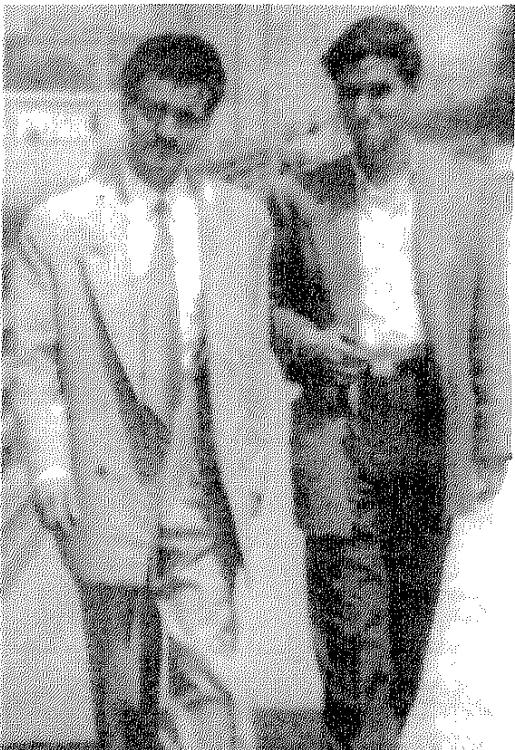
وجه يafa طفل

هل الشجر الذابل يزهو؟ هل تدخل الأرض فى صورة عذراء؟
من هناك يرج الشرق؟
 جاء العصف الجميل
 ولم يأت الخراب الجميل
 صوت شريف...

ويمضى صوت أمل يقطع صمت الغرفة إلى أن ينتهي المقطع الأول:
ابتدىء من هنا بدأوا من هناك
 حول طفل يموت
 حول بيت تهدم فاستعمرته البيوت
 وابتدىء من هنا
 من أنين الشوارع من ريحها الخانقة
 من بلد يصير اسمها مقبره
 مثلما تبدأ الفجيعة أو تولد الصاعقه.

84

ولم يكن أمل يتوقف إلا ليلتقط أنفاسه
 التي كانت تتدافع مع تدوير القصيدة
 العروضى وتتدفق تجليات تفعيلة الرمل
 (فاعلاتن) التي كانت تتداخل وتفعيلة
 الرجز (مستفعلن). ولم يقرأ لى أمل غير
 هذه القصيدة لأدونيس سوى قصيدة
 أخرى لسعدى يوسف، لم يكن أقل إعجابا
 بها، هي قصيدة "الأخضر بن يوسف
 ومشاغله" التي لا تزال تحتفظ ببهائها فى
 ذاكرتى مثل قصيدة "مقدمة لتاريخ ملوك



مع الشاعر العراقي عدنان الروى عام ١٩٥٤

وبالفعل أقمنا الأمسية، وكانت ناجحة إلى أبعد حد، وألقى فيها أدونيس قصائده التي خالفت نزعة القومية السورية القديمة. وجلست أستمع إلى إلقاء أدونيس الذي لم يفعل شاعر عربي ما فعله للتراث العربي، درسا فكريًا، واختياراً إبداعياً، ومعرفة مذهلة بأسرار اللغة العربية وكنوز مفرداتها التي ضاعت بين شواعير لا شعراً هذا الزمن الرديء، ومضت بي التداعيات إلى تذكر ما كتبه أدونيس عن إحدى خطب جمال عبد الناصر التي تحدث فيها عن دور المثقفين، ولم أعد أذكر في أي كتاب نشر أدونيس هذا التعقيب الذي رأيته رائعاً في ذلك الزمن الذي انقلب رأساً على عقب بعد كارثة ١٩٦٧، وكان علينا أن نرثي عمرنا الجميل معه كما فعل حجازي في

أدونيس الفنية بوجه عام، ورفضه التقليل من شأنه، أو الحجر الظالم على إبداعه، وأنذر أنه أوضاع موقفه من خلافى معه فى مقاله "أدونيس مرة أخرى"، فأشار إلى اختلافى معه، وأشار إلى خطاب تلقاه من صديقنا المشترك عبد العزيز المقالح فى اليمن، ولكن دون أن يذكر اسم عبد العزيز. ومضى رجاء النقاش فى توضيح أسباب رفضه لرؤيه أدونيس الشعرية التي هي تجسيد لرؤيه الفكرية فى النهاية. ولكن الأمر لم يتنته عند هذا الحد، فقد تجلى المعدن الأصيل لأخلاق رجاء النقاش واحترامه لحق الاختلاف، عندما قمت بدعوة أدونيس إلى أمسية خاصة، يلقى فيها شعره بالمجلس الأعلى للثقافة. وقام بعض الأصدقاء - ولا داعى لذكر الأسماء - بشن حملة هجوم تخوينية تكفيرية على أدونيس فى "الأهرام"، وحاوت رد الصديق عن ما انتوى فعله لمنع أدونيس من دخول المجلس الأعلى للثقافة وإقامة الأمسية، فلم أفلح، فقد توجه الصديق إلى الوزير فاروق حسنى لعله يأمرنى بالمنع، وما كان فاروق حسنى يعلم بذلك بالقطع. وكانت المفاجأة أن اتصل رجاء النقاش بي، مؤكداً تأييده لدعوة أدونيس، موضحاً أن الاختلاف لا يعني الحجر أو العداء، وأن احترامه لأدونيس لا يمكن أن يتخلى عنه، وهو الذى يدفعه إلى ضرورة استمرارى فى إقامة الأمسية. وقد عرفت أنه خاطب فاروق حسنى فى ذلك، داعماً حضور أدونيس إلى القاهرة وإقامة أمسيته الشعرية فى المجلس الأعلى.

فِي الْكِتَابِ مِنْ حَصْرِ الْمُنَادِي

قصيدة الشهيرة.

الشعر وليس انتهاء بالمسرح والرواية. ولا أنسى حرصى على متابعة نقده المسرحي الذى جمعه فى كتابه "فى أضواء المسرح" و"مقعد صغير أمام الستار".

أما الرواية فهى الميدان الموازى للشعر فى تميز رجاء النقاش الناقد. ولا أزال، إلى اليوم، أذكر مقالاته عن نجيب محفوظ التى كان ينشرها فى "أخبار اليوم" حين عمل محررها الأدبى (١٩٦١ - ١٩٦٤)، و كنت لا أزال طالباً لم أتخرج بعد فى قسم اللغة العربية، وقد نشر فى "أخبار اليوم" سلسلة مقالات عن نجيب محفوظ، فى موازاة سلاسل أخرى عن العقاد وغيره، إن لم تخنى الذاكرة. وكم كنت معجباً بهذه المقالات التى لم يكن يعدلها عندي، فى ذلك الوقت، سوى ما كتبه يحيى حقى عن الديناميكية والإستاتيكية فى روايات نجيب محفوظ. أما رجاء فكان يكتب عن "مرحلة جديدة" متبعاً الشخصيات التى كان يطلق عليها "شهداء ومنتزرون" و"الأب الضائع" و"بين المادة والوجودية" و"الشحاذ". أما المقال الذى ظل عالقاً بذهنى لوقت طويل فهو "بين الروح والجسد". وكان عن رواية "الطريق" التى تظهر الوهلة الأولى بطلها صابر الرحيمى حائراً بين الجسد الذى كنت أظن - كما ظن غيرى - أن كريمة هي التمثيل المادى له، وإلهام الذى كان اسمها دالاً، بعيداً عن الحسية، ومرتبطاً بالعقل العملى الذى كان يمكن أن يقود البطل فى أزمته إلى الانسجام مع العالم، والخلاص من الأزمة الخانقة التى كان يعانيها بوضع الحلول المنطقية لمشكلاتها.

وظنني أن الرحابة الفكرية التى يتمتع بها رجاء النقاش هى التى باعدت بينه والجامدين من القوميين، أو البعثيين، نوى الرؤية الواحدة. ولذلك كتب عن شعر العامية، مشيداً بتجربة فؤاد حداد الذى كان الأب الروحى لصلاح چاهين ومن بعده الأبنودى وسيد حجاب. ولا أزال مدينا له بأنه أضاف إلى معرفتى ليس بشعراء الفصحى والععامية فى مصر والعالم العربى، بل أدين له بالسماحة الرحبة فى التنويع، والقدرة على تقدير التيارات الإبداعية المتباude، تباعد ما بين محمود درويش، مثلاً، ونزار قباني، أو بعد ما بين أدونيس وخليل حاوى، وذلك فى السياقات التى جعلته ينتبه إلى الاتفاق والاختلاف وتشابه الرؤى الذى يصل ما بين الشرق والغرب. ولذلك كتب عن تشابه قصيدة صلاح عبد الصبور عن "نشواى" وقصيدة للشاعر اليونانى كفافى، كما كتب عن العلاقة الشعرية بين كفافى وأمل دنقل.

٥٠

تعلمنا منه

ويمكن، بالطبع، لناقد مناكف مثلى، لا يعجبه إلا الواقع أن يختلف مع رجاء النقاش فى اهتمامه بشعراء من الدرجة الثانية، دون ذكر أسماء، واتهامه بالمجاملة، والوقوع فى شراك التشجيع الحانى فى بعض الأحيان، لكن هذا الاختلاف لا يقلل من حقيقة أن جيلى تعلم من رجاء النقاش الكثير، ابتداءً من



مع د. سهيل إدريس وزوجته السيدة عايدة

أحمل ما استطاعت ثروتى الصفيرة شراءه من الكتب، وانتهى بي المطاف فى مقهى اكسسسور الذى راقبت من نافذته الزجاجية الممتدة يامتدح الحائط الإعلان الضخم عن فيلم «الطريق» يتتصدره جسد شادية الفاتن، أعلى مدخل سينما ميامي، فخرجت من المقهى، بعد احتساء فنجان شاي والتهام ساندويتش. وعبرت الطريق لأشاهد الفيلم الذى تأكّدت معه فى وعيى الثانية الضدية بين «كريمة» الجسد و«إلهام» الروح والعقل. وجاء مقال رجاء النقاش عن هذه الثانية مفاجئة لي، فقد قلب الثانية فى ذهنى، وجعل «إلهام» تمثل الجانب العملى من الحياة، بينما «كريمة» التى تبدو مسرفة فى الحسية على مستوى السطح هى التى تقود البطل إلى الطريق الصعب الشاق الذى لا يسيطر عليه المنطق أو العقل، وتدمى فيه كالطاقة المتفجرة فى أعماق الروح، وهو التفسير الذى يؤكّد أن «الروح» - فى

وكانت براءة إلهام بالقياس إلى كريمة النقيض تجعلها أقرب إلى رمزية الروح، تاركة لكريمة رمزية الجسد الذى يفور بالشهوة، ولا يتزدد فى منح المتعة الحسية لمن يشتهيها. وقد كانت هذه هي النظرة الغالبة التى جعلت المخرج حسام الدين مصطفى يختار لشخصية كريمة الممثلة شادية التى أدت الدور فى براءة جعلت الشبان يحدقون فى الشاشة، وهم يتبعون تفاصيل جسدها المثير. وبالطبع طغى جسد شادية على شخصية إلهام التى قامت بإداء دورها سعاد حسني. ولا أزال أذكر أننى كنت، فى ذلك اليوم البعيد الذى شاهدت الفليم فيه، قد حصلت على مكافأة التفوق التى تجمعت عند صراف كلية الآداب لأكثر من شهر، وحملت الثروة الصغيرة فى جيبى فى الصباح إلى مكتبة «دار المعارف» والمكتبات المحيطة بها فى شارع عبدالخالق ثروت وعدلى وبعض عماد الدين، وظللت أطوف على المكتبات،

تتوقف عين الناقد على أسطحه، بل تنفذ من الأسطح إلى ما وراءها، في طريقها إلى الأعمق التي لا يراها القانعون بالسطح. ولم أكن أرجو لنفسى أن أكون واحداً من هؤلاء، وكنت - ولا أزال - أتطلع إلى الكشف عن كل ما يظل في حاجة إلى الكشف من الطبقات الرمزية للأعمال المتعددة التي لا تمنح نفسها لقارئيها للوهلة الأولى، وإنما بعد صبر ومجاهدة وتتبع لكل الاحتمالات الدلالية والعلاقات البنائية. هكذا أمنت - مع رجاء النقاش - أن الأرواح القلقة كما يصورها محفوظ، غالباً ما توجد مع الحيوية الجسدية الفائرة، فليس الروح هي الزهد والتضوف الجاف، أو العقل الهدى البارد والإرادة الصارمة المستبدة المتحكمة، ولكنها الطاقة العنيفة الكامنة في داخل الإنسان، وتتفجر في أكثر الأجساد حيوية، فالجسد المشتعل هو طريق الروح المتقدة بالعنفوان والغرامة، كأنها الطاقة الروحية المنطوية على الوثبة الحيوية التي تحدث عنها برجسون في أحد كتبه التي كنت قرأتها في ذلك الوقت بترجمة المرحوم سامي الدروبي.

علامات مضيئة

ولا يزال مقال رجاء النقاش «بين الروح والجسد» إحدى العلامات المضيئة في ذاكرتي على نفاذ بصيرته النقدية وعمق حاسته الأدبية المرهفة. ولذلك ظلت أتابع مقالاته، وأقرأها بنهم المحب، وشفف المستفيد، وفوق ذلك تعصب خريجي القسم الواحد لأبناء قسمهم

طريق نجيب محفوظ الإبداعي - لا توجد إلا حيث توجد أعظم شهوات الجسد. وأصحاب الروح الحقيقيون هم الذين ينطون على الحيوية الجسدية العنيفة. ويؤكد رجاء، في هذا التفسير المفاجئ، أن نجيب محفوظ من الفنانين الذين ينفتحون إلى أعماق الأشياء ولا يخدعهم المظهر الخارجي، وأنه، في مرحلته الجديدة، يتبع جنور الشر ويردها إلى الأضطراب الروحي الذي يعتري الإنسان وبعذبه ويشقيه. ولذلك فالدلالة الرمزية لكريمة ليست مجرد دلالة جسد فائز شهوانى، وليس صابر مجرد قاتل دفعته كريمة إلى القتل، فكلاهما روح شقية قلقة، تشبه روح «نور» التي تبدو باللغة الحسية في «اللص والكلاب»، ولكنها تتكشف عن نفس رهيبة شفيفة نبيلة، وروح صافية مضيئة، كان يمكن لسعيد مهران أن يصل إلى خلاصه من خلالها وعن طريقها. ولكنه رفض ما قدمته إليه من عطا نبيل، واستبدل به رغبة الانتقام، فضلّت خطاه، وأصبح لصاً وقاتلًا. وهذا أمر طبيعي، فالمومسات واللصوص والقتلة في أعمال نجيب - مع اللص والكلاب وما بعدها - هم أصحاب الروح الحقيقيون.

وأعترف أن هذا التفسير قلب ما فهمته عن الرواية في ذلك الوقت رأساً على عقب، فكان من الطبيعي أن أرفضه في البداية، ولكنني مع التأمل وجده منطويًا على قدر كبير من المعقولة، وعلى حس مرهف بعالم نجيب محفوظ الذي لا



مع يوسف إدريس والطيب صالح عام ١٩٧٧

٥٣

رئاسة تحرير مجلة «الهلال» (١٩٦٩-١٩٧١)، وأحسب أنه أغلى محفوظ لأن ينشر «المرايا» في مجلة «الإذاعة والتلفزيون» التي تولى رئاسة تحريرها (١٩٧٢-١٩٧١)؛ وكانت ضربة معلم منه أن يتافق مع المبدع العظيم سيف وانلى على نشر لوحات عن الشخصيات التي تقدم الرواية مرايا لها. وهو الذي نشر قصص نجيب محفوظ القصيرة عندما كان رئيس تحرير مجلة «الدودة القطرية» (١٩٨٦-١٩٨١) التي جعل منها أفضل مجلة ثقافية عربية، يتهافت عليها القراء في كل مكان. وكان نشره لقصص محفوظ القصيرة ضربة معلم أخرى كسرت طوق المقاطعة العربية لنجيب محفوظ، بحججة موقفه من السلام مع إسرائيل، وهو الموقف الذي أثار عليه عداء الكثيرين الذين قاطعوا رواياته ومنعوها من دخول «أقطار الصمود والتحدي».

الذين سبقوهم إلى الطريق الذي لا يختلف كثيراً عن طريق صابر صابر الرحيمي الباحث عن المعنى الكلى الذى يعيد للحياة كمالها، سواء تجلى فى رمز زعبلوى أو الجبلوى أو غيرهما، فالمهم هو السعى، حيث متعة الطريق المستحيل لا تقل عن متعة الوصول منه إلى غاية، فهو طريق لا يخلو من الغواية التى تلبست روح صلاح چاهين - وهو من جيل رجاء - عندما وصف نفسه فى إحدى رياضياته بأنه الذى «بالأمر المستحيل أغتوى». ولا يعنيه الوصول ما دام الطريق إليه مليئاً بالنشوة التى تقد بها رغبة الكشف إلى ما لا نهاية.

لا أعرف إذا كان رجاء قد اهتم بميدع روائى آخر اهتمامه بأعمال نجيب محفوظ، فأغلبظن أن قائد الروائين إلى توبيل شغله عن الاهتمام بغيره، فأصدر عنه عدداً خاصاً عندما تولى

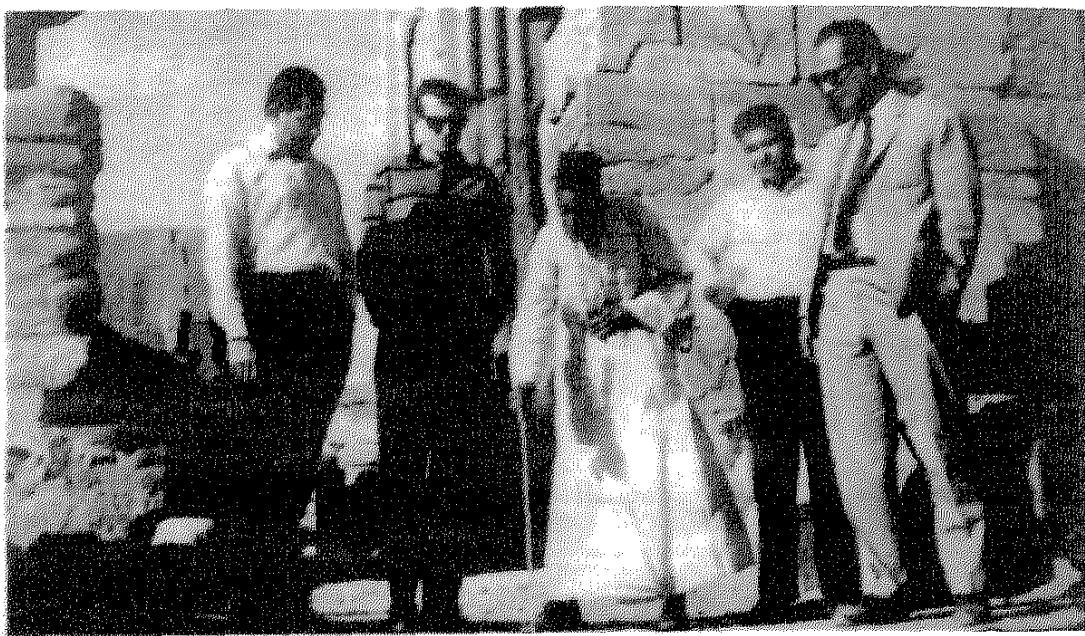
صوتهم الخاص ورؤيتهم لأمور الفن والحياة. وقد تسبب ما كتبه، في ذلك الوقت، في مجلة «المصور» سنة ١٩٧٩ تحت عنوان «هل أصبح نجيب محفوظ عقبة في طريق الرواية العربية؟»، في ثورة الكتاب الشبيان في ذلك الوقت، إذ لم يعودوا شباناً، فهاجموه عدد منهم، فرد عليهم بمقال عنيف، مؤكداً اقتناعه بأن الحضور العملاق لنجيب محفوظ أخفى الكثيرين تحت ظلله، فلم يعد هناك من حضور إلا له.

لكن المؤكد أن رجاء النقاش لم يمنع نفسه الوقت الكافي لقراءة إبداع الشباب في تنوعه، بسبب مشاغله العديدة وإيمانه بفكرة المبدع الواحد الأحد، وهي البقية الباقية من رؤية العالم عند المثقف القومي الذي يظل يؤمن بأقانيم الحرية والوحدة والاشتراكية إيمانه ببطولة الزعيم الذي هو المركز الذي تدور حوله كل الأشياء، كالبطل الذي لا نظير له في رؤاه، والمبدع الذي لا شبيه له في علاه. ولذلك ظل نجيب محفوظ الموازي الإبداعي للمركزية السياسية للبطل المتفرد قومياً. صحيح أن رجاء التفت إلى عبقرية الطيب صالح، كعادته في اكتشاف المعادن النادرة للمواعيد الأصلية، لكن رؤيته القومية حالت بينه ورؤية الآفاق المغایرة، بل المعادية للأفق القومي، في كتابات السبعينيات، خصوصاً حين اقترن غaiاتها الإبداعية بتعرية الكوارث التي انطوت عليها وأدت إليها الدولة السلطانية للمشروع القومي، ولتنذر أعمالاً مثل «الزيني برؤس» و«مذكرات شاب» لجمال

وقد ظل رجاء النقاش متعلقاً بتجربة محفوظ الروائي حتى في المنفى الاختياري الذي فرضه على نفسه، أو فرضته عليه المتغيرات السياسية، عندما عمل في قطر، رئيساً لتحرير «الراية القطرية» (١٩٨٦-١٩٨١) ورئيساً لتحرير مجلة «اللوحة» (١٩٨٦-١٩٨١)، حيث ابتعد نسبياً عن متابعة متغيرات القصة في مصر، ولم يكتب كثيراً عن جيل السبعينيات ثم السبعينيات ومن جاء بعدهما.

إبداع الطيب

ولم يكن هناك استثناء سوى اكتشاف رجاء النقاش لإبداع الطيب صالح، كما اكتشف إبداع محمود درويش، فكتب عن الطيب صالح بعد أن قرأ له رائعته «موسم الهجرة إلى الشمال»، مؤكداً في مقال كتبه سنة ١٩٦٨ أنه إزاء عبقرية روائية جديدة، يمكن أن يضعها في موازاة أفضل الروايات العالمية فناً وعمقاً ومتعاً. وكان كشف رجاء النقاش لعبقرية الطيب صالح الروائية علامة مضافة إلى علامات قدرته التنوية على اكتشاف العبريات الإبداعية قبل غيره. وهي القدرة نفسها التي جعلته يرى عالمية نجيب محفوظ في الأفق المواتي للمشهد الأدبي العالمي. ومن المؤكد أن انشغال رجاء بمحفوظ جرّ عليه غضب جيل السبعينيات الذين عاب عليهم تقليد نجيب محفوظ الأب، وطالبهم بالثورة والتمرد الإبداعي على «الأب» كي يكون لهم



في الأقصر مع الشاعر الروسي «إيفشنكوف» وكامل زهيرى وأنيس منصور عام ١٩٦٧

صمت بعدها طويلاً، بينما ظلت جنوة المشروع القومي وأحلامه متقدة داخل رجاء النقاش، فكتب في السبعينيات مقالاته المدوية التي نشرها، دفاعاً عن «عروبة مصر» و«القومية العربية»، ضد ما كتبه توفيق الحكيم ولويس عوض وحسين فوزي، واختص رجاء النقاش لويس عوض بأغلب هجومه الذي نشره - بعد سنوات قليلة - في كتابه «الانعزاليون في مصر» الذي صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٨١.

٥٥

اعتذار

وكانت المصادفة الدالة أذنني قابلت رجاء النقاش وعرفته عن قرب، وتبادلنا طويلاً الحديث حول رؤيته النقدية، وحول المثل القومية التي لا يزال معتزاً بها، منطويوا عليها انطواء الجسد على روحه، بعد صدور كتاب الانعزاليين، وكان ذلك في بغداد التي جاء إليها رجاء من الدوحة

الفيطانى، وكتابات يوسف القعيد وسلiman قياض وبهاء طاهر ويحيى الطاهر عبدالله وغيرهم من الذين كانت أعمالهم القصصية «تمرداً» إبداعياً على الأب وقتلا له على السواء. وإن لم تخنى الذاكرة كان رجاء النقاش لا يزال على حماسته القومية رغم كارثة يونيو ١٩٦٧، وما أدت إليه من انقسام أوهام، وانكسار أحلام أبناء جيله، خصوصاً حين كتب حجازى «مرثية العمر الجميل» فاصما العلاقة بينه والمشروع القومى إلى الأبد، وتوقف صلاح چاهين عن الغناء لـ «بستان الاشتراكية» أو الحديث عن مهارة الرئيس الملحن الذى سسوف يبني عالماً جديداً، فيه «أويرا» على كل ترعة، فى كل قرية عربية، ودخل فى عوالم الاكتئاب التى حاول علاجها بكتابة مطولته «على اسم مصر». وانهمك صلاح عبد الصبور فى كتابة «تأملات فى زمن جريح» (١٩٧٠) و«شجر الليل» (١٩٧٢) التي

بعد ذلك، وعاد هو إلى القاهرة قبلى بسنوات، فقد عدت من إمارتى سنة ١٩٨٨، وكان هو فى «دار الهلال» التى قبل العمل فيها بمنصب رئيس تحرير مجلة «الكواكب»، وظل يؤدى فى الدار ما لا يرضى عنه، تحت إشراف مكرم محمد أحمد الذى لم يكن مسموما له بـأن يمنع رجاء المكانة التى يستحقها. وظل الأمر على ذلك الحال إلى أن انتهى الزمن الساداتى، وأصبح رجاء، بعد سنوات، أحد كُتاب «الأهرام» الذى يواصل فيها مقالاته الأسبوعية منذ سنة ١٩٩٥ إلى اليوم، لا يتوقف عن كتابة مقاله الأسبوعى الذى لا يكف فيه عن العطا، مواصلا إيمانه بحلمه القومى ورؤيته السياسية التى تتبنى على مبادئ العدالة الاجتماعية والحرية والوحدة، ورؤيته الإبداعية التى ظلت ترعى إبداع الأجيال الجديدة، حانية عليها، مبرزة الأصوات الفاضحة المتمردة فيها، باقيا على حبه القديم لنجيب محفوظ، الحب الذى دفع نجيب محفوظ إلى أن يخصه بكل ما يتعلق ب حياته، حاكيا له فى بوح حر كل المسكون عنه، فأخرج رجاء الكتاب الذى سيظل وثيقة بالغة الأهمية لكل من يريد أن يدخل إلى عالم نجيب محفوظ، ويعرف ما لم يكن معروفا من قبل عن أدب نجيب محفوظ وحياته على السواء. وقد ظهر ذلك كله فى كتاب نادر المثال عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٩٨. وكم أتفنى أن يجد رجاء النقاش ويجد أكثر المقربين إليه من تلامذته الوقت لأن يبوح رجاء النقاش بكل ما عنده وهو كثير، وكل ما

فى قطر التى كان لا يزال رئيس تحرير مجلتها، وكانت قادما من الكويت التى كنت أعمل أستاذًا معاً فى جامعتها، وكان الاقتراب من رجاء مصدر سعادتى طوال الأسبوع الذى قضيناه فى بغداد التى كانت تريد أن تحل محل القاهرة، وأن تواصل الرسالة القومية لعبدالناصر، لكن تحت قيادة حزب البعث، وزعامة صدام حسين الذى كان يسعى إلى وداثة عبدالناصر. ولا أزال أذكر اقتراحى الحميم من رجاء وإهدائى كتابه «الانعزاليون فى مصر» الذى لا أزال أعتز بكلمات الإهداء التى خطها بقلمه على الغلاف الداخلى. وكان المرحوم غالى شكرى قادما، هو الآخر، من باريس، فى زمن الشتات الذى تسببت فيه السياسات الساداتية، وأنكر جيدا أن رجاء النقاش أثرنى بالقرب، فلأنا خريج القسم نفسه الذى تخرج فيه قبلى بتسع سنوات، بينما تخرج غالى شكرى من قسم آخر هو قسم الفلسفة. ولن أنسى سحابة الأسى التى ملأت عينى رجاء عندما قلت له إننى قرأت عنوان أطروحته الذى سجلها للحصول على درجة الماجستير، تحت إشراف أستاذتنا سهير القلموى، فصمت لبرهة، كأنه يستسلم إلى أفكاره الشاجية، وحششى عن أنه كان يحلم بحياة أكاديمية خالصة مثل حياة أستاذته الذين وهبوا حياتهم للجامعة، ولكن الصحافة سرقته من الحلم الذى ظل منطويًا عليه لا يفارقه. وافترقنا فى بغداد التى لم أدخلها



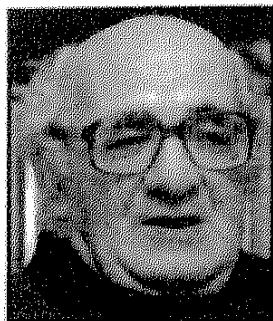
٥٧

متحف - بيروت - ٢٠٠٣

البورتريه للفنانة صفاء علاء الدين

مد الله في عمره، ومنه الصحة والعافية
التي ندعوه بها ونرجوها له من أعماق
قلوبنا، كي نحتفل معه بعيد ميلاده الثالث
والسبعين في الثالث من سبتمبر القادم،
وأعياد ميلاد أخرى عديدة قادمة بإذن الله
.. وقبلاتي يا رجاء..

يكتمه وهو كثير أيضا. وسواء فعل ذلك أو
لم يفعل فسيظل قيمة مصرية نادرة،
وأستاذًا كبيرًا، أدين له وأبناء جيلي، فقد
تعلمنا منه، ولا نزال نتعلم، الكثير الذي
يملا حياتنا معرفة متقددة، وإحساسا
نقدياً مرهفاً، وخبرة أدبية من طراز رفيع.



لأبي حميم اليساهم في الأدب

خيرى شلبى □

برجاً مصرياً نابتاً في غيطان «قرية سمنود» يحمل لون الشمس المطروحة عليه وهي شمس مصرية الهوى ومزاجها مصرى يستنبئ قلوبنا من أطهارها ينشدون في هواها مزامير العشق وأناشيد الخلود.

كنز ثمين

أحببنا نحن قراء ذلك الجيل هذا الشاب الفتى النابه الجري الحاد في قول الحق رغم وداعه مظهره، والحياة الذي لا ينلي يصبغ وجهه القمحى بعصير الفراولة، أحببنا حتى اسمه: «رجاء النقاش»، حفظته أعيتنا بجميع ألوان الخطوط من الرقعة إلى النسخ إلى الثلث. تداولنا كتابه الأول عن «أزمة الثقافة المصرية» الصادر عن دار الآداب، كأنه كنز ثمين يخصنا نحن. تابعنا صعوده على صفحات جريدة «أخبار اليوم» حيث المقال صفحة كاملة في النقد الأدبي، الملحق لواقع الثقافى الحى، المساهم فى بنائه، الموسع لمعنى الثورة بفتح آفاق متaramية الأطراف للثقافة. ثم انتقل «رجاء النقاش» إلى جريدة «الجمهورية» فانتقلنا معه، ثم انتقل إلى «دار الهلال» رئيساً لتحرير مجلة «الكوكب» الفنية فقام

في صبانا المبكر - في القرية المصرية. استشعرنا طرلاجته في كتاباته النقدية السخنة، وجرأته في التصدي لكبريات القضايا الأدبية والفنية، والتعامل معها ببساطة العارفين بأسرارها، والواعين بأساليب علاجاتها الكلاسيكية.. ولأن الصحافة السيارة كانت نافذته على عموم القراء، فإنه عرف - مبكراً - كيف يجعل منها صحفة ثقافية لها عمقها وتأثيرها القوى في خلق رأى عام ثقافي حول كافة رواد الثقافة، كالسينما والمسرح والرواية والقصة والشعر، وصناعة الكتاب والنشر وكل ما يتصل بالثقافة بسبب.. وكانت صورته الحميمة تنشر على صدر مقاله الأسبوعى في مجلتي «البوليس» و«الإذاعة»، فإذا هي صورة جاذبة مستقطبة للحب والإعجاب والتعاطف، شاب وديع حالم أسمى البشرة يشف لونها الخمرى، أو القمحى، عن دم عربي لعله من أصول شامية، بعينين خضراواتين تعكسان أخضرار المستقبل المصرى العربى المرموق، في ظل ثورة يوليو البازاغة الجالية معها كل جديد، كل حديث مثير مبهراً. إن أخضرار هاتين العينين الشاميتين كحمامتين استوطنتا

٥٨
جـ ٢
٣

الأدب والفكر والعلم والاقتصاد والسيرة الذاتية.. ثم انتقل «رجاء النقاش» إلى رئاسة مجلس إدارة وتحرير مجلة «الإذاعة والتليفزيون» فينهض بها في زمن قياسي..

الكتابة التنموية

المثير للإعجاب والتقدير حقاً أن كل هذه المهام الجسام وهذه الرحلة الطويلة، بين مقاعد المسؤولية والعمل الثقافي العام، وما ينتج عن هذا وذاك من وجع دماغ وحرق دم وإرهاق أعصاب، كل ذلك لم يغسل «رجاء النقاش» عن موهبته الأساسية: الكتابة النقدية، التنموية، المسئولة، المتمسكة بالمنظومة الأخلاقية التي تربينا عليها، وشكلت وجداننا المتجرد في التربية المصرية. وحتى في بلاد الغربة حينما سافر رجاء لاستكمال رسالته الثقافية بتأسيس جريدة «الراية» القطرية ثم انتقاله إلى مجلة «اللوحة»، في زمن كان أشبه بموسم انهيارات لجميع القيم على جميع الأصعدة، كان رجاء حذراً غاية الحذر، فلم يكتب إلا في الحدود التي يكون صادقاً فيها تماماً الصدق مع نفسه ومع قناعاته الفكرية.

رجاء النقاش دور عظيم في حركة الشعر العربي الحديث، ليس فحسب لأنّه قدم لديوانى «عن القمر والطين» لصلاح جاهين، و«مدينة بلا قلب» لأحمد عبد المعطى حجازى، وإنما لأنّه واكب الحركة بالنقד والإسهام النظري والتشجيع والترشيد، ويشهد على ذلك كتابه «ثلاثون عاماً مع الشعر» أما بقية كتبه الكثيرة فتشهد له بأفضل جمة..



بتطويرها ومنحها ثقلأً ثقافياً دون أن يخرجها عن طبيعتها الفنية، وهذه في حد ذاتها قدرة استثنائية في بعض الموهوبين من أبناء صاحبة الجلالة، إلا أنه سرعان ما انتقل إلى المقدّم الذي يلائمه ويستوعب طاقاته الكبيرة، أصبح رئيساً لتحرير الشقيقات الثلاث: الهلال.. روايات الهلال.. كتاب الهلال.. الحق يقال لقد بذل جهوداً عظيمة في تحديث هذه السلسلة الثلاث وربطها بالواقع الثقافي العالمي الراهن، نهض بمجلة «الهلال» وجدد شبابها، فتح «روايات الهلال» على ترجمات حديثة وكاملة ودقيقة لدرر الأدب العالمي الحديث، ولروائيين مصريين وعرب محدثين، نقل «كتاب الهلال» من الموضوع التقليدي التراثي إلى آفاق أوسع في



بِأَيْمَانِ الْمُصْحَّحِ أَفْرُقَ السَّيِّدَا لِلشَّهَادَةِ

رؤيه نقلية

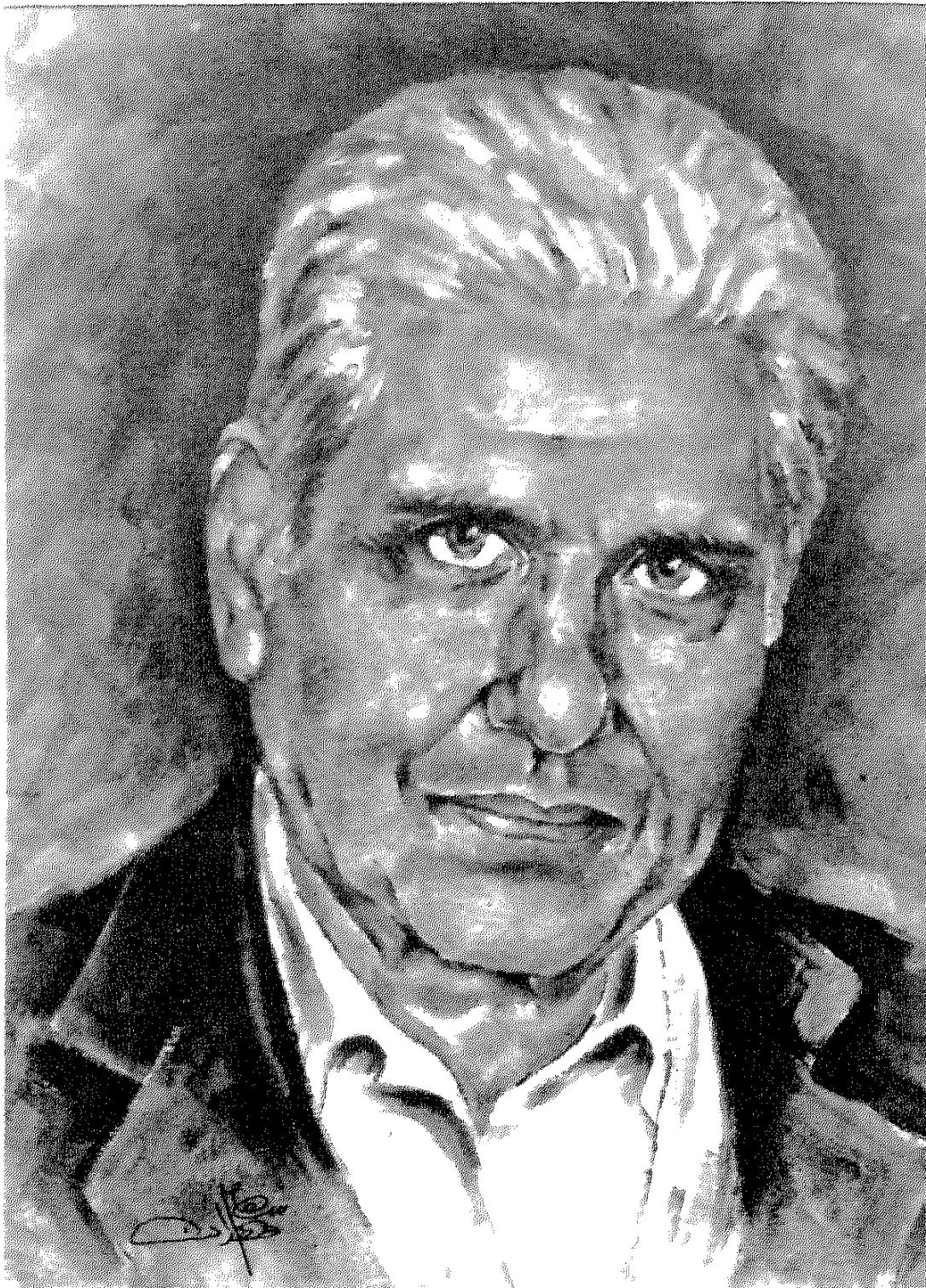
إبراهيم فتحى □

والظلال مليئة بالشحنات العاطفية بعيدة عن التبذير والثرثرة». وهى مع ذلك تعتمد على المخاطبة المباشرة الحميمية للقراء، ومحاولة إشراكهم بطريقة ودية فى طريقة الكاتب التأملية والتفسيرية. كما أن الانتقالات من فقرة إلى فقرة عنده تحرك الفكرة أو التقييم نحو هدف الاستحالة والإقناع، وأحياناً وصل التداعيات التي تبدو حرة حول موضوع التناول وكأنها محاورات مع قراء مفترضين إلى تركيب نظرى نهائى (وقد يكون مذهبياً) ونعرف ذلك من اللوازم التى يكررها الكاتب فى مقالاته الكثيرة المتنوعة.

ومع ذلك يبدو فن المقالة عنده مرتكزاً على اختبار حر فى مجال التأمل السياسى والثقافى، ونشعر كما لو أن طريقة رجاء النقاش فى «سوق الحجج» وضرب الأمثلة وعقد المقارنات نابعة من تجربته الشخصية فى محل الأول، دون أن تحركها أى فكرة ختامية جاهزة. فهو يقدم مناقشاته وتأملاته حول الأعمال والمذاهب والأهداف وكأنها فى عملية التشكيل لم تستقر بعد أو كأنها لا تزال متفتحة على تأويلات حرجة جديدة، وكأنها تبني جسراً بين السياسة العربية القومية

تميزت كتابة رجاء النقاش الصحفية بطابع متفرد، فهى رغم اتساع جمهورها وقوه تأثيرها، بعيدة عن السطحية وسوقية استهداف الإثارة السريعة . وتنتمى فى أدب الأفكار إلى نوع أدبي قائم بذاته، نوع هو المقالة الإبداعية، أى ذلك الفن من البحث الصحفى الذى يعالج تجربة سياسية أو أدبية أو ثقافية عموماً بالتحليل والاستدلال المتخصص البعيدين عن خواء التجریدات مهما تكون متداولة. وفي بلادنا العربية لابد أن تكون ممارسة الكتابة الصحفية على هذا النحو النادر، وثيقة الارتباط بالمناقشات السياسية ومعاركها، لا بالخوض فى أحوالها، بل بمحاولة اقتراح ما يشبه أن يكون رؤية معينة للوضع العربى فى تغيرات عالم اليوم إنها رؤية يمكن أن تعطى لأحداث هذا الوضع وشخصه الفاعلة وما تشيره من أهواه حادة وانفعالات عنيفة شكلاً ومعنى، وأسلوب رجاء النقاش اللغوى يؤدى بوضوح شكل أو معنى الموضوع الذى يختاره للاختبار أو التجربة التى يستكشفها دون التباس. فاللغة التى يؤثرها فى أعمال الآخرين وفي أعماله هي «لغة ناصعة مصقوله، غنية بالأصوات

□ كاتب وناقد مصرى يعيش فى لندن



٦١
الليل - فبراير ٢٠١٣

البورتريه للفنانة سهام وهدان

تجارب الحس

وحرية الإبداع، وقراءة الشعر والروايات
والمسرحيات وفنون الأداء المختلفة.

تجارب الحس

المقالة الصحفية الفنية عند رجاء النقاش تتميز باعتمادها على تجارب الحس والانفعال، وكثافة اليومي المعيش والانخراط في الذاتية أى ما يسمى بالحضور الكلى، باستغراق شامل لشخصية الكاتب في الكتابة مهما تكن موضوعية.

وهو يقدم ما ي قوله من آراء باعتبارها طبيعية تلقائية منبثقة من ذاته ومن النوق العام، بديهية كأنها الشمس فى كبد السماء، حقيقة تمحو كل أشكال البهتان وكأننا فوضنا الكاتب ليحضر لنا وعننا كل الأكاذيب السياسية والحضارية.

فهو يواصل تقليداً لم يستقر بعد في الصحافة العربية إلا عند قلائل (تقليد سونتينى وهازليت وإمرسون.. إلخ) كان يسمى في مطلع القرن العشرين فصلاً ويجمع على فصول عند العقاد ومقلاً عند طه حسين ولويس عوض ومندور والمارنى وحسين فوزى وأحمد بهاء الدين وبمعنى مختلف «استطلاعاً» قبل أن يصبح استطلاعاً مصرياً. ولكن التجربة الذاتية في المقالة الصحفية الإبداعية ليست من قبيل تغريد البلايل. فالسلطة السياسية في البلاد العربية التقليدية أو في أنظمة ما يسمى الثورات القومية هي التي تقوم بتنظيم الصحافة وكل مجالات النشر، وليس التعبير السياسي أو الثقافي عند

هذه السلطة بعيداً عن رقابتها الخانقة أو التوجيهية، فحتى الأحلام يجب أن تمر عبر القنوات «الشرعية»، ولم تسمح لأن يصل أي كاتب إلى موقع من موقع المسئولية في الصحافة ما لم يكن سجل انتتمائه إلى خطها السياسي العام دون شائبة اختلاف. وفي مصر كان الخط السياسي العام ولوعاً بفكرة الثورة التي تقترب من فكرة النهضة التحديثية بالإضافة إلى توحيد الأقطار العربية، وتحريرها من السيطرة الاستعمارية، وكذلك كان الحال مع التيار القومي في تحزبه البعثى الذى وصل إلى الحلم فى سوريا والعراق، وكان له نفوذه المموس فى الكثير من البلدان العربية. وكان قاموس التمرد والثورة والجماهير والوعى والمعركة والالتزام والتوحيد القومى عندما بدأ رجاء الكتابة يواصل انتقاله من ألسنة مناضلى اليسار فى الحركة الوطنية المصرية ومن مطبوعاتهم السيرية التى تؤدى بهم إلى السجون والمعتقلات، ليصبح هذا القاموس حكراً على الواجهات الرسمية الإعلامية المضاءة بالنيون أو مصحوباً بالموسيقى فى الإذاعة جهيرة الصوت الدعائى.

ومنذ الخمسينيات الأولى كان رجاء النقاش متميزاً بين حركة ثقافية تضم القادمين من المجال الأدبى شعراء وقصاصين ونقاداً، الذين ينتمون إلى «رمزية» ذلك المجال الجمالية، وقد ارتبط عندهم نوع من التوفيق التلقائى بين التجديد الأدبى والثورة السياسية. الشعر «الجديد» فى الفصحى والعامية



محمد زكي عبد القادر

عبد الرحمن الشرقاوى

حسين فوزى

ومنذ السنوات الأولى كانت كتابة رجاء شديدة الانغماط في العصر وفي الحاضر مقسمة بالطرازجة لا تقع في سهولة مفرطة سطحية أو عاطفية مائعة.

المثقف والسلطة

وقد كانت للسلطة السياسية في مصر سيطرة قوية على الصحف التي عمل بها رجاء النقاش طوال حياته، ولم يخف قط تبنيه لخط السياسي للرؤساء الثلاثة، ومدحه لأشخاصهم، إذا استثنينا فترة قصيرة أعقبت الانتقال من جمهورية ناصر إلى جمهورية السادات وإذا جمعنا ما كتبه وما قاله من مدائح لأشخاص الرؤساء لكان في أيدينا سفر من التشريري يحفظ لرجاء مكاناً مرموقاً بين نظمي المدائن.

وهو قد يرتدي قناع المتنبي أو أبي تمام مدافعاً عن هذا الغرض الشعري أو الثقافي، غرض المدح. فالمسألة عنده أننا العرب نعاني من عقدة عدم الثقة بالنفس على العكس من الغربيين الذين يفخرون «بأنشودة رولان» والتي يراها رجاء

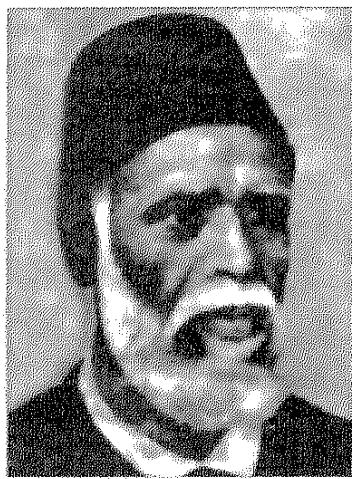
(عبدالصبور، حجازى، الشرقاوى، فؤاد حداد، صلاح جاهين)، القصة المصرية «يوسف إدريس»، وبطبيعة الحال صاحب كسر القيود العتيقة على الإبداع. تسييساً واسعاً للمجال الأدبي دون أن يقع المجددون في خطيئة التبشير السياسي الفج، وفي الكتابة الصحفية بربت إلى جانب مدرسة محمد التابعى، (مدرسة الخبر المثير في السبق الصحفي، وحكاية النواذر الطريفة عن الأشخاص والعلاقات الشخصية).

عزيزي القارئ تعالى معنى) في أسلوب أقرب إلى لغة المخاطبة اليومية مدرسة أخرى عند محمد زكي عبد القادر وأحمد بهاء الدين وكامل زهيرى وهذه المدرسة الأخرى أفادت من الأولى الحرص على سهولة الفهم وتجنب التعقيد والتعمق والتلفظ ولكنها اتجهت نحو جمع الواقع والحقائق العميقه وتحليلها والذهب وراء الحديث للكشف عن معناه ونهاية حركته وما يتربى عليه وما يتغير اتخاذه من مواقف إزاءه.

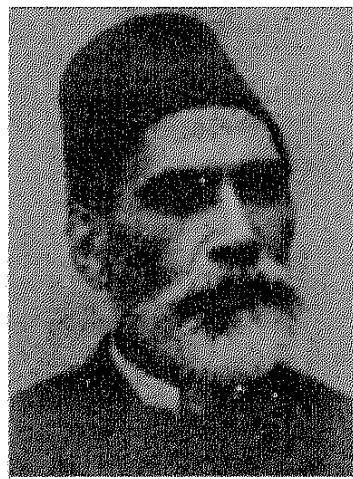
وما معنى المقارنة بين قصيدة أبي تمام وملحمة شعبية سردية لها بناء ملحمي شبه تاريخي يضم آلاف الأبيات، وتنشد تأثير أبطال قد يكونون أسطوريين صاغتها تعبيرات جماعية في أزمنة مختلفة، ثم بلورتها جهود فردية تتغنى بالمثل الدينية والإنسانية، ولا تتعرض للفرد إلا باعتباره يجسد هذه المثل، كما هي الحال في أنشودة «رولان» ذات الجملة الملحمية. وبطبيعة الحال لا يستترجم رجاء موقف مترجم كتاب أرسطو طاليس «في الشعر» أبي بشر متى بن يونس القنائى حينما ترجم التراجيديا وأحياناً الملhma بكلمة المدح.

وإسقاط الحاضر على الماضي يتجلّى في تفسير رجاء موقف المتتبّى بين مدح كافور الإخشيدى وهجائه، وكأنه مثقف صحفى معاصر انتقل من مصر إلى العراق أو الشام أو الخليج. فحينما تعرض المتتبّى لاتهامات ظالمه فى بلاد سيف الدولة تلقى عرضًا من كافور فى مصر التي استقلت عن سيطرة الخلافة العربية وهذا العرض الذي ينفرد به رجاء النقاش يعطيه حق المشاركة السياسية في الرأى والسلطة. ولم يسمع أحد من المؤرخين عن مجرد إمكان أي شكل من أشكال هذه المشاركة في هيكل حكم مستبد بالمصريين بعيد عما يسميه رجاء بالعروبة. وما الذي يمكن أن يشارك به شاعر كالمتبّى في قن الإدراة وممارسات السلطة؟. وقد صبر المتتبّى خمس سنوات يمدح «العبد الأسود المخضى» ويتسول سور «بقية أو حثالة» الكأس ويغنى

قصيدة مدح لشارللان ورولان. دعك من الارتزاق وعدم الصدق في التجربة الكتابية فما الخطأ عند رجاء في أن يمدح هو أو المتتبّى أو أبو تمام شخصية سياسية مهمة لها مواقف يوافق عليها المشق ويعيدها. إن المتتبّى لم يكن يمد اليد ليحصل على المال والثراء في بلاط سيف الدولة بل يراه رجاء وزير إعلام عند سيف الدولة، «إعلام راقٍ رفيع لتعبئة الروح المعنوية وتمجيد الهدف الكبير الذي يسعى إليه الأمير»، وكان هناك تطابق بين سيف الدولة وجمال عبدالناصر (أو ربما صدام حسين في كتابة رجاء النقاش الذي يؤكد أن نزار قباني وقف وقفه صريحة إلى جانب عراق «صدام» في دفاعها «كذا» عن شعبها «كذا» وعن الأمة العربية كلها ضد العدوان الإيرانى «ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء» ص ١٨١. هدف الأمير قدّيماً والآن حماية الحدود العربية من غارات الروم. إن هذا الشعر «أو المدح الصحفي» «شعر مبدأ وعقيدة والتزام وإيمان بالبطل الذى يجسد الهدف» (نفس المصدر ص ٤٢/٤١)، وتأييد مبدأ وفكرة و موقف ويطل سياسى. وكذلك الحال مع موقف أبي تمام من الخليفة المعتصم ضد الروم. فهناك تأييد سياسى كامل للمعتصم وللجهاد الحربى في قصيدة فتح عمورية (لا مجال هنا للحديث عن استعانت الخليفة العباسى الثامن بعساكر الترك الذين سيطروا على الخلافة العربية فيما بعد)



على مبارك



عبد الله فكري



قاسم أمين

به. ففي تعقيبه بالأهرام على رواية «عمارة يعقوبيان» لعلاء الأسوانى يقول إنها رواية غضب على الواقع وحنين إلى تغييره . الغضب من أجمل ينابيع الفن الجميل؛ لأن الفنان والكاتب خصوصاً الجميل لا يكتفى بوصف الواقع والإنسان، ويرفض التطرف الدينى الذى يقود إلى العنف والفساد الذى يشوه الواقع والإنسان. وقبل ذلك كان رجاء النقاش يرى فى حجازى أوجه شبه مع المتتبى فى تحدى العاشرة، تحدى الواقع الذى يعيشان فيه ويعانيان منه أشد المعاناة وحجازى لم يخل لقب الفارس يوماً «فوق» أمير أيام.

وقد احتفل رجاء فى رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» بالجرح الإنسانى الذى ينزف، جرح الإنسان الأفريقي ضد التشويه الإنسانى الذى حملته أوروبا إلى الأفريقيين وبمواجهة مشكلة الخطوة إلى الإمام دون نزع الجنود من الأرض. .

وفي اكتشاف رجاء لشعراء المقاومة الفلسطينية، وهو اكتشاف ثقافى عظيم،

وكافور يشرب. فقد وعد كافور المتتبى بولادة يسلب دخلها مشاركاً في الغنيمة. ولكن هل لأن المتتبى كما يقول رجاء لم يكن مجرد شاعر، بل كان رجلاً سياسياً صاحب مبدأ وفكرة (سياسي بلا قوة جماهيرية أو قبلية، جنرال بلا جيش أو سلاح، عند نبطي من أهل السواد لا علاقة له بمقاومة «العروبة» للغزو الأجنبى) فلا لوم ولا تشريب عليه في أن يغير تحالفاته لكي يحقق أهدافه (تلك التي قد لا تتعدى اختبار المكان الطيب الذى ينبع العز). هل يكفى المثقف الإيمان بالعرب والعروبة ووحدة الأرض العربية وضرورة أن يكون الذين يحكمون العرب عرباً من بينهم؟ ويصل رجاء إلى أن طه حسين صورة من المتتبى، رجل سياسة لا لوم في أن يكون من رجال السلطة (فصلم السلطة متعدد الدرجات). فالمثقف الجدير بالمدح هو الذي يرفض الانطواء والاعتزال والابتعاد عن الحياة العامة!

صور متغيرة للمثقف

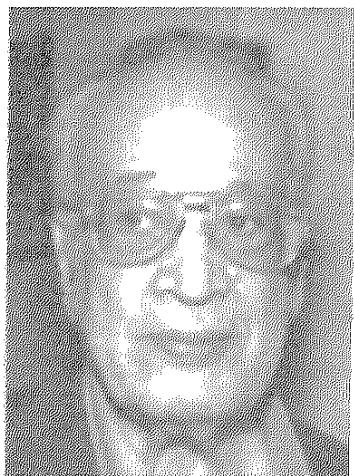
والآن بعد عقود يواصل رجاء ما بدأ

أن رفاعة الطهطاوى أول مفكر مستنير ظهر بعد عصر الظلام العقلى الطويل، ولم ير إمكان التغير بين ليلة وضحاها، بل أمن بالدرج المهدنة وسياسة الصبر والنفس الطويل. وهو لم يدخل أى معارك مع السلطة بل حاول أن يؤسس عصراً كاملاً من عصور التنوير عن طريق هادئ وديع وبغير صدام مع أحد (هل تركه الحاكم يؤسس ذلك بالإمكانات المادية والمؤسسية التي أعطاها الحاكم له طواعية؟). ويضع رجاء على لسان رفاعة أنه وجد ذلك أنساب لطبيعته الخاصة وإمكانياته وأجدى عليه وعلى وطنه وأهله. صبر وثابر حتى استطاع أن يخلق جيلاً هو الجيل الذي صنع النهضة وأنشأها فى مصر ويرتفع صوت رجاء قائلاً: إن هذا النوع من المثقفين «المعتدلين» له نماذج أخرى: على مبارك وعبدالله فكري وقاسم أمين وتمتد السلسلة حتى تصل إلى طه حسين والعقاد وتجيئ محفوظ الذين كانوا في مراحل طويلة مهادنين في الفكر والحياة لا بداع الانتهازية والجبن، ولكن بداع البحث عن الاستقرار والقدرة على الإنتاج وتحقيق الممكن. والمسألة عند رجاء متمثلة في فرد مثقف أو موهوب أمام أجهزة البطش في السلطة الغاشمة. وما من وسائل مثل حركة علماء أو قوى مصرية، من أرباب صناعات وتجار، بل وحركات تمرد واسعة النطاق بين الفلاحين، وما من أفق ممكناً إلا الفرد في عريه والجلاد في جبروته. فكان لابد أن يعتمد كل المثقفين الأحرار مثل «طه حسين» على الأحزاب غير الشعبية

وفي التعريف العميق بهم يحتفى بالثورة والتمرد بل وبالبطولة.

بعيداً عن الثورة والتمرد

في الكتابة الصحفية عن الواقع الثقافى الحالى نزول إلى الأرض وتناول واقعى للأمور وانتقال من المبدع الضيمى المائل فى الأعمال، إلى المبدع الذى يمشى فى الأسواق، أى من الفارس القديم إلى الموظف كاسب العيش. ورجاء يصبح: هل يطالبون كل من يحمل القلم بأن يكون بطلاً مقداماً وفارساً مغواراً يخرج من سجن إلى سجن ويتعرض للجوع والتشرد هو وأولاده وبقية أهله؟ فإن لم يفعل ذلك فلتتحل عليه اللعنة ولি�صبح خائناً منبوداً؟ ورجاء يرصد ظاهرة المهدنة فى المعارك المثار. ويتناول صلاح عبد الصبور ويصفه بأنه من أهل التقى. يتكون إعلان آرائهم الصريحة عندما يدركون أن إعلان الرأى ثمنه قطع الرأس أو قطع الرزق أو تشريد الإنسان. وذلك لم يكن في العهد البائد الملكي الاستعماري وحده، بل كان في عصر بطل العروبة ثم في عصر بطل ثورة مايو التصحيحية. ورجاء يقوم بتأصيل ظاهرة المهدنة. وهو يراها في طبيعة مفكرين كبار منذ رفاعة رافع الطهطاوى، ويتكلّم باسمهم حين يرون الاصطدام المباشر في الفكر والحياة لا نتيجة له إلا أن ينكسر المفكّر أو الفنان انكساراً سريعاً، وتضييع عليه فرصة الإنتاج وفرصة التأثير الذي يستطيع من خلاله أن يخدم وطنه وشعبه ويعتقد رجاء



كامل زعيري



فؤاد حداد



بيرم التونسي

والالتفاف حول الهدف والبعد عن المعارك المباشرة. وكل كاتب من حقه أن ينتهي إلى المدرسة التي تناسب طبعه وقدراته وأمكانياته واستعداده الخاص. فالمثقف في عصر سيف الدولة الناصرى أو بطل الحرب والسلام يحس بأن حريته ككاتب وإنسان مرهونة بأى سوء فهم، وما كان أيسر أن يفقد حريته من جانب الذين يملكون السلطة والقدرة على حرمان الآخرين من حريةهم. وينكمش المثقف في دور الموظف الذى ليس لديه سوى وظيفته مصدرًا لقوته «لطعامه» وقوت أسرته. فقد تبعثر المثقفون غباراً من الأفراد لا يعتمدون على حركة وطنية ديموقراطية جماهيرية، تمتلك نقابات وأحزاباً ومنظمات ومراكز ودور نشر. ولكنهم رغم ذلك ظلوا يحترمون قدرات عبدالله النديم وسيد درويش وبيرم ومحمد منور ويطرحون للتساؤل أدوار الذين قدموها أفضل ما لديهم في كنف سلطة باغية، ولن يكف رجاء عن تمجيد الفاضلين ضد المسوخ الشائئات. ولكنه في بعض

قادتها الذين كانوا قادرين على تيسير تعليمهم في الخارج وحمايتهم، وكذلك الحال مع العقاد بعد سنة ١٩٢٥ - حيث ربط نفسه بأحزاب غير شعبية لقدرتهم على توفير الاستقرار له الذي يساعدده على الإنتاج كما يريد (الأدق أنه كان ينتج كما يريدون). وفي ذكرى العقاد هذه الأيام يحتفى رجاء بشيء مغاير تماماً فالعقاد لم يعرف أى مواقف معتدلة يمكن أن نقول عنها إنها مواقف وسط. وهو يحتفى بكلمة العقاد في البرلمان: إننا على استعداد لأن نسحق أكبر رأس في البلاد إذا امتدت يده إلى الدستور. وأكبر رأس كان هو الملك فؤاد وقد دفع العقاد ثمن موقفه الشجاع، ودخل السجن لمدة تسعة أشهر. وهنا لا يذكر رجاء تغير موقف العقاد في قصائده التافهة التي يمدح فيها الحاكم المستبد فاروق، ومقالاته التي عنوانها «ملك دستوري وسوقه مستبدة» والسوق هم الأغلبية الشعبية الوفدية. ومن الممكن استنتاج أن رجاء يرجع كفة ما يسمى بالاعتدال أو المناورة،

بيان المراجحة والخيانة

القومى فى الشام والعراق يعلو صوته بالإدانة. ففى مصر كان الموقف الرسمى من الأحزاب واضحاً، اليمين عميل للحزب الرأسمالى واليسار عميل للشرق الشيوعى. والمادة ٩٨ من قانون الجنایات تتهم الماركسية بقلب نظام الحكم بالقوة المسلحة. وكنا أمام موقف تكفيلى حرفياً وصل إلى حد الاعتقال والتعذيب والقتل والافتراء ضد نشاط سلمى تنويرى. جيغفارا لم يكن إلا دون كيشوت القرن العشرين عند رجاء (من قصة روایتین ص ٨٢)، وحديث بلا سند عن استعمال العنفسلح وتغيير المجتمع حينما يتعلق الأمر بحكم عصابات استعمارية ومواجهة فرق الموت فى أمريكا اللاتينية. إن رجاء لا يتتردد فى وصف حركة سياسية بالطرف والعنف استناداً إلى مواقف هامشية. لبعض الأفراد أدانتها هذه الحركة نفسها. ولا تتفق هذه النغمة الاستئصالية مع رحابة صدر رجاء فى التعامل مع معظم ألوان الطيف السياسى. فهو محق فى إدانة التكفير المسلح، ولكنه ليس محقاً فى أن ينسب إلى أسرى جميع العصور ما ليس فيهم وما يديرونه ولكن العداء المزير للماركسية عند رجاء يحجب عنه الحقيقة التى ظل يعيشها دائماً. إنه ينقل عن أحد المصادر المشكوك فيها أن جوركى قد ضاق منذ اللحظة الأولى بالأساليب الدموية للثورة فى سعيها لتطبيق أهدافها النبيلة (قصة روایتین ص ٩٠). فسفى اللحظة الأولى دخلت جيوش ضخمة من أربع عشرة دولة أرض روسيا، لتهزم الثورة واستمر القتل

الأحيان؛ لأنه مثقف شريف يبغض اتهام الناس فى شرفهم يتلمس الأعذار للذين تهادوا شارحاً الظروف والملابسات تفادياً لاتهامات الخيانة التى تلقى جزاً. وقد يغالى فى الدفاع الإنسانى حتى ليظن القارئ أنه اتخذ موقفاً يرجع كفة التهاون. فهو يقول: ما أكثر الذين بدأوا حياتهم بأراء تجديدية بل بعضها حد الثورة والتمرد ثم صلحوا هذه الآراء أو تراجعوا عنها تراجعاً كاملاً أو جزئياً عندما تقدم بهم العمر وازدادوا خبرة وتجربة.

ولكته حاد كالسيف حينما يدين من يسمىهم الخوارج أو التكفيريين من أهل الدين أو اليسار.

ضد التكفير

يكسر رجاء فى تناوله للماركسية كل بيانات مكتب مكافحة الشيوعية عند القبض على ضحاياه، فهى نظرية مادية لا بالمعنى المعرفى بل بالمعنى الأخلاقى القيمى، ولابد أن تكون ضد الدين، ويزعم أن الماركسيين العرب يتنصلون من النظرية الفلسفية إلى العالم ويكتفون بالطلاب الاقتصادية التى هي جزء من كل دعوة الأديان من حيث الوقوف مع الفقراء (لا أعرف أى ديانة ناقشت ارتباط التركيب الطبى المتغير بالهيكل السياسى على طول التاريخ). وربما لم يتسع وقت رجاء لدراسة الماركسية ولم يكن ذلك مطلوباً منه، ولكنه لتبنيه موقف الحزب الواحد فى مصر أو الحزب العربى



سید درویش

ارنستو جیفارا

مکسیم جورکی

حيث خضوعها للأيديولوجية البورجوازية السائدة، وتسخر من الذين يسيرون في ذيل هذه الحركة، وأفراد الطبقة العاملة في الكثير من الأحوال تتضاللهم الطبقة الحاكمة وقد يسيرون وراء الكهنة. أما ماركس وإنجلز ولينين فهم من أفراد الطبقة الوسطى وإن كان إنجلز من أبناء الطبقة البورجوازية الكبيرة، ويليخانوف من الطبقة الارستقراطية. ومن المدهش أن كاتباً مدققاً مثل رجاء يزعم أن بريخت كان متحرراً في أدبه «التعليمي» من الالتزامات الحزبية، كما يزعم أن بريخت لم يطق أن يعيش في ألمانيا الشرقية رغم أنه ظل متمتعاً بكل الامتيازات المادية والمعنوية وواصل كتاباته تأييد أخطاء الحزب وهو ما عرضه لنقد كتاب ماركسيين مثل تيرى إيجلتون. وليس عيناً أن رجاء لم يتبع الأعمال الأدبية التي كتبها ماركسيون أمثال شولوخوف «الحائز على جائزة نوبل» وفاديف وإيليا أهرنبورج وإلكسي تولستوي «حفيد ليو تولستوي» في الرواية وايفتشنكو

والحصار أربع سنوات، صوت فيها الشعب الروسي بالسلاح ضد قوى التدخل:

ويزعم رجاء أن جوركى أصر على رغبته في مغادرة روسيا بعد الثورة، وأنه عاش منذ 1917 حتى 1936 في كابرى. ومن المضحك أن جوركى كان من أهم أنصار ستالين ولم يكن رئيساً لاتحاد الكتاب السوفييت فقط بل بقى طويلاً وزيراً للثقافة. ولم يكن بعيداً عن «الحزبية» بل لقد كان قائد الدعوة إلى حزبية الأدب في مؤتمر الكتاب السوفييت عام 1934. ونحن في الحركة الماركسيبة كنا نقرأ هجوم التروتسكيين على ستالينية جوركى. ويتميز رجاء بالروح الفكاهية حينما يزعم أن العامل في الحزبية الماركسيبة لا بد أن يكون بطلاً وشريفاً نقياً كما تنظر الحزبية الماركسيبة إلى أي إنسان من الطبقة الوسطى على أنه لا بد أن يكون شخصية سيئة. فهذا الهراء المضحك على النقيض من الماركسيبة التي تنتقد الحركة التلقائية بين العمال من

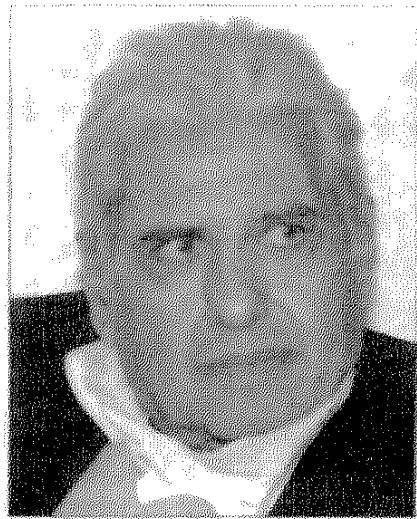
في المخابرات والسياسة

وتفاردوفسكى وفوزنيسنسكى فى الشعر ولكن ما كان أجدره أن يمتنع عن إصدار الأحكام القاطعة التى روجتها الحرب الباردة.

الصنم الذى هوى

هذا عنوان الكتاب الذى يرى رجاء أنه كتاب رائع باللغ الروعة والعمق. وقد صدر كتاب الحرب الباردة الثقافية وعنوانه الفرعى «المخابرات المركزية الأمريكية وعالم الفنون والأداب» تأليف فرانسيس ستونفر سوندرز. ترجمة طلعت الشايب.

هذا الكتاب يضم وثائق المخابرات التى أفرج عنها وتوكذ هذه الوثائق أن الصنم الذى هوى كان نتاج عمل المخابرات مثلما كان عملاً من إنتاج المثقفين . ومن أعلام المثقفين الذين امتدحهم رجاء لهجومهم على الشيوعية ريتشارد رايت. ولكنه مثلنا جمياً لا يعرف أنه أعلن خروجه عن المشاركين في الصنم الذى هوى وأن اختلافه مع الشيوعية شخصى وليس سياسياً. وعاش في باريس تحت رقابة المخابرات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالى إلى أن مات فى ظروف غامضة ١٩٦٠ (ص ٩٤ من الكتاب الوثائقي). أما الشيء الذى لم نكن نعرفه جمياً وكانت فجيعتنا فيه جارحة فهو وضع ايجناتيو سيلوانى مؤلف فوتنمارا والخبز والنبيذ (وقد ترجمت له قصة الثعلب ونشرتها مجلة القصة برئاسة تحرير محمود تيمور في



سبتمبر ١٩٦٤) والوثائق التى لم تعد سرية، سوفيتية وفاشية وأمريكية تدل على أنه كان فى العشرينات يدير شبكة سرية لحساب السوفيت. ثم من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٠ تعاون مع الأوفرا OVRA جهاز مخابرات موسولينى رغم أنه ثم هرب منها إلى سويسرا ليعمل مع آلان دالاس أثناء الحرب ثم أصبح رئيساً لعمليات التجسس الأمريكية فى أوروبا وفي عام ١٩٥٠ تم جره وهو فى إيطاليا إلى العمل السرى لحساب المخابرات الأمريكية (ص ١٠١ - ١٠٢).

حقاً إن التحزب ضيق الأفق شديد الضرار بالفن والسياسة وخصوصاً إذا عمد إلى استئصال الاتجاهات المخالفة، وقد عانى العالم العربي من النزعة التى تدعى القومية أو تحتكراها، ومن احتراف العداء لليسار والاستهانة بالماكاراثية داخل الليبرالية. ولكن التجربة الفنية فى الصحافة والسياسة التى أهداها الكاتب الكبير رجاء النقاش إلى كل القراء العرب تؤكد جدواً منهجه، منهجه مائة زهرة تتفتح.

فَارُوقْ جُوَيْدَة

فاروق جويده

لإنسان على المستوى الشخصى ولكنه ينصفه نقدياً إذا كان عمله يستحق الإنصاف.

الجانب الثالث أن رجاء قارئ، جيد للتراث، وغواص ماهر في أعماق التاريخ، والخلاصة على المستوى العام أن رجاء النقاش من أفضل النقاد الذين تعاملوا مع النص الأدبى في تاريخنا الحديث، وفي تقديرى أنه أفضل قارئ - ولا أقول ناقداً فقط - للشعر، فهو يحب الشعر جداً، ويعشق الشعر الجميل.

على المستوى الشخصى يتحلى رجاء بصفات كثيرة، فهو إنسان دمت الخلق، متواضع إلى أبعد الحدود، محب للناس، شفاف ولماح وصادق، وقبل هذا كله.. هو شديد الوفاء لأصدقائه عندما يحب..

هذه الصفات هي التي جعلتني اقترب أكثر من رجاء النقاش منذ كان لقاونا الأول بعد مشاهدته لمسرحية «الوزير العاشق».. كتب عنى كثيراً.. كتب عنى كشاعر وككاتب مسرحي وتناول أعمالى في أكثر من دراسة بكتابه الجميل «ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء» وهو من أفضل ما كتب عن الشعر العربي الحديث، ولا شك أن رجاء النقاش ناقد عصرى بكل المقاييس.. ناقد لا يدور في فلك المدارس التقليدية ولكن يلجا دائماً.

أعتقد أن من الصدق الجميلة في حياتى كمبدع وكشاعر أتنى عرفت رجاء النقاش وإن كنت قد ندمت لأننى عرفته متأخراً.

التقينا عندما جاء مع د. لويس عوض ليشاهدنا معاً مسرحيته «الوزير العاشق».. كان ذلك في عام ١٩٨٢ أو ربما في عام ١٩٨٤ وبعد أن انتهتى العرض ذهبنا نحن الثلاثة إلى أحد المطاعم في وسط القاهرة وتناولنا العشاء وجلسنا نتحاور ونشاور ونختلف حتى الثالثة صباحاً.

من يومها وأنا أعتبر رجاء النقاش من أقرب الناس إلى قلبي، وللنقاشه عدة مميزات جعلتني اقترب منه بشدة، بعضها على المستوى الناقدى، ولو بدأنا بالمستوى الناقدى فسوف نجد أنفسنا أمام ناقد لا يتخلى أبداً عن قلبه وهو يكتب، وفي تقديرى أن رجاء - بجانب أنه ناقد كبير - فهو أقرب للإبداع منه للنقد، وإن كان قد احترف كتابة النقد إلا أن موهبة الإبداع بقيت هوايته.. إن رجاء النقاش يكتب النقد بنبضه ودمه، ولذلك تختلط دماءه مع دماء الميدع فلا تدرى أيهما كان الأصدق؟

الجانب الثانى أن رجاء النقاش ينحاز بشدة لكل ما هو جديد، حتى ولو اختلف معه، ولديه القدرة على أن يفصل بين الخاص والعام في نقاده، فهو قد لا يرتاح

الشاعر الكبير

د. ماهر شفيق فريد

«روايات الهلال» ترجمة جبرا إبراهيم جبرا لرائعة شكسبير «هاملت»، وهو الذي نشر «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، وهو الذي عرقنا بـشعراء المقاومة في فلسطين، وأعاد تقويم أبي القاسم الشابي بنظرة جديدة . وهو الذي جعل من مجلة «الهلال» المصرية و«الدوحة» القطرية - في فترة إشرافه على تحريرهما - مناراتين من منارات الاستثناء . وما زال حتى هذه اللحظة - يبسط لنا صحفاً مشرقة من التاريخ الأدبي بمقاليته على صفحات «الأهرام» و«أدب ونقد» وغيرهما .

يحار المرء أين يبدأ في مواجهة هذا العطاء الفزير، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فلنسر معه - تارياخيا - في عدد من أعماله . ولنبدأ بتلك الباكورة القوية التي لفت الأنظار إليه منذ اللحظة الأولى : أعني كتابه «في أزمة الثقافة المصرية» (دار الآداب، بيروت، يناير ١٩٥٨) وقد قدم له الدكتور سهيل إدريس . هنا، بنبرات حارة ملخصة وجدنا ناقداً شاباً يتحدث عن مصر والثقافة الأمريكية، وقضية السودان والفكر السياسي، ويتسائل : هل من رواية جديدة ؟ ويناقش

نصف قرن من الإبداع النقدي : فالنقد - وإن ضرب بسهم في مناهج العلم المنضبطة - يظل أقرب إلى الفن. إنه - كما قيل بحق - إبداع مواز . ورجاء النقاش الذي يدخل الآن عامة الثاني بعد السبعين - أمد الله في عمره ومتنه بالصحة والعافية - قد كان دائماً ناقداً فناناً : فناناً في رهافة حسه وفتحه على التجارب الإبداعية المختلفة، فناناً في فطنته إلى ما تقوله السطور وما تسكع عنه، فناناً في قدرته على التمييز بين الجوادر الحقة والجوادر الزائفة .

إنما الناقد - كما يقول إزرا باوند - دليل يأخذ بيد القاريء ويوجول به في أرجاء مكتبه، شارحاً محتويات هذا الركن، وملقياً الضوء على أساليب ذاك. ورجاء النقاش هو الرجل الذي فطن إلى موهبة أحمد عبد المعطي حجازى فكتب مقدمة لـ «ديوان الأول» (مدينة بلا قلب) وهي المقدمة التي وضع حجازى على الخارطة الشعرية بين عشية وضحاها، على نحو ما صنع بدر الدين بمقدمة لـ «ديوان صلاح عبد الصبور الأول» (الناس في بلادى) .

عطاء غزير

ورجاء هو الذي نشر في سلسلة

٧٢
جـ ٤
٢٠١٣



٧٣

البورتريه - قرارات ٢٠١٣

(أنت)

البورتريه للفنان محمود الهندي

النقاوئ الحديثة

(شكسبير، تولستوى، يوريسيديس، دورنمات، تينيسى وليمز) وأخرى من المسرح المصرى (نعمان عاشور، الحكيم، ألفريد فرج، شوقى عبد الحكيم، ميخائيل رومان، يوسف إدريس، فتحى رضوان، عبد الرحمن الشرقاوى).

وهناك كتابه الرائد «محمود درويش شاعر الأرض المحتلة» (كتاب الهلال، يوليو ١٩٦٩) وفيه يلقى الضوء على أوضاع العرب في إسرائيل، ومنذبحة كفر قاسم، وملامح درويش الشخصية والفنية، وتوجهه الإنساني لا المتعصب، وخيوط الطبيعة والحب والمرأة في شعره، والدين والثورة، والاتهامات الظالمية التي وجهت إليه، ثم يتتسائل : ماذا نتعلم منه ومن رفاقه ؟

ويعود رجاء إلى النقد المسرحي في كتابه «مقعد صغير أمام الستار» (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١) حيث نجد مقالات عن الحكيم ونعمان عاشور وألفريد فرج ويوسف إدريس وسعد الدين وهبى ورشاد رشدى والشرقاوى وميخائيل رومان ومحمد ديبا وعلى سالم ومحمود السعدنى وهدى زكا وشوقى عبد الحكيم ونبيل فاضل .

وبعد ذلك بعامين أخرج «عباس العقاد بين اليمين واليسار» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، أكتوبر ١٩٧٣) حيث تحدث عن مواقف العقاد من



رشاد رشدى

الأزهر والثقافة الجديدة، وديوان صلاح چاهين «كلمة سلام»، وأزمة النقد الأدبي، وسياسات دار أخبار اليوم .

وفي «أدب وعروبة وحرية» (الدار القومية للطباعة والنشر، سلسلة كتب ثقافية، العدد ١٦٧، د. ت) راح يتحدث عن الوجдан القومي والوجدان الاشتراكي، والأدباء والمواقف الإنسانية، وإنسانية الأدب الاشتراكي، والرغيف والكتاب بوصفهما أثمن رأسمال في المجتمع الاشتراكي، والقوميين السوريين والأدب (حيث هاجم أدونيس في مرحلته الباكرة)، ونوبان الجليد (متخذًا من سارتر مثلاً)، والقومية العربية والخياليين (وتمتهم نازك الملائكة)، والثورة في أحلام الأدباء، ويتسائل : أدب الثورة : أين هو ؟ وحرب الإبادة الثقافية، ونماذج من أدباء حائزين .

وكتابه «التماثيل المكسورة : «تأملات في الأدب والحياة» (سلسلة اقرأ، ٢٤٤، دار المعارف، أبريل ١٩٦٣) يضم مقالات عن جيمس دين، والمنترين،

وزوجة تولستوى، ووتنمان، والطفل المدلل أوسكار وايلد، وكامي، ورسالة Kafka إلى أبيه، وغير ذلك من الموضوعات .

أما كتاب «في أصوات المسرح» (سلسلة اقرأ، ٢٧٠، دار المعارف، يونيو ١٩٦٥) فيتحدث عن نماذج من المسرح العالمي

الوفد، والإخوان المسلمين
ومصر الفتاة، والماركسية،
والنازية، والصهيونية،
والوحدة العربية، وثورة ٢٢
يوليو ١٩٥٢ .

وذيل رجاء كتابه بعدة
وثائق : نص الحديث الذى
أجراه العقاد سنة ١٩٠٨
مع سعد زغلول : نص
حيثيات الحكم فى قضية
اتهام العقاد بالغيبة فى

الذات الملكية سنة ١٩٣٠ وهى القضية
التي انتهت بالحكم على العقاد بالسجن
 لمدة تسعة أشهر ؛ نص دفاع مكرم عبيد
عن العقاد حيث كان مكرم سكرتيراً للوفد
وكان العقاد كاتب الوفد الأول فى تلك
الفترة (١٩٣٠) : «آخرة عباس العقاد -
حقيقة الكاتب وما كتب» وهو مقال كتبه
مكرم عبيد أيضاً سنة ١٩٣٥ يعكس
تحول علاقة العقاد بالوفد حين اختلف مع
النحاس وخرج على الوفد، رد العقاد على
مقال مكرم عبيد وذلك بمقال عنوانه «لسنا
عبيداً يا عبيداً» .

ويزيداد تقدير المرء لنزاهة رجاء
وموضوعيته في هذا الكتاب، حين يتذكر
أن العقاد لم يعفه من سخريته القاسية
ولسانه اللاذع وذلك في صدد الحديث عن
الاشتراكية وعن لورنس دريل (جريدة
الأختيار في ١٢/٦/١٩٦٢ -
١٩٦٣/٤/٢٤ و ١٩٦٢/٥/١) (انظر
الجزء الرابع من يوميات العقاد - دار
المعارف - الطبعة الثانية ١٩٨٥) . وقد
وضع رجاء ذلك كله دبر أذنه وعالج العقاد

بما يستحقه من احترام
وتقدير لدوره الأدبى
وحضوره الشامخ الذى
بسط ظله، كجناحى عقاب،
على الأدب المصرى منذ
بواكيير القرن العشرين حتى
مطالع العقد السادس منه .

ومن النقد الفنى
أخرج «لغز أم كلثوم
 وكلمات أخرى» (كتاب
الهلال، يوليو ١٩٧٨) وفيه

ثلاث مقالات عن كوكب الشرق، ولقاء فى
الخيال بين سيد درويش ومحمد عبد
الوهاب، وشوقى في حياة عبد الوهاب،
والمشائخ والفن، ولقاء مع سمحة أىوب،
وبين شادية ونجيب محفوظ، وكامل
الشناوى، وهوليوود المدينة المتعصبة فى
مواقفها من التفرقة العنصرية، وكتاب
«الأغانى والموسيقى الشرقية بين القديم
والجديد» لأحمد أبوالخضر منسى .

ومن كتبه المهمة فى السنوات الأخيرة
«نجيب محفوظ : صفحات من مذكراته
وأضواء جديدة على «أدبه وحياته» (مركز
الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٨)، وقد
صدرت منه طبعة فريدة منقحة فى
٢٠٠٥ . هنا يتوقف رجاء عند محطات
دالة في مسيرة محفوظ : الطفولة
والشباب ، الوظيفة والأدب، من علموه،
أدباء عرفهم، الحرافيش وشلة العباسية،
نساء في حياته، صلته بعالم السينما،
متاعبه مع السلطة، أزمة رواية «أولاد
حارتنا»، مسيرته من جائزة قوت القلوب
الدردارية إلى جائزة توبل عام ١٩٨٨،

عباس محمود العقاد



النقاوٰل فی بُلغا

ثورة ١٩١٩، ثورة يوليو ١٩٥٢، زعماء مصر، ذكرياته مع المظاهرات، موقفه من المذاهب السياسية، نكسة ١٩٦٧، التطرف الديني، الله والإنسان، أزمة الخليج والمأزق العربي، مع فصل ختامي عن جريمة الاعتداء على حياته.

النقاش وشكسبير

ومن أحدث أعمال رجاء النقاش كتابه المسمى «نساء شكسبير» (دار شرقيات للنشر والتوزيع ٢٠٠٥) ويستهل بالحديث عن حياة شكسبير، والنساء في حياته (سيدة السوناتات السمراء وغيرها) قبل أن يتحدث عن قصصتيه القصصيتين «فينوس وأدونيس» و«اغتصاب لوكريس» ومسرحياته «هاملت» و«عطيل» و«روميو وجولييت» و«أنطونى وكليوپاترا» و«ماكبث» و«الملك لير» و«تاجر البندقية».

وهذا الكتاب - الذي أريد أن أتوقف عنه وقفه طويلة بعض الشيء - سفر ممتع جميل، بل هو من خير المدخل إلى عمل شاعر الإنسانية الخالد، وإضافة إلى المكتبة الشكسبيرية العربية التي تضم

٧١

دراسات وترجمات قيمة
لمطران والعقاد وإبراهيم
ناجي وكامل كيلاني وفريد
أبو حديد وباكثير وأحمد
خاكي وزكي نجيب محمود
ومحمد عوض محمد عبد
العزيز جاويد ولويس عوض
وعبد القادر القط ومصطفى
بدوى وشفيق مجلى وفاطمة
موسى محمود ومحمد

أبو القاسم الشابي



عنانى وجمال عبد الناصر ونهاد صليحة وتوفيق منصور ومحمود صابر ويدر توفيق وجبرا إبراهيم جبرا وجريس القسوس وغيرهم.

لن أتوه بمزايا الكتاب وفي طليعتها بناؤه المبتكر الذى يتخذ شكل مسرحية كبرى تضم فصولاً أبطالها من أبطال شكسبير وبطلاته، فضلاً عن غزاره العلم وجاذبية العرض وإشراق الأسلوب، وإقامته جسوراً بين شكسبير وشعراء عرب كالمتنبى والشريف الرضى إلى آخر هذه اللفتات العقلية البارعة (ثمة، رغم ذلك، نواحي قصور تعثور معرفة رجاء: إنه يذكر مثلاً أن كتاب «روائع شكسبير» (صواب العنوان: «حكايات من شكسبير» من تأليف تشارلز لام وزوجته ماري (ص ٣٦٦) والصواب أن ماري لام شقيقة تشارلز لام لا زوجته).

إنما أريد أن أتوقف عند نقطة أساسية أخالفة فيها، ولن أجامله، فقد عودنا - منذقرأنا له في يناير ١٩٥٨، كتابه العلامة «في أزمة الثقافة المصرية» ثم تابعناه في رسائله على

صفحات مجلة «الأداب»
البيروتية و«الشهر» المصرية
وغيرهما، على فضائل
الشجاعة والصدق
والصراحة .

أخالفة في منهجه
الأساسى ومنطلقه فى فهم
شكسبير وتنوّقه، وهو
منطلق تلخصه كلماته فى
مطلع الكتاب: «نکاد ونحن

٢٠١٢
٢٠١١
٢٠١٠
٢٠٠٩

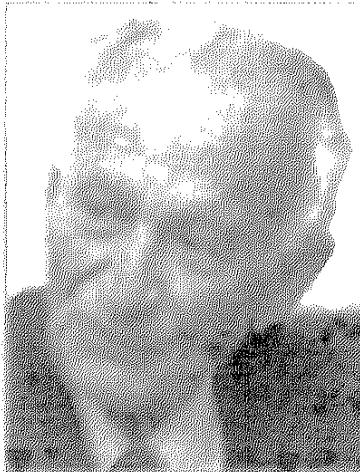
نعيش مع نساء شكسبير، ننسى أننا نعيش في عالم فني خيالي، ونحس على العكس من ذلك أننا نعيش في الواقع حي، وأننا نرى هذه النساء بعيوننا، ونشعر بهن يتحركن بيننا كما تتحرك الكائنات الحية، وهذا جانب من عظمة فن شكسبير الذي يفيض بقوة الحياة ويقاد يخرج

بالشخصيات التي يرسمها من صفحات السرحيات لتمشى على الأرض وتعيش بين الناس وتعامل معهم تعاملاً واقعياً لا خيال فيه» (ص. ٩).

هو إذن ينظر إلى نساء شكسبير (ورجاله) على أنهن كائنات حية تسعى على قدمين، صادقة مع الطبيعة البشرية كما نعرفها، وهذا - فيما أزعم - تصور جاوزه الزمن، ونقضته أبحاث نقاد محدثين كثيرين.

إن شكسبير رجاء هو شكسبير النقد الرومانسي في القرن التاسع عشر (هازلت، كولردرج، دى كونسي، تشارلز ومارى لام، إلخ) وأ. س. برادلى صاحب «التراجيديا الشكسبيرية في مطلع القرن العشرين» (١٩٠٤). ولكن شكسبير قد تلقى الضربة القاضية التي طرحته أرضاً، وأخرجته من الحلبة - أو كادت - منذ عام ١٩٣٣ على الأقل.

وأنا أخص هذا العام بالذكر لأنه عام المحاضرة التي ألقاها الناقد البريطاني ل. ت. نايتس على «الرابطة الشكسبيرية».



عبد القادر القط

تحت عنوان «كم من الأطفال كان ليدي ماكبث» والسلالية في العنوان واضحة) ثم أدرجها في كتابه المسمى «استكشافات» (١٩٤٦) وفي هذه المحاضرة هو نايس بمعوله على نقد الرومانسيين وبرادلى، ذاهباً إلى أنه لا يجوز النظر إلى شخصيات

شكسبير، رجالاً ونساءً، على أنها شخصيات حية من لحم ودم، وإنما هي مصنوعات درامية تتتمى إلى عالم الخيال أكثر مما تتتمى إلى عالم الواقع. إن كل مسرحية من مسرحيات شكسبير قصيدة درامية تقوم على عناصر المفارقة والتوتير والتورية الساخرة والإبهام والصراع.

هذه خلاصة مقالة نايس، وقد سبقه إلى هذه الأفكار وواكبها وجاء بعده متاثراً به - كثيرون : سبقه ت. س. إليوت في تعليقاته على هاملت وعطيل إذ رأى أن المسرحية الأولى (على عظمتها التي لا تُنكر) فشل فني لأن انفعالات هاملت تجاوز الحدث المقدم، ومن ثم تفتقر إلى معادل موضوعي يكون كفوا لها . وسعي إليوت إلى أن ينزع عن شخصية عطيل حالة السحر الرومانتيكي الذي وقع نقاد الماضي (ومعهم رجاء) تحت طائلته . فعند إليوت أن عطيل لا يعود أن يخدع نفسه ويحاول أن يرى ذاته - في لحظاته الأخيرة - في ضوء بطلوي يكفل له، من بعد رحيله، طيب الذكر وحسن الأحداثة .

جادة، إن لم نقل : موضع رفض صريح . خلاصة ما أريد أن أقوله هنا : إن مدخل رجاء إلى شكسبير (رغم كل مزاياه) من تراث الماضي، لا يتوقف عام ٢٠٠٥، فقد جرت مياه كثيرة تحت الجسر منذ برادلى والرومانسيين، وتغيرت صورة شكسبير في الأذهان تغيراً جذرياً .

منذ نصف قرن أو نحو ذلك، كتب الدكتور محمد مندور : ويل للأدب إن حده شيء غير الحياة . هل لى أن أرد على مقولته هذه (و«الحياة» كلمة فضفاضة إلى حد يكاد يجعلها بلا معنى) فأقول : ويل للأدب إن حده شيء غير الأدب . أعني أن المعول في هذه الأمور (كما علمنا إليوت وأصحاب مدرسة النقد الأنجليو - سكسونى الجيد وتلميذهم رشاد رشدى) إنما هو على التقاليد الفنية السائدة في كل عصر، ومواضعاته الكتابية والشفاهية، فهي التي تحدد نوعية الإنتاج الأدبي، وتمنح الأديب أدواته التقنية، وتحله - في النهاية - في مكانه من الموروث .

ليست مسرحيات شكسبير - في رأيي، صوراً من الحياة، ولا أبطاله وبطلاته نماذج بشورية يمكن أن تقع عليها العين، على نحو ما يظن رجاء، مدفوعاً - ربما - بسليقة الفنية الأقرب إلى إبداع الفنان منها إلى حياد الدارس . إنما مسرحيات شكسبير عوالم تخيلية مركبة من عناصر

وقد تابع الناقد ف. ر. ليفييس - إليوت في نظرته هذه وذلك في مقاله المسمى «الذكاء الشيطاني والبطل النبيل : أو عطيل كما يبدو للمسرفيين في العاطفية» (فى كتابه «السعى المشترك» ١٩٥٢) فرأى أن عطيل لم يكن إلا مغفلًا كبيراً، ترك نفسه ألعوبة في يد صاحب ذكاء شيطاني هو ياجو .

ومنذ كتاب برادلى الذي يشير إليه رجاء في أكثر من موضع، جدُّ الكثير في عالم النقد الشكسبيري : ظهرت كتب ج. ولسون نايت «عجلة من نار» و«إكليل الحياة» و«العاصفة الشكسبيرية» وغيرها، وكتب آيفور إيفانز وفرانك كيرمود عن لغة شكسبير، وكتب و. هـ. كليمون وكارولайн سبيرجون عن صوره الشعرية، وكتاب الناقد البولندي يان كوت «شكسبير معاصرنا» الذي وجه النظر إلى صلة شكسبير بمشكلات عصرنا السياسية والرابطة بيته وبين مسرح العبث عند بيكيت وأقرانه، وكتب ركزت الاهتمام على رمزية مسرحيات شكسبير

٧٨

والخيوط المترددة فيها وأبعادها الميتافيزيقية وفكرها الفلسفى، وكتب أصحاب مدرسة النقد النسوى التي قوشت التصور التقليدى لبطولات شكسبير بحيث أصبحت طهارة أو فليليا وبراءة دزدفونا وأمانة كورديليا، إلخ .. موضع مساعدة



كله وفي غيره، ولكنه يظل الخلاف التابع من اختلاف المنظور والتكوين والرؤى، ولا يتحيّف في شيءٍ من مكانته في العقول والآنفوس: ناقد ذو ضمير، كما دعاه صلاح عبد الصبور بحق، وعقل نافذ إلى الجوهر، وروح سمحّة رحبة تتنوّق الفن الجيد في مختلف الأزمنة والأمكنة والأنسنة، وشجاعة لا تتردد في الجهر برأيها ولا في الرجوع عنها حين يتبنّى لها خطّئها (انظر تغيير موقفه من أدونيس وهو - عندي - أعظم شعراء العربية منذ أبي العلاء). فبعد أن كان يحمل عليه حملة شعواء في كتاب «أدب وعروبة وحرية» صار يفيه حقه من التقدير والاحترام. هذا ناقد قد نضج مع الزمن ونضجنا معه، بل نضجنا - إلى حد ليس بالقليل - بفضلـه، ويفضـل استبـصارـاته التي أـنارتـ لنا من زواياـ الفـنـ والأـدـبـ ما كانـ مـظـلـماـ، وـمـكـنـتـناـ منـ أـنـ نـتـنـوـقـ نـماـذـجـ قـدـيمـةـ وـحـدـيـةـ، شـرـقـيـةـ وـغـرـبـيـةـ، منـ الإـبـدـاعـ الشـعـرـىـ وـالـقـصـصـىـ وـالـمـسـرـحـىـ عـلـىـ نـحوـ أـعـقـلـ وـأـصـدـقـ وـأـرـهـفـ .

عد صـهـىـ عـقـلـهـ الـخـالـقـ وـصـنـعـ مـنـهـ سـيـائـكـ. دـيـدةـ، تـحـتـ ضـغـطـ فـكـرـىـ وـعـالـىـ بـاـنـ القـوـةـ، كـائـنـاـ حـمـمـ خـارـجـةـ منـ باـطـنـ الـأـرـضـ المـتـلـظـىـ، مـنـدـفـعـةـ مـنـ فـوـهـةـ بـرـكـانـ . وـشـخـصـيـاتـهـ لـيـسـتـ إـلـاـ «صـوـامـيـلـ» فـىـ آلـةـ تـخـيـلـيـةـ دـوـارـةـ لـاـ يـلـبـثـ أـنـ يـتـسـارـعـ مـعـدـلـ دـوـرـانـهـاـ فـتـرـمـيـ شـرـارـاتـ أـشـبـهـ بـبـرـوقـ الـحـدـسـ التـيـ تـتـيـرـ ظـلـمـةـ الـوعـىـ .

ناـقـدـ ذـوـ ضـمـيرـ

لم يكن شـكـسـبـيرـ فيـلـيـسوـفاـ وـلاـ مـؤـرـخـاـ وـلـاـ مـصـلـحاـ اـجـتمـاعـيـاـ وـلـاـ حـتـىـ مـحـلـاـ نـفـسـيـاـ يـجـلـسـ أـوـفـيـلـياـ أـوـ كـورـدـيلـياـ أـوـ دـزـدـمـونـةـ أـوـ الـلـيـدىـ مـاـكـبـثـ عـلـىـ أـرـيـكـتـهـ، وـيـسـتـخـرـجـ مـنـ أـعـمـاقـ لـاـ وـعـيـهـنـ مـرـكـبـاتـهـنـ أـوـ عـقـدـهـنـ النـفـسـيـةـ الـمـتـلـخـفـةـ مـنـذـ الطـفـولـةـ . إنـهـ بـبـساطـةـ، صـانـعـ كـلـمـاتـ (لـاـ أـنـكـ أـنـ لـهـ دـلـالـاتـ فـلـاسـفـيـةـ وـنـفـسـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ وـدـينـيـةـ وـسـيـاسـيـةـ إـلـىـ آخرـهـ) إـنـماـ أـعـذـبـ الشـعـرـ أـكـذـبـهـ كـمـاـ كـانـ يـقـولـ بـعـضـ نـقـادـنـاـ الـعـربـ الـقـدـامـيـ، وـالـشـامـرـ -ـ كـمـاـ يـقـولـ أـ.ـأـ.ـ رـتـشارـدـ وـمـنـ بـعـدـهـ زـكـيـ نـجـيبـ مـحـمـودـ -ـ لـاـ يـقـدـمـ حـقـائـقـ عـنـ الطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ، أـوـ الـوـاقـعـ الـخـارـجـيـ وـإـنـماـ كـلـ تـقـرـيرـاتـ «ـتـقـرـيرـاتـ زـائـفـةـ» بـمـعـنـىـ أـنـهـاـ لـاـ تـخـضـعـ لـمـعـايـرـ الصـدـقـ وـالـكـذـبـ بـمـعـناـهـماـ الـمـأـلـوفـ، وـلـاـ تـقـبـلـ التـحـقـيقـ الـعـلـمـيـ لـأـنـهـاـ لـاـ تـرـدـنـاـ إـلـىـ وـاقـعـ خـارـجـيـ قـدـرـ مـاـ تـرـدـنـاـ إـلـىـ وـاقـعـ دـاخـلـىـ مـنـ مـشـاعـرـ النـفـسـ وـأـفـكـارـهـ أـوـهـامـهـاـ وـذـكـرـيـاتـهـ وـمـخـاـوـفـهـاـ وـرـغـبـاتـهـ وـأـحـلـامـهـاـ وـكـوـاـيـسـهـاـ -ـ وـهـذـهـ هـىـ الـمـادـةـ الـتـيـ نـسـجـ مـنـهـاـ شـكـسـبـيرـ قـمـاشـ بـطـلـاتـهـ وـأـبـطـالـهـ .

يـخـتـلـفـ الـمـرـءـ مـعـ رـجـاءـ النـقاـشـ فـيـ هـذـاـ



جَبَلْ بَعْدِ الْغَتَاش

خوبی منصور

حضرت منذ بوادرها بارهاب اتباعي،
وبتأويلات سياسية حاولت حذف شرعيتها
لصالح رؤى تقليدية أفقدتها الزمان
صلاحتها.

وإذا كانت المقدمة التي كتبها الراحل إحسان عباس «لديوان «البياتي» البكر» هي بمثابة تحديد للحساسية الشعرية ودفعاً بأسل عن حق الشاعر العربي في اجتراح آفاق غير مطروقة، فإن مقدمة رجاء النقاش لـ «لديوان الشاعر» «أحمد عبدالمعطى حجازي» «مدينة بلا قلب» كانت هي الأخرى دفاعاً عن الحداثة وعن الذائق الجديدة التي كانت تشق الطرق بصعوبة بالغة.

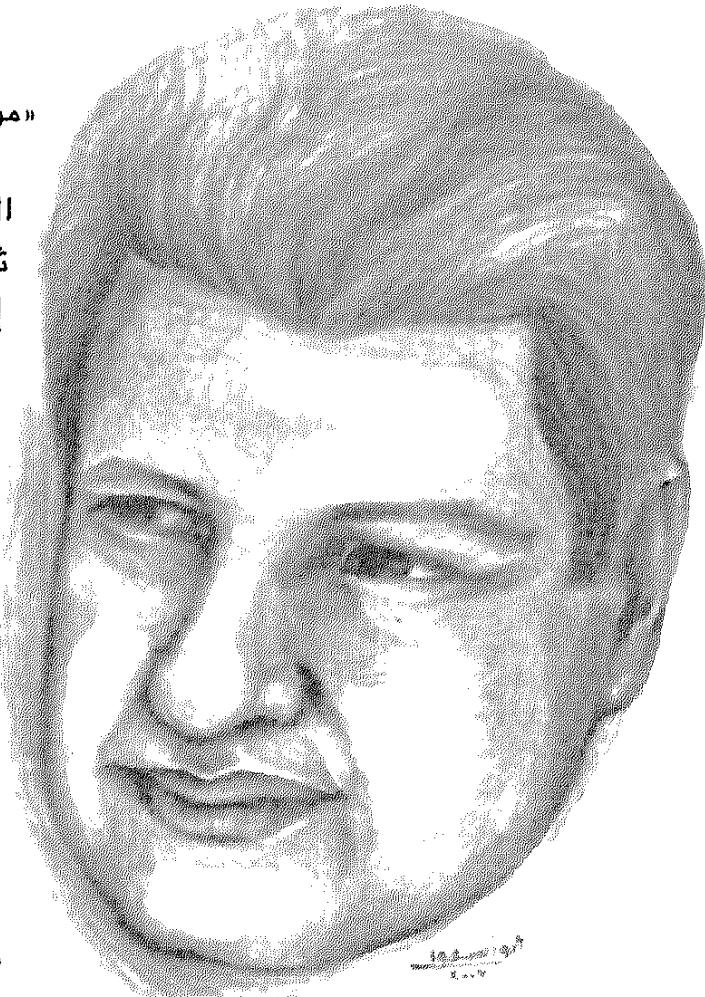
ولم ينقطع رجاء النقاش عن دوره إلا
لإعادة شحذ سلاحه، أو لاستراحة
محارب يتهيأ لجولة قادمة، فكتب في
معظم مجالات النقد، مقدماً وشارحاً
ومؤولاً وقبل ذلك كله مضينأ وكاشفاً لما
نعت بالغموض.

وله يعود الفضل في الكشف عن
ظواهر فذة في ثقافتنا العربية المعاصرة،
لأنه كان أول من استدل بحاسته النقدية
ومسئoliته القومية على شعر المقاومة
الفلسطينية بعد هزيمة حزيران حين
استبد الظلم وأتى على المشهد القومي

الكتابة عن رجاء النقاش كنأقد رائد من جيل حاول أقصى الشروط وتجاوزها لاحتاح إلى مناسبة، فهو جدير بعرفان واعتراف استحقهما، عبر مسيرة كايد خلالها مصادر ومعوقات تم تصنيعها بعنوية استراتيجية لخلع المثقف العربي من ساقه القومي، وجنوره التاريخية.

وإذا كان من صميم دور الناقد أن يمسك بيده القارئ الضال ويديله على المفاتيح كما قال «ستانلى هايمن»، فإن رجاء النقاش أعنوان القارئ في مصر والوطن العربى على طرق الكثير من الأبواب وإدارة المفاتيح فى أقفالها بحيث تنفتح على مصر بعها.

لقد كان من جيل ولد في الفترة
الحرجة، بين حربين كونيتين وعدة حروب
إقليمية، وعلى مرمى من قنبلة لا حجر،
من نكبة قومية عصفت بما كان قد اصفر
وتبيّس في خريف سياسى عربى له
معادلات ثقافية، وتجليات اجتماعية، لهذا
حمل جيل رجاء عبئا لم يحمله جيل أو
يقوى على حمله جيل آخر، وبقى الرجل
على قيد عروبته، وهويته رغم كل عوامل
التعرية التاريخية والوجودية لهذه الهوية،
وله دور لا سبيل إلى التقليل من شأنه في
الدفاع عن الحداثة الشعرية، التي



«موسم الهجرة إلى الشمال»، وبالرغم من أهمية دور رجاء النقاش في الكشف عن ظواهر ثقافية ونحوها إبداعية استثنائية إلا أن اختزال الرجل في هذا الدور به جور مزدوج، عليه وعلى القاريء الذي استضاء به لعدة عقود ..

فرجاء النقاش عاش المحن كلها، في بلاده وعلى امتداد خطوط الطول والعرض السياسية والثقافية في الوطن العربي، وكان من قلة تشبث بما صار عرضة للتشكيك والالتباس، واحتملت لسع الجمر، والقراءات التعصبة والاسقاطية، بل التأريخ لأصحاب هذا الموقف! ولم يقف رجاء غريب اللسان في شعب «بوان» أو أي شعب آخر، لأنه وجد من حوله من يحرسون القلاع والقبور معاً، وهم المنحدرون من السلالة ذاتها التي قاومت الامتثال بالمانعة، ورفضت مقايضة الجوهر بالعارض، والأبدى بالغابر، والقطري بالقومي والإنساني!.

إن رجاء ينتمي إلى سلالة معرفية قد تكون أقرب إلى الموسوعية منها إلى الأكاديمية وإلى الغابة أكثر من الحديقة الداجنة أو النباتات الزجاجية، لهذا كتب تحت مختلف العناوين، وطرق أبواباً تردد كثيرون من أبناء جيله في طرقها!

ولعله كان ملدوغاً بتلك الشهوة المعرفية التي سادت في مصر خلال عقدى الأربعينات والخمسينات، يوم كانت المقالة الأدبية مساحة خضراء غزيرة للظلال، ولم تكن الصحافة بمعناها

البورقريه للفنان أحمد أبوالسعود

برمته، فجاء ذلك الكشف عن شهود الحرية والقييد، وكل شائئيات الحقبة السوداء بمثابة التبشير بقيامة قومية، كان البعض من احترفوا التحليق فوق الخرائب والأطلال قد أعلنوا نعيها ودعوها بمناديل منقعة في لعابهم وليس بالدموع!

وكان الكشف عن تلك الظاهرة الشعرية التي جسدت أطروحة مضادة للهزيمة قد اقترن برجاء النقاش، تقادأً وناشرأً ومبشرأً، مثماً سيظل اسم الروائي العربي الكبير «الطيب صالح» مقترباً باسم النقاش الذي كان أول من كشف عن الأهمية الإبداعية الفائقة لرواية

جبل طهراش

اقترن اسم رجاء بها زمنا!

ولا يفوتنى بهذه المناسبة الرجالية أن أشير إلى مسألتين كان لرجاء فيهما باع طويل، هما السير الذاتية وندرتها في الأدب العربي إضافة إلى مساحات الصمت والمسكوت عنه فى حياة المثقفين والناس جميعاً، وأنذر أن ما قاله معلقاً على رسائل متباينة بين الراحلين الناقد د.أنور المعاوى» والشاعرة «فدوى طوقان» استحق أكثر من وقفة، خصوصاً وهو يستشهد بكتابات بعضها استشرافي عن السبب فى ندرة السير الذاتية لدينا، بحيث علق أحد الفرنسيين على كتاب الأيام «للدكتور طه حسين» متسائلاً عن الأسباب البيئية والنفسية الموضوعية التى دفعت «طه حسين» إلى التحفظ على بعد الجسدى فى مذكراته. والمسألة الثانية هي ذلك النهج أو المقاربة التى قدمها رجاء النقاش للمزاوجة بين الأدب والــ حافة، لكن على النحو الذى لا يلحق الأذى بالأدب، بل يجعله مقروءاً على نطاق واسع، وفي كل المرات التى تولى فيها رجاء موقع أمامية لنابر صحفية، حاول أن لا يجعل الصحافة رهينة للتعرفيات الاختزالية الجديدة لها، بحيث يبقى النثر فيها وظيفياً وبالحد الأدنى للأسلوب الإخبارى. ومحاولات رجاء بل إنجازاته على هذا الصعيد لم تكن داخل مصر فقط، بل فى العواصم التى عمل بها بشكل مباشر أو عن بعد من خلال النشر والرصد والتابعات!.

ويخطيء من يتوهّم أن مهمّة الناقد التنويري تخلو من بعد «مناقبِي» إنّه

التطبيقي الذي طرأ عليها لاحقاً قد
أصيب بالأنيميا الثقافية لصالح الأورام
اللفظية والتكرار العقيم!

لقد عرفت رجاء النقاش عن بعد عدة عقود، وكانت وما أزال قارئاً لكل ما يصدر تحت توقيعه، لكن مناسبة خاصة جمعتني به قبل عام، عندما منح جائزة الشخصية الإعلامية العربية لعام ٢٠٠٤ من نادى الصحافة العربية فى دبي، وشرفت بأن أزامله بالحصول على جائزة المقالة فى العام ذاته.

يومها قال لى ساخرا إتنا نفوز فى
حقول قد لا تكون هى حقولنا الأولى،
واعترفت له بلا مجاملة على الإطلاق، فإن
منه تلک الجائزة أضاف لى اعتبارا ما
كنت لأحصل عليه لو لا اقتراب اسمينا فى
ال المناسبة ذاتها.

وكان رجاء قد استحق منذ زمن طويل أكثر من جائزة قومية وأكثر من تكريم وعرفان، فهو تنویری، ومحارب من أجل حق المبدعين في المغامرة ويشهد له جيل من المبدعين العرب بأنه ساهم في تعبيد طرفة وعنة، بل، كانت شبهة محترمة.

وَمَا يَضُعُفُ مِنْ إِحْسَاسِيِّ بِمَا أَقُولُ
فِي هَذِهِ الْمَنَاسِبَةِ أَنَّنِي أَكْتَبُ عَنْ رِجَاءِ
النَّقَاشِ فِي الْقَاهِرَةِ وَأَنَا أَتَنَقَّلُ بَيْنَ أُمْكَنَاتِ
طَالِلَا قَهْرَهَا رِجَاءُ بِأَصْبَابِهِ وَبَيْنَ أَصْدِقَاءِ
مُشَتَّرِكِنْ.

لهذا لم أشأ أن أكتب في هذه المناسبة نقداً للنقد، أو تحليلًا أو تعليقاً حول أعمال رجاء وهي عديدة ومتعددة وتشير الشهية للسجل، وقد يكون لهذا كله مقام آخر عبر «الهلال» العريقة التي



رجاء النقاش وخيري منصور - القاهرة ٢٠٠٧

في فرز قممه عن زوانه أغلبها تهافت
ثقوبه واتسعت، وقد يكون الوقت الآن
مناسباً مثل هذا الاستقراء.. كي لا تبقى
نراوح بين تعميم ظالم، وتجريد معمى!.

ويكفي أن نعرف لهذا الجيل بأنه كان
يقرأ أكثر مما يكتب، ويكتب أكثر مما
يتكلم لهذا تعلمنا منه الكثير، ومننا من
استبد بهم العقوق فذهبوا مبكراً وفي
نعومة الأظفار لاقتراف جرائم قتل الآباء.

وحيذا لو تبادر المنابر الثقافية الجادة
التي لم تحرفها رياح العولمة بعد إلى
تقديم مساحات للمراجعة، وإعادة الاعتبار
لأن أسسوا، وشيدوا ووفروا لنا هذا
الميراث الذي لواه لكننا أيتاماً!.

هي تحية إذن بمقاييس ..

واعتراف وعرفان بمقاييس آخر،
فرجاء النقاش هو مناسبة مستمرة
بذاتها، والكتابة عنه مبررة في كل أوان،
وكل أصدقائه ومحبيه وقارئيه على
امتداد وطنه العربي الكبير الذي أحب،
أتمنى له عافية القلب والقلم، فما لم يقله
رجاء لا يزال بانتظاره.

جوهرى لأنه وثيق الارتباط بالنزاهة،
والتحرر من الهوى الذاتى، والشخصنة،
والمفاضلة التي تأسس على معيار واحد
إلى الإبداع من خارج ملكوتة، ورجاء من
جيل عاش بين سندان ومطرقتين معاً،
سندان واقع عربى يمود بالتحولات،
ويعيش صراعاً لا حدود له بين القديم
والجديد، والمرتهن والمحرر، والبشير
والذير.

أما المطرقتان، فإحداهما غزو متعدد
الأقنعة ووصاية تحرم التابع من بلوغ
رشده السياسي، هذا الجيل، الذى رثاه
قبل الأوان أحد فرسانه وهو الشاعر
الراحل «صلاح عبد الصبور»، شهد من
الأشواق والأحلام ما لم يشهده جيل آخر،
وتجرع من الهزائم المتعاقبة ما لم يتجرعه
جيل آخر أيضاً، لكنه كان وفياً للتاريخ
فى وجهيه.. ومنه من نزف حتى الموت وهو
يحول العقبة إلى رافعة، وأسباب الإبادة
إلى أسباب نجاة وتجاوز، ولا أظن أن
هذا الجيل قد أنصف، فهو قرىء لكنه لم
يستقرأ بعد، والغرائب التى استخدمت

الْبَيْتُ الْأَرْبَعَةِ الْمُسَاءُ

محفوظ عبد الرحمن □

مقالاته تذهب إلى المطبعة عن طريقه، فصادقت خطه، وكان لافتاً للنظر لى جداً، فلقد كان واضحاً حاداً عميقاً كأنه يكتب بازميل. وقلت لنفسي إن هذا رجل لا يخفي شيئاً، إنه يكتب ما يريد أن يكتب بوضوح لا يخفى مشاعره في خطوط ملتوية، ولا يتعرّض في أخطاء يشتبها ويصلحها، فهو يعرف تماماً ما يسعى إليه. وأظن أن كثيراً مما قلته لنفسي ثبت مع الزمن أنه صحيح.

عندما دخلت الجامعة كان نجومها : سليمان جميل ويوسف السيسى وسعد زغلول فؤاد وعادل فهمى وحسن دوح، وأيضاً رجاء النقاش عمدة بوفيه كلية الأدب الذى تحول إلى ندوة يومية. ونشأت صداقه عميقة بيننا وبين وحيد النقاش، وما زال رجاء حتى الآن كلما سأله أحد عن أخيه الأصغر، أشار إلينا قائلاً: أسألكم فهم يعرفونه أكثر مني.

وكان رجاء النقاش - وأظن أنه لم يكن قد تخرج بعد - مراسلاً مجلـة (الأدب) اللبنانيـة التي كانت آنـذاك منارة ثقافية مهمة. ولم يكن من المـكنـ فـهمـ المشـهدـ الثقـافـيـ دونـ قـرـاعـتهاـ، وـكـانـ تـزـخـرـ بيـارـاتـ ثـقـافـيـةـ سـاخـنةـ: الـوجـودـيـةـ، والـقـومـيـةـ والـمارـكـسـيـةـ.

لأسباب كثيرة نعرفها، ولأسباب لا نعرفها، تقع أجيال في حب إحدى الشخصيات العامة. ورجاء النقاش من هؤلاء. ومنذ معرفتنا الأولى به، وهي مبكرة جداً، ونحن نلاحظ هذه العلاقة، ولا أريد أن أقفز إلى عيوب رجاء النقاش، ولكن من أبرزها أنه لا يصدق هذا، وهذا ما ورطه وورط بعض محببيه في أزمات، ولكنني هنا لا يشغلني ما يحسه بقدر ما يشغلني كيفرأينا أكثر من نصف قرن، وهي مهمة صعبة، ولم أكن أظنهـاـ هـكـذاـ، إلا عندما توقف القلم في يدي أسابيع، وأنا أحـاـولـ أـخـطـ أـولـ حـرـفـ.

وعندما تحـبـ شخصـاـ تـبـحـثـ عنـ صـفةـ تصـقـهاـ باـسـمـهـ، أوـ ربـماـ أحـيـاناـ تـنـوـبـ عنـ اـسـمـهـ. ولـذـكـ كـنـاـ نـقـولـ عـنـهـ دائـماـ: «ـالفـتـىـ الذـىـ يـكـلـمـ المسـاءـ»ـ، مـقـتـبـسـينـ ذـلـكـ منـ قـصـيـدةـ لـشـاعـرـ حـجازـيـ. وـكـنـاـ نـظـنـ - وـربـماـ كـنـاـ عـلـىـ حقـ - أـنـ حـجازـيـ كانـ يـصـفـ فـعـلـاـ بـهـذـاـ. ولـكـنـ هـذـاـ التـعـبـيرـ لـمـ يـكـنـ وـاقـعـيـاـ بـالـنـسـبـةـ لـنـاـ، وـإـنـ كـانـ جـذـابـاـ فـهـوـ لـمـ يـكـنـ يـكـلـمـ المسـاءـ بـالـعـنـيـ الروـمـانـسـيـ لـلـكـلـمـاتـ، فـلـقـدـ كـانـ نـهـارـياـ واضـحاـ. ولـقـدـ لـفـتـ نـظـريـ مـبـكـراـ «ـخـطـ»ـ رـجـاءـ النـقـاشـ، وـلـقـدـ كـانـ لـيـ شـرـفـ مـصـاحـبـتـهـ فـتـرـةـ، عـمـلـنـاـ فـيـهاـ مـعـاـ، وـكـانـ

٨٤

جـ ٢ـ
جـ ٣ـ
جـ ٤ـ



عندما أعدت قراءة مقالى النقدى بعد عام من كتابته فإذا بما فيه يفزعنى. ورأيت أننى تغيرت فى عام، فى حين أن الكتاب لم يتغير. وقررت أن أكفر عن كتابة النقد الأدبى.

وإذا كان هذا هو الأفضل فله ثوابه.
وإذا لم يكن فإنه يتحمل بعض الذنب!
وفي مهرجان فى قطر - وكان ذلك فى الثمانينيات - وكان من حسن حظى أن التقى بعد غياب طويل. وكانت مشاركته بمسرحية (ما أجملنا) التى كانت تعرض هناك لأول مرة. ورغم الاستقبال الجميل للمسرحية، إلا أننى رأيت الهنات التى أغضبتنى، فتسلىت من المسرح إلى فضاء خلفه. وأخذت ازدرد ما اعتبرته فشلاً فنياً، وخيانة العاملين فى المسرحية، وسوء الحظ... وكان ذلك فى فترة أصابنى فيها ضيق بالكتابة وبكل شيء.
وفى العتمة التى سادت خلف المسرح، وجدت أمامى مجموعة بينها رجاء

ولم يكن رجاء النقاش مجرد مراسل أو مدير مكتب، بل كان مشاركاً فى توجهات المجلة واختياراتها. ولا أظن أنه كان يستطيع التوقف عند مسمى الوظيفة. فهو بطبيعته يفكر فى الكلمات، ويحاول أن يتبع تنفيذ أفكاره. لقد كان شعلة من الأفكار والحركة.

حقاً هذا قلًّ بعض الشيء نتيجة الزمن القاسى الذى عشناه جمياً لكنه تستطيع أن ترى دائماً فى رجاء النقاش ما كان.

وأظنهم قلة الذين أثروا فى الشارع الثقافى مثلما أثر رجاء النقاش. ولم يكن يفعل ذلك من فوق منبر يتغير دائماً، بل كانت مقابلته، حتى لو كانت عابرة تغير من الآخرين وكأنه ميدياس الذى يحول كل ما يلمسه إلى ذهب.. حتى لو كان الذهب لعنة فى بعض الأحيان.

وإذا رصدت علاقتى الطويلة به سأجد أنه قد أثر فى، وهذا ما أستطيع متابعته أكثر من متابعتى لتأثيره على الآخرين.
ولا يعرف رجاء النقاش أننى قد اعتزلت كتابة النقد الأدبى بسببه، أو على الأقل كان أحد الأسباب القوية لهذا، فلقد كتبت نقداً لمجموعة قصصية كتبها لطفى الخلوى. وكانت قاسياً في انتقاده. وبعدها اعترض رجاء النقاش قائلاً : إننى أتصور مجتمعًا مثالياً على الكاتب أن يصوره، لكنه يصور مجتمعًا ليس هكذا. وإنه ليس من حقى أن أفرض عليه مثاليات ليست موجودة.

وصمت. لكن طوال عام أخذت أرى فيما كتبت ما قاله فى كلمات عابرة. ثم كانت الصخرة التى قصمت ظهر البعير،

السماء. وكان الفيلم المأخوذ عن قصة إحسان يحقق إيرادات فلكية. وكان تأثيره على وجдан الناس قوياً، وكلماته على شفاه الشباب والشبان.

ومع ذلك لم تكن هناك متابعة نقدية لأعمال إحسان عبد القدوس، رغم أن البلاد كانت في تلك الفترة تحظى بحركة نقدية نشطة. وفسر البعض هذه الظاهرة بأن الحركة النقدية يسارية في الأ عم، ولذلك احتفت بيوفيس إدريس ولطيفة الزيات وأحياناً بنجيب محفوظ، وببعض الكتب التي يكتبها من ليسوا روائيين أساساً، لكنها تعبر عن أفكار اليسار، فضلاً عن متابعته للأعمال الأجنبية القديمة والحديثة.

ودار حديث عن النقاد المؤثرين في الحركة الأدبية: محمد مندور وأنور المعداوى (ولقد توفيَا في عام ١٩٦٥) ولويس عوض عبد القادر القط، لكن قفز اسم رجاء النقاش على أنه ربما كان أكثر النقاد تأثيراً في الشباب، كما أنه أقرب إلى الحياة الصحفية.

واقتراح أحدهم أن يطلبوا من رجاء النقاش العمل في دار (روزاليوسف).

ووافق إحسان عبد القدوس في حماس. وتم ترتيب لقاء بين إحسان ورجاء ليتحدثا عن العمل. وقال رجاء فجأة: أحب أن أعمل في روزاليوسف، ولكن لى شرط هو ألا تطلب مني أن أكتب عنك!

وسرعان إحسان برفض الخاطر مستنكرةً أن يكون قد فكر فيه.

وكان موقفاً جميلاً من الاثنين. لم يتخيّل إحسان عبد القدوس أن يضغط على كاتب في مجلته ليكتب عنه. وفي

النقاش، وإذ به يبدى إعجابه الشديد بالمسرحية، وأنه يعرف أن خجله من النجاح هو الذي جعلني أهرب من المسرح !!

كنت أعرف رجاء النقاش منذ أكثر من ربع قرن. ولم يكن كتب عنى - حتى ذلك الوقت - حرفأً.. لكن ما قاله كان مثل الكتابة، فرجاء النقاش كاتب وناقد حتى وهو يتحدث. ليس له لغة للحديث وأخرى للكتابة، وليس له رأى يبدله. حتى لو جامل - وهو كثيراً ما يجامل - فهو يأخذك إلى ممثل ثانوي: من أين أتيت بهذا الموهوب؟ لقد كان رائعاً على المسرح، أو إلى ديكور. يتسعّل لماذا وافق المخرج على ديكور بهذا الشكل؟

وفي تلك الليلة في «الدوحة» عدت إلى الكتابة في مرحلة كنت قد كرهت فيها الكتابة.

وفي المرة الثالثة حدثتى على أن مقدمته من أعمال تاريخية هي رسالة، وأن من واجبى أن أستمر فيها. لكن لم تكن اكتملت كما يمكن أن تخيلها، فرجاء النقاش كما يكتب بإزميل، يتحدث بإزميل، دائمًا ما يتحدث فيه هو القضية الكبرى وكان أحد الأسباب في ارتباطي بالدراما التاريخية.

ولا أدرى إذا كان رجاء النقاش يعرف هذه الحكاية التي سأرويها هنا: فلقد كان إحسان عبد القدوس في الخمسينيات والستينيات يكتب الروايات والقصص فتسري كالبرق في البلاد. وكان نشر رواية مسلسلة في «روزاليوسف» يعني ارتفاع توزيعها إلى عنان



أشعار وروايات وقصص الخمسينيات والستينيات. لكنني عندما حاولت الكتابة تسرب من بين أصابعى كلامه. وأظن أنه لم يبن بين يدي شيء. وإن كان فى الخزانة ثروة كبيرة: دور رجاء النقاش فى نقد الشعر، وهو أكبر أدواره الأدبية وأهمها. ولا أظن أن ناقد شعر مهما علت مكانته يستطيع الوقوف إلى جواره. وأيضاً دوره كمكتشف للجواهر، فهو الذى قدم لنا الطيب صالح والشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم وعفاف راضى. وهو الذى عرَّف المصريين بكثير من نواحي الثقافة العربية.

وأستطيع أن أغفر لنفسي تأجيل الكثير، لكننى لا أستطيع أن أتجاهل سؤالاً: لماذا رجاء النقاش هو رجاء النقاش؟

لأن أكثر النقاد يدرسون ويبحثون ويكتبون. أما رجاء النقاش فهو أيضاً يدع ما يكتب وهذا شيء نادر. إنه ناقد يكلم القارئ كما يكلم المساء!

نفس الوقت أكد رجاء النقاش أنه قد يمتلك قلماً حراً، وهو ما دفع من أجله ثناً غالباً، فلم يكن كل المسؤولين في نبل إحسان عبد القدوس. ولقد استطاع الكثيرون أن يضغطوا على رجاء النقاش حتى العظم، لكنهم لم يأخذوا منه ولا بعض ما أرادوا.

وكانت الضغوط تزيد أحياناً عن المعقول. وأحياناً تكون أثارها أكثر مما تبدو.

ولا أدرى هل من حقى أن أحكى هذه القصة المضحكة المبكرة فلقد رشح رجاء النقاش لمنصب صحفى كبير (ورجاء لم يعمل فى غير الصحافة). ويبدو أن جهة أمنية اعترضت على تعيينه. وإلى هنا كان من الممكن أن ينتهى الأمر، فهو نفسه لم يكن يعرف أنه مرشح. ولكن وصله فى البريد نسخة من تقرير الرفض. ولا أحد حتى الآن يدرى السبب فى ذلك. قيل إنهم أرادوا التكيل به. وقيل إن ماحدث مجرد خطأ إجرائى. لكن الأمر أفعى رجاء الذى كان دائماً فى علاقة معقدة مع السلطة. فقد كان دائماً معارضًا، ومع ذلك يخشى يد السلطة الثقيلة. وأظن أن رجاء النقاش نموذج للعلاقة بين السلطة والثقافة.

ولقد اضطر إلى أن يسافر إلى قطر ليعمل هناك سنوات طويلة (ولم تكن أول مرة يعمل فيها خارج مصر) لكنه أيضاً تعرض للعنف لنشره في مجلة (الدوجة) التي كان يرأس تحريرها، ما أغضب بعض الجهات الدينية.

وكنت أظن أن الكتابة عن رجاء النقاش أمر سهل. فائنا أحفظه منذ سنين طويلة، وهو مُغر بالكتابة فهو موجود في

أديب هنـان مـفـكـرـ الأصـيل

د. عبد العزيز المقالح □

الذاكرة لرجاء النقاش، بتلك الصورة لمثقف لطيف وودود في حضوره الشخصي والإنساني كما في حضوره الصحفى والأدبى عبر ما كان يكتبه بانتظام فى دوريات وصحف مصرية وعربية واسعة الانتشار.

ولقد تابعت رجاء النقاش فى كتبه ومؤلفاته العديدة ولا سيما انتباهاهات المبكرة إلى شعراء عرب. يدين له القراء بأنه لفت إلى شعرهم الأنظار مبكراً، نقول هذا وفي الخاطر كتابه عن (الشابى) وكتابه عن (محمود درويش) وغيرهما، فضلاً عن كتاباته عن الأدب资料ى وأعلامه البارزين. وفي مناسبة استرجاع الجهود المميزة لرجاء النقاش لا يمكن أن نغفل تأسيسه لمجلة ثقافية عربية نادرة هي مجلة (الدودة) التي ترك فيها أهم البصمات، حيث جمع بين الفكر الأصيل والثقافة الجادة إلى جانب محظوظ به من جماهيرية لدى أوسع القراء.

ويشير حضور رجاء النقاش في النشاط الثقافى العربى من تجربته الكتابية في دار أخبار اليوم، والمصور، والهلال حتى أسبوعياته الأخيرة في الأهرام ثم اللقاء الشهري معه في مجلة

كانت المرة الأولى التي تعرفت فيها على الكاتب الكبير رجاء النقاش نادراً من خلال مقدمته الضافية والمهمة للديوان الأول للشاعر الكبير أحمد عبد المعطى حجازى (مدينة بلا قلب) حيث استوقفتني إشاراته المبكرة إلى الحداثة في الشعر وصيغة هذه الحداثة لدى روادها الأوائل بدءاً بأحمد شوقي وشاعراء النهضة الذين مهدوا بقصائدهم للتجديد والتحديث في القصيدة العربية مروراً بجهود الرومانسيين العرب والجماعات الفكرية والفنية التي دعت إلى التغيير والتطور في الشعرية العربية.

وفي شتاء عام ١٩٦٣م أسعدنى الحظ بآن التقى في القاهرة رجاء النقاش شخصياً ليبدأ بيننا تعارف أولى، فيمتد لاحقاً ليغدو صدقة عميقه تتعزز مع الأيام. وتحفظ الذاكرة عن هذا اللقاء الأول، أنه كان بعد صدور كتابه (ثورة الفقراء) عن الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي. وكان لكلمة الثورة في ذلك الحين سحرها وألقها، سيما حين ترتبط بالفقراء كما أراد رجاء في عنوان كتابه الذي صار الطلاب العرب في مصر يتسابقون إلى اقتناه وقراءته واحتفظت

٨٨
جـ ٢
يـ ٤
جـ ٣
جـ ٢

(دبى الثقافية) وما يشيره فيها من قضايا تتصل بالفن والثقافة والفكر وليس آخرها ما قدم من قراءات واعية ممزوجة بذكرياته الخاصة حول نجيب محفوظ وأعماله الروائية.

ومما يحسب لرجاء النقاش فطنته العميقه بالقضايا العربية فهو لا

يتوقف عند الموضوعات المحلية والقضايا الخاصة بمصر بل يوسع دائرة اهتماماته وهمومه الثقافية لتلامس هموم وطنه العربي وما تعانى ثقافته من أزمات وهو من قلة من مثقفى أمتنا الذين جعلتهم جهودهم وكتاباتهم فى قلب الثقافة العربية وفي المراكز من دائرة الهم القومى، والانشغال بمعاناة الأمة، التي كان قدر رجاء النقاش أن يعيش شطراً كبيراً من نكباتها وأحلامها ، والنظر إلى مصر داخل إطارها العربي الذى بدونه لا يكون مصر ولثقافتها هذه الصورة التى يجعلها فى وعي المواطن العربى وضميره وإحساسه.

هكذا نجد رجاء النقاش من أوائل مثقفى مصر العربية الذين امتدت بهم الجسور إلى بلدان عربية كثيرة فنحن فى اليمن نذكر له بامتنان وقوفه مع الثورة اليمنية واهتمامه بقضايا هذا البلد شبه المنسى وخروجه إلى العالم بعد سبات طويل. وأستطيع أن أشهد عن معايشة ودرأية بأن رجاء النقاش موقف تتسنم

بالجرأة والمسؤولية، لعل أبرزها وقوفه مع المثقفين العرب بشتى انتماءاتهم الحزبية والفكرية ودفاعه عن حقهم فى أن يروا ما يرون ويكتبوا ما يعتقدون لإيمانه بالمتعدية والتنوع، وبضرورة أن لا تعم فكرة الحزب الواحد التي أدت في كثير من الأقطار العربية إلى

كوارث سياسية واجتماعية وثقافية .

واللافت أن رجاء النقاش - برغم اهتمامه بشئون اليمن وأحوال اليمنيين وثقافتهم وعلاقته المباشرة بثوار اليمن طيبة منذ وقت مبكر، لم يزير اليمن إلا في السنوات الأخيرة في زيارة قصيرة لم تتعدد صناعه وضواحيها ، وربما كان ذلك حاله مع أقطار عربية أخرى كتب عنها وعن تحررها واستقلالها دون أن يتعرف عليها مباشرة بالإقامة أو الزيارة .

أخيراً نقول بثقة أكيدة بمناسبة الاحتفاء بهذا الكاتب الكبير، أنسنا مع تجربة النقاش نكون في رحاب مثقف متعدد الأبعاد، فهو فنان وناقد وأديب ومفكر تصب في شخصيته روافد ذلك التعدد والغنى إلى جانب تسامحه وإنسانيته المفرطة التي طبعت شخصيته وكانت صورته في أذهان أصدقائه وقرائه، على السواء . وهي إنسانية قل نظيرها من أبناء جيله، رغم تصديه لأنعف الظواهر في حياة الثقافة العربية، ودفعه المستميت عن الشخصية والوجود والهوية العربية.

فِرْسَةُ الْمُهَاكَالِ الْأَدْبُرِيِّ

د. أحمد درويش □

ل الشمال، والشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش — وكتاب رجاء عنه عام ١٩٦٩، تكفي الإشارة هنا لتأكيد فكرة البحث عن النكوز واستخراجها في كتابات النقاش وهو بحث لم يتوقف عند هؤلاء المبدعين الكبار في الأدب العربي، وإنما امتد إلى تشجيع كثير من المواهب الناشئة، وتقديم كثير من الأعمال في التراث العربي والعالمي لقارئ الصحافة الأدبية العربية، وهي النافذة الرئيسية التي أطلت منها أعمال رجاء النقاش على المثقف العربي.

وإذا كانت "الصحافة الأدبية" تشكل النافذة الرئيسية التي انطلق منها صوت رجاء النقاش للقارئ العربي، فقد استطاعت هذه النافذة أن تحمل من تنوع الأصوات وتعددتها، ما يستجيب لحاجة القراء على اختلاف وتتنوع رغباتهم وتصوراتهم لما يشبع الظمام الثقافي، ويبيّن جذوة التفكير وال الحوار مشتعله إن لم تكن متوجهة. ومن هذا الإطار حدثنا رجاء النقاش على امتداد نحو نصف قرن حول قضايا متنوعة، مثل أزمة الثقافة المصرية، وأبى القاسم الشابي شاعر الحب والثورة وثورة الفقراء، وتأملات في

من المصادرات الطريفة أن يقودنا تتبع معانى مادة "نقش" في معاجم اللغة إلى كثير من الظواهر التي نجدها في كتابات رجاء "النقاش" الأدبية، فيقال نقش الشئ نقشاً : بحث عنه واستخرجه، ويقال نقش الشوكه بالنقاش، ونقش الحق من فلان، ويقال : نقشه مناقشة ونقاشاً: استقصى في حسابه وناقشه المسالة : بحثها، كما يقال : نقش الشئ: لونه بالألوان وزينته.

ومجمل ما في هذه المعانى المعجمية يعود إلى دقة البحث والتنتقيب، وجمال العرض والتفصيل وهو صفتان تقفزان أمام العين لكل قارئ لمقالات رجاء النقاش الأدبية قبل وبعد أن نكتشف أن "النقاش" الأدبي، نقاش بالاسم وبالمعنى معا. وسوف تظل فكرة "اكتشاف" القامات الأدبية الشامخة، والتحمس لها وتقديمها قبل أن تتضخم معالمها كاملة للمثقف العادى، ملهمًا مميزًا لكتابات رجاء النقاش ويكتفى في هذا المقام أن تشير إلى الشاعر المصرى الكبير أحمد عبد المعطى حجازى، وتقديم رجاء لديوانه مدينة بلا قلب، والروائى السودانى الكبير الطيب صالح وروايته موسم الهجرة

٩٠
جـ ٢
٢٠١٣



الناجح" يمكن أن تنسج من أمثال هذه المقالات.

النقد الصحفى

ونحن غالباً ما نغفل عن قيمة النقد الصحفى" (ربما نتيجة لاسعة استخدام المخبر من قبل كثير من يقفون عليه أو يتسلقونه) وتقارنه عادة بنوع آخر من النقد هو النقد الأكاديمى أو النقد المحترف، وتكون النتيجة غالباً في غير صالحه، حتى إننا نستقبل في ريبة اعتماد بحث جاد، على كتابات نقدية صحفية، معتبرين أن أمثال هذه الكتابات ينقصها الوقت الضروري للتروي والمراجعة والاستقصاء، وتشدّها الاعتبارات المتصلة بجمهور الصحافة وتأثيراتها، فيصدر الحكم متاثراً بهذه الاعتبارات.

لكننا ننسى أن كثيراً من الأعمال التي أصبحت "نقداً كلاسيكيلاً" معتمداً

لإنسان، وأدباء ومواقف ، مقعد صغير أمام الستار، وأصوات غاضبة في الأدب والنقد وكلمات في الفن، ومحمد درويش، وأنور المعداوى وفدوى طوقان ولويس عوض و توفيق الحكيم والعقاد وطه حسين وأحمد بهاء الدين وأمل ننقل وأدونيس ، ونزار قباني وكفافي ومحمد الماغوط وفاروق جويدة وحسن طلب وفؤاد حداد وصلاح عبد الصبور وحجازى وأحمد مطر وعفيفى مطر، وغير ذلك من الشخصيات والقضايا المتنوعة الشيقة الحية والتى ضمنت للنافذة أن تكون نوافذ وشرفات ومآذن وللصوت الواحد أن تتشكل منه إيقاعات وألحان متنوعة.

ومع أن كثيراً من إنتاج رجاء النقاش ظهر في شكل "كتب" و "دراسات" فإن طابع "المقال الصحفى الأدبى" الجيد. ظل هو السمة المسيطرة على هذا الإنتاج بل أن الكثير من خصائص "المقال الأدبى"

في المقال الأدبي

والتعليقات مما يهتم به مؤرخو النقد في العرب، ويطلقون عليه La Critique Spontanee، فيما يمكن أن يترجم بالنقد التلقائي، في مقابل النقد المحترف Critique Professionnelle، كما يرى الناقد الفرنسي البير تيبوديه، والذي يرى أن النقد الذي يتخد الصحافة نافذة له يستقطب كل خصائص الحيوية المترفة في أنواع النقد التلقائي الأخرى، وأن هذا النقد هو الذي يتتبع إنتاج العصر بروح العصر وبلغة العصر، لكي يعبر في النهاية عن نبض العصر، وهو إذا وجد في ثقافة شديدة الحيوية، قد يجد نفسه مطالباً لا رصد نبض الفكر عاماً بعد عام ولا شهراً بعد شهر بل ربما يجد نفسه مطالباً برصد ذلك الفكر الأدبي يوماً بعد يوم - وهو يتطلب مهارات قد لا تتوافر عند النقاد المحترفين ولا كبار الأساتذة الذين قد يميلون إلى شد ظواهر الحاضر إلى دائرة الماضي لكي تُرى من خلالها. وفي هذه الحالة قد يتحول النقد الصحفي الجيد إلى مهنة لا يتحمّل النجاح فيها للكنّاقد. لكن هناك فارقاً هاماً بين نمطين من النقد الصحفي، نمط منه يكتب لكي يُقرأ مرة واحدة، ونمط آخر يكتب لكي يُقرأ وتعاد قراءته، وقليلون من نقاد الصحافة من ينتبهون إلى الفروق الدقيقة بين النمطين خلال انتقاءهم للمعلومات التي تشكل مادة المقال. أو اختيارهم لمستوى لغة الصياغة المؤقتة أو الدائمة، والتفرقة بين الأدلة الذاتية والموضوعية وغير ذلك من فروق ينبع عن مراعاتها أو الغفلة الجزئية أو الكلية عنها، آثار

صدرت في البداية في شكل مقالات صحفية ربما كان من أشهرها، مقالات سانت بياف الشهيرة مزن موفر ضمن "أحاديث الاثنين" والتي كتب طه حسين على غرارها "أحاديث الأربعاء" التي أصبحت بدورها من أشهر مقالات النقد الأدبي الصحفية في النصف الأول من القرن العشرين وأدرجت فيما بعد، حين ضمها كتاب من عدة أجزاء، في مصاف كتب النقد الكلاسيكية، ومراجعه التي تحظى بالتقدير، دون أن يقلل منها مهدها الصحفى الذي ولدت فيه.

وينطبق هذا بالتأكيد على كتابات أعلام النقد الأدبي الصحفى من أمثال العقاد وهيكيل والحكيم والزيات وأحمد أمين، وغيرهم منمن أصبحت كتاباتهم تشكل المصادر الرئيسية التي ترسم من خلالها حركة النقد الأدبي في عصرها، عندما ننظر إليها من عصر تال لها باعتبارها "ماضياً نقدياً" كما تسهم في تشكيل الذوق الأدبي في عصرها حين ينظر إليه على أنها "حاضر نقدى" تستتصفى من عناصره ما يمثل ذلك الحاضر وما يبقى منه في المستقبل، حين يصير هذا الحاضر بدوره "ماضياً نقدياً".
ولاشك أن المقال النقدى" عند رجاء النقاش، يأتي في قائمة أهم الأعمال التي تسهم في شكل هذا "الحاضر النقدى" في النصف الثاني من القرن العشرين، مع ألوان النقد الأخرى التي يتشكل منها هذا الحاضر مثل الندوات، والصالونات،



أحمد أمين

وجود عشرات الشعراء الآخرين، وأن يدور الحوار حولهم حتى تنتهي إلى أنهم أقل لمعاناً، وكذلك الشأن في بقية الأجناس الأدبية وبقية لفترات التاريخية ولا تتم هذه المهمة من الحشد وال الحوار والانتقاء والتصفيه إلا على أيدي نقاد الصحافة الذين يواكبون ميلاد المواهب على اختلاف درجاتها، قبل أن يأتي النقاد المحترفون والأكاديميون، فيما بعد، لكي يدخلوا إلى مختبر ثم انتقاء عيناته من قبل، في غالب الأحيان.

الحاضر والمستقبل

المقال الأدبي" عند رجاء النقاش إذن يمثل هذا النطء الحى فى الكتابة الأدبية النقدية الصحفية فى أرقى صورها، ويأخذ مكانه فى تجسيده "للحاضر الأدبى والقدي" وفي تمثيله "للماضى عندما يواصل الزمن مسيرته محتفظاً من ذلك الحاضر بافضل عناصر تمثيله، وهذا النمط من المقالات يقدم لقارئه) الحاضر أو المستقبل(نصاً متكاملاً تتجاوب فيه المتعة مع الفائدة، والعناصر الاندية

واضحة عندما يعمد الكتاب إلى تجميع مقالاتهم في كتب نقدية في فترات لاحقة، ونحس على الفور عند قراءة أمثل هذه الكتب بأن بعضها منها كتب لكي يقرأ مرة واحدة من خلال نشره في مقالات اكتسبت أهميتها في حينها، فقدت كثيراً من مشروعيتها عند قارئ لاحق، وأن بعضها الآخر كان صالحًا لأن يقرأ في زمان كتابته باعتباره مقالاً نقدياً حيوياً، يقدم من خلال الجدل قدرًا كبيراً من المتعة والفائدة، وما زال صالحًا لأن تعاد قراءته مرة أخرى للقارئ اللاحق دون أن يفقد الكثير من أهميته، لأن الكاتب كان على وعيٍ ببناء عناصر المقال من الجوهريات لا من العرضيات، وإلى هذا النمط الأخير تنتهي مقالات رجاء النقاش النقدية.

لكن الإنصاف يقتضي أن نقول : إن المقالات التي كتبت لكي تقرأ مرة واحدة ولكي تشير حولها نقاشاً في حينها، وقد يختفي بعد عام أو أكثر، تمثل بدورها قاعدة ضرورية لرصد وتحليل إنتاج أدبي لفترة ما، سواء كان تحليلاً دقيقاً أو غير دقيق، منصفاً أو متحيزاً، قوى الحجة أو ضعيفها" وهو رصد يبدو ضرورياً قبل انتقاء ما يصمد من نتاج العصر ليواصل المسيرة في "تراث الأمة" في الصدارة أو الصحف الثانية أو الثالثة، وما يسقط في هوة النسيان، بعد أن يكون قد تكون جمهوراً وأثار نقاشاً وأعطى فرصة للاختيار، ومن هنا فإن بقاء أسماء مثل البارودي وشوقى، وحافظ ومطران - وإن اسماعيل صبرى لامعة، كان يتطلب

وقد يلفت النظر حجم المعلومات التي يستدعيها المقال فتائى طواعية، وربما بداع أنها تبتعد للوهلة الأولى عن العنوان الأصلى للمقال، ولكن براعة الكاتب تضع المعلومات كلها فى نفس متألف متجانس، وإذا أخذنا المقال الذى يحمل عنوان "المتنبى بين أحمد بهاء الدين وطه حسين" ونظرنا إلى حجم المعلومات المتنوعة والجولة الواسعة التى بدأت بين بداية المقال ونهايته، فسوف يتضح لنا طريقة النقاش فى نسج مقاله، فهناك إشارة عابرة إلى جملة قالها أحمد بهاء الدين فى إحدى يومياته وهى عبارة : "إن المتنبى كان أعظم الشعراء" وأحط الشعراء فى أن واحد" وهذه الجملة المكونة من عشر كلمات كانت كل نصيب أحمد بهاء الدين فى مقال من إحدى عشرة صفحة تضم نحو ثلاثة ألف كلمة، ولم يكن لطه حسين أيضا نصيب كبير فى المقال سوى الإشارة العابرة إلى موقفه من المتنبى وعدم الإعجاب به وبسلوكه فى المديح مقارنة بآبى العلاء الذى يقف فى الإتجاه المضاد فى رأى طه حسين . مع أن آبا العلاء - فيما لاحظ رجاء بحق- كان من أشد المعجبين بالمتنبى، لكن هذه الإشارات لبهاء وطه حسين تفجر عند النقاش ، قضية أعمق وهى تصحيح المفاهيم الخاطئة، وقصور النظرة فى معالجة ظواهر الأدب العربى وسرعة تعميم الأحكام دون تمحيصها، وفي هذا الإطار ينطلق الكاتب لكي يصحح مفهوم المديح نفسه وعلاقته بالتكسب، لافتًا النظر إلى قيام أعمال

المتغيرة مع العناصر الثابتة الباقية، والمادة الأدبية التى توجد فى الموضوع المدروس، مع المادة التاريخية والفلسفية والتراثية المنتسبة إلى الفكر المحلى أو الإقليمى أو العالمى مع محاولة مستمرة لمزج حرارة الواقع الذاتية العاطفية، برصانة الحقائق الموضوعية وعملية المزج بين هذه العناصر الكثيرة، لا تبدو أمام القارئ إلا من خلال "منتج" متكامل — قد يصعب الفصل بين عناصره المكونة له، إلا إذا حاولنا إعادة تفكيرها. ومعرفة ما حاول الكاتب أن يصنعه وهو يجمع الفسيفساء المتفرقة أمامه ليشكل منها لوحته المثلالية.

وقد يكون كتاب رجاء النقاش — ثلاثون عاما مع الشعراء— واحدا من النماذج الطيبة للمقال الأدبى النقدى المتنوع، وهو فى ذاته صالح لاققاء نظرية عليه للحظة جانب من عملية التكامل والنسيج فى بنية المقال، والكتاب معا، فحجم الكتاب يشارف الستمائة صفحة، وموضوعاته تشارف الخمسين، والسنوات التى كتب خلالها تبلغ الثلاثين، وموضوعات المعالجة وإن كانت تنطلق من الشعر، فإنها تستعين بكل فروع المعرفة الازمة لإثراء الحوار والنقاش وتعزيز المعرفة والتواصل مع أكبر دائرة من شريحة "المثقف العام" الذى يشكل جمهور الصحافة الأدبية، من خلال لغة ملائمة تخفف من كثير من المصطلحات المتخصصة دون أن تتخلى عن الجدية فى التناول.



طه حسين

الكتابة عن الحياة الخاصة للعظماء، واهتمام الغرب بفن "الاعترافات" وإلقاء الضوء على حياة كبار الشخصيات بما في ذلك الجوانب الخاصة منها وتجاوز الخطوط المألوفة في ذلك كما حدث مع أوسكار وايلد وجيت وهمينجواي، وفي الجانب الشرقي يلاحظ الكاتب ضموراً في الاهتمام بالكتابة عن حياة كبار الشخصيات تتناقض مع نزعة الثرثرة التي تتمثل بها أحاديث الناس الشفوية عن حياة الآخرين. لكن المقال لا يكتفى بهذا التمهيد الذي يتبع له عرض ما كتبه سكرتير شوقي وابنه عنه، لكنه ينتقى كتاباً ثالثاً لزكي مبارك عن حياة شوقي ليكون موضعاً للمقارنة معهما، وينتقل من الموقف الطريفة في حياة أمير الشعراء، ما يقدم به متعة للقارئ تمتزج مع الفائدة المقدمة من التعريف بأصول فن كتابة السيرة الذاتية أو الغيرية.

وعلم النقاش في مقالاته النقدية مولع بالبحث عن "الأشباه والنظائر" وهو مبدأ يقف وراء كثير من أسباب الإمتاع في

أدبية رئيسية في الأدب العالمية تسلك نفس المنهج دون أن تفهم بالتكلس مثل أنسودة رولاند في الأدب الفرنسي وشعر بنداروس اليوناني ويربط الكاتب بين المديح والدور الإعلامي للشعر. وفي هذا الإطار تتماثل عمودية أبي تمام مع أنسودة رولاند والمعتصم مع شارلمان، ويعود لمناقشة موقف المتنبي في مدائحه ويربطه بالأدب السياسي وطموحاته في استعادة العرب لسيادتهم ويناقش موقفه مع كافور من خلال إشارات المؤرخين لوعود سياسية لم يتم إنجازها" ثم يعود إلى جوهر القضية، وهو إنكار الجمع بين المجد الأدبي والمجد السياسي وهي التهمة التي وجهها طه حسين إلى المتنبي، ووقع فيها هو نفسه حين كان سلوكه السياسي أقرب إلى المتنبي الذي يهاجمه من أبي العلاء الذي يمدحه وحين قاده ذلك السلوك إلى التقلب بين الأحزاب، والوصول إلى مقعد الوزارة وعمادة الأدب وهو ما عاب على المتنبي السعي إليه، وهكذا ينتهي القاريء من المقال بعد أن جمع له الكاتب أركان القضية في بوتقة متجانسة التقى فيها الحاضر والماضي والأدب والسياسة والتراث العربي والأجنبي انطلاقاً من عشر كلمات لبهاء الدين.

إن منهج التقاط المعلومات المناسبة وصهرها في بوتقة واحدة يبدو واضحاً كذلك عند الكتابة عن أحمد شوقي في مرآة سكرتيره وفي مرآة ابنه، فالتمهيد للمادة المدرستة يكون أولاً من خلال التفريق بين طبيعة الشرق والغرب في

عبدالصبور من البسطاء وأبطال شكسبير من النساء.

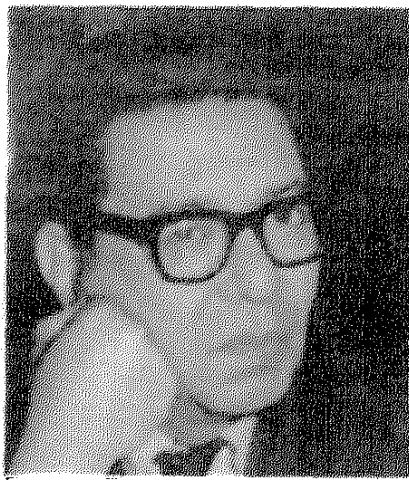
والحديث عن عبدالصبور نفسه في لحظة موته المبكر المفاجئ يفتح ملف "المهادنة والمواجهة" بين الأدباء والسلطة، ويتناول القلم المدرب مواقف الطهطاوى والعقاد ومحفوظ وطه حسين من ناحية وموافق الجبرى والنديم وزكى مبارك ومنور من ناحية أخرى كى يضع الخطوط الفاصلة بين المهادنة والخنوع، والمواجهة والتهور.

وأشعار نزار قباني القومية بعد النكسة تجر إلى ساحة المناقشة أطراف السياسة والأدب، من جمال عبدالناصر إلى محمد فائق إلى أحمد بهاء الدين إلى صالح جودت إلى جهاد فاضل إلى شعر نزار ونشره ونبض الحياة السياسية في القاهرة وبيروت مما يجعل صورة من دقات قلب العصر تنتقل بحيويتها إلى العصور التالية.

ولا يقف الأمر عند التعامل مع القضايا الساخنة المثارة وانتقاء ما يصلح منها للدينونة، وإنما يمتد إلى القضايا الهدافة العميقه المتصلة بالبنية الأساسية لثقافة الشعراء، ومن أهم القضايا التي أثارها النقاش في هذا الاتجاه قضية أهمية البعد التاريخي في ثقافة الشاعر وتوظيفه في الإبداع الشعري، وهي قضية أثارها وهو يتحدث عن الشاعر السكندرى اليونانى كفافى وقصائد التاریخية التي استلهم فيها التراث الإنساني اليونانى والروماني من خلال المؤرخ بلوتارك ، ولم يتوقف النقاش عند الإشارة الى أهمية

الفنون الشعبية الأدبية السردية، ومن ثم يجد لدى المثقف العام، استجابة وإغراء بالتتابع، فالحديث عن مرض الشاعر أمل دنقل في بداية محتنته، يأتى تحت شعار صارخ، يقرع الأجراس : "لماذا نقتل الشعراء؟" وتمر عبر مفهوم عالمي يحرض على الاحتفاظ بالمواهب والإعتزاز بنتاجها، حتى أن تشرشل يفضل تراث شكسبير على كل مستعمرات إنجلترا، ونابليون لا تتحرك جيوشه الا في صحبة العلماء ، ثم يقود الحديث عن محن أمل دنقل إلى محن متشابهة تعرض لها حافظ ابراهيم وأبو القاسم الشابي وعبدالحميد الدibe ونجيب سرور لينهى المقال وقد احتشد القارئ للتغاطف مع الظاهرة والإسلام بأبعادها التي تتسرّب إليه في هدوء من مختلف روافد الثقافة والتجارب التي يسيطر عليها الكاتب.

وسواء كان المقال عن صوت أو شخصية أو ظاهرة ، فإن روافد الثقافة لدى الكاتب تهب في سخاء ، وقلمه المدرب ينسج الأشباح والنظائر بل والأشياء المتباينة في لغة لا يبدو عليها التكلف ولا التعسف ولا التعالي على القارئ الذى يتعامل معه فالحديث عن الشعر ولغة الحياة اليومية يبدأ من شعر صلاح عبدالصبور وتعليقات لويس عوض، لكنه ينطلق في سلاسة إلى تجربة إليوت، وورد زورث وشعر العقاد، وترجمة الكتاب المقدس، وأحزان أبطال صلاح



أحمد بهاء الدين



محمد الماغوط

وقد يبدو المقال الأدبي عند النقاش كذلك بذرة لكتاب تال، أو تلخيصاً لكتاب سابق من إبداعه، كما كان الشأن في كتاباته عن شعراء المقاومة، محمود درويش وسميح القاسم، أو عن الشاعر أبي القاسم الشابي، أو عن الشاعر اليوناني كفافي، أو عن الشاعرة فدوى طوقان والناقد أنور المعادوى، أو عن الشاعر أدونيس وانتيماءاته القديمة والحديثة، أو عن الشاعر أحمد مطر وزعنجه القومية، أو عن الشاعر محمد عفيفي مطر وتجاربه الرائدة أو عن محمد الماغوط وكتاباته التثريّة الشعريّة، وفي كل هذه الأشكال الموجزة أو المفصلة، يعرف رجاء النقاش كيفية المحافظة على الملمحين الرئيسين اللذين يميزان "النقاش" في الأصل اللغوي، وهما دقة البحث والتقطيب وجمال العرض والتحليل، ويحرص على أن يقدم لقارئ الصحفة الأدبية والمثقف العام نموذجاً للنقد الرشيق الذي يجمع بين المتعة والفائدَة، ويصطنع لغة المثقف العام، دون أن يفوته شيء من دقة المثقف الخاص.

القضية، وإنما قدم ترجمة جميلة لمعاني بعض قصائد كفافي عن النص الإنجليزى، ولم يفوت الفرصة لكي يقدم منظوره لترجمة معانى الشعر، لا كلماته، ولكن النقاش امتد بالقضية فأثارها وهو يناقش الشاعر أمل دنقل في احتمال تأثيره بكفافي في بعض قصائده (وإن كانت الواسطة التي أوردها النقاش بين كفافي ودنقل، والتي تتمثل في الإسكندرية التي توفي بها كفافي في ١٩٣٣، وزارها دنقل بعد هذا بنحو أربعين عاماً وسمع أصداً شعره هناك، لا تبدو قوية لإحداث التأثير).

ثم يعود مرة أخرى خلال مناقشته الجميلة الهدئة لبدايات حسن طلب إلى إثارة وبعد التاريخي عند كفافي، وضرورة الاستفادة منه، مع ضرب نموذج.

مؤثر من التاريخ العربي في لقاء هولاكو والخليفة المستعصم لم يتم استثماره، شأنه في ذلك شأن عشرات الأمثلة التاريخية الهامة.

كتاب في حب نجيب محفوظ

د. محمد حسن عبد الله

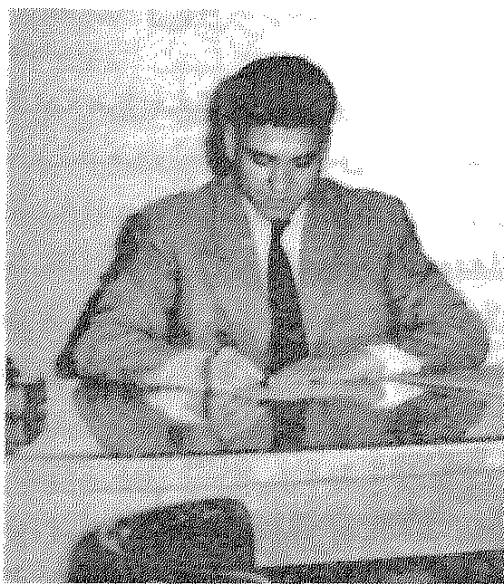
الصفات الإنسانية النبيلة التي رسم بها رجاء النقاش الجانب الخلقي السلوكى لكاتب المفضل - هي بذاتها صفات «ناقدى المفضل» رجاء النقاش ، وإنه لولا تحققها فى رجاء ما أمكن أن يفطن إليها فى نجيب ، ولا أن تستوعبها عباراته بكل ما تحمل من حب - معلن فى عنوان الكتاب ، وفي صفحة الإهداء ، وفي جميع الصفحات مهما تنوعت القضايا التى تشيرها.

هناك كتاب آخر طرفاًه نجيب ورجاء ، يتتصدر عنوانه اسم نجيب محفوظ ، يتلوه عنوان شارح: «صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته» (١٩٩٧) وإن نظرة عامة فى محتوى هذين الكتابين تدل على مدى الاهتمام بالإنسان فيما ، سواء المكتوب عنه (نجيب محفوظ) أم المكتوب إليه (القارئ) ، فصورة نجيب محفوظ الشخصية العملية المتشابكة مع طبائع عصرها وقضايا مجتمعها وضرورات محیطها وأهل قربتها ، تتداخل بقوة - بدرجة لا يمكن فصلها أو عزلها عن صورته الفكرية أو الفنية التي تثقف ، وتقرأ ، وتفكر ، وتدبر ، وتنوّى ، وتختر ، فتبعد ، وتتلقى

يقول رجاء النقاش في كتابه الإشرافي ، وعنوانه : «في حب نجيب محفوظ» : ربما كان نجيب محفوظ أطيب إنسان عرفته في حياتي، فهو رجل بعيد عن التعصب شديد التواضع ، يعيش حياته كلها على أساس من مجموعة مبادئ أخلاقية هي نفسها المبادئ التي يسعى الدين إلى ترسّيخها في حياة الناس ، فهو أمين صادق لا ينافق أحداً ، ولا يسعى إلى منصب أو جاه ، ويعتمد في تأمين حياته كلها على عمله وجهده ومحبة الناس له ، وهو متسامح ، ومستعد للحوار مع أشد الناس اختلافاً معه ، ومستعد دائماً لصداقة من يمدون إليه اليد ويطلبون منه هذه الصداقة ، ولذلك فإن أصدقاءه يعدون بالمئات ، وعندما أقول أنا - علي سبيل المثال - إن نجيب محفوظ هو صديقي ، فإبني لا أرى ذلك ميزة خاصة بي ، لأن نجيب محفوظ لم يغلق بابه في وجه أحد ، ولم يرفض صداقة أحد ، أي أن صداقة نجيب محفوظ هي أمر متاح لكل من يريدها (ص. ٢٩٨).

كاتب المفضل

إننى أبادر فأقول مطمئناً إن هذه



الشعر والشعراء» يأخذ الشخص أو الأشخاص مكاناً بارزاً محدداً في العنوان: أحمد شوقي في مرآة سكريته - المتنبي بين أحمد بهاء الدين وطه حسين - بين عبد الناصر ونزار قباني - نازك الملائكة والشعر الحر - أمل دنقل شاعر الرفض - فاروق جويدة وعودة إلى الصفاء والبساطة - والد الشعراء فؤاد حداد .. إلى آخر دراسات هذا الكتاب ومح토ى كتبه الأخرى . وهذا الأسلوب في صياغة العناوين حين يتكرر لا يكون وليد المصادفة ، ومثل رجاء النقاش لا يوصف بالكسل عن انتقاء العنوان الدال المطابق لما يختزن في ذاكرته تجاه موضوعه ، من ثم لا يبقى إلا ما يدل عليه منهجه النقدي ، المتواافق ونزعته ، الفكرية و موقفه الاجتماعي ، إن كلمة السر هي «الإنسان» - والعبارة لأندرية جيد - وأنه مع التقدير لمناهج الحداثة - ليس من الإنصاف عزل الإبداع عن مبدعه ، ولا تجريده من سياقه وسائر ظروفه، ولا

الأصداء بوعى ، فتتذيرها لتبدأ دورة جديدة.

وكذلك كان شأن رجاء النقاش مع القارئ (قارئه أو قارئ نجيب محفوظ) لدرجة أنه أشرك القراء - عبر مقالته في الأهرام - في تفسير أو تأويل شخصية عثمان جلالي في قصة «الخوف» - إحدى قصص مجموعة بيت سيي السمعة - التي أشار إليها نجيب اقتضاباً في مذكراته وعلق عليها رجاء باقتضاب أيضاً (هامش ص ٢٤٤) غير أنه عاد إليها في كتابه الآخر : في حب نجيب محفوظ ، باستفاضة وتفصيل مشركاً قراءه مستعيناً بما فهموه من شخصية الضابط الذي مارس دور الفتوة ، وهل قصد به جمال عبد الناصر أم معنى آخر (ص ٢٢٨ - ٢٤٣) وهذا النهج من النقد الأدبي بدأه رتشاردز الذي يوصف بأنه مؤسس النقد الأدبي الحديث ، وتوسع فيه دعاء نظرية التوصيل ، وقد صادف هوى عند رجاء النقاش في هذه المسألة خاصة ، ولكن عنایته بالقارئ - (المؤسسة على موقف اجتماعي سياسي متوازن ، يؤمن بحق الناس - كل الناس - في الكرامة والحرية والعدل والأمن) - ظاهرة بقوة في هذين الكتابين ، وعلى المستوى المنهجي الراصد لجملة إنتاج رجاء النقاش النقدي سجد «الإنسان» يتتصدر عناوين كتبه ، ومقالاته ، كما في الكتابين اللذين نحن بصددهما ، وفي كتابه عن محمود درويش ، وكتابه عن أبي القاسم الشابي ، وكتابه عن أنور المعاوى وفدوى طوقان ، وحتى في كتابه الموسوعي : «ثلاثون عاماً مع

نحو الوعي

نفسه المتصوفة في عشق الحقيقة .. فيخرج بهذه المجلة الإعلامية عن نعمتها الرتب وقدرها القاسي ، لينشر «المرايا» بفصولها التي تحمل أسماء شخصيات ، مقرونة بلوحة لكل شخصية رسمها الفنان العالمي (السكندرى) سيف وائل . لا نغفل تجاه هذا الصنيع عن نفاذ الخيال وفاعلية التحرك وبخاصة بعد أن اعتذر «الأهرام» عن نشر المرايا ، وهنا رأى ضرورة إعادة نشر المرايا مقرونة بلوحاتها النادرة في طبعة خاصة تجمع بين عبقريتين من صانعى الصورة بالكلمات ، وبالفرشاة .

وهكذا يستمر رجاء النقاش إذا ما ترأس مجلة الشباب ، أو ذهب إلى قطر فترأس مجلة «الدوحة» (وهذا ما ذكره بشئ من التفصيل في كتابه : في حب نجيب محفوظ - ص ٢٧٩ - ٢٨٣) وفي مرات غير قليلة كانت القصص التي يقتضها رجاء وينشرها هي تلك القصص ذات المعنى السياسي الناقد أو الرافض التي أخذت حجم الظاهرة في تطور أسلوب نجيب محفوظ عقب النكسة (١٩٦٧) وكانت صحفة الأهرام (في زمن هيكل) ترفض نشرها تجنباً لإغضاب أهل السلطان وضناً بالحقيقة أن تتجلى بازفة فوق رؤوسهم فتزدزع رؤيتهم السعيدة لأنفسهم ، ولما يريدون أن يعتقد الناس فيهم ، ولكن الشجاعة البصيرة كان لها قول آخر استطاع أن يضخ هذا الإبداع النادر الشجاع في شرائين العقل العربي ، حتى وإن كان نجيب محفوظ هاجساً مثيراً للقلق عند الجهات الرقابية المتعددة

إقامة عزل مفترض بينه وبين حاجات مجتمعه وتطلعاته ، ليس من العدل المساواة بين الإنسان والماكينة (الآلة) ، يشغلنا أو يلهينا ما أنتجت عن وجودها في محيطها ما دامت تتنجع ، من ثم لا مندوحة عن النظر بعين العدل على الفريقين - والعبارة لابن قتيبة .

بين الناقد والمبدع

هذا على المستوى المنهجي العام، أما المستوى الموضوعي الخاص فيما بين رجاء النقاش (الناقد) ونجيب محفوظ (المبدع) فقد دلت عليه العبارة الافتتاحية في هذه المقالة ، التي عنيت بالإنسان في كيان نجيب محفوظ ، أما العناية بالفنان الروائي ، الرائد ، المؤسس ، فيدل عليها قوله إنه يكتب عن أدب نجيب محفوظ منذ أربعين عاماً (وهي عمر كامل) مفتوحة على أزمنة أخرى (حفظه الله ومد في عمره) ، كما يدل عليها هذان الكتابان الثريان بمادتهما العلمية ، وما تحقق فيهما من بصيرة الناقد ووعي المثقف الموسوعي ودأب الباحث وأمانة المحقق ، وبالإضافة إلى هذين السفرين الجليلين ، فإنه قد حمل نجيب محفوظ في قلبه ، ووضع إبداعه على سن قلمه في أي موقع حل به ، فإذا ترأس تحرير مجلة الهلال أصدر عنه عدداً خاصاً نادراً ، وثائقياً تحليلاً (فبراير ١٩٧٠) وإذا ترأس تحرير مجلة الإذاعة وجدها فرصة لتأكيد خصوصية عقله الخصب وخياله الخلاق وشجاعته الهاوية المستقرة على صفاء

في مصر ، حتى وإن كان التعامل مع مصر ذاتها محظوراً - في قطر - زمن المقاطعة !!

الحب

وخلال هذه القول في هذه المنزلة (العملية) التي نالها نجيب محفوظ من رعاية رجاء النقاش تلك الرعاية المزيفة عن الغرض لدى طرفيها ، غير الإعجاب الصافي بعيقرية نجيب محفوظ من طرف الناقد ، وغير الثقة المطمئنة إلى رجاء شخصاً ومسئولاً وناقداً من طرف المبدع ، ولكن : هل يصلح الإعجاب ، الذي يرقى في هذه الحالة إلى درجة الحب - إلى النقد ؟ ألا يمكن أن يكون الحب - مثل الكراهيّة في هذا المقام - عاملأً مطلباً عن التلقى الموضوعي للإبداع ؟ إن هذا الأمر لا يغيب عن فطنة رجاء ، وهو لا يهمله ، وإنما يواجهه ، ويفنده بأسس موضوعية أيضاً .

يقول عن إبداع نجيب محفوظ (في مقدمة الطبعة الأولى من كتابه: في حب نجيب محفوظ):

«إن حبي لنجيب محفوظ لم يتغير ، بل ازداد قوة ورسوخاً مع الأيام .. ما يقرب من خمسة وأربعين عاماً متصلة ، وصاحب الفضل في استمرار هذا الحب هو نفسه نجيب محفوظ ، فلو أن نجيب محفوظ قد توقف عند مرحلة أدبية واحدة لتوقف الحب عند هذه المرحلة وانتهى به الأمر إلى أن يصبح نوعاً من الذكريات ، ولكن نجيب محفوظ كان يتقدم ويتدفق يوماً بعد يوم ، كأنه وردة نادرة تجدد عطرها وألوانها كل صباح».

بمثل هذه الدمامنة ، وهذا الشفف يكتب رجاء النقاش عن نجيب ، معللاً - تعليلاً علمياً إنسانياً لدخله النقدي إلى قراءة الإبداع من منظور الحب ، مع التسليم بأن النقد «تفكير وعقل» ، مسقطاً التعارض بين الحب والفكر ، ويلفتنا في عبارة رجاء إيهاره ذكر الاسم (العلم) حيث يغنى الضمير ، كأن يقول «وصاحب الفضل في استمرار هذا الحب هو نجيب محفوظ نفسه ، ولو أن نجيب محفوظ توقف ... » وكان يصح أن تكون العبارة «لو أنه توقف» ، وهذا التعبير الأخير أوجز ولا تنقصه الدقة ، ولكنه لا ينطوي على مزيد الإيثار والفرح الذي يدل عليه العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر ، وفي هذه العبارة ذاتها برهان صدقها النقدي إذ ربط بين الحب الذي يتجدد وبين تطور فن الرواية عند محفوظ ، ولو أنه توقف لتوقف الحب وأصبح من الذكريات .

ثقة بلا حدود

وإذا كان هذا ما أعطاه رجاء النقاش لنجيب محفوظ ، فما الذي أعطاه محفوظ للنقاش ؟ لقد أعطاه ثقة بغير تحفظ ، وصدقأً قراراً خالصاً ، وأعطاه ما لم يعطه لأحد قبله أو بعده من درجات المكاشفة ، وإذا كان لإنسان أن يفرغ حقائبه إفراغاً كاملاً (أو شبه كاملاً) أمام شخص آخر أيّاً كانت درجةقرب منه ، فإن نجيب فعل هذا عن طوعية ، بل عن رغبة ، نعم عليها هذا الزمن الطويل - بكل المقايس - الذي خصصه لتسجيل مروياته ، إذ يصف رجاء الطريقة التي

كما قدر وحي مبتاع

حصل بها على مادة المذكرات فيقول في المقدمة :

(الفادح) في نظام الحياة اليومية ، فإذا كان نجيب محفوظ ينام عند منتصف الليل ويصحو مبكراً ليكون في شرفة مقهى على بابا في الثامنة، كل يوم ، ولا يقبل أى إخلال بنظامه الصارم ، فإن رجاء النقاش الذي ينام قبيل الفجر ويصحو عند الظهيرة ، لابد أن يكون قد عانى الكثير طوال هذه الأشهر المقلقة ، لتضاف إليها أشهر أطول وأقسى في اصطفاء المادة وتنقيتها وتصنيفها لتكون على النحو الذى نقرؤها عليه في الكتاب.

إن كتاباً آخر قام مادتها على محاورة ذاكرة نجيب محفوظ ومحاولة بسط جوانب مما مضى من صفحات حياته ، ومن الملاحظ أنها تختلف في محاور اهتمامها وقدرتها على استدعاء المعارف المخزنة فضلاً عن مساحة ما تكشف من أسرار الحياة والفن وعلاقت الأشخاص ، ولكنها مفردة مجتمعة - مع التقدير للمحاولة - لا تقترب مما خطه قلم رجاء النقاش في هذه المذكرات ، فإذا أضفنا إليها كتابه الآخر ، وما رعاه وجه سياسته من الكتابة عن نجيب ، ونشر أعماله ، سنكون بإذاء عمل هو بالحب في الذروة ، وبالعلم أقرب المكتوب إلى الكمال ، وبالأخلاق أية في الوفاء في زمن يجد في البحث عن شواغل تسوغ الجحود . ولقد كان الرجالن يقايسان عن رضا وإعجاب متبادل «حبأ بحب» (والعبارة عنوان مسرحية من تأليف وليم كونجريف) ويصدق في كل منها قول زهير بن أبي سلمى في مدح أحد كرماء عصره الجاهلى .

«في أول أغسطس سنة ١٩٩٠ بدأت لقاءاتي مع نجيب محفوظ ، وكانت أطرح عليه الأسئلة ، فيجيبنى عنها بصبر شديد ورحابة صدر كاملة وتوضيح لكل استفسار من أى نوع ، وكنا نلتقي في الصباح الباكر في حدود الساعة الثامنة ، ونواصل هذا اللقاء ما يقرب من ثلاثة ساعات ، واستمرت هذه اللقاءات حتى أواخر عام ١٩٩١ ، وكانت النتيجي مع نجيب محفوظ في هذه المواعيد أربعة أيام في الأسبوع ، وأحياناً كنا نعيد الأسئلة ونعيد تسجيل الإجابات طلباً لمزيد من الدقة والوضوح ، وأخيراً توافر لي من هذه التسجيلات ما يقرب من خمسين ساعة كاملة» . إن هذه العبارات المختصرة تكشف عن حجم المعاناة التي بذلت في تصفيية مادة هذه المذكرات فيما لو أعدنا حسابها بأرقام تقريبية ، فنحن حال ١٧ شهراً = ٧٥ أسبوعاً ، كان اللقاء أربعة أيام كل أسبوع ، فجملة أيام اللقاء ٣٠٠ يوم ، مدة كل لقاء ٢ ساعات ، فقد تحدثنا إذا نحو ٩٠٠ ساعة ، أسفرت عن ٥٠ ساعة من التسجيلات الصوتية الخاصة بالمذكرات (الصافية) التي تم تفريغها كتابة ، أنتجت بعد التفريغ والتنسيق وحذف التكرر ٢٧٦ صفحة من القطع المتوسط !! غير أنه لا يمكننا - مهما بالغنا في عزل مشاعرنا عن تقدير هذا الجهد - أن نتفاوضى عن الاختلاف

تراء إذا ما جئت متهلا
كذلك تعطيه الذي أنت سائلا
محبة دائمة

يلتقي محتوى الكتابين (في حب نجيب محفوظ - ونجيب محفوظ ، صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته) في كم غير قليل من المعلومات الخاصة بحياة نجيب محفوظ ، وبخاصة أن زمن صدور الكتاب الأول (في طبعته الأولى) ١٩٩٥ ، وصدر الكتاب الثاني ١٩٩٧ ، فليس بينهما ثغرة زمنية تسمح بإضافة معلومات لم تكن متداولة ، وبخاصة بعد نوبل - ١٩٨٨ ، وانفجار الفرج القومي به ، واهتمام متقدى العالم بأدبه ، أما الفارق الأساسي بين الكتابين فإنه لا ينحصر في أن الكتاب الأول من تأليف رجاء النقاش ، والآخر رواية عن نجيب محفوظ ، إذ يمكن أن نلاحظ - وهذا مدرك بالبديهة - أن مادة الكتاب (المذكرات) محكومة بما وجه النقاش من أسئلة ، وهذا لابد أن يختلف كثيراً عما لو كان محفوظ، بمبادرة ذاتية ، واستجابة لدعائياته الخاصة ، قد أمسك بالقلم وكتب مذكراته بدافع ذاتي متحرر من عنصر ضاغط لا يمكن إغفاله . وهذا يعني أن اختيار محاور الارتكاز وأنساق الأسئلة ، وتوجيهه دعائياتها قد تدخلت فيه تصورات السائل أكثر مما صنعته إمكانات الجيب قبل تلقي المثير (وهذا يفسر لماذا تفوقت هذه المذكرات على كل ما سبقها وما أعقبها أيضاً مما يجرى في مضمارها) من ثم لا نتصور - بأية حال - أن دور النقاش كان «اختراع»

الأسئلة وتسجيل الأجرمية ، وستتعرف على جهده الخالق في تشكيل مادة المذكرات ، بعد أن نتعرف - حسب التدريج الزمني - على أهم ما أثار الكتاب الأول - في حب نجيب محفوظ - من قضایا وموضوعات ، معتمدين في هذا على طبعته الثانية (صدرت عام ٢٠٠٦) فمن الواضح أن هذه الطبعة التي صدرت بعد المذكرات بعدة أعوام حاولت أن تتحرك في اتجاهين ، أو - بعبارة أخرى - حاولت أن تحقق هدفين : أن تكون بمثابة الشارح والمعلق على بعض الإشارات الموجزة التي نبهت إليها المذكرات ولم يتسع المجال بحكم السياق لتوضيحها ، كما رأينا قبل مما يتعلق بقصة الخوف ، وكما نجد في رفض نجيب محفوظ لوصف لويس عوض لأدبه ، والربط بين الثلاثية وكتاب وصف مصر ، أو تاريخ الجبرتي ، لقد عبر نجيب عن غضبه في عبارة متواترة لا تخلو من الألم خلاصتها أن لويس عوض ظلمه في أوراق العمر (أوراق العمر عنوان سيرة ذاتية كتبها لويس عوض ١٩٨٩) وأنه لن يسامحه !!

١٠٣

- المذكرات ص ١٨٧ - ١٨٨ - أما رجاء النقاش فقد أفرد لطالب الكتابة التاريخية والفرق بينها وبين الرواية التاريخية ، ثلاثة فصول في كتابه عناوينها : نجيب محفوظ واتهام غير صحيح (ص ٦٢) - نجيب محفوظ والدفاع عن اللغة العربية (ص ١٧١) وضممنينا في فصل بعنوان : نجيب محفوظ والنقاد من الإهمال إلى الاهتمام المحدود (ص ١٧٧) - ففي مثل هذه الفصول يأخذ الكتاب الأول - في

الرازق من قبل ، ومن زاوية ثالثة وثق ما كتبه الدكتور أحمد كمال أبو المجد عن هذه الرواية ، وقد جاء وصفه لها منصفاً ، وغير بعيد عن مفاهيم وأساليب الكتابة الأدبية التي لا يستوعبها أصحاب الثقافة الدينية التقليدية ، كما قدم رجاء تحليلًا وافيًا لروايات : الشحاذ والطريق ، والسمان والخريف .. إلخ ، مما يجعل من مادة هذا الكتاب سبراً حقيقياً لوهبة نجيب محفوظ ، وإن أى فصل فيه يملك من الإشارة المعرفية ما يملأ مساحة أطروحة جامعية في الموضوع نفسه.

وإذ نختم هذا التعريف بالكتابين من منطلق دلالتهما على أصول وضوابط الكتابة النقدية عند رجاء النقاش ، بوقفة تتأمل جهده في تشكيل مذكرات نجيب محفوظ بالصورة النادرة التي ظهرت بها ، فإننا نستبعد تماماً أن يكون الناقد في حجم رجاء النقاش مجرد ناقل لأى كلام مهما ارتفعت درجته أو قيمة قائله، وإننا نعرف أن الحوار إذ لم تستقر درجة من «النديّة» بين طرفيه فإنه لا بد أن يفقد اتزانه وحيويته ودراميته ليتحول إلى نوع من عرض وجهة النظر أو وصف بعض المشاهدات والتعریف ببعض الأفكار (المعروفة) . إن ندية وتوازننا قد تتحققا بقدر من التكامل الرهيف الحريص على أن تكون هذه المذكرات صورة ناهضة بذاتها معبرة عن قدرات طرفيها في نفس الوقت ، وكما تتحقق هذه الندية في مجال الخبرة بأساليب الكتابة ، فإنها تتحقق في موسوعية المعرفة بالأدباء العالميين وخصوصية إبداعاتهم ، وإن إحصاء

طبعته الثانية - موقع الشرح والتوضيح بالنسبة لبعض ما أشارت إليه المذكرات . وكذلك أفادت هذا الكتاب الأول فيما لا يجمل بنجيب أن يتسع في ذكره أو يفصل ، مثل موقف يوسف إدريس من حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبيل ، أو التعريف بالجائزة في ذاتها وملابسات اختيار الفائز بها . ويتحقق بهذا ما أضافه رجاء متعلقاً بمناسبة لقاءه الأول بنجيب ، ووصف الاعتداء عليه وتوثيق الحادثة .. إلخ . أما الهدف الثاني فأن يكون هذا الكتاب (الأول) جاماً لكل ما كتب رجاء عن نجيب وإبداعاته عبر أربعين عاماً ، من ثم اختيار من الظاهرات الفنية ، ومن مراحل التطور في أسلوبه ، كما اختار عدداً من الروايات بعضها حتى يقدم - عن طريق الانتقاء المنهجي وليس الحصر النوعي أو الكمي - تصوراً شاملًا لمكانة نجيب محفوظ في الرواية العربية ، ومكانه في سياق الإبداع الروائي العالمي ، من ثم كان الاهتمام غير المسبوق بأشعار حافظ الشيرازى (الصوفى الفارسى) التى تتخلل بصيغتها الفارسية حكايات ملحمة الحرافيش ، فبدل رجاء فى تدقيقها وتأويلها جهداً واضحًا ، كما كتب فصلاً عن شعرية الرواية ، وعن مرامير محفوظ ، وأثار قضية أولاد حارتنا من عدة زوايا : فناقش المعنى والمغزى والقضية ، وخطأ التفسير (الدينى) للرواية ، ومن زاوية المطالبة بمحاكمة نجيب محفوظ على الرواية كما حوكم طه حسين وعلى عبد

عصر الخديو إلى زمن السلطان ، فالملاك ، فالزعيم ، والرئيس . يدخل في تنسيق المادة وتقديمها هذا الملخص المستوعب لأهم ما ينطوي عليه كل فصل من أحداث ، يضعه تحت العنوان ، ثم يتتصدر مادة الفصل خلاصة لما تعني هذه الأحداث ذاتها بالنسبة لنجيب محفوظ ويببدأ سرد المحتوى منسوباً إلى نجيب محفوظ ، مباشرة ، وبأسلوبه الذي يهجم على جوهر الأشياء فلا يدور حولها ولا يبدد جهده في المقدمات . وتتوالى فقرات الفصل دون مقاطعة وكأن نجيب محفوظ رواها على هذا السياق دون تدخل بسؤال ، أو تذكير بمعلومة فائتة أو تجنب للقرار أو احتمال التناقض ، وهكذا أفرغت فصول المذكرات إفراغاً وكأنها قوالب أجيد صهرها وسبكها ، وهذه موهبة محفوظية مشهودة في كتابته الروائية ، إذ تناح مساحات للتأمل ، والتهيؤ ، والمراجعة ، وهو بدرجة ما - ما كان يحدث في لقاءات الناقد والمبدع ، كما أشارت عبارة لرجاء ذكرناها سابقاً ، ولكن من الواضح أيضاً أن هذا كان يتم بجهد الناقد وإعمالاً لتصوره ، وليس بتلقائية الرواى الذى يترك العنوان لذكرياته ، وإذا لم يحرص الناقد على أن يشير إلى جهده التنظيمى بالتحديد فإنما فعل هذا تقديرأً لشخص نجيب وتعبرأً عن محبته له ، وقد ترك مؤشراً يدل على هذا فى إشارته إلى الزمن الصعب الذى استلزمته تفريغ أشرطة التسجيل ، ومراجعتها ، وتنسيقها ، حتى أوشك المتشوقون إلى الكتاب أن يدركهم اليأس من ظهوره.

١٠٥

أسماء الروائيين والمفكرين وال فلاسفة والزعماء السياسيين الذين استدعتهم ذاكرة نجيب محفوظ إلى سياق مذكراته ، أو أضافهم رجاء النقاش إلى هواهشه ، أو ذكرهم في دراساته النقدية عن أدب نجيب .. ليدل هذا الإحصاء على مستوى رفيع من المعرفة ومستوى رفيع من التوافق والتتاغم ، وهذا الجانب بمفرده قادر على أن يؤكد لنا أن الناقد والمبدع استجابة لنداء داخلى عميق التأثير ، وأنهما - بلغة المجاز - من مشكاة واحدة . إن تنظيم المادة لا يقل أهمية ، بل إنه يصبح ضرورة علمية منهجية تتقدّم على المادة بذاتها ، وهذا الجانب التنظيمي واضح في عناوين الفصول وتعاقبها قبل أى جانب آخر ، وفيه تجاوز النقاش التقسيم التاريخي حسب مراحل العمر ، أو تعاقب الوظائف ، أو صدور الروايات ، لقد حرر فصوله من الرتابة التي تسيطر عادة على «الأكاديميين» الذين يستولى عليهم هاجس دقة الترتيب والرغبة في الحصر ورصد التراسل بين حركة المجتمع وأطوار حياة الشخصية وقد حملت عناوين بعض الفصول عناوين كتب مشهورة في جيل نجيب محفوظ مثل : هؤلاء علمونى (سلامة موسى) وأنباء عرفتهم (عباس خضر) ونساء في حياتي (محمد التابع) والمذاهب السياسية (محمد أبو زهرة) والله والإنسان (مصطفى محمود) ولا شك أن هذه الألفة النسبية تريح المتلقى وتخفف من وطأة توسيع محفوظ في ت Shiriyg سياسات عصره وموافقه من زعماء زمانه المتد من

الهوامش

ثم فهرس الأماكن، ولا شك أن الفهرسة إحدى أسس التوثيق التي تيسر الخدمة العلمية وتساعد على توجيه المؤشرات، وإذا كان فهرس الأعلام - أسماء الأشخاص الذين ورد ذكرهم في سياق هذه المذكرات مهما اختلفت أزمنتهم وأوطانهم - يدل على حضور ذاكرة نجيب محفوظ ومدى اتساع آفاق تواصله مع جوانب الحياة بكل معطياتها ، فإنه يدل - من جانب آخر - على مدى اعتداد نجيب محفوظ بأشخاص بأعيانهم في صلته المباشرة بهم وحضور مجالسهم تحت مسمى الصداقة ، أو استحضار هذه الأسماء من خلال الاستشهاد بآرائهم التي رأى فيها إضافة مطلوبة لتوضيح صورته وإضاءة جانب من فنه ، وقد يدل السكوت عن ذكر أسماء كانت تملأ أجواء الثقافة بالتصايد حول نجيب محفوظ وإبداعاته وكأنها التي تمسك بمفاتيحه وتملك أسرار فنه، قد يدل السكوت عن ذكرها على تحفظ مذهب لم يكن يتقبل ما أطلقت من مزاعم وما ادعت لنفسها من أنوار..

لقد أفضى نجيب محفوظ في مذكراته بالكثير من أسرار حياته ، وبصفة خاصة : تكوينه الثقافي ، ووعيه بتنمية موهبته وحراستها من التشذيم وسوء الاستهلاك ، ولم يقصر في تحديد المصادر التي استمد منها بعض موضوعات رواياته - وعديداً من أهم شخصياته ، كما أشار - أحياناً - إلى وجه التطابق أو أسباب الاختلاف والتغيير ، وهو ما لم يكن حريضاً على تبييانه من قبل ، وما كان

وقد أضاف رجاء النقاش إلى مادة الكتاب إيضاحين على درجة من الأهمية ، أولهما أنه وضع على متن الكتاب ثلاثة وثلاثين هاماً ، ما بين هاماً قصير من سطرين أو ثلاثة ، وهاماً قد يبلغ حجم الصفحة أو يقاربها ، ولم يكن هدف هذه الهاماً توثيق المادة بالإشارة إلى مصادرها ، وإنما هدفها الشرح والإبانة ، ورفع الالتباس الذي يمكن أن يواجه القارئ الذي لم يعاصر الأحداث والإشارات التي ترد على لسان نجيب محفوظ وهذا القدر على أهميته البالغة لأجيال ما بعد جيل نجيب بصفة خاصة - قد يبدو قليلاً العدد ، مما يعني أن الناقد لم يكن بحاجة إلى الإعلان عن وجوده ، أو راغباً في مزاومة الرواوى بالتقاطع مع رواياته ، إنه يتدخل حين يستغلل الأمر أو يصعب التجاوب ، ولهذا مرت فصول عديدة دون آية إضافة ، في حين نال الفصل العاشر أربعة هاماً ،

وتصاعد الرقم إلى ستة هاماً في الفصل الثالث عشر ، وهذا الفصلان - على الترتيب - تحت عنوان : متاعبى مع السلطة ، وثورة ١٩٠٥ ، وما موضوعان متناقضان ، ويحظى ثانيهما بمكانة عالية في نفس نجيب محفوظ ، في حين يأخذ الأول موقع الأثر السلبي الذي لم يسفر عن خير.

أما الإيضاح الثاني فهو ما ألقى بالذكرات من فهارس : فهرس الأعلام -

تراجمات العبرية.

هناك جانب (سلبي)
في كل علاقة حب على أي
وصف كان طفافاً ،
والجانب السلبي فيما نحن
بصدده أن الناقد استمع
إلى كل ما رغب المبدع في
أن يفضي به ، فلم يحاول
اقتحام مساحات بقية
أقرب إلى الفموض ..
سنقبل من نجيب قوله إنه

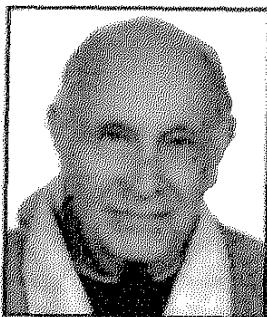
لم يكتب عن الريف أو الصعيد لأنه لم
يتعرف على الحياة في الريف أو الصعيد
، ولكنه ذهب إلى اليمن فلم يكتب عنها ،
وعاش في زمن الوحدة المصرية السورية
ولم يكتب عنها ، وعاصر القضية القومية
في مستواها الفلسطيني ولم يكتب عنها
... ولا أظن أن هذه الجوانب كانت غائبة
أو غائمة في ذهن الناقد الاستاذ الذي
نعرفه ، وغاية ما نفترض به هذا أنه التزم
بأصول الحب ، فاكتفى بسرد ما جرى ،
ولم يعط لنفسه الحق في التساؤل عن

١٠٧
مدى صوابه ، فضلاً عن أن يسأل عما
كان ينبغي أن يكون . وهذا حال الناقد
العاشق ، ولا نملك أن نطالبه بأن يغير
طبيعته ليرضى توتننا ..

لقد كان ما بين الناقد والمبدع حوار
 حقيقي ، حوار بين المبرد والسكن ، وما
 كان باستطاعة السكين أن تكتسب تبريقها
 بونه ، ولقد أدى مهمته ، ثم ترك
 الساحة لها لتومض وحدها في الفضاء ..

باستطاعته أن يضع
مفاتيحه في غير اليد
الأمينة التي تقدرها
وتحرص عليها ، وكانت
هذه اليد هي يد رجاء
النقاش ، المدرية الخبيرة ،
المحبة ، التي امتدت إلى
المصباح المضاء في
الشكا ، فوضعت في
خلفيته مرآة ، وبحركة
خبيرة ، واثقة ، متواضعة
تحول المصباح إلى

مصباحين في مشكاة واحدة ، غير أنها
شعر أحياناً بحقنا في طرح بعض
الأسئلة ، وهو حق - فيما نرجح - لم
يقبل رجاء النقاش أن يكون نائباً عنا في
توجيهها ، وأضرب مثلاً لهذا فيما ذكره
نجيب محفوظ من أن روایته: الكرنك
والحب تحت المطر قد نشرتا وقد طالهما
النقض والتحريف بفعل الرقابة (ص
١٢٣) وصحّ أنّه قال إنّه لا يملّ
الصيغة الكاملة لهاتين الروايتين ، ولكنني
أشعر أنه ليس بداع التطفل وحده كان
القارئ يحرص على التعرف على وجهه
اعتراض الرقابة ، وطريقة التعامل معه ،
كما يشير نجيب محفوظ إلى رواية بدأها
وتحدث بشانها مع عبد الرحمن
الشراقي ، وكانت بعنوان «العتبة
الخضراء» ، ولم تكتمل ومن ثم لم تنشر ،
ولعل سؤالاً عن مصير ما أنسجه منها وهل
تسرب فتماهى في أعمال أخرى أم أنها
وئدت في مهدها كان باستطاعته أن
يكشف لنا عن جانب من مراجعات أو



أنا والنقاش والمقتادى

وديع فلسطين □

شهر رمضان لعدد من أفراد أسرة «الأهرام» وأصدقاء مركزها .

بداية مبكرة

ومع أننى تابعت كثيراً مما نشره رجاء النقاش فى الصحف والمجلات المصرية والعربية، فلا أعرف على وجه التحديد متى بدأ الكتابة فى الصحف، والمؤكد أنه بدأ فى سن مبكرة جداً، ولعله بعد تخرجه من الجامعة، وكان يدهشنى منه انتشاره فى صحف الداخل والخارج، حتى ذكرنى بصديقى صالح البهنساوى المحرر «بالأهرام» الذى كان يقول عن نفسه إنه أوسع انتشاراً من «الأهرام» نفسها !

ولاحظت أن رجاء النقاش درج على مهاجمة أستاذنا العقاد فى صحف عربية تصدر خارج مصر، و كنت أطلع عليها، وأعرف أن العقاد لا يراها، وحرضت وقتها على موافاة العقاد بها، فكان تعليقه : إن هؤلاء العيال يهاجمونى فى صحف خارجية حتى لا أرد عليهم ولو هاجمونى حتى فى مصر فلن أرد على عيال الأدب ! والنقاش يهوى البحث عن القضايا التى تكاد تكون مجھولة من الحياة الأدبية، ليكون بذلك أول المكتشفين لها

سمعت باسم رجاء عبد المؤمن النقاش للمرة الأولى فى أربعينيات القرن الماضى، كنت فى ذلك الوقت أمثل مجلة «الأديب» اللبنانية لصاحبها أبىير أديب (1908-1979) فى مصر متطوعاً، وأعمل على ترويجها بين المشتغلين بالأدب، عندما التقى بصديقى الشاعر كمال نشأت الذى قال لى: إن هناك شابين يقيمان فى شبرا، ولهم اهتمام بالأدب على الرغم من أنهما هما زال طالبين فى الجامعة. ونصحنى بأن أرسل إليهما هذه المجلة، ثم أملأ على عنوان رجاء وشقيقه الراحل وحيد، وتابرت على إرسال المجلة إليهما دون أن أتلقي من أى منهما ما يفيد وصول المجلة إليه أو السؤال عن بدل الاشتراك الذى سددته من جىبي، وفوضت أمرى إلى الله فى هذه الخسارة المادية، ولست الآن بمقام المطالبة بهذا الدين فقد سقط بالتقادم بتعبير جلاوزة الضرائب !

وطوال السنوات التى انقضت بعد ذلك، لم ألتقط بالنقاش إلا مرتين مرة فى مكتب تلميذتى السابقة نوال المحلاوى التى أسست مركز الأهرام للترجمة والنشر، ومرة فى إفطار أقامته نوال فى

١٠٨

ج - ب - ج - ب

□ أديب وكاتب



فدوی طوقان



أنور المعاوين

فى «المصور» فى إبريل ١٩٩٥ ، وبذلك رفع كثيرا من الضيم عن رائد أبواللو الذى اقتربت منه كثيرا بعد هجرته إلى أمريكا فى عام ١٩٤٦ وحرضت على زيارة قبره فى ولاية ميريليز عندما زرت أمريكا عام ١٩٥٥ وأسهمت فى نشر نوادرته المخطوطة والناقدة . لقد كانت هذه الشخصية المتوجهة هدفاً للح Razat واللاحقات، سواء وهو فى مصر أو بعد هجرته الدائمة حتى وصف جحود مصر بقوله:

وطاردنى إلى منفأى حانية

وعددت صفو آثارى كاثامي

قصة حب

ومن مكتشفات النقاش التى أحب أن أتوقف عندها فى هذه العجالة ما نشره عن قصة الحب بين الشاعرة فدوی طوقان والأديب المصرى أنور المعاوين، وهو فى رأى أشباه ما يكون بقضية الحب بين الأديبة «مى» والأديب الشاعر المهجري جبران خليل جبران رسائل كثيرة متبدلة بين الطرفين فيها كثير من التراثة الأدبية

والميطين اللشام عنها . فهو أول من نشر آثار من سماهم «شعراء الأرض المحتلة أو المقاومة» وغلا فى تقديرهم غلوا رفعهم إلى مستوى غطى على سابقיהם من شعراء فلسطين الذين يفوقونهم - فى رأى - قدرأ وأهمية مثل على وهارون هاشم رشيد وتلميذى السابق معين بسيسو، ودع عنك من سبقوا هؤلاء مثل إبراهيم طوقان وعبدالكريم الكرمي المكنى «بابى سلمى» وكنت وصفت شعراء المقاومة، ولاسيما كبيرهم محمود درويش، بأنهم إنما ينشرون عرائض ومنشورات سياسية هي أبعد ما تكون عن الشعر.

ومن مكتشفات رجاء النقاش أنه عثر فى كتاب للأديب اللبناني جهاد فاضل على هجوم شرس على رائد «أبواللو» الدكتور أحمد زكي أبو شادى، فعزز عليه أن يتعرض أبو شادى بعد وفاته لهذه الحملة الجائرة فكتب ثلاث مقالات مسحية فى الدفاع عن رائد أبواللو فى مجلة «الوطن العربى» الباريسية فى فبراير ٢٠٠٠ فضلاً عن مقالين نشرهما

أنا والنقاش والمفتاح

أنور المعاوى إلى فدوى طوقان، أمّا رسائل فدوى إليه فلا يعرف مصيرها، ويقال إنَّ المعاوى أعدّها بنفسه، والمفترض بل المستنتاج أن رسائل فدوى لم تخل من إمارات صريحة أو ضمنية على العاطفة . ولكن ماذا قالت فدوى في سيرتها الذاتية المعنونة «رحلة جبلية رحلة صعبة»؟ إنها لم تورد اسم أنور المعاوى ووصفت مشاعرها بقولها (على الصفحتين ١٤١ و ١٤٠) :

«قبل الخروج من القمم (وتعنى التزمت المقيت الذى كان مفروضاً عليها من العائلة) كانت مراهقى العاطفية حادة مشتعلة. نفس مكبوته تتفتح لأول كلمة حب تأتيها على صفحة رسالة «حب المراسلة». كنت أقع فى هذا اللون من الحب الخيالى وأغوص فيه، وبينى وبين التجربة الواقعية جدران القمم الأثرية . فكانت المراسلة والخيال هما ميدانى الضيق والواسع فى آن. كنت جائعة إلى شيء غير موجود . ضائعة . وحيدة ، لا أملك شيئاً سوى هذا الخيال المشتعل».

ثم نقول «لاغرابة فى أن يحب القلب الواحد أكثر من مرة، فمن الشذوذ أن يتجمد قلب الإنسان عند شخص معين طول الحياة. إنها ظاهرة طبيعية . أن تنشأ فى القلب وتتكرر أكثر من علاقة. وفي كل مرة تكون للعاطفة نفس القوة السابقة والصدق والفحوان ، ولا مكان هنا للأهواء العرضية والطيش والعريدة».

وتنسطرد فتقول : «في أحيان كثيرة أجد أن الماضي لم يذهب فقط بمعناه المادى، بل بمعناه النفسي أيضاً، فما كان

وقليل من العاطفة دون أن يكلل هذا «الحب البربرى» لا بلقاء ولا بزواج. ولو كانت لدى «الفارس» في الحكايتين أى رغبة صادقة في الاجتماع في عش الزوجية، لما استعصى عليه اتخاذ ولو خطوة واحدة عملية في هذا الاتجاه. كانت فدوى تتردد على مصر ولكن المعاوى كان مشغولاً عنها بطموحه الأدبي من ناحية وبنرجسيته الطاغية وشخصيته المتعرجة التي نفررتني من التواصل معها، مع أننى عرفته منذ البدايات الأولى لحياته الأدبية، ودع عنك أنه وصفنى في مجلة «الرسالة» بالبعوضة في حين وصف نفسه بالفيل الذي لا يحس بسعة البعوضة ! كما كانت مى تتردد على أوروبا ولا سيما في أشهر الصيف، وكان جبران خليل جبران يقيم في باريس، حيث أوفدتة راعيته ماري هسكل للدراسة هناك ولتابعة الحياة الفنية في عاصمة النور. ولم يكن صعباً على جبران أن يأتى إلى مصر، ولا كان عسيراً على مى أن تزوره في باريس ولو من قبيل التأكيد من عاطفته التي عبر عنها في رسالته «بالشعلة الزرقاء» . ولكن هذا اللقاء لم يتحقق، بل إن جبران كان غارقاً إلى فروة الرأس في علاقات نسائية كثيرة، سواء في باريس أو في أمريكا، وقد فضيح أمرها صديقه الأديب المهجري ميخائيل نعيمة.

الرسائل

والنقاش نشر ١٧ رسالة بعث بها

١١٠

في اضي عمل قيمة
معه تكون لمرتبتي إليه
في لحاضر ند اختفت
 تماماً، ففقد بالتالي
 معناه النفسي. وأحس
 أني - أنا نفسي -
 شخصية أخرى لاتمت
 إلى تلك القديمة بصلة
 ولا تكاد تتعرف عليها إلا
 في ساحة ذكري».

وإذا كان الاعتراف
 هو سيد الأدلة، فإن
 فدوى تكون بهذه

العبارات قد نفت وهج الحب الذي نسبة
 إليها النقاش حيث قالت : « لغرابة في
 أن يحب القلب أكثر من مرة» أى أن
 المداوى - حتى وإن كان فارس الأحلام
 الذي تلهى بعذرية قلبها - فهو مجرد
 واحد من كثيرين أحبوا فدوى أو أحبتهم .
 وهذا هي فدوى تحسم هذه القضية
 بقولها على صفحة ٢٥٤ من سيرتها
 الذاتية :

«عوده إلى القاهرة ، ما أغرب قلب
 الإنسان . على غير ميعاد أوتوقع
 وجدتني ألتقي فجأة بـإنسان - لعلها
 تقصد المداوى - كنت قد أحببته قبل
 أكثر من عشرين عاماً لم نلتقي خلالها أبداً
 . كنت قد أحببته إلى حد الرغبة في
 الموت . كان أول حب واقعي و حقيقي .
 التقينا ، ولدهشتى وجدتني أسلم عليه
 بنفسي الحيادية الشعرية التي أصافع
 بها أى شخص لم تربطنى به يوماً أى
 عاطفة . نظر إلى مصصوماً ، ورجعت



يبصرى ألقى نظرة على
 أعمقى ، قالتلى
 الأعمق : هذه هي
 الحياة. في كل لحظة
 من لحظات عمره يولد
 إنسان جديداً، ويترك
 وراءه شخصية غير
 شخصيته إلى لحظته
 الحاضرة» .

وإذا كانت فدوى لم
 تذكر اسم المداوى في
 سيرتها الذاتية، فقد
 ذكرت اسم شاب
 إنجليزى قابلته في لندن واكتفت بالحرفين
 الأولين من اسمه A.G وعنه قالت على
 صفحة ٢٠٦ من السيرة الذاتية «كان
 شقيق الروح، جنة لقيت في ظلها الهدوء
 والسلام والراحة والسكنينة. إنسان مؤنس
 وديع. بجانبه يغيب شعورى الدائم بأننى
 قد ألقى بي في عالم أقوى منى». وقد
 أهدت فدوى إلى A.G قصيدة عنوانها
 «أردنية فلسطينية في إنجلترا» .

ثم تقول «ياتلك الأيام مع ذلك
 الصديق الرائع، ما كان أغناها بالغبطة
 واكتساب المعرفة. لقد كان لكل شيء
 مذاق خاص في إحساس وجوداني .
 وكان هناك إلى جانب هذا كله ذلك
 الشعور الملائم بتسلوب الزمن والأشياء
 بين أصابعى، حيث تُقلّت منا المعطيات
 الجميلة فلابيقى لنا إلا الذكرى والحنين»
 (ص ٢٠٦) .

كما تقول : « ويا صيف إنجلترا، ما
 كان أغنى أماسيك المضيئه بالحب ،

أنا والنقاش والمعداوي

إليه. وبعد هذه الجلسة نشر المعداوي مقالاً في مجلة «الصياد» اللبنانيّة التي كانت قد نقلت طباعتها إلى القاهرة بعنوان «صالحني توفيق الحكيم على زجاجة كوكا كولا». ما شاء الله زجاجة كوكا كولا هي التي غيرت رأى المعداوي في الحكيم!

وأما الواقعه الثانية التي تدل على وصولية المعداوي، فقد رواها زميله عباس خضر في كتابه «ذكرياتي الأدبية» حيث قال إن المعداوي رغبة منه في التقرب من أحمد حسن الزيات والمشاركة في تحرير مجلته لجأ إلى «مهرasha» - بتعبير الدكتور عبدالحميد يونس - «فأنشأ» مقالاً في مجلة «العالم العربي» وزن فيه بين كتابة الزيارات عن ولده المتوفى وكتابة محمود تيمور عن ولده المتوفي أيضاً، وكان عنوان المقال: «بين الفن والصنعة»، وجعل كتابة تيمور في كفة الفن وكتابة الزيارات في كفة الصنعة. وكان تحامله على الزيارات ظاهراً، فإن مقال الزيارات في رثاء ولده الأول «رجاء» الذي فقده طفلًا وكان عنوانه «رجاء خاب» يعد من أروع ما كتب في موضوعه ثرا. وفي محاولة من الزيارات لرفع ضرره، سمع له بالعمل في مجلته مقابل راتب قدره ثمانية جنيهات زيد بعد ذلك إلى عشرة!

أما مقالات المعداوي التي يهتم النقاش بجمعها فقد قال عنها زميله عباس خضر في ذكرياته الأدبية إنه «كان ييرز نفسه ويعرض ذاته فيما يكتب - كان يقول «أنا» أكثر مما تقول كتابته».

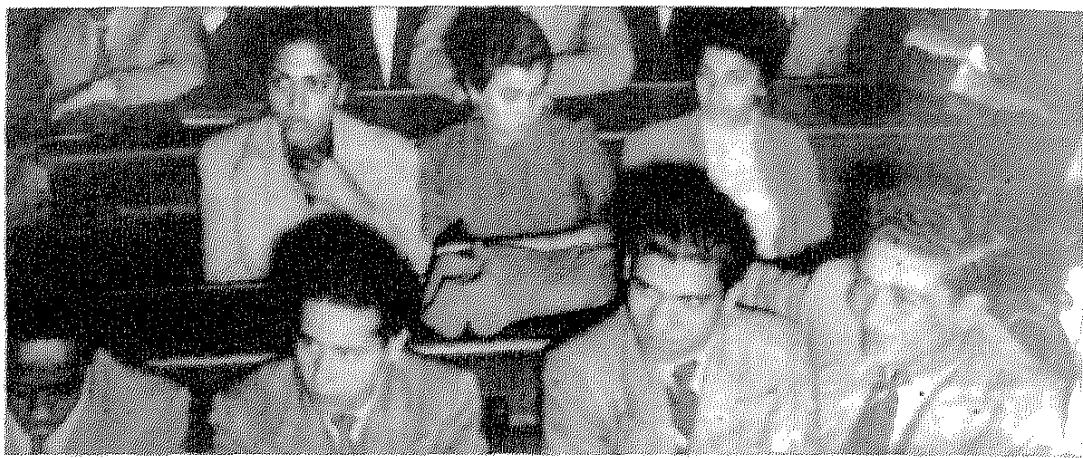
أما سيف ذات الأصل الطويل .. سأترك فيك جزءاً من حياتي . سوف يؤلمني الحنين ، ولكنني سعدت وأسعدت . لقد حببت وجودي ولو لفترة محدودة، وهل حياتنا إلا هذه اللحظات المعاشرة بعمق؟».

اللعبة بالعواطف

ليس هذا اعترافاً من فدوى بحب صادق عميق لا غش فيه؟ لقد نسيت فدوى أنور المعداوي و«حب المراسلة» معه، وأدركت كما يقول رجاء النقاش أنه «كان يحب اللعب بعواطفها تجاهه» أو بتعبيري الخاص أن المعداوي كان يتلهى بإغواء قلب فدوى البكر، ويستدرجها إلى الإعجاب العاطفي به دون أن يكون جاداً في عواطفه تجاهها. وعندما اكتشفت فدوى هذه الحقيقة الصاعقة، كفت عن الرد على الرسالة السابعة عشرة، وهي آخر رسائل المعداوي إليها.

هذا عن فدوى .. ولكن ماذا عن المعداوي؟

واضح أن النقاش معجب بالمعداوي حتى اعتزم أن يجمع مقالاته المنشورة في الصحف وهي - حسب تقديره - تقع في ثلاثة مجلدات . ولو أن النقاش دقق في هذه المقالات لاستبيانات له حقيقة النرجسية الطاغية، أو بتعبير النقاش نفسه «ذاتيته المكثفة» وهي سببـه في أن يبلغ شئوه الطامح في ميدان النقد الأدبي . وفي هذا المقام أذكر واقعتين : الأولى أنه هاجم توفيق الحكيم هجوماً شديداً مما حدا بالحكيم إلى دعوته والتعرف



رجاء النقاش في الجامعة مع فاروق شوشا و محمد الفيتورى «١٩٥٦»

إن هذا السؤال يكشف عن قصور
كان المعاذوى يعاني منه، فلماذا التغريب
بنبات الناس ومنهن فنوى طوقان؟

وصفة القول أنه برغم الجهد الخارق
الذى بذله رجاء النقاش معتمداً فيه على
رسائل المعاذوى لإثبات صدقه فى عواطفه
تجاه الشاعرة فنوى طوقان، إلا أن
شخصية المعاذوى التى تدور حول ذاتها
وتتبجح بلفظة «أنا» فى كل موقف ، ما
كان يمكن أبداً أن تقبل شريكاً فى حياتها
حتى وإن كان هذا الشريك شاعرة رقيقة
الإحساس مرهفة العاطفة مثل فنوى
طوقان. سؤال آخر : هل من الرجولة
والشهامة ورفة الخلق أن يلهم المعاذوى
بقلوب العذارى - والعذارى قلوبهن هواء
كما يقول الشاعر ؟

ويهمنى فى ختام هذه الأسطر أن
أؤكد أننى لا أحمل ضغينة لأنور المعاذوى
، فقد صافيته الود فى بدايات طريقنا
ولكنه بغضونه عاملنى باعتبارى بعوضة
وهو فيل !

وليس لي تعامل مع الأفيال بالفاء أو
الأفيال بالقاف !

كان يشبه العقاد فى عنف عراكه مع
خصومه فى الأدب ورقة شخصيته مع
الجلساء والخلصاء ، وإن اختلف فى حجم
(الأن) الأكبر عند المعاذوى » .

ولئن كان رجاء النقاش متعاطفاً مع
المعاذوى يلتمس له المعاذير مرة بأمرابضه
ومرة بطمومجه ، فهو لم يخرج من رسائل
المعاذوى إلا بنتيجة أمراً لم يعلنهما ، وهى
إنه أصلاً غير مهياً لا للحب ولا للزواج ،
 وأنه كان يتباهى حتى في « تعقيباته » في
« الرسالة » بالمعجبات وكان ينشر رسائلهن
وكتأه دون جوان .

هذا وقد ذكر النقاش وعلى شللش أن
المعاذوى كان يعاني من عقدة أوديب ، أى
التعلق بالألم ، فهل كان المعاذوى يرى فى
فنوى صورة مصغرة أو مكبرة أو حتى
بديلاً للألم؟ لقد أخذ يستدرجها بعباراته
العاطفية ربما لكي يشبع هذه النزعة إلى
التعلق بالألم .

ويرى النقاش أن المعاذوى سأل فتاة
كانت تحبه : هل بالإمكان أن تتزوج دون
أن تكون بيننا علاقة جنسية؟ فأجابـت
الفتاة بالإيجاب ، ولكنها ذهبت ولم تعد !

صَاحِبُ رَجَاءٍ سَبِيلُ الْمَهَافِرِ

حلمي التونسي

يلوته.. فبدلاً أن يروى ويطفئ الظلم، يكون مصدراً للعلل والأمراض.

قام «رجاء» بحراسة «سبيله» وعمل على إتاحة مائة للكجميع، من خلال مقالاته وكتبه، خاصة كتابه الرائع والذي عرفت من خلاله عالم «رجاء» الثقافي الربح الواسع: كتاب «تأملات في الإنسان»، والذي أعجب كيف لم يتم إقراره حتى الآن في جميع مناهج الدراسة.. وفي كل المكتبات مدرسية وعامة! وقام رجاء بدوره التنويري أيضاً من خلال مجلات تولى رئاستها . فازدهرت وأينعت. من مجلة «الهلال».. إلى مجلة «الدوجة» القطرية التي تولاها فتحولها من مجلة شهرية إلى عاصمة ثقافية ، حتى قال البعض، يومها، في السبعينيات، إن «الدوجة المدينة» ليست هي عاصمة دولة قطر، وإنما عاصمتها هي «الدوجة المجلة». ونعود إلى «سبيل» آخر من «أسبلة» رجاء النقاش، سبيل لم يستطع إقامته، وأنهن أن رجاء لا يزال يحلم به: «جريدة ثقافية يومية» تجعل الثقافة، كما قال الدكتور طه حسين عن التعليم، «كالماء والهواء» «حق للجميع».

منذ أكثر من نصف قرن، ترك رجاء النقاش قريته وجاء إلى القاهرة في «سبيل» الثقافة.. أى من أجل الثقافة.. من أجل ثقافته .. ومن أجل ثقافة الناس .. تعلم رجاء النقاش وقرر أن يرد الجميل ويحدد الدين إلى مجتمعه الذي احتضنه وعلمه.. ولد رجاء النقاش، وولدت أنا في نفس العام من القرن الماضي ، العشرين، والتقيته في بلاط صاحبة الجلة «الصحافة»، ومن يومها شاركته في كثير من أحلامه ومشروعاته الثقافية، هو ككاتب ومفكر، وأنا كفنان ورسام، وربما تباعدت مشاريعنا، ولكن بقيت أحلامنا واحدة. الحلم بأن تتاح الثقافة لكل الناس بصرف النظر عن مكانتهم وحظوظهم الاجتماعية، أو قدراتهم المادية، والثقافة هنا ليست ترفا ولا رفاهية ولكنها ضرورة للجميع من أجل إحداث «اليقظة» و«النهوض» في مجتمعنا «النائم» و«القاعد».

١١٤

ونعود إلى عنوان هذه الكلمة والرسم المرافق لها، نعود إلى «سبيل».. سبيل رجاء النقاش الذي يسقى الناس، ويقف عليه صاحبه راعياً وحارساً خشية أن يتسلل البعض فيلقوا في ماء الثقافة ما



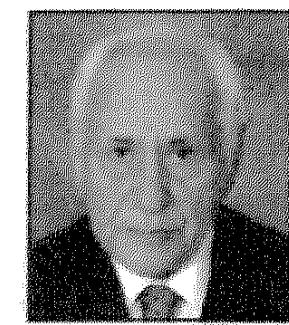
١١٠

سازمان اسناد و کتابخانه ملی

۲۰۰۷/۱۰/۲۵

مُحَوَّلٌ ظَرِيفٌ لِصَرِيفٍ

مُحَمَّد سَالِم



وجهة نظره أنها ليست مهمته، ولكن مهمة الباحثين في هذا الجانب من الكتابة.. ورأيت أن أضع يده على خطوط عريضة في مجال خطابه النقدي، فهناك إشارات وعلامات على تبنيه موقفاً محدوداً في النقد الأدبي، قائم على فكرة إنسانية الإبداع، فهو يرى في بعض ما كتب - أن أي إبداع يستمد قيمته من إنسانيته، أو من محتواه الإنساني.. وهذا الرأي يضع محدودات تحتاج إلى جهد لإبرازها وتلطيرها ووضعها في قالب النظرية.

لقد بدأ النقد المصري الحديث عام ١٩٢١، أي منذ تسعين عاماً تقريباً ولم تتبلور - فيما أعلم - نظرية نقدية واحدة يقاس بها أو عليها النقد الأدبي المصري والعربى عموماً.

هذه البداية كما نعرف هي تاريخ صدور كتاب «العقاد» و«المازنى» الشهير الذيوان فى «الأدب والنقد».. وهو كتاب جمع بين النظرية والتطبيق.. وقد حدد فيه «العقاد» الأصول التي يجب أن تتوفر للشعر الجيد، وكان مجال دراسته الشاعرين «أحمد شوقي» و«عبد الرحمن شكري»، وقام «المازنى» بنفس المهمة مع النشر تطبيقاً مع الكاتبين «المنفلوطى»

هذه السطور لا تتسع للحديث عما أريد الحديث عنه.. وهو البحث عن نظرية نقدية عند الكاتب الكبير «رجاء النقاش».. وهو موضوع ألح على ذهني كثيراً ولكنه يحتاج إلى وقت أطول، ويبحث أعمق وجهد أوفر!!

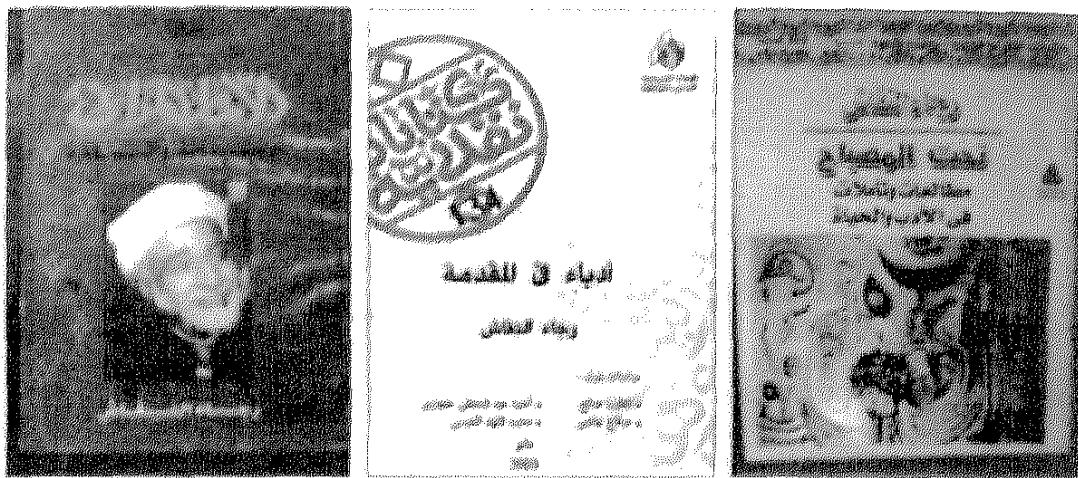
وقد كدت أتراجع عن الكتابة في هذا الموضوع المهم لو لا أنني وجدت من الأفضل أن أ تعرض له لفتح النافذة أو الباب لمن هم أوفر مني علمًا بالنقد الأدبي ومدارسه ونظرياته.

لقد كتب الصديق العزيز كثيراً.. بل إنه منذ عرف الورق والقلم لم يكف عن الكتابة، وأظنه من أوفر أرباب القلم إنتاجاً وتنسج دائرة اهتمامه لتشمل كل أشكال الإبداع شعراً ونثراً ومسرحياً وسينماً وغيرها، متعملاً الله بالصحة والعافية ومد في عمره.

وفي هذا الصرح الضخم الذي أنشأه «رجاء النقاش» لابد من منهج أو نظرية أو وجهة نظر تسرى في أوصاله.. فلتكن نظرية أو منهاجاً أو وجهة نظر محددة أو دائمة فكيف نصل إليها؟!

لقد ناقشت هذا الموضوع مع الصديق الكريم أكثر من مرة، وكانت

١١٦



تحتاج إلى الكثير من التوضيح والتفسير وها هو «رجاء النقاش» بهذا الكتاب يجعل من قراءة «شكسبير» متعة.

إن اهتمام «رجاء النقاش» بالتلقي يعود إلى رغبة حقيقة في اشتراك القارئ والمشاهد العادي في الاستمتاع بالأعمال الفنية التي قد تغمض مقاصدها وجمالياتها عليه، و«سارتر» يقول إن القارئ والشاهد جزء من العمل الفني.. وأقرب مثال إلى ذلك المقدمة الضافية التي كتبها «رجاء النقاش» لرواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للكاتب الفخم «الطيب صالح» إنها مقدمة جعلت من

الرواية كتاباً مفتوحاً للقارئ، وهي رواية على قدر كبير من التركيب نظراً لتقنياتها الروائية الجديدة، والتي سادت العالم منذ بداية القرن العشرين. «الطيب صالح» يقدر هذه المقدمة كثيراً، وقال لى إن المقدمة لا تقل أهمية عن الرواية ذاتها وهذا ما فعله «رجاء النقاش» في مقدمته الجميلة التي كتبها لـديوان «أحمد عبد المعطى حجازي» الأول (مدينة بلا قلب) ورغم أن «حجازي» في ديوانه الأول كان.

و«الرافعى» ولو قدر لهذا الجهد النقدي التطبيقي أن يمتد لكان عندنا الآن نظرية «العقاد» و«المازنى» أو «العقاد» وحده فقد توزع جهد «المازنى» على العمل الصحفى والترجمة ومات فى سن مبكرة نسبياً.

تياران في النقد

وقد جاء بعد «العقاد» نقاد كبار مثل «محمد مندور» و«لويس عوض» و«رشاد رشدى» و«جابر عصفور» وغيرهم فى مراحل مختلفة.. وأظنهم انقسموا إلى تيارين عالميين فى النقد هما التيار الشكلى (الفن للفن) والتيار (الماركسي) الاجتماعى.

ولكن «رجاء النقاش» يشق طريقاً جديداً يقف أو يسير بين الطريقين، فمهمة الناقد كما يرى «رجاء النقاش» تقوم على تفسير أو توضيح العمل الإبداعى، فهو رجل يميل إلى الوضوح ولا يحب التعقيد والغموض.. والنقد التفسيري ضروري لأن الأعمال الفنية التى تستحق الكلام عنها بطبعيتها شديدة التعقيد، خذ مثلاً كتابه (نساء شكسبير).. «شكسبير» في حد ذاته شاعر معقد وي بعض مسرحياته

تحور نظرية «النقد»

الخاصة التي تضم صفوة المثقفين في «مصر» نجلس جميعاً كالتلاميذ ونحن نستمع إليه، والشئ الذي أريد أن أذكره أنه يتحدث عن هذه الفترة بأحداثها السياسية والأدبية، بإفاضة وعلم رغم أنه في كتاباته يتتجنب الحديث في السياسة.

النقد التفسيري

ونعود للحديث عن نظرية النقد عند «رجاء النقاش» فهل يمكن أن نسميها نظرية النقد التفسيري؟!

إنتى أطرح السؤال ولا أجيب عنه، فهناك كما قلت في بداية هذه السطور من هم أقدر مني وأعلم بقواعد النقد، وكل ما أرجوه أن ألفت النظر إلى ضرورة وجود نظرية نقدية في هذا الكم الهائل من الكتابة.

ولم يأت النجاح ولا الشهرة ولا القيمة إلى كتابات هذا الرجل اعتباطاً، فائنا لم أر من هو أشد إخلاصاً لعمله من الصديق العزيز، إنه

يجعل من الكتابة عبادة، وهو يحيطها بجو من الحماية فيقطاع الحياة والناس عندما يتهيأ لها، وأظن أن اختياره مسكننا بعيداً عن «وسط القاهرة» هو جزء من رغبته في العزلة ليتفرغ لعمله وإبداعه.

ومكتبة «رجاء النقاش» من أكبر -

سهلاً فقد كان دور «رجاء النقاش» أن يوضع جماليات شعر «حجازي» وإبداعه واستخدامه لشعر التفعيلة مما كان في ذلك الوقت قبل خمسين عاماً تأكيداًدور شعر التفعيلة في إثراء مسيرة الشعر العربي وتتجديده.

ولعل «رجاء النقاش» يستند إلى اللغة الصافية التي يملك نواصيها وليس ناصيتها فقط.. هذه اللغة التي درسها جامعياً، وأحبها وأخلص لها، يمكن أن تكون بجانب إنسانية الإبداع أساساً تبني عليه نظرية نقدية عند «رجاء النقاش».

ولعل الضلع الثالث في هذه النظرية أن تم تحديدها في التراث العربي والمصري بالذات، فليس هناك فيمن أعلم من هو أعلم منه بالأدب المصري الحديث.. بين عام (١٨٥٠ - ١٩٥٠) وهو

يكتب ويتحدث بإفاضة وبذاكرة ممتازة عن أدباء وشعراء ونقاد هذه الفترة، وأقول يتحدث لأن الزميل الصديق هو بلا شك من سادة المجالس رغم حياءه الشديد.. ورفضه حضور الفنون والتصوير في التليفزيون.. ولكن في مجالسنا

١١٨





مع الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري «١٩٨٠»

وأرجو ألا تكون قد ابتعدت كثيراً
بسطوري الأخيرة عن الهدف الأصلي من
كتابة هذا المقال المتواضع، وهو البحث
عن نظرية نقدية في كتابات «رجاء
النقاش»، أو نحو نظرية نقدية عنده، وهو
هدف يستحق كما قلت في بداية هذه
السطور، يستحق عملاً أكثر وجهداً أوفى،
لعل غيري من هم أقدر مني على
صياغة هذه النظرية أن يقوموا بهذا
الجهد.. فهذا الناقد المتفرد، بقامته
العالية، وقيمته النادرة يستحق منا
جميعاً كل العناية والاهتمام، وقد وضعت
بعض المصابيح على الطريق إلى هذه
النظرية، ولعل أساتذتنا الكبار يقومون
باستكمال إضاعة هذا الطريق.

إذا لم تكن أكبر - المكتبات الشخصية في
«مصر» وهو يجري وراء الكتب الجديدة
والقديمة، ولا يترك كتاباً ينقص مكتبه
الثرية إلا وسعي إليه.. وكثيراً ما لجأ إلى
مكتبي المتواضعة للبحث عن كتب
الأربعينيات التي أقتني معظمها
لتصويرها !!

لقد تعرفت - ولا أقول عرفت -
«رجاء النقاش» في أوائل الخمسينيات
وفي أكتوبر (١٢) القائم من «الجيزة»
إلى شارع «المبديان».. وكان هو طالباً
في كلية الآداب وكانت في كلية الحقوق،
وكان لقاونا صدفة، وقد استمرت هذه
الصدفة خمسين عاماً أو تزيد، وهي
صدقة تقوم على المحبة الخالصة والتقدير
المتبادل، وقبل كل هذا المهنة المشتركة..

العنوان



أبوالمعاطى أبوالنجا

ما كان يلح علىً أيضاً «رجاء النقاش» نفسه لإنجازه وهو كتابة رواية عن حياة المناضل المصري عبدالله نديم!.

هكذا كان يتحرك «رجاء النقاش» في حياتنا الأدبية، يتحدث لي أو لغيري من أصدقائه الكثرين، فلم أكن سوى واحداً منهم ويكتب بنبرة لا تخلو من الحماس والقلق والشك، وكان شغفه بالتاريخ يبدو لي وكأنه جزء من نزعة في داخله تبحث في هذه الحياة الفامضة والفاتنة والعاصفة المتغيرة عن القواعد والقوانين التي تحكمها أو التي لابد أن تكون هناك لتحكمها، وكأن ما يبدو لنا أحياناً في هذه الحياة من أنه أنواع من الفوضى أو العبث، فإنما هو مجرد نتيجة، لأننا لم نكتشف بعد كل تلك القواعد والقوانين، وأن ميله إلى البحث في التاريخ جزء من ميله إلى الكشف عن القواعد والقوانين، إذ أن الصورة الكاملة لهذه القواعد إنما تتضح من خلال تواترها في أزمنة وأمكنة مختلفة ومتعددة، وكان هذا كله يفسر لي ما يلتقي في شخصية رجاء الإنسان والكاتب من اجتماع هذه الحزمة من درجات الحماس والقلق والشك سواء فيما يتحدث عنه أو يكتب فيه، كان من

كانت فكرتى القديمة أن «رجاء النقاش» واحد من عشاق التاريخ الكبار، ربما ترجع هذه الفكرة إلى أيام الشباب حين كنا نلتقي كثيراً، نتبادل الكتب، ونتحدث حول أيها أولى بالقراءة والاهتمام؛ أتذكر أن رجاء كان أول من طلب مني بلهجة شبه أمراة، أن أقرأ كتاب «تاريخ أوروبا في العصر الحديث» تأليف «أرنست فيشر»، وترجمة «أحمد نجيب هاشم»، وأول من لفت انتباھي لأهمية كتاب «أزمة الضمير الأوروبي» لبول هازار ترجمة «نجيب المستكاوى» مع مقدمة لطه حسين «كنا أيامها ترکز على قراءة القصص والروايات العالمية المترجمة»، ولروعة تلك السلسلة التي كان يترجمها ويقدمها أحمد الصاوي محمد عن حياة مجموعة من كبار السياسيين والأدباء في الغرب مثل فوشيه، وبليزاك، وهابي وغييرهم «وكنا ننظر لـأحمد الصاوي محمد على أنه كاتب محدود القيمة»، ولكن رجاء هو الذي لفت انتظارنا إلى قيمة الدور الذي قام به هذا الكاتب بتقديم هذه السلسلة من الكتب، وكأن كل هذه القراءات كانت بمثابة تمھيد الأرض، وتهيئة الاستعداد لأكون قادرًا على إنجاز

١٢٠
جذع
برهان
جذع
جذع



١٢١

الليل - نيل - ٢٠٠٦

البورتريه للفنانة نسرين بهاء

العنوان

ترتبط أعمالهم الفنية ارتباطاً بالغ القوة بآوطالهم وشعوبهم، وفي مقدمتهم أبرز أربعة روائيين عالميين معاصرین، وهم «إيفوندرتش» في يوغسلافيا صاحب رواية «جسر على نهر درينا» الحائز على جائزة نوبل في أوائل السنتينيات، و«ماركينز» صاحب رواية «مائة عام من العزلة» وقد حصل على جائزة نوبل عام ١٩٨٢ والثالث هو «كازنتراكيسن» اليوناني صاحب رواية «زوريا» و«الإخوة الأعداء» الرابع هو «ياشار كمال» صاحب «محمد الناحل» وهو روائي تركي معاصر.

ولو تابعنا ما كان يكتبه رجاء النقاش في نقده لفن السينما في مصر في هذه المرحلة لوجدناه يقول في كتابه «كلمات في الفن» ص ١٧٨ .

«إن الفكر السينمائي الجديد لن يتتوفر لنا إلا إذا ظهر عندنا فنانون مخرجون وممثلون على وجه الخصوص» يكونون على مستوى عميق من الثقافة القومية التي تساعده الفنان على أن يكون عارفاً بتاريخ بلاده، يحس بهذا التاريخ، ويعرف تiarاته وأحداثه المختلفة، فلو كان هذا الفنان موجوداً بيننا لانعكس ذلك على الأفلام وموضوعاتها، وشخصيتها الفنية والفكرية على نطاق واسع.

ولو أخذنا تاريخنا المصري منذ الحملة الفرنسية إلى اليوم، لوجدنا هذا التاريخ مليئاً بالواقع والأحداث التي يمكن أن تكون موضوعات رائعة للسينما المصرية.

هناك الصراع بين عمر مكرم ومحمد على، وهو صراع خصب يصور المواجهة

الصعب أن تجد رجاء ساكناً أو ناعماً أو مستقراً أو حتى لائذاً ببرود السخرية واللامبالاة، كان حماسه يبدو وكأنه حماس الباحث عن فكرة صحيحة يثق في وجودها في زحمة من الأفكار السائدة أو الزائفة، وكان قلقه يأتي من شعوره بأن في هذه الحياة الكثير مما هو زائف ومخادع، وأن الطريق إلى الحقيقة ليس واحداً وليس سالكاً، وأن أفضل طريق لاختبار نسبية الحقيقة هو التاريخ أو هو الزمان! وقد يكون أحياناً هو الشك حين تبدو الشواهد ملتبسة ومتروقة!.

رجاء الناقد الأدبي

تجلى عشق رجاء للتاريخ في عمله النcdى في صور متعددة، فقد كان رجاء ناقداً للشعر والقصة والرواية والمسرح والسينما والفنون بشتى أنواعها، وذلك من خلال اشتغاله بالكتابة وبالصحافة ولما كان المجال لايسمع باستعراض كل هذه الجوانب فلا بد من اختيار بعضها.

يقول رجاء النقاش في كتابه بعنوان «في حب نجيب محفوظ» ص ٤٦، وهو الكتاب الذي يضم نقده لبعض أعمال نجيب محفوظ الروائية: «إن أعمال نجيب محفوظ تتضمن العنصر التاريخي» وكان الحديث عن أعمال نجيب محفوظ التي تنتهي بنهاية الثلاثية ثم يقول: وهذا العنصر التاريخي هو عنصر أساسى باللغ الأهمية عند كل الروائيين الكبار في تاريخ الرواية العالمية»، «والعلاقة بين التاريخ والرواية علاقة وثيقة خاصة بالنسبة لهؤلاء الروائيين العظام الذين

الحادة بين الزعامة الشعبية والسلطة الاستبدادية، وهناك مذبحة القلعة ومغزاها في الصراع السياسي الهائل الذي كان قائماً في بداية القرن العشرين في داخل المجتمع المصري وهناك حفر قناة السويس، على أن المسألة ليست مجرد نقل أحداث التاريخ إلى الشاشة،

فهناك شيء أبعد من ذلك، إنها مسألة الحس القومي عند فناني السينما، وهذا الحس لا يتكون بمجرد أن يولد الإنسان على تراب الوطن، ولا بمجرد أن يعايش أهل هذا الوطن، كلما إنه يولد بالتعرف على التاريخ القومي تعرفاً حقيقياً عميقاً حتى يستطيع الفنان أن يفهم شخصية مصر، وأن يعرف طبيعة الشعب ونفسيته وتاريخ أفراحه وأحزانه، وعندما يتربى هذا الحس القومي عند الفنان، فإنه سوف ينعكس حتماً على إنتاجه سواء أكان يقدم فيلماً عن الحب أو الجنس، أو عن أي موضوع آخر.

ويقول رجاء النقاش كلاماً قريباً من هذا كله في نقده لتطور بقية الفنون في بلادنا، وخاصة فن الموسيقى.

إلى متى ظل رجاء النقاش يجد في التاريخ الخاص أو العام المادة الأكثر إغراء للمبدع في الأدب أو في الفن، للكشف عما يختفي وراء أحداثه ووقائعه

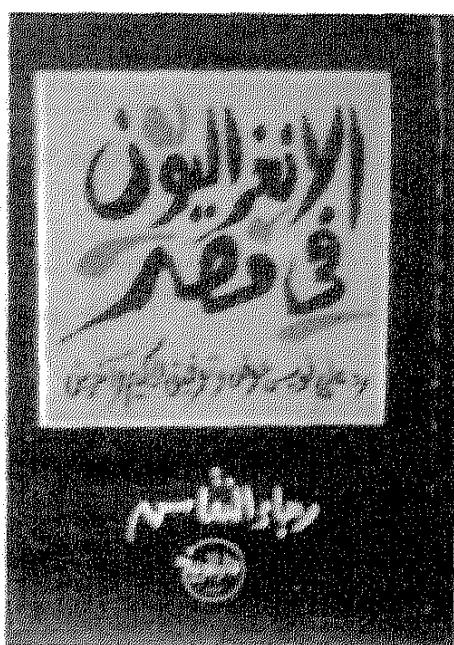
من قوانين أو قواعد يمكن أن تمنع المعنى والقيمة للأعمال الروائية أو الفنية؟

يقول رجاء النقاش وهو يتتابع رحلته مع أعمال نجيب محفوظ الروائية في كتابه «في حب نجيب محفوظ» ص ٧٩:

«إن الحياة مهما وضعنا لها من القوانين، وفسرناها بأقصى ما نستطيع من معرفة، تتظل خاضعة لعنصر وإن كان مازال غامضاً علينا في مصدره، فهو واضح الأثر في نتائجه، ونحن نسمى هذا العنصر أحياناً باسم القدر، وأحياناً باسم المصادفة.

ويصطحب رجاء هذا العنصر الغامض أو فلننقل مثل هذه العناصر الغامضة في الحياة، وفي الرواية، ولعله اكتشفها في رحلة بحثه لمغزى التطور الفني الذي يحدث في المراحل الجديدة في روايات نجيب محفوظ، فيما بعد الثلاثية.

يقول رجاء النقاش في الكتاب ذاته من ١٠٧ «إن القضية أو المشكلات التي تدور حولها روايات نجيب محفوظ في المرحلة الجديدة وهي «اللص والكلاب»، «السمان والخريف»، «الطريق»، «الشحاذ»، «ثرة على التيل» لاتتبع من شخصيات تحركها بالدرجة الأولى ظروف المجتمع في مرحلة تاريخية بعينها، مثلاً



العاشر

حاجة إلى أن نستظل بمظلة التاريخ لكي نفهم أو نفسر مشكلات هذا الجيل وقضاياها.

بعض الظن إثم

أظن - وبعض الظن إثم - إنه ربما كان رجاء النقاش قد بدأ - مثله مثل الكثرين من العشاق - يتملل من عشق التاريخ دون أن يتخلّى عنه، ولكن دون أن يقع أيضاً في غواية الحاضر أو المستقبل!

كان «الحاضر» آنذاك يقدم في مصر وعود النقد الجديد الذي يركز على دراسة النص، ثم بدأ بعد ذلك يقدم في الوطن العربي كله بروق وروعود «البنيوية» ثم توالت بعد ذلك بروق وروعود «التفكيك» و«التلقى» و«النسوية» وغيرها.

وحتى حين كتب رجاء النقاش مقاله الشهير في مجلة المصور عن رواية الطيب صالح «موسم الهجرة إلى الشمال» ثم كتب بعد ذلك ونتيجة لهذا المقال سلسلة مقالات تحت عنوان: «هل أصبح نجيب محفوظ عقبة أمام تطور الرواية العربية؟»، فلم يكن ذلك كله يعني أن رجاء النقاش قد تخلى تماماً عن عشقه القديم للتاريخ أو أنه بدأ يغازل الحاضر والمستقبل!

أظن مرة أخرى - وبعض الظن إثم - أن رجاء النقاش كان شديد الانتباه لما يجري من حوله، شديد الإصغاء والتحديق لما يحيط بالحياة النقدية من بروق وروعود تأتي من هنا ومن هناك، تومض هنا وتتنطفئ هناك، شديد الإدراك بأن الحياة التي تحتوي الماضي والحاضر والمستقبل

كان الحال في روايات نجيب محفوظ في المرحلة الأولى في الثلاثية وما قبلها، حيث كانت المأساة التي يتعرضون لها مأساة عائلية مجتمعية، أما البطل الجديد عند نجيب فهو يعيش وحده، ويواجه العالم وحده، وتحدث مأساته بعيداً عن أسرته، إنها مأساة إنسان وحيد متمرد ومنفرد «سعید مهران» في اللص والكلاب يرفض أن يقيم لنفسه أسرة، «عيسي» في «السمان والخريف» يفعل الشيء نفسه، وكذلك «صابر» في «الطريق» إنهم جمِيعاً كائنات بريئة طريدة النظام العادى للحياة، تواجهه العالم دون عون من علاقات إنسانية مستقرة، لقد خرجوا إلى العراء ووقفوا وحيدين في منطقة مخيفة مهجورة، وغير مألوفة في محيط الحياة البشرية، وفي كلمة فإن المشكلة التي يواجهها البطل عند نجيب محفوظ في هذه الروايات هي بينه وبين العالم، وليس بينه وبين المجتمع، إنه يعاني هموماً روحية قبل أن يعاني هموماً مادية، إنه بطل ينتمي إلى جيل الانتقال، الجيل الذي يريد أن يفك طلاسم العالم، ويرفض التقاليد القديمة، ويتقدم إلى التجارب الجديدة، لعله يكتشف ما يضنه، ويعيد الانسجام والتناسق إلى نفسه وإلى العالم الخارجي معه».

والآن فهل يمكن القول بأن تشخيص رجاء النقاش لأبطال روايات نجيب محفوظ في هذه المرحلة الجديدة بهذه الكيفية، يعني بداية التهاب لاستخدامه لنهج النقد التاريخي، وبائنا لم نعد في

١٢٤

جـ ٣
بـ ٣
أـ ٣

هي في بداية الأمر ونهايته المتشوّق الحقيقى للجميع، والتى يسعى الجميع كل من موقعه فى خط السباق، وبأدوات علمه وثقافته إلى استجلاء غواصتها والإمساك بتلابيبها عبر النظريات والقوانين والقواعد والأدوات التى تتطور وتتغير من جيل إلى جيل.

وأن بروز ودعود البنية والتفسير والتلقى، تنتمى إلى نظريات المعرفة، بقدر ما تنتمى إلى نظريات النقد الأدبى.

بعض الظن حلال

أظن - وبعض الظن حلال - أنه قرر بينه وبين نفسه أن يتبع ما يجرى من حولنا ، بعقله المستقل، بفكه النابع من تجربته بآدواته الخاصة جداً، واثقاً من أن ما يتبقى من هذه المتابعة سيصبح جزءاً من تجربته ومن أدواته ، ومن عقله ، وأنه من خلال هذا القرار وقبله ومعه أنجذ كتابه الجميل، "العقد بين اليمين واليسار" ، وكتابه الفريد «صفحات مجاهولة من الأدب العربى المعاصر» عن علاقة أنور المعاوى وفدوى طوقان، الذى يبرهن فيه فرسا جريئا وصادماً لمن كانوا يعرفون أنور المعاوى معرفة شخصية ، ويستعين فى برهانه بكل ما أتيح له من أوراق وتحليل ومعرفة شخصية بكل الأطراف بعمق وجراة



وتواضع في الوقت ذاته ، وكتابه عن رواية «ذاكرة الجسد» لأحلام مستغانمي الذي يناقش فيه أوجه التشابه بينها وبين رواية «وليمة لأعشاب البحر» لحيدر حيدر في مواجهة الشائعة التي راجت حول أن الشاعر سعدى يوسف هو الكاتب الحقيقي لرواية «ذاكرة الجسد» أو على الأقل هو من أبدع صياغتها النهائية .

فهذه الكتب الثلاثة هي ثمرة من ثمرات الفكر النقدي المستقل الذي يتسم بالجرأة والنزاهة والعمق في هذه المرحلة وفي مجتمع تروج فيه أحياناً موجات من الأكاذيب والأوهام ، وأن هذه الحياة الغامضة والفاتنة والعاصفة والمتغيرة التي كانت قبل كل النظريات والقوانين ستبقى بعدها لتصبح وتراجع وتضييف ، فلم يمسسه رعب التخلف والتقدير .

١٢٥
أظن - وبعض الظن حلال - أن رجاء النقاش أدرك في نهاية الأمر أن التاريخ سيقى مصدرأً لكنوز لا تنتهي ، وإذا كان من الممكن أن تميط اللثام عن بعض قوانينه ، وأن تعتبر مثل هذه القوانين من أثمن الجوائز في خزاناته ، فإن متحف التاريخ يضم جواهر من نوع آخر ، وهي جواهر الشخصيات التي تمتاز بفرادتها ، والمواقف التي تمتاز بذرتها ، لأن عوامل فريدة ، قد لا تتكرر ، ساهمت في

العنف

وفي المقال الثاني الذي كتبه رجاء

تحت عنوان «عاقل بين مجانين» والذي يشرح فيه ماذا حدث «لتوماس بن» الأب الروحي للثورة الأمريكية من أجل استقلال الولايات المتحدة وانفصالتها عن التاج البريطاني ، فهذا العبقري الذي كان من أصدق أصدقاء الثورة الفرنسية والذي ترك بلاده بعد أن نالت استقلالها وجاء إلى باريس ليقف إلى جوار الثورة الوليدة مؤازراً ومعيناً ومبصراً وهو الذي يملك تجربة بلا حدود، ومن خلالها يحاول أن يحذر الثوار من الاندفاع في طريق العنف بخفة حمامة الثورة ، ولكن لا منطقه الرائع ولا تاريخه المجيد ولا حتى كونه ليس واحداً منهم يمكن أن يكون طامعاً في منصب أو سلطة، ولا سنوات عمره التي كانت تمضي نحو النهاية الطبيعية للبشر، لا شيء من هذا كله ين嗔ه من جنون العنف المطبق، وتتوشك سنوات عمره الباقيه أن تنقضى بين جدران السجن لولا أن المقصلة كانت تواصل عملها فتقضى ضمن من تقضى عليهم على من سجنه ! .

أما المقال الذي يصور أكثر اللحظات فرادأة في التاريخ فهو المنشور في كتاب رجاء النقاش بعنوان «ملكة تبحث عن عريس» والمقال نفسه بعنوان «الزواج والانتخار في ليلة واحدة» .

وفي هذا المقال صورة فريدة لكيف يفكر عقل بشري في لحظة من لحظات الفزع العظيم .

كيف استجاب هتلر لرغبة عشيقته، «إيفا براون» بأن يحتفل معها بزواجه

صنعها، ولأن الإرادة الإنسانية ، وهي الميزة التي ينفرد بها بني الإنسان ، وتصل عند بعض أفراده إلى ذرى عالية لا تملك القوانين أن تنظم حركاتها أو تتنبأ بما يمكن أن تقوم به ، قد أسهمت في صنعها .

والتاريخ وحده هو الذي يقدم لنا مثل هذه النماذج الفريدة سواء من الشخصيات أم من المواقف ! لتنسج على منوالها أو لنتعلم منها! .

وأظن - وبعض الظن حلال - أن رجاء النقاش حين عاد ليكتب لنا تلك المقالات البديعة التي قد تعنى بالوقوف أمام ما تراه في قوة القانون أو ما تراه في روعة الفرائد التي قد لا تكرر ، قد فعل ذلك من فrotein حبه للحياة ، قبل أن يكون من فrotein حبه للتاريخ، ولعله من المناسب في نهاية هذا المقال أن أتوقف قليلاً أمام مقالين ظهرتا في كتاب رجاء بعنوان «عباقرة ومجانين» الأول بعنوان، المقصولة ليست حلاً وهو عن الثورة

الفرنسية وفيه يشرح رجاء بتحليل بديع ثاقب منطق الشواريين يلجمون إلى العنف، وكيف أنهم قد يفعلون ذلك بدفاع تبيوفي غاية النقاء والطهر والنبالة ، بدعاوى إنقاذ مبادئ الثورة ، وبدعاوى تحقيق غد أفضل لمليين الفقراء والتعساء ، ولكنه يكشف في المقال ذاته بأن طريق العنف المفجع لابد وأن تنتهي بتدمير كل شيء ، وفي مقدمتها صانعوه والكثير من الأهداف النبيلة التي كان العنف يسعى لإنقاذه ! ..

١٢٦

٢٣
٢٤
٢٥
٢٦



رجاء النقاش في مكتب إحسان عبد القدوس مع زملائه في «روزاليوسف»، ويظهر في الصورة صلاح چاهين - يوسف فرنسيس - فتحى غانم - كامل زهيرى - لويس جريس - جمال كامل

شيرر لحفلة الزواج، وأقسم العروسان القسم المقرر في الزواج الألماني في عصر هتلر والنازية وهو أقسم أنتى من أصل أرى صاف .

كما أقسم الزوجان «هتلر» و«إيفا» أنهما خاليان من أي مرض وراثي يحول دون اتمام هذا الزواج ، وأصر هتلر أن يتمسك بالرسوميات فعلاً عقد الزواج بالكامل ، وبدأت عروسه توقع باسمها تكتب «إيفا بـ» ولكن سرعان ما توقفت لتشطب حرف الباء وتكتب «إيفا هتلر» المولودة باسم براون » ..

هل يمكن أن نجد خارج صفحات التاريخ مثل هذه الصورة الفريدة للعقل، وكيف يمكن أن يعمل في لحظة من لحظات الجنون والهول العظيمين!..

شرعى هو ومن بقى معه من القيادة والجنود في مخبئهم الحصين حين أصبحت النهاية ، نهايتهم ونهاية الحرب العالمية الثانية على بعد خطوات أو دقائق .. حين قرر هتلر أن ينتحر هو وعشيقته بعد الاحتفال بالزواج الشرعي بلحظات ... !!

ومن أجل إقامة هذا الاحتفال استدعي وزير إعلام هتلر المعروف «جوبلز» أحد أعضاء المجلس البلدي في برلين وأاسمه «وولتر راجز» وكان يحارب في وحدة من وحدات العاصفة الشعبية على بعد عدة أبنية من ملجأ هتلر ، وقد قام هذا الموظف وهو مذهول مما يجرى أمامه بإجراء مراسم الزواج في غرفة الاجتماعات. ووفقاً لوصف المؤرخ وليم

المُضِي



د. محمد المقرنجي □

ظلمتها حياة الكاتب الشاب الذى كنته،
منذ ما يزيد على عشرين سنة.

مواهب نادرة

ليس الامتنان الشخصى وحده هو ما يدفع كثيرا من القلوب لحب رجاء النقاش، بل هو الامتنان العام لكل تلك المباحث الروحية التى غمرنا بها كقراء وكتاب. فهو ناقد كبير حباء الله بمواهب نادرة تلمع فيها ذكاء الروح والعقل معا، وقدرة على التوصيل والتواصل عبر الكتابة لا يمتلكها إلا أحد فى تاريخ الكتابة العربية، وهو فى كل ما كتب يغمر قراءه بفيف من النور الدافئ يشى بسر رحمة جميلة أو جمال رحيم يتحلى به قلب الكاتب، فتصل رسالة مباشرة إلى الروح، وهل الأدب إلا نشاط روحي؟! إنه كاتب يحبه الله حتى يمنحه هذه الهبة النادرة من الحساسية باللغة الرهافة والرقة الثاقبة فى اكتشاف الجمال والجميل، ثم إرسال ذلك كله بسلامة رفيعة وود بديع، لمن يواتيهحظ الحسن بإدراك رسائل ذلك الرجاء المضى».

وجه رجاء

منذ عشرين سنة كنت أدرس الاختصاص الطبى فى الاتحاد

لم يوجه لي أحد الدعوة للكتابة فى هذا العدد، ربما لأننى ممن يكرهون الاعتذار، وهو أمر يؤلمنى أكثر مما يؤلم من اعتذر لهم، لا لشيء إلا خشية أن يذهب الظن بهم إلى اعتبار اعتذاراتى نوعا من العجرفة، وهو أمر لا أحبه فى الناس ولا أحبه لنفسى، وكل ما هناك أننى لا أكتب إلا إذا تملكتنى عاطفة قوية، وهو عيب - أعرف - من عيوب الفعالية لمن يختار الكتابة مهنة له أو سبيلا، لكننى لم أملك ولا أملك من أمري تغييرها، ولم أعد أحب أن أتغير، بل أقول فى ذلك ما قاله باسترناك: «إن معركتى مع الحياة هي ألا أغير سنتيمنترا واحدا من شخصيتي»، ليس احتفاء بهذه العاطفة المربكة، بل تسليمًا بأن الله خلق الناس مختلفين، ولا بأس أن تكون هذه خلقتى طالما أن هذه العاطفة لا تؤدى أحدا، وهذه العاطفة نفسها هي التي تجعلنى أكتب الآن بلا دعوة، وأرجو ملحا من الهلال أن تنشر ما أكتبه، لأننى ممتلىء برغبة قوية في البوح بتاريخ حب عميق لرجاء النقاش، الكاتب والإنسان، ومن أنقذنى نون أن يدرى من قبضة معتمدة خرساء، كادت أن تتوقف فى عسر

١٢٨

٦٣٠
٦٣١
٦٣٢
٦٣٣

السوفييتي السابق،
وكلت قد أحرقت كل
مراكبي فور هبوطى
إلى هذا الشاطئ
الذى كان داخلى
حلمًا إنسانياً للعدالة
الاجتماعية، وفضاء
فسيحا ترف فيه
أرواح من أحبتهم
كثيراً منذ صبائى:
تشيب خوف
وديس ستوفسكى
وتولستوى وليرمنتفو
وجوجول وجودكى
وتورجذيف



لتقتله بسهامها
المسمومة. كانت كفة
الحسرة تربو على كفة
العزاء، فصرت أمشى
بين الأحياء فى ذلك
الصيقع الفائم وأنا
مسكون باكتئاب
مميت. اكتئاب لحه
هناك صديقى الدكتور
إيمان يحيى، وظل
يتوصى به بقلب
الإنسان الطيب
والصديق المخلص،
حتى إنه فزع يجري
وسط الثلوج عندما

لمح شيئاً معلقاً كالمشنوق لاح له من بعيد
وداء زجاج نافذتى المطلة على الشارع،
ولم يكن خاطره بعيداً عن غور اليأس
الذى استبد بروحى آنذاك، وفى هذه
العتمة أطل على وجه رجاء النقاش
فمنحنى نوراً ملأنى بفرح تعجبت كثيراً
كيف كان خافياً عن بصيرتى. وإنى لمدين
بهذا الفرح حتى آخر تحقق جميل يمكن
أن اهتمى إليه.

لم أكن قابلت رجاء النقاش أبداً، ولا
كنت أظنه يعرفنى، وكان كتابى «الموت
يضحك» قد صدر وأنا في تلك الأيام
هناك لا أدرى بتصوره، وحضر زميل من
إجازة في مصر التي كنت لا أستطيع
السفر إليها ولا أمتلك تكاليف ذلك السفر،
وفاجئني بهدية من حبات المانجو
المصرية العبة وعدد من مجلة «المصور»
ضمن بعض المطبوعات المصرية، ولا

وبولجاكوف. كما كان هذا الشاطئ وعداً
برقى علمى تعرفت عليه قبل سفرى فى
الأدبيات الطبية لبافلوف وكورساكوف
وفيديتوف وسوخاربسکى، وغيرهم من
أساطين المقاربة البيولوجية فى الطب
النفسى. أمام حلم بهذا الحجم تركت
الوظيفة التى لم يمنحنى حقد بيروقراطيها
إجازة مشروعة لنحة لم تكلف الدولة
 مليماً. وتركت مساحة منحها لى تتحقق
أدبي بازغ فى بلدى، وأدرت ظهرى دون
ذرة من تردد لنحة أمريكية براقة لدراسة
وتدريس الأدب فى الولايات المتحدة.
ووجدت فى الشاطئ الذى كنت متلهفاً إليه
معرفة علمية رائعة فى مجال اختصاصى،
ووجدت الأرواح التى أحبتها روحى ترف
عالياً فى فضاء ذلك البلد الشاسع، لكننى
ووجدت عتمة كثيبة من الكذب والاستبداد
والفساد تنفرز فى قلب كل شيء طيب

المُضْفَع



للفنانة دينا جمال

النقاش» وما أبهج وأعجب أننى عندما جحظيت بلقائه لأشكره بعد ما كتبه عنى بما يقارب العامين، أن أجده مضيئا بالفعل، مضيئا بذلك الوجه الطيب الودود، وتلكم العينين، الخضراوين اللامعتين ببريق من صدق وحدب، إنه مخلوق جميل مضيء، أقبل جبينه، وأغالب خجل الأزلى المربك لأقبله من جديد، وكأننى نسيت أن أقبله بما يكفى، وبما يستحق.

أعرف لماذا أجلت تصفح مجلة «المصور» حتى صرت وسط غابة من غابات شجر البريوزا الموحية جنوعه الفضية بضفاف بديع مهدده، والذى كنت ألجأ إليه كنوع من العلاج النفسي بجمالات الطبيعة. وما أن بدأت فى التهام السطور التى كتبها رجاء النقاش عن كتابى الذى صدر فى القاهرة دون أن أراه، حتى تهاويت بين الأشجار، أكملت قراءة المقال المحب بصعوبة عبر فيض الدموع، لم تكن تلك إلا دموع تطهر غسلت وجهى وروحى يومها. هدية مباركة من الناقد الذى كنت لا أرى نفسي كاتبا إلا بأن يلتقت إلى هو، هو تحديدا رجاء النقاش الذى قدم لنا سيدنا وتابع رئيسنا الطيب صالح، وعرفنا بالرائعين محمود درويش وسميح القاسم وإميل حبيبي، وكشف لنا عن القلب الحسن لنجيب محفوظ، والموهبة الوهاجة ليوسف إدريس.

رجاء النقاش عندما يمنح أى كاتب ولو شعاعا واحدا من بصيرته الثاقبة فإنه يضيئه، ولقد أزاح الشعاع الذى منحنى إياه فى تلك الغربة البعيدة التى كانت قابضة للروح زادا من النور جعلنى أواصل، أواصل حتى العلم الذى كنت أدرس، لأنه منحنى طمأنينة وقوة أننى أديب، وهو أمر أوشكت أن أنساه تماما فى غمرة اليأس المظلم فى تلك الأيام البعيدة هناك. ولا أزال حتى الآن، وهنا، أدين فى استمرارى لذلك الشعاع البعيد الذى منحنى إياه «المضيء» رجاء

١٣٠

صلابة الفولاذ ورقة النسيم

فريدة الشوباشي

دون خوف أو رهبة، ما دام يعتقد فيما يكتبه. ومن هنا لم يكن غريباً أن يثور البعض، وما أكثر المتشددين بالديمقراطية منهم، لنقد النقاش لأنّه يعلم أن قلمه يحظى بمصداقية نادرة.. وأنه.. علم من أعلام حياتنا الثقافية والأدبية.. وإذا قلنا رجاء النقاش، فنحن نقول حياة حافلة بالعطاء، وكأنه نهر كريم يمنع ولا يأخذ.. لذلك كانت فرحتي عميقه وشديدة بحصوله على جائزة الدولة التقديرية والتي أعتقد أنها تأخرت كثيراً.. وكان حصوله على الجائزة مناسبة ليفتح قلبه، وليسخ لي بالغوص في حياته الحافلة الثرية وما تخللها من محطات ومعارك، وأردت من خلال محاولة الغوص تلك أن «أكمل» الصورة التي أخذت بعدها إنسانياً شديد العمق أتاحتها وجوده في باريس مع الصديقة العزيزة، السيدة قرينته الدكتورة هانية عمر، و«الوجود» في الغربة يضفي كثافة على الأيام والساعات والدقائق.. لا تتتوفر في زحام الحياة في الوطن ومشاغلها الكثيرة ومشاكلها الأكثر عيناً.. قضينا ساعات وساعات حققت الاتصال الذي بدأ في القاهرة قبل سفرنا (زوجي الكاتب الراحل على الشوباشي وابني

مثل معظم العلاقات الإنسانية يظل المرء يكتشف ويكتشف، يتوقف في محطات كاشفة.. يغوص فيها ليحدد. من منظوره الخاص، الفضيل الذي ينتمي إليه الإنسان مثار البحث والاكتشاف.. ورجاء النقاش ظل بالنسبة لي سطوراً أقرأها وأتمعن فيها، وكانت دائماً أتسائل كما كتبت في عام ٢٠٠١، إننى ما من مرة قرأت لرجاء النقاش إلا وثار في ذهني ذات السؤال: كيف يجمع هذا الرجل النادر بين صلابة الفولاذ والقوة الخارقة في الدفاع عن الحق، وعن كل القيم المتصلة به، وبين رقة النسيم وهشاشة الغصن الغض، الذي لا يتحمل أى إيهام كان، بل ولا يتحمل الآخرون الأسواء إيهاماً.. كيف يعيش في رجاء النقاش مقاتل شرس لا يثنى عن قناعاته تهديد أو وعيد أيا كان «السلطان» وكثلة من الرقة والحياة، يستبد به القلق والخجل اذا نمت إلى أذنيه عبارة مدح أو بالاحرى عرفان بجميل عطائه لنا.

أعتقد أن سر قوة رجاء النقاش وصلابته هو زهده العجيب في كل مغريات الدنيا، إنه يقول كلمته ويمضي دون انتظار لشكر أو جزاء.. وأيضاً -

حوار الفيلسوف والفنان

الإنسانية الجميلة ويففر للفنان صاحب الشخصية المضطربة ، إذا كانت هناك أسباب قوية تبرر هذا الاضطراب وتفسره، ولا يغفر بيته وبين نفسه لمن يتعمدون الشر» باختصار. فإن عدو رجاء النقاش الوحيد وال حقيقي هو الشر وأصحابه.. إنه من الجمال الفاضل ولا يحب «التجريح» حتى لو كان مرتكبه غزير الموهبة .. وحتى تقترب موضوعيته من الأمانة المطلقة.. عزل نفسه في صومعته. بين كتبه ومراجعه - وقال «أفادتني هذه العزلة كثيرا في الاقتراب من الأعمال الأدبية بعيدا عن العلاقات الشخصية التي يمكن أن تؤثر في الأفكار والمشاعر، وخلاصة ما أحب أن أقوله هو أننى أبذل جهدا كبيرا للسيطرة على نفسي حتى لا أتأثر بأى مشاعر سلبية وشخصية فى أى موضوع، وعسى أن يقرأ أدباءنا وفنانونا ونقادنا «درس» رجاء النقاش البليغ الذى لا يطيق الكذب على نفسه أو على الناس ولا يتحمل مخالفة الضمير الأدبى من أجل إرضاء أحد، وفي المقابل فإننى أتحمل نتيجة آرائي.

يقول النقاش ، مهما كانت النتيجة مسؤولة - ويواصل بدرس ساطع فى التواضع - الشرط الأساسى أن أكون صادقا مع نفسي ، ولا أضمن أبدا أننى أكون دائما على صواب، فإذا تبين لي فى أى لحظة أننى أخطأت، تراجعت عن الخطأ دون تردد. ويدرك النقاش من بين رواد النقد الذين أحبهم الدكتور محمد مندور والدكتور عبد القادر القط، وكيف دفع الرجال ثمنا فادحا لموافقهما

نبيل وأنا) ، وعمقت جذور العلاقة الإنسانية إلى حد أصبح عصبيا على أية هزات وأضاعت جوانب في العلاقة ما كان يمكن أن تتحقق إلا في جلسات حميمية. جلسات فضفاضة تتسم بالصدق والصادقة والأخوة والمحبة، ازداد قدر رجاء النقاش عندي وكلماته النبيلة فترجمتها نظرات عينيه بنفس الصدق والنبل.. استمتعت وأنا استمع بشفف وشوق إلى محطات هذا الرجل الفريد وكيف صقلته «الصدمات» في المثقفين والمبدعين، كما قال لي في حواري معه «للعربي» بعد أن اقترن ب بصورة واقعية من الحياة الأدبية والفنية والثقافية. أخذت التجربة تعلمni أن ما كان في ذهني عن ملائكة الأدباء والمفكرين والفنانين هو لون من ألوان الوهم والخيال، واتضح من التجربة أن الثقافة هي مهنة من المهن، فيها الطيبون وفيها الأشرار، وأن المسرح الثقافي مليء بما في الحياة نفسها من الصراعات القاسية، وأن «التنافس» بين الأدباء والمفكرين والفنانين يلعب نفس الدور الذي يلعبه في مجالات الحياة الأخرى.

أوجز النقاش بحسه النقدي النافذ، وبرؤيته الشاقبة الموضوعية «الحياة الثقافية» وأيقنت، بالتجربة صدق كل كلمة قالها.

مع الجمال الفاضل

ويعد رجاء النقاش «الأدباء والفنانين» ويصنفهم ليخلص إلى أنه «يحب الفنان الموهوب صاحب الشخصية

١٣٢



مع فريدة والفنان عادل إمام و خالد عبد الرحمن الخميسي

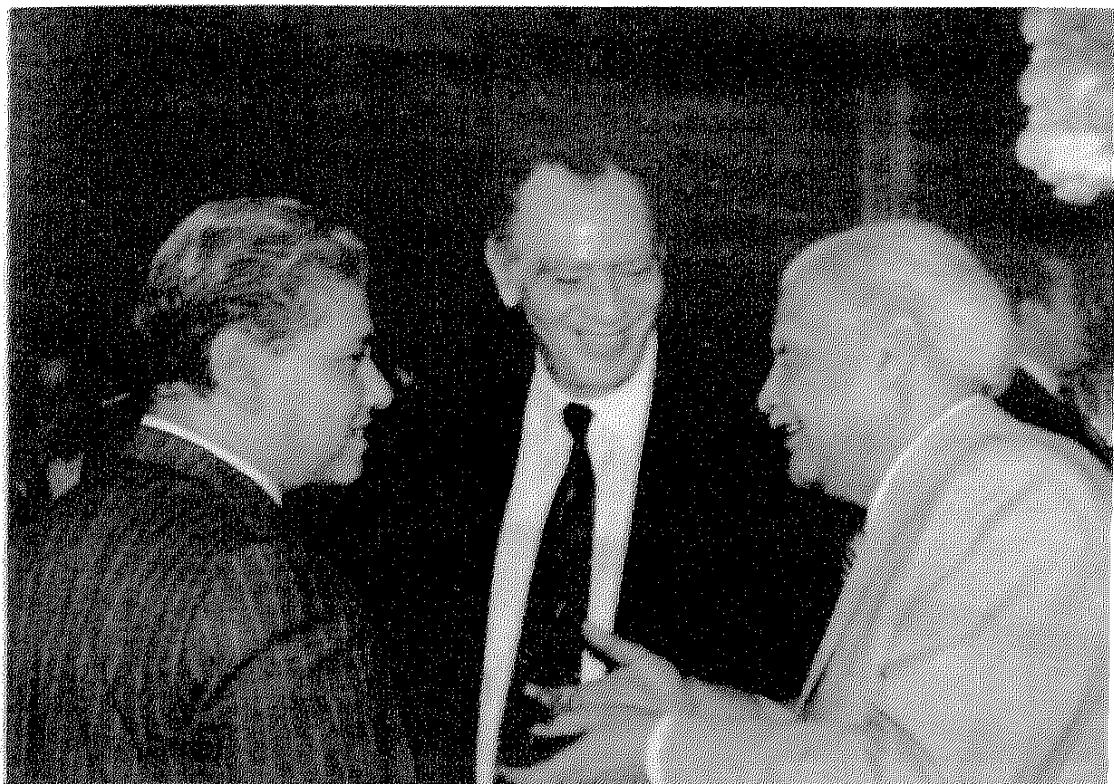
صمت!

لرجل النقاش معارك مع عباس العقاد الذى هاجمه بقسوة، وكيف قاطع السباعى الاستاذة أمينة السعيد بسببه، حيث رأى السباعى فى صمت النقاش حيال أدبه فى الوقت الذى وصل فيه إعجابه بأدب نجيب محفوظ إلى حد الفتنة، موقفاً عدائياً.. ويبدو الصمت هنا أشد بلاغة من الكلام!! تحدث النقاش عن مصر التى ضاقت به فى عهد الرئيس السادات والتى عاد إلى أحضانها فى عصر الرئيس حسنى مبارك .. وكيف وهو ابن إحدى قرى المنصورة قد عانق القاهرة بل وأصبح قاهرها بعد تعرفه بـأمير الصعالىك زكريا الحجوارى، وبعد أن فتح عبد الرحمن الخميسي «القدس» أمامه قاهرة الأدباء.. وعن الخميسي يقول رجل النقاش: إن الخميسي كان دائماً

١٣٣

طبعة ثانية
طبعة ثالثة
طبعة رابعة

الشريفة والموضوعية ، وتحمله التهم الجاهزة من بعض رجال السلطة.. يلقى النقاش الضوء على ما عاناه عام ١٩٧٣، وكيف أن محمد عثمان إسماعيل محافظ أسيوط ومستشار الرئيس السادات كان من الصانعين الأساسيين لجماعات التطرف الدينى، وأنه أقنع السادات.. بإنشاء هذه الجماعات لحرابة الناصريين وسائل اليساريين !! والبقية معروفة فقد أودت «نصائح» المستشار بحياة الرئيس السادات على أيدي هذه الجماعات.. ويروى النقاش كيف دمر يوسف السباعى ورشاد رشدى الدكتور محمد مندور فى نهاية حياته، لأنه قال رأيه فى أدبهما بشجاعة، وكيف أدت تقارير سرية قدمها أدباء ضد د. عبدالقادر القط إلى حرمان الرجل من منصب الوزارة.



.. و مع محمد جلال وعلى الشوباشى

ابنه سعيم على اسمه ، ومحمد درويش، وكذلك عرف قراء العربية قدر ومكانة الروائى السودانى الطيب صالح من خلال كتابات النقاش الذى كتب عن هؤلاء وغيرهم الكثيرين، قبل أن يعرفهم أو حتى يراهم بكثير.

فى حواره، قال لى ياعزيزتى فريدة الشوباشى.. أنت فتحت فى عقلى وقلبى بابا كنت أغلقته منذ سنوات بعيدة بالشمع الأحمر لكي أترعرع لعارك الحياة الأخرى ومتاعبها الكثيرة التى تلاحقنا ، والتى أحاول أن أخرج منها بأقل الخسائر .. وصدقينى إذا قلت لك إننى لم أعد أعبأ بالخسائر التى تتعلق بي شخصيا، فقد نفخت يدى من كل الآمال الكبيرة والطموحات العالية، ولم أعد أشعر بأى رغبة إلا فى أن أعيش إلى

مفتوح القلب والمكتب.. لم يكن الخميسى من الأثرياء ولكنه كان من الأقواء.. لقد ذهب به الدنيا يمينا وشمالا ودخل السجن وخرج منه، وخاض تجارب تكفى مائة رجل، وعن صلاح جاهين قال: كان فنانا حرا، إنسانيا. لا يتقييد بالنظريات تقيدا حرفيا فى أى شيء ، اعتماده على شعوره الصادق ووجوداته الحساس. صلاح جاهين كان دكتوراه فى الثقافة والفن رغم عدم حصوله على شهادة جامعية.

١٣٤
جـ ٢
جـ ٣
جـ ٤

كنز من الذكريات

إن رجاء النقاش كنز من المشاعر الجميلة النبيلة ومن الذكريات .. فلا ينسى أحد كيف «اكتشف» أو بالأحرى قدم للجماهير العربية شعراء فلسطين المحتلة خاصة سعيم القاسم الذى سمى النقاش



.. ومع فريدة وابنها نبيل على الشوياشى

١٣٥

يحمل نفس شاعر وقلب ملاك، لا يعرف قدره أو مكانته عند القراء عموماً وبصورة أعمق عند المقربين منه.. والذى يعرف رجاء النقاش عن قرب لا يمكن أن يفقد إيمانه بأن الدنيا بخير، وهو يرى رجلاً يبذل اهتماماً وجهداً مخضنياً، ليدخل السعادة أو ليساعد أبسط الناس الذين لا يملكون جاهماً ولا مالاً.. وجواهر الإنسان ومعدنه النقيس يظهر جلياً مع «الصغر»، وكيف يتعامل معهم وكيف «يشكر» هو - طالب الخدمة أو المعونة، لأنه أتاح له أن يمارس «طبيعته» ومازالت المواهب في جعبته من كنوز ومازال الموهب الباحثة عن راع تتطلل بقلوبها وعقولها إلى هذا الصرح المصري العربي العظيم.. رجاء النقاش.. فكلماته عن أي عمل أدبي شهادة اعتماد لصاحب الإبداع.

جانب أي حاط من حواتط الله في هذه الدنيا.. وكل ما أحرص عليه هو أن يكون في نفسي «سلام، وأن أبتعد في استبسال شديد عن كل ما يخدش «كرامتي» .. فائنا تحمل أي عذاب في الدنيا إلا حكاية «الكرامة المهانة والجرحية، ولعل انسحابي من الحياة العامة في السنوات الأخيرة يعود إلى رغبتي في تقليل المناسبات والظروف التي قد تعرضنى لما يجرح كرامتى بصورة أو بأخرى.. فالوحدة والعزلة وكل ما يتربى عليهم من خسائر أفضل عندي ألف مرة من كرامة مجرحة أو كلمة غير مرحة أسمعها من هنا أو من هناك، أو تصرف ينطوى على الخيانة والغدر ويفاجئ الإنسان ويطعنه في قلبه بخنجر مسموم.. شعرت للحظة أن رجاء النقاش، الذي

مُهَرِّبُ الْمُوْلَى حَلْقَةُ الْمُشَتَّتِ

مهد الأمان وجاء الشفاف

عبد المنعم رمضان

هزرتُ أنقاضي وقدمى
نظرتُ إلى الأعلى
رأيت فيما رأيت ضباباً
رأيت خيول أعداء تنهبُ الرمل ولغتى
خيول أعداء لا تنهبُ الرمل ولغتى
رأيت سقفاً كأنه سقovan
يليه سقف كأنه سقovan
يليهما السديم الذي
كنت أظنه السديم
احتimit بالآودية التي حول جسمى
وبالشمس الهازبة داخل ظلامى
لم أستطع أن أنزع الخوف من دمى
لم أستطع أن أنزع الندى
كانت المتأهات تظهر لي وتخفى
وسقف الصدى يظهر لي ويخفى
استعنت على نفسي بالأمال الجائعة
استعنت عليها بالأمثال
وعهد الراحة
ونشيد الإنشار
استعنت على نفسي بالصمت
والآثار البائدة
خلعت أصابعى من كفى
غرستها فى أطراف الأرض

فيما مضى من الريح
فيما مضى من أوراق البردى
فيما مضى من الحمام
وشجر التوت
واعشاش النمل
فيما مضى من كل بھو
كنت أخطط للبحث عن أيقونة جدى
وعن رثة أبي
وقفت على سور عال جداً
هزرت قدمى
التفت إلى المرايا الجوف
والمرايا المعتمة
كانت السماء تحتى
كانت المرات التي تفصل الليل عن الليل
وكان ظلام غفل
وكانت حقب مائة
وحقب أخرى تعتلد
وكان الناس مثل أحفادهم
ومثل الوقت الضائع
ومصابيح الشرفة تتوى السطو على ما يبقى
كانت حافة الرجاء
قرب حافة جسمى
انتظرت

بعد قليل من اليأس

بعد اليأس

رأيت خيالاً يمشي

ورأيت أجنحةً تتکاثرُ بين يديه

رأيت الرجاء على حدودي

والغابة على حدود اليأسِ

فالتجاء إلى الأيام الأولى

فيما مضى من الحيرة

فيما مضى من أوراق البردي

فيما مضى من كل بهوٍ

نزلت عن سورى العالى جداً

بحث عن رواق الفصول الأربع

بحث عن الزغرب المكسوة به روحى

وعن الحشرات الناعمة

وعندما ضللت طريقي

رأيت الخيال نفسه

الذى رأيته منذ سطورٍ يمشي

ورأيت الأجنحة التي تتکاثرُ بين يديه

و قبل أن يخصن بالنعمـة

كنت قد تشبث بثيابه

وعرفت أنه الوحيد الذي سيقودنى إلى الجنة

سألته : ما اسمك

فاستدار إلى ، جذبني من لسانى

وبعد أن اجترنا العتبة والردهة

بعد أن اجترنا البابين الخامس والسابع

بعد الحديقة

بعد مزرعة الحوريات

استطعت أنأشم رائحة يده

استطعت أن أتوق إليها

أن ألمها

أن أمحو خطواتى، وأغمضم،

لا شيء لا شيء

لن أتكلم مثل العاصفة

لن أتكلم مثل الحنين

ثم استطعت أن أخرج

وورائى الحوريات

وعند منتهى الباب

عرفت أنه الوحيد المنبود من خلابى

أتنى الطاغية

والعميل السرى

والخائف

والمخبول

وأنه الوحيد الذى سيقودنى إلى نفسي

سألته: ما اسمك

فاستدار إلى ، جذبني من حلقى

وتحمل عصاه

اتجه في كل مكانٍ

فيما مضى من الربيع

فيما مضى من أوراق البردى

فيما مضى من كل صوت

كنت أبحث عن نداء ما كان بعيداً

كنت أبحث عن القادر

أن يكون غيمةً في السماء

وغيمةً في الماء

وأن يكون عموداً نور

وأن يكون قبطان الأيام القادمة

والذى يحمل عصاه

والذى هو هو

والذى أنا أنا

والذى لا تخشاه الحوريات

والذى لا يفني

الذى لا يضيع

شُرْبَنِي (الخوارق الـ ١٦)



الرسم للفنانة نسرين بهاء

وهناك أشعارى وألوىتى
وهناك معصيتنى
وهناك أهلى يسهرون معى
وهناك بعض دمى وأشرعنى
وهناك أستاذى يعلمُنى
أن أختفى وأشيد صومعنى
فإذا أراه تخافنى لفتى
وإذا أراه أخاف من لغتى
وإذاه قبل الفجر يمنحنى
تاجى، وبعد الفجر أو سمتى
وححدوده تمشى على مهلٍ
جهة الملك العذب أو جهتى
لو لم يكن ، لو لم يكن دمه
مثل الرجاء ومثل أخيلتى
لو لم تكن شفتى
لو لم يكن قلبي وأغشيتى
ومياه حنجرتى
ما كان لى صوتى ومنزلتى.

الذى ليس الرجاء قبله
الذى ليس الرجاء بعده
الذى يتوجه إلى كل مكان
الذى سوف تحرسه الحوريات
سوف تُغنى معه الحوريات
سوف يُغنى مع الحنين الخام
الذى سوف يُغنى مع سارق الحوريات
أغنية سارق الحوريات
لو لم تكن شفتى
لو لم تكن أرضى ومزرعتى .
لو لم يكن في البيت مارغبوا
لوهبتهم أسرار أغنتى
لو أن مصباحي الذي عثروا
بضيائه ، لو أن محيرتى
هذا إذن بيته وأغطيتى
هذا سراديبى وأوديتى
وشعبان مملكتى
هذا جذوعى كنت أقطعها
كالمستجير ، وهذه رئتي

١٣٨

طوق نجاة

على سالم



المستوى المادى.. إنه بالفعل بمثابة «طوق نجاة» لى ولآخرين، يكفى طريقة ترحيبه بالمبعد الجديد وكأنه مشروع لمبدع كبير، وعندما يكتشف فيه شيئاً جديداً لا يكفى عن الدفاع عنه ويتحول إلى صديق له على الفور.

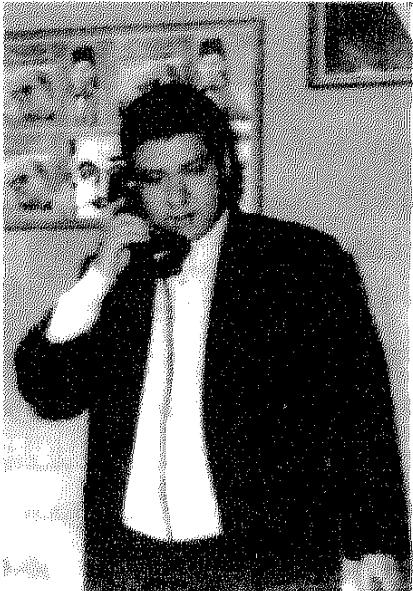
أنا لا أتفق مع من يروجون بأن النقد ليس عملية إبداعية، وأرى أن النقد في حد ذاته عملية إبداعية مضاعفة لأن النقد ليس عملية تحليل وتقويم للعمل ولكنه محاولة لإغراء القارئ المتألق وإقناعه بوجود عناصر جديدة داخل العمل لم يتلفت إليها أحد وهذا إبداع في حد ذاته، لأنك لن تستطيع إغرائي واقناعي بشيء ما لم تكن مبدعاً عظيماً.

رجاء - على المستوى الإنساني - شخص لا نظير له، لدرجة أنني أعتقد إن أعظم كتابه هو «رجاء نفسه» وبالتالي نستطيع أن نصفه بأنه أعظم كتاب يمشي على قدمين!!.

١٣٩

رجاء النقاش أخ لى.. أخ أحبه واحترمه وأقدرها، وأعتبره - بالنسبة لى - بمثابة «طوق نجاة» وهو من النقاد المهمومين باكتشاف المهووبين وحمايتهم والدفاع عنهم، وأذكر أنه نشر لى في دار الهلال مسرحية «إنت إلى قتلت الوحش» وهى مسرحية كان من الصعب نشرها وقتئذ، وكان من الممكن أن تتسبب لى ولرجاء فى بعض المتاعب والمشاكل ولكنه فعلها ونشرها.

إن رجاء يستحق لقب ناقد بامتياز، وأعتقد إن أهم مقياس هو البحث عن الإنسانية في العمل الفني، رجاء النقاش هو ذات نفسه «عمل فني» وميزة رجاء أن علاقته بالمبعدين لم تكن علاقة ناقد بمنقود أو أستاذ بتلاميذه، ولكنها علاقة حبيب بمحبوب، وكأن بينه وبين من يكتب عنهم غراماً حقيقياً فهو يسعد بالشخص الموهوب ويشعره بذلك ولا يمن على أحد بشيء، ويساعد الآخرين حتى على



كاتب ومؤلف مسرحي



ما في حكم الـكـلـكـ

فريدة النقاش □

بالقطعة فى عدد من الصحف والمجلات إلى أن شارك بأفكاره وخياله الخصب فى تأسيس جريدة الجمهورية لتنطق باسم ثورة يوليو وحينها بدأت حياته الصحفية المنتظمة.

وحين أريد أن أصف أسرتنا فى ذلك الزمن أتخيلنا ونحن نقف فى وضع الاستعداد لتلقى الضربات والدفاع عن النفس والخروج مندائرة الجهنمية للقر وشح الامكانيات ومع ذلك تعلمنا الاجتهاد دون أن يعذنا أحد، وأخذنا نتطلع إلى رجاء كقدوة ساعين نحن إخوته الصغار لأن تكون فى قامته وعلى مثاله.

أذكر أثني حين استمعت لصوته فى الراديو لأول مرة وكان يتحدث عن «فرانسواز ساجان» وروايتها الأولى «صباح الخير أيها الحزن» بكى فرحاً ومنحت لنفسى وعدا خفيأ أن أكون كاتبة بعد أن كان هو قد ملأ بيتنا الصغير بالكتب مجددا لأننا كنا قد بعنا مكتبة أبي الكبيرة فى واحدة من الأزمات المالية التى اعتدنا مواجهتها:

حين افترقنا على الطريق ليؤسس كل منا حياة مستقلة فاخترت أنا أن أخوض

قبل عامين طلب منى الصديق العزيز «مصطفى نبيل» رئيس التحرير السابق «الهلال» أن أكتب عن شقيقى رجاء فى عيد ميلاده السبعين وكتبت عن «رجاء المحب الفاضب» إذ وقفت طويلا أمام عاطفته الجياشة وحساسيته الإنسانية العالية، وبصيرته الثاقبة وغضبه من البؤس العام وبخاصة بؤس الفلاحين الذى كان بوسعنا أن نتعرف عليه وجهاً لوجه في قريتنا منية سمنود - دقهلية. وقد زرع هذا البؤس فىينا وفيه على نحو خاص خوفاً طاغياً من المستقبل كان قد تراكم فى الأصل من تجربتنا القاسية كأسرة فقيرة كبيرة العدد حارت من أجل أن تعلم أبناؤها، ولاحقتها البليهارسيا منذ الطفولة وخطفت تداعياتها أمناً وهى فى عز شبابها وحاجة أطفالها لها ثم حوم الموت بسببها مرة أخرى ليخطف «وحيد» الشقيق الأصغر مباشرة من «رجاء» وتتوأم روحه وجروحه الغائر الذى لم يندمل أبداً.

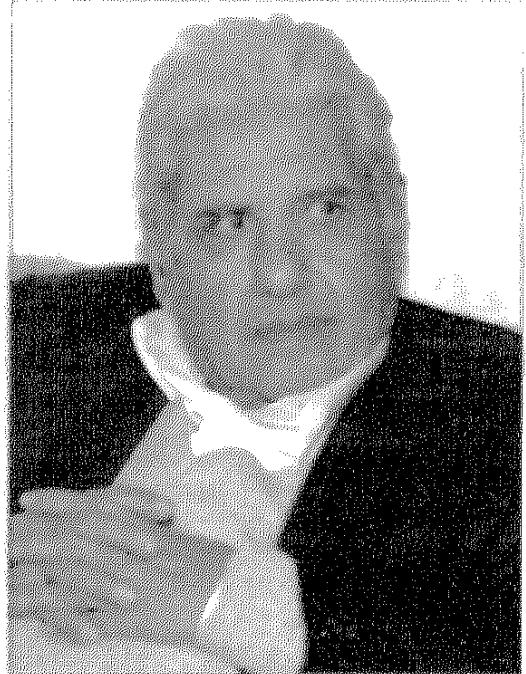
حين هاجرنا إلى القاهرة حتى يلتحق هو بالجامعة فى مطلع الخمسينيات من القرن العشرين ظل يعمل ويعمل وي العمل وهو دون العشرين من العمر صحفياً

١٤٠

في عالم السياسة واختار هو أن يتفرغ للأدب، غضب مني لأنه يرى لا جدوى من السياسة وإنما خوفا على من البطش وهذه اعترض على زوجي من «حسين عبدالرازق» لأنه «مايو دينى في داهية» وسرعان ما أصبحا صديقين، هو وحسين.

انشغل «رجاء» في كتابته وحتى في حياته اليومية بالأسئلة الوجودية الكبرى عن السعادة والرضا والتناغم في هذا العالم، ولو أن أحدا التفت إلى تدوين ما يقوله حتى في السهرات العائلية لخرج بكنز من الأفكار والرؤى الثاقبة والحكمة المغلقة بحزن شفيف لأن الخلل القائم في هذه الدنيا بين الأقوياء والضعفاء يلوح كأنه قدر لشدة ثباته.

صحيح أنه لم يُؤسس صالونا كما سبق أن فعل الكتاب الكبار لكن بقيت صحبته لكل الذين عرفوه متعة فكرية وإنسانية بالغة الرقي ونادر. حين سألفني باحثون شبان يعدون رسائل جامعية للماجستير والدكتوراة عن أعماله احترت أى مدخل يا ترى أنصحهم به.. هل هي مدرسته النقدية وقوامها اكتشاف المناطق المخفية في النص وأضاعتها من الجوانب كافة حتى يصبح النص النقدي إبداعا



يطاول الإبداع المدروس، فقد نفر «رجاء» دائمًا من تعقيد لغة النقد وتحويلها إلى لوغاريتمات وأجاجي تعزل كل من النقد والإبداع.. وطالما قرأ الأعمال بروح محبة. وهل أنصحهم بالتعامل مع كتابة السيرة المبتكرة التي أدخلها هو إلى الأدب العربي الحديث

مازجاً بين رحلة الحياة ورحلة الفكر وحتى تقلبات هذا الفكر في الأعمال التي أنجزها وفي سيرة الذين اختارهم و كانوا محظوظين لأنه كتب عنهم. وهل.. وهل..

بوسعى أن أكتب كثيرا جدا وأننا أستدعى حكايات حياتنا الغنية بما فيها من أفراح قليلة وألام عظيمة. فعلى امتداد هذا العمر لم تكن أفراحنا والامنا تخصنا

وحنينا، بل كانت تخص الأصدقاء والوطن والأمة العربية والإنسانية كلها. كانت الثقافة قد حولت الشأن العام في حياتنا إلى هم شخصى..

إنها الثقافة التي جعلت من شقيقى «رجاء» هذا الإنسان الجميل بكل ما له وما عليه بروحه الساخرة العذبة حتى في مواجهة المرض الذى يقاومه ببسالة وقوة فى الروح تثير الإعجاب والدهشة.. فيما «رجاء» الحبيب ما أجملك.

أعصاب عارضة وقلب حنون

فكري النقاش

التالى لرجاء فى ترتيب الأخوة - قاب قوسين أو أدنى إلى الجامعة، ورأى أبي أنه لن يستطيع أن يوفق هذه الأوضاع مالياً، حيث سيصبح هناك ابنان من الأبناء فى الجامعة بالقاهرة وبقية الأبناء بالقرية، فضلاً عن أن الأوضاع بالقرية أصبحت سيئة بالنسبة لأبى لأسباب كثيرة، لذلك قرر أبي أن ينتقل بالأسرة كلها إلى القاهرة، لأن ذلك أيسر له ولنا جميعاً، ولكن الأمور أصبحت أكثر تعقيداً، مما قدر هو، إذ أن نفقات التعليم بالجامعة كانت كبيرة والأبناء يكرون ونفقاتهم تزداد وأبى مصمم على أن يتم جميع الأبناء تعليمهم فى الجامعة التى لم يستطع هو الوصول إليها، ووجد رجاء نفسه وهو شاب فى الثامنة عشرة من عمره مطالباً بحكم أنه هو الأكبر أن يتقدم ليساعد ولو حتى بتولى نفقات تعليمه، وكان رجاء فى أيامها يتربى على مقهى شهير بالجيزة هو «مقهى عبدالله»، حيث كان الناقد الكبير الراحل أنور المعاوى وهو الأستاذ الأول لرجاء يتربى هو الآخر على هذا المقهى، كما كان يتربى على هذا المقهى نخبة من كبار الكتاب والفنانين والمفكرين من بينهم كان

الكتابة عن رجاء النقاش أمر شديد الصعوبة خاصة بالنسبة لي ، فمن أين يمكنني أن أبدأ الحديث عن هذا الرجل، فالعلاقة بيني وبينه شديدة التعقيد والتركيب، فهو ليس أخاً كبيراً ولا هو مجرد أستاذ تعلمت منه الكثير فحسب، بل إن الأمر ليحصل إلى حد أدنى لا يستطيع أن أحبط إحاطة تامة بعناصر هذه العلاقة المركبة، ولكنني سوف أحكي شهادتى عن هذا الرجل التى رأيت تفاصيلها من موقع قريب، وارتبطت تفاصيلها بتفاصيل حياتى ارتباطاً وثيقاً.

لقد كان رجاء أباً ثانياً حتى قبل وفاته أبينا، فمنذ طفولتى المبكرة وأنا أرى رجاء يعمل ويکدح وهو ما زال طالباً، ففى ذاك العام يتم رجاء ثلاثة وخمسون عاماً من العمل فى الصحافة مقابل أجر نورى ، ففى سنة ١٩٥٣، وكما حكى فى أحد مقالاته، كانت أسرتنا فى أمس الحاجة إلى أى دخل يضاف إلى دخل أبي الصغير والذى اختل توازنها بانتقالنا من قريتنا «منية سمنود» بالدقهلية واستقرارنا بالقاهرة، حيث رأى أبي أنه لن يستطيع أن يوزان إنفاقه بعد أن دخل رجاء إلى الجامعة، وأصبح وحيد - وهو

١٤٢



١٤٣

البطل - نيلز ٢٠٠٦

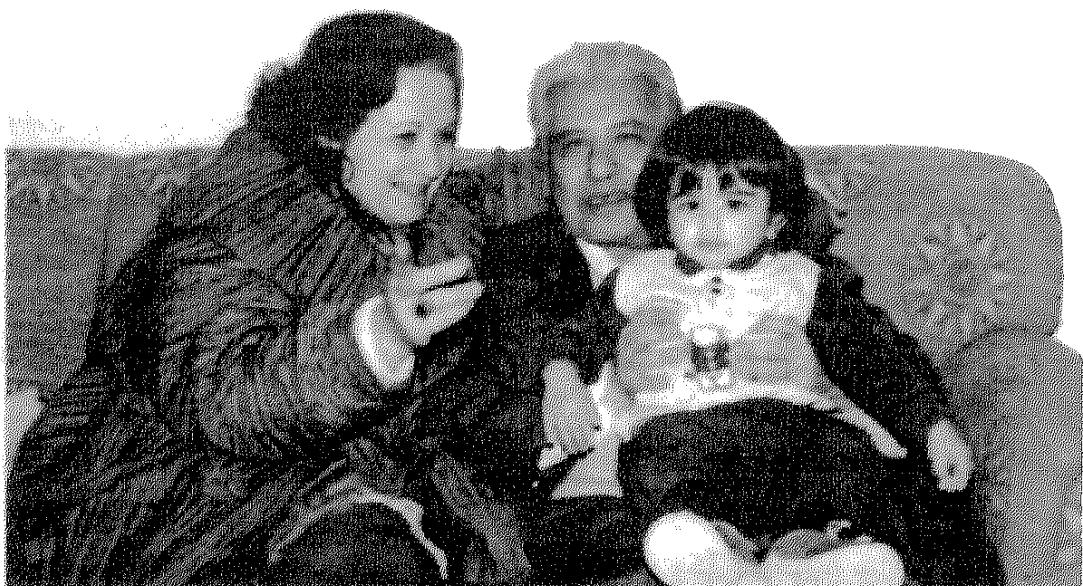
البورتريه للفنان محمد طراوى

وقال أنا هو يا دكتور، فأخرج الدكتور من أوراقه بحثاً كان رجاء قد قدمه لأستاذه كجزء من أعمال السنة الدراسية، وكان هذا البحث عن «المرأة في الشعر الجاهلي» وقال الدكتور نجيب أمام الجميع إنك قد كتبت بحثاً عظيماً عن المرأة في الشعر الجاهلي ، وأنه يستحق أن يعلن ذلك على الجميع، ودعاه لمقابلته بعد الامتحان ليظل بعدها يراقب تفوق رجاء حتى كانت السنة الرابعة عام ١٩٥٦ ، حين دخلت أمنا في مرحلة الاحتضار، ظلت تعانى منها شهوراً طويلة حتى قضى عليها مرض تليف الكبد، بعدها بشهور، واضطربت أحوال الأسرة اضطراباً عظيماً سواء من حيث قلة النفقات التي كان مرض أمها يستهلك منها جزءاً لا بأس به، أو من حيث تردى حالة البيت الداخلية، نتيجة لغياب الأم معظم الوقت في المستشفيات ، ولم تسلم حياة رجاء الدراسية، فلم يحصل فى سنتها على درجة الامتياز التي كان يحصل عليها فى السنوات السابقة، وترتبط على ذلك أنه لم يعين معيداً بالكلية، وقطعاً دكتور نجيب البهبيتي غضباً منه لظن أنه أهمل فى دراسته.

موهبة مبكرة

وظل رجاء بعد تخرجه يتنقل من عمل إلى عمل، فمن الإذاعة، حيث عمل لفترة في لجنة النصوص الدرامية بها، ثم استقر لمدة عامين تقريباً في مجلة كانت تصدرها وزارة الداخلية، ولعمله في هذه المجلة حكاية بل حكايات تؤكد موهبة هذا الرجل، وقد حكى هو بعضها ، وكانت

ذكرى الحجاوى الذى تصادف أن كان مقررياً من الرئيس الراحل أنور السادات في فترة من الفترات والذى أوكلت إليه قيادة ثورة يوليو أن يصدر جريدة الجمهورية ويشرف على تحريرها، فاتخذ من الحجاوى معاوناً له في ذلك، وكان الحجاوى يعرف المشاكل المالية التى يتعرض لها رجاء، فاختاره ليكون مصححاً بالجمهورية لقاء أجر شهري ، ويحكى رجاء عن كيفية وصول الحجاوى إلى منزلنا فى شبرا، حيث كان قد التقى اسم الشارع الذى نقطنه ولم تسuffe الذاكرة برقم البيت، فراح يسأل سكان الشارع بيتاً بيته عن رجاء النقاش حتى توصل إليه ودعاه للعمل، ويحكى رجاء عن هذه الفترة من حياته بعد انتقالنا إلى سكن آخر قريب من الجامعة فى حى بين السرايات ، يقول إنه كان يصبح كل يوم ليتوجه إلى عمله، فيمر في طريقه على جامعة القاهرة، فيمرى زملاءه في طرقات الجامعة، فيشعر بالظلم الفادح الذي يقع عليه، ولكنه رغم ذلك كان طالباً متوفقاً، بل كان كما حكى لى أحد زملائه من نجوم الجامعة المرموقين، وظل طوال سنوات الدراسة طالباً في قسم الامتياز، وحكي لى هو أنه في ذات يوم وفى أثناء امتحانات السنة الأولى لقسم اللغة العربية الذى كان يدرس فيه، أن دخل إلى قاعة الامتحان الدكتور نجيب البهبيتي الذى كان يدرس له مادة الأدب الجاهلى ، ووقف أمام الطالب وسأله عن الطالب المسمى محمد رجاء النقاش، فقام رجاء



رجاء النقاش مع زوجته د. هانى عمر وحفيدتها ريم سميع النقاش

والصحافة، وراح سعد وهبة يبحث عن يعاونه في هذه المهمة، فاقتصر عليه عدله وهو نفسه الرقيب الذي كان على علاقة برجاء، أن يبحث عن هذا الشاب الصغير الذي كان يعمل مصححاً بمجلة الإذاعة، وبدأت علاقة رجاء بسعد وهبة ويمثل البوليس، تلك التي اعتمد سعد وهبة على رجاء في تحريرها اعتماداً كبيراً ، وظلت هذه المجلة تصدر لمدة تقارب من العامين، وأصبحت ذات صدى واسع في الحياة الثقافية، ويكتفى أن نعلم أن من بين كتابها أقلام مثل د على الراوى ود. محمد مندور، وسلامان فياض ومحفوظ عبد الرحمن وصلاح عبد الصبور، والتائب حول صفحاتها جيل من المثقفين ، وظل الأمر هكذا حتى جاء صدام الثورة مع الشيوعيين في أواخر الخمسينيات، وكان من بين الذين عملوا في المجلة واحداً من زملاء رجاء كان ينتمي إلى أحد التنظيمات الشيوعية وقبض عليه، وهو

١٤٥

طبعة ثانية

بداية عمله في هذه المجلة أن رجاء كان يعمل في مجلة الإذاعة في فترة سابقة مصححاً في المجلة، وكان عليه أن يراجع بروفات المجلة في المطبعة، ويعرضها على الرقيب الذي كان يأتي إلى المطبعة في نفس التوقيت، فنشأت بينه وبين رجاء علاقة تشبه الصداقة، حيث كانوا يتبادلان الآراء في المجلة وفي أمور ثقافية كثيرة، وتصادف أن كان هذا الرقيب متزوجاً من شقيقة زوجة الراحل سعد الدين وهبة، وفي هذه الأيام اختير سعد الدين وهبة ليكون سكرتيراً لتحرير مجلة «البوليس» التي تصدرها وزارة الداخلية، وكان رئيس التحرير هو وكيل وزارة الداخلية أيامها، وعلى ما ذكر كان اسمه أحمد الوتيدي ، ومدير التحرير صلاح الدسوقي ، وسكرتير التحرير كان سعد وهبة. وألقيت مهمة إصدار هذه المجلة على عاتق سعد الدين وهبة، ربما لأنه كان أكثر الجميع اهتماماً بالأدب والثقافة

انفتاح على العالم العربي

ولكنه كان قد صنع لنفسه سمعة أدبية وثقافية في العالم العربي من خلال مراسلته لمجلة «الأداب» البيروتية، تلك المجلة التي احتلت أيامها مكان المجالات المصرية التي أثارت العالم العربي في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين مثل «الرسالة» و«الثقافة»، ولكن هذه المجالات اضطررت لأسباب كثيرة أن تغلق أبوابها في أعوام متلاحقة، وجاءت مجلة «الأداب» لتحتل موقعاً مهماً في الحياة الثقافية العربية، وكان رجاء يرسل إليها رسالة شهرية تتضمن المادة التي يكتبها أدباء مصريون، ويكتب مقالة شهرية، فتعرف من خلال «الأداب» على مثقفين من كافة أنحاء العالم العربي، وكانت هذه السمعة وهذه العلاقات التي صنعتها سبباً في عمله بجريدة «الجماهير» التي صدرت آنذاك في دمشق أيام الوحدة المصرية السورية، ورحل رجاء ومعه أحمد عبد المعطي حجازي ليعملان في هذه الجريدة، واستمرت الجريدة تصدر لمدة أشهر، ولكن أجهزة الأمن أوقفتها وعاد رجاء مرة أخرى إلى القاهرة بغير عمل.

وكانت أياماً كئيبة وسوداوية داخل الأسرة، فأحد المصادر المهمة للدخل منقطع والحالة المزاجية لرجاء - العمود الثاني في البيت - غير طيبة، وانعكس ذلك على الأسرة كلها، فكانت أياماً كئيبة كما أذكرها كصبي في مقتبل العمر.

ولكن أخيراً وجد رجاء عملاً في «روزاليوسف» وكان هو وصلاح عبدالصبور يعيidan صياغة المادة

يوزع منشورات معادية للثورة، وعندما سُئل أين يعمل، قال في مجلة «البولييس» فقادت قيامة مكتب مكافحة الشيوعية ولم تقدر، فكيف لشيوعي أن يعمل في مجلة وزارة الداخلية، يوزع المنشورات المعادية للنظام القائم، وصدر الأمر بالقبض على رجاء النقاش، وسئل سعد وهبة عنه فقال إنه يعرف هذا الشاب جيداً وإنه لا يمكن أن يكون شيوعياً أبداً، فطلب منه رئيس مكتب مكافحة الشيوعية أن يحضر هذا الشاب إليه ليعرف إذا ما كان شيوعياً أم لا، ولما ذهب سعد ورجاء لمقابلة رئيس مكتب مكافحة الشيوعية، وتناقش الرجل مع رجاء قليلاً ثم طلب منه أن يحضر له مقالاته التي يكتبها، وسوف يقوم بقراءتها بخبرته وعلمه بالطريقة التي يكتب بها الشيوعيون وبأفكارهم، ويقرر بعدها إذا كان رجاء شيوعياً أم لا، وقرأ الرجل المقالات ثم استدعاه، وقال له: إنك لا يمكن أن تكون شيوعياً لأنك تكتب بحماس عن نجيب محفوظ، ولا تكتب ضدك، بينما الشيوعيون يكرهون نجيب

محفوظ، حيث كان هناك كتاب مهم من الكتب الماركسية كتبه الاستاذان محمود أمين العالم ود. عبدالعظيم أنيس ، ولا أذكر الآن اسمه، وكان الكتاب يتحدث عن الثقافة المصرية من وجهة نظر ماركسية، وكان يعتبر أدب نجيب محفوظ أدباً برجوازيًّا مرفوضاً . وهذا كما ذكر رجاء في مرات عديدة أنقدته نجيب محفوظ من السجن، ووجد رجاء نفسه بعد هذه الواقعة بلا عمل.



الأستاذ الشاعر الأديب عبد المؤمن النقاش
١٩١٢ - ١٩٧٥

مع حفيته ليس رجاء النقاش عام ١٩٧٠

وطلب مني أن انتظر حتى يفرغ من العمل الذي أمامه، وظللت أنتظر في مكتب الأستاذ الراحل موريس عزيز سكريتير رجاء أيامها. ومرت الساعات ورجاء ما زال منشغلًا بعمله، وأنا لا أجد فرصة لتبنيه لوجودي، لكثرة دخول المحررين وخروجهم لمراجعة بروفات المجلة، ومضي الوقت، والفرصة للكلام مع رجاء منعدمة، حتى فرغ من عمله، وسأل عن الوقت، فكانت الساعة تقترب من الرابعة صباحاً، ونسى هو في خضم العمل الوقت ونسيني تماماً حتى أنهى عمله الذي كان مستغرقاً فيه بخلاص عميق.

تجربة الإذاعة

وجاءت سنة ١٩٧١، وانتقل رجاء رئيساً لمجلس إدارة مجلة الإذاعة

المنشورة في المجلة صحفياً ولغوياً، وعانيا رجاء معاناة شديدة حتى سمح له بكتابية مقالات في «روزاليوسف»، وظل الأمر هكذا حتى أمنت الصحافة في سنة ١٩٦٠، فانتقل رجاء في سنة ١٩٦١ إلى جريدة «أخبار اليوم» وكان يكتب مقالاً أسبوعياً في هذه الجريدة ثم انتقل منها سنة ١٩٦٢ إلى جريدة «الجمهورية» حيث لمع نجمه ولفت أنظار الحياة الثقافية والأدبية بمقالات «أخبار اليوم» و«الجمهورية».

في دار الهلال

وحينما تولى الراحل الأستاذ أحمد بهاء الدين رئاسة مؤسسة دار الهلال، خدم رجاء النقاش إلى محررى مجلة «المصور» في أوائل سنة ١٩٦٥ ، وفي صيف هذا العام نفسه أُسنِدَ إليه رئاسة تحرير مجلة «الكوناك» فكان واحداً من أصغر الذين تولوا رئاسة تحرير الصحف في مصر بعد الأستاذ محمد حسنين هيكل والأستاذ أحمد بهاء الدين ومن قبلهم الأستاذ حافظ محمود. ثم أُسنِدَ إليه رئاسة تحرير مجلة «الهلال» إلى جانب «الكوناك» في عام ١٩٦٩ وظل يجمع بين المجلتين لعدة شهور حتى تفرغ «الهلال»، وأنذَرَ أنه في هذه الأثناء التي تولى فيها رجاء مجلة الهلال، وكانت شاباً في أوائل العشرينيات، وطلب مني رجاء ذات يوم أن أقابلة في مكتبه لأمر ما وذهبَ إلى المكتب في الساعة الثامنة مساءً أو قريب من ذلك، وكنا في ليلة شتوية باردة ، وكان رجاء مشفولاً بمراجعة مادة العدد الجديد من «الهلال»،

المطبعة، وصدر العدد والصفحة الأولى منه متزوعة. وظل رجاء يعمل في مجلة الإذاعة والتليفزيون حتى أوائل شهر سبتمبر من نفس العام، حين فوجى الجميع بما فيه رجاء، بخبر في الصفحة الأولى من الأهرام بأنه قد منح إجازة مفتوحة، وهو التعبير الذي كان شائعاً في هذه الأيام لمن ينحوون عن مناصبهم وكان السبب الذي نشر لهذه الإجازة هو أن اسم رجاء قد وجد في أجندة تليفونات الأستاذ الراحل محمد عروق وهو أحد كبار المتهمين في قضية ١٥ مايو. ومما لا بد من ذكره هنا هو أن رجاء النقاش قد خضع لتحقيقات استغرقت ٣٦ ساعة كاملة أمام محققى وزارة الإعلام لإثبات أية انحرافات مالية أو إدارية في المجلة أثناء رئاسته لها، وكانت نتيجة هذه التحقيقات في صالحه، ولم تثبت عليه أية مخالفات، ولكن تقلبات السياسة أصرت على أنه كان على علاقة بـمراكز القوى.

العودة للهلال

وظل رجاء وهو في قمة عطائه الأدبي والصحفي بلا عمل لعدة شهور، تمكن بعدها من العودة إلى دار الهلال كمحرر في مجلة «المصور» وبنفس راتبه الذي خرج به من دار الهلال قبل ذلك بعامين، وذلك لإصرار الإدارة الجديدة في دار الهلال على عدم الاعتراف بالزيادة التي حصل عليها في مجلة الإذاعة والتليفزيون.

وعندما تولت الراحلة الأستاذة أمينة السعيد رئاسة دار الهلال في فترة لاحقة أرادت أن تضع رجاء رئيساً لتحرير مجلة

والتي في ذلك ورئيساً لتحريرها في فبراير من هذا العام، وكان أول ما فعله أن عدل مرتبات المحررين في المجلة التابعة لوزارة الإعلام حتى تقترب من مستوى مرتبات الصحفيين في المؤسسات الأخرى، وأعلن أنه لن يضع اسمه كرئيس لتحرير على صدر المجلة إلا بعد مائة يوم سوف يقضيها في الإعداد للتغييرات التي سوف يحدثها في المجلة بعد هذه المهلة، واستغرق في هذا العمل وفي مناقشات مع المحررين حول مشروعاتهم الصحفية للمجلة، وعندما حان الموعد المقرر وكان أول عدد يحمل اسمه بتاريخ أول مايو سنة ١٩٧١، وكان يحمل في طياته الحلقة الأولى من رواية «المرايا» وهي أول رواية تنشر مسلسلة خارج الأهرام، وكانت حلقات هذه الرواية تنشر مصحوبة برسوم للراحل سيف وائل، ثم جاء العدد الثاني يوم ٨ مايو وفي العدد الثالث الذي صدر يوم ١٥ مايو كانت الأحداث السياسية المعروفة قد وقعت والعدد الثالث من المجلة قد انتهى طبعه وأصبح جاهزاً للتوزيع، وكانت صورة الوزير المسئول وهو الأستاذ محمد فائق الذي استقال ضمن أحداث هذه الأيام ثم دخل السجن، بعد ذلك - تتصدر صفحات العدد، وكان لا بد أن يوقف توزيع المجلة وتتنزع صورة الأستاذ محمد فائق من صدر المجلة قبل التوزيع، وذهب مجموعة من المحررين إلى المطبعة لنزع هذه الصورة من نسخ العدد المعدة للتوزيع، وكانت تربو على المائة ألف نسخة وتم هذا العمل بمساعدة عمال



جوبين ابنه سعيم مخرج بالتلثيفزيون وزوجته المهندسة نهى العلايلي

١٤٩

حتى جاءت زيارة الرئيس السادات للقدس وأصبحت حدًّا فاصلًا بين كثير من المثقفين والحكومة، فمن كان منهم مع المبادرة فهو مع الحكومة، ومن كان ضد المبادرة فهو ضد الحكومة، وأصبحت الأمور في غاية السوء حتى اضطر رجاء في أواخر سنة ١٩٧٨، إلى السفر إلى دولة قطر ليصدر جريدة يومية هي «الراية» وكانت تجربة مهمة ومريرة، حيث لم يتحمل المصريون الذين جلبهم رجاء لمعانته في إصدار هذه الجريدة، فلم يتحملوا جو المجتمع القطري والمغلق وانقلب أعصاب الكثيرين منهم، وانقلب معظمهم عليه، إما طمئناً في مكاسب أكبر أو خوفاً من العودة إلى الأوضاع المتردية في مصر.

وظل رجاء يعمل في «الراية» حتى

«الهلال» مرة أخرى ، ولكن أحد كبار الأدباء المصريين المقربين من السلطة آنذاك اعترض على ذلك بشدة، وكان أن تدخل الرئيس السادات ومنع أمينة السعيد من أن تضع رجاء رئيساً لتحرير الهلال. ولكن توصلت إلى حل جيد لإنقاذ المجلة من ترددي توزيعها أو هي المجلة التي كانت أعدادها الخاصة في أيام رئاسة رجاء لها توزع ما يقترب من ربع مليون نسخة، توصلت أمينة السعيد إلى أن يوضع اسمها كرئيسة لتحرير ويوضع اسم رجاء مشرفاً على التحرير على أن يقوم هو بالعمل كله.

وفي هذه الأيام كانت صدامات الحكومة مع المثقفين متواتلة، حتى خرج الكثيرون منهم ليعمل في البلاد العربية، ومن استطاع منهم سبيلاً فاالي أوروبا،

الوصاية على رجاء وائل جسرون

تصل إلى حل معقول وهو أن يرفع اسم رجاء من مجلة «الدوحة» على أن يظل يمارس عمله واستمر هذا الأمر سارياً لمدة عام تقريباً حتى عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي وعاد اسم رجاء إلى المجلة مرة أخرى وأصبحت «الدوحة» جزءاً مهماً من أرشيف أي مثقف عربي يرجع إليها كلما احتاج، وعاد رجاء إلى القاهرة ليعمل مدير تحرير «المصور» ويكتب في بعض الصحف العربية، ويدبر بعض مكاتبها بالقاهرة أحياناً حتى عاد رئيساً لتحرير «الكواكب» مرة أخرى سنة ١٩٩٢، وليصبح واحداً من كتاب الأهرام الأسبوعيين منذ سنة ١٩٩٤، ومساواه يواصل كتابته الأسبوعية، ولكنه ترك رئاسة تحرير الكواكب بإرادته سنة ٢٠٠٣ على ما ذكر.

هذه مسيرة قلم مصرى عربى ، كما شهدتها عن قرب إن لم تخفي الذكرة . هذا القلم الذى يعرف فضله الشعراء العرب أو معظمهم، ويعرف فضله كتاب المسرح ومخرجيه وممثليه، أو معظمهم، ويعرف فضله كُتاب الرواية العرب أو معظمهم، ويعرف فضله المشتغلون بالفكر والصحافة أو معظمهم، لقد ألف رجاء حتى الآن ٢٦ كتاباً أو يزيد سينظل معظمها مرجعاً مهماً لاغنى عنه لأى مشتغل بالأدب والثقافة والفكر فى العالم العربي.

إن هذه المسيرة التى تمثله بكفاح شخصى ، شهدته بعينى وهى كفاح مهنى لا ينكره إلا جاحد أو حاسد أو قليل البصيرة.

بداية سنة ١٩٨١، ثم انتقل بعدها رئيساً لتحرير مجلة «الدوحة» وقد كانت الدوحة الشهرية الثقافية مجالاً خصباً لموهبة رجاء الصحافية والأدبية، وأصبحت طوال فترة وجوده بها منبراً ثقافياً مهماً مشعأً في العالم العربي كله، حتى انتهت هذه الفترة بإغلاق هذه المجلة سنة ١٩٨٦ نتيجة لتقشف شديد قامت به الحكومة القطرية، وأغلقت معها عدة مجلات ناجحة كانت تصدر من هذه الدولة الصغيرة منها، مجلة «الصقر» الرياضية ، وفي فترة وجود رجاء رئيساً لتحرير الدوحة وقعت حادثة مهمة لابد من التوقف عنها، ففي سنة ١٩٨٣ إبان رئاسة رجاء لتحرير «الدوحة»، كان الدكتور حسين أحمد أمين ينشر فيها مجموعة مقالات إسلامية أصدرها فيما بعد في كتاب اسمه «المسلم الحزين». وكان ضمن هذه المقالات مقال عن تأملات الدكتور حسين في سورة «اللهب» من سور القرآن الكريم، ولم يعجب المقال المسؤولين عن الشؤون الدينية في قطر وقتها، ووقف رئيس الشؤون الدينية الذي كان له وللشئون الدينية نفوذاً واسعاً في مؤسسات الدولة القطرية، وقف هذا الشيخ على المنبر يوم الجمعة متهمًا رجاء وحسين أحمد أمين بالزندة ، وكانت الخطبة تذاع على موجات إذاعة قطر، وتعدد أيامها أن الشؤون الدينية طالبت بجلد رجاء وترحيله عن البلاد جراء تجديفه وإساءته للقرآن الكريم، ولكن الدولة القطرية استطاعت أن

الإنسانية والشرف

كتب عنه صلاح عبدالصبور أحد رفقاء مسيرة الكبار، يقول في تعريفه برجاء على غلاف أول كتاب أصدره رجاء وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وهو كتاب «في أزمة الثقافة المصرية» ، كتب صلاح عبدالصبور يقول : اذا كان بعض الناس يعبرون الحياة وبعض الناس يعيشونها ، فإن رجاء يعانيها . رجاء صديقى كما عرفته إنساناً عارى الأعصاب . وتلك محنة .. وكثيراً ما يتسائل رجاء.. العيب فينا أم في الناس أم في الزمن ؟

يحمل رجاء في قلبه الفجيعة داننا ، ولكن لا يبكي ولا يعلن بطidan الكل ولا يخاف .. إن الفجيعة في قلبه تصبح حياة ومحبة وشهوة لإصلاح العالم.

عاش رجاء - كما عشنا جميعاً - موزعاً بين القرية والمدينة وبين الثقافة والواقع وبين الحلم والتجربة وبين الرغبة والفعل . ولكنه لأنه إنسان شريف مهما كان لكلمة الشرف من معنى . لن يسقط في هوة اللامبالاة ، ولن يتعالى إلى أبراج الترفع ، لأن إنسانيته وشرفه يعصمها» .

هذه كانت شهادة صلاح عبدالصبور . وهو من أكبر زملاء جيله وأمعهم ، كتبها عن رجاء النقاش ، في بداية مشوارهما في الحياة والعمل ، وأنا أشهد الآن كأخ صغير لرجاء ، كنت أراقب مسيرته بفخر واعتزاز وحزن عند العثرات والمحن ، أشهد أنه منذ وعيت ما حولي . وأنا أرى هذا الرجل يأخذ حياته مأخذ الجد الذي لا هوادة فيه ، ويخلص فيما يفعله إخلاص

«وسام الاحترام» من روزاليوسف ، عام ٢٠٠١

التفاني ، عاري الأعصاب ، كما يقول عنه صلاح عبدالصبور ، سريح الغضب ، ولكنه يحمل قلب طفل يمكن أن يرضى لأى بادرة محبة ما لم يشعر بسوء النية ، وهو عميق الثقافة ، قارئ نهم ، ولا يشبع ، يعقله مرتب ومنظم لا يزيغ عما يريد ولا يتشتت صاحب قلم سهل الكلمات . لامع الأفكار تعلمت منه ما لا أستطيع أن أعدده . وأشهد أنه قد أدى واجبه ولا يزال يؤديه

١٥١

بأمانة سواء كان هذا الواجب تجاه أسرته القريبة أو البعيدة . وأدى واجبه ولا يزال يؤديه تجاه وطنه وأمته ، وهو تتلمذ على أساتذة كبار ، وزامل أساتذة كبار ، ويشر بأساتذة كبار ، ورعى تلامذة كبار . وإن كره البعض أن يعترف بذلك . بارك الله في عمرك يا رجاء ، ومتوك بالصحة والعافية جزاء لما أسدتيه لأسرتك ووطنك وأمتك .

الأدب الشعري

أمينة النقاش

إجابات فنية لبعض أسئلة الحياة الملتبسة والغامضة ، فيحفزنا على تذوق الأدب ومحبته من جانب ، ويوسع مداركنا عبر استشهادات أدبية ، لفهم ما يجرى حولنا وتخفيف ألامه من جانب آخر .

ارتبطت طفولتى وشبابى برجاء ارتباطاً وثيقاً وهيمنت قوته المعنوية على نشأتى ، وحين بلغت السادسة من عمرى اتخذت أسرتى قراراً بتأجيل التحاقى بالمدرسة الابتدائية لمدة عام ، ملزمه والدى المريضه آنذاك بالمنزل . فى تلك الفترة من طفولتى ، أصبحت أمى هي كل عالمى ، التصقت بها التصاقاً شديداً ، وأخذت أنظر بعينيها لكل ما يدور حولى ، أفرح لما يفرجها ، وأغضب لغضبها ، وأشاركتها القليل الذى تقوم به ، تعبراً عن محبتها وإعزازها لابنها البكر . كانت أمى تأبى أن تنام الليل حتى تطمئن على عودة رجاء من الخارج ودخوله إلى غرفته ، كانت تطرب لسماع صوت ارتظام باب المنزل فور عودة رجاء إليه ، لأنه يحمل إليها البشرة بأن ابنها المحب قد عاد إليها سالماً بعون الله ، ولم يصبه أى سوء . ويرغم أن أمى كانت امرأة أمينة ، لا تعرف القراءة والكتابة ، فقد كانت تستطيع أن تميز اسم رجاء فى

أحببت اللغة العربية من والدى ، ومن شقيقى الأكبر رجاء النقاش . عشق أبي اللغة العربية ، ليس بحكم أنه كان مدرساً لها فحسب ، بل لأنه كان شاعراً وأديباً ، وقارئاً نهماً لكتب التراث العربى والإسلامى ، وكانت أجمل اللحظات التى يقضيها ، تلك التى يتلو علينا فيها مقطعاً من قصيدة لفطاحل شعراء العصرین الجاهلى والإسلامى ، أو يقرأ علينا نصاً أدبياً أو آية قرآنية ليكشف لنا من خلال ذلك عن ثراء اللغة العربية، وقدرتها المتعددة على الاستخدامات المختلفة للمفردات والمعانى ، بما كان يستخرجه من تلك النصوص من أنواع شتى من البلاغة ، من كناية وتشبيه واستعارة وما إلى ذلك .

١٥٢

وإذا كانت الموهبة تورث ، فقد ورث رجاء عن أبي عشقه للغة العربية ، وشكل التراث العربى الإسلامى جزاً رئيسياً من ثقافته الموسوعية المتنوعة . عودنا رجاء حين يبدأ النقاش فى أي موضوع خاص أو عام ، أن يكون الأدب حاضراً بقوة ، فيستحضر من ذاكرته روائع القصص العالمى ، وأبيات من عيون الشعر العربى القديم والحديث ليدلل بهما على صحة ما يقول ، وربما ليقدم لنا من خلال ذلك



في فرح ابنته ليس يداعب صلاح عيسى زوج شقيقه أمينة وفي الصورة زوجته د. هانىء عمر وعاصم النقاش

فحين ماتت أمينا اكتشفنا أنه لم يكن
بحوزتنا صورة لها .

كنا أسرة كبيرة العدد ، قليلة الموارد ،
وكان بيتنا فقيرا من كل الإمكانيات
وأبسطها ، لكنه بفضل رجاء ، كان غنياً
بالكتب وبالثقفين العرب والمصريين ،
الذين كانوا يتواجدون - يكاد يكون يومياً
- على منزلنا المتواضع ، الذي ملأته
أسرتي بجانب ذلك ، بطمومحات كبيرة ،
ما كان لها أن تصمد ، أمام شظف
العيش ، وخشونة الحياة ، وفقر الموارد ،
لولا الدور البطولى الفذ ، الذي تقدم
للقيام به بسخاء وبإحساس بالواجب
والمسؤولية «الأخ الأكبر» ، وهو الدور الذي
أمد تلك الطموحات بعناصر البقاء ، وقدم
لها دعائم مشيدة ، تزيل من أمام
انطلاقها ، كل مبررات التعرّض والإعاقة .

قصاصات الصحف والمجلات ، التي كان
قد بدأ يكتب بها وهو لم يتجاوز العشرين
من عمره . ولأن المرض أقعدها طريحة
الفراش ، فقد جمعت أمي تلك
القصاصات ، واحتفظت بها تحت
وسادتها ، لتصبح لحظات البهجة الوحيدة
التي تهنا بها ، وتملا نفسها بالسرور
والرضا حين تسحب تلك القصاصات من
تحت الوسادة ، وتطيل التأمل فيها بفرح
طفولي ، وتغمرها بأحضانها وقبلاتها من
حين آخر ، ثم تعيدها بحرص شديد إلى
حيث كانت ، كأنها كنز ثمين تخشى عليه
من الضياع . كنت أفلدها تقرباً إليها ،
وابتزازاً لعواطفها واقتناصاً لأحضانها
الدافئة وطبعاً حباً في رجاء .

يحمل رجاء غصة في حلقة - كما
أحمل أنا - لم تقل مع مرور الزمن ،

الأرجح البهتان

والثقافة والصحافة ، ولم يتوقف رجاء أبداً عن العمل ، منذئن ، وعلى امتداد أكثر من خمسين عاماً ، في رحلة طويلة شاقة ، حفلت باللون شتى من المعاناة والقسوة والألم ، وقللت فيها الأفراح والمسرات ، لكن مواهب رجاء الإنسانية والثقافية ، أمدته دائمًا بالقدرة على التغلب على منففات الحياة ، والإفلات من الضغوط التي قد تفرضها ، وربما أكسبه هذا العناء بعض الحدة في الطبع وبعض القسوة في الانفعال التي طالت في بعض الأحيان أقرب المقربين إليه ، لكنه يمتلك قلب طفل، يغضب بسرعة، ويصفو قلبه ويتسع صدره لمن أغضبه بالسرعة نفسها .

رسخت رحلة رجاء العملية ، لدى ولد أخواتي ، قيمة العمل ، باعتبارها أحد أهم القيم العليا في الحياة ، وزرعت في نفسي اعتقاداً راسخاً بأن أسوأ أنواع الفقر ، ليس هو فقر المال والموارد ، بل هو فقر الروح وفقر العقل والوجود ، وأنه لا سلطة في الحياة تعلو على سلطة الثقافة والمعرفة .

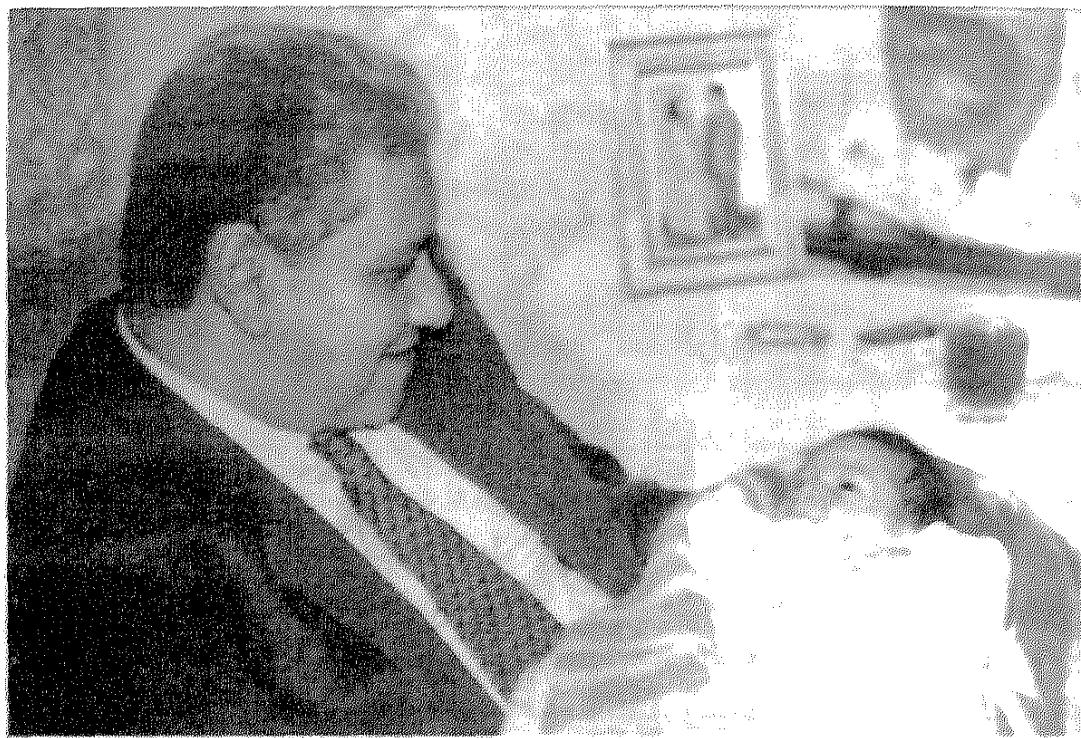
ماتت أمي وأنا في الثامنة من عمري ، وتوفى أبي وأنا شابة أخطو أولى خطواتي في الحياة العملية ، فأصبح رجاء بالنسبة لي أباً وأمّاً وصديقاً . في صحبته أدركت كثيراً من النشوؤات العليا في الحياة ، زرت معه الآثار القبطية والإسلامية في القاهرة ، وشاهدت معه المسرح للمرة الأولى ، ومعه وطئت أقدامي دار الأوبرا المحترقة ، وفي بيته استمعت للمرة الأولى أيضاً إلى أغاني الشيخ إمام عيسى وأحمد فؤاد نجم ، والتقييت بأدباء

تجربة رجاء في أسرتي ، تكاد تكون تجربة قاعدية للأخ الأكبر في الأسرة المصرية ، التي تنتهي للطبقة الوسطى الصغيرة ، إذ يولد الابن الأكبر لأب فقير ، كثير البناء ، يجاهد من أجل أن يضمن لهم مستقبلاً أفضل ، مما كفله له أبوه ، فتنوء موارده عن ذلك ، فيتقدم الابن الأكبر لكي يكون أباً آخر ، يشارك في حمل الأعباء . وفي هذا السياق تميز رجاء على كثيرين غيره من قاماً بمثل هذا الدور ، بأنه أضفى عليه لمساته الخاصة التي امتزج فيها الذكاء بالحنان ، كما أضفى عليه مواهبه التي ورثها عن أبيه ، مما أثر في كل أخوته ، سواء قصد إلى ذلك أو لم يكن يقصده .

وعلى عكس كثيرين من ينتهيون لهذه الطبقة الاجتماعية ، فإن أبي الشاعر والأديب ، كان يتسم بدرجة من الوعي السياسي ، مثل كثيرين غيره من مدرسي المرحلة الأولى في الريف المصري ، انتهى بوجوداته ومشاعره نحو حزب الوطنية المصرية وهو حزب الوفد ، وكان حريصاً إلا يضحي بالابن الأكبر ، ويخرجه من التعليم ، ويدفع به إلى وظيفة صغيرة ، تعاونه على استكمال تربية أبنائه الثمانية ، وساعدته على ذلك ، بأنه كان طالباً مجتهداً ، يمتلك إرادة حديدية ، ويدرك بوعى فطري بأن عليه أن ينهى تعليمه بسرعة ، وألا يكتفى بذلك ، بل يسعى للبحث عن عمل أثناء دراسته الجامعية ، فيعمل طول الوقت دون أن يتخلى عن طموحه وحلمه ، في أن يصبح كاتباً وأديباً ، وصانعاً للنجم ، في دنيا الأدب

١٥٤

٢٠٢٣



مع حفيده زياد هشام مبارك - ١٩٩٦

مشروعه الثقافي والأدبي ، وأبوته الدافعة لنا ، لولا وجود ملاكه الحارس زوجته ورفيقة مشوار عمره طبيبة الأطفال البارعة الدكتورة هانية عمر ، التي خاضت بنوّق رفيع ونفس شفافة نضالاً متصلة ، ضد شتى العقبات ، التي إفترضت حياتها المشتركة مع رجاء ، دون أن تشكو أو ت怨怨 ، أو تخور عزيمتها أو أن تفقد ثقتها أبداً في موهبة رجاء ، أو في الأدوار التي اختار لنفسه أن يؤديها في الحياة .

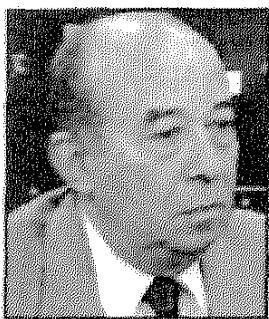
كان مكسيم جوركى يقول إنه ينام نوماً هائناً ، عندما يعرف أن تولستوى ، حى يرزق فى نفس العالم الذى يتنفس فيه ، وهائداً على نحو مستبعد التصديق ، لا يلتئم هنوى النفسى ولا أنام نوماً هائناً ، إلا لأن شقيقى الأكبر وأبى الثانى رجاء النقاش حى يرزق فى نفس العالم الذى أتنفس فيه .

ومثقفين لم أكن أعرفهم ، إلا على الورق فقط ، كان بينهم صلاح جاهين وصلاح عبد الصبور ولويس عوض وأحمد عبد المعطى حجازى ، ويوسف إدريس وسهيل إدريس ، ومحمد درويش وعبد الرحمن منيف .

فى هذه الجلسات تبدت موهبة رجاء الأخرى كواحد من الحكائين العظام ، مثله فى ذلك مثل عبد الرحمن الخميسي ومحمد عودة ومحمد السعدنى ، كما تجلت قدرته الفذة على السخرية والتهكم ، التى تبدأ ب النقد ما لا يعجبه من ظواهر الحياة ، وتنتهى بالسخرية من نفسه إذا اقتضى الأمر ، أو من أخيه الصغيرين فكري وعامص ، اللذين كون معهما صدقة حميمة ، طالما أسرتني بما حفلت به من أبوة غامرة وحنان دافق .

ولم يكن بوسع رجاء أن يواصل

الأدب الأكاديمي



حسين عبد الرزاق □

شخصيات حية تعيش بيننا دون أن يسميها، مطابقاً بينها وبين نماذج قدمها الأدب العالمي والعربي. ومن يومها لم تتوقف عن قراءة كل ما يكتبه رجاء النقاش والتعلم منه، سواء اتفقنا أو اختلفنا. وتابعت أيضاً قدرته الصحفية على وضع بصمة لامعة على كل مطبوعة تحمل مسؤوليتها خلال رحلته الصحفية من مجلة الإذاعة والتليفزيون إلى الدوحة والهلال والكواكب. كان دائماً حريصاً على الجمع بين العمق والمتعة معاً.. يخاطب الخاصة ولا يتعالى على جموع القراء.

والتقينا في نهاية الخمسينات ومطلع السبعينات في منزل الأستاذ والصديق محمد عودة. فقد كان عودة قبلة لكل عشاق الوطن من كبار الكتاب والصحفيين والمفكرين، وإلى شباب الصحافة الذين

عرفت رجاء النقاش قبل أن تلتقي. قرأت له في الصحفة واستمعت له في الإذاعة المصرية، وأسرني أسلوبه السهل والعميق والجميل. كان نقده للأعمال الأدبية التي يتناولها وتفسيره لرموزها بمشابهة قراءة جديدة للنص يضيء لك جوانب أخرى لم تلتفت إليها، ويضيف إليك معان لم تلحظها من قبل، ويحبيبك في العمل الذي يتناوله. ورغم موضوعيته وقوته نقده، فلم يكن قاسياً أبداً. ومنذ قرأت له مقدمته لـ «ديوان مدينة بلا قلب» للشاعر

الكبير أحمد عبد المعطي حجازي،
أحببت الشعر الحديث تذوقته

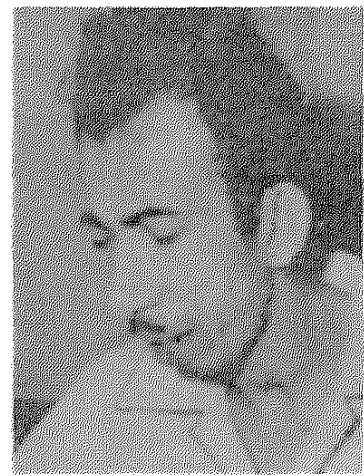
ويبحث عن أشعاره
صلاح عبد الصبور
ونازك الملائكة ويدر
شاكر السياب. وبعد ذلك تابعت بشفف سلسلة مقالاته في «روزاليوسف»، «نماذج بشرية»، التي تناول فيها



□ كاتب صحفى



محمد عودة



بدر شاكر السياب



مصطفى نبيل

الصحافة، وعطاء اختيار الإخراج السينمائي وفكري كاتب مسرحي متميز.. ولكنه أيضا شارك والده بالاتفاق على الأسرة لكي يتعلم الجميع ويغالبوا مصاعب الحياة. واقتدى به إخوته الكبار فعمل بعضهم وهم ما زالوا في دراستهم الجامعية.

ورغم أن رجاء يشقى من أجل الحصول على المال الحلال، فهو لم يرث عن أهله إلا العلم والثقافة والأخلاق والكرامة، إلا أنه معطاء لكل من حوله. فقيمة المال في نظره هو إسعاد الآخرين.. الأهل والأصدقاء وكل من يعرف أنه يحتاجه.

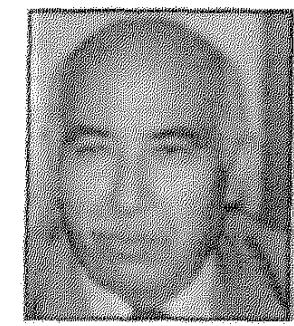
لقد منحنا رجاء خلال ما يزيد عن نصف قرن العديد من المتعة الذهنية وطرح قضايا مهمة للتفكير والجدل من خلال إنتاجه الفكري والنقدى، ومنحنا كثيرا من المشاعر الجميلة.. ولكننا ما زلنا ننتظر المزيد والمزيد.. أطال الله في عمره وفي عطائه.

يطرقون أبوابها بشوق وإصرار. كنت في العام الأخير من دراستي الجامعية بقسم العلوم السياسية بكلية التجارة جامعة القاهرة، وأسعى للعمل بالصحافة حتى قبل التخرج. وعرفتني عودة بكثيرين من كبار صحفي هذا الجيل وشبابهم. وأحببت كثيرين منهم، وكان على رأسهم رجاء النقاش ومصطفى نبيل.

وعن طريق رجاء وعوده تعرفت بعائلة النقاش الواحد تلو الآخر.. فريدة ووحيد وعطاء وأمينة.. أسرة مثقفة من الطبقة الوسطى الصغيرة قادمة من ريف الدقهلية، فقيرة ماديا ولكنها تملك ثروة من العلم والثقافة والمشاعر الإنسانية الفياضة. وتكررت لقاءاتي مع فريدة في منزل محمد عودة وأحببتيها وتزوجنا. وعرفت الدور الذي لعبه رجاء في حياة أسرته. لم يكن مجرد الأخ الكبير والكاتب والمثقف الذي أثر فيهم جميعا ودفعهم - مع والدهم الذي كان معلما وشاعرا - لحب القراءة والثقافة والصحافة «فريدة ووحيد - رحمة الله - وأمينة امتهنوا مهنة

شادٌ بُرْجِي

د. سعيد إسماعيل على



فى قضايا «كبرى»، ومسائل «معقدة»! لم يكن بي عهد فى متابعة مجلة الإذاعة والتليفزيون حيث لا تتيح لى الظروف مشاهدة التليفزيون أو برامج الإذاعة، فإذا بي، عندما أرى رجاء النقاش يقود كتيبتها أحد نفسي أمام مجلة ثقافية تطرق معارك ثقافية وقضايا فكرية لم يكن للمجلة قبلها، ولا بعدها عهد، فأحرص على قرأتها، وأشعر بعد كل مرة وقد امتلأت فكراً وثقافة بعد تناول وجبتها الثرية.

وماذا أقول عن تلك المجلة التى كانت مثل «الشهاب» فى سماء الفكر والثقافة (الدوحة) التى كانت أول إعلان ثقافى عن هذه الدولة - قطر - ييرزها للساحة، ويجعل الناس تتوجه بأبصارها إليها، فتجد المجلة بقيادة «رجاء» منارة ثقافية تطاول مجلة (العربي) التى كانت قد احتكرت مساحة كبيرة من الاهتمام والأهمية فى ساحة الفكر والثقافة، ويوم أن توقيف «الدوحة» وكان صرحاً عزيزاً قد انهار منبئاً بقدوم تراجعات ثقافية وعروبية ثلت بعد ذلك.

كانت المرة الثانية التى سعدت فيها بلقاء رجاء، حفل عشاء على مائدة السفير

كان ذلك فى أوائل عام ١٩٧١، حيث كنت أكتب - أحياناً - بعض المقالات فى مجلة المصور، عندما كان الراحل العظيم أحمد بها الدين رئيساً لها ولدار الهلال، فسعيت مرة إلى مكتب الأستاذ رجاء النقاش، حيث كان رئيساً لتحرير مجلة الهلال، طاماً نشر مقال لي. وكانت الكتابة فى الهلال بالنسبة لي - ولكثريين - شهادة اعتماد لي ككاتب، رغم سبق نشر بعض مقالات لي فى مجلة «الفكر المعاصر»، فى عهدها الأول مع الدكتور زكي نجيب محمود، وعهدها الثاني مع الدكتور فؤاد زكريا، فضلاً - كما أشرت إلى مجلة المصور نفسها ، وقابلنى الرجل بكل ترحاب، ونشر لي مقالى الأول فى الهلال وكان عن عبد الله النديم مربباً. ١٥٨

منذ ذلك الوقت وأنا أتابعه حيثما حل بإحدى المجالات، يحمل قلمه المحلل الناقد يجوس بين ديار الثقافة العربية، فإذا بي أشم رائحة العروبة والوطنية، وأنواع طعم إخلاص، أصبحت قيمة عملته تتراجع شيئاً فشيئاً، وأكاد ألسن كيف يكون عمق التحليل، وصدق النظر، ورشاقة الكلمة تجري على قلمه فإذا بك تمضي دون أن تشعر بوقت يمر بك، رغم أنه يخوض بك



و بدليل أن الكتاب أثار اهتماماً واسعاً، وأحدث ضجة ملحوظة، لأن المحاور هنا ليس مجرد صحفي مهتم بقضايا ثقافية وأدبية، ولكنه ناقد أدبي كبير ومفكر فريد، أهلته حرفته الصحفية أن يكون واضح العبارة، سهل التعبير، وأهلته حرفته النقدية أن يكون متعمق الحديث، حتى يمكن أن تستعير عنوان برنامج عمار الشريعي (غواص في بحر النغم) لتصف رجاء بأنه (غواص في بحر الثقافة)!

شيئان وحيدان وددت لو تمنت - ساعتها - أن أبعث برسالة عتاب إليه: أولهما في أوائل التسعينيات، وكانت أعقد ندوات فكرية كبيرة برابطة التربية الحديثة، وكان من ضيوفها مرة، الشقيقة الجليلة فريدة النقاش، فسألتها عن «تليفون» رجاء أملأ أن نشرف بندوة له، لكنها وهي تعطيني الرقم نبهتني إلى أنه لا يرد عادة على التليفونات، ولم تكن وسائل الاتصال قد تعددت مثلاً هي الآن من «نت» و« محمول »، وجريت أكثر من مرة، وبالفعل لم أسعد بسماع صوتها، فشعرت أنه ليس وحده «رجاء» بل كثرين

ال سعودي السابق، منذ ما يقرب من ثمانى سنوات، دعى إليها بعض الكتاب والمفكرين، وعند التصافح للوداع سألته إن كان يسمح لي بإرسال مجموعة مقالات قصيرة أعدتها تحليلاً اجتماعياً وتنبوياناً ونفسياً لبعض أغانيات أم كلثوم، لنشرها في مجلة الكواكب التي كان يرأس تحريرها فرحب الرجل بحرارة ووفى بوعده كعهد.

أما كتاب رجاء، فقد كان الكتاب الأول الذي قرأته له هو عن «العقاد بين اليمين واليسار» الذي وإن اختلفت مع بعض أفكاره إلا أننى لم أملك إلا الاعتراف بأن الكتاب كان آية أخرى تضاف إلى آيات التقدير والإعزاز لهذا الكاتب النادر حقاً، ومثله الكثير من كتبه التي لا أزعم قرائتها كلها، لكنني أزعم أنني قرأت معظمها، وأآخرها عن (الانعزاليون في مصر)، وخاصة في فترة كتابتي كتاباً عن (الهوية والتعليم)، فأضافت لي الكثير ونبهني إلى نقاط كنت قد غفلتها.

ولم يكن كتابه الذي ضمته حوارات له مع نجيب محفوظ مجرد حوارات تقليدية

عليه برق



كذلك «رجاءات» توجه إليه، وخاصة مني، حيث تؤكد لنا مهنتنا التربوية والنفسية أن «التفاعل المباشر» - وجهها لوجه - أكثر فاعلية من أي صورة أخرى من صور التفاعل، وخاصة التفاعل الورقي! المرة الثانية، معركة دارت بينه وبين د. جلال أمين، عندما كان رجاء يكتب في المصور، وإن لم تخن الذاكرة، كان موضوع الخلاف يدور حول تقييم فترة تاريخية حديثة، فإذا بر جاء - على غير ما تعودنا منه - يطرق جوانب شخصية تتصل

باب ذلك التوصيف الشهير (السهل الممتنع)، حيث لا يغوص في نظريات بلغة متخصصة عصبية على فهم القارئ العام، بل يبسط لك أعقد المسائل ويسهل لك أعنوس القضايا، وخاصة أن أسلوب «الحكي» يغلب عليها، لكنه «حكي» عقلي، ورواية ثقافية، فإذا بالرسالة تصل، وإذا بالفكرة تتسرّخ، وإذا بالقلب يشكر ويطمئن ويلهج بالدعاء أن يحفظ هذا الكاتب الفذ ويزيده من عمره عطاء.

بالدكتور جلال ، فإذا بيأشعر بأن الحدود قد تاهت بين «الذات» و«الموضوع»، وهو أكثر علمًا مني وخبرة بضرورةأخذ ذلك بعين الاعتبار، حتى أنتى نشرت مقالاً تعقيباً على هذا في ملحق الأهرام دون أن أحدد المناسبة أو الأشخاص، كان عنوانه (محاورة أم منافرة؟).

ولا أشك لحظة في أن مقاله الأسبوعي بالأهرام هو من أكثر المقالات الفكرية قراءة، فهو مما يدخل حقاً في

١٦٠

الكتاب

أساميّة أنور عكاشة



من صاحبه أن يقطع مشوارا زمنيا طويلاً كي «يتتحقق» في وعي المتلقى، لذا نعتبر نبوغ «ناقد» في سن الشباب أمراً نادراً ومثيراً للدهشة، حقاً إذا فهمنا النقد على حقيقته الإبداعية، وليس على الشائع لدى جمهرة المبدعين الآخرين من أنه مجرد دراسات بحثية، لا تتطلب موهبة خاصة، وإنما تخضع لقدرة الناقد على «التحصيل» واستخدام طرائق البحث في النهج، وهو خطأ لا يغتفر في النظر إلى العمود الثالث من أعمدة العملية الإبداعية «كاتب + متلقى + ناقد».

والآن .. هل طالت المقدمة التي أريد من خلالها أن أجدد بداية للحديث عن الأستاذ رجاء النقاش؟

في الحقيقة أنا لا أعتبرها مقدمة، بل أظنها دخولاً مباشرًا في الموضوع .. فقد سطع الرجل في أفق حياتنا الثقافية بالنسبة لجيلى في أوائل السبعينيات.

كان شاباً وكنا بشكل أو باخر مجاييلين له، نترهب في معبد الأدب، القصة القصيرة والرواية، وننهل من مناهل العصير الذهبي لثقافة النصف الثاني من القرن العشرين، ونعرف مشاهير «النقاد»: مندور والمعداوي

يسطع الشهاب فجأة وعلى غير انتظار، ويتحول في لحظات إلى «واقع مضى»، لأنه من حقائق الوجود الأصلية، وهكذا يولد الكبار وينبه شأن الأفذاذ، إذ ينبعق عطاوهم من العمر كأنه ميلاد أمر جليل ويتفاعل مع سير الحياة كأنه بعض من سماتها التي اعتادها الأحياء.

وفي اعتقادى أن الأمر يحدث استثناء من قاعدة الحتمية، يشير إلى حداثة قانون الدهشة .. فالإنسان الاستثنائي هو الإنسان «المدهش» الذى يفجئنا فى أول تجلياته بقدرته على إبهارنا والنفاذ إلى مكامن التوقف والرغبة فى المعرفة داخلنا جميعاً.

ويصبح الأمر أكثر استثناء إذا كان المستثنى من مبدعى الجنس الأصعب والأكثر مشقة وجفاً من أجناس الفن والفكر وهو النقد!

فنون الإبداع الأخرى التى تتقاضاها إفرازاً من شاعر أو روائى أو قاص أو كاتب دراما، هى بلاشك فنون أكثر جاذبية وتتمتع بما يتمتع به الأشخاص من صفة «الكاريزمية» التى تحقق الشهرة وذيع الصيت. أما النقد فهو الجنس الإبداعي الأقل حظوة وجاذبية، ويقتضى

الكتاف

الاتجاهات والتيارات.

وكان الظهور اللافت لناقد جديد متميز، يعنى فى تلك المرحلة إضافة زخم إلى زخم واستمرار عملية إنتاج الكواور البشرية الموهوبة فى مصر المحروسة، وفي فترة الستينيات التى مازالت حتى الآن تعد نموذجاً لعصور الازدهار الثقافى، كان الأمر يبدو عادياً، فمع شروق شمس كل صباح كانت هناك موهبة تولد وقلم يتائق، وحالة إبداع تتجلى، لكن الأستاذ رجاء ومنذ ضرورة البداية لجهده وإسهامه الذى يشكل الأن ما يقرب من نصف القرن، جاء برسالة نذر نفسه لها، وظل فيها لها، متفانياً فى خدمتها، وكانت رسالة الكشف عن المواهب الوعادة، مساندة الموهوبين الحقيقيين ومتابعتهم حتى يستطيعوا الوقوف على أقدامهم وتحقيق ذواتهم .. وهكذا لم يكن رجاء النقاش مجرد ناقد تقليدى يملك أدواته ويعامل بها مع كل

ورشدى والراعى وعضو والقط، ونتابع معاركهم، ونتعارك نحن أيضاً فى ظلها وتحتدم مناقشاتنا ومساجلاتنا حول آرائهم الموزعة فى مقالاتهم عن «الفن للفن والفن للحياة»، وعن «الواقعية والواقعية الاشتراكية»، نضرب على غير هدى فى بحر متلاطم تساعدنا على مغالبة تياراته تلك الشرامة النهمة للزاد الأدبى والفنى فى جميع صوره. كنا فى تلك المرحلة الانتقالية التى وضعتنا على طريق الهجرة من أرض الافتتان بالوجودية ويطاركتها من أمثال سارتر وكامو وهيدجر وياسبرز وكيركجارد، إلى أرض التماهى مع الواقعية الاشتراكية والانبهار بالمادية الجدلية والموقف العام، ضد «التوحش الرأسمالى».

نموذج للازدهار

إنها مرحلة العنفوان حين كانت كل المعارك حقيقة، وشابة، ومفتوحة على كل

.. ومع الطيب صالح «١٩٧٧»





صور الإبداع الأدبي راصداً ومطلقاً ومعلقاً، بل كان مع ذلك أو قبله يؤدى بحب وياخلاص غير مسبوق دور «الناقد الكشاف» الذي يبحث في دأب عن جواهر الفعل الإبداعي ويتابع باهتمام «الباحث» كل نفس جديد في الشعر أو الرواية أو الدراما.

وحين يكون هناك ناقد كشاف مثل ما كان الأستاذ رجاء، فوصف «الناقد» يضيق على حجمه ولا يناسبه، ويصبح من الأفضل أن نضعه في مصاف «البنائين» حملة الرسائل وصانعي

التقدم، وهذا هو حجم رجاء النقاش عندي. وأستطيع أن أدعى دون أن أتغفل عليه، أنني واحد من تعلموا واستفانوا من فيض عطاء الرجل، وعبر الأدوار العديدة التي سلكها ناقداً وصحافياً ومحاضراً وكاتباً موسوعياً، كان في كل منها «مبدعاً» بشكل من الأشكال، وكان في كل منها يفتح نوافذ المعرفة، ويفسح مجالات الرؤية لكل من يريد، لأنه لم يكن ذلك المثقف المتعال.. فحديثه بالقلم جرى دائماً على مستوى التلقى العادي، أو حتى «الشعبي»، فكان من هذا المنطلق متفقاً «شعبوياً»، يسبح دائماً ضمن تيار الجماهير، وفي نفس الوقت ضد تيارات

مع الرئيس الجزائري أحمد بن بلة، ١٩٦٢»

السوقية والفظاظة والتعصب.

وأستطيع بلا أى تردد أن أعلن أننى تعلمت من رجاء النقاش في محل الأول معنى الالتزام الحقيقى بقضايا الفن والوطن معاً، وتعلمت كيف يتدقق العطاء عبر كل الحسابات والتحفظات ليخلق تياراً تقدمياً حقيقياً، ينبئ من رصد المصالح المرتبطة بمستقبل الوطن، وليس من ارتباط أيديولوجي بعينه.

وتعلمت دروساً أخرى كثيرة من الأستاذ! والأستاذ لقب عزيز لا يستحقه إلا من كانوا رواداً معلمين وأصحاب رأية ورسالة.



طلیعه أبنائنا جیله

محمد ابراهيم أبو سenna

رجاء النقاش تصيبنا بالذهول. فقد استطاع في فترة وجيزة، وفي سن مبكرة جداً، أن يضع اسمه بجدارة في القائمة الذهبية لكتاب ومبدعى الخمسينيات والستينيات، وقدر راحت تيارات كثيرة على أن يفوز رجاء النقاش - بسباق الماراثون النضالي بين أبناء جيله، بعد أن خاض المعارك الأدبية بشجاعة ونزاهة موضوعية.

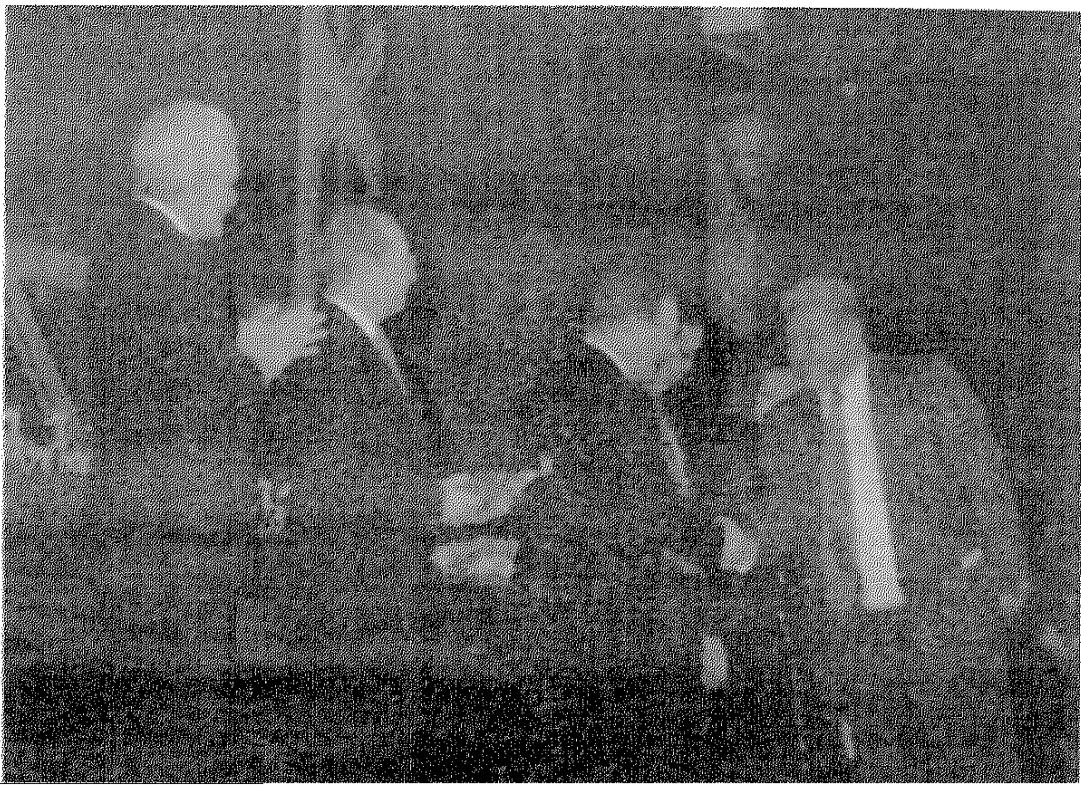
اقتربت منه في مطلع الستينيات عندما عمل مراسلاً نشيطاً لمجلة الآداب البيروتية والتي كانت لسان حركة التجديد في الأدب والحداثة في الشعر، والافتتاح الأدبي والفكري على الثقافة الأوروبية.

رأيت رجاء النقاش يتسم بهذا التواضع الممتنع بالثقة والأمل. جاء من الريف ولكن له لم يكن خجولاً كريفي، بل كان جسيراً مثل أبناء المدينة. ولا أنسى أنه حاول في عام ١٩٦٣ أن يزكي قصائدى للنشر في مجلة «الكاتب» التي كان يرأس تحريرها في ذلك الوقت الأستاذ أحمد حمروش، وقد نشرت عدداً من القصائد في شهر متصلة حتى برزت ملامحى الفنية من خلال هذه القصائد. وأظن أن جيلنا مدين في جانب مضىء

رجاء النقاش ليس مجرد اسم كاتب وناقد كبير يزهو به جيلنا، بل هو حركة ثقافية كاملة. فمنذ سطع نجمة وتلاؤ، في الخمسينيات من القرن العشرين، وهو يزداد تألقاً ورسوخاً في الوجдан المصري والعربي، بسبب عطائه المتنوع الفياض بالجدة والجدية والدعوة إلى التقدم والعقلانية. ظهر كالشهاب وسط أنهار الإبداع الأدبي في محيط الخمسينيات معروفاً بذكائه الشديد وإنسانيته العالية، وتدفق كتاباته وحيوية وجاذبية شخصيته. كنت الحظ ذيوع اسمه في المنتديات والجمعيات الأدبية التي كنت أرتادها باعتباره موهبة فذة في مجال النقد الأدبي.

١٦٤

ورأيته لأول مرة في مقهى «إنديانا» بالدقى، حيث كانت كوكبة لامعة من الأدباء الشبان يلتلون حول الناقد الكبير الدائم الصيغت في ذلك الوقت «أنور المعاوى»، وبدوت شهراً رجاء النقاش بعد أن كتب مقدمة نقدية تقىض بالإعجاب لـ «مدينة بلا قلب» الذي صدر عن دار الآداب عام ١٩٥٨. ثم التقيت به في دار أخبار اليوم حيث عمل مع الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين، وكانت مقالات



صفوت الشريف .. رجاء النقاش ولحظة التكريم

من حضوره لمبارات رجاء النقاش
الكريمة والتطوعية.

مواقف كثيرة أذكرها فأشعر بالغبطة لأنني عرفته واعتبرته صديقا وأمتعتني كتاباته. وتوقفت طويلا أمام كتابه عن العقاد ومحمود درويش - وأبى القاسم الشابي. كاتب يمتلك هذا السحر الذى يفيض متعرقا فى أسلوب بالغ النضارة
والبساطة والوضوح والجسم.

رجاء النقاش يصبك بالفرح كلما التقيت به ويترك لك أعز الذكريات كلما غاب عنك. ستنظر لحظات اقترابنا، رغم تبعدها، تومض هذا الضوء الصافى من المحبة والإعجاب، ومع كل كلمة أقرأها له، وسيظل اسمه وعطاؤه محفورا في الذاكرة والتاريخ الأدبى فى ثقافتنا العربية المعاصرة.

وينتمى رجاء النقاش إلى نسق نادر من البشر فهو نبيل فى خصومته، سخى فى صداقته، لقد رأيته يعرض خدماته على الكثيرين فى كل موقع عمل فيه. وخلال عمله رئيسا لتحرير مجلة «الهلال» الفراء رحب بنشر قصائدى، وكان ودودا إلى حد أقام بيني وبينه جسرا لا ينقطع مهما تقلبت الأيام. وقد نشر مقالا قاسيا عن ديوانى «الصراخ فى الآبار القديمة» فى مجلة المصور، ورغم إحساسى بالألم بعد قراءة هذا المقال إلا أننى طويت هذه الصفحة، وغفرت قسوته، وبقيت أتعامل مع إنسانيته المشعة ونبله النادر. وكيف أنسى ما حيت استجابته السريعة لنشر قصائدى على صفحات مجلة الدوحة، حين

كلمات في القالب

ليناكيلاني

المجالس الأدبية، ولبيتنا نصيب منها. وكانت المجالات تتدفق من حولي وخاصة التي لم يبريقها في دول الخليج عامة، وفي الكويت وقطر خاصة ، فأتاولها بشفف ، لأنني كنت موزعة بين عالمين، عالم الأدب الذي أتنفس فيه، وعالم العلم الذي توجهت إليه في دراستي حتى الشهادات العليا.. لكنني كنت أحلم بالكتابة أكثر من التقدم العلمي من خلال اختصاصي، وفي العمل .. ويوم أن قطعت نفسي عن عالم العمل الوظيفي، وتوجهت للكتابة، حملت هم الكلمة والحرف، فأصبحت كاتبة للأطفال ومن ثم للكبار ومن خلال اتحاد الكتاب العرب.. والقصة طويلة.

أما كيف تعرفت إلى رجاء النقاش، فذلك كان عندما حملت إنتاجي الأدبي وجئت إلى مصر في منتصف السبعينيات في زيارة خاطفة، ولم أعرف حينذاك أن القاهرة، هذه المدينة الساحرة ستخطفني في قادم الأيام لأن التحصق بها. أقول جئت إلى مصر.. مصر الشعاع الثقافي للعالم العربي.. وكنت قد طلبت من أحد المثقفين البارزين من زملاء والدتي، وهو في الوقت ذاته صديق لرجاء النقاش، أن يعرفني إليه، فما كان منه إلا أن حملني رسالة قصيرة صغيرة تطبع في مغلف

لو قرأت كتاباً أو مقالة في صحيفة فهذا يعني أنك مهمتم، ولو واظبت على القراءة والدراسة والبحث فهذا يعني أنك مثقف ومتابع، بينما لو أمسكت بالقلم وخضت في عالم الحرف.. أو ركبت سفينة الفن مبحراً إلى شواطئ تعرفها سلفاً فهذا أنك مبدع. والإبداع صفة إنسانية مميزة تتجلى في وجوه عدة .. ليس أولها الإبداع الأدبي ولا آخرها في صيغةتناول الحياة ذاتها.

مبدعون كثيرون تتائق أسماؤهم ويتألق حضورهم على الساحة الإبداعية .. ولكن منهم من هم نجوم حقيقة تلتمع ولا تنطفئ .. تتألق ولا تبهت .. قد تتعب لشدة توهجها فتسكتين مدة في فسحة للذات.

١٦٦

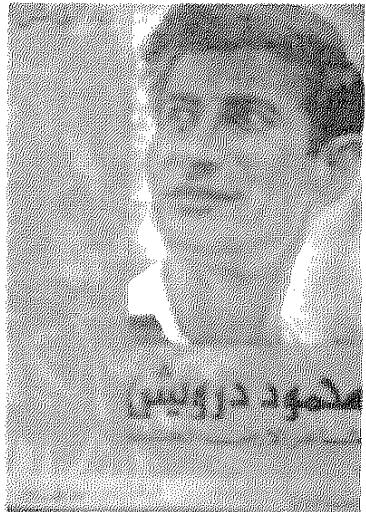
في ظلال وجهه كنت أقرأ عنه وله .. صحيح أنها قراءات محدودة لكنها كانت تكفي لأن أتعرف إليه ولو قليلاً .. (رجاء النقاش) .. اسم كبير في عالم الأدب والنقد والصحافة أيضاً .. فماذا سأضيف له في كلمتي الخاطفة هذه؟ أقول إنني عرفته قبل أن أتعرف إليه .. عرفته وأنا صفيرة في السبعينيات، إذ أسمع اسمه في النقاشات الأدبية والنقدية التي تدور في الندوات أو في

أبيض اللون هي بطاقة
لتتعرف إليه. قرأت تلك
الرسالة المقضبة مرات عدّة
بعد أن سمحت لنفسي أن
أفتح الملف وأنظر بها،
طالما أتنى سأجلعها سبيلاً
كافياً لأن التقط سماعة
الهاتف وأتحدث إليه.
تكلمت معه عبر الهاتف
وتوجهت لزيارته وأنا أرسم
في ذهني صورة أحاول أن
أطبقها مع إيقاع الصوت الذي أتاني عبر
الأثير.

حر وجريء

صحيح أتنى لست غريبة عن كثير من
أدباء الوطن العربي ومتقفيه وممن عرفتهم
منذ الصغر، وأكثرهم إلحاضاً على ذاكرتي
الطفولية آنذاك كان (سعد الله ونووس)
الشاب المتطلع لعالم الأدب في ذلك
الحين وهو يعقد صداقات من نوع خاص
 جداً مع طفلاً، ولم أكن في يوم بعيدة عن
(ذكر يا التامر) أو (محمد الماغوط) أو
(توفيق فياض) أو غيرهم، ولكن قلبي كان
يتحقق مع إيقاع خطواتي وأنا أتوجه إلى
موعدى في ذلك اليوم وأحتضرن مخطوطى
الأخير، وجاعنى صوت أمى عندما قالت
لى : لا تذكري اسمى له .. فهذا ناقد حر
وجريء وصريح وقلمه يجرى في الضوء ..
فلو كان لديك ما يستحق النشر فلسوف
يساعدك». ولكن في الحقيقة لم أكن
أشعرى لنشر مؤلفي بقدر ما كنت أسعى
لتتعرف إليه.

وصلت .. ويمودة وهدوء عذب
استقبلنى .. ولا أنسى تلك السيدة الرائعة



زوجته .. وفي لقائي الأول
هذا معه لم است الجانب
الإنسانى الراقي والرفيع
قبل أن تتطابق الصورة
الأدبية فى ذهنى مع إنتاجه
الغزير، والذى كنت أقرأ
بعضاً منه فى الصحف
المصرية . وكذلك وجدت
 وجهاً اجتماعياً محبوباً
ومحترماً من المستويات
الفنية كلها سواء فى
المسرح أو السينما أو
الأدب أو الصحافة.. إلخ... انتهت
زيارة تلك ولم تكن الوحيدة .. وبالفعل
قال لي بعد أن قرأ أحد أعمالى : «هذا
أدب حقيقي .. يجب أن يرى النور».
عبارة مختصرة وسريعة من ناقد له
مكانته العالية في الثقافة، كانت مفتاحاً
وحافزاً لي بدأ معها مشواري الأدبي في
مصر .
من يجرؤ على نقد الناقد؟.. أنا
بالذات لن أفعل .. إذن فلن أتناول إنتاجه
الغزير الذى يتوزع بين المقالة الأدبية
والمقالة الصحفية والمؤلفات الأدبية
والدراسات النقدية، وغيرها ..

(رجاء النقاش) .. سيرة أدبية وذاتية
مشرقة في سمائنا الأدبية .. وبصمة لها
خصوصيتها المترفة .
فتحية لك يارجاء النقاش وداعاء ..
 وكلمة صغيرة لك من القلب .. من قلب
الوطن العربي «دمشق» التي مدت
جسورها ولا تزال إلى مصر ، والتقت
معها في النبض والحب .. وما أنت في
حياتك الأدبية إلا خفقة نابضة في الوطن
كله من محیطه إلى خليجه .

مُهْكِمُ الْقَلْبِ

أحمد ركي عبد الحليم □

ينحنى لأحد ، بل أكثر من ذلك فإنه قد شق طريقه في مجال النقد الأدبي بقوة ، وذلك وسط جيل من العمالقة الذين كانوا كفiliين بأن يلقوها بظلالهم على أى قادم ، إذا لم تكن قامته جديرة بأن تطاول قاماتهم ، وأن تتيح له مكاناً رحباً يتوازى مع موهبته .

وإذا كانت ظروف الحياة قد فرضت على رجاء النقاش أن يحفر في الصخر في بداياته ، فإن ظروف الواقع قد فرضت عليه أن يواجه تغييراً خبيثاً كان يراد من ورائه تحطيم معنوياته وثقته بنفسه ، بحيث يرتد إلى نقطة البداية وكأنه لم يفعل شيئاً طوال السنين الماضية

لكن رجاء النقاش سرعان ما استعاد ثقته بنفسه وبقدراته وإمكاناته وقلمه وعطائه ، فعاد يفرد من جديد من خلال أسلوبه الجذاب ، ومن خلال قدرته على فهم النصوص واستيعابها ، ومن خلال تفوقه في الوصول إلى لحظة التنوير في كل عمل أدبي ، إلى جانب أنه تعود أن يحفل بالنص دون أن يلتفت كثيراً أو قليلاً لما إذا كان صاحب هذا النص من أصحاب الشهرة أو من أولئك الذين

من حق الكاتب المبدع والناقد الكبير رجاء النقاش أن يمسك بين يديه بما حققه من حصاد في رحلة عمر ، شهدت إنجازات متعددة سواء في مجال الإبداع أو مجال النقد الأدبي والفنى أو مجال الصحافة ، حيث كانت له إسهامات متعددة ما بين مجلة الإذاعة والتليفزيون ، ومجلة الكواكب ، ومجلة الدوحة ، ومجلة طبيبك الخاص التي تولى مسئولية تحريرها لفترة من الزمن ، دون أن يكون متاحاً له أن يبرز اسمه ، بسبب حصار رب السيف والقلم له في هذه الفترة التاريخية .

وإذا كنا نتحدث عن حصاد الأيام الماضية لرجاء النقاش ، فإننا في نفس الوقت ننتظر منه إبداعاً أكبر وعطاءً أكثر في قادم الأيام .

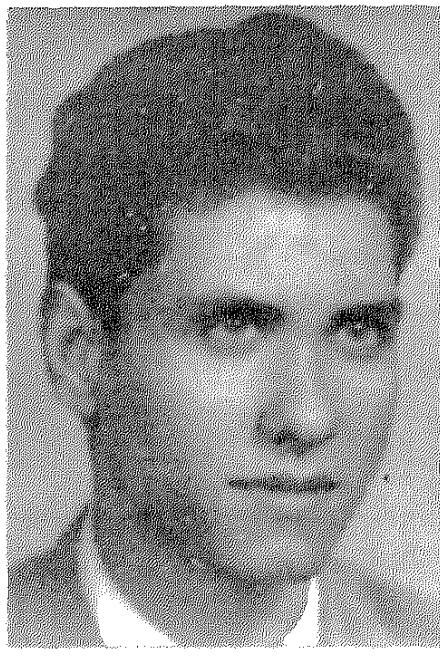
بين جيل العمالقة

والحقيقة أن طريق رجاء النقاش لم يكن مفروشاً بالورود والرياحين كما قد يتصور البعض . فقد كان عليه أن يخوض غمار الحياة وهو مازال طالباً في الجامعة ، وكان عليه التزام أدبي نحو آخرين ، وقد استطاع أن يقف على قدميه ، وأن يظل منتسب القامة ، دون أن

١٦٨

ج - ب - د - ج

□ كاتب صحفي كان قد كتب هذا المقال للهلال في بنایر الماضي قبل رحيله



الموضوع تؤكد أن رجاء يريد أن يتخلص من بعض المحررين بالتحديد ، وهنا وضع رجاء النقاط على الحروف عندما طلب إليها أن تختار أى ستة من محرري الكواكب ، وفي المقابل أعلنت أمينة السعيد أنها لا تتنازل عن أبدا . وقد دفعني هذا الموقف المتشدد إلى أن أقول لزميل وصديق أن أمينة السعيد أشبه ما تكون بزوجة ترملت في شبابها ورفضت أن تتزوج مرة أخرى من أجل ابنها الصغير . فلما كبر وأراد أن يتزوج ، وقفت في وجهه بإصرار حتى يقابل تضحيتها بتضحيه مماثلة ، وأعترف بأن هذه المقارنة قد أفلقت أمينة السعيد وسببت لها متاعب نفسية ، ولكنها لم تغير موقفها أبدا ..

على أن رجاء النقاش قد وجد مكانه الطبيعي فيما بعد ، عندما انتقل من رئاسة تحرير مجلة الكواكب إلى رئاسة تحرير مجلة الهلال . وهكذا عاد الفارس

يقطعون أولى خطواتهم على طريق الإبداع ، وعندما تولى رئاسة تحرير مجلة الكواكب ، فإن هذا الاهتمام قد امتد من مجال الأدب إلى مجال الفن . ونحن نذكر له أنه كان أول من قدم الشاعر الكبير أحمد فؤاد نجم واللحن الشيف إمام . وإذا كان من الصحيح أن موهبة فؤاد نجم لا تخطئها عين ، فإنه من الصحيح أيضا أن مواهب كثيرة قد ضاعت في الزحام بسبب فقدان الفرصة . ويحسب لرجاء النقاش أنه في هذه الفترة الشديدة الحساسية من تاريخ مصر والتي أعقبت النكسة ، كانت الصيحة الرائجة أنه لا صوت يعلو على صوت المعركة . ولكن رجاء رأى أنه يجب أن تكون هناك أصوات أخرى ، وبخاصة إذا كانت هذه الأصوات تنتقد الأوضاع القائمة ، وهكذا حملت صفحات الكواكب لقرائها تلك الأشعار الصارخة بالحق والجمال والصراحة .

إذا كان قد أسيء فيما بعد تفسير موقف رجاء النقاش ، فإنه لم يكن يعنيه في الحقيقة إلا أن يعلو صوت مصر ، وكل صوت يعبر عن مصر ، حتى لو كان هذا الصوت خارجا على السياق العام .

عودة الفارس

ولعلني هنا أتذكر واقعة خاصة ، ذلك أنه بعد أن تولى رجاء مسئولية مجلة الكواكب ، استأنف من السيدة أمينة السعيد رئيسة تحرير حواء في ذلك الوقت أن انتقل للعمل معه ، وقدم لها قائمة بأسماء ستة محررين من الكواكب مقابل التنازل عنى . وتركت السيدة أمينة صلب

أصحاب الفكر والرأى والثقافة والأدب .

وقد جرت مياه كثيرة فى نهر عطاء رجاء النقاش ، ورغم أن مياهه عذبة كنهر النيل إلا أنه دائمًا ما يصادف ورد النيل ، وهو اسم يطلق على تلك النباتات التي تعيق مجرى النهر من ناحية ، والتى تتسبب فى الإصابة بمرض البليهارسيا ، ولذلك كان أخرى بها أن تكون أشواك النيل وليس ورد النيل .

على أية حال ، فقد عاد رجاء النقاش إلى مصر ليجد فى انتظاره «ورد النيل» متمثلاً فى رب السيف والقلم ، الذى كان لديه إصرار عنيد أن يحاربه حتى النهاية ، دون اعتبار لما يمكن أن يسببه الحرمان من الكتابة من آثار نفسية لكل صاحب قلم ، فما بالنا إذا كان صاحب هذا القلم رقيقة ، وعذبة ، ومتدفقاً ، تماماً مثل نهر النيل .

والحقيقة أن السيدة أمينة السعيد ، والتى كانت فى هذه الفترة قد أصبحت رئيس مجلس إدارة دار الهلال ، قد حاولت قدر المستطاع أن تهيئ له طاقة نور يطل منها على قرائه . وعندما ضاقت بها ويه السبيل ، لم تجد إلا أن يتولى رجاء رئاسة تحرير مجلة طبيبك الخاص ، على أن يكون ذلك غير معلن من ناحية ، وغير معروف لأطراف معينة من ناحية أخرى .

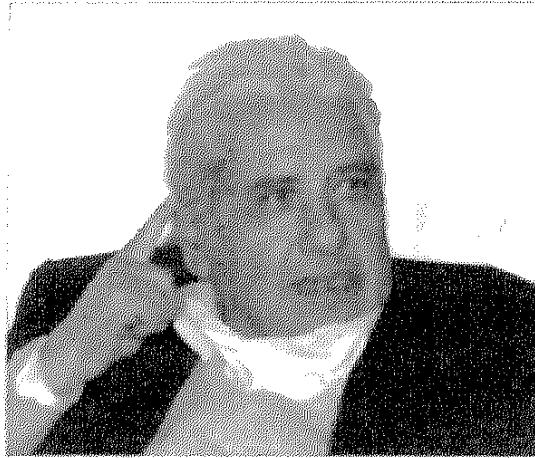
وقد تكون هذه الحقيقة مجهولة في تاريخ رجاء النقاش الصحفى والأدبى ، ولكن من يعيد النظر في المجلة هذه الفترة سوف يجد بصمات كاتب متوفّق وصحفى متميّز وناقد يُعرف جيداً كيف يطل على

إلى ميدانه الأصيل ، ووجد تربة صالحة لكي يبذّر فيها بذور صحفة ثقافية رفيعة ، شهدت عديداً من الإنجازات تمثلت في أعداد خاصة عن شخصيات أدبية مرموقة ، إلى جانب كتابات رموز الفكر الثقافى ، بحيث يمكن القول أن مجلة الهلال قد شهدت ثلاثة عصور ذهبية بدأت مع الدكتور أحمد زكى ، وامتدت في عهد كامل زهيرى ، وتواصلت على يدى رجاء النقاش .

الخيار الصعب

ورغم هذا النجاح الكبير ، فإن رجاء النقاش قد قبل أن يخوض تحدياً جديداً من خلال مجلة الإذاعة والتليفزيون ، حيث تحول بها من مجلة تهم ببرامج الإذاعة والتليفزيون إلى مجلة ذات إطلاعة فكرية وفنية وثقافية ، فأضاف إليها بذلك رواده جديدة ، جعلت منها كياناً صحفياً متميزاً ، واكتسبت جماهيرية كبيرة .

ثم هبت عواصف السياسة لتهدم ما هو قائم وتحاول أن تضع مكانه بنياناً جديداً دون أن يحفل أحد بمن انهدمت العابد فوق رؤسهم ، وهكذا وجد رجاء النقاش نفسه في مهب الريح ، وأن كل مابناه في رحلة عمر وعطاء يكن أن يضيع في لحظة واحدة ، وكان الخيار قاسياً ، فلم يكن أمامه بعد فترة من المعاناة إلا أن يقبل تحدياً جديداً ، ولكنه هذه المرة خارج بلده ، حيث سافر إلى قطر ، وهناك بدأت فكرة إصدار مجلة أدبية جديدة ، والتي تبلورت في مجلة الدوحة ، والتي كانت بالفعل دوحة لكل



وشخصيات أدبية تركت بصمة في حياتنا الثقافية، ولعله أكثر من كتب عن عباس محمود العقاد والدكتور طه حسين والدكتور زكي نجيب محمود ويحيى حقي وصلاح عبد الصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي.

وتبقى هذه باقة ورد متواضعة لكاتب أنصف الكثرين، وقد جاء الوقت الذي تنصفه فيه، ويرى أن ما زرعه من صدق موضوعية وعطاء واجتهاد لابد أن يكون له حصاد لدى الآخرين.

وهذا بعض حصاد مازرعه الكاتب والناقد رجاء النقاش في رحلته الإنسانية التي ندعوا الله أن تعمد لكي يعطي أكثر، باعتبار أن أفضل ما لدى الكاتب هو الذي لم يقله بعد.

وليس هناك التباس في الحديث، ذلك أن رجاء النقاش الإنسان هو نفسه رجاء النقاش الكاتب، فهو من الحالات القليلة التي يتوحد فيها الفنان مع الإنسان، ولذلك فإن رجاء النقاش يعرفه الذي يقرأه، ويقرأه الذي يعرفه، وفي الحالتين يجد أجمل صحبة للقلب والعقل معاً.

حياة الناس وكيف يرصد متابعيهم.

وذهب رب السيف والقلم، وعاد رجاء النقاش إلى مكانه ومكانته في دار الهلال وكان من الطبيعي أن يستعيد موقعه قديماً في مجلة الكواكب، رغم أن مكانه الطبيعي كان في مجلة الهلال، ولكنه كان قادرًا على أن يثبت ذاته وقدراته، وأن يقف على قدميه من جديد، وأن يظل على القراء من فوق أي منبر، المهم هو أن يقول كلمته، وأن يعبر عن رأيه، وأن يجتهد مخلصاً وصادقاً وأميناً. خلال هذه الفترة أهدى لنا رجاء النقاش كتابه الرائع «في حب نجيب محفوظ» الذي واصل فيه وبه ومهله رحلة تفوق في الإبداع، ذلك أن حواراته لم تكن عملاً صحفياً بقدر ما كانت محاولة موفقة وناجحة لأديب وناقد متميز أراد أن يكتشف قارات جديدة في عالم نجيب محفوظ.

باقة ورد

وبعد، فقد حرصت على أن أكتب عن رجاء النقاش، الإنسان الذي عرفته عن قرب، وظلت بيننا مودة متبدلة على القرب والبعد، وتلك من مميزات شخصيته، فهو لا يقطع خيوط المودة مع الآخرين. وكانت له رسالة حب غالبية عندما أفرد أكثر من حلقة في أسبوعياته بالأهرام لكتابي «أحمد شوقي شاعر الوطنية»، مؤكداً بذلك أنه لا يهمل جهود الآخرين، وأنه يضع كل شيء حيث يجب أن يكون موضعه، حتى لو مرت فترة زمنية طويلة، ولعل هذا ما يفعله رجاء النقاش كثيراً حيث يعود بنا إلى كتب



الشناوي في الأدب

جورج البهجوري

الشديد.

إلا أنني عندما سافرت إلى باريس
وعشت يوما مع شقيقه النبيل : وحيد
النقاش، كنت أرسمه بسهولة أكثر، لأن
وجهه مثث حاد وعيونه واسعة مفتوحة،
تشرح كل ما في أعماقه من أحاسيس.
إنه يهمس إلى نفسه، يفتح فمه ليتكلم
كلمات قليلة. يسكت ثم ينصل ويبدأ
بكتابة كلمة واحدة. تصبح الكلمات بكرة
خيط بها آلاف الأمتار.

منحنياً على مكتبه وأوراقه، و كنت
الرسام الوحيد الذي هجر غرفة الرسامين
إلى هذه الغرفة المجاورة يجتمع فيها
أعلام الكلمة في أحلى سنوات العمر
و والإبداع.

وكنت قد قرأت كلمة في مذكرات بابلو
بيكاسو بأنه لا يحب الجلوس إلى
الرسامين أمثاله ولكنه يفضل صحبة
الأدباء والنقاد والشعراء والمفكرين.. لذلك
تابعته في مذكراته، وشهد عصره صداقته
بابيلوار وماكس جاكوب وجان كوكتو
وبودلير.. ودى شامب. تعجبت لبوح
بيكاسو في هذه الآونة التي جعلت هذه
المجموعة في سنوات العصر الذهبي منذ
الثلاثينيات والأربعينيات هي قمم مشتركة

وجه رجاء النقاش أقرب إلى شكل
المربع أو المكعب، إلا أنه ليس هندسياً
بصفة سميتية، لأن صعوبة الرسام معه
أن نصف الوجه لا يقابل النصف الآخر
 تماماً، وهو بالنسبة لرسام الكاريكاتير
بالذات لا يجد مجالاً للسخرية ولا حتى
المداعبة، لأن الفكين غير منتظمين والوجه
ليس له مفتاح للدخول إلى شخصيته، ولا
يوجد حل سوى متابعة الروح الهادئة
الصافية.

كلامه همس وصوته له رنين عاقل،
وانتظام في تسلسل الحديث وترتيب وجهة
النظر إذا كانت تمس صميم عمله كناقد.

صريح لا يجامل

ولكنه يضع لمسة النقد الأولى ويرتب
عليها سرداً بطيئاً لتكملاً لنظريته التي
يبني عليها منطقاً وقاعدة علمية وهو
صريح لا يجامل ولكنه حاد قاطع في
تحليله النقدي وكشف العيوب.

لا تستطيع كرسام أن تتطلع إلى
عينيه لتعرف ما بداخله.. والعين عين
الرسام عندما تدور لتباحث عن «السلوقيت»
لا تجد سوى دوران أقرب إلى المربع،
ماعدا الخط المرتعش الذي يحدد الرأس
من أعلى. ناهيك عن ولعه بالخجل

١٧٢



يكتب بأصابع صغره جمعيّة بيكاسو

التي أضافت إلى إلهاماته من إلهامها، لأنها مصورة فوتografية في أعمال مستقبلية في فن التصوير الفوتografي التي كتبت عنه أخيراً، في مذكراتها معه ١٧٣ قبل وداع الحياة، وقالت إنها أجمل فقرة في حياتها هي مرحلة حبها لبيكاسو.. وقد التقى به في مقهى المعروف دى ماجواه Deux Magois . وكنت قد جلست مرات عدّة، كلما مررت بالسان جرمان على طاولة بيكاسو، وعندما قدم لي الجرسون نوّة الطلبات الآنية كأنها كتيب صغير محلي بالصور، وإضافة فقرة جميلة تقول «هنا على هذه

لإبداع التي تختلط فيها الريشة مع القلم، حتى رينوار الابن الذي أبدع في مسيرة الفيلم.

يقول أيضاً إنه يتغنى في نفمتين مختلفتين، ولكنها يكملان ويزدهران في آن واحد. لأنه يرسم بعين ويستمع بعين أخرى هي أذنه.. يسمع أشعارهم كأنه يراها فيزداد وهجه وحنينه إلى الرسم وربما يشتعل لهب الرسم بكلمة رنانة قالها صديقه بجواره بحكمه جديدة أو فكرة نادرة أو بيت شعر، حتى النساء في حياة بيكاسو يكملون معه في إطار أجمل مما لو كان وحده، فهذه حبيبته دورا مار

أشتادى في الأدب

قد شرعت في فن النحت بباريس.. وأضيفت إلى هديته أو هديتي دعوة لأقدم مطعم فرنسي في الحي اللاتيني، اخترت بنفسي أنواع النبيذ المعتق، وازدادت المتعة عندما انضمت لنا صديقتي إيزابيل الرسامه الشقراء وهي تحلم بليلقاء أحد شعرائها المفضلين، لأنها قرأت ترجماته وترجمات روایات نجيب محفوظ وإدوارد الخراط وأخرين من مكتبة سندباد.

في غرفة الأدباء

كل هذه التراثة الباريسية هي مقدمة لعشقي للأدب وللأدباء، ومتابعة لهجرتي من غرفة الرسامين في مجلة روزاليوسف إلى غرفة الأدباء وهم بالصدفة جوقة نادرة مع لقاء صلاح عبدالصبور على يميني، رجاء النقاش أمامي، وأحمد عبدالمعطي حجازى على الجانب الآخر.. والثلاثة في قمة العطاء.

أما المناسبة التي خطفتها هي عنودى على مكتب صديق عمرى الرسام والشاعر صلاح جاهين عندما ترك مكتبه وغادر الدار إلى الأهرام، حتى أنى فتحت أحد دراجه الخاوية، فعثرت على مسودة لليلة الكبيرة بخط يده احتفظت بها حتى الآن.. أكملت الدور حتى الإنقان.. فائنا لا حضور لي ولا لى وجود.. ولابد أن ينسونى تماما.. لا أحد يكلمنى، غارقا فى أوراقى، أرسم حتى منتصف الليل وهم الثلاثة ربما ينضم لهم عبدالله الطوخى أو فوزية مهران أو ينضم محمد عودة أو كامل زهيرى أو زينب صادق، أوراقى منتاثرة مبعثرة وهم حول رؤوسهم حالات نور كما القديسين، يتداولون

المائدة جلس سارتر وسيمون دى بوفوار ورينيه ويج ومالرو وألبير كامي وبريتون وبيكاسو وكوكتو ويدلير وإيلوار».

جاءتني على التو إحدى قفشات اللحظة عندما فاجأت دونيس أقول له ضاحكاً: هيا بنا نغادر المقهى لأنهم لم يذكروا أساسينا، فضحكتنا من جديد وقد كان لي شرف ضيافة الشاعر دونيس، لأننا أصدقاء باريس أولًا، ولأنه أهداني نسخة خاصة بورق الرسم (الفبريانو الفاخر) أغلبها أبيض، وهو يعرف جنونى بالرسم، فكان ديوانه الأخير هدية متبادلة، كنا قد اتفقنا عليها كصفقة محبة وإعجاب متبادل، لأنى أعدت له الهدية محللاة بهدية منى، حيث ملأت جميع الورقات البيضاء إلى رسوم ليس لها علاقة بكلماته، كما اتفقنا تماما دون أن يكون رسمي كرسوم الكتب والصحافة

تشرح فكر الشاعر :

قال لي : أنا أرسم كما الموسيقى، وأنت ترسم بخطوط موسيقية أيضا، ما رأيك أن تلتقطى الأوتار سوية من كلماتى ورسومك..

١٧٤

كانت صحبتي له من أسعد لحظاته كرسام مع الموضع والموضع وتنفيذ الفكرة، وأنذكر أنه أجمل ما قرأت ورسمت، ولكن للأسف إنها نسخة واحدة أضيفت إلى مكتبه بل إنه جعل لي ركتنا خاصا بها وضع فيها الكتاب المشترك وقطعة من نحت البرونز اقتناها منى في إحدى زياراته لى في مرسى إيفري، و كنت



مع جورج البهجورى والكاتب الصحفى عبد الله إمام «١٩٦٠»

ييتسم على جانب واحد والذقن لها قوس مبطط والخط السلووي للوجه لا يذكرنى بشئ سوى ملامح جديدة وربما طريقة تصفيف شعره هي التى تعطى نغمة لها جمالية في الخط بشكل معين.

ورغم أنك تشعر بأنها رأس تحمل قاموساً مزدحاماً بالثقافة ووجهات النظر الخاصة به، إلا أن هذا التمييز تقرأه عندما يكتب ولكنه لا يحكى تماماً وكأنه يقول بعض العناوين لمقالته.

هكذا عرفت رجاء النقاش زميلاً لي في غرفة واحدة عندما هجرت غرفة الرسامين برغم سحر شخصياتها، أمثال الفنان المبدع «جمال كامل» وأحد ظرفاء مصر «بهجت»، والساخر المثير رجائى

كلمات لها مغزى كبير وأنا كنت مازلت طالباً في كلية الفنون الجميلة (السنة النهائية)، إنهم يتداولون كلماتهم في صمت وأنا أختزن كائني لص يلقط ويحاول أن يعرف سر الخزينة أو المفتاح. أنا جاهل لا أفهم سوى فن التشكيل والرسم وفلسفة التكوين والتعبير وبعد الرابع.

لكنى سعدت به رجاء في إحدى مقالاته عندما بدأ يقرأ اللوحة، فأسهب في تحليلاته النقدية التشكيلية في لوحات سيف وائل وكانت فعلاً مفاجأة.

ثم فجأة ذات صباح، رسمت «بورتريه» لرجاء النقاش؛ وجه مبطط بسيط بملامح عادية، الأنف معتدلة،

استمارى في الأدب

عبدالصبور قصيده، فضحكنا أكثر..
إلا أن حوازاتنا زدت وتأذلت،
وأصبحت أدرس في صمت فن الأدب
عندما يجيء آخرون إلى ذات الغرفة من
كبار جيل النبوغ السحرى في المسرح
والرواية والقصة والقصيدة، أمثال سعد
الدين وهبة وعبدالقادر القط وأمل دنقل.
تركوني في ركنى الصغير منحنيا على
اكتشافات الفنون التشكيلية لإبداع رسم
جديد، لأنى لم أكن حرفياً أعمل
بالصحافة رغم العشرينات من العمر،
ولكنى كنت أجرب واخترع تلخيصات
حتى أصل إلى الموجز.. يزداد عندي
الشفف في الرسم فأمحو التفاصيل ثم
أعود إلى الخط الأخير الذي يحدد كل
الملامح الشخصية ذاتها، أما النكتة فهي
تخرج عابرة تلقائية بلا قانون في فن
الرسم.. لا تكوين ولا بعد رابع ولا شرارة
في الخطوط.

لذلك ازدادت لدى مفهومات جديدة
تقرب في الرسم من الأدب. وتنكرت مرة
أخرى كيف يكتب «كوكتو» عن فن لوحة
محددة وهو الذي يسميها ويعطى لها
عنواناً مثل لوحة (دورامار) الشهيرة،
المرأة التي تبكي أو دموع دورامار
وكذلك في لوحة مدموزيل أفينيون،
حيث سقط بيكانسو فجأة ذات ليلة في
مدينة أفينيون الجنوبية بعد بوردوا في
ملهي ليلي، فرسم كما لم يرسم في
حياته على أوراق عديدة تشبه أوراق
تغليف العلب والصناديق، واكتشف وسط
الفتيات مدموزيل أكثر عنوية من أي
عذراء، بالإضافة إلى لوحته الكبيرة

ونيس، والصامت في ذكاء «أحمد
حجازى» و«صلاح الليثى» الذى نحت
ركنا بعيداً في مكان مجھول ليرسم
وحده. بالإضافة إلى صاحب الضحكة
الصافية والمرح الدائم «به عنایت»، إلا
أن نظرية احتكارى بأعلام الأدب من
جيلى كان قد تحول إلى إلحاد بلا منازع
مؤمناً بنظرية بابلوبيكاسو إنه يزداد عقله
وهو يرسم.. حتى لا يصبح فقط حرفياً أو
متقن صنعة الرسم دون تطوير الذهن
وازدحامه بوعى الحياة والخروج إلى
الكون الواسع من خلال الكلمات في
الشعر والأدب والنقد.

الأدباء يعتبرون أن الكلمة مقدسة، ولا
يجوز لفنان من نوع آخر كالرسام
والموسيقى والطبيب أن يستعملها ولو في
مذكراته.. فهي مقصورة عليهم فقط ومن
يدخل حلبتهم يحتقرونه بأسهل الوسائل
وهي التجاهل التام.

إلا إنني دخلت عالمهم بالوضع
الطبيعي والجوار الطبيعي، وكأنى أشرب
كل صباح ومساء جرعة كاملة من عصير
الفيتامينات. وبدأت أحفظ بعض العبارات
الساحرة الواقع والاستماع.. عندما يقول
عبدالصبور مثلاً : صدر جديد.. طائران
أزغبان أو يقول عبد العطى حجازى:
سلمك العالى إلى أين يؤدى. وارتاح لى
رجاء النقاش بالذات وبدأ يبتسم لرسومى
أو قفشتى المرسومة وأشهرهم رسالة
جاءه من معجب رجل كتب على المظروف
إلى الأنسنة رجاء النقاش، ورسمت لصلاح

١٧٦

جـ ٢
٣
٤
٥

الشهيرة (جورنيكا)
القرية التي دمرها فرانكو
أثناء الحرب العالمية
الثانية.



الفنون عندما تجتمع
تصبح صيحة واحدة،
كما تلتقي أصوات
العازفين في نغم واحد
على مسرح الأوبرا، لذلك
كنت أحلم أن تبقى جوقة
واحدة بين الرسم والأدب
والشعر.

رغم روعة الثلاثة في
غرفتي الجديدة، إلا أن
همسى مع رجاء النقاش
ازداد يوماً بعد يوم،
وخاصة عندما نعود
سيرا على الأقدام من

القصر العينى إلى وسط البلد، وكأننا
عشنا على شيء مشترك هو المناقشة
الخافتة الهامسة التي تتمر أكثر فكرا
جديداً.

أصبحت تلميذاً للناقد والكاتب الكبير،
زميل غرفتى، رجاء النقاش، وطلبت منه
نصيحة أو نصائح فأرشدنى إلى أول
كتاب يهم قارئاً ناشئاً مثلى وهو (رسائل
نهرو إلى ابنته آنديرا).

ثم أدخلنى عالم تشيكوف وجوجول
 وتولستوى وجوركى ودستويفسكي،
 فأصبحت مثله أسير بجواره حاملاً كل
 منا مكتبة كاملة تملأ حيزاً كاملاً تحت
 إبطنا.

مشكلتى الوحيدة مع أستاذى رجاء
النقاش أنه لم يقرأ كلمة لي، وربما لا
يعترف بأنى روائى يعتمد على المشهدية
المرسومة، بل إنه كان رئيس لجنة تحكيم
جائزه نجيب محفوظ للرواية التي تنظم
كل عيد ميلاد للكاتب الكبير الذى
بالصدفة يوافق عيد ميلادى.
ثلاث مرات أتقدم وأفشل كروائى،
ولكن أستاذى رجاء النقاش لم يعطنى
صوتاً واحداً، رغم أن روایاتى الثلاث
نالت تقدير د. على الرااعى وإلواز
الخراط وصلاح فضل وخیرى شلبي، وهم
أكبر رواد أدب الرواية.. لكن الديمقراطية
لا تعرف العلاقة الشخصية.



المُعْجَزَةُ

أحمد علي بدوى

أسماء أناتول فرانس وأندريه جيد وفرانز كافكا - ومعها أسماء أخرى عديدة - بقلم طه حسين في مجلة الكاتب المصري التي رأس تحريرها في الأربعينيات من القرن العشرين، وكتب باللغة العربية أسماء الأدباء الأميركيين وليم فوكنر وإرنست همنجواي - ومعهما أسماء أخرى عديدة - بقلم لويس عوض في مقالاته التي نشرها بين سنتي ١٩٥٧ و ١٩٥٩ في جريدة "الشعب" و"الجمهورية"، وبقلم لويس عوض أيضاً كتب باللغة أسماء الشعراء الروس ماياكوفسكي ويسينين - ومعهما أسماء أخرى عديدة - في مقالاته التي نشرها بجريدة الأهرام بعد انتقاله إليها في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، وبيقلم رجاء النقاش كتبت نصوص عمقت معرفتنا بإبداعات أدبية حملت أسمى تولستوي وتشيكوف، ومعهما أسماء أخرى عديدة!

وكان رجاء النقاش الأصغر سنًا من بين من تعرضوا لهجمات العقاد الباطشة! العقاد الذي اشتُرك في عنفوانه مع طه حسين وتوفيق الحكيم ثم واصل معركته الفكرية مع توفيق الحكيم ثم ناوش أمين

جرت العادة على أن تلحق كلمة "المعجزة" باسم من أسماء الإنسان يدل على واحدة من مراحله العمرية، وهي بالتحديد الطفولة؛ فيطلق على من أتقن العزف الموسيقي في سن مبكرة وصف "الطفل المعجزة" لأنه في سن المبكرة يؤدي العزف بإتقان مماثل لذلك الذي يؤدي به من يبلغون سن النضج. ولأن سن النضج للعازف هي سن العشرين أو ما دونها بقليل فإن الذين يستحقون وصفهم بالمعجزة بفضل سبقهم إلى الإتقان هم الأطفال. هذا عن العازف، أما الكاتب فإنه لا يبلغ سن النضج إلا في الحلقة الخامسة من العمر؛ لذا حق أن تطلق صفة "المعجزة" على شاب لا يزال لأبناء جيلي ونحن في سن العشرين أنه في سن الثلاثين أو ما دونها بقليل، وهو رجاء النقاش! كانت نصوصه المبدعة في الصحافة المصرية تصيب في تيار نحت له البعض فيما بعد اسم "الاستغراب" (ليس بمعنى الاندهاش، بل بمعنى التعريف بالغرب؛ كما يسمى التعريف العلمي بالشرق "الاستشراف") هذا التيار الذي بفضله كتبت أسماء أجنبية لأول مرة باللغة العربية؛ فكتبت باللغة العربية

١٧٨



١٧٩

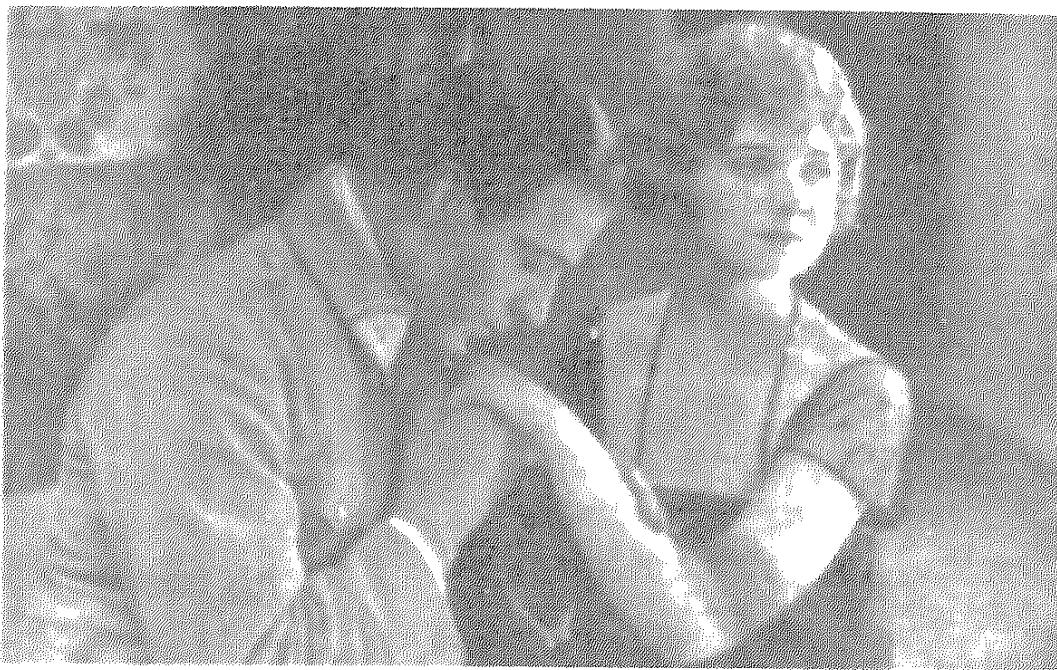
الجلد - قيادة ٢٠٢٠

البورتريه للفنان محمد حجي

البشرى والخصوصة مع الحياة". والكتاب يبدأ بمقالة تحمل نفس عنوان الكتاب: "التماثيل المكسورة"، وفيها يعرض الكاتب للأشخاص الذين يكرهون الامتياز ويعادون التفوق ولا يحب الواحد منهم "أن يرى تمثلاً جميلاً تنظر إليه العيون بإعجاب"، ولا يستريح إلا "إذا حطم هذا التمثال ورأه مجموعة متناثرة من الأحجار"; ولكن من بين عوامل انتشار تلك الظاهرة - كما يقول رجاء النقاش في نهاية المقالة - "أن الشخص الممتاز نفسه يتتيح الفرصة لمثل هذا الموقف؛ فهو غالباً ما يكون منصراً إلى الأشياء الجوهرية في الحياة"، وهو يرجع إهمال الشخص الممتاز تحصينه لنفسه إلى "ما يصح أن نسميه ضعف العظماء؛ وهو الضعف الذي يؤدي إلى عدم رؤية الآخرين رؤية صحيحة، والعجز عن تصور انفعالاتهم الخفية"، وهو تشخيص ينم عن نبل القائل به؛ إذ أن للصورة جانبها الآخر، والذي صوره هو نفسه في فصل آخر من فصول نفس الكتاب، هو الفصل الذي عنوانه "الطفل الدليل" (يقصد الفنان) حيث أورد ترجمته البدعة لتصريح لأوسكار وايلد قال فيه "أحطت نفسى بأصحاب العقول الصغيرة، وأصحاب النفوس الصغيرة، وأسرفت فى تبديد ذكائى وفى تبذير شبابى الذى كنت أظنه لا يفنى أبداً الدهر؛ وكنت أجده فى هذا التبديد وهذا التبذير لذة عجيبة!" إلا أن هناك لذة أسوأ: اللذة الخطيرة كما سماها رجاء النقاش في فصل آخر حمل هذا العنوان، إنها لذة الفشل، الذي "يتتحول

الخلوى وأصطدم بمحمد مندور: كانت آخر معاركه معركته مع رجاء النقاش، ودارت على صفحات "الأخبار" حول كتاب رجاء النقاش "التماثيل المكسورة"؛ ومن بين ما أخذه العقاد على الكتاب خلوه من الهوامش التي تذكر فيها المراجع التي استلهمها مؤلفه، وأجاب رجاء بما يفيد بأن فضول الكتاب هي كالمقالات الأدبية؛ تتعلقها إضافة الهوامش إليها.

وبالفعل فإن فضول الكتاب هي مجموعة من المقالات وإن آخر صاحبها أن يصفها في المقدمة بأنها صور نفسية، صور كانت المشكلة الرئيسية فيها كلها هي المشكلة التي شغلته سنوات طويلة، فانصرف إلى التفكير فيها بعقله وقلبه معاً، وهي نفسها المشكلة التي وجد الكثيرين يفكرون فيها مثله وربما أكثر منه... ويبحثون لها عن حل؛ "وهي مشكلة لا يمكن تحديدها في كلمة واحدة. إنها مشكلة الخصومة مع الحياة، تلك الخصومة التي يقول الكاتب إن إنساناً واحداً لم يفلح في الإفلات منها، وإن كل إنسان يتسائل عن الطريق إلى الحياة في سلام مع نفسه، وفي سلام مع الناس؟ وعن العقبات التي تقف في الطريق؟ وعما هو الأمل... والتفاؤل... والتشاؤم... والحزن... والفرح؟ وهي أسئلة يحاول في كتابه أن يجيب عليها... مجرد محاولة، لا تزيد في أنجح صورها عن أن تكون مجموعة من أقراص الأسيرين هدفها تخفيف ذلك المرض القديم: الحزن



فالنتينو في فيلمه «فرسان نهاية العالم الأربع»

شاباً ومت شاباً!...، ونحن نعرف أن هذا المثل قد حدث المقربين إليه عن كابوس يعاوده بري فيه نفسه متهميا داخل سيارته وقد اصطدمت؛ مما يوحى بأن المنية قد وافته عن مطلب منه خفي أو غير خفي، ولكنه هو الذي ألح عليه، ويقول رجاء النقاش إن جيمس دين لم يكنحزين الوحيد في أمريكا، بل إن هناك غيره وإن بدوا أقل منه تشاواما، ومنهم الروائي جون ستايتنبك الذي أبدع في تصوير الطبيعة (البرية) الأمريكية: « فهو يتحدث كثيرا عن المياه والحقول والسماء والليلي المقمرة والشمس الدافئة... كأنه يريد أن يقول للأمريكان: إن في الدنيا شيئا غير الآلة... إن الحقول أجمل من ناطحات السحاب، وأنشعة الشمس الدافئة أعظم من تكييف الهواء!»

وفي فصل عنوانه "ابتسما" يقول لنا رجاء إن الابتسام هو سر الحياة... هو

إلى عادة ثم اقتناع... وفي آخر الأمر يصبح لذة يمارسها الإنسان باستمتاع وسعادة. ولذة الفشل تبدأ عندما يلقي الإنسان سبب فشله على الآخرين؛ فيشعر أنه بريء أو شهيد، ويبعد عن نفسه تماما مسؤولية الوضع الذي وصل إليه: فلا يحس بالقلق الذي يشعر به إنسان ينقد نفسه ويراقب تصرفاته ويضع أمامه هدفا يريد أن يحققه... ثم يتعب ويعرق في سبيل الوصول إليه.

وفي فصل عنوانه "الأمريكي الحزين" يحدثنا رجاء النقاش عن فنان الشاشة الأمريكية الساطع جيمس دين، والذي عرفه جمهورنا عندما تألق في فيلم إيليا كازان "شرق عدن": كيف دفعه حزنه إلى قيادة سيارته بسرعة رهيبة: حتى لقي حتفه فيها، وهو القائل عن سلفه رودولف فالنتينو الذي لقى مصرعه شابا في حادث طائرة "ساكون أنا كذلك.. عش

حتماً أن نعكف عليها حتى تكتمل قدرتنا على أن ننبرى للموضوع؛ ذلك أن العلاقات الاجتماعية السوية لا يمكن أن تتحقق وتنجح ما لم يتم شفاء النفس، وهو الموضوع الذي كرس له المفكر المصري الرائد يوسف مراد أحد مؤلفاته، وكان الدكتور يوسف مراد أستاذًا بقسم الفلسفة وعلم النفس في كلية الآداب بجامعة القاهرة وهو الذي أشرف في أيام بعيدة سبقت ثورة ٢٣ يوليو - على رسالة لالماجستير كتبها في موضوع "الأسس النفسية للإبداع الفني" شاب أصبح فيما بعد "الدكتور" (من لندن) مصطفى سويف الذي نعرفه جميعاً ونجله، والذي نال - في السنة الماضية - جائزة مبارك للعلوم الاجتماعية. وقد وضع يوسف مراد أسس منهجه في علم النفس الذي اتّخذ له اسم "التكاملية"؛ وحيث يكون للتأمل الوعي - المشابه نوعاً ما لذلك الذي يسلطه المتصوفون على الذات - فضل فهم مشكلات يواجهنا بها الموضوع، مشكلات تتعلق بالوجود والعدم والحرية والعمل والمعرفة والإبداع؛ وهذا يفعل آلية تعاؤد وصل الذات بالموضوع على نحو يكاد يماثل الحركة اللولبية.

التماثيل المكسورة

وقد صدر كتاب الدكتور يوسف مراد "شفاء النفس" من دار المعرف في سلسلة "اقرأ" التي صدر فيها أيضاً كتاب طه حسين "أحلام شهرزاد" وكتاب رجاء النقاش "التماثيل المكسورة" ، والذي أتيحت لى فرصة الاطلاع عليه حين تلقيت نسخة منه هدية في عيد ميلادي العشرين

الترفع على أذاتها والتكبر على مشاكلها، وهو الجهد المتواضع النظيف لوضع الزهور على المقابر... واعتصار المحبة من أشواك العواطف الصغيرة، وهو الاستغاء الجميل... والاكتفاء بسعادة الرضا الداخلي، وتدريب النفس على الاحتمال".

وفي صفحات كثيرة من الكتاب يتجلّى إعجاب رجاء النقاش بتولستوي؛ فهو في نظره أشبه بالأنبياء، وهو يذكر عنه أن أسئلة ستة ظلت تراوده، وهي "لماذا أعيش؟ ما سبب وجودي ووجود كل إنسان غيري؟ ما سبب الخلاف الذي يوجد داخلى بين الخير والشر؟ كيف يجب أن أعيش؟ ما الموت؟ كيف يمكنني أن أصل إلى النجاة؟" وعندما نبلغ هذا الموضع من كتاب رجاء النقاش تكون قد قطعنا منه مئة من الصفحات؛ ونحس لزاماً علينا أن نعود إلى أسئلته هو الأولى التي طرحتها في مقدمة كتابه: كيف يجد الإنسان الطريق إلى الحياة في سلام مع نفسه، وفي سلام مع الناس؟ ما هي العقبات التي تقف في الطريق؟ ما هو الأمل، وما التفاؤل، وما التسامم، وما الحزن، وما الفرح؟" فهل بات في مقدورنا أن نجيئ بأنفسنا عن أسئلة الواحد منهما والأخر، أم أننا لا زلنا في حاجة إلى ما (أو من!) نتوكأ عليه؟! أيا كانت إجابتنا فإن ما نخرج به من هذه القراءة هو ضرورة البدء بالذات في سبيل الوصول إلى الموضوع، الذات التي يجب



جون شتاينبك

مجلة "المجلة" ومجلة الأزهر، وأخيراً وليس آخرها في المجلة الصادرة عن الدار التي نشرت للعقاد كتابه "خلاصة اليومية" سنة ١٩١٢ وهو بعد في الثالثة والعشرين؛ ونحن في الحالين أمام أرفع الأسماء: "الهلال"!

كان ذلك الطالب من أشد المتحمسين للعقاد؛ لذلك فوجئنا نحن طلبة قسم الصحافة المنتظرین نتيجة امتحان الليسانس في صيف سنة ١٩٦٥ بذلك الذي علمناه عن زميلنا؛ فقد كان المنتظر من أي من التكوينين اللذين نالهما أن يساعدنه على إلقاء الضوء على الطريق الذي يسير هو فيه، فكر العقاد ومنامج قسم الصحافة بكلية الآداب، ذلك القسم الذي كان يدين بحياته لعلم من أعلام الكلية، أعلام قسم اللغة العربية بها:

في ربیع سنة ١٩٦٤ من زميل لى في قسم الصحافة من كلية الآداب بجامعة القاهرة؛ أجل كلية الآداب التي كانت في ذلك الوقت تضم من بين أقسامها قسم الصحافة الذي تضمه اليوم كلية الإعلام، وكان الزميل الذي أهدى إلى الكتاب - معبراً بخط يده على الصفحة التالية لغلافه عن أمله أن يلقى الكتاب بما فيه من تجارب وأفكار بعض الضوء على الطريق الذي أسير فيه - أحياناً يتختلف عن حضور بعض المحاضرات؛ فإذا سأله - متى رأينا في وقت لاحق - عن سبب تخلفه أجاب بأن "مهمة إنسانية" هي التي شغلته. وبعد أدائنا الامتحان وأثناء انتظارنا النتيجة، نشرت الصحف أرباء إحباط مؤامرة سياسية ونشرت أسماء المتهمين بالضلوع فيها، وفوجئنا بأن الثالث أو الرابع من الأسماء بعد اسم سيد قطب هو لذلك الطالب الذي ألفنا صحبته لا في المحاضرات النظامية طيلة الأسبوع فحسب، بل أيضاً في أيام الجمعة حين دأبت مجموعة منا على ارتياح ندوة العقاد (والتي كان هو نفسه - العقاد - يعتز بتلك التسمية لها؛ ولا يساير مسمى "الصالون" السخيف!!). وقد لحقنا بأواخر أيام الندوة والعقاد في الرابعة والسبعين من عمره، يضع المسات الأخيرة في كتابه "يوميات" الذي جمع فيه مقالاته المحدثة في "الأخبار" بمثلاً جمع في كتابه "ساعات بين الكتب" مقالاته المبكرة في "البلاغ"، ويثابر على كتابة المقالات الأسبوعية في جريدة "الأخبار" والشهرية في ثلاثة مجلات هي

في القرون الوسطى باعتبارهم أسلافا للكتاب والحررين المعاصرین؛ فهل يدهش صحفيو اليوم إذا قيل لهم إنهم من سلالة الجاحظ والقاضي الفاضل وبديع الزمان الهمذانی (أول من ترجم الشعر من الفارسية إلى العربية أو الأقدم من بين من فعلوا ذاك) وعبد الحميد الكاتب وابن العميد؟ كلا إن كان هؤلاء الصحفيون من تلامذة الدكتور عبد اللطيف حمزة، والذي واصل - بطبعية الحال - تحليلاته لنصوص آباء الكتابة الصحفية حتى أدرك القرن العشرين وأدباء الذين كتبوا في الصحافة، وصحفييه المحترفين.

وعندما رأس الدكتور عبد اللطيف حمزة قسم الصحافة بكلية الآداب لم يقصر هيئة التدريس فيه على أعضائها من المتخصصين الذين درسوا لنا تاريخ الطباعة (الدكتور خليل صابات) والصحافة العربية (الدكتور حسنين عبد القادر) والأجنبية (الدكتور إبراهيم إمام) والإخراج الصحفى (الدكتور أحمد حسين الصاوي) ومعهم بعض الصحفيين المهنيين الذين حدثونا عن خبراتهم (ومنهم الأستاذ على حمدى الجمال) والذين ظللنا نفترض من نبع عطائهم منذ بدأنا نستمع إليهم وحتى اليوم. بل وجد من بين أساتذتنا من جمع فى شخصه بين النموذجين الأكاديمى والمهنى، وهو الدكتور حسنين عبد القادر؛ فإلى جانب موقعه الأكاديمى الذى أطل علينا من عليهائه، كان أستاذنا هذا من بين من تولوا رئاسة تحرير مجلة "بناء الوطن" التى تميزت بدورها الإيجابى فى تلك الفترة من

والذى كان الدكتور عبد اللطيف حمزة يدرس فيه الأدب المصرى فى العصور الوسطى، بدءا بالفاطمى منها ومرورا بالأيوبي وانتهاء بالملوكى، وهو تخصصه الذى كتب فيه رسالته للدكتوراه تحت إشراف الأستاذ الكبير أحمد أمين ووضع فيه المراجع وحقق بعض النصوص التاريخية المنسوبة لرجاله. كما كان الدكتور عبد اللطيف حمزة يلقى محاضرات فى معهد الصحافة الذى يلحق به الحاصلون على الليسانس من مختلف الكليات، الحقوق والتجارة والأدب وربما البكالوريوس من كلية العلوم أيضاً وعلى هذا النحو كانت الدراسة الأكاديمية للصحافة: على غرار نظائرها فى كثير من دول العالم، تالية للمرحلة الأولى من الدراسة الجامعية - مرحلة الليسانس أو البكالوريوس - لا جزءا منها؛ حتى أنشئ قسم الصحافة فى كلية الآداب ليدخله الطلبة الحاصلون على شهادة إتمام المرحلة الثانوية، مثله مثل سائر أقسام الكلية.

١٨٤

قسم الصحافة

وعندما اتجه الدكتور عبد اللطيف حمزة إلى تدريس الصحافة واختار أن يكون موضوع درسه أصول فن التحرير الصحفى، لم يكن قد بعد به العهد عن تخصصه الأصلى؛ فاستهل سلسلة المراجع التى كتبها فى مادته - وانتهى لها عنوان "أدب المقالة الصحفية" - بصفحات حل فيها كتابات الأدباء العرب

ماضي بلادنا .

وإنما جعل الدكتور عبد اللطيف حمزة من قسم الصحافة "فلك نوح" ! فمن أجل إثراء معلوماتنا انتدب أستاذًا من كل قسم من الأقسام الأخرى بكلية الآداب؛ فمن قسم التاريخ جاء الدكتور محمد أنيس ليدرس لنا تاريخ الشرق (في السنة الثانية) ثم تاريخ أوروبا (في السنة الرابعة) ومن قسم الجغرافيا جاء الدكتور إبراهيم رزقانة لتدريس الجغرافيا السياسية في قسم الصحافة! ومن قسم اللغة الإنجليزية جاء "المعيد" (آنذاك) سمير سرحان لتدريس الأدب الإنجليزي، ومن قسم الفلسفة جاء الدكتور مصطفى سويف لتدريس علم النفس الاجتماعي، ومن قسم اللغة العربية جاء الدكتور محمد كامل جمعة ليدرس لنا فن المقالة الأدبية؛ وكان قد نقل إلى العربية مقالات أدبية ليشيل دى موتنى (١٥٣٢ - ١٥٩٢) رائد فن المقالة الأدبية في الفرق الأوروبي، ولا زال ما تعلمته من الدكتور كامل جمعة نبرا سالى وأتنا أسعى إلى إجاده ما أكتبه - شهراً تلو شهر - من نص أطمع أن تشرفني مجلة الهلال بقبول نشره؛ وهو شرف لا يعدهه لدى أى شرف، شرف تمنيته منذ بدأت قراءة المجلة العريقة وأنا في السابعة من عمرى!! كما أفخر بأن مكتبتي الخاصة ما زالت تضم - أقرب ما يكون إلى مستتناول يدى - ثلاثة مجلدات تضم الأصول الفرنسية لمقالات موتنى، وبيانها تضم أيضاً مجلداً يجمع الأصول الإنجليزية لنحو ثلاثين من المقالات الأدبية



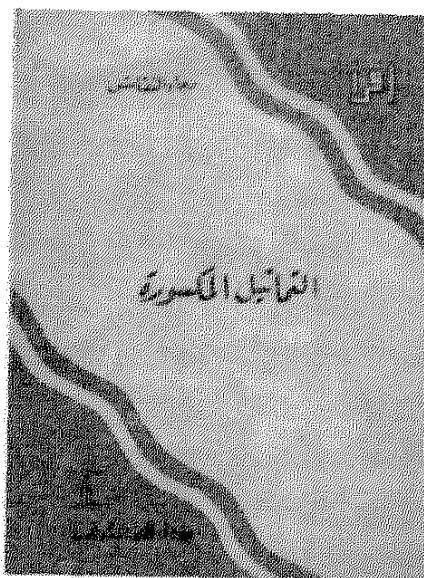
جيمس دين على دراجة بخارية مع إيليا كازان الثمانى والخمسين التى أبدعها السير فرانسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) الذى تأثر فى إنجلترا خطى الرائد الفرنسي موتنى، وأيضاً كتاباً جمع بين دفتيره مجموعة المحاضرات التى ألقاها سنة ١٩٥٩ الدكتور محمد عوض محمد، الأستاذ المبرز بكلية الآداب وعضو مجمع اللغة العربية على طيبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالمية التابع لجامعة الدول العربية فى موضوع "فن المقالة الأدبية"؛ وهو مرجع واصلت الاهتمام به فى طريق طويل اهتديت فيه من قبل بمراجع الدكتور عبد اللطيف حمزة التى حوت - من بين حوت - نصوص ما ألقاء علينا من محاضرات. بل لقد انتدب الدكتور عبد اللطيف حمزة أستاذة من كليات أخرى للتدرис طلبة الصحافة فى كلية الآداب؛ فمن كلية

الوطن بعد نيله درجة الدكتوراه، فإن محاضرات الدكتور محمد مندور لنا كانت آخر ما ألقاه من محاضرات في حياته! إذ وافته المنية في مايو من نفس العام، دون أن تقر عينه بقراءة إجاباتنا على أسئلة الامتحان الذي وضعه لنا.

إلى هذا الحد كان قسم الصحافة بجامعة القاهرة في ذلك الوقت: حتى استحق وصفى له في إحدى الجلسات إجابة بعض المستمعين بأن الأجر كأن يسمى "قسم الثقافة" بكلية الآداب لا قسم الصحافة!

العودة

كنت من أوائل دفعة سنة ١٩٦٥، ولو بودر منذ ذلك الوقت بتطبيق نظام تقدير الدرجات بالأسلوب التراكمي الذي يطبق اليوم فلربما كنت أول الدفعة لارتفاع تقديراتي البالغ في السنة الأولى وبعض مما تلاها. بيد أن زملائي قد تداركوا الأمر بعد ربع قرن من تجوال فكري تلقتنى فيه قاعات البحث العلمي في فرنسا، ومنابر صحفية رفيعة أفردت لي فيها مواقع مرموق، ودور نشر عريقة نشرت ترجماتي لروائع من الأدب الغربي، بل واستديوهات السينما حين استكتبني صاحب واحد من أعظم مشروعات الأفلام التاريخية حوارا بالفصحي لفيلمه الذي حال موته دون إخراجه



التجارة جاء الدكتور سليمان نور الدين لتدريس الإحصاء، ومن كلية العلوم جاء الدكتور سيد رمضان هدارة - المتخصص في الذرة! - ليدرس لنا تاريخ العلوم. وبالطبع جاء من كلية الحقوق من درس لنا جرائم النشر، وفي الترم الثاني من العام الجامعي ١٩٦٤ - ١٩٦٥ جاء شاب لامع كان عائداً لتوه من باريس التي حصل منها على الدكتوراه في القانون الدولي، جاء يدرس لنا بعد إجازة نصف السنة مباشرة - في يناير سنة ١٩٦٥ أي في بداية الترم - وكان هو أيضاً في بداية اشتغاله بالتدريس تماماً، يجمع في نفس الترم بين إلقاء المحاضرات علينا وإلقائهما على طلبة كلية الحقوق - بالتزامن مع الدكتور حامد سلطان والدكتورة عائشة راتب - في مادتي القانون الدولي وال العلاقات الدولية. وكما توجت دراستنا في قسم الصحافة بالمحاضرات التي القاها

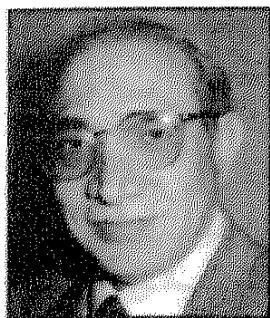
عليها الدكتور مفيد شهاب فقد توجت أيضاً في نفس العام الجامعي بتلك التي القاها علينا الدكتور محمد مندور، أكثر النقاد الأدبيين شعبية في ذلك الوقت! وإذا كانت محاضرات الدكتور مفيد شهاب لنا أول ما ألقاه من محاضرات في أرض



التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، ولا تستلهم من الماضي إلا ما يمكن به استيخاح الحاضر؛ وبالتالي إنارة المستقبل!

إن من أجمل ما نستظله من كلمات فيلسوف فرنسا جان بول سارتر قوله عن المستقبل إنه أعظم الإمكانيات قاطبة! والطريق إلى المستقبل هو العمل؛ ومن أجمل ما طفتنا - طيلة سنين جاوزت عددها اثنين وأربعين - ذكره من كلمات فيلسوفنا رجاء النقاش في كتابه "التماثيل المكسورة" قوله في ختام أحد فصوله عن العمل إنه "كلما كان قائما على أساس من الوعي والإدراك كانت مقدرتنا كبيرة على أن نسعد بالحياة سعادة داخلية عميقه"؛ وهو بهذا يكرر التأكيد على ضرورة معاودة وصل الذات بالموضوع، ويجب بنفسه على الأسئلة التي طرحتها!

إيه، وهو نفسه الذي رشحني لكتابة نصوص أدبية مصاحبة للأفلام التسجيلية؛ وعندما أديت ما رشحت له ثلت عنه أكثر من جائزة رسمية... تدارك الأمر زملائي في قسم الصحافة - ومنهم من تبوأ في القسم موقع تنفيذية - فدعويت إلى التدريس فيه وقد أمسى واحدا من أقسام كلية الإعلام بعد أن اقتلع من كلية الآداب؛ وهكذا عادت قطرة إلى بحرها، وفق التعبير الشهير لعمر الخيام (فى ترجمة أحمد رami!) ولعل فى هذا البيان ما يبدد كل دهشة قد يثيرها الحديث عن قسم الصحافة بجامعة القاهرة وصححة نسبة!! أما عن خريجه المولع بالحديث عنه فإنتى بعد نحو أربع سنين من التدريس بالجامعة طرت ثانية إلى باريس مستأنفا اهتماماتي الصحفية؛ إذ استهواى مشروع إجراء حوار فى العاصمة الفرنسية مع أحد الزعماء المنفيين إليها وهو أبو الحسن بنى صدر، أول رئيس لجمهورية إيران بعد ثورة الخميني الذى غضب عليه: وكاد ينفذ فيه حكم الإعدام لو لم يفلح فى الهرب! وإنما ذكر اليوم هذا الحديث الصحفى، الذى نشر على صفحات "الأهرام ويكلى" فى السادس والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٩٥؛ لما تم الإقرار به من بلوغه مستوى من الإتقان لا يرجع الفضل فيه إلى شخصى، بل إلى قسم الصحافة الذى علمنى وزملائي فماحسن تعليمنا. أما الآخرون من بيننا الذين استهواهم اهتمامات غير صحفية فعلى أن يتذكروا أن الاهتمامات "الإنسانية" الحقيقية هى



الأستاذ

□ رأفت الميهى

من كل منهم ما أحتمله وأستطيع أن أكونه ثم أنتقل إلى أستاذ آخر وأخذ منه قدر طاقتى واستطاعتى . فالبساطة والحنان الرائع عند يحيى حق يكفياني منه دون أن أخذ هذه العين التأملية المتعرفة عن الأضواء أو هذه اللمسة الصوفية التى تلف علاقته بمرديه أو تلامذته ومن نجيب محفوظ أحاول أن أخذ منه قدرته على "الجلد" والصبر والإخلاص فى العمل دون أن أجده فى نفس القدرة على الخطا أو مخالفه ما هو سائد وما هو غوغائى أو أشق نهرى الخاص.

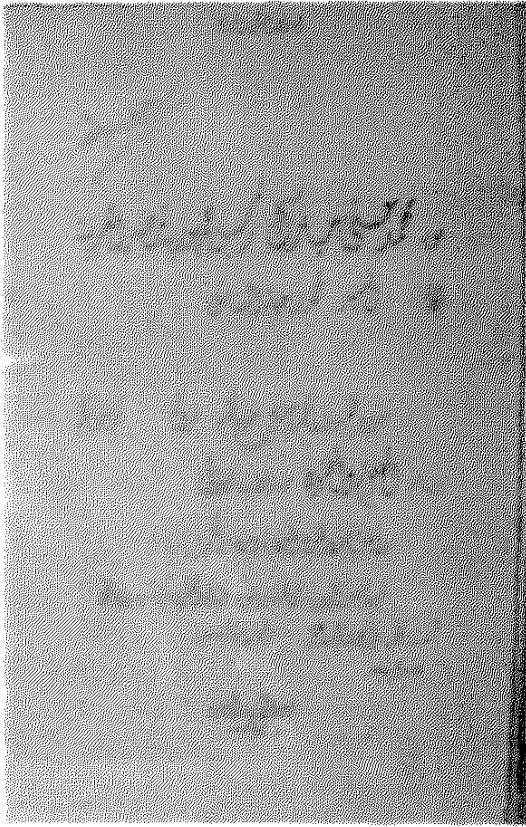
ومن زكي نجيب محمود يكفينى عمق التحليل والدخول فى مناقشة كل ما يدعى القدسية لنفسه أو لأفكاره دون أن أصل إلى قدرته على التقليف أو رفضه لكل ما هو عادى ومتبدل من أطروحات . وربما هذه المحاولة لجمع " مثل أعلى " من مجموعة " مثل عليا " لها مثل هذه القامات، هى ما جعلنى فى رحلتى المتواضعة أتعافى من كل هذا التمزق الذى أعيشه . وهرروا من هذا التمزق اعتدت أن أهرب إلى كتابات رجاء النقاش .. الأستاذ . أو أسعى لمقابلته وتأمل وجهه بما يحمله من تجاعيد وتجارب السنين،

أخيرا .. أخيرا جاءت الفرصة لكتاب عن شئ جميل فى حياتنا بعد أن سئمت الكتابة عن سياسة عرجاء وسدنة فساد وفتوات يسيطرؤن على حياتنا وأخرين يستعدون للانقضاض على أيامنا المقبلة عن طريق إرهابنا بآيات عن الجحيم وحساب الملkin أو بمليشيات تستعد للرد على مليشيات أخرى . وشيعة وسنة وأورثونوكس وأنجليكان وفوضى بناءة وأخرى مطعون فى شرفها.

أخيرا جاعتنى الفرصة لكتابه عن رجاء النقاش .. الأستاذ . بما يمثله لجيئنا وجبله من قيمة ورمز ومثل عليا وجمال خاص لا يدركه إلا من حاول متابعة معاركه وكفاحه منذ كان فى الجامعة متقلبا بين أحزاب وتيارات سياسية عربية وقومية ووطنية دون أن يفقد بوصلته الثقافية.

و فكرة البحث عن المثل الأعلى أو " الأستاذ " فكرة ظلت تطاردنى وتضطهدنى وكلما وصلت إلى أحدهم وجدت نفسي أقل من أن أتمثله أو أن أسير على دربه فأغلبهم أصحاب قامات سرعان ما أشعر بالعجز والضالة أمامهم . ولكنى وجدت الحل فى أن أخذ

١٨٨
جـ ٢
بـ ٣
جـ ٤

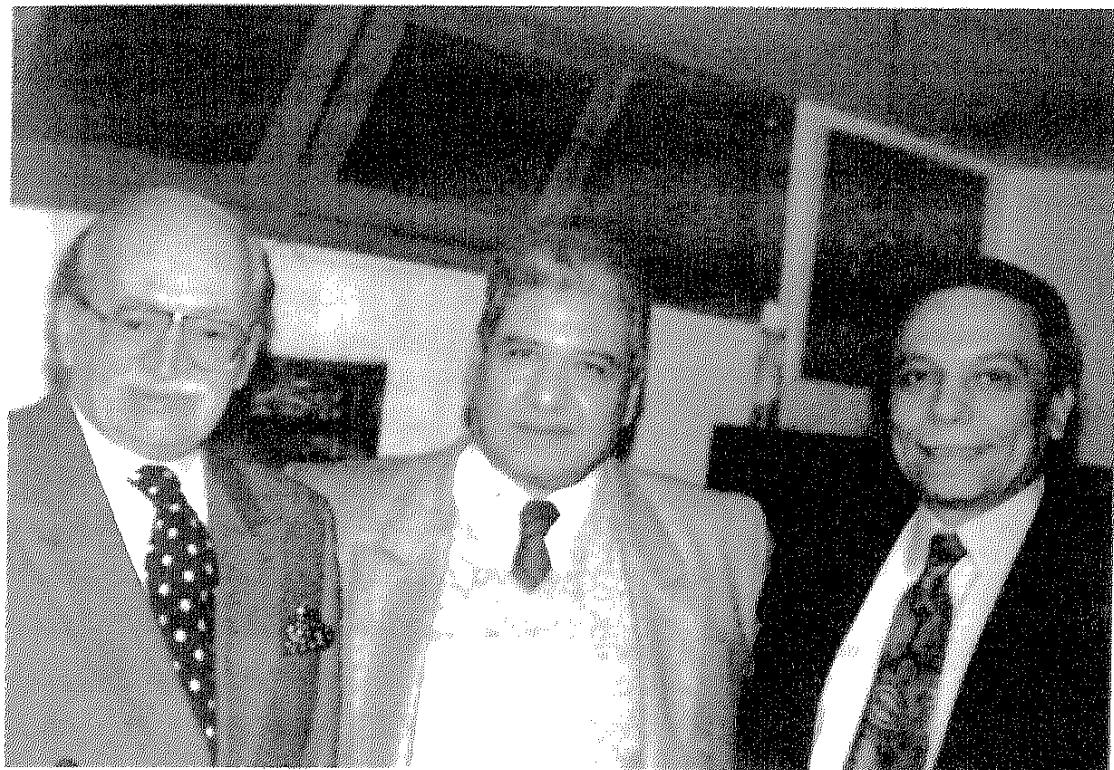


ومع هذا فالأستاذ رجاء النقاش أو رجاء النقاش .. الأستاذ . مازال عندي كتابا مغلاقا لا يستطيع فتحه وتقليل صفحاته إلا هو ولا أعتقد أن هناك من هو مؤهل مثله حاليا في الوسط الثقافي أو في العمل العام من أن يكتب لنا في صدق وشفافية عن رحلته في جسد الوطن العربي ورحلته مع نفسه التي هي رحله فرد أو شاهد غير كذوب وسط تموجات المجتمع ورحلة جيل كان يحاول أن يمسك بالقمر الذي ظنه قريبا منه أو أن يمسك ببوصلة المعرفة الهاوية لما تصوره الحقيقة فيفقدنا أحيانا وأحيانا أخرى يضع يده على الاتجاه الصحيح.

إن أغلب كتاب ونجوم السينينيات يدينون بالفضل لهذا الرجل . فمجموعة السينما الجديدة من مخرجين وكتاب ونقاد ، ومجموعة شعراء وقصاصي السينينيات ، وعدد لا يأس به من مطربى هذه الفترة وروائتها له بصماته التي لا شك فيها على بداياتهم ونبوغهم . وكان "الأستاذ" أشبه بصياد للألى في بحور الفن والثقافة، فلم تكن تمر فترة إلا ويهمنا بصوت جديد في الغناء أو

١٨٩

وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى - مايو ١٩٩٥
صوت جديد في الشعر أو قلم يتبع لنا فرصة التعرف عليه في عالم الرواية والأدب .. ربما تضيق المساحة أن ذكرهم جميرا وربما الأفضل لا ذكرهم بفضله عليهم لأن رجاء النقاش الأستاذ الذي قدمهم هو نفسه رجاء النقاش الذي امتلا ظهره بسهام بعضهم بمجرد أن شب قائمتهم وأدركوا أن من مصلحتهم أن يركبوا مركبا آخر غير مركبه متتصورين أن هذا المركب الآخر أقدر على الوصول بهم وربما لأن " ضباط الاتصال " في الوسط الثقافي مع الأنظمة المختلفة كان لهم رأيهم في رجاء النقاش فاستقطبواهم، فباعوا الرجل الأستاذ . والغريب والجميل أن مركب رجاء النقاش لم تفقد غنايتها ووصلت به إلى



رجاء النقاش يتوسط الفنان عادل إمام وسمير خفاجي المؤلف السينمائي والمسرحي

يصل إلى درجة "الأستاذية" أو على الأقل يريد أن يحقق ذاته أو أن يتبع الآخرين أن يفعلوا.

إن اكتشاف موهبة جديدة وإضاعة الطريق لها خير ألف مرة من مظاهره لتصحيح مسار قد نرى أنه خطأ . فالموهبة إن هي إلا شجرة سرعان (عندما تجد رجالاً مثل رجاء النقاش) ما تصبح حديقة تسع ألف موهبة أخرى . فما بالنا إذا كان "الأستاذ" في حد ذاته موهبة تعيد اكتشاف مواهب الآخرين وتطرحها علينا في نسق جميل وجديد محققة دهشتنا .. يا الله! أين كانت هذه الواهب! .. هكذا نقول !!... وكيف اكتشفها صياد اللآلئ رجاء النقاش .. الأستاذ . هكذا سنظل نقول طالما استمر يحلق حولنا بجناحيه .

"واحة" من السكينة والوعي يجعله يتنقل من صخب الحياة اليومية التي تقلب فيها مصارعاً أماماً يواجهها إلى حالة غريبة وجميلة من الرضا ، يجعله هذه الأيام أقرب للرهبان الذين يتغفرون بل ويتحاشون الدخول في معارك صغيرة دون أن يفقد إدراكه بما يعتمل في مجتمعه . لقد أمن وجعلنا نؤمن معه بأن المعارك التي تبدو كبيرة ومسألة حياة أو موت ليست سوى معارك تافهة ولحظات فارغة ، وأن المعارك مهما قتلت الفرد مهما طال عذابه أو اضطهاده فليس أمامه إلا ملاذ واحد وهو أن يحافظ على قدرته على الرؤية الصحيحة قدر إمكانه وان يفرز العسل الثقافى والحضارى قدر ما يستطيع . كل شيء عدا هذا باطل وإضاعة لوقت وجهد أى موهوب . وجهد أى إنسان يريد أن



رجاء النقاش، مكتبة مهنياً

ابراهيم عبد الجيد

الناس اكتملاً، وهم في كل الأحوال متواضعون في علاقاتهم بالآخرين، بسطاء في تعاملهم، غير متكلفين، يأسرونك من أول لحظة بطفهم القادم من علمهم الغزير، وشعورهم العميق بالإشباع الناتج من هذا العلم الذي حصلوه.

هكذا رأيت أنا على الأقل، وقد أسعدي الحظ أن ألتقي بهذه الأسماء كلها منذ سن مبكرة جداً، باستثناء الدكتور محمد غنيمي هلال الذي رحل عن الدنيا مبكراً..

رجاء النقاش لخص هؤلاء جميعاً، رغم اختلاف مدارسهم، إلا أنهم اتفقوا على أن النقد وهو يتوجه لأصحاب

الأعمال، يتوجه لقراء هذه الأعمال، وللقراء عامية، فالناقد ليس صاحب رسالة علمية، بل أيضاً سياسية واجتماعية، أى أن الناقد رجل نهضة بما تعنيه هذه الكلمة من معانٍ، وهكذا حين تتحدث عن رجاء النقاش الناقد والمفكر لا يمكن أن تغفل الدور العظيم الذي لعبه في الحياة الثقافية، في كل مجلة ترأسها أو كل موقع.

كان رجاء النقاش وهو يكتب لا يكتُ

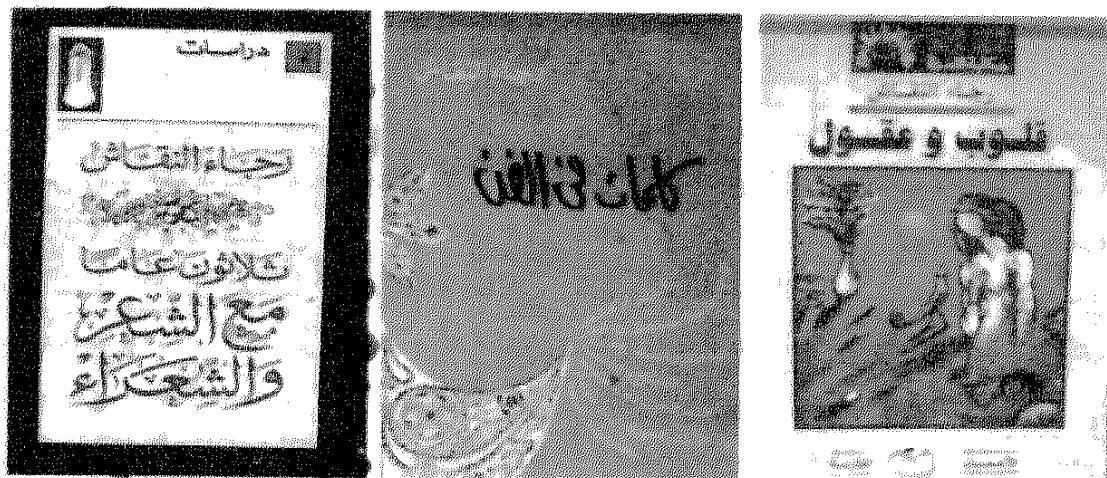
رجاء النقاش هو بامتياز تلميذ محمد مت دور النابه، بل هو العلم الكبير في هذه المدرسة النقدية العظيمة التي كانت تدرك أن النقد الأدبي بقدر ما هو موجه للعمل الأدبي، موجه إلى القارئ، ومن ثم يجعل في النقد ما يثير المتعة والخيال بقدر ما يثير المعرفة والتأمل، بما يعنيه ذلك من لغة عذبة، سلسة، وعرض للأفكار يجد طريقه بسرعة إلى العقل، ويستحوذ بدقته، وعذوبته لغته على العقل والقلب معاً. وهذا ليس بالأمر السهل، بل يحتاج دائماً من الناقد إلى ثقافة عميقة بموضوع نقه، والجنس الأدبي أو الفنى الذى ينقده، وثقافة عميقة أيضاً بتاريخ هذا الجنس الأدبي، وبالمجتمع وتطوره السياسي والثقافى والأخلاقي، ومن ثم فالنقد من نوع رجاء النقاش، وهم قليلون جداً، بعد أن رحل الرعيل الأول منهم مت دور ولويس عوض ومحمد غنيمي هلال وعلى الراعى عبدالقادر القط وشكري عياد، هذا النوع من النقاد لا يمكن فصل ما يكتب عنه يفعله، سواء كان يعمل بالصحافة أو بالجامعة. إنهم أصحاب الرسائل الفكرية والنقدية، وأكثر النقاد اكتملاً، أعنى أكثر

أصل المفهوم في المنشاوي

كان الباب الملكى للإطلاع على السودان وأهله وثقافته بقدر ما كان فيه من تقديم كاتب كبير.

ولم يكن رجاء النقاش منعزلاً أبداً عن حركة التجديد الواسعة في الشعر في الستينيات، ولا القصة، ولا الرواية، فهو الذي قدم أحمد عبدالمعطي حجازى، وصلاح عبدالصبور، وهو الذي قدم عدداً خاصاً بكتاب الستينيات لا يزال يذكره الجميع، وهو الذي فتح أبواب مجلة الهلال لهذا الزخم الإبداعي الجديد كله، في الستينيات وما بعدها، ولقد أسعدهى الحظ أن التقى به في السبعينيات، ومعى محمد المنسى قنديل وآخرين، وقدم لنا كل عنون ممكناً، وتعامل منذ اللحظة الأولى مع مواهينا، وليس مع أشخاصنا، وهذه سمة الأسماء العظيمة التي ذكرتها من النقاد من قبل، وسمة رجاء النقاش، أنها شجرة مصرية طيبة، ضاربة بجذورها العميقة في الحضارة المصرية تتجدد دائماً بفعل طاقة الخصب التي لا تنفد في هذه الأرض، وكما فعل في مجلة الهلال في الستينيات والسبعينيات فعل في مجلة

عن اكتشاف المبدعين الحقيقيين، ولم يخب أبداً اكتشافه، ويكتفي أنه قدم لنا محمود درويش في كتابه البديع عنه، ولم يكن يعرفه قبل ذلك أحد، وفي توقيت كنا نحتاج فيه إلى أن نعرف محمود درويش وسميع القاسم وغيرهما من شعراء الثورة الفلسطينية، وكان هذا التوقيت هزيمة يونيو ١٩٦٧، فكان الكتاب أشبه بالبلسم للجريح، ومن المؤكد أن اختيار رجاء النقاش لهذا الوقت لكتابه كان له هذا المعنى، فهو وهو يدرس الشعر الفلسطيني وشعر محمود درويش كان أيضاً يهون علينا الجرح ويحفزنا بالأمل، وهكذا كان شعر درويش وسميع حين أظلنا النقاش به!، إنه نوع من الكرم العميق الذي تكتشفه البشرية في نفسها، عن طريق نقاد ومفكرين من نوع رجاء النقاش، كرم يعيد الثقة في النفس ويجدد الأمل، وسلسلة الذين قدمهم رجاء النقاش طويلة ولعل في تقادمه للطيب صالح ونشر روایته الفذة موسم الهجرة إلى الشمال، ١٩٢

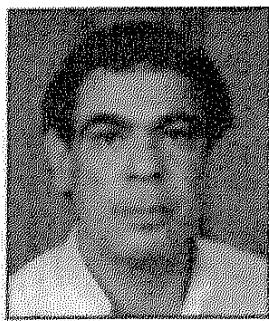




يتحدث والاستاذة أمينة السعيد وعلى يمينه الروائية فوزية مهران

هذه الحياة رغم ما فيها من انكسارات وخيبات أمل، لقد استوعب رجاء النقاش تماماً الثقافة الغربية والערבية في جوانبها الإسلامية والسياسية، وصاغ لنا ذلك كله صياغة سهلة جميلة كاشفة باعثة على التجديد والتجدد، ولا يأتي هذا إلا لناقد يقرأ بتجرد ويكتب بتجرد، بروح محبة صادقة في حبها، ولذلك قدم لنا كل ما قدم من كتب، ونجح في كل ما شغله من مناصب ثقافية، وتركت ولازالت وسوف تظل تترك رسالته أثراً عميقاً في الكتاب والقراء، الذين كنت أنا ولازلت واحداً منهم، أقرأه فأحس بطمأنينة الغريب حين يعود إلى وطنه، وتنسخ حولي الحياة وتصبح جديرة بأن تعيش، وتتجدد طاقتى في الكتابة فما أعظم النقاد من نوع رجاء النقاش.. رجال النهضة بامتياز.

الدورة في السبعينيات والثمانينيات وفعلاً قبل ذلك في مجلة الإذاعة والتليفزيون، وكان ولا يزال وهو يفعل ذلك لا يكف عن الدراسة في تاريخ الأدب والثقافة، فكتب أجمل وأعمق الدراسات عن العقاد وطه حسين وسيد قطب وغيرهم، وأتاح الفرصة دائماً لكتاب الأحرار، وامتدت ظلاله إلى المسرح والفناء وما يرتبط بهما وقدم تفسيرات مذهلة لأعمال نجيب محفوظ فيها اكتشافات لم يسبقها إليها ناقد، وفي كل ذلك لم يكن متشنجاً أبداً، فلم يخلط يوماً بين العمل الأدبي وعلاقته بصاحبها، لكنه نظر دائماً إلى العمل الأدبي من زاوية العصر، في موضوعه وشكله، لذلك كان ولايزال سهلاً، نقرأ فنمن إلى الماضي الجميل الذي كنا فيه نقرأ فنفهم ونتفجّر قدرتنا على الحب، حب الفنون: والأداب وأصحابها، ومن ثم حب



الطبعة | طبعة

حلمس سالم

الجديد الذى أود إضافته هنا هو أن تعضيد النقاش للتجربة الشعرية الجديدة لم ينقطع حتى هذه اللحظة، وإن تبدي بأشكال مختلفة: منها تشجيعه لصدرور ديوانى «مدادئح جلطة المخ» وديوان عبد المنعم رمضان «الصعود إلى المنزل»، ضمن سلسلة «كتاب الهلال»، وذلك ضمن تدعيمه للمبادرة الأوسم التي استثنى

كيف يمكن للمرء أن يحيط برجاء النقاش - أو بعض بعضه - في سطور أو صفحات قليلة؟

كيف يستطيع المرء أن يبين فضله - وهو متنوع متشعب - على الحياة المصرية المعاصرة: أفراداً وجماعات مؤسسات وحياة ثقافية بكاملها؟

هذا سعى مستحيل، وإن لم يتحقق على
مثل هذا المرء سوى أن يتوجه وجهة
أخرى، هي أن يلمع إيماناته موجزة عابرة
سريعة، إلى بعض مآثر حضور النقاش
في الدنيا المصرية «والعربية» الراهنة.

(1)

يمكن أن نشير -مثلاً- إلى دعمه المبكر لتجربة شعراء الحداثة المصرية من جيل السبعينيات. وقد ذكرت من قبل -في غير موضع - تعضيده المعنوي والمادى أثناء نشوء جماعتنا ومجلتنا الشعرية «إضاءة ٧٧»، ولاسيما في أعدادها الأولى، وعطفه على شعرائها، حيث تجلى ذلك في كتابته تقديم ديوان حسن طلب الأول «وشم على نهدى فتاة» ١٩٧٣، وكتابته مقالاً ضافياً عن العدد الأول من مجلة «إضاءة ٧٧» بعنوان «ماذا تريدين



١٩٥

كتب مقدمته الضافية اللامعة المقتحة لهذا الديوان المقتحم. فانظر إلى هذه الأمثلة السامة: شابان في الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين، أحدهما يقدم عملاً شعرياً فاتحاً شجاعاً، وثانيهما يقدم عملاً نقدياً مواكباً فاتحاً شجاعاً. واحسبْ مقدار الشجاعات والاجتراءات الفنية والفكريّة، ومقدار التفتح الوجданى والرؤوى والإنسانى الذى يمكن أن تتطوى عليه هذه الأمثلة الرائدة.

وإذا تذكّرنا أن هذه التجربة الجديدة قد ظهرت في واقع ثقافي كان ما يزال يذخر بأساطين التقليد من أمثال عزيز أباظة وعباس العقاد وذكي نجيب محمود، وما زال يطرب مع الغناء الرومانسيّي العذب من على محمود طه وإبراهيم ناجي وأبي شادي وصالح جودت وغيرهم من عتاة الرومانسية الكلاسيكية الهامة،

الصديق مجدى الدقاقي - رئيس تحرير الهلال - بطبعيّم سلسلة كتاب الهلال - التي هي سلسلة فكرية في الأصل - بديوان شعرى من دواوين جيل الحداثة الشعرية المصرية والعربية، مرة أو مرتين كل سنة.

(٤)

ويمكن أن نشير - مثلاً - إلى النموذج الباهر الاستثنائي الذي قدمه رجاء النقاش مع أحمد عبد المعطى حجازى في ديوان «مدينة بلا قلب». ولكن نعرف مدى فراداة هذه التجربة الفريدة، نوضح أن ديوان «مدينة بلا قلب» لحجازى صدر عام ١٩٥٩، وهذا معناه أن حجازى كان في الرابعة والعشرين، فهو مواليد ١٩٣٥، وأن رجاء النقاش كان في الخامسة والعشرين فهو مواليد ١٩٢٤، حينما

حجازى المرة

حجازى قد جسدت سندأً كبيراً مبكراً لحركة الشعر الحر فى مصر، ساعدته على الانتصار فى معركته ضد التقليد والسكون، حتى صار شكل الشعر الحر هو الشكل السائد فى العقود الثلاثة التالية، إلى أن بدأت تزاحمه مؤخراً قصيدة النثر.

ولم يقتصر إسناد رجاء النقاش لحركة الشعر الحر على مصر وحدها، بل امتد إلى مجمل حركة الشعر الحر العربية، وهو ما تجلى في مبادرته الكبيرة بتعريف القارئ المصرى على شعر محمود درويش وشعر المقاومة الفلسطينية بعامة، حينما نشر فى «الهلال» - أواخر السبعينيات - ديواناً كاملاً لدرويش هو «آخر الليل».

واستمر تعضيد النقاش للشعر، لاسيما الجديد منه، طوال مشواره الثقافى النقدى الخصيب، حتى وصل إلى ذروة من نزاهة فى سفره الضخم «ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء» «منتصف الثمانينيات».

(٣)

ويمكن أن نشير - مثلاً - إلى إنجازه الصحفى المتواصل، فهذا الرجل هو «粲انع صحافة مضيئه بامتياز». ما من منبر صحفى توراه رجاء إلا وقفز من الظلمات إلى النور، فى وثبة واحدة.

ثمة مدرسة فى

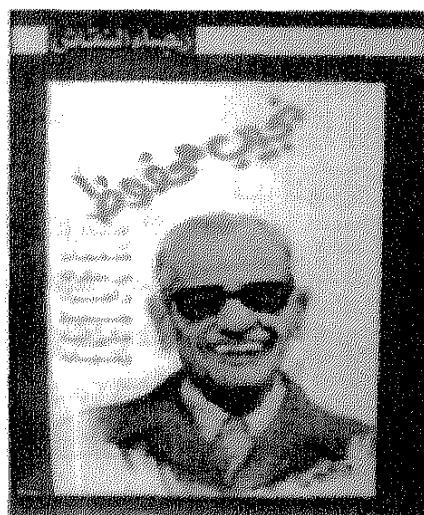
أدركنا حجم المخاطرة الخطرة فى فعل هذين الشابين.

صحيح أن هذه اللجة التقليدية كانت قد اخترقتها بعض الشذرات الجامحة الطامحة مثل شعر عبد الرحمن الشرقاوى وشعر لويس عوض وشعر صلاح عبد الصبور فى ديوانه الأول «الناس فى بلادى» (١٩٥٧)، لكن مجمل الأوضاع الثقافية الشعرية كان يشير إلى هيمنة الكلاسيكية والكلاسيكيين، وهو ما يعني أن إنجاز هذين الشابين لهذه التجربة المكتملة «الديوان ومقدمته» كان بحق «حادثة» من كبار الحوادث على ضفاف النيل فى الثقافة المصرية الحديثة «إذا استعرنا تعبير شوقي».

وعندى أن مقدمة رجاء النقاش لـ ديوان حجازى تظل - إذا قيس إلى زمنها ولحظتها التاريخية والثقافية منذ نحو خمسين عاماً - وثيقة نقدية باقية ودرساً لا ينضب فى محبة الشعر والجمال والروح المتوبة، حتى لو اختلفت-

بمقاييس اللحظة الراهنة - مع ميلها الواضح إلى شرح المفاسدين الفكرية والإنسانية فى القصائد أكثر من ميلها إلى استبصار الطرائق الفنية المعايرة والأساليب الجمالية الجديدة.

ومؤكد أن هذه المقدمة التاريخية لـ ديوان



١٩٦

٢٠١
٢٠٢
٢٠٣



• يصافح السيدة أم كلثوم - طرابلس ١٩٦٩

١٩٧

صارت مجلة «الدوجة» نموذجاً من نموذجين اثنين يضرب بهما المثقفون المثل على «دور المنبر الإعلامي في صنع دولة» وليس العكس. النموذج الأول كان في الثمانينيات حينما صارت «مجلة الدوجة» علامة على دولة قطر، والنموذج الثاني نشأ في بداية القرن الحادى والعشرين «ولايزال»، حينما صارت «قناة الجزيرة» علامة على دولة قطر!

ما هي الأسس التي عليها يقوم إنهاض النقاش «وسائل مدرسته المباركة» المنبر الذي يتولاه، فيقفز به من الظلمات إلى النور؟

عندى أن رجاء النقاش يبنى نهضته بالمنبر الذي يتولاه، على مبادئ أربعة: الأولى: هو الديمقراطية، واحترام كل رأى جاد، والاعتداد بوجهة النظر المقابلة،

الصحافة المصرية يصح أن نطلق عليها وصف المدرسة التي «تصنع من الفسيخ شرباتا». من رواد هذه المدرسة محمد التابعى وأحمد بهاء الدين وصلاح حافظ وكامل زهيرى. رجاء النقاش واحد من أبناء هذه المدرسة المباركة، التى يتولى أحدها منبراً «صحفية أو مجلة» فلا يليث هذا المنبر أن يزدهر ويتفوق ويلمع. صنع النقاش ذلك مع المصور والهلال والإذاعة والتليفزيون والكواكب.

ووصل هذا الصنيع إلى قمة توجهه مع مجلة «الدوجة» التى أنشأها فى قطر طوال الثمانينيات. هذه المجلة التى صارت - فور صدورها - قبلة المثقفين العرب، وغدت إحدى مواقع تشكيل الوجدان الثقافى والوعى المعرفى للنخبة العربية والقراء العرب على السواء.

مقدمة المقدمة

التنويرى والثقافى العمومى، بوصفه واحداً من كبار المبشرين فى ثقافتنا المعاصرة. وأن نشير إلى إسهامه المحظوظ فى التاريخ الثقافى والفكري لمصر المعاصرة والحديثة. لكن ذلك كله سترى من المختصين، يحدثوننا عنه على النحو الأفضل.

(٥)

نحن - أقصد معظم أبناء جيلى - نحب رجاء النقاش، كاتباً وإنساناً. نحبه في كل حال، ونتصره ظالماً أو مظلوماً، لأنه أخونا وأبونا وطفلنا، وهذا يعني أن شهادتنا فيه مجروبة مطعونة. ولكن نسبغ على هذه الشهادة قناعاً من النزاهة وغلالة من الموضوعية يقللان من شبهة الغرض، ستفتعل خلافات وتتقاضات مع رجاء النقاش، ونقول: إننا اختلفنا مع رجاء النقاش مرات عديدة، سنتختار منها الآن ثلاث مرات رئيسية:

الأولى: حينما كتب، منذ عدة سنوات في «المصور»، مقالة ضافية عن شاعر من جيل الستينيات متوسط القيمة الفنية، رومانتيكي ذي «طرطشة عاطفية» سائبة «بتعبير محمد منور الشهير»، فإذا بالنقاش يراه واحداً من أهم شعراء مصر ومن أبرز مبدعيها المرموقين، مجرد أن شعره سهل يصل إلى القراء بغير كبير عناء.

والثانية: حينما اتهم أدونيس ومن لف له من شعراء لبنانيين ومصريين، من أهل القصيدة الرمزية المركبة، بأنهم شعراء غامضون ملغزون، منعزلون عن قضايا أمتهم المصيرية، ومدمرون لتراث

واحتضان كل التيارات الفكرية الجادة، حتى ليغدو المنبر الذي يديره أشبه بالجبهة الوطنية الديمocrاطية المفتوحة.

الثالث: هو الذهاب إلى القيمة «الحية» النابضة، لا الجامدة الميتة، في الفن والفكر والمجتمع والسلوك والرأى، وفي كل ما ينطوى على معنى حقيقي دافع للبيقة والتجدد والتقدم.

الرابع: هو الإتقان والجودة في الأداء، والابتعاد عن الفهلوة والركاكة واستغفال القارئ.

الخامس: هو المحبة، محبة العمل ومحبة كل صاحب محبة كبيرة، سواء في السياسة أو في الفلسفة أو في الحقل الاجتماعي أو في أصغر العواطف.

بهذه المبادئ الأربع الأساسية، وما يتفرع عنها من قيم ومعان عديدة، قاد رجاء النقاش معجزته الصحفية المتكررة، إخراج المنبر الصحفى من الظلمات إلى النور.

(٤)

ويمكن أن نشير مثلاً إلى دوره كناقد مسرحي بارز له «مقعد أمام الستار»، ساهم في النهضة المسرحية الجادة طوال الستينيات، أيام كان هناك مقعد وأيام كان هناك ستار، وأيام كان هناك مسرح. سقا الله الأيام الخواли، ويمكن أن نشير إلى نقده الروائى، لاسيما روايات الأرض المحتلة، وإضاعة عالم نجيب محفوظ. وأن نشير إلى جهده

١٩٨

جـ ٢
بـ ٣
أـ ٤

الأمة ولغتها العربية الأصيلة.

والثالثة: حينما استفرق -منذ بدأ مقاله الأسبوعي «الأهرام»- في بطون التاريخ الثقافي المصري البعيد والقريب، تاركا الواقع الثقافي والأدبي المصري والعربي الراهن يمور حواليه بالإبداعات المختلفة، التي تحتاج إلى قلمه الصادق الحار لكي يفرز فيها الغث من التمرين، ويوجه ويضبط ويقوم. ولا ريب أن الفوضى في بطون التاريخ القديم والحديث نو فائدة جليلة، لأن كاتبنا يستخلص من غوصه العبر والدلالات والدروس. لكننا نظن - بغير إثم - أن حاجة حياتنا الأدبية الراهنة إلى حضوره الفكري والنقدى هي الحاجة الأمس.

وفور انتهاءنا من سوق هذه الخلافات المفتعلة الثلاثة، ستغلبنا المحبة على التو، وسنلتئم بأنفسنا العذر له على كل خلاف سقناه.

سنقول في الخلاف الأول: هذه مسألة ذاتية ومسألة وجهات نظر. وليس من الحتم أن يحب الرجل ما نحب وأن يكره ما نكره، ألسنا الذين نقول إن الشعر عديد وكثير ومتنوع؟

ويبدو أن المعيار عنده - هنا - هو بساطة الشعر، بما يجعله ملتحماً مع المواطنين، مؤدياً بوره الإيجابي الفاعل في الوعي والتحرك نحو الأفضل.

و سنقول في الخلاف الثاني: إن القصد الكامن وراء رأيه - على حدته وإطلاقيته - هو ألا يحول الشاعر نصه إلى أحجية تنفلق على « أصحاب المصلحة الحقيقة في النص»، وهم القراء، حتى لا



البورتريه للفنانة دينا جمال

يصبح «المرسل» في واد، و«المستقبل» في وادٌ ثانٍ، و«الرسالة» نفسها في وادٌ ثالث. وسنقول في الخلاف الثالث: إن معرفة التاريخ هي الخطوة الأولى في معرفة الحاضر، فمنه نستخلص الدرس لنقدم إلى الأمام.

هكذا هم المحبون: ما إن يفتعلوا خلافاً صناعياً مع المحبوب، حتى ينكصوا عنه ويرتدوا، مسرورين.

(٦)

أما رجاء النقاش، نفسه، فإبني أرجى بين يديه ثلاثة كلمات: الأولى: ابتسامتك - مجدداً - هي التعيم كلها.

والثانية: عش ألف عام.

والثالثة: أنت تملك كل شيء، لأنك المستغني.



مشروع ثقائى

□ سعد هجرس □

السرير وينفس المرض اللعين الذى هاجم الكبد، لفظ مصطفى إبراهيم مصطفى - الذى اشتهر فى الصحافة الفرنسية بمصطفى مرجان - لفظ أنفاسه الأخيرة لتفقد مصر اثنين من أجمل مثقفيها الوفدين.

كانت هذه هي بداية تعرّفى الشخصى بائل شخص من "آل النقاش" الذين أسعدهنى الحظ بالتعرف على ثلاثة منهم.. ومنهن.

لكن العجيب أن ذلك لم يشمل "عميد" الأسرة، وألمع أفرادها فى الستينيات، ألا وهو الكاتب والناقد الأدبى الكبير رجاء النقاش.

ولم يكن ذلك راجعاً إلى صعوبة لقاء وجهأً لوجه، بقدر ما كان راجعاً إلى المكانة الكبيرة التى تبوأها فى ذلك الحين باعتباره واحداً من أصغر رؤساء التحرير، وهو منصب لا يتم التعيين فيه إلا بقرار سياسى من أعلى مستوى.

وبالتالى كانت النظرة الشائعة لدى المثقفين الثوريين فى ذلك الحين ان كل من يشغل منصب رئيس تحرير لابد أن يكون على "علاقة خاصة" بالسلطة. وقد خلق ذلك الانطباع حاجزاً نفسياً

عندما كان أستاذنا الدكتور لويس عوض هو المشرف على الصفحات الثقافية بجريدة "الأهرام" فى الستينيات، بزع نجم محرر ثقائى نابه فى ذلك الوقت هو مصطفى إبراهيم مصطفى الذى لفت الأنظار بمقالاته البديعة، وخاصة تلك التى كتبها عن الفن التشكيلي.

وكان "مصطفى" هو الذى عرفنى عام ١٩٦٦ بزميل له لا يقل ذكاءً وموهبة هو وحيد النقاش.

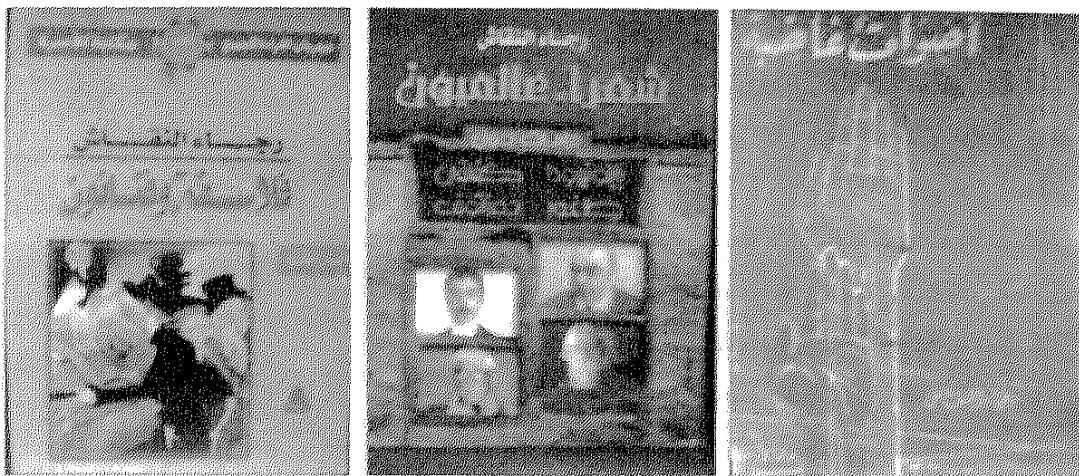
وحاجت هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧، لتصدم علينا - الذى كان لا يزال غضاً فى عمر الزهور ومشحوناً بأمنيات وردية لا حدود لها - وتهزه من الأعماق.

وفي إطار تداعيات هذه الهزيمة المروعة، قرر مصطفى إبراهيم مصطفى وحيد النقاش شد الرحال والسفر من القاهرة التى غمرها ظلام "النكسة" إلى باريس عاصمة النور، ليس هرباً وإنما أملاً في التوصل إلى إجابات علمية لطوفان الأسئلة التي طرحتها هذه الهزيمة غير المنطقية.

لكنها كانت رحلة في اتجاه واحد.. فقد ذهب بلا عودة. حيث مات "وحيد" في أحد مستشفيات باريس، وعلى نفس

٢٠٠
٣٠٠
٤٠٠
٥٠٠
٦٠٠

□ كاتب صحفي



هو ونجم شيكات قيمة كل منها عشرة آلاف جنيه، وأنهما اعتبرا هذه الشيكات رشوة صريحة "أنتم عايزين تشتريونا.. بس احنا ما نتبعش".

ورغم أن رجاء النقاش أكد أن هذه القصة كاذبة من الألف إلى الياء، وتنطوى على إساءة إلى شخصين من أشرف وأنبيل الأشخاص هما محمد فايد ومحمد عروق، وأنه كان شاهداً أساسياً على القصة الملفقة وأن الشيك الذي صرف لهما هو ٥٠ جنيهاً فقط نظير الاشتراك في برنامج خاص بإذاعة صوت العرب.

رغم ذلك.. كانت الاتهامات التي أثارها تجم وإمام في ذلك الحين سحابة دخان زادت من عدم وضوح الرؤية لقيمة رجاء النقاش (وبالمقابلة فإن نجم جدد هذه الاتهامات في لقاء حديث له مع قناة الجزيرة وأضاف إليها اتهاماً قاسياً للأستاذ رجاء النقاش بأنه كان وراء القبض عليه في إحدى مرات اعتقاله).

وفي ظل هذه الرؤية الضبابية كان لقائي الأول وجهاً لوجه مع الأستاذ رجاء النقاش مصادفة عجيبة. حيث كان هناك

بيتنا وبين كل رؤساء التحرير، بما في ذلك "التقديميون" منهم، الذين كان من السهل - والاستسهال - تفسير وجودهم في هذه الواقع القيادي بأنه من لزوميات "تجميل" صورة النظام وخداع خلق الله، وبالذات عموم المثقفين.

وبالتسبة لعميد "آل النقاش"، أى الأستاذ رجاء، أضيف إلى هذا الحاجز النفسي "العام" حاجزاً نفسياً "خاصاً" من جراء اتهام صديقنا الشاعر أحمد فؤاد نجم، ورفيقه الشيخ إمام عيسى، له باتهامات شتى كان لها وقع سيئ علينا في ذلك الحين، خصوصاً وأنه لم تكن هناك إمكانية التدقير في هذه الاتهامات، أو حتى الرغبة في القيام بذلك.

فرغم أن رجاء النقاش كان أحد أفراد قلائل بذلوا مساعيهم الحميدة لتسليط الأضواء على ظاهرة نجم وإمام في ذلك الحين وتقديمهم للجمهور من خلال حفل في نقابة الصحفيين عام ١٩٦٨، فإن الشيخ إمام اتهم محمد فايد ومحمد عروق بمحاولة رشوتهم عن طريق رجاء النقاش، وقال إن عروق عرض عليه

مشروع ثقافى

ال حاجز العام وال حاجز الخاص اللذين وقفوا دون اقترابى من عميد آل النقاش فترة طويلة.

فرغم نجاة رجاء النقاش من البطش الذى لحق بمعظم المثقفين التقديميين فى الحقبة الناصرية، بل ونجاحه فى التمتع "بعلاقات خاصة" مع الحكم، بينما كان زملاؤه قابعين فى غياهب السجون والمعتقلات، استطاع رجاء النقاش أن ينأى بنفسه - فى الأغلب الأعم - عن التحول إلى "بوق"، أو الوقوع فى مستنقع "خونة الثقافة".

بالعكس من ذلك عكف رجاء النقاش فى كافة العصور التى تعاقبت على مصر بعد سقوط النظام الملكى على مشروع نقدى، تنویرى، تقدمى، فى الاتجاه العام. ويكفى الإشارة برعوس أسمهم إلى أهم عناوين هذا المشروع النقدى:

الملمح الأول دخول رجاء النقاش بشجاعة إلى عش الدبابير حيث طالب بالاصلاح الدينى وتحرير القرآن من قيود عديدة.

وتساءل بهذا الصدد كيف يمكن أن ننظر للقرآن نظرة عصرية؟!

ورد على هذا السؤال الخطير بإجابة رائعة قال فيها بالنص:

علينا أن نحدد هذه القيود ثم نعمل بعد ذلك على تحرير القرآن منها حتى ولو أدى بنا الأمر إلى تحقيق ثورة دينية مثل تلك الثورة التى قادها (لوثر) في عالم المسيحية الغربية وكانت هذه الثورة هي الحركة (البروتستانتية) المعروفة!

فما هي هذه القيود التي ندعو إلى

موعد بيى وبين أحد قادة اليسار المصرى، المناضل الكبير رجائى طنطاوى. وكانت هذه أول مرة أذهب إليه فى منزله بالقرب من نادى الصيد. وعند مدخل العمارة سألنى البواب عن وجهتى .. فقلت له إننى أريد الذهاب إلى شقة الأستاذ "رجائى" فأخذنى من يدى ودق جرس إحدى الشقق، وكان الذى فتح الباب هو رجاء النقاش وهى مصادفة عجيبة لأن إسم "رجاء" من الأسماء النادرة، فما بالك وأن يجتمع "رجاء" و "رجائى" فى نفس العمارة؟!

وبعد هذه المقابلة التى جاءت عن طريق الخطأ، مر أكثر من ٢٥ عاماً إلى أن قابلت الكاتب الكبير رجاء النقاش منذ بضعة أسابيع فى لقاء عام ضم عدداً من كبار الكتاب أذكر منهم الأستاذة جمال بدوى ونبيل زكى ودفع توفيق.

وبين المقابلتين الشخصيتين العابرتين جرت مياه كثيرة فى النهر وتواتت أحداث وطرأات متغيرات وظهرت أسماء واندثرت أسماء وغير كتاب

وصحفيون جلودهم، لكن وسط هذه التطورات الدرامية دائماً والتراجيدية كثيراً والكوميدية أحياناً، تعرفت جيداً على رجاء النقاش ومن خلال كتاباته وليس من خلال أي شيء آخر من أشكال العلاقات العامة أو الخاصة.

عش الدبابير

وكانت الإنجازات الفكرية والأدبية لرجاء النقاش هي التي تكفلت بتحطيم

٢٠٢

ج - ج - ج - ج

التحرر منها؟



د. شوقي ضيف

على جوهر مبادئه أمر مطلوب. إننا إذا أردنا أن نجعل هناك صلة حقيقة بين القرآن وأجيالنا الجديدة فلابد من أن نقدم على مثل هذه الخطوة بلا تردد.

... هناك عقبة أخرى هي انعدام وجود تفسير عصرى سهل للقرآن. ونحن بأشد الحاجة إلى مثل هذا التفسير الذى يجعل القرآن ميسوراً فى قراءته بالنسبة لأى شاب من شبابنا بدون الرجوع إلى مراجع عديدة معقدة، كما أن مثل هذا التفسير هو وحده الذى يستطيع أن يحرر القرآن من الخرافات التى تسربت إلى التفسيرات القديمة مثل تفسير (البرق) بأنه صراع بين ملائكة الخير والشر، وما إلى ذلك من الأفكار التى يقدم العلم المعاصر بديلاً واضحاً لها قائماً على المعرفة الصحيحة بظواهر الأمور الطبيعية والإنسانية.

هذه بعض العقبات الشكلية.. ولكن هناك عقبات أخرى أعمق وأبعد. فما زالت المؤسسات الدينية عندنا ترفض إلى أبعد الحدود الاعتراف بوسائل التأثير العصرية مثل السينما والمسرح والموسيقى والرسم

هناك قيود شكلية من بينها الإصرار على عدم كتابة مصحف بالخط العصري المعروف، والإصرار على أن تكون كل المصاحف مكتوبة بالخط القديم مما يشكل عقبة رئيسية أمام كل الأجيال الجديدة التى تريد أن تقرأ فتجد فى كتابتها عناء شديداً قد يؤدي إلى صرفها عن هذه القراءة نهائياً.

ففى المصاحف الحالية نقرأ هذه الكلمات:

(الصراط) بدلاً من (الصراط) و (الصلوة) بدلاً من (الصلاه) و (الزكوة) بدلاً من (الزكاة) و (أبصارهم) بدلاً من (أبصارهم) و (ظلمت) بدلاً من (ظلمات) و (السموات) بدلاً من (السماءات) و (جنت) بدلاً من (جنت)... إلخ.

إن من واجبنا ولا شك أن نحتفظ بالمصحف القديم بخطه المعروف، فذلك أثر عزيز من آثارنا لا يجوز أن نهمل فى المحافظة عليه، ولكن يجب أن تكون لدينا (الشجاعة الدينية) الكافية لكي نطبع مصحفاً خالياً من هذه الحروف التي تجعل قراءته صعبة ومستحيلة إلا عند المختصين فى قراءة القرآن، ونحن نريد أن يقره فى بلادنا كل المتعلمين وأن تقرأه الأجيال الجديدة على وجه الخصوص دون أن يجدوا في هذه القراءة كل المشقة التي يحسون بها الآن. وليس هناك أى نص ديني مقدس يحرمنا من الإقدام على مثل هذه الخطوة.. بل إن روح الدين تتمثل فى ((أن الدين يسر لا عسر)) وكل ما ييسر الدين بدون الخروج

مشروع نقاوٍ

والإذاعة والتلفزيون.

.. وإذا نظرنا إلى رجال الدين في الغرب وجدنا أنهم قد توسعوا في الاستفادة من هذه الوسائل إلى أبعد الحدود. فقد امتلأت الكنائس الغربية باللوحات الفنية الرائعة، بل إن هناك مدرسة دينية فذة في الفنون التشكيلية، وهناك آلاف اللوحات والتماثيل الرائعة في الغرب مستمدة كلها من المسيحية، كما توسيع في استخدام الموسيقى وبذلك أصبحت الكنيسة مكاناً مشرقاً بجوار الروحى حيث يساعد الفن بوسائله المختلفة على تعميق هذا الجو بصورة رائعة.

أما السينما والمسرح فقد أتيح لهما أن يعتمدَا على الكثير من الإنجيل والعهد القديم بصورة واسعة رحبة. بل لقد ظهر في السينما فيلم طويل هو فيلم (الإنجيل). ومهما قيل عن هذا الفيلم وعن أخطائه فالمحاولة جريئة، وهي محاولة لم تلق أى اعتراض من السلطات الدينية في

٢٠٤
١. ثرب.

أما عندنا فنحن نجد فاصلًا قاسياً بين المسرح والسينما وبين القرآن وقصص القرآن، كما نجد حرياً على أى اقتراب بين القرآن وبين فن الموسيقى أو فن التصوير والرسم.

والحقيقة أن مثل هذا الموقف يجب أن يتغير.. ومثل هذه القيود يجب أن تزول، ولا بد من عقد اجتماعات واسعة بين رجال الدين ورجال الفن والثقافة حتى يتم

الوصول إلى حل لا يتعارض مع المبادئ الدينية، بل يخدمها ويساعدها على أن تمد جذورها في أعمق أعماق الضمير والوجدان.

.. إننا نجد في الغرب كتبأً تصدر للأطفال الصغار فيها الكثير من الرسومات والصور التي توضح قصص الإنجيل وتضيئها وتيسّرها لهؤلاء الأطفال وهي كتب رائعة وعظيمة ومؤثرة.

... ولكننا هنا نتردد في أي جهد من هذا النوع يجعل القرآن قريباً من الإنسان والقلب الإنساني.. ويجعل القرآن وأصحاً كل الوضوح في ضوء العصر الحديث وما يمثله به هذا العصر من أفكار جديدة وفنون جديدة.

... إننا عندما نحرر القرآن من مثل هذه القيود المحيطة به لا تكون قد أنساناً إلى القرآن، بل تكون قد أحستنا إلى أنفسنا وإلى الدين الإسلامي الذي نؤمن به.. إننا يجب ألا نتردد في تقديم مسرحيات مستمدة من روح القرآن.. يجب ألا نتردد في شيء من هذا على الإطلاق لأن ذلك يطلق القوى العظيمة الكامنة في القرآن.. ويملاً بها قلب الإنسان المعاصر وضميره ووجدانه، أما إذا أكفيينا بأن نجعل القرآن مجرد (نص مقدس) سوف يصعب الوصول إليه إلا من كان متخصصاً في القرآن والعلوم الدينية.

... إن واجبنا هو أن نحرر القرآن من هذه القيود ونبذل كل جهودنا في سبيل تمهيد الطريق للوصول إلى كل ما في القرآن من جمال فكري وروحى وفنى

٣٧
٣٨
٣٩
٤٠



محمد فاتح

انحياز للتجديد

الملمح الثالث هو ان رجاء النقاش لم يمسك العصا من المنتصف في المعارك الفكرية والأدبية الكثيرة التي خاضها، بل إنه انحراف دائمًا - أو غالباً - إلى التجديد. وإن كان البعض - ومنهم الكاتب والناقد صبحى حيدرى على سبيل المثال - قد أخذ عليه أنه كان - وما زال في الواقع - شديد الميل إلى إسقاط السياسة (يعندها المباشر والعقائدي والحزبي) على الظواهر الإبداعية، وإلى شطب جزء كبير من حقوق الإبداع إذا أخلت هذه بحقوق السياسة. وأن تأثر ممارسة كهذه من ناقد كبير ومتعرّس ورائد أمر يتتجاوز حدود العشرة، لأنه في الواقع ينم عن استعداد للتضليل باستقلالية العملية العلمية الإبداعية لصالح تكريس السياسة. ولعل جوهر هذا الموقف تختصره الكلمة التي نشرت على الغلاف الأخير لكتاب النقاش "ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء"، حيث جاء فيها: "قد وقف المؤلف بوضوح وصراحة مع حركات التجديد الأصيلة ورموزها المختلفة، كما

٢٠٥

وإنساني وكل ما فيه من قيم دينية عليا حتى لا يصبح الطريق إلى القرآن غاية في الصعوبة والقسوة والمشقة.

إصلاح اللغة

الملمح الثاني في مشروع رجاء النقاش النقدي يتعلق بإصلاح اللغة العربية. وكان في هذا المجال شجاعاً ومستثيراً أيضاً حيث ذهب إلى أنه لا يأس من التفكير المخلص في تجديد شباب اللغة وإعادة الحيوية والصبا والجمال إليها، مع العمل على تخفيف القيود عن الذين يحبونها ويريدون أن يقتربوا منها دون أن يجدوا في ذلك أى عسر أو تعقيد".

ونقل النقاش عن المرحوم الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية السابق رسالة بعث بها إليه تعليقاً على الموضوع ذاته أشار فيها إلى كتاب له صدر بعنوان "تجديد النحو" وصفه بأنه يحمل "أسس النهوض بهذا النحو، مثل: إلغاء الإعراب التقديري والمطلي، ووضع ضوابط جديدة تذلل صعوباته، مع حذف الأبواب التي تتقلل التحو وتجهد الناشئة".

واعتبر ضيف أنه "من المؤكد أن اللغة العربية لا تنتحر ولا تتراجع في هذه الأيام، بل تزدهر وتزدهر طوال قرنين من الزمان على أيدي أبنائها البررة العظام". ومن جانبه وصف النقاش كتاب "تجديد النحو" بأنه "كتاب رائع يحمل مشروعه كاملاً وجاداً لتبسيير النحو العربي، وتخلصيه من تعقيداته وصعوباته وقواعده الرائدة التي يمكن، بل يجب الاستغناء عنها".

مشروع ثقافي

البارزين في الأراضي المحتلة هم شعراء
موهوبون.

اكتشاف المواهب

وهذا الجدل ينقلنا إلى ملحم رابع للمشروع النقدي لرجاء النقاش، حيث نجده قد قدم إلينا إضاعة لكم هائل من الإبداعات، ومن خلال هذه الإضاعة قام رجاء النقاش بتعريفنا بأجيال من المبدعين المصريين والعرب. وهذه ثروة حقيقة أغنّت المكتبة المصرية والمكتبة العربية.

وليس المسألة مجرد إضاعة نقدية لإبداعات موجودة، بل تتعذر ذلك إلى ملحم مهم لرجاء النقاش هو اكتشافه للمواهب الجديدة.

وكي لا أعيده اكتشاف القوانين المكتشفة، اكتفى بهذا الصدد بإحالة القاريء إلى الأديب والناقد الشاب سفيان يوسف الذي تناول هذه الزاوية في سياق مقال بديع عنوان "دردشات ليلية مع إبراهيم أصلان" قال فيه :

.. أنظر مثلاً إلى رجاء النقاش.. إنه يمتلك خبرة اكتشاف المواهب، وتقديم الكتاب، وتسهيل الجسر الموصل بينهم وبين القراء، فهو أول من كتب عن الطيب صالح، ومحمد درويش، ازدهرت مجلة الهلال عندما كان يرأس تحريرها، وعندما كان يعد عدداً خاصاً عن القصة القصيرة في سنة ٧٠ قلب على الدنيا، وأرسل الناقد السينمائي فتحى فرج لي في الكتبكات وكنا ساعتها نقلل باب البيت بالجزير عشان الغسيل كان مسروقاً.. وسمعت فتحى ينادي من الشارع، وعندما

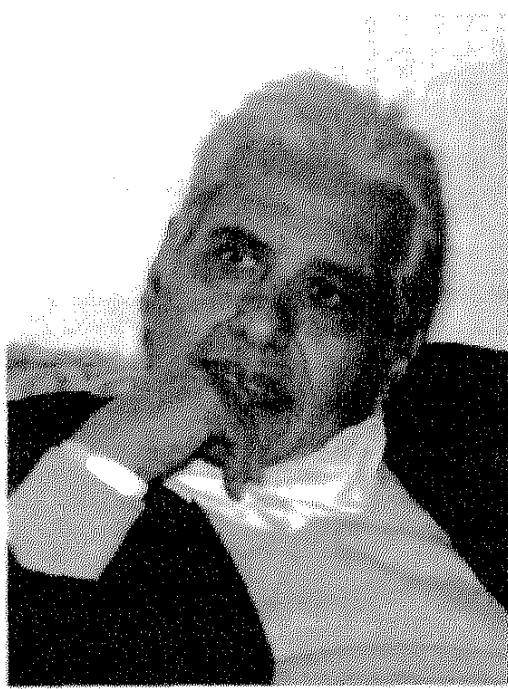
وقف ضد حركات التجديد المبنية على عداء حضاري وقومي للأمة العربية واللغة العربية وأدابها. ولم يتربّد المؤلف في معارضته حركات التجديد القائمة على سوء النية القومية، والاستهانة بالتراث الحضاري العربي بهدف تمزيق العرب فكرياً وثقافياً ووجودانياً.

انتهت ملاحظة صبحي حيدري، لكنها ليست فوق مستوى الجدال، وعلى سبيل المثال فإن ناقداً آخر مثل عادل الأسطه يطالعنا بالتوقف أمام بعض ما ورد في مقدمة الطبعة الأولى (عام ١٩٦٩) لكتاب رجاء النقاش "محمود درويش : شاعر الأرض المحتلة" إذ نقرأ أن النقاش لا يتعاطف مع شعر الأرض المحتلة كونه شعر مقاومة وإنما يرى فيه شعراً ناضجاً، كتبه شعراء موهوبون. وبكلمات رجاء النقاش ذاته فإن "هناك حركة شعرية ناضجة ورائعة في داخل الأراضي المحتلة، وأن الحكم بنضجها وروعتها من الناحية الفنية والفكرية ليس ناجماً عن تعاطفنا السياسي أو النضالي مع هذه الحركة، بحسب ما يعنيه أصحابها من الشعراة الشباب في ظروف حياتهم الصعبة داخل إسرائيل".

.. إن التعاطف حقيقة لا شك فيها، ولكن الحركة الشعرية الجديدة داخل الأراضي المحتلة تتمتع بقيمة فنية على أكبر قدر من النضج والأصالة، بصرف النظر عن جميع الاعتبارات السياسية والعاطفية الأخرى. إن الشعراء الشبان

٢٠٦

ج ٣
ج ٤
ج ٥



هذه الشهادة تنقلنا إلى ملمح آخر خلاصته أن رجاء النقاش أثناء رئاسته لتحرير "الهلال" وكتاب الهلال" و"المصور" و"الكاواك" و"اللوحة" القطرية، ظل مخلصاً لقضايا التقدم ويكتفى أن يشير إلى تجربته في "اللوحة" القطرية التي كانت منيراً ثقافياً مهماً عندما كان يتولى رئاسة تحريرها، وانتهى الأمر بإغلاقها على يد المحكمة الشرعية إثر نشرها مقالاً كتبه حسين أحمد أمين إن لم تخن الذاكرة.

نحن إذن أمام مشروع نقدى مهم لكاتب وناقد أدبى جاد.. ندين له بأختنا من أيدينا وإدخالنا إلى عالم الحق والخير والجمال.. الذي يصارع ثلاثة الباطل والشر والقبح منذ سنوات. ونخشى أن نقول أن الأول يخسر أرضًا لصالح الأخير عاماً بعد آخر.

لكن هذا ليس عيب رجاء النقاش.. الذي يستحق التكريم على عطائه الرائع.

٢٠٧

رأفي صرث رجاء النقاش قالب عليك الذي يا جدي وهو مستنكب بكرة الساعة ١١ على قهوة إيزافيتش، وذهبت له في اليوم الثاني الساعة الواحدة، وكان منتظراً، وأعطيت له قصة (المستأجر).. وأعطتها للجمع بعدها مباشرة.. ويستطرد أصلان عن رجاء: هذا الرجل كبير النفس فعلاً، زي يحيى حقي وعبد الفتاح الجمل وصلاح عبدالصبور، وكل هؤلاء العظام الذين لا يلعب الفرض في نفوسهم إلا نبلًا وزاهدة وجمالاً.. رجاء مرة قابلني على سلم دار الهلال، عندما كان رئيس تحرير مجلة (اللوحة) القطرية، وكان في زيارة للقاهرة، وقال لي: معندكش كتابات جديدة يا إبراهيم، وكنت أيامها يأشعب باكتب في (عصافير النيل).. وكانت كاتب فعلاً خمسة مشاهد، فقلتله: عندي خمس حاجات.. ممكن أبعتهم لك، بس تبعتنى فلوس قبل نشرهم.. وقد كان.. ويتسائل أصلان: من يفعل ذلك الآن؟ وسؤال إبراهيم بالطبع مشروع، لأن الواقع الثقافي فعلًا يضيق بافعال من هذا النوع إلا قليلاً، ولينظر كل منا إلى كل ما حولنا من مجاملات وتربيطات وأسفار وترجمات، ونشر، وإن لم يسع المرء نحو كل ذلك يطرق غير مشروع أو ملتوية، لن يتنازل ذلك، لذلك هناك من يطرقون الأبواب بقوة لدرجة الإزعاج، وسنجد هؤلاء الطارقين يتصدرون كل قوائم التراحيل المعتادة، دون تقديم قيمة مرجوة، هذا لأن المناخ تتقصه الضمائر النبيلة، ومن ينطون على هذه الضمائر، بعيون عن موقع القرار، وموقع السلطة..

صَرُّتِ الْمَاهِمُ الْعَرَبِيَّةُ

د. أحمد إبراهيم الفقيه

العقد وعلو مكانته، لا يعيشه من المحاسبة على أيدي الجيل الجديد من تلامذة العقاد، وفي مقدمتهم رجاء النقاش، والرد على مواقفه المجنبة للصواب عندما سخر نفوذه الأدبي وتاريخه الحالق بالعطاء والإنجاز للوقوف في وجه حاملي رسالة التجديد في الشعر أو القصة ، خاصة وان العقاد جعل هدفه في الهجوم اثنين من رواد الشعر الحديث احتقى بهما رجاء النقاش وقدم لاحدهما ديوانه الأول مما صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى وساهم فى نشر انتاجهما فى مجلة الاداب التى كان مديرها لكتبها فى القاهرة بعد انور المعداوى . وكان الامتداء لرجاء النقاش والتعرف عليه وتوثيق العلاقة معه متاحا فى جو قاهرة الستينيات التى كانت تحفل بمطاراتيد الانظمة العربية من أدباء وكتاب وسياسيين، يجدون فى القاهرة الملاجأ والملاذ، وكان النقاش قريبا من هذا النبض العربى وهذه الأجياله التى تنوب فيها المساحات بين العربى والعربى، خاصة إذا كان الاثنان ينتميان الى قبيلة واحدة هي قبيلة الحرف والكلمة فقد كان رجاء النقاش صوت مصر فى بقية أقطار

لا أستطيع أن اتذكر بالتحديد متى وكيف توثقت علاقتى الشخصية بالكاتب الكبير الاستاذ رجاء النقاش، ولكننى أستطيع أن أقول إن ذلك حدث فى مطلع السبعينيات عندما بدأت ترددى على القاهرة واشتربت فى نورة دراسية طالت فيها إقامتي بالعاصمة المصرية لمدة عامين، وكان رجاء النقاش إذ ذاك ملء السمع بالبصر، نجما ساطعا وهاجا من نجوم الحركة الأدبية له الق يضىء ويحرق أحيانا وله كلمة مسموعة فى الوسط الأدبى لما اظهره من نباهة وحصافة واسلوب طازج جديد فى مقارباته للأعمال الأدبية، وكان يخوض معارك التحديث والتطوير والتجديد بقوة وصلابة حتى لو كان موجود على الطرف المقابل واحدا من جيل العمالقة مثل عباس العقاد الذى كانت المعركة بينه وبين رجاء النقاش من اكثر المعارك سخبا وقوة، دون ان يعني ذلك ان يغنم النقاش حق العقاد فى الاعتراف بمكانته السامية، رائدا عظيما من رواد الأدب الحديث وكتابا موسوعيا اسهم فى إخراج المجتمعات العربية من ظلام الجهل الى نور الایمان بعصر العلم والحرية، ولكن هذا الاعتراف بفضل

٢٠٨

١٣
١٤
١٥
١٦



٢٠٩

الطبعة - ٢٠٠٤

أدهم
اللطي

البورقريه للفنان
أدهم لطفي

أكثر قوة وتحرراً ومجداً، واذكر صديقاً
كانت تضمه هذه الطبقات كان يزامل
النقاش في دار الهلال هو الأستاذ مازن
البندك، الذي أصدر فيما بعد مجلة
اسمهما الجيل ما زال يتولى تحريرها من

الوطن العربي وصوت تلك الأقطار في
مصر، مندمجاً ومتوحداً بين مصراته
وعروبيته، وبين ما يريد له مصر وما يريد
لامته العربية، ملتحقاً بذلك المشروع الذي
قادته ثورة مصر في سبيل وطن عربي

حُرْتُ الْمَاهِمُ الْعَرَبِيَّةُ

النقاش مكانته كقيادة صحفية حققت اعظم النجاحات في قيادة المتابير الثقافية والأدبية داخل مصر وخارجها، وحقق اعتراف المجتمع الأدبي به كواحد من نقاد الطليعة، في أجواء القاهرة التي كانت تحفل في فترة الخمسينيات والستينيات باساطين النقد الأدبي يكفي ان نذكر منهم كبار الكبار أمثال الدكتور محمد مندور، والدكتور عبد القادر القط، والدكتور لويس عوض، والدكتور رشاد رشدي والاستاذ محمود أمين العالم والدكتور على الراعي، وغير هؤلاء من استطاع رجاء النقاش وهو الذي مازال في مطلع الشباب ان يقف ندا لهم، ويسيهم في إدارة التدوارات معهم تلك التي يديرها البرنامج الثقافي حول الكتب، او تلك التي كانت تهتم بعقدها المسارح في اعقاب كل مسرحية كما كان الحال عند إنشاء مسرح الجيب. تميز بقلمه النزيه، العميق، القادر على الغوص في الأعمال الأدبية والقاء الضوء على جوانب القوة والضعف فيها، وارشاد القارئ الى ما يستحق ان يسعى لقراءته وما لا يستحق في زحمة ما تطرحه المطابع كل يوم، فكان البوصلة التي يهتدى بها القارئ فتقوده في الاتجاه الصحيح، كما كان البوصلة التي تقود الأدباء ايضا وتهديهم الى مواطن القوة وطرق اكتشاف الجمال، ولعل اعظم إنجازاته في هذا المجال انه جاء الى الحركة الأدبية والنقدية يحمل شفافية وضمير الفنان دون تلوينات مذهبية، فقد كان النقد ينقسم الى مدرستين على الأغلب إحداهما تلك

باريس، وترتبطني به هو ايضا حتى اليوم أوثق العلاقة منذ ان عرفته عن طريق رجاء النقاش. ويكفى ان اقول ان بداية تعرفي على إنتاج رجاء النقاش كان من خلال مجلة الآداب البيريويه ذات التوجه العربي، وكان رجاء النقاش من كبار المساهمين في تحريرها يكتب لها رسالة القاهرة الأدبية ويمدّها بالأبحاث والدراسات ويقدم القراءات النقدية لما تكون المجلة قد نشرته في اعداد سابقة من مادة أدبية تشمل البحث والقصة والقصيدة، وكانت شخصية رجاء الناقد تظهر سامة قوية تستقطب إعجاب القراء بفضل ما وهبه الله من قوة التحليل وادران أسرار العمل الفنى وعمق المعالجة فى بحثه ومقارباته ورؤيته العربية النقية الصافية التي لا يشوبها التعصب الذى يعمى البصر عن ادراك الحقائق او النظر اليها عبر لون الايديولوجيا التي يؤمن بها.

شهرة واسعة

كان رجاء النقاش قد حقق لنفسه شهرة واسعة، ونجمية هي أقصى ما يمكن ان يطبع بالوصول اليها أديب من الأدباء، نجمية أوصلته لأن تفتح له صحيفة خاصة تعتمد في حياتها واستمرارها على شعبيتها لدى القراء صفحاتها وتفسح صفة كاملة لمقالات الأسبوعية التي ينشرها بها، قبل ان تسعى لاستقطابه مؤسسات أخرى، خاصة بعد ان انتهت الملكية الخاصة للمؤسسات الصحفية، ليتبوا رجاء



مع أبو عمار وبينهما الأستاذ عبد الحميد حمروش - القاهرة ١٩٩٥

طغيان هاتين المدرستين، وبكتابات رجاء النقاش ومثله من أبناء هذا الاتجاه مثل الدكتورة فاطمة موسى وغالى شكري وفاروق عبد القادر وأحمد عباس صالح، استطاع نجيب محفوظ أن يفوز بالمكانة التي يستحقها، وهو يزاحم أصحاب الجاه والنفوذ من كتاب الرواية، ويصبح في سنوات قليلة عميدهم جميماً، بموهبة فقط ولا شيء آخر يدعم هذه الموهبة إلا الموهبة التي تزداد قوة وتتألقاً مع الخبرة والتجربة والنضج، ولأن افق الرؤية عند رجاء النقاش لم يكن محدوداً بحدود مصر وإنما يشمل الوطن العربي كله فقد كان سهلاً أن يهتمي إلى عرق الذهب المدفون تحت جبال الطين حتى وهو يمد بصره إلى أخارج مصر، ولا أحد يعرف

المدرسة التي توغل في احتفائها بالتناول الواقعى أو ما يسمى الواقعية الاشتراكية التي يصل بها الحال إلى الحد الذى دفع بأحد نقاد هذا الاتجاه لهاجمة أدب نجيب محفوظ باعتباره لا يخدم قضايا الشعب، وهى المدرسة التى اشتهرت باسم ناقد أدبى روسي ستالينى اسمه جданوف وسميت باسمه أى المدرسة الجданوفية فى التقد، التى لا تنظر إلا إلى المضمون دون اعتبار للشكل وجمالياته أما المدرسة الأخرى فهي تلك التى تتحقق بالشكل دون اعتبار للمحتوى والتى كان لها أعون يقودهم أستاذ اللغة الانجليزية وأدابها فى الجامعة الدكتور رشاد رشدى، وكان رجاء النقاش هو الهبة التى أرسلتها السبعاء لإنصاف المبدعين من

صُرُّتُ الْحَامِ الْفَرَغِي

والتي كانت منبراً لرواد النهضة فكان دور رجاء النقاش عندهما استلام رئاسة تحريرها تقوية هذا الدور ودعمه بتلك الرؤية العربية التي تأسست مجلة الهلال على يد منشئها الشامي اللبناني جورج زيدان لخدمتها ولكلٍ تكون حلقة وصل بين الحياة الثقافية في مصر ومحيطها العربي، فكانت فترة رجاء النقاش من أغنى الفترات في تاريخ المجلة بهذا التواصل العربي، وأكثر ازدحاماً باسماء لم يدعى من عرب أسهموا في تحرير مقالاتها من خارج مصر، وأصدرت أعداداً خاصة عن الأدب العربي، الذي لم يكن محظوظاً بقطر عينه، مثل الأعداد الخاصة بالقصة في الوطن العربي، واستلم أيضاً مجلة الإذاعة والتليفزيون، ذات النفوذ الواسع في مجال السمعيات والبصريات وفي موقع ربما أكثر من موقع رئيس التحرير أي رئيس مجلس الإدارة الذي يستطيع أن يصدر قرارات التعين لكتاب وأدباء كانوا يعانون من سوء ظروفهم الاقتصادية وأوضاعهم الوظيفية فشهدت تلك الفترة حدياً من رجاء النقاش على بعض هؤلاء الأدباء تجاوز الحدب على إنتاجهم الأدبي ورعايته إلى رعاية أوضاعهم المعيشية والوظيفية غير ما أغنى به هذه المطبوعة من عمق وثقافة وجدية الناقد الذي صار مسؤولاً على تسخيرها، وتبقى أزهى مراحل العمل في هذه المنطة بالنسبة لرجاء النقاش هي مرحلة مجلة الدوحة التي ساعدت الظروف والأمكانيات على أن يجعل منها ساحة لقاء وتفاعل وتلاقي بين نوابغ الأدب

إذا ما كان المبدع الكبير الطيب صالح سيحقق تلك التجومية الفورية بابداعه الأدبي لو لم يسرخ له الله رجاء النقاش ويقرأ روايته الفاتنة موسم الهجرة إلى الشمال فيكتب عنها بما تستحقه من ثناء واعجاب لينتقل هذا الاعجاب إلى القراء في مشارق الأرض ومغاربها، ويبحى من هذا الحس العربي ذهب رجاء النقاش يبحث عن عرق الذهب الأدبية في الأرض العربية المحتلة، فلسطين، ومن هناك جاءت كتاباته تبشر بتلك الأصوات التي كانت بعيدة خافتة، أصوات ايميل حبيبي ومحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد، لتصبح هذه الأقلام بعد أن كتب عنها رجاء النقاش وكتب عنها غسان كنفاني نجوماً تسطع في سماء الوطن العربي كلٍ، تحظى بالتبجيل والاكبار، ويمكن بعد هذه الأطلالة السريعة على دوره كناقد أدبي، ان نحدد ثلاثة مناطق تأكّدت فيها شخصية رجاء النقاش الفكرية، الثقافية، الاجتماعية ومكانته كرائد من رواد التنویر والحداثة في مصر ٢١٢ والوطن العربي وهذه المناطق هي:

قائد مبدع

أولاً - تأكّدت مكانة رجاء النقاش، محركاً للحياة الثقافية وعاملًا من عوامل التشجيع والتفعيل والتحدي لمعطيات الواقع من أجل تجاوز سلبيات وتقواه ايجابياته، من خلال موقعه كرئيس لعدد من المنابر الثقافية مثل مجلة الهلال، ذات الاعباء الثقافية المتعددة على مدى زمن طويل غطى حتى الان أكثر من مائة عام،

جـ
بـ
جـ
جـ



مع الملك عبد الله «ولي عهد السعودية آنذاك» في مهرجان الجنادرية - ١٩٩٤

٢١٣

جامعة
الملك عبد الله

قدما وعراقة، يألف أهمية من رئاسته للمنابر الأخرى، فقد كان مهماً لهذا المجال الصحفى الذى كان يقتصر على نشر أخبار مشاهير أهل الفن ونقلها للمرأة، أن يأتي من يعتنى بالمحظى والمضمون الذى تحمله صفحات المجلة وهكذا نجد الكواكب تفتتى فى هذه الفترة بعطاء كبار الأقلام خاصة كتاب المسرح من أمثال الراحل الفريد فرج، بل أن رجاء النقاش سعى لتوسيع دائرة اهتمام هذه المجلة لتشمل نشر الابداع الادبى وانذكر في المرحلة الأولى لرئاسته لها في السينيما التي كنت أراه أثناء مجلسنا في مقهى ريش يستقبل فتى طويل القامة، أسمره اللون، غليظ ملامع الوجه، ليقدم له على استحياء وخلق قصيدة ثم يمضي لينشرها رجاء النقاش في العدد القادم من الكواكب، وكان هذا الشاعر الناشف الخجول هو أمل دنقلى،

العربي في كل أنحاء الوطن العربي، ورغم أن مكان ميلاد المجلة وقاعدتها انطلاقها هي دولة قطر وهي كما نعرف بيته ثقافية لم تكن كبيرة ولا قوية ولا غنية، إلا أن الكبير والقوية والغنى جاء بفضل الموارد التي استخدمها رجاء النقاش في تنفيذية المجلة. بروافد الابداع والفكر والثقافة من شرق الوطن العربي ومغاربه لتكون تجربة الدوحة تجربة فريدة، وأنجازاً أنجازه رجاء النقاش لكي تصبيع المجلة وساماً فوق صدر الدولة التي أصدرتها بمثيل ما كانت وساماً على صدر رئيس التحرير الذي قاد مسيرتها واستعان بمهارات راقية لصنع تفوقها مثل مدير التحرير الكاتب الشاعر الأستاذ عبد القادر حميدة وقنان الإخرج الصحفى المبدع الكبير الأستاذ محمد أبو طالب، ولم تكن مرحلة رئاسته لتحرير مجلة الكواكب، كبرى المجالات الفنية في العالم العربي وأكثرها

صَرْنَتْ الْمُهَاجِرُونَ

الافكار التي تعنى بنهاض المجتمع والدفع به في ركب التطور والالتحاق بالعصر، واستطاع بجدارة أن يلعب دوراً تنويرياً في هذه المراحل من تاريخنا الحديث التي كانت تصيب أحياناً بتوع من الوثاث العقلية وتداهمنها أحياناً بعض الموجات الظلامية التي تريد أن تعيد المجتمع إلى ما قبل التاريخ، أو تلك التي تريد تفتت العالم العربي وعزل اقطاره عن بعضها البعض ونفث افكار الانفلاق والعزلة والتقوّع والتشرد والانكفاء على الذات، وقد تجلت في هذه المقالات روحه العربية باعتباره أحد المؤمنين إيماناً راسخاً عميقاً بالوشائج التي تربط أبناء الأمة العربية ببعضهم البعض، وكانت فلسطين دائماً في قلب هذه الكتابات باعتبارها قضية العرب الأولى والجرح الأكثر نزفاً في جسد الأمة، ولم يكن ليكتسب رجاء القاش صفة الصوت المعبر عن الحلم العربي بفضل كتاباته ذات البعد القومي واهتمامه بقضايا العمل العربي المشترك، ولكنه اكتسب ذلك أيضاً بفضل انشغاله بمشروع النهضة في مصر وتحقّقها عبر الفكر والسياسة والثقافة والاقتصاد والاجتماع حيث كان لا يرى مستقبلاً للوطن العربي بدون مصر القوية العفية المتالقة المنتصرة المتحررة، ولم يكن يرى مستقبلاً لمصر بمعزل عن محيطها العربي وموارد القوة التي تتوافر عليها عندما تربط مصيرها بمصير أقطار هذه الأمة، ولذلك فإن إنشغاله بموضوع النهضة في مصر هو في ذات الوقت انشغال بموضوع النهضة العربية وتعبير عن قوة

الذى أصبح علماً من أعلام القصيدة الحديثة، وتلك كانت بواكيير أعماله الشعرية، ولم يكن أذهب للقائه في مكتبه إلا وأجده يستقبل وجهاً من الوجه الجديدة في الأدب يقرأ انتاجه ويعطيه خلاصة خبرته وتجاربه بعد قراءة هذه الانتاج ثم يساعديه على نشره إذا استطاع لذلك سبيلاً، فلم يكن رجاء النقاش يتبوأ هذه المراكز الإدبية القيادية على مدار الزمن، إذ ما أكثر الفترات التي تعرض فيها لغضب السلطة وملحقتها مثل الفترة الأولى لحكم الرئيس السادات، عندما بقي معزولاً لفترة من الوقت قبل أن يسافر مرغماً إلى إحدى الأقطار العربية ليجد هناك مساحة لممارسة الكتابة والعمل الثقافي المؤهل بجدارة للقيام به.

مواجهة الأصولية

الدائرة الثانية التي حظيت بجهده وأبداعه هي مقالات الرأي، فعلى مدى العقود الخمسة التي انصرمت منذ أن بدأ الكتابة في الخمسينيات وهو يثابر بجوار الكتابة الأدبية والنقدية، على كتابة مقالات الرأي التي تتصدى لقضايا الحضارية، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو بنية أو فكرية فلسفية، ويدلي فيها بدلوه، وكان يضع قلمه دائماً في صفحات التقدم والحداثة والتطوير والتجديد ودروع العصر، متصدراً في بساطة وقوة وشجاعة لافكار فقهاء الظلام وأرباب التفكير الأصولي التكفيري منافحاً ومدافعاً عن

٤١٤

٢٠٢٣ - ٢٠٢٤



مع الرئيس السوداني إسماعيل الأزهري والشاعر عبد الرحمن الخميسي - الخرطوم ١٩٦٨

٢١٥

نظم رجاء النقاش كثيراً إذا اكتفينا بوصفه ناقداً أدبياً ورائداً من رواد الفكر الحداثي في ثقافتنا العربية، لأن صفتى الناقد والمفكر، لا تتضمنان صفة أخرى، حرى بنا أن نصف بها رجاء النقاش، لا تفضلنا وإنما عن استحقاق وجدارة هي صفة المبدع، فهو لم يبق في دائرة الناقد الذي يجعل من كتابته هامشاً على متون الآخرين، وإنما اهتم بكتابة المتن الإبداعي الذي يستمد وجوده من إبداع وخيال وفكر الكاتب نفسه، في كثير من كتبه الإبداعية، فقد تخصص في كتابة لون من الإبداع الأدبي نستطيع أن نسميه الصورة القلمية وهذه الصورة قد يرسمها الشخصيات من التاريخ، وقد يرسمها الشخصيات من إبداع الأدباء العالميين من أمثال شكسبير وغيره، وقد يرسمها الشخصيات بيتدعها هو نفسه من الخيال، ويقدمها بكل عناصر الإبداع الأدبي من سبر لأغوار النفس البشرية

الحلم العربي ومشروعه وقابليته للتحقق بمشيئة الله. وأذكر الآن ندوة أسهمت فيها مع رجاء النقاش إقامتها الجامعة العربية عام ١٩٧٢ عنوانها الوحدة والتنوع في الثقافة العربية، تجلت فيها الرؤية العربية النقية لرجاء النقاش، الذي أسهم في الإعداد لهذه الندوة كعضو في لجنتها التحضيرية، كما أسهم في البيانات التي أصدرتها كعضو في كتابة بيانها الختامي، فكان من عناصر انجاحها، لأنه وضع مفهوم الوحدة العربية في مكانه الصحيح، بعيداً عن رؤية الانفلاق والعرقية والشوفينية من ناحية، ويعيداً عن نظرة الاستلاب والدولية والتوصيات في المشروع العربي توصياتنا كاملة، فهي وحدة التنوع والحضارنة والافتتاح على آفاق التجدد والإبداع والتفاعل مع ثقافات العالم ومناطقه الحضارية من موقع الندية والتكافؤ والمصالح المشتركة والأخذ والعطاء.

صَوْتُ الْمَلِّمِ الْفَرَقِيِّ

زيارة القاهرة هو أستاذنا الدكتور محمد يوسف نجم، الذى يعترف رجاء النقاش بفضله فى التعريف بمؤسسى الأدب الحديث خاصة فى مجالات القصة والرواية والمسرحية فى الأدب العربى من أبناء القرن التاسع عشر، وقد أصبحت بفضل رجاء النقاش أحد الأصدقاء الحميمين لهذا الأستاذ الرائد وهذا الأب من آباء الحداثة فى العالم العربى، أطال الله عمره، وكلنا يعرف مدى التوتر الذى يشوب علاقات الدكتور يوسف إدريس، عبقرى القصة القصيرة، ببعض الناس بسبب تلك الشحنات الانفعالية الغاضبة التى لم يكن الكاتب الكبير الراحل يجيد كتمانها لفروط صدقه وعفوته، إلا انتهى أشهد أن علاقة الصفاء والنقاء والمودة العميقه بينه وبين رجاء النقاش، ظلت في تواصل مستمر لا يشوبها شيء مما يشوب العلاقات الأخرى، وقد كنت صديقا للاثنين منذ مطلع السبعينيات، وكان هذا هو نوع العلاقة التى ربطته بكتاب عرب من أمثال الطيب صالح وسهيل إدريس وزكريا تامر وعبد السلام العجيلي ونزار قباني وعبد الوهاب البياتى ومحمد الفيتورى، ومجموعة الشعراء والقصاصين القادمين من عمق الأرض المحتلة، الذين يحتل رجاء النقاش مكانة خاصة جدا في قلوبهم، كما يحتلون هم أيضا ذات المكانة لديه، وقد كنت حاضرا أول لقاء بين المبدع الفلسطينى الراحل إيميل حبيبي، الذى يعرف فضل رجاء النقاش على مبدعى الشعب الفلسطينى، كما يعرف

واهتمام بجماليات الأسلوب والمعالجة، مع مقدار كبير من التشويق والإمتاع الفنى الذى يرقى بهذه الكتابات الإبداعية إلى مصاف شوامخ الأعمال الأدبية.

ويبقى جانب خامس لابد من الاشارة إليه على عجل، واته بفضل وجوده فى الحياة فى هذه المرحلة من الزمان، كان قادرا على القيام بدور حلقة الوصل بين جيل الآباء المؤسسين وجيل المبدعين المعاصرين، وما كتابه فى حب نجيب الحميم بينه وبين الجيل الأكبر سنا وتقديمه للأجيال الجديدة من القراء والمبدعين مسلط الضوء على أسرار عمله الفنى، ومراحل التكوين التى صنعت منه هذا العبقري المدهش الذى تفخر الامة العربية كلها بانتمائه إليها، ولم تكن هذه العلاقة التى جمعته بنجيب محفوظ إلا صورة من علاقات أخرى، مع كتاب آخر، لم تكن موضوع كتاب أو أكثر من كتاب كما كان الشأن مع هذه العلاقة المميزة،

ولم تكن علاقته تقتصر على الجانب الفكري وإنما كان يعنى بالتواصل الإنساني مع هؤلاء الرواد وأنذكر أنه أخذنى أكثر مرة لزيارة كاتب من كتاب الجيل الماضى هو الأستاذ على أدهم فى بيته بمصر الجديدة ويكتب بعد أن يعود من زيارته مذكرا بجرائم الاعمال التى قدمها هذه الرائد المجهول من رواد الثقافة العربية الحديثة، كما أخذنى لزيارة رائد آخر من أبناء فلسطين يداوم على

٢١٦



فى دمشق عندما كان يعمل فى جريدة الجماهير - ١٩٥٩ مع صباح قباني
شقيق نزار قباني والفنان عبد اللطيف والكاتب نجاة قصاب حسن

لهذه المنابر مشغولاً بتحرير وإنشاء منابر ثقافية في بلادى، كما لم أحظ في يوم من الأيام بحرف واحد كتبه عنى، لأننى لم أكن قد انتجت في مجالات الإبداع أفضل أعمالى الأدبية في ذلك الوقت المبكر من عمر علاقتنا ، وعندما فعلت كان هو قد

٢١٧ تحول عن النقد التطبيقي إلى معالجة القضايا الكبيرة بحيث لم يعد مثل هذا النقد يحتل غير مساحة صغيرة من جده وتفكيره رغم أنه لم يكن يتأنّر عن قراءة ما أقدمه إليه من انتاجي بحب واهتمام ولم يكن يبخل إطلاقاً بأبداء رأيه على المستوى الشخصي والشفهي، وهو رأى كان دائماً مصدراً لاعتزازى وسعادتى وحافزاً لي علىبذل مزيد من الجهد على طريق الإبداع.

رجاء النقاش مكانة هذا الرائد الكبير، وكيف كانت عيناً إميل حبيبي تغزو رقان بالدموع وهو يحتضن رجاء النقاش متأسفاً كيف تأخر هذا اللقاء الشخصى بينهما لأكثر من ثلاثين عاماً.

هذه شهادة أقولها بمنتهى التجدد والحيادية، مبرأة من كل غرض أو شبهة رد الجميل على المستوى الشخصى، وإن كان بالتأكيد يلونها احساس برد الجميل والعرفان بالفضل لأهله على المستوى العام، فلم أكن من انتفعوا بالمساهمة في المنابر التي قادها و كنت سأشرف بأن أضع اسمى ضمن لوائح الشرف لعباقرة هذه الأمة من كانوا يهرعون للتلبية دعواته للكتابة في المنابر التي كان يتولى مسئولية تحريرها، فقد كنت حين قيادته



حزن في المروج الجبلية

ياسر شعبان

قول "شكسبير" المأثور "جعلجة بلا طحن".

وطللت مرتباً حتى قرأت كتاب "قصة روایتین" للأستاذ "رجاء النقاش" - الصادر عن دار الهلال في عام ٢٠٠١ - والذي تناول فيه أزمنتين أثارتاهما روايتا "ذاكرة الجسد" للكاتبة الجزائرية "أحلام مستغانمي" ورواية "وليمة لأعشاب البحر" للكاتب السوري "حيدر حيدر".

بعد الانتهاء من قراءة هذا الكتاب، سرت الثقة والسكينة إلى، خاصة عندما

قرأت هذا المقطع في صفحة (١١) :

(وجاء الرد على الدكتور محمد عباس ودعوه إلى "المبادرة على الموت" بالدفاع المستميت عن رواية "الوليمة" لـ"حيدر حيدر" واتهام كل من يرى فيها خطأ فكريأً أو أدبياً بأنه متطرف خارج على النظام وعدو لأمن بلده. ولذلك "احتاس" أمثالى من يحبون أن ينظروا في هدوء موضوعية وصفاء ذهن، ويحبون أن ينظروا إلى الأشياء في حجمها الصحيح، فلأنوا بالصمت، وانضموا إلى حزب "المرجئة"، أي الذين "يرجئون" التعبير عن أفكارهم إلى يوم الحساب العظيم، حتى لا يقعوا في خطيئة الانضمام إلى حزب من الأحزاب الفكرية المتصارعة في هذه الدنيا الفانية. ولو لم أنضم أنا وأمثالى

مع بداية الألفية الثالثة ثارت زوبعة ثقافية عرفت باسم "أزمة الروايات الثلاث" ، وكانت طرفاً فيها دون إرادة مني، وذلك بعد اختيار روائي "أبناء الخطأ الرومانسي" ضمن الروايات المتهمة بالخروج على الآداب العامة وخدشحياء العام! وقبلها كانت هناك زوبعة هائلة عرفت بـ "أزمة الوليمة" ، نسبة إلى رواية "وليمة لأعشاب البحر" للكاتب السوري "حيدر حيدر" .

وأي متابع للأزمنتين لابد أصابه الارتباك والتشوش، بسبب التغير الحاد في المواقف الرسمية وموافق كثير من المعروفين بـ"المثقفين والإعلاميين" . ففي "أزمة الوليمة" ، المتهمة بالتجريف، جاءت المواقف مدافعة عن حرية التعبير ورفض الوصاية على الإبداع تحت أي مسمى. أما في "أزمة الروايات الثلاث" ، فقد حدث تحول كامل في المواقف بزعم الدفاع عن المجتمع وثوابت الأمة!!!

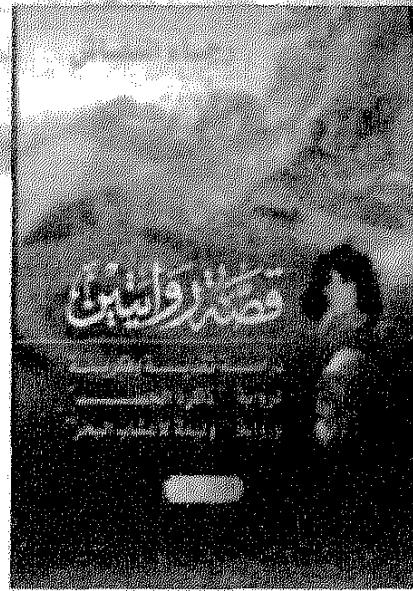
ولم أشارك في الأزمنتين سوى بشهادة كان عنوانها "الخاسرون" ، وذلك رغم مطالبة كثيرين لي بأن أشارك لأنها فرصة للشهرة تستحق الاقتناص!! ورأيت أن المشاركة في مثل هذه "الهوجات" ستكون مشاركة مزيفة في أزمة مفتعلة، يختلط فيها "الحابل بالنابل" وينطبق عليها

٢١٨



٢١٩

مكتبة
الطباطبائي



يمن الله على بنعمة الثاني ويعندي
القدرة لأبتعد عن طوابير المهرولين،
يختلف عن غيره من الأحزاب التي تناول
الأستاذ رجاء تأثيراتها السلبية على

إلى حزب "المرجئة" في هذه القضية الصادمة، لأصابتنا شر عظيم، فإذا مدحنا الرواية نقداً قيل إننا من المتطفين والإرهابيين، ولذلك قلنا لأنفسنا باللغة الحميمة الفصيحة ... وعلى إيه.. أُسكت (وخلاص!).

قمية الحرية

ويختلف حزب "المرجئة"، ومن أبرز أعضائه - حسب تقديرى - الراحل العظيم "نجيب محفوظ" والأستاذ محمد حسين هيكل والأستاذ رجاء النقاش والأستاذ بهاء طاهر. وأخرون، وأتمنى أن أحظى بشرف الانضمام إلى هذا الحزب وأن

كتاب المراجحة

حماية المجتمع وتطويره.
ويتأكد موقفه هذا بما جاء في صفحة ١٣٢ من نفس الكتاب :

(فإنتي على إدراك تام بأن ما جاء في فصول هذا الكتاب لن يرضي أحداً من المؤمنين بالحزبية الفكرية والسياسية، وأعلم على وجه الخصوص أن هذا الكتاب سوف يثير غضب الماركسيين وغضب الأحزاب الدينية العلنية والسرية وعلى رأسها جميعاً "الإخوان المسلمين". وهذه الأحزاب - يميناً ويساراً - تسعى إلى السيطرة الأدبية" على كل عمل فني، وهو أمر مثير للقلق، لأن "الفن" قد يكون مصدره تفكير سياسي، ولكن "الفن" شيء و"السياسة" شيء آخر.)

.....

(فالاحزاب والأفكار الحزبية هي مثل السدود التي تقام على الانهار، ولكن ما جدوى هذه السدود إذ جفت الانهار وتوقفت عن الجريان؟)

.....

(وهكذا يكون الفن والنقد، فهما نهران حزان لا ينبعي أن تؤثر في جريانهما الطبيعي قيود ولا سدود. حتى

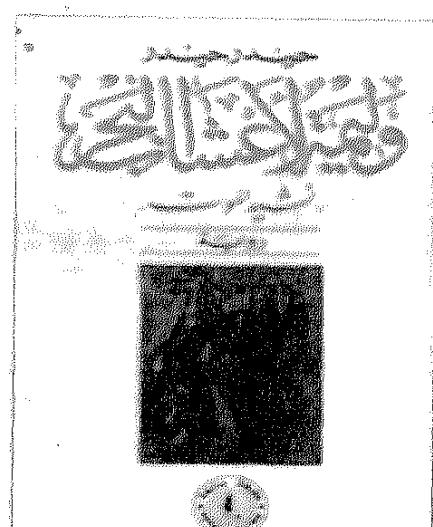


الإبداع مستشهدأً بالنماذج الصارخ للأدب الحزبي في الاتحاد السوفيتي، وعنده قال في صفحة ١١٢ :

(لو أن الاتحاد السوفيتي عرف نسبة معقولة من حرية الأدب والفن، لاستطاع الأدباء والفنانون أن يقدموا أعمالاً عظيمة، بل إنني أغامر وأقول بأن حرية الأدب والفن كانت كفيلة بحماية الاتحاد السوفيتي من الانهيار، لأن الأدباء والفنانين قادرون على التنبية للأخطاء وقبل أن يتباهوا بها غيرهم، وقبل أن تصبح هذه الأخطاء نوعاً من الكوارث التي يستحيل تصحيحتها أو الوقوف أمامها، فالأدباء والفنانون المهووبون لديهم تلك "الحساسة الخفية" التي هي "موهبة إلهية" تمكنتهم من الشعور بالخطر على بعد ألف ميل، وقبل أن يصبح مثل هذا الخطير كارثة بلا حل.)

ويتضمن المقطع السابق إيمان الاستاذ "رجاء لنقاوش" بقيمة "حرية الأدب والفن" وثقته في الأدباء والفنانين وفي قدرتهم على التنبية والمشاركة في

٢٢٠





حيدر حيدر



أحلام مستغانمي

وإن أخطأ النهر يوماً ففاض أكثر من اللازم، أو تأخر فيضانه عن مواعيده المحددة، فذلك كله لا يسمح لأحد بالغاء النهر واستبعاده من الوجود.)

دعوة للحوار

وهكذا - ببساطة ومهوء ووضوح، يُبدي الأستاذ "رجاء النقاش" رأيه في مشكلة يعاني منها ومن تداعياتها كل المشتغلين بالإبداع، كما هو الحال في مصر الآن، عندما يجدون أنفسهم بين مطربة وسندان الأوصوليات المختلفة - سياسية، فكرية، دينية... فالقيود تؤدي إلى التمرد، والسدود تتداعى أمام الفيضانات الجارفة، والأفكار لها أجنحة لم ولن يمنعها عن التحلق أحد، وحرية التعبير والإبداع لا تتسبب في إساعة الفهم ولا تشغل النزاعات، بل تؤسس لمناخ من العقلانية واحترام الآخر والقدرة على المشاركة والفعل والتعبير. وأدعوا الجميع إلى تأمل هذه الجملة التي جاءت في صفحة ١٢٤ من كتاب "قصة روایتین": (ولعلنا لو أخذناا بمنهج الحرية - وآخلاقها أيضاً - لابعدنا تماماً عن أي

محاولة لاضطهاد رأي مخالف، أو صاحب رأي مخالف، فالاضطهاد والمطاردة لأصحاب الآراء عار على العقل والضمير. وتبادل وجهات النظر في إطار من الاحترام المتبادل، مهما ارتفعت حرارة الحوار أو زادت مساحة الاختلاف والتعارض، هو السبيل لتحقيق إصلاح ثقافي عربي شامل، ينقلا من عصر "الطوائف" الفكرية والخنادق المسلحة التي تطلق النيران على كل شيء يتحرك، إلى عصر تتقدم فيه وتنهض ، بعد أن نطق سراح العقل العربي من قيوده القاسية التي تكتم أنفاسه وتعوق حركته وتجعل منه عقلاً انفعالياً سريع الفضب سريع الرضا، جاهز على اللوان لإطلاق الأحكام النهائية التي تم إعدادها في "الكراريس الحزبية" دون أن يلجم هذا العقل، كما ينبغي على كل عقل حُر، إلى الفحص الدقيق والدراسة المتأنية القادرة على تقليل كل الأمور على كافة الوجوه والاحتمالات قبل الوصول إلى قرار آخر).



يُصلِّي صورَه عماً

سعيـد شـعـيب □

فوضى الصدفة، لم نكن نحتاج فقط للقتال والعناد والحفر بالأظافر بحثاً عن أرض صغيرة نقف عليها، ولكن كنا ومازلتنا نحتاج لن هم مثل الأستاذ، وهم قلة نادرة في بلدنا العزيزة. أشخاص تؤمن بموهبتك لوجه الله ولا تطلب منك شيئاً سوى أن تكون أنت كما أنت بالضبط، بالتمام والكمال، ومن هنا كان الأستاذ على عكس كثيرين مثل صورته بالضبط التي كونتها أنا وغيري من قراءة كتبه ومقالاته ، نبيلا، متسامحا، عفيفا، محباً للناس والحياة.

ولذلك لم أصدق نفسي عندما اتيحت لي فرصة العمل معه في مكتب إحدى الصحف العربية، ومنها إلى مجلة الكواكب، فهل معقول أن أعمل مع رجاء النقاش "بجلالة قدره" ، وأراه ويراني، بل ويناقشني وأناقشه. وووجدت شفلى يجد طريقه للنشر بلا لفقات ولا طرق سرية ولا وصلات نفاق ولا أى شيء.. فقط مجرد أن أكتب بشكل جيد، وتتجدد الأستاذ فرحاً وكأنه هو الذي كتب. في حين أن البعض في بلاط صاحبة الجلالة "يع肯ن عليك عيشتك لأنك بتعرف تكتب" وكأنك تكتب على لحمه وليس على ورق صحف، وكأنك تقطط جزعاً من ذاته .. فمثل هؤلاء

كان الأستاذ رجاء النقاش يقول لي دائمًا: جيالكم لا يحتاج فقط إلى أن يكون موهوبًا، فهذا وحده لا يكفي في بلد مثل مصر، فلا بد تكون - إلى جانب موهبتك - مقاتلًا عنيدًا تحفر الصخر بأظافرها.

كنا فقراء لا نملك سوى موهبة عارية من النفوذ ومن المال، موهبة لا يمكنها أن تقف صامدة وحدها في مواجهة فرص تقاد تكون معروفة وأنهيايات لناس أحببناهم بجنون من الصور التي كونها لهم عبر قراءة دورية، كانت هي نافذتنا الأكثرأماناً لرؤية العالم.

كانت دنيانا مضطربة في منتصف ثمانينيات القرن الماضي، مفزوعين من المسافة الهائلة بين صور كونها من حروف مطبوعة في كتب وصحف، وبين حقيقة أحرقت قلوبنا في ردهات مؤسسات صحفية وأحزاب. انتقالات عنيفة من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، ومن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار .. من العداء المطلق ضد الولايات المتحدة وإسرائيل إلى تأييد سيكاد يكون مطلقاً - للصهاينة ولبلدانات الأمريكية ..

فيمن نعتضم وأى مكان يعصمنا؟!

السؤال صعب والإجابة عليه أصعب، وللأسف في بلد مثل مصر تحكمها

□ كاتب وصحفي



الدرسة الحانية، مدرسة رجاء النقاش تعلمت أهم درس في حياتي وهو فضيلة الاختلاف ورحمة التسامح .. وأن الحكم على الناس بمقاييسهم السياسية فقط قاصر ومزيف، لأن المواقف تتغير كما تتغير الأذنـية.. ولكن الأهم هو أن يكون الإنسان جيداً أياً كان موقعه: يميني، يساري، مؤيد للنظام، معارض له ففي هذه الحالة سيغـير نفسه والبلـد فعلـا، والإنسان الرديـي يفسـد نفسه والبلـد سواء كان موقعـه في المـعارضة أو الـحكومة. كما تعلـمت من الأستاذ فضـيلة الـاعتزـاز بالنفس والـتعالـى على الصـفـائن، فالـصـغير هو الذي يخوضـ مـعـارـكـ صـفـيرـة .. فقد رأـيتـ بـعيـنيـ كـيفـ كانـ هـؤـلـاءـ الصـفارـ يستـفـيدـونـ مـنـ وـيـتـقـلـبـونـ عـلـيـهـ .. وـهـوـ كـماـ هوـ أـبـداـ .. كـبـيراـ وـكـرـيمـاـ وـتـبـلاـ.

يعـتـبـرـونـ أنـ نـجـاحـ الآـخـرـينـ حـربـ شـخـصـيةـ ضـدـهـمـ .. وـكـلـ وـاحـدـ فـيـهـمـ يـعـتـبـرـ القـمـةـ خـازـنـقـ لاـ يـتـسـعـ إـلـاـ لـهـ هـوـ وـحـدـهـ نـونـ العـالـمـينـ.

وـمـنـحـنـاـ الأـسـتـاذـ نـعـمةـ الـآـمـانـ، نـعـمةـ أـنـ تـصـدـقـ نـفـسـكـ، أـمـانـ أـنـكـ بـمـوـهـبـتـكـ، «ـمـوـهـبـتـكـ فـقـطـ، يـكـنـ أـنـ تـجـدـ مـكـانـاـ لـكـ فـيـ هـذـاـ العـالـمـ الـفـظـ.. وـيـمـوـهـبـتـكـ فـقـطـ تـصـنـونـ نـفـسـكـ مـنـ الـفـقـرـ وـالـجـوعـ، وـيـشـخـصـيـتـكـ وـمـوـهـبـتـكـ تـصـنـونـ نـفـسـكـ مـنـ عـصـفـ الـانـقلـابـاتـ وـمـرـارـاتـ الـصـدـمـاتـ وـخـدـاعـ النـاسـ.

لـيـسـ هـذـاـ فـقـطـ وـلـكـنـ الأـسـتـاذـ كـانـ يـتـحـمـلـنـاـ وـنـحنـ نـتـاقـشـهـ بـنـزـقـ وـحـمـاسـ الشـبـابـ مـخـتـلـفـيـنـ مـعـهـ بـحـدـهـ فـيـ بـعـضـ مـوـاقـعـهـ السـيـاسـيـةـ .. وـبـالـلـعـجـبـ لـمـ يـكـنـ يـحـاـولـ أـنـ يـغـيـرـ مـوـاقـعـنـاـ وـلـكـنـ فـقـطـ يـشـرـحـ وـيـشـرـحـ لـعـلـنـاـ نـتـفـهـمـ بـوـافـعـهـ .. وـفـيـ هـذـهـ



سبكيكم لغويهم ممتحن

د.أحمد كشك □

يقوم به في التعريف بمن يعيشون أمر العربية، ومن هنا وصلت خيط الماضي بالحاضر، وأدركت أن عاشقاً للغة العربية مثل رجاء النقاش على العربية أن تجل دوره وأن تحفر اسمه في ضمير شائرها وبنيتها وتراكيبيها تحية له وتكريما.

الم يُثُر أمرها بالحديث المتمكن عن لغة الإبداع فيها، حين أضاف إلى المكتبة العربية مؤلفات جليلة عن أبي القاسم الشابي ومحمود درويش شاعر الأرض المحطلة، وأدباء ومواقف، وبين أنور المعاوى **وأفقى طوقان؟**

الم يرفع من شأنها وهو يتحدث حديث الناقد المتمرس في مجالات دورها وهو يقدم للقاريء العربي «مقعد صغير أمام الستار»، و«أصوات غاضبة في النقد الأدبي»، وفي أزمة الثقافة العربية، وعباس العقاد بين اليمين واليسار، وفي حب نجيب محفوظ، ورد على لويس عوض وتوفيق الحكيم؟

الم يكن له سبق في القبض على فيض أعلام كبار من أمثال شاعر مصر الكبير أحمد عبد المعطى حجازي والطيب صالح صاحب العمل الإبداعي المركب «موسم الهجرة إلى الشمال»؟

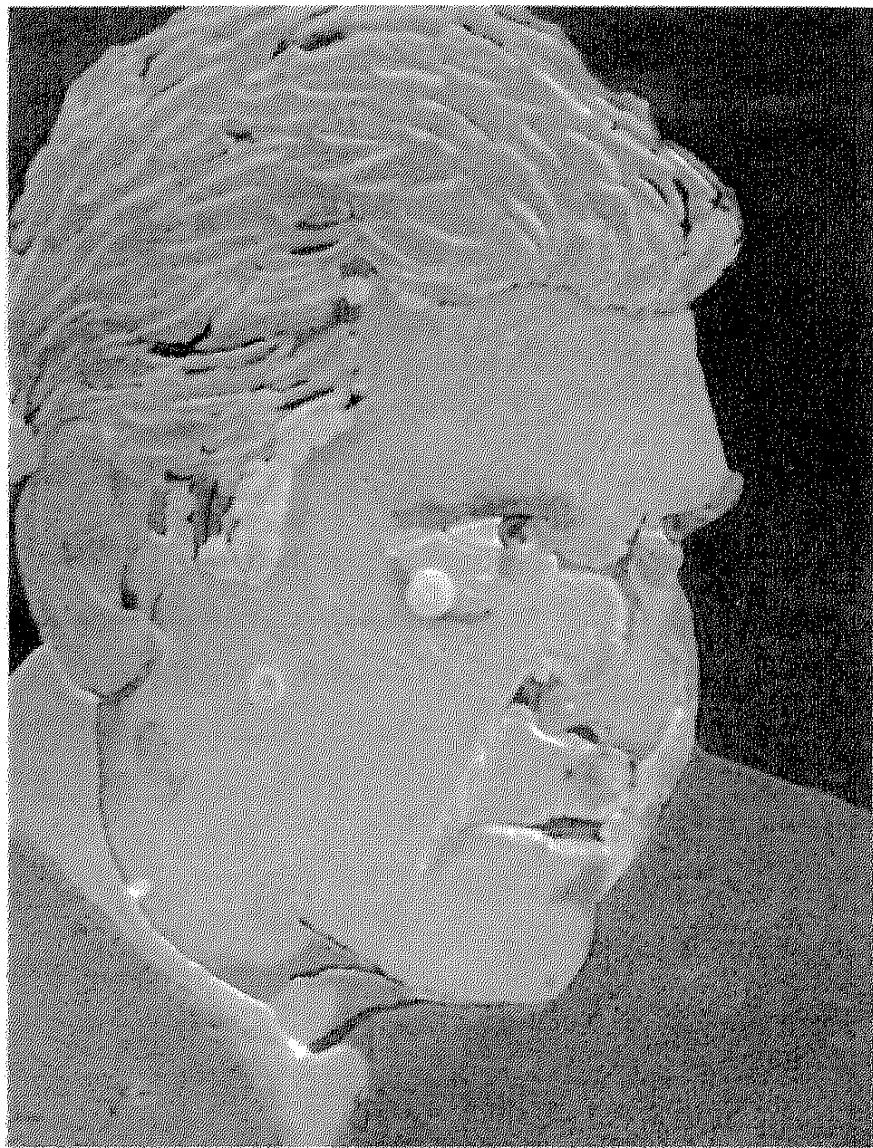
رجاء النقاش سبيكة لغوية غالبية، امتزج فيها بإحكام قوام الصواب بإشراقة الجمال، سبيكة إنسانية خلافة فكرا ودورا وخلقها.

كان أول لقاء به، وأنا أحرص على اقتناء مجلة الدوحة التي كان يقيم أمرها الثقافي والأدبي بارتقاء وعلو، وكان وجودي معه في لقاء بقاعة أحمد لطفي السيد بجامعة القاهرة من خلال ندوة كبرى خاصة باللغة العربية، وقت أن كان الحوار مشتعلًا مع كتاب الأستاذ فريد الشوباشي الذي أثار ضجة حول حياة اللغة العربية وأمام النحاة سيبويه، وقد شرفت بإدارة هذه الندوة التي حفلت بأعلام وملوك من مجالات ثقافية متقدمة.

٢٢٤

في إهاب هذه الندوة وجدت رجاء النقاش رجلاً دقيقاً هادئاً ووزينا يدللي برأيه في هذا الموضوع برؤية من يعشق اللغة العربية روحًاً وفكراً وابداعاً، وقد منحني بعد هذه الندوة في مقاله الذي نشتق إليه في الأهرام بعض أسطر من ثناء على إدارة هذه الندوة.. كانت أسطرا من ذهب في حق.

من ساعتها أدركت التور الأمين الذي



التصميم رؤية للفنان محمد طمان

٢٢٥

إننى فى حمى اللغة العربية أحبه، لأن
يمرح فى واديها ويجرى فى فيافيها من
باب المتعة والإبداع لا من باب المنفعة
والحاجة؛ فالحاجة تقدر عليها الآلة
الصماء، ويقدر عليها غير الإنسان؛ أما
الإمتناع فلا يقدر عليه إلا المبدع الفنان
الإنسان، لا يقدر عليه إلا من جاء إيهاراً
لسيكية لغوية غالبة، سبيكة من ذهب هى
رجاء النقاش.

إن هذا العلم المفرد الخلق يترك
بصمة واضحة في الحركة النقدية في
النصف الثاني من القرن العشرين
ما زالت متحركة حتى اليوم وبإذن الله إلى
زمان المستقبل، إنه يعيش أمر الفكر
الثقافي والأدبي لهذه الأمة الناطقة
بالعربية بعدلٍ ووله وإمتاع؛ فقد احتوى
هذا الرجل الحركة الأدبية بنزاهة وحيدة
واقتدار.

فِرَاجُ جَيْلِ الْجَعْلَةِ

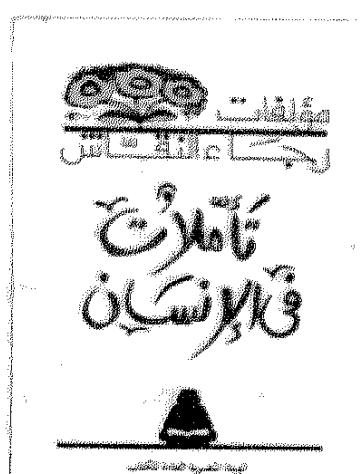
سلوى بكر

القارئ في العمل الإبداعي بإظهار الإيجابيات قبل السلبيات، وهو من النقاد الذين يتكونون الله فيما يكتبون، وهذا الأسلوب البسيط يكشف عن شخصيته التي يجمع القريبون منه عليها، فهو كما يكتب وكما يُحكي عنه.. إنسان مثقف ومتواضع وبسيط جداً دون إفراط أو تفريط.

لهذا كله اكتسب رجاء مصداقيته كناقد يبحث وينقب ويحلل ويكتشف ليقدم للقارئ ما لا يعرفه، وما لا يستطيع الوصول إليه بمفرده، وهذه قيمة مهمة وكبيرة أيضاً.

رجاء النقاش ينتمي لجيل من العظام المؤسسين لحركة النقد في العالم العربي، وله يرجع الفضل في تقديم محمود درويش والطيب صالح ويوسف إدريس وأحمد عبد المعطى حجازي وغيرهم، وله أيضاً الفضل في تأسيس وإصدار مجلة «اللوحة» القطرية التي لعبت دوراً كبيراً في تقديم نوافذ ثقافية مختلفة، ومن أبرز سمات النقاش أنه ناقد مثقف، عادل ولا يجامل، ولا يخلط بين الخاص والعام في نقاده، لا يتعالى على القارئ وهو يقدم له عملاً من الأعمال باستخدام عبارات أشبه باللوجاريتمات كما يفعل بعض النقاد الحاليين، فأسلوبه بسيط وسهل، يجب

٢٢٦



□ روائية وكاتبة



المجلد

سعید الکھراوی □

الضرورة إلى حالة الحرية. كنا ننظر إلى رجاء النقاش، أنا وذك الجيل الذي أنتتمي إليه منتصف السبعينيات وهو يحقق لنفسه تلك البداية القوية في النقد الأدبي داخل واقع اجتماعي يتغير سريعاً، وعبر أفق يتشكل.. ينطلق من رؤية شديدة الخصوصية تنظر إلى الكتابة باعتبارها تعبيراً عن هموم الإنسان وسعيه نحو تحقيق معرفة جديدة وسط شعارات مجلة في ذلك الحين.

كان رجاء النقاش في ذلك الزمن ينظر إلى الثقافة باعتبارها محصلة تاريخية شكلتها حقبة ليبرالية سابقة، معبرة عن مشروع تنوير يقود الأمة نحو التحديث، ويرى رجاء النقاش كيف أن هذه الثقافة فاعلة فيما تتجه المرحلة الثورية.. وكان رجاء النقاش في تقاده يأخذ في الاعتبار ذلك التأثير المباشر وغير المباشر لهذا الماضي في الثقافة المصرية حينذاك.. كان رجاء يبتعد عن صياغات الماضي ومفرداته، ويرسي نصه النقدي، مستشرفًا صياغات تهتم بالمستقبل، وتمهد الطريق لأدب جديد يواكب المرحلة الجديدة.

كان يحاول اكتشاف الواقع، ويسمهم

أعتقد، وبشكل شخصي، أن الناقد الأستاذ رجاء النقاش، وعبر مسيرته النقدية الطويلة، والتي واكب خلالها تلك التغيرات التي وقعت أحدها الجسام في حياتنا، وفي واقعنا العربي، أعتقد أنتي أستطيع أن أطلق على هذا الناقد أنه «رجل أدب»، وأنه جعل من حياته الشخصية موازاة للأدب، نقداً، وبناءً، واستكشافاً، ومحاورة مع أكثر ما أنتجه الخيال العربي، رواية وقصة ومسرحًا عبر نصف قرن من عمره الكريم.

على هذا النحو يغدو الدور الذي لعبه رجاء النقاش في بنية نقدنا الحديث دوراً مؤسساً، ومؤثراً، يحتفي بالاكتشاف والتغيير، مختصرًا العالم في تلك النظرة الإنسانية التي حافظ عليها رجاء النقاش طوال عمره، وطوال ممارسته للنقد الأدبي.

يعتبر رجاء النقاش أحد الذين أحبوا الكتابة، وأخلصوا لها بصدق الفعل والتنية، وأعطوها حياتهم، وأسس لنفسه منهاجاً ثقافياً من خلاله نفسه تلك الثقافة الواسعة التي اكتسبها بصبر رواقى جعله في كل أحواله يتعامل مع الأدب باعتباره رؤية تعيد صياغة الواقع، ومن ثم تطرح أسئلة جديدة تنتقل بالإنسان من حالة

المجلد

كما اعتبر رجاء النقاش أن النقد لا يكون نقداً إلا داخل رؤية فنية، فيها يبحث عن تاريخه، وسياقه، ومنهجه، ويساهم في تغيير ملامح المرحلة الثقافية باستشراف المستقبل، وتمهيد الأرض أمام الكتابة الحديثة.

في اعتقادى أن لرجاء النقاش فى ثقافتنا المعاصرة دور شديد الأهمية، مارسه عبر نصف قرن تقريباً - أطال الله عمره ومتنه بالصحة والعافية. أولاً: في بدايته كناقد نبها لقيمة التراث الإنساني، وما يحمله من قيم، مقدماً الكثير من نماذجه الرفيعة «أدب روسي، أو روسي، أمريكي».

ثانياً: يستعيد الآن رجاء النقاش فيما يكتبه من نقد حقبة النهضة المصرية وروادها، وبما أرسته من أسباب التحضر والعمران وقيم الحداثة مقدماً رموزها، وروادها لتتعرف عليها الأجيال الجديدة. أذكر الآن وسط المرور المروع للزمن، وسط ما نعيشه من أحوال ذلك الدور العظيم لرجاء النقاش وهو فطرته فى اكتشاف المواهب النادرة، ودفعها للساحة.. أذكر تقديميه للطيب صالح فى روايته «موسم الهجرة إلى الشمال» أذكر تقديم لشعراء الأرض المحتلة، والكشف عن مواهبيهم، وعن رؤاهم الشعرية المدهشة التي تنفتح على مستقبل مغاير، وإسهامه فى تقديم تلك الوجوه الشابة وغيرهم إلى ساحة الكتابة.

كان عبد الحكيم قاسم قد أصدر « أيام الإنسان السابعة».. وكانت تصيبه بعض المرارات من نجاحات الطيب صالح والآخرين عندما يرى حفاوة رجاء بهم، وكان يهتف بي: ألسنا أولى.. أليس أ أيام

في بناء رؤية جديدة للنقد، ويشارك مع بعض من أفراد جيله في استبعاد النص الثابت القديم، مستشرفاً رؤى جديدة، عبر لغة جديدة داخل ثقافة تقوم على الصراع بين القديم والجديد، والماضى، والحاضر، والترااث والمعاصرة.

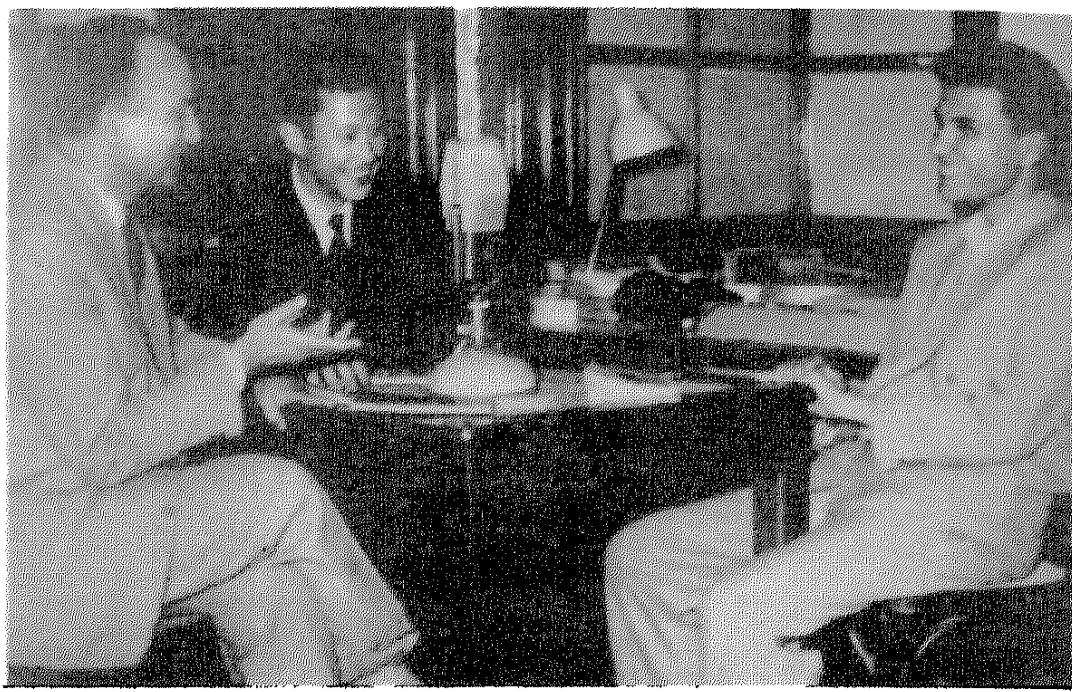
وبالرغم من جسامته الحضور السياسي والثقافى للمؤسسة، واستبدال الزعيم نفسه بالأمة، فإن رجاء النقاش اعتبر الثقافة في ذلك الوقت حرية وفعل حرية وهكذا واكب رجاء منذ ذلك الحين حركات التجديد في الأدب والمسرح والسينما، وكل ما يختص به النقد الأدبي والفنى داخل مرحلة تهم بقضايا التحول الاجتماعى في مصر، وقضايا الثقافة في هذا الوقت.

كان الناقد الكبير حفيأ بكل أشكال تجريب الكتابة، ومشجعاً لجيل يحاول تأسيس كتابة مغايرة، باحثاً عن رؤى تتبع من واقع كان الاقتراب منه قدماً يشكل انعكاساً سلبياً لعملية الثقافة، وكانت الكتابة ذلك الحين تقوم على المغامرة، والاستفادة من تجارب الكتابة الأخرى التي شكلت الضمير الإنساني، ودافعت عن حق الفرد في حياة كريمة وتنهض على ترسیخ قيم الجمال والحق والحرية.

دافع رجاء النقاش عن هموم الكتابة الجديدة في كل المجالات والمنابر الأدبية التي رأس تحريرها، وفتح صفحاتها حفاوة وترحيباً ونقداً للنص الجديد بالرغم من اختلافات بنوية كانت تقوم بينه وبين أفراد هذا الجيل.

٢٢٨

جـ ٣
بـ ٤
أـ ٥



رجاء النقاش مع د. عبد القادر القط وعبد الله الطوخى «١٩٦٠»

هذا هو رجاء الذى رافقته فى العديد من الأسفار فكان:

- نعم الرفيق الذى يكترث بالأخرين
محبة ومودة.

- هو أحد الكتاب الذى يحسن الحديث، ويجيد السرد، ويمثلء بالظرف..
يمتلك ذاكرة تحتشد بحكايا الثقافة
وطرائف المبدعين عبر الأزمان، ذاكرة
تنطبق عليها مقوله «نيتشه» «نحن لا
نتحرر إلا من خلال التذكر».

هو من أحب نجيب محفوظ حباً
خاصاً لا غرض فيه، وانشفل به منذ
بواكير حياته حتى قبل رحيله فقدم لنا
شخصية هذا المؤسس، وغاص في روحه،
واكتشف النقطة الغامضة في أدبه وحياته.

أستاذنا رجاء النقاش..

تحية عرفان، ودمت لنا تصبحك أبيات
بورخيس العظيم:
أترك الآن ساماً في كونك الملحمي
يكاد الشعر لا يبلغ مقامك.

الإنسان السبعة مثل موسم الهجرة إلى
الشمال، وكانت أجيبه: كلها ثقافة عربية
واحدة.. وكان رجاء طوال حياته حفياً
بالمواهب الجديدة، محباً لها بصرف النظر
عن حينها: المهم الموهبة.

أتذكر العدد الخاص بالقصة القصيرة
الذى صدر عن الهلال فى العام ١٩٧٠ ..
كان رجاء رئيساً للتحرير وكلف أستاذى
سليمان فياض بجمع مادة العدد حيث
اختار لي قصة «جئت من مدينة المحلة»
وراجعت بروقتها.. كانت قصة رمزية عن
سيدة تنتهى.. وكانت هزيمة عام ١٩٦٧
ماثلة مثل جرح لا يندمل.. حين صدر
العدد لم أجده القصة، ومثل فلاح هائج
توجهت إلى القاهرة ثائراً وقابلت رجاء
النقاش الذى قابلنى بكل اللطف والمحبة..
أذكر أنه قال لي وهو يطيب خاطرى:
مصر مجرورة وكفاية ماهى فيه.. وطريق
النشر أمامك مفتوح ولا تزعل يا سيدى..
ولم يتركنى إلا وأنا راض.



كتابات المحرر

ناصر عراق □

أن السيدة الفاضلة زوجته الدكتورة هانى سألتني مرة لماذا كل هذه الأسئلة؟ هل تكتب ما يقوله؟

الحق أن رجاء النقاش بالنسبة لى يعد كنزًا منتقلًا من المعرفة، فهو واسع الإطلاع شفوف بالتاريخ، وأنا من المهووسين بالتاريخ وأحداثه ووقائعه وأبطاله، كما أن الرجل يتمتع بحس ثاقب يمكنه من التقاط المواهب وهى مازالت تحبو، أو فى طور التكوين، فهو الذى قدم لنا محمود درويش شاعر الأرض المحنة، قبل أن يسمع به أحد. وهو الذى يسرد لنا فى كتابه ما تيسر من سيرة العباقة والمبدعين فى الأدب والفن والسياسة، فضلاً عن ذلك، فإستطيع أن أجزم أنه ما من كاتب أو أديب مصرى، وربما عربى عاش فى النصف الثانى من الخمسينيات إلا والتقوى به رجاء النقاش مهما عظم شأنه من أول طه حسين حتى أصغر مبدع حقيقى.

يحظى رجاء النقاش بذاكرة حية تتکى على معرفة واسعة بالشخصوص والأماكن، بالزمن وتقلباته، لذا يسأله منه حديث عنده وخلاف عن الذين ملأوا حياتنا إبداعاً وأدباً من أمثال نجيب محفوظ

محظوظ لا ريب من يقترب من الناقد والكاتب الكبير رجاء النقاش، فالرجل علامة فارقة في تاريخنا الأدبي والفنى بأمتداد النصف الثانى من القرن المنصرم، حيث يمتلك رصيداً وافراً في بنك الإبداع يصعب اختزاله أو نفيه.

لقد لعبت المقادير دورها السعيد فى اقترابى من المبدع والإنسان رجاء النقاش فى الأعوام الأخيرة، فاللتقيت به مرات كثيرة، ودعانى إلى منزله أكثر من مرة، وطالت بيننا الأحاديث التليفونية وتفرعت المناقشات، وسعدت بتلقى الكثير من رسائله الخاصة على الفاكس واستمتعت بإجاباته الواقية عن أسئلتي وصبره على إلحادى وفضولى، فكنت أطرح عليه سؤالاً عن علاقته بطله حسين، حيث تلمذ على يديه في كلية الأدب جامعة القاهرة في أوائل الخمسينيات، ثم أقفز إلى سؤال عن لقاءاته مع عباس العقاد، وألحقه برغبتي في أن يحدثنى عن أحمد بهاء الدين وفريد الأطرش، ثم أستدير بورقة كاملة لأفاجئه بشففي أن يتذكر كيف كانت حواراته مع أم كلثوم.. وهكذا في كل لقاء، لا أتوقف عن السؤال ولا يمل الرجل من الإجابة أو يعتريه الضجر حتى

٢٣٠

نحو
٢٠٠
٢٠٠
٢٠٠



مع د. ثروت عكاشه «١٩٨٨»

٢٣١

كلية الآداب، وفجأة انتقض جميع الطلاب مهرولين نحو المدرج لل الاستماع إلى ما ي قوله عميد الأدب العربي في محاضرته، حاول النقاش إثناء زملائه عن الحضور، موضحاً لهم أن طه حسين ما هو إلا (رمز) للفكر القديم، لكنهم لم ينصتوا له، وانصرفوا بل لاحظ النقاش أن أساتذة

الجامعة كلهم يحافظون على تواجدهم في محاضرة الأستاذ العميد، بل إن الفراشين كانوا يقفون بباب المدرج يسترقون السمع لحديث صاحب (الأيام) فتساءل النقاش هل كل هؤلاء مخطئون، وأنا الوحيد الذي على صواب؟ وهكذا قام هو الآخر ليتابع ما يقوله طه حسين فاكتشف عبرية الرجل، وهو واقف شامخ يلقن طلابه العلم والمعرفة بصوت رخيم

ويوسف إدريس ونزار قبانتى وأنور المعاوى ومحمد متدور وكامل الشناوى وزكريا الحجاوى وعبد الرحمن الخميسي وغيرهم عشرات، فيروى طرفة عن هذا ويسرد واقعة عن ذاك، ويعجب من تصرف أحدهم، فأطلب منه المزيد، فينهى الحديث بدعاية تكشف عمق إنسانيته وحبه للجميع وسعة صدره، بل ومراجعة مواقفه وتعديلها إذا شعر أن هذا الموقف معطوب ولا يليق، مثلما حكى لي عن أول مرة يرى طه حسين في محاضرته بالجامعة. قال لي رجاء النقاش: إنه في ذلك الوقت كان متاثراً بالأفكار الجريئة التي طرحتها عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم عن ضرورة تجديد الثقافة المصرية والتخلص من (أصنامها)، كان يجلس في كافيتريا

حَسِيلُ الظَّلِّ تَطْفَلُ عَلَى الْكَلَامِ

ثقيل الظل تطفل على الكلام. فالرجل يمسك بالنواخذ على مقاليد اللغة العربية، قادراً على تطويقها وترويضها حتى يفجر طاقاتها المخبوطة، فيمتع القارئ أولاً.

أذكر مرة أنه قال لي. إنه لا يستخدم أبداً كلمة (حدثة) ويستعوض عنها بمفردات أخرى تؤدي المعنى وحين سأله السبب، ضحك وهتف: لأنها تذكرني بكلمة (نجasse) وهي كلمة غير مريحة.

الحديث عن رجاء النقاش لا ينتهي، فائناً أشعر بسعادة وأنا أتكلم عن كاتب كبير أسهم في تشكيل ذائقتي ووجوداني، كما أحس بأمتنان للزمن الذي أتاح لي الاقتراب منه والجلوس إليه، فهو بحق كاتب نادر المثال، أو كما أخبرني مرة: (تعبت على نفسى). حقاً إن رجاء النقاش إنسان يرثى ، عاشق لعمله، دقيق، يصبو إلى الإتقان دوماً، مستهدفاً إمتاع القارئ أولاً وإنارة عقله وإشباع وجданه بكل ما يليق بقارئ عربي.

وفي الختام لى كلمة صغيرة أوجهها إلى رجل منحنى دعماً كبيراً حين قبل أن يشارك بالكتابة في مجلة (دبي الثقافية) التي أشرف بإدارة تحريرها. وأنكر أن رئيس التحرير الشاعر الإماراتي المتميز سيف المرى قال لي حين أخبرته بأن الأستاذ رجاء وافق على الانضمام إلى كتاب المجلة، قال سيف: (إنه يستحق أن يكون وزير ثقافة الأمة العربية كلها).

أستاذ رجاء دمت لنا كاتباً بارعاً وإنساناً نبيلًا مع كل أمنياتي بدوام الصحة ووفرة الإبداع.

وأداء راق بلغة عربية صافية وعذبة. ومن يومها لم يترك محاضرة للأستاذ العميد ووااظب على الحضور. هذا هو رجاء النقاش الذى يمتلك من الشجاعة الأدبية ما يجعله يراجع أفكاره ورؤاه، ليصحح منها ما هو مغلوط، ويدعم بقراءاته الواسعة ما يرى أنه الصواب أو الأقرب إلى الصواب.

أتحدى أن يقول لي أحد ما لون عيني رجاء النقاش بالضبط؟ فهو مزيج من الأخضر الفاتح والتركواز والعلسي، هذا المزيج اللوني العجيب ينطلق منه بريق مدھش يكشف عن نباهة شديدة وحضور ذهنی متوقى، وبالرغم من أنه تجاوز السبعين رعن الله أيامه وليلاليه، إلا أنه مازال محظوظاً بوسامة الشباب وروحه من أول ألق العينين حتى نعومة الشعر وغزارته برغم أن اللون الأبيض راح ينهب الكثير من سواده.

كلما نظرت في عيني رجاء النقاش وهو يتتحدث، أدرك كم أنا محظوظ لأن المقادير منحتني نعمة الاقتراب من رجل يمتلك كل هذه الوداعة، وكل هذه المعرفة.

لا أذكر أول مرة قرأت فيها لرجاء النقاش، لكنني أتذكر جيداً كم فتتني أسلوبه السهل والعميق في أن، الباذخ والجميل، من أول مقدراته على إبراز أفكاره بمنطق يسير حتى حلوة عباراته، وانضباط الجمل لديه، فلا تشعر أبداً أن هناك كلمة قلقة في موضعها أو مفردة مقحمة من دون داع في العبارة أو حرف

عَرَفْتُ فِي زُرْسْنِ هِلَالِهِ

عبد النور خليل

لنفسه في جدية وشفافية وجرأة مكانة كناقد أدبي، وكانت قبل أن نعمل معا، أرأه دائم الابتسام، بشوشًا أبدًا، مرحبا دائمًا، محاطا بمجموعة من الشباب الذين يتذمرون مثلًا يسيرون على نهجه.. وقبل أن يجمعنا العمل في «الكواكب» كنت أعرف من آل النقاش شاباً موهوباً متتفوقاً في موهبته وفكرة ورؤاه الفنية هو وحيد النقاش الذي كان طالباً يوشك أن يتخرج في المعهد العالي للسينما بعد دراسة الإخراج..

ما علينا.. في الأسابيع الأولى للعمل معا، كان رجاء النقاش يفتح ذهنه وواعيته وبيني معنى أحلاماً كباراً لما نريد أن نتحقق في «الكواكب». تحدثنا طويلاً عن ٢٣٣ الرسالة التي يجب أن تحملها «الكواكب» كمجلة فنية وحيدة في العالم العربي، ويجب أن تساند كل موهبة شابة، ليس في مصر وحدها، لكن على اتساع الوطن جميـعاً.. وكـنا مـنـذـ سـنـوـاتـ تـقـبـنـىـ في «الـكـواـكـبـ» معـهـدـ السـيـنـمـاـ وـالـدـفـعـاتـ الـأـلـوـىـ التي تدرس فيه وتخرج منه في كل فروع الفن السينمائي، وكانت مجلتنا حظوة عند شيخ المخرجين محمد كريم، أول عميد المعهد، ثم أحمد بدرخان الذي تولى بعده

كانت تجمعني بالكاتب الكبير الراحل أحمد بهاء الدين قنطرة من الثقة والاحترام المتبادل منذ سنوات البداية الصحفية في أواخر الأربعينيات، وعندما تولى رئاسة مجلس إدارة الهلال ورئاسة تحرير «المصور» أراد لي أن أنضم إلى القسم الفني فيها، ولم يكن يكتم عن رأيه في أنه من قرائي ويثق في ثقافتي السينمائية الشاملة.. كنت مديرًا لتحرير «الكواكب» التي كان يرأس تحريرها ناقد سينمائى زميل هو سعد الدين توفيق، ولم يكن غريباً علىَّ أن أبذل اهتماماً وجهداً في تحقیقاتي السينمائية في «المصور» وكان سعد الدين توفيق يمازحني قائلاً: سأشعر إعلاناً في الصحف أطلب فيه عودتك إلى بيتك يقصد «الكواكب».. وحدث ما عكر الصفو بين رئيس تحرير «الكواكب» ورئيس مجلس الإدارة، وهي قصة لا أحب أن أخوض فيها، لكن الذي أحب أن أؤكد له هو أننى احترمت رأى أحمد بهاء الدين عندما أخبرنى أنه اختار رئيساً لتحرير الكواكب الناقد الشاب اللامع رجاء النقاش..

كان رجاء النقاش أحدث من انتقل إلى دار الهلال، وكان الحق يقال قد بنى

تراث فنون مصر في القرن العشرين



فريدوس

جديداً في الغناء والتلحين، لا تقل أصالة عن أصحاب الأسماء اللامعة في الحياة الفنية كعبد الوهاب وأم كلثوم ومحمد فوزى ومحمد عبد المطلب، وأنذر أن رجاء النقاش صاحب كوكب الشرق أم كلثوم في أكثر من رحلة فنية إلى السودان ولبيبا، وتبني أكثر من شاعر جديد وافق. مما كان نطلق عليهم شعراء العامية مثل عبدالرحمن الأبنودي ومجدى نجيب وعبدالرحيم منصور..

كان بليغ حمدى، يقف إلى جوار كمال الطويل ومحمد الموجى، ويشق لنفسه طريقاً واضحاً وسط طبقة من المطربين والمطربات على الساحة مثل فايزة أحمد ونجاة وشادية وصباح وعبدالحليم حافظ، ويلتصق كثيراً بموهوب زاملها في المعهد العالى للموسيقى (الكتوسيرفتوار) الذى التحق بالدراسة فيه، وتبنى مطربة جديدة دارسة هى عفاف راضى، ووقف خلفها يدفعها لكي تشق طريقها.. كان بليغ قد دربها على لحن جديد له، كتب كلماته شاعر العامية

العمادة، وكنا نجمع طلبة المعهد بأسانتتهم فى ندوة فى نهاية العام الدراسي.. واستمر هذا التقليد، بل زاد رجاء النقاش عليه تقاليد كثيرة في كل المجالات الفنية.. وبدأت الكواكب.. تخرج إلى مجالات أخرى أكثر اتساعاً.. ومن بين تلك المجموعة من الشبان الذين أحاط بهم رجاء النقاش نفسه، وينصت لهم في ود، ويستمع إلى أحلامهم تكونت «ورشة عمل فنية» تضم كل المواهب الجديدة.. وفي تلك الفترة، كانت تتشكل في الحياة الفنية أشكالاً وأنماطاً جديدة لتبني مسارات جديدة في السينما والمسرح والغناء والشعر، لتثيرى وتفتح طرقاً إلى جماهير متغطشة إلى فن راق له مذاق قومى ووجه عربى أصيل.

كان الملحن المبدع سيد مكاوى قد ترك مع رائد الشعر الفنان المتعدد المواهب صلاح جاهين بصمة على الفن الشعبى الفولكلورى، برأتهما معاً «الليلة الكبيرة» ومن جلبابهما خرجت مواهب فولكلورية، حرص رجاء النقاش أن تتبين الكثير منها مثل المطربة ليلى نظمى.. واحتفى بالأغنية العربية الطالعة والأصوات القادمة من رحابة الوطن العربى.. وبدأت «الكواكب» حقاً تفتح الطريق للمواهب الواعدة..

كانت ثمة إطلالات جديدة في الأغنية والألحان المصرية تكشف عن أصالتها في مجالات اللحن والغناء.. وطبقة جديدة من الشبان العباقة تفرض على الأذن المصرية والعربية نغمة عبقرية، وأسلوباً



عبدالرحيم منصور بأغنية يقول مطلعها..
«ردوا السلام»..

وفوجئت برجاء النقاش مدفوعاً بحماس الشباب والاحتفاء بكل موهبة جديدة، يطلب أن تعدد «الكواكب» حفلة تستضيف فيه الملحن بلين حمدي والصوت الجديد عفاف راضي، وتقدمها لمجموعة من النقاد المتخصصين في الموسيقى والأصوات لكي تحصل على انطلاقة مبنية على أساس علمي وجماهيرى سليم.. وجاء بلين حمدي ومعه اكتشافه الجديد عفاف راضي لكي تفتتح لأول مرة، في قاعة الاجتماعات بدار الهلال أغنية «ردوا السلام» وانطلقت عفاف يساندها بلين حمدي حتى أصبحت واحدة من مطربيات الصيف الأول.

وأذكر أن صديقي رجاء النقاش، مد الله في عطائه، خلال الفترة التي تزامنا فيها في العمل في «الكواكب» أنه فتح الأذن والعين المصرية على المطربة الكبيرة فيروز، عندما استضافها هي وعاصي ومنصور الرباباني لحفل فني نظمته «الكواكب» في دار الهلال، وقد تعلمت منه وأخذت عنه أسلوبه النبيل الدافيء في التعامل مع المواهب الجديدة ورعايتها ولم تدم الفترة التي عملنا فيها معها أكثر من عامين، وكما قد بدأنا معاً التخطيط لتبني دفعتين تخرجتا من المعهد العالي للسينما، وبدأنا نفتح الطريق أمامهم للتعبير عن فورات الشباب وأحلامه في أن يقدم ما يسمى بالسينما الشابة الجديدة، وتركني إلى مجلة الإذاعة، رئيساً لمجلس إدارتها ورئيساً لتحريرها، مصطفياً معه بعض من عملوا معنا ودعموا مجلة

الكواكب كالناقد الراحل سامي السلامونى والشاعر مجدى نجيب.. لكننى تعلمت منه درساً فى الاهتمام بالمواهب الشابة الجديدة، وفتحت الكواكب على مصراعيها للسينما الجديدة فيما أطلقنا عليه «مجلة الفاضبين» حيث أخذت مجموعة من خريجي معهد السينما تحررها دون وصاية عليهم.. وكانت نتيجة هذه الصحوة أول فيلم للسينما الشابة هو فيلم المخرج على عبدالخالق «أغنية على المر» المأخوذ عن مسرحية للكاتب على سالم..

تعلمت الكثير من الصديق رجاء النقاش، وإن اختلفت بنا الطرق، وتركت «الكواكب» عام ١٩٧٢ إلى «المصور» ودعنا للعمل معاً، إذ كان قد آتى بعد رحلة صحافية في قطر ليشغل منصب مدير التحرير العام في «المصور» وشاء الظروف أن يعود إلى «الكواكب» رئيساً لتحريرها لفترة أخرى طويلة.. ولم ينقطع عن نهجه الذي اختطه لنفسه وهو مساندة كل موهبة شابة واحتضانها ومساندتها لكي تتلألق وتأخذ مكانها بين غيرها من المواهب..

٢٣٦

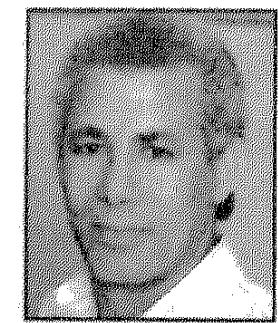
الجل - ميرزا ٢٠٣



البورتريه للفنان محمد حجي

النورسون

على حامد



مع النسمات الشفقة للغروب الساحر
«الآن نسينا أن للنواعم اللاتي لم يصبحن
كذلك شعر ينبعض أو ينسرح أو يتدلّى
كذيل الحصان أو يضفر كالريفيات أو
يقصر كالفتية، فتبين أعناق أسلية تخطف
وتهبس قلوبنا».

كان أتوبيس كارتر الكثيب يتتسكع
مثينا ويستفزنا بضجيجه وكركته في
طرق القاهرة المكتظة، وتراهم شبرا
يترنح في شارعها الرئيسي، بينما فتنة
بناتها ونسائها المتهديات بكعب حادة
رفيعة يُرتحتنا على الأرصفة. كل ذلك كان
محاطاً ومُغلفاً بغباء داليدا الذي لا
يتوقف، بل وينتشر مُحلقاً فوق كل مكان
بهذا الحي العتيق الحميم، والمتجانس.

٢٣٧ داخل هذه الحياة المناسبة، كان

بصري يجول، لينشد عفواً إلى سور
مدرسة التوفيقية، المزروع بالكتب
والمجلات القديمة، وانجدبت، فنسحت فتنة
الطروبيات، ووَقعت أَسْيِرَ فتنة المطبوعات،
ويبدأت أقلب العناوين والأوراق المعتقة
برواحها النفاذة والخاصة، وتوقفت عند
أحدٍ «أدب وعروبة وحرية» وأخر
«التماثيل المكسورة»، وثالث «هاملت».
نقدت البائع قروشاً قليلة وعدت

كنت في السنة الأولى بالجامعة
المصرية «جامعة القاهرة» أدرس
الصحافة والنشر، بكلية الإعلام، ولما لم
أجد مكاناً في مدينتها الجامعية، وقد
ارتحلت من إسكندرية وبحرها الأزرق
الهائج شتاء، والوديع صيفاً، ومودعاً
أجوائها النزقة والمرحة، ومستسماً
لهوسى بالكتابة والأوراق، لأهبط في الدور
الرابع، ومهره الطويل النظيف بالاقتصاد
والعلوم السياسية. ولما لم أجد مكاناً،
لجمأت إلى شبرا القريبة من ميدان
رمسيس، وفي شارع «شيكولاتي» أقيمت
بترحالٍ في غرفة بسيطة داخل شقة
شاركنى فيها فنانون وشعراء صعاليك
وجامرون، وموظفو وبروتستانت
وأرثوذكس.

وفي نهاية النهار، وكأن راب
العصافير، أعود في شفق المساعات، بعد
محاضرات فترة العمارى، لاقضى
ساعات في التجوال بأزقة وطرق هذا
الحي الجميل، بناته يتتسكن مثل
ويصخن في شوارعه وأزقته وأرصفته
ال مجرية، لعل طائراً مثلى يقع في
حبايلهن أو يوقعهن هو في نشوء الأعيشه
الشبابية. كان الغزل وشعر البنات يهتفه

النورس

الوسطى المظلمة، حتى شع ضوء جانبي من يسارى وأنا أتخطى عتبتها الوهمية، صحبه صوت زاعق: «يا أهلى .. يا قططى». وكان هذا هو الكابتن، المسؤول بقططه والنادى الأهلى الكروى، صاحب ومالك أروع كشك للكتب على مر العصور، التفت ناحيته وصحت به وكأنى أعرفه من أزمنة خلت : «يا أهلاً بالمعارف». وضحك للمجاز التلقائى المرح فى التحية .. ودخلت على الكتب والمجلات بنهم المشتاق ، واشتد لهف قلبي حين لاحت «كتابات لم تنشر» للدكتور محمد مندور، و«صمت البحر وسداسية الأيام الستة»، و«امرأة من روما» لأليبرتو مورافيا و«موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، وكنا نعرف أنها صودرت من السوق بعد نشرها فى الهلال وطرحها للتوزيع، و«البنسات الثلاث» لبرترولت بريخت ، و«رامبو .. قصة شاعر متشرد»، و«أساطير الحب والجمال عند الإغريق» لدرينى خشبة .. مكتبة ثقافية عامرة «بكتاب وروايات ومجلات الهلال» الأعرق فى النشر العربى والشرقى عامة.

وبدأت حكاياتى مع القراءة تتعقد وتتشعب، وتنبت الرغبة فى الحكى والكتابة، وكذلك بدأت حكاياتى مع «سلوى» العيون الخضراء دون أيقونة تتدحرج من الجيد الأسىل لتختفى بين النهدين. واعتبرت أيقونتها التى كنت أرشف هسيسها وأوقد ظرقتها، هى خضرة عينيها ووردية شفتيها، تجيئنى وأنا أنبىش ملهوفا في أكواخ وصفوف وأكdas على الرفوف الفقيرة، وفي

مسرعا إلى حجرتى الفقيرة بشقة السطح الشيكولاتى رقم «٥». أغلقت كتاب الحياة، وفتحت أبواب الكتب، انطلقت فى عوالم الأدب والفن، وعشت.

لاتزال سطور هذه الكتب فى ذاكرتى بقراءتها الأولى . كتابة ممتعة ومفيدة، وترجمة جميلة وتشرح المصدر، الكتابان لرجاء النقاش، والرواية المسرحية من اختياراته القيمة وترجمة «جبرا إبراهيم جبرا» لرائعة شكسبير، الذى سيعود إليه «النورس» كاشفا خبايا وأعطاف نسائه فى واحد من أجمل إبداعاته الأخيرة.

تلك الطريقة فى تقديم وعرض ونقد المطبع من أعمال المبدعين الآخرين، بسلامتها وعذوبتها، قليلة، تجدها عند د. طه حسين فى «حديث الأربعاء»، و«ألوان» . كما تلتقي بها فى قراءات : يحيى حقى

فى «أشسودة للبساطة»، وسلامة موسى فى «هؤلاء علمونى» ود. محمد مندور فى «نماذج بشرية» - وهؤلاء وغيرهم، ثقفتونا وأنهضونا وثورونا بحب المعرفة وتصفح وتشمم الأوراق - الدروب التى تقود إليها. وانتهت فى شوارع شبرا، أسطورة تجوى وصاحبها سلمى، لما جاءتني الأولى ذات صيف متوجه، ولا عبتنى باعترافها للرجل خلف الستارة بأننى قبلت الأيقونة التى كانت ناعسة بين نهديها العفيفين.

ورحلت ذات صباح إلى المدينة الجامعية التى ما إن مررت من بوابتها الضخمة كأنها إحدى قلاع العصور

٢٣٨

١٠
٩
٨
٧
٦

فمن الكتب النادرة التي كانت تحظى باهتمامنا ونقاشنا، والتي كنا نتبارى في اقتئالها وقراءتها والجدل حولها: «كتابات لم تنشر» بقلم الدكتور محمد منور. كان مصطفى بيومي يمر على ليلات في المدينة الجامعية، ليكيدنى ضاحكاً: هل لديك «كتابات لم تنشر»؟ وكنت أفتراض من كيده ذاك، وأصحو مبكراً لأصبح على الكابتن الذي أجده محترضاً قططه ويمجد «الأهلى» فريقه المنشوق. أسأله ويجاوبني، سأجلب لك نسخة من قبوى، وكأنها تحفة نادرة. هذا الكتاب كان تتاج بحث النورس عن كنوز المبدعين المخلصين، فهو مجموعة من المقالات المهمة التي كتبها منور قبل الثورة، ولم تنشر في كتاب، وكانت مبعثرة في مجلات وصحف مختلفة، في فترات متباينة، جمعها ويوبها ونظمها في عقد فريد - «نورسنا» الذي يقضى سنوات حياته مرتحلاً، يهاجر من بلد إلى بلد، يطلب الدفء، دفء الطبيعة وكائناتها، «إنه يبحث عن الدفء الذي يشيع الحرارة في عزلة الشعور، يبحث عن التجاوب النفسي العميق الذي يخرجه من وحدته في عالم صاخب لا يلتفت إلى الفرد وإلى مطالب الروحية، وأما الحنان فهو المعنى الرئيسي الذي يسعى وينصب عنه رجاء في كتابات المبدعين وهو ما بدا في تقديمه لـ «ليديوان عن القمر والطين» للشاعر الخالد صلاح جاهين .

النورس موجود في الشغور جميها،
وفي فصول الارتحال، يطير بريشه الكث،
ولكن الخفيف للغاية، طيراناً قوياً،

الص، «ديق الـ بتونية المستندة إلى جدار الكشك الف سارجي، وعلى الرصيف الحجري المنرب، المحيط بالمكان الذي يتربع على أرضيته الكابتن، محترضاً كتاباً يتصفحه، وقطة يداعب نعومة ظهرها.

عند ومن خلال وحول البوابة والكتشوك والميدان الذي تحيطه حديقة الأورمان ومبني خيل الملك والفنون التطبيقية، أشعثنا تمدنا ، ودبت هتافاتنا في مواجهة قوات الأمن وعنت السلطة وطغيانها، وحناجرنا تطلب الحرية والعدالة وتحرير الأرض «سيناء وفلسطين والأراضي العربية كافة». وكدنا نشغل النار في مبانى تلك المدينة الجامعية المكدرة بموظفين بلهاه وعسس أحمق جاهل، لو لا رقة ووعى كوتهم مطالعات في الكتب والمجلات الثقافية، كنا ثبع في آفاقها.

وكان «النورس» قد ارتحل إلى آفاق أخرى، طلما أن فضاءه الأصلي ضيق وبائس.

وغادر «رجاء» موطنه الأصيل، وحط على شطآن آخرى، لينعش مناحيها وأركانها، وتبعناه نحن سرب النوارس التمردة، الباحثة، التي كانت مسكونة بهواجس التقريب والكشف والخلق الجديد، لأننا كنا ندرك أنه سباق في هذا المجال، ولعله يشير إلى أحدنا، فنطلع معه، ونحلق في سموات الإبداع الأدبي والفنى، ولأنه كان خبيراً مدققاً، ونواقة لا يبارى، وحساساً رهيفاً، توالى، وتابعناها نحن، الكتابات الجميلة له.

البروليوت

المدن الغريبة الباردة، خرجمت رائعته «موسم الهجرة إلى الشمال» والتقطها النقاش الذي يبحث وينقب، فوجدها فريدة في حكايتها وبنائها وسردها وجرأتها وهي التي تبدأ بـ «عدت إلى أهلٍ يا سادتي بعد غيبة طويلة، سبعة أعوام على وجه التحديد، كنت خلالها أتعلم في أوروبا، تعلمت الكثير ، وغاب عنى الكثير. لكن تلك قصة أخرى .. وهكذا ينطلق «مصطفىى سعيد»، عفوا «الطيب صالح» ليقص علينا تجاربه وصورا من حياته وأفكاره.

ويقدمها النقاش للنشر - في لقائنا القريب الودود معه، أجابنى على تساؤلى، بقوله: طبعا، كنت متخوفا من مصادرتها، لأن بها مناطق حكى جريئة، جديدة في القص العربي، وإن كنت أعلم أنه لم يتصادر سوى كتابين في عهد عبد الناصر أحدهما «الله والإنسان» للدكتور مصطفى محمود .. لكن جمال الرواية، وإدھاشها لي قوى وع ضد موقفى، ونشرت في سلسلة «روايات الهلال» - العدد ٢٤٥، شهر مايو ١٩٦٩ م.

وكان غلاف الرواية بريشة الفنان حلمي التونسي، متضمنا خطأ حرراً مرحباً، جريئاً كذلك، معبراً عن مضمونها وفحواها، صورة نصفية لذاكن اللون «مصطفىى سعيد» ببدنته وكرافته وكأنه في حفل رسمي، تائهاً متتولاً وكأنه يحدق في لاشيء، مع أن هناك ثلاثة نسوة يجذبهن بأجسام ونهود عارية .. شعرهن كستنائي، وقد رسمهن التونسي بخطوط رشيقه نحيلة، تشي بشهوة الجنس

بأجنبحته الطويلة المدببة، وهي تسحب فى الهواء كأنها طافية عليه، كذلك هو كان يسبح بين الأوراق - سواء التى يطالعها ويدرسها أو التى يجري قلمه على سطحها.

يقضى سنواته مرتحلاً، مستدير الوجه، متورده، يفدي ويرحل، ويفرج ويقدر. يلتقط حوله وينجذب إليه المبدعون، وبهم ومن خلالهم، ومن إضاءاته الحساسة يضع لنا مطبوعة جميلة «شكلاً ومادة».

يتبع منعرجات الأزمنة والأمكنة والأوراق، في التراث البعيد، وامتداده في الماضي القريب، وهو في طيرانه يُشهدنا مناظر بد菊花، ويطلعنا على روئي متتجدة. يحلق، وكأنه يفتشف عن رفاق مبدعين. يكملون السرب الذى سيعزف سيمفونيات الخلود.

ورجاء نقاش، يبحث عن الشيء ويستخرج من باطن الوجود أو باطن الموجود، ويلونه بلونين أو بألوان ويزينه، إذن فهو اسم على مسمى، هو نقاش وهي صفتة، تدل عليه وتشير إلى فراداة ما ينقشه، والنقش، إلى ذلك ، هو الآخر، وما نقش على الشيء من صور وألوان.

وكأنى به يتبع صفتة، فهو دائم البحث والتنقيب والتبش في فضاءات الثقافة «ماضيها وحاضرها، شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها»، فعل نجوماً تضيء هنا أو هناك، يقبس منها ويشع علينا.

فهذا كاتب جنوبي ارتحل إلى بلاد الضباب في الخمسينيات، ومما عاناه في

ووجهه.

صدرت الرواية في ١٣٢ صفحة، وعشرة فصول، وأخرها نداء استغاثة: وهو ينهي السطر الأخير: «ويكل ما بقيت لي من طاقة، صرخت، وكأنني ممثل هزلی يصبح في مسرح، النجدة، النجدة»، وكلمة انتهت.

ولكن ما الرؤية، الذايئة التي قدم بها النقاش تلك الرواية. ظهر الغلاف المكتف يوضح ذلك، ويُشَّى بمهارة هذا الصائغ صانع الكتب الجميلة، فلنقرأه، وقد وضع إلى جوار نصه، صورة للشاب الوسيم الطيب صالح وكأنه سيدنى بوأتىبيه: «الطيب صالح، كاتب روائى سودانى فى الأربعين من عمره، درس فى إنجلترا وعاش فيها فترة، وما زال يعيش فى لندن حتى اليوم».

يمتاز الطيب صالح بأسلوبه العربى الجميل النقى، فجملته موسيقية صافية، كما أنه يعرف بيئته المحلية معرفة دقيقة، ويملاك فى نفس الوقت نظرية إنسانية عميقة وواضحة، ويرسم صوراً ونمذاج إنسانية قوية وحسية وشديدة التأثير .. إنه عبقرية فنية جديدة يسعد رواياته الهلال أن تقدمه في أحسن أعماله.

بعدها بسنوات سيقدم روايته «مريلود» سنة ١٩٨٧، وهى الجزء الثانى من «بندر شاه». ويعتبرهما رجاء «متصلان منفصلان .. متصلان عن طريق الدم المشترك الذى يجرى فى العروق».. ويعطينا مفتاحاً لقراءة وفهم «مريلود» وأدب الطيب صالح كله، وهو «أنه ليس كاتباً واقعياً» بالمعنى التقليدى للواقعية،

محمود درويش

فهو غارق في الهموم الإنسانية لعصره والهموم الاجتماعية لوطنه وبلاده، ولكنه لا يعبر عن موضوعاته عن طريق تصوير الواقع المباشر أو رصد مشاكل فئة من الناس أو طبقة من طبقات المجتمع .. إنه يعبر عن مشاكل الإنسان الداخلية العميقة.

والمحبون في عالم الطيب صالح يواجهون المتسلين. والحبة هي حل للمصير الإنساني، وهي موقف حضاري وفلسفى واجتماعى. المحبة هي الحضارة. يتتبع النقاش هذا المعنى، هذه الفكرة، هذه العاطفة، هذه القيمة الإنسانية في كل ما يقرأه ويطالعه من أعمال إبداعية أو فنية، وهو ما يوضع بجلاء موقفه ورؤيته للمصير الإنساني، ويفكك مباراته ومثله العليا التي يعشقاها ويسلك بها في الحياة ووسط الأحياء على الأرض.

فإذا قرأتنا كل ما كتبه وما قدمه، سنجده أباً حانياً، محبًا، عاطفاً، مشجعاً، دافعاً، ومتبنياً الموهاب الإبداعية، ومحفزاً لها على الإنتاج والتطور الخلاق. كما سنلمس مدى عمق تبنيه لقضايا

البهلوان

«أما القصة الثانية «سداسية الأيام الستة (٦٧ صفحة) فهي قصة عربية كتبها «إميل حبيبي» واسمها المستعار «أبو سلام» وهو أديب من أدباءنا العرب الذين يعيشون في الأرض المحتلة داخل أسوار إسرائيل، وقصته عمل أدبي رائع، ووثيقة فنية صادقة يقدمها أديب من أدباء المقاومة في الأرض المحتلة عن مأساة ٥ يونيو.

إن «صمت البحر» و«سداسية الأيام الستة» نموذجان بديغان من نماذج أدب المقاومة.. وهما خير ما يمكن أن يقرأه القارئ العربي في شهر يونيو، بعد عامين من العدوان الصهيوني الشامل على الأرض العربية، وفي هذه الأيام التي تتشتعل فيها المقاومة العربية فوق أرضنا من أجل التحرير الكامل».

لم يكن اسم رجاء النقاش في ترويسة العدد، وإن كان على ما يبدو مديرًا للتحرير. ولكن عقله وفكره وبصيرته ورؤيته وذائقته الأدبية والفنية، كانت وراء الطبعة الروائية والمضمونية، فتناولنا وجية إبداعية مفيدة وممتعة وأيضاً محفزة على العمل.

في الشهر التالي (يوليو ١٩٦٩)، خرجت الطبعة الأولى من الكتاب (العلامة والرائد) في مجاله : «محمود درويش شاعر الأرض المحتلة» في سلسلة «كتاب الهلال»، ونفذ خلال شهور قليلة (كانت أزمنة نهم ولهمة على القراءة وولع بالاطلاع والكشف ورغبة في الاستمارة، لم يعد كل ذلك موجوداً الآن، لا تلك المحبة للمعرفة ولا ذلك الهم الرومانسي بالوطن

الإنسانية الكبرى، فهو جمع في العدد (٢٤٦) من روايات الهلال الصادرة في يونيو ١٩٦٩، روایتين بين دفتى كتاب واحد، إذاقرأنا ما كتبه على ظهر غلافه البرتقالي الخلفي، أدركنا المغزى والموقف الذي يتبعناه رجاء ويكافح من أجل أن يسود. لقد جمع بين النصين الروائين القصيريین بهذه الكلمات: «عندما احتلت القوات النازية فرنسا سنة ١٩٤٠، ظهرت في صفوف الشعب الفرنسي حركة واسعة من حركات المقاومة ضد الاحتلال النازي، وكان الأدباء والفنانون طليعة هذه الحركة التي كانت تهدف إلى القضاء على الاحتلال وتحرير الوطن، بعد أن سقط الجيش الفرنسي أمام الغزو النازي».

تأمل هذا الاستهلال، الذي ستتبعه الفقرة التالية، وهو ما يدل على ذكاء وخبرة الناشر الملزم:

وقصة «صمت البحر» (٦٥ صفحة) بقلم فيركور وترجمة وتقديم وحيد النقاش، من أروع الأعمال الفنية التي ظهرت في مرحلة المقاومة الفرنسية ضد النازية. إنها قصة رائعة، وأنشودة عذبة من أناشيد المقاومة ضد الاحتلال الذي لم يستطع ولن يستطيع في يوم من الأيام أن يسحق كرامة الإنسان.

لاحظ موقف الناقد / المحرر (الفكري والحياتي) في هذه الجملة الأخيرة التي صاغها من أعماق إحساسه بالبشر والوطن، ثم تأمل بتأنٍ شديد الفقرة التالية:

٢٤٢

كانت ضرورية، استدعتها ظروف أدبية وواقعية هامة حدثت ولم تكن موجودة من قبل.

وسيعود النورس ليحلق بديوان درويش الجميل «أعراس» ويلقدم قراءاته واستنتاجاته الفكرية والجمالية لإبداعات شعراء الأرض المحتلة.

وفي كتاباته يتضاعف مدى احتفاء النورس بحركات التجديد الأصيلة ورموزها المختلفة، وما يتصل بالتراث ويتمتد بجذوره إليه.. ونقده لحركات التجديد المبنية على عداء حضاري وقومي للآلة العربية وأدابها وتراثها الحضاري والفكري.. وهو كتاب دراسة ومعركة (جمالية وفكرية) .

كان النقاش يقرأ ويستمتع، ويمتنى بالرغبة في أن يشاركه غيره المعرفة والمتعة والنشوة الجمالية - لهذا برع في كتابة المقال الأدبي الصحفى، فأجاد نسجه بأسلوب سلس بسيط، جمله مشحونة بالمعلومات ورشيقه.. واضحة، وغير ملتبسة.. مستجليا، وكاشفاً، ومضيئاً مكتنوت وخفايا النص (جمالاً ومعنى)، فلم يكن كآخرين معنٍ يلهثون خلف شعارات رنانة طنانة وبلا طحين، يتوهمون أنهم يتبنون قضايا، ويطرحونها للمناقشة، بينما هم يكعون قد حكموا فيها مسبقاً، بعد أن تبلوها بالبهارات المزيفة .

كانت اختيارات رجاء الإبداعية التي يقدمها للقراء من أبناء وطنه - تحوى في داخلها اهتماماته الفكرية وتوجهاته الجمالية وميوله الفنية، سواء أكانت هذه

وعشقه، وتعطش جمهور القراء للتعرف إلى مبدعى الأراضى الفلسطينية المحتلة والتواصل معهم ومع قضيتهم وثقافتهم ومعاناتهم الحياتية اليومية) .

في مقدمة الطبعة الأولى، حكى «النقاش» لقاءه الأول مع أدب المقاومة في أرض فلسطين المحتلة (أواخر سنة ١٩٦٦)، فائضاً تصفحه لجريدة جزائرية وهو مستترخ في إحدى الطائرات الجزائرية التي تحمله ضمن وفد مصرى من العاصمة إلى منطقة بتروبل بقلب الصحراء، وقعت عيناه بأحد أركانها على قصيدة بتوقيع «محمود درويش» شاعر من أرض فلسطين المحتلة. هزته القصيدة أثناء قرأتها «لما فيها من صدق ويساطة وجمال فنى، وهزه فوق ذلك كل ما فيها من حرارة ثورية عنيفة».

ويكتشف رجاء بحسه الأدبي وذوقه الجمالى- ظهر حركة شعرية ناضجة، وأن نضجها وروعتها الفنية والفكرية «ليس راجعاً لتعاطفنا السياسي أو النضالى معها، وإنما هي تتمتع بقيمة فنية وفكرية أكبر درجة من النضج والأصالة، وأن الشعراء البارزين فى الأرض المحتلة هم شعراء موهوبون».

ولأن النورس محلق ومتابع جيد، يعيد نشر كتابه - مرة أخرى - بعد سنتين (سنة ١٩٧١) فى ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير، بخلاف للفنان جمال قطب يحتوى بورتريهأً لـ محمود درويش (أبيض وأسود) متطلعاً للأفق، على خلفية برتقالية صفراء لأسلامك وانطلاق عمليات مقاومة. وتضمنت هذه الطبعة تعديلات وإضافات

النورس

مصر، «ترجمة ممتازة» ونشرت في ثلاثة أعداد متتالية (٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤) - أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٧٠)، وحتى لا يمل القارئ المتذوق شكل الأغلفة، يختار النورس الفنان «هبة عنایت» ليرسم ياقان أغلفة الثلاثية الجميلة.

ولكنه يُعطي غلاف رواية «بطل من هذا الزمان» للأديب والشاعر الروسي المعروف «ليرمونتوف» ليبدعه الرسام جمال قطب، كما أنه يترك كلمات ظهر الغلاف لقلم الناقد المكتشف فيساريون بيلينسكي، ولقراءة الروائي الكبير إلكسي تولستوي صاحب ثلاثية «درب الآلام»، وهو يرى أن بطل هذا الزمان ثمرة عصر رهيب، مجرد من الأخلاق، قاسٍ، والذي يطوف بعقمه وضجره بين روائع الطبيعة والناس الذين يملكون قلباً بسيطاً، كريماً، نقياً، يعرض ليرمونتوف كمال فنه الواقعى الناضج، صاحب الأسلوب الرائع، والعبق العذب.

وكالرواية السابقة، والرواية التحفة «جسر على نهر درينا» للكاتب اليوغوسлавى «إيشوأندرىتش» التي سيدفع بها النورس للنشر بعد عودته من رحلة الخليج (الدوحة)، لتصدر في جزعين (ديسمبر ١٩٧٦، يناير ١٩٧٧ - العددان ٢٣٦، ٢٣٧)، سيكون المترجم «صاحب الأسلوب العربي النقى المشرق، وصاحب أرقى وأعظم وأدق جهد فى الترجمة إلى العربية خلال ربع القرن الأخير» هو الدكتور سامي الدروبي - السودى الذى أتحفنا بالأعمال الكاملة المبهرة للمتأرجح على حافة الهاوية «دستوييفسكي».

الاختيارات كتاباً نقدية ودراسات أدبية وفكرية وعلمية أم روایات من روائع الأدب العربى والأجنبي.

فعندما كان رئيساً لتحرير كتاب الهلال، منحنا «رامبو». قصة شامر متشرد» العدد ٢٢٢ (سبتمبر ١٩٦٨)، وهو أول كتاب في اللغة العربية يتناول هذا الفنان الظاهر، العجيب والمدهش، ويقدم قصة حياته الغريبة، «وفي أسلوب بسيط رقيق عذب، شديد الوضوح والجمال، يتناول الكاتب السودى المعروف صدقى إسماعيل حياة رامبو وشعره».

ولأن النورس ذورؤية موسوعية رحبة، فإنه يدير بصره وبصائرته في الأنحاء كافية، يُفتح وينقب ويجلب المفيد والمتع، الذي يضيئنا ويهنجنا وينعشنا روحأً وعقلأً، فيهبنا «الدار الكبيرة، الحريق، النول» ثلاثية الكاتب الجزائري الكبير محمد ديب الذي احتل مكاناً بارزاً في الأدب الروائى المعاصر كله، والذي يكتب بالفرنسية، لأنه تربى في ظروف الاستعمار الفرنسي، وتعرض هو وجبله مالك حداد ومولود فرعون وكاتب ياسين ومولود معمرى.. وغيرهم، لضغط فرنسي ثقافى عنيف، فصلهم عن لغتهم الأصيلة (العربية).

ولكن محمد ديب ظل مخلصاً للروح العربية الجزائرية، فثلاثيته ومجمل أعماله تصور كفاح ونضال ومشاعر شعب الجزائر تصويراً صادقاً، وقد ترجمها الدكتور سامي الدروبي، سفير سوريا في

٢٤٤



مع كاتب المقال - القاهرة ٢٠٠٧

وألوانه، ومن ترجمته كذلك «البنسات الثلاث» رائعة الألماني الاشتراكي «برتولت بريخت» في جزعين (٤٢٩ - ٤٢٨) - ١٩٧١م. و«البيت والعالم» لأديب الهند ومارتها «طاغور»... وغير ذلك الكثير من روائع الروايات المؤثرة الباقة.

إن اختيارات الناشر، التي قدمها أو أشار إليها أو حرض على نشرها

وانتشارها بين أيدي الناس، تكون مكتبة غنية بالفكر والأدب والفن والثقافة، ثم وتحن أجياً وأجيالاً، وتدعهم وتحفظهم على الإبداع الأصيل والجميل.

إنه مخطط بارع، وصانع قدير للكتب والمجلات، ومكتشف لا يُبارى في عالم النقد والنشر، والصحافة .. الثقافية.

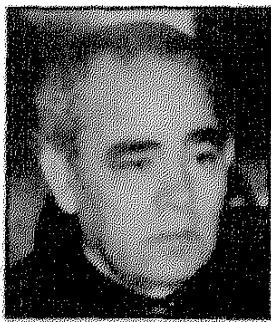
(وفي الحياة الأدبية، هناك نورس يستوقفكم باكتشافاته، وبهكم أجمل الكتب والمجلات، وأمتعها).

٢٤٥

وهي العودة التي انتظرناها، واستطاعنا أخبارها في المقاهي والجلسات الخاصة، ونحن نخمن ونحدس بالمكان الورقى الذى سيحط عليه النورس المرتحل بأقدامه الرقيقة ، ليضئه ويحييه. ينتقل النورس في الأجواء، فلا يحسرنا في أداب الشعوب الكبيرة (فرنسا، إنجلترا، أمريكا، روسيا)، وإنما يضع بين أيدينا أدب شعب صغير كالشعب اليوغوسлавى، ويكشف لنا تلك المذاق الأصلية في أداب الشعوب الصغيرة، فلها «ظروف تشبه ظروفنا، ولديهم هموم تشبه همومنا».. وهكذا يعمل عقل وخيال وروح المبدع والناقد والمكتشف المهموم والجاد والذوّاقة.

وغير ذلك، هناك «أبناء وعشاق» في ثلاثة أجزاء من تأليف الإنجليزى د. هـ لورنس، وترجمة شفيق مقار، وغلاف الفنان هبة عنایت بتنويعات خطوطه

مهدى الحسينى



مهدى الحسينى □

إلى الأمان والشوق إلى الاستقرار
والطمأنينة.

أدرك وجاء هذا مبكراً فمضى في
منحبات خطرة ومسالك وعرة وطرق كلها
التسوء ليس له من زاد سوى الحكمة
والتأجيل والحصافة وحسن التوقيت وذكاء
المخاطبة ومهارة المدارة والمناورة
(ودارهم ما دمت في دارهم) كل هذا كى
يحقق مساراً اختطه منذ كان يافعاً هو:
نصرة الأدب والأدباء والفن والفنانين حتى
أن الأمر اتسع من وحي قلمه وإملائه -
إلى الوطن كله ثم إلى الشعوب العربية ..
ثم إلى الإنسانية جموعاً . إنها قصة كفاح
لن ترويها بديلًا عنه فهو أحق الناس
بكتابتها.

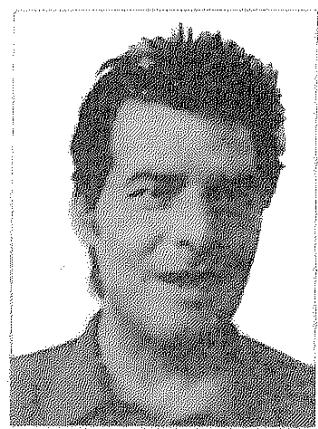
جنرالات الأدب

رغم ظروف أسرته الاقتصادية
المتواضعة ، ورغم كثرة العدد : رجاء .
وحيد ، فريدة ، عطاء ، فكري . بهاء .
أمينة ، إذ رحلت الأم مبكراً وتحمل الأب
الأستاذ عبد المؤمن النقاش المسؤولية
وحدة وكان يعمل إدارياً في مدارس وزارة
المعارف العمومية (التربية والتعليم الآن)
لا يمتلك سوى شفة مزمومة وإرادة
متقشفة ونظرة ملؤها التصميم ولا شيء

في بلدان العالم الثالث - عدا الهند
وجنوب أفريقيا وبعض دول أمريكا
اللاتينية - يتربع المثقفون سيراً في طرق
ملتوية ضيقة كلها خطورة يهددهم الجوع
والعطش فلا زاد ولا عنون ولا سند . كان
هذا هو القانون المصيري هنا منذ نفي
رفاعة الطهطاوي إلى السودان والشاعر
شوفي إلى إسبانيا ، وطبعاً تفتنت
بريطانيا في بناء السجون والمعتقلات ،
وحوصر المعتقلون في الأربعينيات في
جحيم جبل الطور ، وزوج ناصر بهم في
سجونه الحربية وطره ومصر وجناح
والمحارق بالواحات وأبو زعبل والفيوم و
.. و .. وإلي مالا نهاية لهذا العذاب
الذي عانته خلاصة عقول الأمة وعصرارة
قلوبها ، فضلاً عن سجون معنوية أخرى
هي التجاهل والتفسير والاستبعاد
وتحجيم الرزق أو منه والتهديد
ومحاولات الرشوة والشراء والإرباك
وحجب الحقائق والمعلومات ووضع
الخطوط الحمراء والمراقبة المباشرة وغير
المباشرة وخيانة الأصدقاء والتشهير
والتجني وإشاعة النماذم والحقيقة بينهم .
كل هذا مع عقول يضئها الجوع إلى
الحقيقة والمعرفة وأرواح يعذبها العطش

٢٤٦

ج - ب - ح -



نجيب سرور

أني شاهدته جالساً هناك بين يدي الدكتور عبد القادر القط وكان عائداً للتو من بعثته في إنجلترا سواء هو أو شقيقه العزيز الراحل وحيد ، ولعلهما ورثا الصمت عن أبيهما وأتقنا الاستماع ، فكان أن جمعا حصيلة ثقافية واسعة في وقت قصير باكر ، ذلك فضلاً عن أن مكتبة أسرتها الصغيرة كانت تضم أكبر مجموعات الكتب التي يستحوذ عليها منزل لثقف عام حينذاك سواء من حيث الكم أو من حيث التنوع خاصة الكتب الواردة من بر الشام .

ورغم الظروف الاقتصادية الأسرية الصعبة والظروف السياسية الشائكة التي كانت تحيط بالثقفين والسياسيين حينها ، قبل وبعد أزمة مارس ١٩٥٤ ، ورغم تعدد المعتقلات والسجون وأماكن الحجز التحفظي وحزم من القرارات الاستثنائية تصدر عن ما يسمى بـ «مجلس قيادة الثورة» والأحكام العرفية والقوانين التعسفية الجديدة والإجراءات الماكرة ، والمحاكم العسكرية ، إلا أنه لم يفقد شجاعته - وكان لم يتعلم الحكمة والحسافة بعد - حتى أنه كتب مقالاً عن

غير بضع قصائد عمودية طويلة وشئ من ثقافة الثلاثينيات والأربعينيات ، ولعلى سمعت أن رجاء كان عضواً في إحدى لجان الشباب الوفدى بالمنصورة ، وأنه شارك في بعض مظاهرات إبان حكومة حسين سرى التي جاءت في إثرها حركة الوفد المنتخبة بأغلبية ساحقة وعلى غير إرادة الاستعمار والسرى فاللغت المعاهدة مع الإنجليز وأطلقت زمام الحركة الوطنية . انتقل الأستاذ عبد المؤمن بأسرته كثيرة العدد إلى القاهرة: ليسكن بالقرب من جامعتها - حلم الطبقة الوسطى المستنيرة - في شارع ماكفرسون بحي بين السرايات الصغير الذي كان يضم كل التيارات الفكرية التي عرفتها مصر حتى ذلك الحين ، ولما كانت الشقة تضيق بهم ، فقد انتقل بأسرته إلى مدينة الأوقاف المتاخمة ، يفصلهمها عن بعضهما شارع الطوبوجى ، فسكنوا في بيت صغير له حديقة خلفية وأمامه أرض زراعية مبورة ، وكانت أسرتنا قد سبقتهم في نفس المسار من بين السرايات إلى بيت صغير ذي حديقة صغيرة يعطى ظهره إلى ظهر بيتهما . كان يتربى عليهم كثير من «المشبوهين» أدبياً : جيلى عبد الرحمن وتاج السر ومحى الدين فارس من شعراء السودان، وأحمد عبد المعطى حجازى وفوزى العنتيل ومحمود العالى من كتاب مصر وأخرون لا أذكرهم ، غير أنه كان يفضل أن يلتقيهم لضيق المكان وتواضع أثاثه في مقهى - كان فخماً - بميدان الدقى أو قهوة إنديانا الشهيرة ، ليس أصدقاءه وزملاءه فقط ، بل لعلى ذكر

المهتمين بالسياسات والأفكار، خاصة هؤلاء الذين ظنوا أو ادعوا أنهم شيوعيون. كتب يطالب بإلغاء حكم الإعدام ضد إيمري ناجي الذي قررت محكمة استثنائية شكلها الحزب الشيوعي الجرى الذى كان هو رئيسه المنتخب ورئيس حكومته، غير أن السوفيت والجناح اليمينى (الذى يزعم أنه يساري) فى الحزب لم يكونوا راضين عن سياساته التى بدت فيها بوادر الاستقلال عن المزعومة المسماة بالأممية وكذا حلف وارسو والسوق الاشتراكية التى كانت تقدّر الصناعات والحاصلات فى أوروبا الشرقية . انزعجت المنظمات الشيوعية المصرية من يمينها إلى يسارها من هذا المقال لأنّه يجرح ولاءها الغبى لسياسات الاتحاد السوفياتى ولل الفكر الشمولي وللعجز الفكرى عن عقد تواصل عميق مع مختلف فئات الشعب كان من شأنه أن يحميها من آثار الحملات التى شنها عبد الناصر ضدها، كانت أكبرها عام أول يناير ١٩٥٩ وما بعدها وحتى هزيمة ٦٧ . كان هناك بين الشيوعيين المصريين من تعاطفوا مع مقال رجاء النقاش إذ كانوا يفكرون فى : اشتراكية ذات طبيعة إنسانية أى اشتراكية تؤمن بحقوق الإنسان والتعددية والاستقلال الوطنى وحق المبادرة والابتكار فى تطبيق الماركسية فى صيغ متميزة لكل بيئة ووطن وقومية .. وكان المفكر الكبير الراحل أحمد رشدى صالح من بين هؤلاء ، ولما لم ينصتوا لرأيه فإنه أثر الانعزال عن أفكارهم وممارساتهم الكورييلية

«جترالات الأدب فى مصر» فى مجلة الأداب اللبنانية التى اختير مراسلاً أدبياً لها وأظنه أنه - حينها - كان قد جاوز العشرين من عمره بعام أو عامين ، لم يحدد المقال شخصاً بعينه ولكنه تحدث عن زحف عدد من العسكريين إلى قمة الحياة الأدبية؛ بغية السيطرة عليها وإدارتها ، هو لم ينكر أن بينهم من له قدر من الموهبة ، ولكن هذا لا يعني هيمتهم على عقول المصريين واحتلالهم لسدة الحياة الأدبية والفنية فى مصر ، تلك الظاهرة التى زادت مع ما يسمى بالتأمينات الاشتراكية المزعومة إذ انتقل الضباط إلى قيادة المسرح والسينما والكتاب والإدارات البيروقراطية للحياة الفكرية والثقافية بوجه عام - إذ كان رجاء يرى عن مبعدة وإن اضطرته الظروف بعد ذلك إلى قبول الأمر الواقع حين سيطرت الدولة الشمولية وتوابعها وأهل الثقة على كل مقدرات العمل الثقافى والعلمى والإبداعى فى مصر .. بل وفي بعض البلدان العربية أيضاً إلى حد أنه قبل العمل فى مجلة اسمها «البوليس» كانت تهتم بالأدب والفن وبالهادى من مفارقة!! ظل يوسف السباعى متحفظاً - حتى آخر لحظة من عمره - تجاه رجاء بسبب هذا المقال .. بعيد النظر .

مأساة إيمري ناجي

فى سنة ١٩٥٦ ، كتب النقاش مقالاً فى روز يوسف أحد روبيعة سياسية وفكرية بين قرائهما من المصريين والعرب

الذيلية الانهزامية.



عبد الرحمن الخيمي

على أقل تقدير ، وحين نشبت معركة ما بين ناصر والسوفيت ، تسلم ميكروفوننا في إذاعة موسكو العربية ليرسل أكوااما من الانتقادات الصحيحة للنظام المصري مدافعا عن المثقفين والفنانين والسياسيين اليساريين والديمقراطيين المحبوسين المعذبين ، كل هذا وهو يظن أنه يسير على درب النضال الصحيح ، غير أن نيكيتا خروشوف كبير السوفييت حينذاك كان قد غير خططه وتصالح مع حكومات العالم الثالث العسكرية التي كانت تطارد الديمقراطيين والنقابيين واليساريين ومنها حكومة ناصر ، وحين تظاهر المبعوثون الأفارقة والعرب ضد هذا التوجه قال لهم خروشوف : «سيروا على روسكم ولكن لن نسمح لكم بتغيير خططنا السياسية» وهكذا تم نزع الميكروفون من يد نجيب سرور وغيره من الثوريين اللاجئين إلى موسكو هربا من نير أنظمتهم المستبدة ، وكان لنجيب أصدقاء من شيوعيي المجر المستيريين مثله فدعوه إلى المجر - حيث توجد مدرسة مسرحية غالية في الأهمية لها منجزات خاصة في الفن وعلم الجمال - ولكنه وجد هناك حكما يجمع بين بطش

كان رجاء حينها فتى في العشرينات من عمره ومع ذلك كان له عقل زرقاء اليمامة ، فالكاتب الفذ هو الذي يرى من بعيد ويتبأ وكان رجاء كذلك . لقد ارتكب السوفييت نفس الجريمة في بولندا حين أزاحوا «جومولكا» الزعيم البولندي .. ثم تكررت نفس المأساة مع «دوبيتشيك» في تشيك سلوفاكيا صاحب ربيع براغ سنة ١٩٦٨ ، وحين عاد مع زميله «هافييل» بعد تغير الأوضاع الدولية مع سقوط حائط برلين البغيض وانهيار السوفييت ، حينئذ تم تقسيم الدولة الشمولية إلى «تشيك» و«سلوفاك» .. تم قتل دوبيتشيك وبقي هافيل لأنه اعترف بإسرائيل !! وشاركت بولندا وال مجر في قوات الاحتلال العراق . تخليوا كم كانت النظارات الثاقبة لرجاء النقاش وغيره تستطيع أن تفعل لو وجدت تحقق لها في الواقع؟

استعادة نجيب سرور

ذهب نجيب فيبعثة إلى موسكو لدراسة المسرح ممتلكا تلك النظرة الرومانسية التي ترى الاتحاد السوفيتي قلعة للاشتراكية والحرية وقبلة للشعوب الطامحة للتحرر والتنمية والعدالة ، وهناك التقى كوادر الحزب الشيوعي واتحادات الكتاب والفنانين وأنفسه - بحكم طبيعته الفنانة - في ثنایا هذه الحياة دون أن يرى عاجلاً الوجه الآخر لها ، ولعله كان يقصد حين كاد يسمع أن فلانا - أدبيا روسيا أو فنانا - زُج به إلى مصحنة نفسية أو أرسل إلى سيبيريا أو إلى معسكر إجباري للعمل أو نهى من منصبه

إسرائيل والصهيونية وأن بينهم من خان !! وكانت صور زنگرافية قد وصلتني لصحف حزب «راكاح» العربية على صدارتها أشعار لتفقيق زياد وسميح القاسم ومحمد درويش فسلمتها للموسيقار الراحل الفنان عبد العظيم عويضه فإذا به يستدعي عادل كامل حنا - الراحل أيضاً - ليصبح قائداً لفرقة كورال من الشباب هي فرقة «كورال الطليعة» ويستدعي الموسیقار علاء الدين مصطفى (أستاذ بالكونسيرفاتوار حالياً) ليقوم بالتوزيع الموسيقى والمصاحبة على البيانو ، كل هذا كى أرد ونرد على ما ورد في خطبة ناصر في دفاعه عن ديمقراطية إعلامه الكاذب حينذاك : «يمكن الإعلام ماحطش إيده على النغمة الصحيحة» ويبدو أن نفس الهاجس ملك عقل رجاء النقاش فقام بنشر أشعار هؤلاء الذين عاشوا وناضلوا تحت حد السلاح الإسرائيلي الصهيوني لأنهم يعرفون العدو حق المعرفة . هنا قام رجاء بنشر «النغمة الصحيحة» بعدها أصدر كتابه الرائد عن محمود درويش . ومن حينها لم يتوقف الطابور المناضل للشعراء الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وخارجها . إنه بعد النظر .

فطنة الاختيارات

منذ رأس رجاء مجلة الهلال وإصداراتها كان يباغتنا بإصدارات لم تخطر على بال : «موسم الهجرة للشمال» رواية الطيب صالح ، «أبناء وعشاق» رواية «د. هـ . لورنس» ، «الثلاث بنسات» ترجمة شفيق مقار تأليف برتولد بريشت

ستالين ومروق خروشوف ، وكانت طبيعة نجيب الفلاحية الديمقراطية المعتزة بالقومية المصرية لا تقبل مثل هذه الحياة ، وهناك قست عليه الغربة .

في منتصف سنة ١٩٦٤ فوجئنا بمقال للنقاش يطالب الحكومة المصرية باستعادة هذا الكاتب الفنان ، هل كان رجاء يُعرف كثيراً عنه وهو الذي سافر من مصر عام ١٩٥٨ ولم يكن قد أنتجه أهم أعماله؟ لا أعتقد .

إن رجاء هنا كان يرى موهبة نجيب القادمة في ثنايا القليل الذي كان قد أنتجه قبل السفر .. وبالفعل استجابت الحكومة وعاد نجيب والتقي مع كرم مطاعو ليقدم ويسرح له قصة شعرية «ياسين وبهية» على مسرح الجيب بالحدائق الفرعونية بجزيرة الزمالك (الآن ستوديو تلفزيوني) فكان أن تعرفنا على نجيب حيث أخرج «بستان الكرز» كأروع ما يكون فن الإخراج ... إلى آخر أعمال الراحل الكبير .

٢٥٠

قبة الصخرة الذهبية

اختار رجاء حين كان رئيساً لتحرير «الهلال» صورة قبة مسجد الصخرة القدسية المطلية باللون الذهبي ليجذب عين القارئ كى يشتري المجلة التي ضمت أشعاراً طازجة جديدة لشعراء لم يسمع عنهم المجتمع الأدبي المصري والعربي خارج فلسطين سنة ١٩٤٨ ، كانت هناك تسريبات إجرامية تمس سمعة فلسطينيون ٤٨ بأنهم استسلموا وتواضعوا مع



جلي عبد الرحمن
الفرصة ولم يفدوا منها.

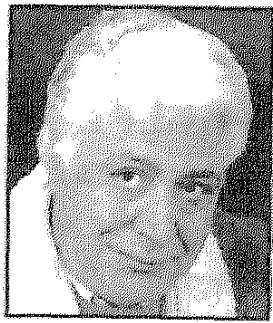
أم مكسيم جوركى

لأتابع مقالاته بالأهرام بدقة ، ولكنني أقرأ بعضها ، أسعدهنـى مقالـتـى عن الكـاتـب الروسـى العـظـيم الـذـى غـدرـتـ بـه الـقـيـصـرـية ثـمـ غـدرـتـ بـه - إـلـىـ حدـ القـتـلـ - الشـيـوعـيـة السـوـفـيـتـيـة ، لـكـنـ رـجـاءـ لمـ يـذـكـرـ شـيـئـاـًـ عـنـ هـذـاـ وـلـاـ عـنـ اـغـتـيـالـ اـبـنـهـ وـحـيـدـهـ بـأـنـ تـرـكـهـ عـمـلـاءـ الـكـيـ جـيـ بـىـ فـىـ غـرـفـتـهـ وـشـبـابـيـكـ مـفـتوـحةـ فـىـ عـزـ الشـتـاءـ . كـتـبـ رـجـاءـ عـنـ إـنـسـانـيـةـ جـورـكـىـ وـعـنـ قـصـةـ اـمـ الشـهـيرـةـ (ـتـلـكـ الـتـىـ كـانـتـ تـعـتـبـرـ مـضـبـوـطـاتـ إـذـاـ وـجـدـهـ ضـبـاطـ الـمـبـاحـثـ فـىـ مـكـبـاتـتـاـ فـىـ الـخـمـسـيـنـيـاتـ وـالـسـتـيـنـيـاتـ)ـ ، فـأـنـاضـ عـنـ فـرـطـ إـنـسـانـيـتـهاـ وـحـنـانـ مـبـدـعـهاـ كـمـ كـتـبـ عـنـ قـصـةـ قـصـيرـةـ فـذـةـ عـلـىـ نـحـونـادـرـ فـىـ تـارـيـخـ الـأـدـبـ الـإـنـسـانـيـ ، هـىـ قـصـةـ «ـمـولـادـ اـنـسـانـ»ـ ، تـحـكـىـ عـنـ طـالـبـ طـبـ يـقـومـ بـتـولـيدـ اـمـرـأـةـ عـامـلـةـ لـاـ يـعـرـفـهـاـ صـدـفـهـاـ فـىـ حـالـةـ وضعـ ، بـيـنـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـبـاحـثـينـ عـنـ الرـزـقـ ، اـثـنـاءـ عـبـورـهـمـ غـابـةـ ، كـيـفـ صـورـ جـورـكـىـ صـورـةـ الـطـفـلـ «ـالـصـارـخـ فـىـ الـبـرـيـةـ»ـ فـىـ أـولـ ثـانـيـةـ تـواـجـهـ فـيـهاـ عـيـنـاهـ ذـكـ المـجهـولـ .. إـنـهاـ الـحـيـاةـ .

رواية من جزئين مختلفتين تماماً عن نصوصه ومصادره المسرحية ، رواية قصيرة هي «صمـتـ الـبـحـرـ»ـ منـ تـرـجمـةـ شـقـيقـهـ الـراـحـلـ وـحـيـدـ النـقاـشـ لـكـاتـبـ الـفـرـنـسـىـ ثـيـرـكـورـ وهـىـ رـوـاـيـةـ مـفـعـمـةـ بـالـشـعـرـ وـالـنـثـرـ مـعـاـ فـىـ كـلـ لـفـظـةـ وـجـملـةـ فـيـهاـ ، رـوـاـيـةـ «ـسـدـاسـيـةـ الـأـيـامـ الـسـتـةـ»ـ للـراـحـلـ الـفـلـسـطـيـنـىـ إـمـيلـ حـبـيـبـىـ وهـىـ عـمـلـ فـذـ يـشـخـصـ الـانـقـسـامـ الـقـسـرىـ - عـلـىـ مـسـتـوىـ النـفـسـ وـالـجـسـمـ وـالـوـاقـعـ وـالـمـصـيرـ وـالـخـيـالـ - الـذـىـ أـجـبـرـ عـلـيـهـ الـفـلـسـطـيـنـيـونـ ، وـ«ـالـمحاـكـمـةـ»ـ لـكـافـكاـ وـ..ـ وـ..ـ وـالـذاـكـرـةـ تـخـوـنـتـ أـحـيـاناـ فـلـاـ أـسـتـطـعـ الـحـصـرـ.

المجهولون

كـنـتـ قدـ تـعـرـفـتـ عـلـىـ شـاعـرـ صـفـيرـ الـسـنـ أـسـمـعـنـىـ قـصـيـدـةـ تـحـفـلـ بـصـورـ وـمـعـانـ جـديـدةـ ، فـأـخـذـتـهـ فـورـاـ إـلـىـ حـيـثـ كـنـاـ نـلـتـقـىـ مـرـةـ فـيـ الـأـسـبـوـعـ عـنـ «ـالـقـدـيسـ»ـ وـهـوـ اـسـمـ الـكـنـاـيـةـ عـنـ الـمـلـقـفـ الـكـبـيرـ الـراـحـلـ عـبـدـ الرـحـمـنـ الـفـمـيـسـىـ ، فـأـسـمـعـهـمـ الشـاعـرـ الصـفـيرـ قـصـيـدـتـهـ فـأـعـجـبـ رـجـاءـ بـهـاـ قـائـلـاـ : «ـيـبـدـوـ أـنـ هـنـاكـ جـيـلـاـ جـديـداـ يـدـقـ الـأـبـوـابـ»ـ نـشـرـ لـهـ قـصـيـدـتـهـ لـاـ ذـكـرـ فـيـ الـمـصـورـ أوـ الـكـواـكـبـ وـيـدـعـ بـهـ إـلـىـ مـجـلـةـ الـكـاتـبـ وـأـحـمـدـ عـبـاسـ صـالـحـ ، غـيـرـ أـنـ هـذـاـ الشـاعـرـ ظـلـ صـفـيـرـاـ لـزـمـنـ طـوـيلـ فـلـمـ تـواتـهـ نـفـسـ الـصـورـ السـاخـنـةـ وـلـاـ رـوـحـ الـكـشـفـ وـالـهـجـاءـ وـالـمـفـارـقـةـ وـلـاـ الـانـدـفـاعـ وـالـمـغـامـرـةـ ، وـالـمـبـاغـتـةـ وـالـشـجـاعـةـ ، وـلـاـ الرـؤـىـ وـالـأـحـلـامـ الـتـىـ مـيـزـتـ قـصـيـدـتـهـ ، بلـ تـمـلـكتـهـ تـوجـهـاتـ طـامـحةـ طـامـعةـ أـخـرىـ فـلـمـ يـحـقـقـ شـيـئـاـ ذـاـ بـالـ . كـثـيرـ مـنـ هـؤـلـاءـ الـمـجـهـولـينـ دـفـعـ بـهـمـ رـجـاءـ إـلـىـ السـاحـةـ وـلـمـ يـفـلـحـواـ وـلـكـنـ الذـنـبـ لـيـسـ ذـنـبـهـ فـقـدـ مـنـهـمـ



هروءوكالتش

عبد الفنى داود □

وعبد الرحمن الشرقاوى - لكنه تعلق بكتابات الدكتور محمد مندور فى نقد مسرحيات شوقي وعزيز أباظة وتوفيق الحكيم والمسرح النثري، والمسرح المصرى المعاصر، والمسرح العالمى، وهكذا كتابات الناقد الكبير (أنور المعادوى) الذى رافقه كثيرا .. والكلاسيكية والأصول الفنية للدراما وغيرها من الكتابات، ومن خلال عمله بالصحافة فى البداية فى جريدة «الأخبار» ثم «الجمهورية»، ومن قبلها مجلات «البوليس»، و«الشهر»، و«روزاليوسف»، وكذا كمراسل لجنة «الأدب» الباريسية . تابع الحركة السرحية فى مصر وهو يدرك ما يسمى بأزمى النقد فى حياتنا الثقافية - فنجد أنه يكتب فى جريدة «أخبار اليوم» عام ١٩٦٢ مقالاً بعنوان «نعم .. عندنا أزمة نقد»، ويحذر من خطورة غياب دور النقاد، فيقول :

(في كل يوم يمر - يزيدنى إيماناً بأن النقد الأدبى عندنا فى أزمة، وأن هذه الأزمة تهدى حياتنا الأدبية - هذه الأزمة يتحمل مسؤوليتها النقاد من جانب - الواقع الأدبى من جانب آخر، ويدون أن

يشير الكاتب الكبير رجاء النقاش - فى بداية حياته الأدبية إلى دور (الناقد) فى الحركة الثقافية، وفي الحياة بصفة عامة قائلاً فى: (مجلة «المجلة» العدد ٥٤ - يوليو ١٩٦١): «الناقد الفنان هو الذى يدرك الحقائق النظرية العلمية إدراكاً كاملاً، ولكن لا يقف عندها.. وإنما يتعداها ليحدد بعد ذلك (نوع) العمل الفنى، ولونه وطعمه وسر الحياة فيه، ودرجة هذه الحياة. والناقد لا يستطيع أن يصل إلى هذه الحقائق الفنية الخفية بدون أن يكون نابضاً بإحساس فنى قد لا يقل عن إحساس الفنان نفسه - هكذا تعلمنا (دور الناقد) وتحملنا المسئولية».

فمن تعلم رجاء النقاش؟ سؤال صعب لأن الذين نتعلم منهم كثيرون ولا حصر لهم، وكانت الساحة الثقافية - عندما بدأ يمارس الكتابة وهو فى سنين الدراسة وبعد أن تخرج فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٦ - مليئة ب الأساتذة الكبار كطه حسين وعباس محمود العقاد - الذى اشترب معه فى معارك أدبية فيما بعد - وغيرهما من الرواد كتوفيق الحكيم ويحيى حقى ود . لويس عوض ونجيب محفوظ

نبذل محاولات جادة في كل ميدان أدبي وفكري، ستبقى الأزمة كما هي)، ومثل هذا القول في تلك الفترة كان نوعاً من الشجاعة في ظل نظام التنظيم السياسي الواحد - خاصة أن (النقد) هنا قد لا يقتصر على النقد الأدبي فقط - بل يتعداه إلى كل مناحي الحياة، ومن خلال متابعته الأمينة

التي تتحلى بالصدق ونزاهة الضمير - تابع الحياة المسرحية في مصر - للتجمع جهود هذه المتابعتين في كتابين هما: «في أضواء المسرح» يونيو ١٩٦٥ - سلسلة «إقرأ» - العدد (٢٧٠) - دار المعارف، و«مقد عصير أمام الستار» - الذي نشر في هيئة الكتاب عام ١٩٧١ - ويتناول الكتاب الأول «في أضواء المسرح» عدة دراسات عن المسرح العالمي والمصري .. مع بعض مقالات في النقد التطبيقي لمسرحيات مصرية من تأليف توفيق الحكيم، وأفريد فرج، وشوقى عبدالحكيم، وميخائيل رومان، وفتحى رضوان، ويوسف إدريس، وعبدالرحمن الشرقاوى، وهى كتابات تشى بحماس و(فرح) الناقد بـ«أعمال هؤلاء»، ومركزًا على قيمتها الأدبية والفكرية، وعلى تطليل مضمون النص حيث يتناوله من الناحية الاجتماعية وعلاقته بالواقع .. لذا فهو يعني كثيراً بما هو خارج النص أكثر من عنايته بتفاصيل عناصر العرض



المسرحى، والتى نادى بها القائد الحداشيون فيما بعد - حتى كاد ينطمس دور (النص الأدبى) الذى أرى أنه العمود الفقرى لأى عرض مسرحى، والذي منه يستوحى كل صانعى العناصر المسرحية الأخرى إبداعاتهم.

وفي كتابه الثانى «مقد عصير أمام الستار» يقدم الناقد

(مقدمة) مهمة يعلن فيها بشجاعة أنه ضد مسرح د. رشاد رشدى، وضد المدرسة التي يتتبّب إليها هو ورفاقه من أساتذة قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة من أمثال : (د . فاطمة موسى، د . شفيق مجلى، د . فايز إسكندر، د . أمين العيوطى، د . فخرى قسطنطين) وتلاميذهם، كما أنه ضد (مسرح ميخائيل رومان)، ولا يستطيع تقبل مسرحهما، ومع ذلك يعترف بأن هناك نقاداً آخرين لهم قيمتهم وأهميتهم يقبلون مسرح كل منها، ويدافعون عنه ويتحمسون له، ويرون فيه مسرحاً ممتازاً وناجحاً .

الالتزام النقدي

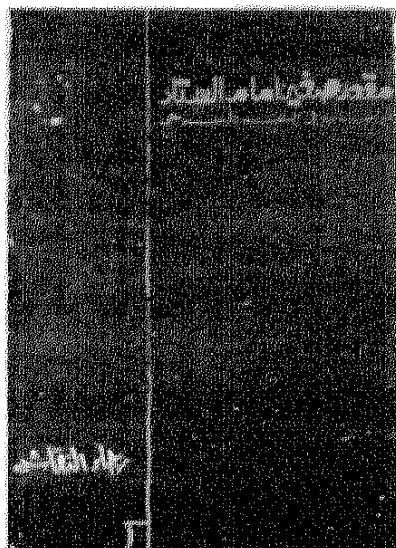
يضم هذا الكتاب مجموعة مقالات مهمة يحاول من خلالها الناقد أن يفسر أسباب إعجابه أو عدم تحمسه لكل مسرحية - ملتزماً فيها بمنهج النقد الأدبى الذى يُركز على النص والمضمون وماذا يريد أن يقول - لدرجة أنه يستغرق معظم مقالاته فى نقد مسرحية «سلیمان

تتماسك كلها في جسم واحد متكامل) - كما جاء في كتاب «مقدمة صغير أمام الستار» ١٩٧١ ص (١٦٣)) .

ولم تزدماً في ذلك بما كتبه في وقت مبكر في جريدة «الأخبار» عام ١٩٦١ : (إن التغيرات الشاملة الواسعة التي أحدثتها الثورة في جيلنا بحاجة إلى فن جديد يصاحبها ... فن عميق يعمق الحياة الجديدة التي نعيشها، وعمق الإنسان الجديد الذي بدأ يظهر)، ولدرجة أن يصل حماسه لكاتب مسرحي قدير مثل (محمود دياب)، (١٩٢٢ - ١٩٨٣) ليرى أن مسرحيته «باب الفتوح» ١٩٧٦، تستحق أن تقدم كنموذج عالي للفن المسرحي، العربي في أي مكان، (مجلة «المصور» ١٩٧٦/١١/٢٦) .

منهج متفرد

إذن - فالمسرح يحتل جانباً مهماً في إنجاز رجاء النقاش الأدبي - لتردده بمنهجه الواضح دون تأثر بالموجات الباحثة عن الفموض والإلتباس - حيث يظل انحيازه للنص (الأدبي الأدبي) الذي يضفي القيمة الفكرية على العرض المسرحي، وبدونها لا يصبح للعرض المسرحي أية قيمة حقيقة سوى الترفية والتسلية، ويظل منهجه رجاء النقاش قلعة للدفاع والتصدي لدعوى تهميش المؤلف والنص، ودعوى إنكار حق المؤلف كخالق أصيل للعرض المسرحي .



الحلبي» ١٩٦٥ - لأنفريد فرج - في عقد مقارنة مضنية للتشابه بين (الحلبي) و(هاملت) - ولدرجة أنه رأى في تحول (الفتاة) ابنة قاطع الطريق (حداية) إلى الدعاية - انتشاراً رمزاً في مقابل انتشار (أوفيليا) الفعل، ويرى :

أن في مسرحية «سليمان الحلبي» يلتقي الجهد بالموهبة التقاء كبيراً، فالمسرحية (مصنوعة) بتأقة وثقافة ومعرفة كاملة بالمرحلة التي تتحدث عنها المسرحية . ومن ناحية أخرى، فإن لسات الموهبة المتألقة تملأ (صفحات) المسرحية .. لم يعتمد المؤلف على الجهد وحده، ولا على الموهبة وحدها، وإنما استطاع أن يخلق زواجاً كاملاً بينهما - فهو رغم حرصه على تحليل النص (صفحاته) أساساً، والإشارة إلى التشابه الذي بينه وبين نص «هاملت» - مراعياً في ذلك ضميره الحي وشفافية ونقاء وطهارة الأزمة، ودون مجاملة ليظل محظوظاً بالحماس لكتاب المسرح

٤٥٤
- فهو يواصل حماسه لمسرح عبدالرحمن الشرقاوى الشعري، إلا أنه يرى أن (المونولوجات الفنائية) التي يعتمد عليها الحوار في كل مسرحية - هي سبب ضعف الصراع الداخلى فيها - مما جعلها (تسير في اتجاهات مشتتة متباعدة دون أن

الإدراك

صبيح حليدي □

الخالدة، مبهج كذلك، أن يكون الكتاب بتتوقيع الناقد المصري المخضرم رجاء النقاش، خصوصاً وأنَّ هذا العمل يبرهن مرة أخرى على أنَّ اهتمامات الرجل ليست محلية مصرية أو عربية "عروبية" دائمًا وأبداً!

والحال أنَّ كتابات النقاش النقدية كانت، منذ الخمسينيات، علامة حية وحارة على أمرَين:

١ - إدارة الصراع (في جبهة الأدب) بين اليمين واليسار عموماً، وبين المدافعين عن عروبة مصر ودعاة انتماها إلى أصول أخرى

شعوبية، وفي هذا الصدد تدرج سجالاته ضدَّ توفيق الحكيم ولويس عوض ومن أسماءهم بـ "الانزعاليين"، ودفعاه عن طه حسين وأنور المعداوى، وتمييزه بين اتجاهات اليمين واليسار عند عباس محمود العقاد، وتشخيصه للظواهر السياسية وراء أزمة الثقة المصرية.

٢٥٥



الدراسات الشكسبيرية في التأليف العربي نادرة شحيبة، لكنَّ لا نقول إنها شبه منعدمة، وذلك بالرغم من توفر معظم أعمال شكسبير الأساسية مترجمة إلى العربية، وأحياناً في أكثر من ترجمة واحدة. وقد يقول قائل إنَّ هذه الحال الفقيرة في ميدان الدراسات تشمل أيضاً الغالبية الساحقة من كبار أدباء الغرب، فضلاً عن آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وأنَّ طور الخمسينيات والستينيات الذي شهد الاشتغال النشيط على الأدب والنظرية النقدية الغربية كان طفرة واحدة، عابرة واستثنائية.

ولهذا فإنَّ من المدهش أنَّ يصدر كتاب بعنوان "نساء شكسبير"، دار شرقيات - القاهرة، يتناول هذا الجانب الأساسي في تراث أديب لا تغيب المرأة أبداً عن مسرحياته وقصائده، حتى أنَّ المرء لا يمكن أن يفكُّر في شكسبير بمعزز عن شخصياته النسائية

□ كاتب وناقد من سوريا

البراغيل

لديه)، وخاض عشرات المعارك الأخرى دفاعاً عن الآخرين (سواء أكانوا من النقاد أو الأدباء). وكان يصيب في معظم الأحيان، ويخطيء في أحياناً أخرى، خصوصاً حين يطغى التأويل السياسي للنص أو الإنتماء العقائدي لصاحب النص على الخصائص الفنية للنص ذاته. وفي الجانب العملي تولى النقاش رئاسة تحرير دوريات عربية أساسية (مثل "الهلال" وكتاب الهلال الشهري، و"الدوحة" القطرية)، وكانت هذه المهام بمثابة اختبار عملي لواقفه المنحازة إلى الحداثة والتجديد، وتسامحه مع النزاعات التجريبية لدى الأدباء الشباب.

لكنه كان - وما يزال في الواقع - شديد الميل إلى إسقاط السياسة (بمعناها المباشر والعقائدي والحزبي) على الظواهر الإبداعية، وإلى شطب جزء كبير من حقوق الإبداع إذا أخلت هذه بحقوق السياسة. وأن تأتي ممارسة كهذه من ناقد كبير ومتمرّس ورأى أمر يتتجاوز حدود العثرة، لأنه في الواقع ينم عن استعداد للتضحية باستقلالية العملية الإبداعية لصالح تكريس السياسة. ولعل جوهر هذا الموقف تختصره الكلمة التي نُشرت على الغلاف الأخير لكتاب النقاش "ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء"، حيث جاء فيها: "وقد وقف المؤلف بوضوح وصراحة مع حركات التجديد الأصلية ورموزها المختلفة، كما وقف ضد حركات التجديد المبنية على عداء حضاري وقومي للأمة العربية واللغة العربية وأدابها. ولم يتردد المؤلف في معارضته حركات

٢ - تقديم المواهب الأدبية الجديدة، والسباحة عكس التيار في الدفاع عن حقها في احتلال الموقع المناسب. وهكذا كان رجاء النقاش بين أوائل الذين قدموا الرواية السودانية الطيب صالح، فرحب بروايته "موسم الهجرة إلى الشمال"، واعتبر أن صدور هذه الرواية يدل على أن الرواية المصري الكبير نجيب محفوظ لم يعد عقبة في وجه تطور الأسماء الشابة. كذلك قدم النقاش لمجموعة أحمد عبد المعطي حجازي الأساسية "مدينة بلا قلب" ، ١٩٥٨، وكان أول المبادرين إلى تقديم محمود درويش، وذلك حتى قبل أن يغادر درويش الأرض المحتلة، ورغم حساسية الحديث (أنذاك!) عن شاعر فلسطيني يحمل الجنسية الإسرائيلية.

وفي الجانب السجالي خاض النقاش عشرات المعارك دفاعاً عن قناعاته (ولعل هذا هو بعض السبب في إفراط الحماس

٢٥٦

٢٠١٣ - ٢٠١٤





مع الفنان دريد لحام في القاهرة «١٩٩٥»

الاستشراق الغربية، بل هي حركة تجديد عميقه في المحتوى والأسلوب والشكل، بدليل أنها الإتجاه الأعم في الشعر العربي المعاصر، ويمارس كتابتها شعراء قوميون وماركسيون وإسلاميون!

وصدور "نساء شكسبير" مناسبة لتحية ناقد رائد يظل قدوة صالحة في ميدان ممارسة النقد التطبيقي، وفي الحرص على متابعة الظواهر الخلافية، وإثارة النقاش حولها، والتتبّع إلى الأصوات الجديدة والشابة، والمجازفة بتقديمها ووضعها ضمن سياقات المشهد الأدبي الأعرض. هي كذلك مناسبة نذكر فيها أنَّ النقد العربي المعاصر استقال، إجمالاً، من هذه الختال - الواجبات!

التجديد القائمة على سوء النية القومية، والاستهانة بالتراث الحضاري العربي بهدف تمزيق العرب فكريأً وثقافياً ووجودانياً.

والحق أنَّ أحداً لا يستطيع الزعم الأكيد بأنَّ دعوة تجدیدية ما في الأدب، هي في الآن ذاته حالة "عداء حضاري وقومي للأمة العربية"، لأنَّ تجدد الأساليب والأشكال والمدارس ظاهرة إبداعية واجتماعية - ثقافية عميقة حتى إذا انطلقت من أساس سياسي أو فلسفى. وهكذا برهنت السنوات اللاحقة أنَّ حركة التجديد التي قادت إلى تكريس قصيدة النثر في الشعر العربي منذ أواخر الخمسينيات لم تكن حركة سياسية قادها "شعراء أعضاء في الحزب السورى القومي الاجتماعي" وشجّعتها "أوساط



صلاح عبد الصبور

المطران

الضمير

- رجاء النقاش ، ابن جيلنا، ربما كان رجاء أصغر أبناء جيلنا من الكتاب سنًا، إذ أنه ولد سنة ١٩٣٤، ولكنه عاش هذه السنين كلها، بعمق وشفف ومرارة.

- إذا كان بعض الناس يعبرون الحياة ، وبعض الناس يعيشونها، فإن رجاء يعانيها. رجاء صديقى كما عرفته، إنسان عارى الأعصاب، وتلك محنـة ... وكثيراً ما يتسائل رجاء .. العيب فينا أم في الناس أم في الزمن؟

- يحمل رجاء في قلبه الفجيعة دائمـاً، ولكنه لا يبكي ولا يعلن بطلان الكل، ولا يخاف. إن الفجيعة في قلبه تصبح حياة ومحبة وشهوة لإصلاح العالم .

- عاش رجاء كما عشنا جميعـاً، موزعاً بين القرية والمدينة، وبين الثقافة والواقع، وبين الحلم والتجربة، وبين الرغبة والفعل ... ولكنه - لأنـه إنسان شريف - مهما كان لكلمة الشرف من معنى، لن يسقط في هوة اللامبالاة، ولن يتعالـى إلى أبراج الترفة، لأنـه إنسانيـته وشرفـه يعصمـانـه.

- ومجموعة مقالاته، كل منها تحمل فكرة في الأدب وفكرة في المجتمع، وفكرة في الخلق، ويجمع هذه الأفكار كلـها أنـ السلطـانـ الوحيدـ عليهاـ هو .. الضمير.

- ونحن في وطنـناـ العربيـ، نحتاجـ الكاتـبـ ذـاـ الضـمـيرـ، لأنــ الضـمـيرـ مـثـلـ الـبـادـاهـ السـلـيـمـةـ لاـ يـخـطـئـ أـبـداـ،ـ وـيـعـرـفـ طـرـيقـهـ دـائـماـ إـلـىـ الصـوـابـ .

□ التقىـمـ الذـىـ كـتـبـ شـاعـرـنـاـ الـراـحـلـ الـكـبـيرـ صـلاـحـ عبدـ الصـبـورـ
لـكتـابـ رـجـاءـ النـقاـشـ «ـفـيـ أـزـمـةـ النـقاـفـةـ المـصـرـيـةـ».



قبل الخروج

(مشاهد من سيرة مثقف)



كتاب جديد للكاتب الصحفي
د. مصطفى عبد الفتاح

يصدر: ٥ فبراير ٢٠٠٧



٦١ شارع زين الدين



رواية جديدة للكاتب
سعيد نوح

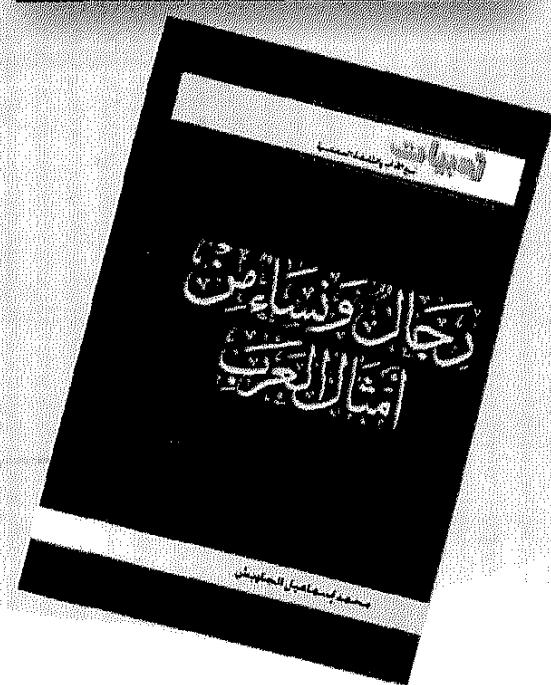
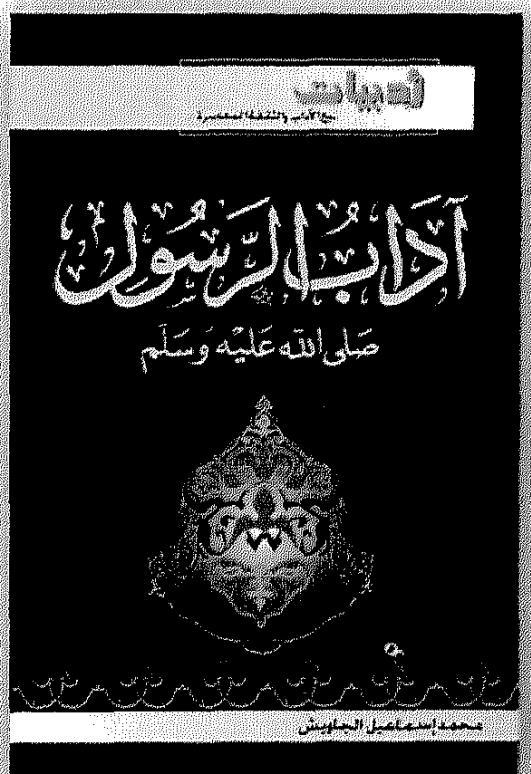
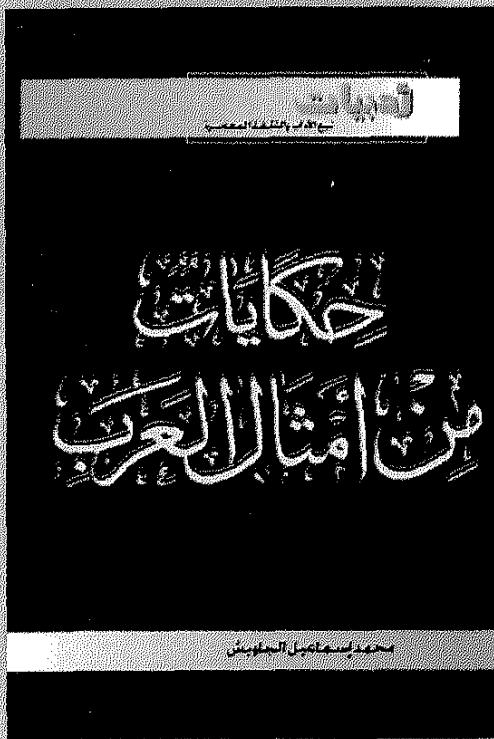
تصدر: ١٥ فبراير ٢٠٠٧

رئيس التحرير
مجلدى الدقاقي

رئيس مجلس الإدارة
عبد القادر شهيب

رَدِّ بَيْبَات

نَبْعُ الْأَدَابِ وَالثَّقَافَةِ الْمُعَاصِرَةِ



طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - المطابع ١٠، ٨، شارع المنطقة الصناعية
بالعباسية - منافذ البيع : ١٦، ١٠، ١٦، ١٣ ش. كامل صدقى الفجالية - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكري روكتى مصر الجديدة
- القاهرة : ٦٨٢٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ ، فاكس : ٢٥٩٦٦٥٠ - ٦٨٢٧٠٠٢ ج.م.ع ش. بدوى محرم بك - الإسكندرية .